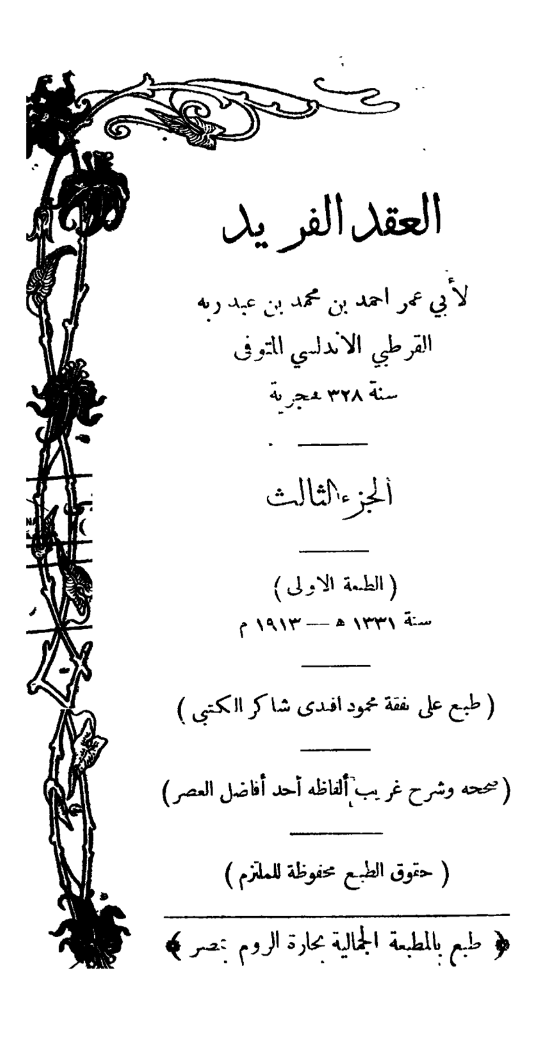




العقد الفريد

لأبي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه
القرطبي الاندلسي المتوفى
سنة ٣٢٨ هجرية

الجزء الثالث

(الطبعة الاولى)
سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م

(طبع على نفقة محمود افندى شاكر الكتبي)

(صححه وشرح غريب ألفاظه أحد أفاضل العصر)

﴿ طبع بالمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم)

١٣

فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور

(وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب)

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الخطب وفضائلها ، وذكر طوالها وقصارها ، ومقامات أهلها ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب وفضل الايجاز اذ كان أشرف الكلام كله حسنا وأوقعه قدرا ، وأعظمه من القلوب موقعا ، وأقله على اللسان عملا ، مادل بعضه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن تقل حروفه وتكثر معانيه ، ومنه قولهم رب اشارة ابلغ من لفظ ، أليس ان الاشارة تبين مالا يبينه الكلام ، وتبلغ مايقصر عنه اللسان ، ولكنها اذا اقامت مقام اللفظ وسدت مسد الكلام ، كانت أبلغ لخفة مؤنتها وقلة عملها . قال ابرويز : لكتابه اجمع الكثير مما تريد من اللفظ فى القليل مما تقول يحضه على الايجاز وينهاه عن الاكثار فى كتبه ألاتراهم كيف طعنوا على الاسهاب والاكثار حتى كان بعض الصحابة يقول أعوذ بالله من الاسهاب قيل له وما الاسهاب قال المسهب الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقر ويشول به شولان الروق . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أبغضكم الى الثرثارون المتشدقون » يريد أهل الاكثار والتقعير فى الكلام ولم أجد أحدا من السلف يذم الايجاز ويقدح فيه ولا يعيبه ويطعن عليه وتحب العرب التخفيف والحذف ولهرب بها من التثقيل والتطويل كان قصر

الممدود أحب اليهامن مد المقصور وتسكين المتحرك أخف عليهامن تحريك الساكن لان الحركة عمل والسكون راحة . ومن كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم أحمد فى الجملة وان كان للاطناب موضع لا يصلح الا له وقد تومى الى الشيء فتستغنى عن التفسير بالايماء كما قالوا المحة دالة . كتب عمرو بن مسعدة الى ضمرة الحرورى كتابا فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقع فى ظهره اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز مقصرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا . وبعث الى مروان بن محمد : قائد من قواده بغلام اسود فامر عبد الحميد الكاتب ان يكتب اليه يلحاه ويعنفه فكتب واكثر فاستثقل ذلك مروان وأخذ الكتاب فوقع فى أسفله اما انك لو علمت عددا اقل من واحد ولونا شرا من اسود لبعثت به . وتكلم ربيعة الرأى : فاكثر وأعجبه اكثاره فالتفت الى اعرابى الى جنبه . فقال له ما تعدون البلاغة عندكم يا اعرابى قال له حذف الكلام وايجاز الصواب . قال فما تعدون العى قال ما كنت فيه منذ اليوم فكانما القمه حجرا . أول من وضع الكتابة : أول من وضع الخط العربى والسريانى وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلثمائة سنة كتبه فى الطين ثم طبخه . فلما كان ما أصاب الارض من الغرق وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به فكان اسمعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب . وروى عن أبى ذر : عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ادريس أول من خط بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس : ان أول من وضع الكتابة العربية اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وأول من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقه . وعن عمرو بن شبة : بأسانيده ان أول من وضع الخط العربى أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من الجبلة الآخرة وكانوا نزولا مع عدنان بن ادد وهم من طسم وجديس . وحكى : انهم وضعوا الكتب على أسمائهم . فلما وجدوا حروفا فى الالفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف وهى الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق فى حروف الجمل . وعنه : ان أول من وضع الخط نصر وبصر واتيا ودومة بنو اسمعيل بن ابراهيم ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذار . وحكوا أيضا . ان ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم مرامر ابن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر

انساناوهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله وعثمان وأبان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة بن عتبة ويزيد بن أبى سفيان وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمى وابوسلمة بن عبد الاشهل وعبدالله بن سعيد بن أبى سرح وحويطب ابن عبدالعزى وابوسفيان بن حرب ومعاوية ولده وجهيم بن الصلت بن مخرمة . استفتاح الكتب : ابراهيم بن محمد الشيبانى قال لم تزل الكتب تستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت بسورة بنى اسرائيل قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت بسورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الى اصحابه وامراءجنوده من محمد رسول الله الى فلان . وكذلك كانوا يكتبون اليه يبدؤن بانفسهم . فمن كتب اليه وبدأ بنفسه ابوبكر والعلاء بن الحضرمى وغيرهما . وكذلك كتب الصحابة والتابعين . ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك فعظم الكتاب وامر أن لا يكاتبه الناس بمثل مايكاتب به بعضهم بعضا فجرت به سنة الوليد الى يومنا هذا الا ما كان من عمر بن عبدالعزيز ويزيد الكامل فانهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم رجع الامر الى رأى الوليد والقوم عليه الى اليوم . ختم الكتاب وعنوانه : واما ختم الكتاب وعنوانه فان الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المتلمس . فلما قرأها ختمت وعنونت وكان يؤتى بالكتاب فيقال من عنى به فسمى عنوانا :

وقال حسان بن ثابت فى قتل عثمان :

ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمحت بها * جعلتها للذى أحببت عنوانا

وقال أهل التفسير فى قوله تعالى «انى القى الى كتاب كريم» أى مختوم اذ كانت كرامة الكتاب ختمه . تاريخ الكتاب : لابد من تاريخ الكتاب لانه لايدل على تحقيق الاخبار وقرب عهد الكتاب وبعده الا بالتاريخ . فاذا أردت ان تؤرخ كتابك فانظر الى ما مضى من الشهر وما بقى منه فان كان مابقى أكثر من نصف الشهر كتبت لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا وان كان

الباقي أقل من النصف جعلت مكان مضت بقيت وقد قال بعض الكتاب لا تكتب اذا أرخت الا بما مضى من الشهر لانه معروف وما بقي منه مجهول لانك لا تدري أيتم الشهر أم لا ولا تجعل سحاءة كتابك غليظة الا في كتب العهود والسجلات التي يحتاج الى بقاء خواتمها وطوابعها فان عبد الله بن طاهر كتب اليه بعض عماله على العراق كتابا وجعل سحاءته غليظة فأمر باشخاص الكاتب اليه . فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر ان كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع الى عملك وان عدت الى مثلها عدنا الى اشخاصك لقطعها ولا تعظم الطينة جدا وطن كتبك بعد كتبك عنا وينها فان ذلك من أدب الكاتب فان طبعت قبل العنوان فأدب مستحيل تفسير الامي : فاما الامي فجازه على ثلاثة وجوه قولهم أمي منسوب الى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال رجل أمي اذا كان من أم القرى قال الله تعالى «لتنذر أم القرى ومن حولها» وأما قوله تعالى «النبي الامي» فانما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب والامية في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة لانها أدل على صدق ما جاء به انه من عند الله لا من عنده وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده . قال المأمون : لابي العلاء المنقري بلغني انك أمي وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن في كلامك . فقال يا أمير المؤمنين أما اللحن فربما سبقني لساني بالشئ منه . وأما الامية وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا وكان لا ينشد الشعر . فقال له المامون سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل أما علمت يا جاهل ان ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفي أمثالك نقيصة . شرف الكتاب وفضلهم فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم «علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم» وقوله تعالى «كراما كاتبين» وقوله تعالى «بايدي سفرة كرام بررة» وللكتاب أحكام بينة كاحكام القضاة يعرفون بها وينسبون اليها ويتقلدون التدبير وسياسة الملك دون غيرهم وباهلها يقام أود الدين وأمور العالمين . فمن أهل هذه الصناعة على بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحي . ثم أفضت اليه الخلافة بعد الكتابة . وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحي فان غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت فان لم يشهد واحد منهما كتب غيرهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه . وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس . وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية اذا لم يحضرا . وكان زيد بن أرقم بن عبد يغوث والعلاء

ابن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الانصار بين الرجال والنساء . وكان ربما كتب عبدالله بن الارقم الى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز وكان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحى . وقيل : انه تعلم بالفارسية من رسول كسرى و بالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم و بالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم و بالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام وروى : عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقام لحاجة فقال لى ضع القلم على اذنك فانه أذكر للملى وأقضى للحاجة وكان معيقيب بن أبى فاطمة يكتب مغانم النبي صلى الله عليه وسلم . وكان حنظلة بن الربيع بن المربع بن صيفى ابن أخى أكثم بن صيفى الاسدى خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا غاب عن عمله فغاب عليه أسلم وكان يضع عنده خاتمه . فقال له الزمني واذكرنى بكل شئ أنا فيه وكان لا يأتى على مال ولا طعام ثلاثة أيام الا أذكره فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شئ . ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة . فقال لحنظلة الحق خالدا وقل له لا تقتلن ذرية ولا عسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرها فقالت فيه امرأة وحكى انه من قول الجن وهذا محال :

ياعجب الدهر لمحبوبة * تبكى على ذى شيبة شاحب

ان تسالنى اليوم ماشفنى * أخبرك قيلا ليس بالكاذب

ان سواد الرأس أودى به * وجدى على حنظلة الكاتب

ولما وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعدا الى العراق وكتب اليه ان يسبع القبائل أسباعا وجعل على كل سبع رجلا ففعل سعد ذلك وجعل السبع الثالث تميما وأسدا وغطفان وهوازن واميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سير الى يزدجرد يدعوه الى الاسلام وكان الحصين بن زهير من بنى عبد مناة شهد بيعة الرضوان ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فابى ذلك سهل بن عمرو . وقال لا يكتب الا رجل منا فكتب على بن أبى طالب . وروى عنه عليه السلام انه قال لما جاء سهل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قريشا كان عبدالله بن سعد ابن أبى سرح يكتب له . ثم ارتد ولحق بالمشركين وقال ان محمدا يكتب بما شئت فسمع ذلك رجل من الانصار فحلف بالله ان أمكنه الله منه ليضربنه ضربا بالسيف . فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان وكان بينهما رضاع

فقال يارسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا فاعرض عنه والانصارى مطيف به ومعه سيفه فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه . وقال للانصارى لقد تلومتك ان توفى بنذرك فقال هلا أومضت الى فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لى ان أومض . أيام أبى بكر رضى الله عنه : كان يكتب لابى بكر عثمان بن عفان وزيد بن ثابت . وروى أن عبد الله بن الارقم كتب له وحنظلة بن الربيع ولما تقلد الخلافة دعا زيد بن ثابت . وقال له أنت شاب عاقل لا نتهمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت تكتب الوحى فتتبع القرآن فاجمعه . وفيه يقول حسان بن ثابت :

فمن للقوافى بعد حسان وابنه * ومن للمثانى بعد زيد بن ثابت

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت وعبد الله بن أرقم وعبد الله بن خلف الخزاعى أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة . وكتب له على ديوان الكوفة أبو حبترة بن الضحاك فلم يزل عليه الى ان ولى عبيد الله بن زياد فعزله . وولى مكانه حبيب بن سعد القيسى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه . كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم . وكان عبد الملك ابن مروان يكتب له على ديوان المدينة . وأبو حبترة على ديوان الكوفة . وعبد الله بن الارقم على بيت المال . وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى همدان من قيس بن غيلان يكتب له أيضا وكان يكتب له اهيب مولاه وحمران مولاه . أيام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : كان يكتب له سعد بن عمران الهمدانى ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن جعفر يكتب له وروى أن عبد الله بن حسن كتب له وكان عبد الله بن أبى رافع يكتب له وسماك بن حرب . وكان يكتب لمعاوية بن ابى سفيان سعيد بن أنس الغسانى . وكاتب يزيد بن معاوية سرحون بن منصور . وكاتب مروان بن الحكم حميد بن عبد الرحمن بن عوف . وكاتب عبد الملك بن مروان سالم مولاه . ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى وهو عبد الحميد الاكبر . وكاتب الوليد بن عبد الملك جناح مولاه . وكاتب سليمان بن عبد الملك عبد الحميد الاصغر . وكاتب عمر بن عبد العزيز الليث بن أبى رقية مولى أم الحكم . وكتب له رجاء بن حيوة وخص به واسمعيل بن أبى حكم مولى الزبير وسليمان بن سعد الحسنى على ديوان الخراج وكان عمر يكتب كثيرا بيده . وكاتب يزيد بن عبد الملك عبد الحميد أيضا . ثم لم يزل كاتبا لبنى أمية الى أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بنى أمية وكان عبد الحميد أ ل من فتق أ كمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر . ثم جاءت

الدولة العباسية: فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر أبا أيوب المرزباني الاهوازي . وكاتب محمد المهدي بن المنصور معاوية بن عبيد الله ثم يعقوب بن داود . وكاتب موسى الهادي محمد بن المهدي ابرهيم بن ذكوان الحراني . وكاتب هرون الرشيد بن محمد المهدي يحيي بن خالد البرمكي ثم الفضل بن الربيع ثم ابراهيم بن صبيح وكاتب محمد بن زبيدة الامين الفضل بن الربيع . وكاتب عبد الله المامون بن هرون الرشيد الفضل بن سهل ثم الحسن بن سهل ثم عمرو بن مسعدة ثم أحمد ابن يوسف . وكاتب أبي اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد وهو المعروف بابن ماردة الفضل بن مروان ومحمد بن عبد الملك الزيات . وكاتب الواثق هرون بن محمد المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات أيضا . وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم ابراهيم بن العباس بن صول مولى لبني العباس . وكاتب المنتصر محمد ويكنى اباجعفر بن المتوكل احمد بن الخصيب ثم كتب للمستعين احمد بن محمد المعتصم فظهر من عجزه وعيه ما أسخطه عليه ثم جعل وزارته الى اوتامش وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ثم سخط عليهما فقتلهما . واستوزر أباصالح عبد الله بن محمد بن يزداد ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجرجاني ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني . فلما استقام الامر رد وزارته الى احمد بن اسرائيل. وكاتب المهدي محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجاني ثم استوزر بعده اباأيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان . فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد وكان سبب موته انه صدمه غلام له في الميدان يقال له رشيق فحمل الى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . وتقلد الوزارة للمعتضد احمد بن طلحة والموفق بن جعفر المتوكل عبيد الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة للمكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله القاسم ابن عبيد الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله علي بن محمد بن الفرات ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم علي بن عيسى بن حامد بن العباس ثم محمد بن علي ابن مقلة الذي يوصف خطه بالجودة ثم سليمان بن الحسين بن مخلد ثم عبد الله بن احمد الكاوداني ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ولقب بعميد الدولة . وكان يكتب على كتبه من عميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة وذكر لقبه على الدنانير والدراهم ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبي منصور محمد بن المعتضد محمد بن علي بن مقلة ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني . وتقلد الوزارة للراضي بالله

أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر محمد بن علي بن مقلة ثم عبد الرحمن بن عيسى اخو الوزير علي بن عيسى بن محمد بن القاسم الكرخي ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد . وتقلد الوزارة للمتقي بالله ابراهيم بن جعفر بن المقتدر كاتبه احمد بن محمد بن الافطس ثم أبو اسحق القراريطي ثم محمد بن علي بن مقلة . وتقلد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبد الله ابن علي المكتفي بالله الحسين بن محمد بن أبي سليمان ثم محمد بن علي السامري المكنى اباالفرج ثم ولي للمطيع بالله الفضل بن المقتدر فوزر له الحسن ابن هرون

١ — اسماء من كتب لغير الخليفة — كان المغيرة بن شعبة كاتبا لابي موسى الاشعري . وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود . وكان قاضيا بعد ذلك . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري مع نبله وفقهه وورعه وزهده كاتبا للربيع بن زياد الحارثي بخراسان ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز فقيل له من وليت القضاء بالبصرة فقال وليت سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري وكان محمد بن سيرين مع علمه وورعه كاتبا لانس بن مالك بفارس . وكان زياد بن أبيه مع رأيه ودهائه وما كان من معاوية في ادعائه يكتب للمغيرة بن شعبة ثم لعبد الله بن عامر بن كرز ثم لعبد الله بن عباس ثم لابي موسى الاشعري فوجهه ابوموسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع اليه حسابه . فامر له عمر بالف درهم لما رأى منه من الذكاء وقال له لا ترجع لابي موسى . فقال ياأمير المؤمنين أعن خيانة صرفتني ام عن تقصير قال لا عن واحد منهما ولكني اكره ان أحمل فضل عقلك على الرعية * ثم ولي بعد الكتابة العراق . وكان عامر الشعبي مع فقهه وعلمه ونبله كاتبا لعبد الله بن مطيع ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم بعده . وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحرث وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ابو طلحة الطلحات كاتبا على ديوان البصرة لعمر وبن عثمان ثم قتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنه . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ثم طلب الخلافة فقتل دونها وكان زيد بن عبيد الله بن ربيعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتبا على ديوان المدينة من يزيد بن معاوية . وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري

٢ — أشرف كتاب النبي صلى الله عليه وسلم — كتب له عشرة كتاب . علي ابن ابي طالب . وعمر بن الخطاب . وعثمان بن عفان . وخالد بن سعيد بن العاصي . وأبان ابن سعيد بن العاصي . وأبو سعيد بن العاصي . وعمرو بن العاصي . وشرحبيل بن حسنة وزيد بن ثابت . والعلاء بن الحضرمي . ومعاوية بن أبي سفيان . فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام . وكان عثمان بن عفان كاتبا لابي بكر ثم صار خليفة . وكان مروان بن الحكم كاتبا لعثمان بن عفان ثم صار خليفة. وكان عمرو بن سعيد بن العاصي كاتبا على ديوان المدينة ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان المغيرة بن شعبة كاتبا لابي موسى الاشعري . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتبا للربيع بن زياد الحارثي بخراسان . وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود وكان فاضلا . وكان زياد كاتبا للمغيرة بن شعبة ثم لابي موسى الاشعري ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ثم لعبد الله بن عباس . وكان عامر الشعبي كاتبا لعبد الله بن مطيع وهو والي الكوفة لعبد الله بن الزبير وكان محمد بن سيرين كاتبا لانس بن مالك بفارس وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم . وكان عبد الرحمن بن أبزى كاتب نافع بن الحرث الخزاعي وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن أوس الغساني سيد أهل الشام كاتب معاوية . وكان سعيد بن غزوان الهمداني سيد همدان كاتب علي بن أبي طالب . ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي أخو طلحة الطلحات كاتبا على ديوان البصرة لعمر وعثمان وقتل يوم الجمل مع عائشة . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك . وكان يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد ابن معاوية . وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا﴾ سرجون بن منصور الرومي كاتب لمعاوية . ويزيد ابنه ومروان بن الحكم . وعبد الملك بن مروان الى ان أمر عبد الملك بامر فتوانى فيه . ورأى منه عبد الملك بعض التفريط فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل ان سرجون يدل علينا بصناعته وأظن انه رأى ضرورتنا اليه في حسابه فما عندك فيه حيلة . فقال بلى لو شئت لحولت الحساب من الرومية الى العربية . قال افعل قال انظرني أعاني ذلك . قال لك نظرة ما شئت فحول

الديوان فولاه عبدالملك جميع ذلك . وحسان النبطى كاتب الحجاج . وسالم مولى هشام بن عبد الملك . وعبدالحميد الاكبر وعبدالصمد وجبلة بن عبدالرحمن . وقحذم جد الوليد بن هشام القحذمى وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية الى العربية . ومنهم الفراء كاتب خالد بن عبد الله القسرى ، ومنهم الربيع والفضل بن الربيع ويعقوب بن داود ويحيي بن خالد وجعفر بن يحيي وأبو عبد الله بن المقفع والفضل بن سهل والحسن بن سهل وجعفر بن الاشعث وأحمد بن يوسف وأبو عبدالسلام الجند نيسابورى وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب وابراهيم بن العباس الصولى ونجاح بن سلمة وأحمد بن محمد المدبر فهؤلاء نبلوا بالكتابة واستحقوا اسمها ﴿من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها﴾ صالح بن شير زاد وجعفر بن سابور كاتب الافشين والفضل ابن مروان وداود بن الجراح وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وأحمد بن الخصيب فهؤلاء لطخوا أنفسهم بالكتابة ومادنوها . وقال بعض الشعراء فى صالح بن شير زاد :

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها * ولو غرقت ثوبك فى المداد

ومنهم أبو أيوب ابن أخت أبى الوزير وهو القائل يرثى أم سليمان بن وهب الكاتب :

لام سليمان علينا مصيبة * مفلقلة مثل الحسام البواتر
وكنت سراج البيت يا أم سالم * فاضحى سراج البيت وسط المقابر

فقال سليمان بن وهب ما نزل باحد من خلق الله ما نزل بى ماتت أمى فرثيت بمثل هذا الشعر ونقل اسمى من سليمان الى سالم

٣ — صفة الكتاب — قال ابراهيم بن محمد الشيبانى من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة ، وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وحسن الاشارة ، وملاحة الزى ، حتى قال بعض المهالبة لولده تزيوا بزى الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة . وقال ابراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آلة الكتابة أن يكون الكاتب نقى الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشى اللسان ، حلو الاشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقر التركيب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض اللحية متفاوت الاجزاء ،

طويل اللحيــة ، عظيم الهامة ، فانهــم زعموا أن هــذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة . وأنشد سعيد بن حميد فى ابراهيم بن العباس :

رأيت لهازم الكتاب خفت * ولهزمتاك شأنهما الفدامه
وكتاب الملوك لهم بيان * كمثل الدر قد رصفوا نظامه
وأنت اذا نطقت كان عيا * يلوك بما يفوه به لجامه

وقال آخر : عليك بكاتب لبق رشيق * زكى فى شمائله حذاره
تناجيه بطرفك من بعيد * فيفهم رجع لحظك بالاشاره

ونظر أحمد بن خصيب الى رجل من الكتاب قدم المنظر مضطرب الخلق طويل العثنون . فقال لان يكون هذا فنطاس مركب أشبه من أن يكون كاتبا . فاذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والاديب النحرير ، وان قصرت به آلة من هذه الآلات ، وقعدت به أداة من هذه الادوات ، فهو منقوص الجمال ، منكسف الحس منحوس النصيب ﴿ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه﴾ قال ابراهيم الشيبانى أول ذلك حسن الخط الذى هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحى الفكرة وسلاح المعرفة وأنس الاخوان عند الفرقة ومحادثتهم على بعد المسافة ومستودع السر وديوان الامور ولست أجد لحسن الخط حدا أقف عليه أكثر من قول على النصراباذى فى الكاتب فانى سألته واستوصفته الخط . فقال أعلمك الخط فى كلمة واحدة فقلت له تفضل بذلك . فقال لا تكتب حرفا حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف وتجعل فى نفسك انك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه الى ما بعده واياك والنقط والشكل فى كتابك الا ان تمر بالحرف المعضل الذى تعلم ان المكتوب اليه يعجز عن استخراجه فانى سمعت سعيد بن حميد الكاتب يقول لان يشكل الحرف على القارىء أحب الى من أن يعاب الكتاب بالشكل . وكان المامون يقول اياكم والشونيز فى كتبكم يعنى النقط والاعجام ومن ذلك ان يصلح الكاتب آلته التى لا بد منها وأداته التى لا تتم صناعته الا بها مثل دواته فلينعم ربها اصلاحها وليتخير من انابيب القصب أقله عقدا وأكثره لحما وأصلبه قشرا وأعدله استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا لتكون عونا له على برى أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصبة . واعلم أن محل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس قال العتابى : سألنى الاصمعى فى دار الرشيد أى الانابيب للكتابة أصلح وعليها اصبر فقلت له

ما نشف بالهجير ماؤه وستره عن تلو يحه غشاؤه من الشمز ية القشو ر الذرية الظهو ر القصبية الكسو ر . قال فاى نوع من البرى أصوب وأ كتب فقلت البرية المستوية القطة التى عن يمين سنها برية يامن معها الجة عند المدة والمطة للهواء فى شقها فتيق وللريح فى حرفها حريق والمداد فى خرطومها دقيق . قال العتابى : فبقى الاصمعى باهتا الى ضاحكا لا يحير مسألة ولا جوابا ولا يكون الكاتب كاتبا حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره . وأفضل الكتب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته كما أن افضل الابيات مادل أول البيت على قافيته فلا تطيلن صدر كتابك اطالة تخرجه عن حده ولا تقصر به دون حده فانهم قد كرهوا فى الجملة ان تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ماقارب ذلك . وقيل للشعبى : أى شىء تعرف به عقل الرجل قال اذا كتب فاجاد . وقال الحسن بن وهب الكاتب : نفس واحدة تجزأت فى أبدان متفرقة . فاما الكاتب المستحق اسم الكتابة والبليغ المحكوم له بالبلاغة من اذا حاول صيغة كتاب سالت عن قلمه عيون الكلام من ينابيعها وظهرت معادنها وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب . بلغنى أن صديقا لكلثوم العتابى اتاه يوما فقال له اصنع لى رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم . فقال له صاحبه ما أرى بلاغتك الا شاردة عنك . فقال له العتابى انى لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فاحببت ان أترك كل معنى حتى يرجع الى موضعه ثم اجتنى لك احسنها . قال احمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان وهو يملى على كاتب له فاعجل الكاتب وداركه فى الاملاء عليه فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد املائه فقال له اكتب ياحمار . فقال له الكاتب أصلح الله الامير انه لما هطلت شآبيب بيت الكلام وتدافعت سيوله على حرف القلم كل القلم عن ادراك ماوجب عليه تقييده فكان حضور جواب الكاتب ابلغ من بلاغة يزيد . وقال له يوما وقد نط حرفا فى غير موضعه ماهذا قال طغيان فى القلم . فان كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ومن رسائل المتاخرين مايرجع اليه ومن نوادر الكلام ما تستعين به ومن الاشعار والاخبار والسير والاسماء ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك وانظر فى كتب المقامات والخطب ومحاوبة العرب فى حروبهم ومعالى العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم فى حروبهم بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب والوثائق والسور وكتب السجلات والامانات لتكون ماهرا تنتزع آى القرآن فى مواضعها واختلاف الامثال فى

أما كنها وقرض الشعر الجيد وعلم العروض فان تضمين المثل السائر والبيت الغابر البارع مما يزين كتابك مالم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر فان اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء عيب الا ان يكون الكاتب هو القارض للشعر والصائغ له فان ذلك يزيد فى أبهته

٤ — خبر حائك الكلام — أبو جعفر البغدادى قال : حدثنا عثمان بن سعيد . قال لما رجع المعتصم من الثغر وصار بناحية الرقة قال لعمرو بن مسعدة مازلت تسالنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز فقعد فى سرة الدنيا يا كلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحد اخرج اليه من ساعتك . فقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ولكن لم أجد بدأ من طاعة امير المؤمنين . فقلت اخرج اليه يا امير المؤمنين . فقال احلف لى انك لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد فامرت ففرش لى زلالى بالطبرى وحشى بالثلج وطرح عليه الكر ثم خرجت . فلما صرت بين دير هرقل ودير العاقول اذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع . فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدى هذا شحاذ فان قعد معك آذاك فلم ألتفت الى قوله وأمرت الغلمان فادخلوه فقعد فى كوثل الزورق . فلما حضر وقت الغداء عزمت ان ادعوه الى طعامى فدعوته فجعل يأكل أكل جائع نهامة الا انه نظيف الاكل . فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معى ما يستعمل العوام مع الخواص ان يقوم فيغسل يده فى ناحية . فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يقم فتشاغلت عنه ثم قلت ياهذا ما صناعتك . قال حائك الكلام فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى . فقال لى جعلت فداك قد سالتنى عن صناعتى فاخبرتك فما صناعتك أنت . قال فقلت فى نفسى هذه أعظم من الاولى وكرهت ان أذكر له الوزارة . فقلت اقتصر له على الكتابة . فقلت كاتب قال جعلت فداك الكتاب على خمسة أصناف . فكاتب رسائل يحتاج الى ان يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهانى والتعازى والترغيب والترهيب والمقصور والممدود وجملا من العربية . وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الزرع والمساحة والاشول والدسوق والتقسيط والحساب . وكاتب جند يحتاج ان يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس وكاتب قاض يحتاج ان يكون عالما بالشروط والاحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث . وكاتب شرطة يحتاج ان يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والديات فايهم أنت أعزك الله . قال قلت كاتب رسائل . قال فاخبرنى اذا كان لك صديق

تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت أمه فكيف تكتب له أتهنيه أم تعزيه . قلت والله ما أقف على ما تقول قال فلست بكاتب رسائل فايهم أنت . قلت كاتب خراج . قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثت عمالك فيه فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك فاردت ان تنظر فى أمورهم وتنصفهم اذ كنت تحب العدل والسير وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم قراح قاتل فئيا كيف كنت تمسحه . قال كنت أضرب العطوف فى العمود وانظر كم مقدار ذلك . قال اذا تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة . قال اذا تظلم السلطان قلت والله ما أدرى . قال فلست بكاتب خراج فأيهم أنت قلت كاتب جند . قال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما احمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تكتب حليتهما . قال كنت أكتب احمد الاعلم وأحمد الاعلم قال كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا الف درهم فيقبض هذا على دعوة هذا . فتظلم صاحب الالف قلت والله ما أدرى . قال فلست بكاتب جند فايهم انت قلت كاتب قاض . فقال فما تقول أصلحك الله فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وكان للزوجة بنت وللسرية ابن . فلما كان فى تلك الليلة أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعا فيه . فقالت هذه هذا ابنى . وقالت هذه هذا ابنى كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى . قلت والله لست أدرى . قال فلست بكاتب قاض فايهم أنت . قلت كاتب شرطة . قال فما تقول أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة . قلت ما أعلم . ثم قلت أصلحك الله فسر لى ما ذكرت . قال أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه . أما بعد فان أحكام الله تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام . وأما القراح فتضرب واحدا فى مساحة العطوف فمن ثم بابه . وأما احمد واحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا أحمد الاعلم والمقطوع الشفة السفلى احمد الاشرم . وأما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فايهما كان أخف فهى صاحبة البنت . وأما الشجة فان فى الموضحة خمسا من الابل و فى المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثا . قلت أصلحك الله فما نزع بك الى هنا . قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية . فخرجت اليه فالفيته معزولا فقطع بى فانا خارج اضطرب فى المعاش . قلت ألست ذكرت انك حائك . قال أنا احوك

الكلام ولبست بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وادخل الحمام فطرحت عليه شيئاً من ثيابي . فلما صرت الى الاهواز كلمت الرجحي فاعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي . فلما صرت الى امير المؤمنين قال ما كان من خبرك في طريقك فاخبرته خبري حتى حدثته حديث الرجل . فقال لي هذا لا يستغنى عنه فلاي شيء يصلح . قلت هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال فولاه امير المؤمنين البناء والمرمة فكنت والله اذا في الموكب النبيل فينحط عن دابته فاحلف عليه فيقول سبحان الله انما هذه نعمتك وبك افدتها . فضائل الكتابة : قال أبو عثمان الجاحظ ما رأيت قوماً انفذ طريقة في الادب من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً . وقال بعض المهالبة لبنيه تزيوا بزي الكتاب فانهم جمعوا أدب الملوك وتواضع السوقة . وعتب ابو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فامر بحبسهم فرفعوا اليه رقعة ليس فيها الا هذا البيت :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم . وقال المؤيد كتاب الملوك عيونهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الناطقة والكتابة اشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة وهي صناعة جليلة تحتاج الى آلات كثيرة وقال سهل بن هرون اول زينة الدنيا التي اليها تناهي الفضل وعندها تقف الرغبة

٥ — ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها — قال ابراهيم بن محمد الشيباني اذا احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والادباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم فخاطب كلا على قدر ابهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه واجعل طبقات الكلام على ثمان اقسام منها الطبقات العلية اربع والطبقات الاخر وهي دونها اربع لكل طبقة منها درجة ولكل قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ ان يقصر باهلها عنها ويقلب معناها الى غيرها . فالحد الاول الطبقات العليا وغايتها القصوى الخلافة التي أجل الله قدرها وأعلى شأنها عن مساواتها باحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير . والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ويرتقون الفتوق بآرائهم . والطبقة الثالثة امراء ثغورهم وقواد جنودهم فانه يجب مخاطبة كل احد منهم على قدره وموضعه وحظه وغنائه وجزائه واضطلاعه بما حمل من اعباء امورهم وجلائل اعمالهم . والرابعة القضاة فانهم وان كان لهم

تواضع العلماء وحلية الفضلاء فمهم ابة السلطنة وهيبة الأمراء . وأما الطبقات الاربع الاخر فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم فى الكتب اليهم وافضالهم تفضيلهم فيها والثانية وزراؤهم وكتابهم واتباعهم الذين تقرع ابوابهم وبعنايانهم تستباح اموالهم . والثالثة هم العلماء يجب توقيرهم فى الكتب بشرف العلم وعلو درجة اهله . والطبقة الرابعة لاهل القدر والجلالة والحلاوة والطلاوة والظرف والادب فانهم يضطرونك بحدة أذهانهم وشدة تمييزهم وانتقادهم وادبهم وتصفحهم الى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم واستغنينا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار باستغنائهم بمهانتهم من هذه الآلات واشتغالهم بمهانتهم عن هذه الادوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها فى مراسلتك اياهم فى كتبك فتزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه فانك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمن عليك ان تعدل بهم عن طريقهم وتسلك بهم غير مسلكهم وتجرى شعاع بلاغتك فى غير مجراه وتنظم جوهر كلامك فى غير مسلكه فلا تعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا لائقا بمن كاتبته وملبسا بمن راسلته فان الباسك المعنى وان صح وصرف لفظا متخلفا على قدر المكتوب اليه لم تجر به عاداتهم تهجين للمعنى واخلال بقدره وظلم بحق المكتوب اليه ونقص مايجب له كما ان فى اتباع تعارفهم وما انتشرت به عاداتهم وجرت به سنتهم قطعا لعذرهم وخروجا من حقوقهم وبلوغا الى غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم . فمن الالفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها فى كتب السادات والملوك والامراء على اتفاق المعانى مثل أبقاك الله طويلا وعمرك مليا وان كنا نعلم انه لا فرق بين قولهم أطال الله بقاك وبين قولهم أبقاك الله طويلا . ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا وأنبه قدرا فى المخاطبة كما انهم جعلوا أكرمك الله وأبقاك أحسن منزلا فى كتب الفضلاء والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداه من الخير كما يحتمل أن يكون فداه من الشر ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد ابن أبى وقاص ارم فداك أبى وأمى لكرهنا أن يكتب بها أحد على ان كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم وجعلوها هجيراهم فى مخاطبة الشريف والوضيع والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الوراق :

كل من حل سر من رأى من النا ✻ س ومن قد يداخل الاملاكا
لو رأى الكلب مائلا بطريق ✻ قال للكلب ياجعلت فداكا

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل أبقاك الله وامتع بك الا فى الابن والخادم المنقطع اليك واما فى كتب الاخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر الى محمد ابن عبد الملك الزيات :

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك

أم قد ترى ان فى ملاطفة الاخوان نقصا عليك فى أدبك

أ كان حقا كتاب ذى مقة * يكون فى صدره وأمتع بك

أتعبت كفيك فى مكاتبتى * حسبك مما لقيت فى تعبك

فكتب اليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كيف اخون الاخاء ياأملى * وكل شىء أنال من سببك

أنكرت شيأ فلست فاعله * ولن تراه يخط فى كتبك

ان يك جهل أتاك من قبلى * فعد بفضل على من حسبك

فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ولكل مكتوب اليه قدر ووزن ينبغى للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الاحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام فى قوله :

وأراك تفعل ما تقول و بعضهم * مزق الحديث يقول ما لا يفعل

وهذا معنى صحيح فى المدح ولكنهم أجلوا قدر الملوك أن يمدحوا بما تمدح به العوام لان صدق الحديث وانجاز الوعد وان كان من المدح فهو واجب على العامة والملوك لا يمدحون بالفرائض الواجبة انما يحسن مدحهم بالنوافل لان المادح لو قال لبعض الملوك انك لا تزنى بحليلة جارك وانك لا تخون ما استودعت وانك لتصدق فى وعدك وتفى بعهدك فكانه قد أثنى بما يجب ولو قصد بثنائه الى مقصده كان أشبه فى الملوك ونحن نعلم ان كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيأ فهو أمير المؤمنين غير انهم لم يطلقوا هذه اللفظة الا فى الخلفاء خاصة . ونحن نعلم ان الكيس هو العقل ولكن لو وصفت رجلا فقلت انه لعاقل كنت مدحته عند الناس وان قلت انه لكيس كنت قد قصرت به عن وصفه وصغرت من قدره الا عند أهل العلم باللغة لان العامة لا تلتفت الى معنى الكلمة ولكن الى ما جرت به العادة من استعمالها فى الظاهر اذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة

مع الحداثة والغرة وخساسة القدر وصغر السن . وقد روينا عن علي كرم الله وجهه انه تسمى بالكيس حين بنى سجن الكوفة فقال في ذلك :

أما تراني كيسا مكيسا * بنيت بعد نافع مخيسا * حصنا حصينا وأميرا كيسا

وقال الشاعر : ما يصنع الاحمق المرزوق بالكيس

وكذلك تعلم ان الصلاة رحمة غير انهم كرهوا الصلاة الا على الانبياء كذلك روينا عن ابن عباس . وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له يلبي و يقول في تلبيته لبيك ياذا المعارج . فقال نحن نعلم انه ذو المعارج ولكن ليس كذا كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنا نقول لبيك اللهم لبيك . وكان ابراهيم المزني يقول في بعض ما خاطب به داود بن خلف الاصبهاني فان قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله فنقض ذلك عليه داود . وقال فيما رد عليه نحمد الله على أن نخرج امرأ مسلما من الاسلام وهذا موضع استرجاع وللحمد مكان يليق به وانما يقال في المصيبة انا لله وانا اليه راجعون . فامتثل هذه المذاهب واجر على هذه القوام وتحفظ في صدور كتبك وفصولها وخواتمها وضع كل معنى في موضع يليق به وتخير لكل لفظة معنى يشا كلها وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل نسأل الله دفع المحذور وصرف المكروه وأشباه هذا وفي موضع ذكر المصيبة انا لله وانا اليه راجعون . وفي موضع ذكر النعمة الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا . فان هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدها و يحتفظ بها فان الكاتب انما يصير كاتبا بان يضع كل معنى في موضعه فيعلق كل لفظة على طبقها من المعنى . واعلم انه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاقتصار والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لان الله جل ثناؤه خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيه ومراده والرسائل انما يخاطب بها أقوام دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب . وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس فانه ان ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها » وكقوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » احتاج الكاتب أن يبين معناه بل مكركم بالليل والنهار ومثل هذا كثير لا يتسع الكاتب لذكره . وكذلك لا يجوز أيضا في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الاشعار الموزونة لان الشاعر مضطر والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي . فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الاسماء وحذف ما لا يحذف منها واغتفر فيه سوء النظم وأجازوا فيه التقديم والتأخير

والاضمار فى موضع الاظهار . وذلك كله غير منساغ فى الرسائل ولا جائز فى البلاغات . فمما فى الشعر من الحذف قول الشاعر :

قواطنامكة مـن ورق الحمى * يعنى الحمام

وقول الآخر: صفر الوشاحين صموت الخلخل * بريد الخلخال

وكقول الآخر : دار لسلمى اذه من هوا كا * بريد اذهى

وكقول الحطيئة : فيها الرماح وفيها كل سابغة * جدلاء مسرودة من صنع سلام

يريد سليمان

وقول الآخر: من نسج داود أبى سلام * والشيخ عثمان أبى عفان

أراد عثمان بن عفان

وكما قال الآخر : وسائلة بثعلبة بن سير * وقد علقت بثعلبة العلوق

أراد ثعلبة بن سيار

وقال الآخر : ولست بآتيه ولا أستطيعه * ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل

أراد ولكن وكذلك لا ينبغى فى الرسائل أن يصغر الاسم فى موضع التعظيم وان كان ذلك جائزا مثل قولهم دويهية تصغير داهية وجذيل تصغير جذل وعذيق تصغير عذق . وقال الشاعر وهو لبيد: وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بنى ساعدة انا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك . وقال سرحة أبو عبيدة ومما لا يجوز فى الرسائل وكرهوه فى الكلام أيضا مثل قولهم كلمت اياك وأعنى اياك وهو جائز فى الشعر . وقال الشاعر :

وأحسن وأجمل فى أسيرك انه * ضعيف ولم ياسر كاياك آسر

وقال الراجز : اياك حتى بلغت اياك فتخير من الالفاظ أرجحها لفظا واجزلها واشرفها جوهرا واكرمها حسبا واليقها فى مكانها واشكلها فى موضعها فان حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت فانه ربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام اذا كتبت انا فاعل أحسن من ان تكتب انا أفعل وموضع آخر يكون فيه استفعلت احلى من فعلت فادر الكلام على اماكنه وقلبه على جميع وجوهه . فاى لفظة رأيتها فى المكان الذى ندبتها اليه فانزعها الى المكان الذى أوردتها عليه وأوقعها فيه ولا

تجعل اللفظة قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها فانك متى فعلت هجنت الموضع الذى حاولت تحسينه وأفسدت المكان الذى أردت اصلاحه فان وضع الالفاظ فى غير اماكنها وقصدك بها الى غير مصابها انما هو كترقيع الثوب الذى لم تشابهه رقاعه ولم تتقارب اجزاؤه وخرج من حد الجدة وتغير حسنه كما قال الشاعر :

ان الجديد اذا ما زيد فى خلق * يبين للناس ان الثوب مرقوع

كذلك كلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل وأرجى فى الاسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه لا سيما ان كان المعنى البديع مترجما بلفظ مونق شريف ومعايرا بكلام عذب لم يسمه التكليف بميسمه ولم يفسده التعقيد باستهلاكه وكتب عيسى بن لهيعة الى أخيه أبى الحسن وصدر كلامه وجاوز المقدار فى التنطع فوقع فى أسفل كتابه انى يكون بليغا من اسمه كان عياو ثالث الحرف منه اذا كتب شيأ . قال وبلغنى ان بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة تخرج عنه ومر بباب الطاق فاذا بطير يدعى السفانين فاشتراه و بعث به اليه وكتب كتابا يتنطع فى بلاغته وذكر انه يقال له شفانين ارجوان يكون شفاء من أنين فوقع فى أسفل الكتاب والله لو عطست ضبا ما كنت عندنا الا نبطيا فاقصر عن بعضك وسهل كلامك قوله لو عطست ضبا يريد ان الضباب من طعام الاعراب وفى بلدهم يقال لو عطست فنثرت ضبا من عطاسك لم تلحق بالاعراب ولم تكن الا نبطيا وقد جاء فى بعض الحديث ان القط من نثرة عطسة الاسد وان الفار من نثرة عطسة الخنزير . فقال هذا لو أن الضب من نثرتك لم تكن الا نبطيا . وفى هذا المعنى قال مخلد الموصلى يهجوا حبيبا :

أنت عندى عربى * ليس فى ذاك كلام
شعر ساقيك ونخذيك خزامى وثمام
وقذى عينيك صمغ * ونواصيك شعام
وضلوع الصدر من شلوك نبع و بشام
لو تحركت كذا لا نجفلت منك نعام
وظباء راتعات * ويرابيع عظام
وحمام يتغنى * حبذا ذاك الحمام
انا ما ذنبى لان كذ * بنى فيك الانام
وقفا يحلف ما ان * عرفت فيك الكرام
ثم قالوا هاشمى * من بنى الانباط حام
كذبوا ما أنت الا * عربى والسلام

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفى واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر . واذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقا وتضاءل

المعنى الحسن تحت المعنى القبيح كتضائل الحسناء فى الاطمار الرثة وانما يدل على المعنى أربعة أصناف لفظ واشارة وعقد وخط . وقد ذكر له ارسطاطاليس صنفا خامسا فى كتاب المنطق وهو الذى يسمى النصبة والنصبة الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف الاربعة وهى الناطقة بغير لفظ ومشيرة اليك بغير يد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وكل صامت وناطق وجميع هذه الاصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعانى وسافرة عن وجوهها وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الاصناف صنفان هما القلم واللسان وكلاهما للقلب ترجمان فاما اللسان فهو الآلة التى يخرج الانسان بها عن حد الاستبهام الى حد الانسانية بالكلام ولذلك قال صاحب المنطق حد الانسان الحى الناطق . وقال هشام بن عبد الملك : ان الله رفع درجة اللسان فانطقه بين الجوارح . وقال على : بن عبيدة أعايبين عن الانسان اللسان وعن المودة العينان . وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه . وقالوا : المرء باصغريه قلبه ولسانه . وقال الشاعر :

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان ترها راقتك يوما فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

وللخط صورة معروفة وحلية موصوفة وفضيلة بارعة ليست هذه الاوصاف الا لانه يقوم مقامها فى الايضاح عند المشهد ويفصلها عند المغيب لان الكتب تقرأ فى الاماكن المتباينة والبلدان المتفرقة وتدرس فى كل عصر وزمان وبكل لسان واللسان وان كان زلقا فصيحا لا يعدو سامعه ولا يجاوزه الى غيره

٦ — البلاغة — قال سهل بن هرون سياسة البلاغة أشد من البلاغة . وقيل لجعفر ابن خالد ما البلاغة قال التقرب من المعنى البعيد والدلالة بالقليل على الكثير . وقيل لابن المقفع ما البلاغة قال قلة الحصر والجراءة على البشر . قيل له فالعى قال الاطراق من غير فكرة والتنحنح من غير علة . وقيل لآخر ما البلاغة قال تطويل القصير وتقصير الطويل . وقيل لاعرابى ما البلاغة فقال حذف الفضول وتقريب البعيد . وقيل لارسطاطاليس ما البلاغة فقال حسن الاستعارة . وقيل لجالينوس ما البلاغة فقال ايضاح المعضل وفك المشكل . وقيل للخليل بن أحمد ما البلاغة فقال ما قرب طرفاه وبعد منتهاه وقيل لخالد بن صفوان ما البلاغة قال اصابة المعنى والقصد للحجة . وقيل لآخر ما البلاغة قال تصويرا لحق فى صورة الباطل وتصوير الباطل

فى صورة الحق . وقيل لابراهيم الامام ما البلاغة فقال الجزالة والاصابة ﴿تضمين الاسرار فى الكتب﴾ واما تضمين الاسرار فى الكتب لا يقرؤها غير المكتوب اليه ففيه أدب يجب معرفته وقد تعلقت العامة بكتاب المعمى . الاصبهانى وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وضع لى منه أشياء جليلة من تبديل الحروف . وذلك ممكن لكل انسان غير ان اللطيف من ذلك ان تأخذ لبنا حليبا فتكتب به فى القرطاس فيذر المكتوب له عليه رمادا سخنا من رماد القراطيس فيظهر ما كتبت به ان شاء الله وان شئت كتبت بماء الزاج الابيض . فاذا وصل الى المكتوب اليه أمر عليه شيئاً من غبار الزاج وان أحببت أن لا يقرأ الكتاب بالنهار و يقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة ﴿قولهم فى الاقلام﴾ قالوا القلم أحد اللسانين وهو المخاطب للغيوب بسرائر القلوب على لغات مختلفة من معان معقولة بحروف معلولة متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكر ونتاجها التدبير تخرس منفردات وتنطق مزدوجات بلا أصوات مسموعة ولا ألسن محدودة ولا حركات ظاهرة خلا قلم حرف باريه قطته ليتعلق المداد به وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه اليه وشق رأسه ليحتبس المداد عليه فهنالك استمد القلم بشقه ونثر فى القرطاس بخطه حروفا أحكمها التفكر وأولى الاستماع بها الكلام الذى سداه العقل والحمه اللسان ونهسته اللهوات وقطعته الاسنان ولفظته الشفاه ووعته الاسماع عن انحاء شتى من صفات واسماء. وقال الشاعر: وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى:

وأسمر طاوى الكشح اخرس ناطق * له دملان فى بطون المهارق
اذا استعجلته الكف امطر وبله * بلا صوت ارعاد ولا ضوء بارق
اذا ما حداغر القوافى رأيتها * مجللة تمضى امام السوابق
كأن عليه من دجى الليل حلة * اذا ما استهلت مزنه بالصواعق
كأن اللآلى والزبرجد نطقه * ونوم الخزامى فى عيون الحدائق

وقال العلوى فى صفة القلم :

وعريان من خلعة مكتس * يميس من الوشى فى يلمق
يحدر من رأسه ريقه * يسيل على ذروة المفرق
فكم من أسير له مطلق * وكم من طليق له موثق
يقيم ويوطن غرب البلاد * وينهى ويأمر بالمشرق
قليل كثير ضروب الخطوط * وأخرس مستمع المنطق

يسير بركب تلال عجال * اذاما حدا الفكر فى مهرق

وقال آخر فى القلم :

لك القلم المطيعك غيرانا * وجدناوسمه غير المطاع
له ذوقان من أرى هنى * ومن شرى وبى ذى امتناع
احد اللفظ ينطق عن سواه * فيسمع وهو ليس بذى استماع
اذا استسقى بلاغتك استهلت * عليه سماء فكرك باندفاع

وقال : وبيت بعلياء الفلاة بنيته * باسمر مشقوق الخياشيم يرعف
كأن عليه ملبسا جلد حية * مقيم فما يمضى ولا يتخلف
جليل شؤن الخطب ما كان راكبا * يسير وان أرجلته فضعف

وقال حبيب بن أوس وهو من أحسن ما قيل فيه :

لك القلم الاعلى الذى بسنانه * يصاب من الامر الكلى والمفاصل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وارى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت * عليه شعاب الفكر وهى حوافل
أطاعته اطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الجلى وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهى أسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رأيت جليلا شانه وهو مرهف * ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمى . فقال لابن الزيات ما خطبة القلم التى ابتنيتها وردت عليك لشاعر مجدود . وأنشد البحترى لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

واذا تألق فى العيون كلامه الـمجدود خلت لسانه من عضبه
واذا دجت أقلامه ثم انتحت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه
باللفظ يقرب فهمه عن بعده * منا ويبعد نيله فى قربه
حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها فى قلبه

وكأنها والسمع معقود بهـا * شخص الحبيب بدا لعين محبه

وأنشد احمد بن أبى طاهر فى بعض الكتاب و يصف القلم :

قلم الكتابة فى يمينـك آمن * ممـا يعود عليه فيما يكتب
قلم به ظفـر العـدو مقلم * وهو الامان لمـا يخاف و يرهب
يبدى السرائر وهو عنها محتجب * ولسان حجتـه بصمت يعرب

ومن قولنا فى القلم :

بكفه ساحر البيـان اذا * أداره فى صحيفة سحرا
ينطق فى عجمة بلفظتـه * يصم عنه و يسمع البصرا
نوادر تقرع القـلوب بها * ان تستبنها وجدتها صورا
نظام در الكلام ضمنه * سلكا لخط الكتاب مستطرا
اذا امتطى الخنصران اذكرمن * سحبان فيما أطال واختصرا
يخاطب الغائب البعيد بما * يخاطب الشاهد الذى حضرا
يرى المقادير تستدق له * وتنفـذ الحادثات ما أمرا
شخت ضئيل لفعله خطر * أعظم به فى ملمة خطرا
تمج فـكاه ريقة صغرت * وخطبها فى القلوب قد كبرا
بواقع النفس منه ماحذرت * ور بما جنبت به الحذرا
مهفهف تزدهى به صحف * كانمـا جليت به دررا
كانها ترفع العيـون بها * خلال روض مكلل زهرا
ان قربت فرطت طوابعها * مافض طين لها ولا كسرا
يكاد عنوانها لروعتـه * ينبيك عن سرها الذى استترا

ومن أحسن ماشبهت به الاقلام وشبه بهـا قول ذى الرمة :

كان أنوف الطير فى عرصاتها * خراطيم أقلام تخط وتعجم

ومثله قول عدى بن الرقاع:

يخرجن من فرجات النقع دامية * كان آذانهـا أطراف أقلام .

ومن قولنا في ولد البقرة :

تزجي أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

ومنه قول المامون :

كانما قابل القرطاس اذ مشقت * منها ثلاثة أقــلام على قلم

ومنه قولنا فيه :

اذا أدارت بنانه قلما * لم تدر للشبه ايها القلم

ومن قولنا في الاقلام :

ومعشر تنطق أقلامهم * بحــكمة تلقنها الاعين

تلفظها في الصك أقلامهم * كانما أقــلامهن ألســن

ومن قولنا في الاقلام :

يا كاتبا نقشت أنامل كفه * سحر البيان بلا لسان ينطق

الاصقيل المتن ململوم القوى * حــدت لهـازمه وشق المفرق

فاذا تكلم رغبــة أو رهبـة * في مغرب أصــغى اليـه المشرق

يدلى بريقــة اربه أوشربه * يبكى و يضحك من سداه المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلم يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة يسكت واقفا و ينطق سا كنا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء . وقال سليمان بن وهب : و ز ير المهدى كل قلم تطيل جلفته فان الخط يخــرج به أوقص . وكتب جعفر بن يحيي : الى محمــد بن الليث يستوصفه الخط فــكتب اليه أما بعد فليكن قلمك بحريا لا متينا ولا رقيقا ما بين الرقة والغلظ ضيق النقب فابره بريا مستويا كمنقار الحمامة اعطف بطنه و رقق شفتيه وليكن مدادك فارســيا خفيفا اذا و زنته فانقعه ليلة ثم صــفه في الدواة وليكن قرطاسك رقيقا مســتوى النسج تخرج الســحاة مستو ية من أحــد الطرفين الى آخر فليست تســتقيم السطور الا فيما كان كذلك وليكن أ كثر تمطيطك في طرف القرطاس الذى في يسارك وأقله في الوسط ولا تمط في الطرف الآخر ولا تمط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ولا تترك الاخرى بغير مط فانك اذا قرنت القليل كان قبيحا واذا جمعت الــكثير كان سمجا ثم ابتدئ الالف برأس القلم كله واخططه بعرضه واختمه بأســفله

وا كتب الياء والتاء والسين والشين والمطة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ورأس كل مرسل برأس القلم وا كتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والمطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين بالسن السفلى من القلم وامطط بعرض القلم والمط نصف الخط ولا يقوى عليه الا العاقل ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا الا بالنظر الى اليد فى استعمالها الحركة والسلام . وقال ابن طاهر : لكاتبه ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف . وقال ابراهيم بن جبلة : مر بى عبد الحميد وأنا أخط خطا رديئا فقال لى أتحب أن يجود خطك قلت بلى . قال أطل جلفة القلم وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها ففعلت فجاد خطى . وقال العتابى ببكاء القلم تبتسم الكتب . وقال بعض الحكماء أمر الدين والدنيا تحت شيئين السيف والقلم . وقال حبيب الطائى :

لولا مناشدة القربى لغادركم * حصائد المرهفين السيف والقلم

وقال ارسطاطاليس : عقول الرجال تحت سن أقلامهم . وقال أبو حكيمة : كنت أكتب المصاحف فمر بى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال أجلل قلمك فقصمت من قلمى قصمة فقال هكذا نوره كما نوره الله . وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقا وقال أجود الخط أبينه وقال سليمان بن وهب : زينوا خطوطكم باسبال ذوائبها . وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة لها معان جليلة وربما ضاق عن العيون وقد ملأ أحطار الفنون . وذكر ابن عبيد القلم فقال أصم يسمع النجوى أعيى من باقل وأبلغ من سحبان وائل يجهل الشاهد ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخوان ألسنا ناطقة وأعينا لاحظة وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف : الكاتب ماعبرات الغوانى فى خدودهن باحسن من عبرات الاقلام فى خدود الكتب . وقال العتابى : الاقلام مطايا الفطن وتحاير غلامان فى بعض الدواوين فقاما الى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما . فكره أن يفضل أحدهما على الآخر . فقال لاحدهما اما خطك أنت فوشى محوك . وقال للآخر وأما خطك أنت فذهب مسبوك تكافيتما فى غاية وتوافيتما فى نهاية . وقال آخر : دخلت الديوان فنظرت الى غلام بيده قلم كأنه قضيب عقيان وعليه مكتوب :

وابابى وابابى * من كفه تكتب بى

وقال أبو هفان يصف القلم :

واذا أمر على المهارق كفه * بانامل يحملن شختا مرهفا
ومقصرا ومطولا ومقطعا * وموصلا ومشتتا ومؤلفا
كالحيـة الرقشاء الاأنه * يستنزل الاروى اليه تلطفا
يهفو به قلم يمج لعابه * فيعود سيفا صارما ومثقفا

وقال آخر في وصف الدواة :

ومسودة الارجاء قد خضت حالها * ورويت من قعرها غير منبط
خميص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الامين المسلط

وقال بعض الكتاب :

وما روض الربيع وقد زهاه * ندى الاسحار يأرج بالغداة
بأضوع أو باسطع من نسيم * تؤديه الافاوه من دواة

وقال آخر في وصف محبرة :

ولجة بحر اجم العبا * ب بادو أمواجه تزخر
اذا غاص فيه أخو غوصة * سريع السباحة ما يفتر
فانفس بذلك من غائص * بديع الكلام له جوهر
وأكرم ببحر له لجة * جواهرها حكم تنثر

وقال ثمامة بن أشرس ما أثرته الاقلام لم تطمع في دراسته الايام . ونظر المامون الى جارية من جواريه تخط خطا حسنا فقال فيها :

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت * وفي أصبعها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات المنى وهو أعجف

وقال بعض الكتاب :

اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط في القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلى نظمها ونثيرها

وقال بشر بن المعتمر : القلب معدن والحلم جوهر واللسان مستنبط والقلم صانع والخط صنعة

وقال سهل بن هرون: القلم لسان الضمير اذا رعف أغلق اسراره وأبان آثاره . وقالوا : حسن الخط يناضل عن صاحبه ويوضح الحجة ويمكن له درك البغية . وقال آخر : الخط الردىء زمانة الاديب . وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب الى خلال منها جودة برى القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التأنى لامطاء الانامل وارسال المدة بقدر اتساع الحروف والتحرز عند فراغها من الكسوف وترك الشكل على الخط والاعجام على التصحيف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع . وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب ان يؤخذ قلمه فى أحسن أجزائه وأبعد ما يتمكن المداد فيه ويعطيه من القرطاس حقه . وقال عبد الله بن عباس : كل كتاب غير مختوم فهو أغلف . وفى تفسير قول الله تعالى « انى القى الى كتاب كريم » قال مختوم . ورفع الى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها اعجامها فقال ماأحسن ما كتبت الا انك أكثرت شونيزها . وقال ابو عبد الله : لا يقال كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهى زجاجة ولا مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ولا قلم الا اذا برى والا فهى قصبة . وقال آخر : جلوس الادباء عند الوراقين وجلوس المخمنين عند النخاسين وجلوس الطفيليين عند الطباخين . وكتب على بن الازهر : الى صديق له يسأله أقلاما يبعث بها اليه أما بعد فانا على طول الممارسة لهذه الكتابة التى غلبت على الاسم ولزمت لزوم الوسم فحلت محل الانساب وجرت مجرى الالقاب وجدنا الاقلام الصحرية أسرع فى الكواغد وأمر فى الجلود كما ان البحرية منها أسلس فى القراطيس وأسرع فى المعاطف وأشد لتصريف الخط فيها . ونحن فى بلد قليل القصب رديئه . وقد أحببت ان تتقدم فى اختيار أقلام صحرية وتتأنق فى انتقائها قبلك وتطلبها فى مظانها ومنابتها من شطوط الانهار وأرجاء الكروم وان تتيمم فى اختيارك منها السديد المحض الصلبة المعض النقية الجدود القليلة الشحوم المكتنزة اللحوم الضيقة الاجواف الرزينة المحمل . فانها أبقى فى الكتابة وأبعد من الحفاء وان تقصد بانتقائك الرقاق القصبات المتقومات المتون الملس المعاقد الصافية القشور الطويلة الانابيب البعيدة ما بين الكعوب الكريمة الجواهر المعتدلة القوام المستحكمة يبسا وهى قائمة على أصولها لم تعجل عن ابان ينعها ولم تؤخر الى الاوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء وعفن الانداء فاذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعا رقيقا ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الاوعية ووجهتها مع من يؤدى الامانة فى حراستها وحفظها وايصالها وكتبت معه رقعة بعددها وأصنافها بغير تأخير ولا توان ان شاء الله تعالى

﴿ قولهم فى الحبر ﴾ قال بعض الكتاب عطروا دفاتر آدابكم بجيد الحبر فان الادب غوان والحبر غوال . ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له :

لا تجزعن من المداد فانه * عطر الرجال وحلية الكتاب

وأتى وكيع بن الجراح رجل يمت اليه بحرمة . فقال له وما حرمتك قال له كنت تكتب من محبرتى عند الاعمش فوثب وكيع ودخل منزله ثم أخرج له نفقة دنانير وقال له اعذرفما أملك غيرها

﴿ وفى الاقلام ﴾ أهدى ابن الحرورى الى رجل من اخوانه من الكتاب أقلاما . فكتب اليه انه لما كانت الكتابة أبقاك الله أعظم الامور وقوام الخلافة وعمود المملكة خصصتك من آلتها بما يخف محمله وتثقل قيمته و يعظم نفعه و يجل خطره وهى أقلام من القصب النابت فى الصخر الذى نشف فى حر الهيجر ماؤه وستر من تلويحه غشاؤه فهى كاللآلئ المكنونة فى الصدف والانوار المحجوبة فى السدف تبرية القشور درية الظهور فضية الكسور قد كستها الطبيعة جواهر كالوشى المحبر وفريد الديباج المنير ﴿ قولهم فى المصحف ﴾

نعم الانيس اذا خلوت كتاب * تلهو به ان ملك الاحباب
لا مفشيا سرا اذا استودعته * وتفاد منه حكمة وصواب

وقال آخر : ولكل صاحب لذة نزه * أبدا ونزهة عالم كتبه

وقال حبيب :

مداد مثل خافية الغراب * وقرطاس كرقراق السراب
وألفاظ كألفاظ المثانى * وخط مثل وشم يد الكعاب
كتبت ولو قدرت هوى وشوقا * اليك لكنت سطرا فى الكتاب

وقال فى صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب :

لقد جلى كتابك كل بث * جرى واصاب شاكلة الرمى
فضضت ختامه فتبلجت لى * غرائبه عن الحبر الجلى
وكان أغض فى عينى وأندى * على كبدى من الزهر الجنى
واحسن موقعا عندى ومنى * من البشرى أتت بعد النعى
وضمن صدره مالم تضمن * صدور الغانيات من الحلى

وكائن فيه من معنى خطير * وكائن فيه من لفظ بهى
فياثلج الفؤاد وكان رضفا * ويا شبعى برونقه وريى
فكم كشفت عن برجليل * به وأتيت من رأى سنى
كتبت له بلا لفظ كريه * على أذنى ولا لحظ قمى
رسالة من تمتع منذ حين * ومتعنا من الادب الرضى
لئن غربتها فى أرض بكر * لقد زفت الى قلب وفى
وان يك من هدايك الصفايا * فرب هدية لك كالهدى

وقال ابن أبى طاهر فى ابن ثوابة :

فى كل يوم صدور الكتب صادرة * من رأيه وندى كفيه عن مثل
من خط أقلامه خط القضاء على الا * عداء والموت بين البيض والاسل
لعابها طل فى الصدر يبعثه * وربما كان فيه النفع للعلل
كان أسطارها فى بطن مهرقها * نور يضاحك دمع الواكف الخضل

وقال البحترى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرفت فى الكتابة حتى * عطل الناس فن عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ماشك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا * حك فى رونق الربيع الجديد
مااغتدت منه فى بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حجج تخرس الالد بألفا * ظ فرادى كالجوهر المعدود
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد
كالعذارى غدون فى حلل صفر اذا رحن فى الخطوب السود

وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية :

مارقعة جاءتك مثنية * كأنها خد على خد
نثر سواد فى بياض كما * ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة * عن جهة الهزل الى الجد
يا كاتبا اسلمنى عتبه * اليك حسبى منك ماعندى

وقال محمد بن ابراهيم بن محمد الشيبانى رفع أبان بن عبد الحميد اللاحقى الى الفضل بن يحيى بن خالد رقعة بأبيات له يصف فيها قامته وكثافة لحيته وحلاوة شمائله وبراعة أدبه وبلاغة قلمه فقال :

أنا من بغية الامير وكنز * من كنوز الامير ذو رباح
كاتب حاسب أديب لبيب * ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريشة لما تكون تحت الجناح
لى فى النحو فطنة ونفاذ * أنا فيه قلادة لوشاح
لورمى بى الامير أصلحه الله رماحا صدمت حد الرماح
ثم أورى عن ابن سيرين فى الفقه بقول منور الافصاح
لست بالضخم فى روائى ولا الفد * م ولا بالمجدد الدحداح
لحية كثة وانف طويل * وانقاد كشعلة المصباح
وكثير الحديث من ملح النا * س بصير بخافيات ملاح
كم وكم قد خبات عندى حديثا * هو عند الامير كالتفاح
أيمن الناس طائرا يوم صيد * فى غدو او بكرة أو رواح
اعلم الناس بالجوارح والصيد وبالخرد الحسان الملاح
كل هذا جمعت والحمد لله على اننى ظريف المزاح
لست بالناسك المشمر ثوبيه ولا الفاتك الخليع الوقاح
لودعانى الامير عاين منى * سمهريا كالجلجل الصياح

قال فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية فرمى به اليه . وقال له أجب فاجاب بما فى غرضه واحسن فامر له بالف الف درهم وكنا نراه أول داخل وآخر خارج وكان اذا ركب فركابه مع ركابه . قال محمد بن يزيد فبلغ هذا الشعر أبا نواس فقال :

أنا أولى بقلة الحظ منى * للمسمى بالجلجل الصياح
قبلوا منه حين عز لديهم * اخرس القول غير ذى افصاح
ثم بالريش شبه النقش فى الخفة اما يكون تحت الجناح
فاذا الشم من شماريخ رضوى * خفة عنده سوى المصباح
لم يكن فيك غير شيئين مما * قلت فى نعت خلقك الدحداح

لحية جعدة وانف طويل * وسوى ذاك ذاهب فى الرياح
فيك ما يحمل الملوك على السخف ويزرى بالماجد الجحجاح
بارد الطرف مظلم الكذب تيا * معيد الحديث سمج المزاح

قال فبعث اليه أبان بان لا تذيعها وخذ الالف ألف درهم فبعث اليه أبو نواس لو أعطيتنى مائة ألف ألف درهم لم أجد بدا من اذاعتها . فيقال ان الفضل بن يحيى لما سمع شعر أبى نواس قال لا حاجة لى فى ابان لقد رمى بخمس فى بيت لا يقبل على واحدة منهن الا جاهل فقيل له كذب عليه . فقال قد قيل ذاك فاقصاموا اعا أغرى ابانواس بهذا الكاتب أبان بن عبد الحميد اللاحقى ان الفضل بن يحيى أعطاه مالا يفرقه فى الشعراء ويعطى كل واحد على قدره فبعث الى أبى نواس بدرهم زائف ناقص . وقال انى أعطيت كل شاعر على مقدار شعره وكان هذا أوفر نصيبك عندى فهجاه لذلك ﴿توقيعات الخلفاء . عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾ كتب اليه سعد بن أبى وقاص فى بنيان يبنيه فوقع فى أسفل كتابه ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر . ووقع الى عمرو بن العاصى كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك أميرك ﴿عثمان بن عفان رضى الله عنه﴾ وقع فى قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بوجء أعناقهم فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون . ووقع فى قصة رجل شكا عيلة عليه قد أمرنا لك بما يقيمك وليس فى مال الله فضل للمسرف ﴿على بن أبى طالب كرم الله وجهه﴾ وقع الى طلحة بن عبيد الله فى بيته يؤتى الحكم . ووقع فى كتاب جاءه من الحسن بن على رضى الله عنه رأى الشيخ خير من جلد الغلام . ووقع فى كتاب سلمان الفارسى وساله كيف يحاسب الناس يوم القيامة يحاسبون كما يرزقون . ووقع فى كتاب الحصين بن المنذر اليه يذكر أن السيف قد أكثر فى ربيعة بقية السيف أنمى عددا . وفى كتاب جاءه من الاشتر النخعى فيه بعض ما يكره من لك باخيك كله . وفى كتاب صعصعة بن صوحان يساله فى شىء قيمة كل امرئ ما يحسن ﴿معاوية بن أبى سفيان﴾ كتب اليه عبد الله بن عامر فى أمر عاتبه فيه فوقع فى أسفل كتابه بيت أمية فى الجاهلية أشرف من بيت حبيب فى الاسلام فانت تراه . وفى كتاب عبد الله بن عامر يساله أن يقطع مالا بالطائف عش رجبا ترى عجبا . وفى كتاب زياد : يخبره بطعن عبد الله بن عباس فى خلافته ان أباسفيان وأبا الفضل كانا فى الجاهلية فى مسلاخ واحد وذلك حلف لا يحله سوء رأيك . وكتب اليه ربيعة بن عسل اليربوعى يساله ان يعينه فى بناء

داره بالبصرة باثنى عشر الف جذع ادارك فى البصرة أم البصرة فى دارك ﴿ يزيد بن معاوية ﴾ وقع فى كتاب عبد الله بن جعفر اليه يستمنحه من خاصته احكم لهم بآ ماهم الى منتهى آجالهم فحكم بتسعمائة الف فاجازها . وكتب اليه مسلم بن عقبة المرى بالذى صنع أهل الحرة فوقع فى أسفل كتابه فلا تأس على القوم الفاسقين . وفى كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطاه فى الخراج قليل العتاب يحكم مرائر الاسباب وكثيره يقطع أواخى الانتساب . ووقع الى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان القرابة واشجة والافعال متباينة فخذ لرحمك من فعلك والى عبد الله بن زياد أنت أحد اعضاء ابن عمك فاحرص ان تكون كلها ﴿ عبد الملك بن مروان ﴾ وقع فى كتاب أتاه من الحجاج جنبنى دماء بنى عبد المطلب فليس فيها شفاء من الطلب . وكتب اليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ويستاذنه فى قتل اشرافهم فوقع له ان من يمن السائس ان يتالف به المختلفون ومن شؤمه ان يختلف به المؤتلفون وفى كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الاشعث بضعفك قوى وبخوفك خلع . ووقع فى كتاب ابن الاشعث :

فما بال من أسعى لاجبر عظمه * حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

ووقع ايضا فى كتاب

كيف يرجون سقاطى بعدما * شمل الرأس مشيب وصلع

الوليد بن عبد الملك كتب اليه الحجاج لما بلغه انه خرق فيما خلف له عبد الملك ينكر ذلك عليه يعرفه انه غير صواب فوقع فى كتابه لاجمعن المال جمع من يعيش أبدا ولافرقنه تفريق من يموت غدا . ووقع الى عمر بن عبد العزيز قد رأب الله بك الداء وأوذم بك السقاء ﴿ سليمان بن عبد الملك ﴾ كتب قتيبة بن مسلم الى سليمان يتهدده بالخلع فوقع فى كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * ابشر بطول سلامة يامربع

ووقع فى كتابه أيضا العاقبة للمتقين والى قتيبة أيضا جواب وعيده وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا . عمر بن عبد العزيز : كتب بعض العمال اليه يستاذنه فى مرمة مدينته فوقع أسفل كتابه ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم . والى بعض عماله فى مثل ذلك حصنها وحسك بتقوى الله . والى رجل ولاه الصدقات وكان دميما فعدل وأحسن ولا أقول للذين تزدرى

أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا . وكتب اليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها : فوقع له ارض لهم ما ترضى لنفسك وخذ بجرائمهم بعد ذلك . والى عدى بن أرطاة فى أمر عاتبه عليه ان آخر آية أنزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله . والى عامله على الكوفة وكتب اليه انه فعل فى أمر كما فعل عمر بن الخطاب أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . والى الوليد بن عبد الملك وعمر عامله على المدينة فوقع فى كتابه الله أعلم انك أول خليفة تموت . وأتاه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة فوقع فى كتابه لا تطالب طاعة من خذل عليا وكان اماما مرضيا . والى عامله بالمدينة وساله أن يعطيه موضعا يبنيه فوقع كن من الموت على حذر . وفى قصة متظلم العدل امامك . وفى رقعة محبوس تب تطلق . وفى رقعة رجل قتل كتاب الله بينى و بينك . وفى رقعة متنصح لوذ كرت الموت شغلك عن نصيحتك . وفى رقعة رجل شكا أهل بيته أنتما فى الحق سيان . وفى رقعة امرأة حبس زوجها الحق حبسه . وفى رقعة رجل تظلم من ابنه ان لم أنصفك منه فانا ظلمتك . يزيد بن عبد الملك : وقع الى صاحب خراسان لا تترك حسن رأى فانما تفسده عثرة . والى صاحب المدينة عثرت فاستقل . وفى قصة متظلم «سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» . وفى قصة متظلم شكا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صفحت عنه واستوصلتنى . هشام بن عبد الملك : فى قصة متظلم اتاك الغوث ان كنت صادقا وحل بك النكال ان كنت كاذبا فتقدم أو تاخر . وفى قصة قوم شكوا أميرهم ان صح ما ادعيتم عليه عزلناه وعاقبناه . والى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك احذر ليالى البيات والى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب ابناء الانصار احفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبهم له . و وقع فى رقعة محبوس لزمه الحد نزل بحدك الكتاب . ووقع فى قصة رجل شكا اليه الحاجة وكثرة العيال وذكر ان له حرمة لعيالك فى بيت مال المسلمين سهم ولك بحرمتك منا مثلاه . والى عامله على العراق فى أمر الخوارج : ضع سيفك فى كلاب النار وتقرب الى الله بقتل الكفار . والى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم لنقوضنكم فانى خصم دونكم . وفى كتاب عامله يخبره فيه بقلة الامطار فى بلده مرهم بالاستغفار . والى سهل بن سيار خف الله وامامك فانه يأخذك عند أول زلة . يزيد بن الوليد : بن عبد الملك بن مروان وقع الى مروان أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت . والى صاحب خراسان فى المسودة نجم أمر انت عنه نائم وما أراك منه أو منى بسالم . مروان بن

محمد كتب الى نصر بن سيار فى أمر أبى مسلم نجوم الظاهر تدل على ضعف الباطن والله المستعان . ووقع الى ابن هبيرة أمير خراسان الامر مضطرب وأنت نائم وانا ساهر . والى الحويرة بن سهل حين وجهه الى قحطبة كن من بيات المارقة على حذر . ووقع حين أتاه غز وقحطبة وانهزام ابن هبيرة هذا والله الادبار والافن رأى ميتا هزم حيا . وفى جواب: أبيات نصر بن سيار اذ كتب اليه :

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك ان يكون له ضرام

الحاضر يرى مالا يرى الغائب فاحسم الثؤلول فكتب نصر الثؤلول قد اشتدت اعضاؤه وعظمت نكايته فوقع اليه يداك أوكتا وفوك نفخ

٧ — توقيعات بنى العباس — السفاح . كتب اليه جماعة من أهل الانبار يذكرون ان منازلهم أخذت منهم وأدخلت فى البناء الذى أمر به ولم يعطوا اثمانها فوقع هذا بناء أسس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيم منازلهم اليهم . ووقع فى كتاب أبى جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط ان حلمك أفسد علمك وتراخيك أثر فى طاعتك فخذ لى منك ولك من نفسك ووقع اليه فى ابن هبيرة بعد ان راجعه فى غير مرة لست منك ولست منى ان لم تقتله . وجاءه كتاب من أبى مسلم يستأذنه فى الحج وفى زيارته فوقع اليه لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته واذنك لك . ووقع فى كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم من صبر فى الشدة شورك فى النعمة ثم أمر بارزاقهم . والى عامل تظلم منه وما كنت متخذ المضلين عضدا . وفى قوم شكوا حرق ضياعهم فى ناحية الكوفة وقيل بعدا للقوم الظالمين . أبو جعفر وقع فى كتابه الى عبد الله بن على عمه لا تجعل للايام فى وفيك نصيبا من حوادثها . ووقع اليه أيضا ادفع بالتى هى أحسن السيئة الى قوله وما يلقاها الاذوحظ عظيم فاجعل الحظ لك دونى يكن لك كله . ووقع الى عبد الحميد صاحب خراسان شكوت فاشكيناك وعتبت فاعتبناك ثم خرجت عن العامة فتاهب لفراق السلامة . والى أهل الكوفة وشكوا عاملهم كما تكونوا يؤمر عليكم . والى قوم تظلموا من عاملهم لا ينال عهدى الظالمين . وفى قصة رجل شكا عيلة سل الله من رزقه . وفى قصة رجل ساله أن يبنى بقرية مسجدا فان مصلاه على بعد ذلك اعظم لثوابك . وفى قصة رجل قطعت عنه أرزاقه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية وفى قصة رجل شكا الدين ان كان دينك فى مرضاة الله قضاه . والى صرورة ساله ان يحج ولله

على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . والى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل طهر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد . والى عامله على حمص وجاءه منه كتاب فيه خطأ استبدل بكاتبك والا استبدل بك . والى صاحب ارمينية ان لى فى قفاك عينا و بين عينيك عينا ولهما أربع آذان . والى رجل استوصله لا مانع لما أعطاه الله . و فى كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جندا اشغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فاخذوا أرزاقهم منه لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينتهبوا . المهدى : وقع فى قصة متظلمين شكوا بعض عماله لو كان عيسى عاملكم قد ناما الى الحق كما يقاد الجمل المخشوس يريد عيسى ولده . و وقع الى صاحب ارمينية وكتب اليه يشكو سوء طاعة رعاياه خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والى صاحب خراسان فى أمر جاءه أنا ساهر وأنت نائم . و فى قصة قوم أصابهم قحط يقدر لهم قوت سنة القحط والسنة التى تليها . والى شاعر أظنه مروان بن أبى حفصة أسرفت فى مديحك فقصرنا فى حبائك . و فى قصة رجل من الغارمين خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دينك وتقر به عينك . و فى قصة رجل شكا الحاجة أتاك الغوث . والى رجل من بطانته استوصل ليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك . و فى قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا اشخاصه الى بابه قد أنصف القارة من راماها . و فى قصة رجل حبس فى دم ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب . والى صاحب خراسان وكتب اليه يخبره بغلاء الاسعار خذهم بالعدل فى المكيال والميزان . والى يوسف الرومى حين ظفر بخراسان لك امانى ومؤكدا عمانى . موسى الهادى : كتب الى الحسن بن قحطبة فى أمر راجعه فيه قد أنكرناك منذ لزمت أبا حنيفة كفاناه الله . والى صاحب افريقية فى أمر فرط منه يا ابن اللخناء أنى تمرس . هرون الرشيد : وقع الى صاحب خراسان داو جرحك لا يتسع . والى عامل على مصر احذر أن تخرب خزانتى وخزانة أخى يوسف فياتيك منه مالا قبل لك به ومن الله أكثر منه . و وقع فى قصة البرامكة انبتته الطاعة وحصدته المعصية . والى عامله على فارس كن منى على مثل ليلة البيات . والى عامل خراسان ان الملوك يؤثرمنها الحظ . والى خزيمة بن حازم اذ كتب اليه انه وضع السيف حين دخل أرض ارمينية لا أم لك تقتل بالذنب من لا ذنب له . و فى قصة محبوس من لجأ الى الله نجا و فى قصة متظلم لا يجاوز بك العدل ولا يقصر بك دون الانصاف . والى صاحب السند اذ ظهرت المعصية كل من دعا الى الجاهلية تعجل الى المنية . والى عامله على خراسان كل من رفع

رأسه فازله عن بدنه . وفى رقعة متظلم من عامله على الاهواز وكان بالمتظلم عارفا قد ولينـاك موضعه فتنكب سيرته . وفى كتاب بكار الزبيرى اليه يخبره بسر من أسرار الطالبيين جزى الله الفضل خيرا الجزاء فى اختياره اياك وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك . والى محفوظ صاحب خراج مصر يا محفوظ اجعـل فرح مصر فرحا واحـدا وانت أنت . والى صاحب المدينة ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن فانهم قد أطالوا ليلى بالسـهاد ونفوا عن عينى لذيذ الرقاد . ووقع الى السندى بن شاهد خف الله وامامك فهما نجاتك . والى سليمان بن أبى جعفر فى كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق استحييت لشيخ ولده المنصور ان يهرب عمن ولده كندة وطيء فهلا قابلتهم بوجهك وأبديت لهـم صفحتك وبذلت لهم منحتك وكنت كمروان ابن عمك اذ خرج مصلتا سيفه متمثلا ببيت الجحاف بن حكيم :

متقلدين صفائحا هندية * يتركن من ضربوا كمن لم يولد

فجالد به حتى قتل امابدعة واما خلة أشد هراشا وأخشن مراسا ولولا ان يقال لقلت رحمه الله أم تندبه واب انهضه . وكتب متملك الروم الى هرون الرشـيد انى متوجه نحوك بكل صليب فى مملـكتى وكل بطل فى جندى فوقع فى كتابه سيعلم الـكافر لمن عقبى الدار . وكتب اليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت قد تقدم الخصم الى موقف الفصـل وأنت بالاثر والله الحكم العدل وستقدم فتعلم فوقع فيه الرشيد الحكم الذى رضيته فى الآخرة لك هو أعدى الخصم عليك وهو من لا يرد حكمه ولا يصرف قضاؤه . المأمون: وقع الى ابن هشـام فى أمر تظلم فيه من عـلامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فأى الرجلين أنت . والى هشام لا أدنيك ولك ببابى خصم . والى الرسـتمى فى قصـة من تظلم منه ليس من المروأة أن تـكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاو وجارك طاو . وفى قصة متظلم من عمرو بن مسعدة يا عمرو عمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها . وفى قصة متظلم من أبى عباد يا ثابت ليس بين الحق والبـاطل قرابة وفى قصة متظلم من أبى عيسى أخيـه فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسـاءلون وفى قصة متظلم من حميد الطوسى يا أبا غانم لا تغتر بموضعك من امامك فانك وأخس عبيده فى الحق سيان . والى طاهر صاحب خراسان أحمـد أبا الطيب اذا أحلك خليفة محل نفسه من نفسه فمـالك موضع تسمو اليه نفسك الا وأنت فوقه عنده . وفى كتاب بشر بن داود هـذا أمان

عاقدت الله فى مناجاتى اياه . وفى كتاب ابراهيم بن جعفر فى فدك حين أمره بردها قد أرضيت خليفة الله فى فدك كما أرضى الله خليفته فيها . وفى قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسى قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك فاما ظلمك للرعية فانا لا نحتمله . ووقع الى بعض عماله طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها . وكتب اليه ابراهيم بن المهدى فى كلام له ان غفرت فبفضلك وان أخذت فبحقك فوقع فى كتابه القدرة تذهب الحفيظة والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله . ووقع فى رقعة مولى طلب كسوة لو أردت الكسوة للزمت الخدمة ولكنك آثرت الرقاد فحظك الرؤيا . ووقع فى يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الاموال يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته . ولثمامة بن أشرس بثلثمائة ألف لتركه مالا يعنيه ولابى محمد اليزيدى يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره وللمعلى بخمسمائة ألف لصحيح سنه ولاسحق بن ابراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه ولاحمد بن أبى خالد بألف ألف لمخالفة شهوته ولابراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته وللمريسى بثلثمائة ألف لاسباغ وضوئه ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه

٨ — توقيعات الامراء والكبراء — زياد وقع الى بعض عماله قد كنت على الذعار وأخالك ذاعرا . وكتبت اليه عائشة فى وصاة برجل فوقع فى كتابها هو بين أبويه والى صاحب خراسان فى أمر خالفه فيه استر بعض دينك ببعض والا ذهب كله . والى عامله بالكوفة امط الحدود عن ذوى المروآت . وفى قصة متظلم أنامعك . وفى قصة قوم رفعوا على عامل من أماله الباطل قومه الحق . وفى قصة مستمنح لك المواساة . والى عامله فى خوارج خرجوا بالبصرة النساء تحاربهم دونك . وفى قصة سارق القطع جزاؤك . وفى قصة امرأة حبس زوجها حكمه الى الله . وفى قصة قوم نقبوا تنقب ظهورهم . وفى قصة نباش يدفن حيا فى قبره . وفى قصة متظلم الحق يسعك . وفى قصة متنصح مهلا فقد أبلغت اسماعى . وفى قصة متظلم كفيت . وفى قصة رجل شكا اليه عقوق ابنه ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد . وفى قصة رجل شكا الحاجة لك فى مال الله نصيب أنت آخذه . وفى قصة رجل جارح المجروح قصاص . وفى قصة محبوس التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وفى قصة قوم شكوا غرق ضياعهم لا تعرض فيما تفرد الله به . وفى قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم

لا حكم فيما استأثر الله به . الحجاج بن يوسف : وقع فى كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد وذهاب الغلال وما حل بالناس من القحط اذا أزف خراجك فانظر لرعيتك فى مصالحها فبيت المال أشد اطلاعا لذلك من الارملة واليتيم وذى العيلة . وفى كتاب قتيبة اليه انه على عبور النهر ومحاربة الترك لا تخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك ومرمى سهامك وفى كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم ما ظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه . وفى قصة محبوس ذكروا انه تاب ما على المحسنين من سبيل . والى قتيبة خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن فانه أمنع من حصونك . وفى كتابه الى بعض عماله اياك والملاهى حتى تستنظف خراجك . وفى كتاب الى ابن أخيه ما ركب يهودى قبلك منبرا . وفى كتابه الى يزيد بن أبى مسلم أنت أبو عبيدة هذا القرن . أبو مسلم : وقع فى كتاب سليمان بن كثير الخزاعى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . والى أبى العباس فى يزيد بن عمر بن هبيرة قل طريق سهل تلقى فيه الحجارة الا عاد وعرا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة أبدا . والى ابن قحطبة لا تنس نصيبك من الدنيا . واليه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . واليه لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار . والى محمد بن صول وكتب اليه بسلامة أطرافه وأما بنعمة ربك فحدث . وكتب اليه قحطبة ان بعض قواده خرج الى عسكر ابن صبارة راغبا فوقع فى كتابه : ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية . والى عامله ببلخ لا تؤخر عمل يوم لغد والى أبى سلمة الخلال حين أنكر نيته واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم . جعفر بن يحيى : وقع فى قصة محبوس لكل اجل كتاب . وفى مثله العدل أوقعه والتوبة تطلقه . وفى قصة متنصح ببعض الصدق قبيح . وفى رجل شكا بعض عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت . وفى قصة رجل شكا بعض خدمه خذ باذنه ورأسه فهو مالك . والى عامل فارس فى رجل كتب اليه بالوصاة كن له كابيه ولو كان مكانك . والى عامل مصر فى رجل من بطانته يوصيه انه رغب الى شمبك فارغب فى اصطناعه . وفى قصة متظلم من بعض عماله انى ظلمتك دونه . وفى قصة محبوس الجناية حبسته والتوبة تطلقه . والى قوم عين الخليفة تكلؤكم ونظره يعمكم . وفى رقعة صرورة استأذنه فى الحج من سافر الى الله أنجح . وفى قصة رجل شكا عزبة الصوم لك وجاء . وفى رقعة رجل سأل ولاية لا أولى بعض الظالمين بعضا . وفى قصة رجل سأل أن يقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه

غيبة يوسف صلى الله عليه وسلم كانت أطول . وفى قصة رجل تظلم من عماله أنا لمثله حتى ينصفك . وفى قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته يرحل عنكم . وفى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا دع الضرع يدر لغيرك كما در لك . والى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتاب غمه وأكربه كثرة ملاحاة الدمار بما أراقت الدماء . والى منصور بن زياد فى أمر عاتبه فيه لم نزرعك لنحصدك . والى بعض عماله اجعل وسيلتك الينا ما يزيدك عندنا . والى بعض ندمائه لا تبعد من ضمك . ووقع الى متنصل من ذنب حكم الفلتات خلاف حكم الاصرار . الفضل بن سهل : كتب الى أخيه الحسن أحمد الله يا أخى فيما يبيت خليفة الله الاعلى ذكرك والى طاهر تخير ما اصطنعت . واليه لشر ما سموت . والى هرثمة وأشار عليه برأى لا يحل ما عقدت . وفى قصة متظلم كفى بالله للمظلوم ناصرا . وفى قصة نقب بيت المال يدرأ عنه الحدان كان له فيه سهم . ووقع الى حاجبه تمهل وتسهل . والى صاحب الشرطة ترفق توفق . والى رجل شكا غلبة الدين قد أمرنا لك بثلاثين ألفا وسنشفعها بمثلها ليرغب المتنصحون . وفى قصة متظلم طب نفسا فان الله مع المظلوم . والى رجل شكا اليه الدين الدين سوء يهيض الاعناق وقد أمرنا بقضائه . وفى قصة قوم قطعوا الطريق انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآية . وفى امرئ قاتل شهد عليه العدول فشفع فيه كتاب الله أحق ان يتبع . وفى قصة رجل شهد عليه انه شتم أبا بكر وعمر يضرب دون الحد ويشهر ضربه . الحسن بن سهل ذو الرياستين : وقع فى قصة متظلم ينظر فيما رفع فان الحق متبع والا فشأن السليم دواء السقيم . وفى قصة قوم تظلموا من والبهم الحق أولى بنا والعدل بغيتنا وان صح ما ادعيتم عليه صرفناه وعاقبناه . وفى قصة امرأة حبس زوجها الحق يحبسه والانصاف يطلقه . وفى رقعة رائد قد أمرنا لك بشىء هو دون قدرك فى الاستحقاق وفوق الكفاية مع الاقتصاد . وكتب اليه رجل من الشعراء يقول له :

رأيت فى النوم انى راكب فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنانير
فقال قوم لهم فهم ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تعبير
رؤياك فسر غدا عند الامير تجد * فى الحلم درا وفى النوم التباشير

فوقع فى أسفل كتابه أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وألحق له ما التمسه . ودخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فانشده :

أغفيت عند الصبح نوم مسهد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت انك رعتنى بوليدة * رعبوبة حسن على قيامها
وببدرة حملت الى وبغلة * دهماء مشرقة يصل لجامها
فدعوت ربى ان يثيبك جنة * عوضا يصيبك درها وسلامها
بيت المنابر ياابن مروان الندى * أضحت وأنت خطيبها وامامها

فقال له ابشر فى كل شيء أصبت الا البغلة فانى لا أملك الا الشهباء فقال له امرأتى طالق ان كنت رأيتها الا الشهباء الا انى غلطت . طاهر بن الحسين : وقع فى كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر ابن شبيب طلبت الحق فى دار الباطل . وفى قصة رجل طلب قبالة بعض أعماله القبالة مفتاح الفساد ولو كانت صلاحا ما كنت لها موضعا . والى السدى بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه عش مالم أرك . والى خزيمة بن حازم الاعمال بخواتيمها والصنيعة باستدامتها والى الغاية ماجرى الجواد فحمد السابق وذم الساقط . والى العباس بن موسى الهادى واستبطاه فى خراج ناحيته :

وليس أخو الحاجات من بات نائما * ولكن أخوها من يبيت على وجل

وفى رقعة متنصح سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . وفى قصة محبوس يطلق ويعتق وفى رقعة مستوصل بقام أوده . وكتب أبو جعفر الى عمرو بن عبيد أباعثمان أعنى باصحابك فانهم أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له فوقع فى كتابه ارفع علم الحق يتبعك أهله

٩ توقيعات العجم وقع ازدشير فى أزمة عمت المملكة من العدل ان لا يفرح الملك ورعيته محزونون ثم أمر ففرق فى الكور جميع ما فى بيوت الاموال . ورفع رجل الى كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم منهم فلان وفلان فوقع فى أسفل كتابه انما أملك ظاهر الاجسام لا النيات وأحكم بالعدل لا بالهوى وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر . ووقع كسرى فى رقعة مدح طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا وللداعى اذا كان للاجابة أهلا . وكتب اليه متنصح ان قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة فعابوه وثلموه فوقع لئن كانوا انطقوا بألسنة شتى لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجرحك أرغب ولسانك أكذب ورفع اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما أنصفكم من الى الشكية أحوجكم ثم فرق بينهم ماوسعهم وأغناهم . ووقع أنوشروان الى صاحب خراجه ما استغزر الخراج بمثل

العدل ولا استتر ر بعثل الجور . و وقع فى قصة رجل تظلم منه لا ينبغى للملك الظلم ومن عنده يلتمس العدل ولا يبخل ومن عنده يتوقع الجود ثم أمر باحضار الرجل وقعدمعه بين يدى المويذ و وقع فى قصة محبوس من ركب ما نهى عنه حيل ما بينه و بين ما يشتهى . ودفع اليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله وسوء حاله فعرف كذبه فوقع ان الله خفف ظهرك فثقلته وأحسن اليك فكفرته فتب الى الله يتب عليك . و وقع فى قصة رجل سعى اليه بباطل باللسان احفظ رأسك . و وقع فى قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله لا تصلح العامة الا ببعض الحيف على الخاصة فان كنت صادقا أبحتك جميع ما يملكه فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته

١٠ — فصول فى المودة — كتب عبد الرحمن بن أحمد الحرانى الى محمد بن سهل أعزك الله ان كل مجازاة قاصرة عن حق السابق الى افتتاح الود وقد علمت انى استقبلتك من الاقبال عليك بما لم تستدعه واعتمدتك من الرغبة فيك بما لم توله . وفصل لابى على البصير : قد أكد الله بيننا المودة ما آمن الدهر على حل عقده ونقض مزاره وما يستوى منه ثقتنا بانفسنا لك ولانفسنا بما عندك . وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة و يوجب الانس والثقة و بسط اللسان بالاستزادة وأنا أمت اليك بالحرمة المتقدمة والاسباب المؤكدة حتى تحل صاحبها محل خاصة الاهل والقرابة . وفصل لابراهيم بن العباس : المودة تجمعنا محبتها والصناعة تؤلفنا أسبابها وما بين ذلك من تراخ فى لقاء أو تخلف فى مكاتبة موضوع بيننا يوجب العذر فيه . وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا نصب اليك سامى الطرف نحوك وذكرك ملصق بلسانى واسمك حلو على لهواتى وشخصك ماثل بين عينى وأنت أقرب الناس من قلبى وآخذهم بمجامع هواى . وفصل له : لنحن أحق بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة الا انك أحق بالفضل الذى سبقت اليه . وفصل لسعيد بن حميد : انى أهديت مودتى رغبة اليك و رضيت بالقبول منك مثوبة فصرت بقبولها قاضيا الحق وما لكا الرق وصرت بالتسرع الى الهدية والتخيير للمثوبة مرتهن اللسان بالرضا واليدين بالوفاء . وفصل له : انى صادقت منك جوهر نفسى فانا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام لان النفس يقود بعضها بعضا . وقال أبو العتاهية :

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه
وللناس من الناس * مقاييس وأشباه

وفصــل له : لسانى رطب بذكرك وقلبى معــمو ر بمحبتك حضرت أوغبت سرت أوأقمت كقول معقل أخى أبى دلف :

لعمرى لئن قرت بقر بك أعين * لقــد سخنت بالبين منك عيون

فسر أوقف وقف عليك مودتى * مكانك من قلبى عليــك مصون

وفصل لابراهيم بن المهدى : كتابى اليك كتاب مخبر وسائل فاما الاخبار فعن تصرف الخطوب على ما يوجب العــذر عند صــديقى العزيز على فى ابطائى بالتعهد له وأما السؤال فعن امساك هذا الاخ الودود المودود وعن مثل ذلك فان البذل كاشف ما سلف مصلح لما استأنف ﴿ فصول فى الزيارة ﴾ كتب الحسين بن الحسن بن سهل الى صديق له نحن فى مأدبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حســنا قد باتت السماء تعلها فهى مشرقة بمائها حالية بنوارها فرأيك فينا لنــكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض . فــكتب اليــه : هذه صفة لو كانت فى أقاصى الاطراف لوجب انتجاعها وحث المطى فى ابتغائها فــكيف فى موضع أنت تسكنه وتجمع الى انيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك وأنا الجواب . وفصل : كتب اسحق بن ابراهيم الموصلى الى أحمد ابن يوسف فى المصير اليه وعند أحمد بن يوسف ابراهيم بن المهدى فــكتب عندى من أنا عنده وحجتنا اليك اعلامنا اياك . وفصل انه من ظمأ شوقه من رؤيتك استوجب الرى من زيارتك ثم كتب تحت هذا :

سر الينا تفــديك نفسى من الســو * ء فقد طال عهــدنا بالتــلاقى

واجعلن ذاك ان رأيت جــوابى * فلقد خفت ســطوة الاشــتياق

وفصل : الى الله اشــكو شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الايام بعدك وأقول كما قال بعض المحدثين :

غضارة دنيا اظلم العيش بعــدها * وعند غروب الشمس يعرف فقدها

وفصل : الشــوق اليك والى عهد أيامنا التى حســنت كانها أعياد وقصرت كانها ساعات يفوت الصفاء ومما يجدده ويكثر دواعيــه تصاقب الديار وقرب الجوار تمم الله لنا النعمة المجــدده فيك بالنظر الى الغرة المباركة التى لا وحشــة معها ولا أنس بعدها . وفصــل مثله أعزك الله فى قرب تجاورنا وبعد تزاورنا ما قيل فى أهل القبور :

هم جــيرة الاحياء أما مزارهم * فدان وأما الملتقى فبعيــد

وكل علة معك محتملة وكل جفوة مغفورة للشغف بك والثقة بحسن نيتك وسنأخذ بقول أبى قيس بن الاسلت :

ويكر منها جاراتها فيزرنها * وتغفل عن اتيانهن فتعذر

وفصل : كتب حكيم الى حكيم يا أخى ان أيام العمر اقل من أن تحتمل الهجر والسلام . كتب أحمد بن يوسف لا تجوز قطيعة لانها لا تخلو من أحد وجهين اما ضعف فى نفس الاختيار واما ملل وكلاهما حجة فيه . وفصل طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتنا كر عند الالتقاء وقد جعلك الله للسرور نظاما وللانس تماما وجعل المشاهد موحشة اذا خلت منك . وكتب الحسن ابن وهب : الى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجب العذر فى تراخى اللقاء * ماتوالى من هذه الانواء
فسلام الاله اهديه منى * كل يوم لسيد الوزراء
لست أدرى ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء
غير انى ادعو على تلك بالثكل وادعو لهذه بالبقاء .

وقال آخر :

أزور محمدا فاذا التقينا * تكلمت الضمائر فى الصدور
فارجع لم أله ولم يلمنى * وقد رضى الضمير عن الضمير

فصل فى وصاة : كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق فى أبى الشيص كتابى اليك خططته بيمينى وفرغت له ذهنى فما ظنك بحاجة هذا موقعها منى أترانى أقبل العذر فيها واقصر فى الشكر عليها وابن ابى الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ما عدانا الى غيرنا فاكتف بهذا منا . وفصل : كتابى اليك كتاب معنى بمن كتب له واثق بمن كتب اليه ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله . وفصل : كتب العتابى فكاد ان يخل بالمعنى من شدة الاختصار فكتب حامل : كتابى اليك أنا فكن له أنا والسلام . وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك اياه عن تحريكى اياك فى أمره فان الصنيعة حرمة للمصنوع اليه ووسيلة الى مصطنعه فبسط الله يدك بالخيرات وجعلك من أهلها ووصل بك أسبابها . وفصل له : موصل كتابى اليك أنا فكن له أنا وتأمله بعين مشاهدتى وخلتى فلسانه اشكر ما آتيت اليه وأذم ما قصرت فيه فصول فى عتاب كتب احمد بن يوسف لولا حسن الظن بك اعزك الله لكان

فى اغضائك عنى ما يقبضنى عن الطلبة اليك واكن امسك برمق من الرجاء علمى برأيك فى رعاية الحق و بسط يدك الى الذى لوقبضتها عنه لم يكن له الا كرمك مذكرا وسوددك شافعا . فصل : ما ابعد البرء من مريض داؤه فى دوائه وعلته فى حميته أنا منك كالغاص بالماء لا مساغ له . وكما قال الشاعر :

كنت من كربتى افر اليهم * وهم كربتى فاين الفرار

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين عتبى تكون منك أو عتبى تغنى عنك . فصل : أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا نرضى الا بالكل لنا منك . فصل : أنا أبقى على ودك من عارض بغيره أو كتاب يقدح فيه وآمل عائدا من حسن رأيك يغنى عن اقتضائك . فصل : الهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل لو أن كل من نازع الى الصرم قلدناه عنان الهجر لكنا أولى بالذنب منه ولكن نرد عليك من نفسك ونأخذ لها منك . فصل لعبد الله بن معاوية : ابن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين . أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة وأعقبته جفاء من غير ذنب فاطمعنى أولك فى اخائك وآيسنى آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأى فيك فاقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف . فصل : اذا جعلت انظن شاهدا نعدل شهادته بعد ان جعلته حكما يحيف فى حكومته . فاين الموئل من جورك ولست أسلك طريقا من العتب عليك الا شدة ما انطوى عليه من مودتك ولا سبيل الى شكايتك الا اليك ولا استعانة الا بك وما أحق من جعلك على أمر عونا ان تكون له الى النجاح سببا . وقال الشاعر :

عجبت لقلبك كيف انقلب * ومن طول ودك انى ذهب

واعجب من ذا وذا اننى * أراك بعين الرضا فى الغضب

وفصل : ان مسئلتى اليك حوائجى مع عتبك على من اللؤم وان امساكى عنها فى حال ضرورة اليها مع علمى بكرمك فى السخط والرضا لعجز غير انى اعلم ان اقرب الوسائل فى طلب رضاك مساءلتك ما سنح من الحاجة اذ كنت لا تجعل عتبك سببا لمنع معروفك . وفصل : لوكانت الشكوك تختلجنى فى صحة مودتك وكريم اخائك ودوام عهدك لطال عتبى عليك فى تواتر كتبى واحتباس جواباتها عنى ولكن الثقة بما تقدم عندى تعذرك وتحسن ما يقبحه جفاؤك والله يديم نعمته لك ولنا بك . وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل والتقريع

اللطيف فلولا ماغلب على من السرور بسلامتك لتقطمت غما بعتابك الذى لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة وغلظ حتى كاد يفهمه أهـل الجهل والبله فلا أعدمنى الله رضاك مجاز بابه على مااستحقه عتبك فانت ظالم فيه وعتابك ولى المخرج منه . وقال أبو الدرداء أعتاب الاخ خير من فقده . وقال الشاعر :

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود مابقى العتاب

وقال آخر فى غير هذا المعنى :

اذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب فى كل يوم عليا
طلبت رضاك فان عزنى * عددتك ميتا وان كنت حيا
ولا تعجبن بما فى يديك * فاكثر منه الذى فى يديا

وفصل فى عتاب : العتاب قبل العقاب فليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك . وفصل : قد حميت جانب الامل فيك وقطعت أسباب الرجاء منك وقد اسلمنى اليأس منك الى العزاء عنك فان ترغب من الآن فصفح لا تثريب معه وان تماديت فهجر لا وصل بعده ﴿ فصل فى التنصل ﴾ كتب ابن مكرم لا ق عظيم أملى فيك ماأتيت فيما بينى وبينك ذنبا مخطئا ولا متعمدا ولعل فلتة لم الق لها بالا فاوطئ لها اعتذارا وان تكن فبغية حاسد زخرفها على لسان واش نبذها اليك فى بعض غراتك أصابت منى مقتلا وشفت منك غليلا . وفصل : ليس يزيلنى عن حسن الظن بك فعل حملك الاعداء عليه ولا يقطعنى عن رجائك عتب حدث على منك بل أرجو ان يتقاضى كرمك انجاز وعدك اذ كان أبلغ الشفعاء اليك وأوجب الوسائل لديك . وفصل أنت أعزك الله أعلم بالعفو والعقوبة من ان تجازينى بالسوء على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان بل جناه على لسان واش فاما قولك انك لا تسهل سبيل العذر فانت أعلم بالكرم وأرعى لحقوقه وأقعد بالشرف وأحفظ لذماماته من ان ترديد مؤملك صفرا من عفوك اذا التمسه ومن عذرك اذا جعل فضلك شافعا فيه وذريعة له . وفصل لابراهيم بن العباس : الكريم أوسع ماتكون مغفرته اذا ضاقت بالمذنب معذرته . وفصل : ياأخى اشكو الى الله واليك تعامل الايام على وسوء شر الدهر عندى وانى معلق فى حبائل من لا يعرف موضعى ولا يحلو عنده موقعى اطلب منه الخلاص فيزيدنى كلفا وأرتجى منه الحق فيزداد به ضنا فالثواء ثواء مقيم والنية نية ظاعن وبزمام الرأى مرتحل ماأذهب الى ناحية من

الحيلة الا وجدت من دونها ما نعامن العوائق واحمل الذنب على الدهر فارجع الى الله بالشكر وأسأله جميل العقبى وحسن الصبر

١١ — فصول في حسن التواصل — للمفضل ان يخص بفضله من شاء ولله الحمد ثم له فيما أعطى ولا حجة عليه فيما منع كن كيف شئت فاني واجد أمري خالصة سريرتي أرى ببقائك بقاء سروري وبدوام النعمة عندك دوامها عندي . وفصل : قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة اليك والاستعانة عليك لان حسن الظن بالله فيك وتاويل نجح الرغبة دون الشفعاء عندك . وفصل : قد أفردتك برجائي بعد الله وتعجلت راحة الناس ممن يجود بالوعد ويضن بالانجاز والحسدان يفضل ويزهد في أن يفضل ويعيب الكذب ولا يصدق وفصل : ضعني أكرمك الله من نفسك حيث وضعت نفسي من رجائك أصاب الله بمعروفك مواضعه وبسط بكل خير يدك . وفصل : لا أزال أبقاك الله أسأل الكتاب اليك فمرة أتوقف توقف المخفف عنك من المؤنة ومرة أكتب كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقبل لا أعدمنا الله دوام عزك ولا سلب الدنيا بهجتها بك ولا أخلانا من الصنع لله فانا لا نعرف الا نعمتك ولا نجد للحياة طعما الا في ظلك ولئن كانت الرغبة الى بشر من الناس خساسة وذلا لقد جعل الله الرغبة اليك كرامة وعزا لانك لا تعرف حرا قعد به دهره الا سبقت مسئلته بالعطية وصنت وجهه عن الطلب والذلة . وفصل : لي عليك حق التاميل والشكر بما ابتدأت من المعروف ولك علي حق الاصطناع والفضل والتنويه بالاسم والزيادة في القدر وليس يمنعني علمك زيادة حقك علي ما أبلغه من شكرك من مساءلتك المزيد اذ كنت قد انتهيت الى ما بلغه المجهود وخرجت من منزلة الاضاعة والتقصير واذ كنت تسمح بالحق عليك وتطيب نفسا عن حقك على ما أبلغه من شكرك وشكر اليسير ولا تكلف أحدا شكرك على الكثير . فصل لك أصلحك الله عندي ايادي تشفع لي الى محبتك ومعروف يوجب عليك الود والانعام . فصل : انا أسأل الله ان ينجز لي مالم تزل الفراسة تعدنيه فيك . فصل : قد أجل الله قدرك عن الاعتذار وأغناني في القول وأوجب عليك ان تقنع بما فعلت وترضى بما أنعمت وصلت اوقطعت

١٢ — فصول الشكر — كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتابا عن المعتصم الى عبدالله بن طاهر الخراساني فكان في فصل منه لو لم يكن من فضل الشكر الا انك لا تراه الا بين

نعمة مقصورة عليك أو زيادة منتظرة له ثم قال لمحمد بن ابراهيم بن زياد كيف ترى قال كانهما قرطان بينهما وجه حسن . وفصل للحسن بن وهب : من شكرك على درجة رفعته اليها أو ثروة أقدرته اياها فان شكرى لك على مهجة أحييتها وحشاشة أبقيتها و رمق امسكت به وقمت بين التلف و بينه فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهى اليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التى قد فاقت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدره وانت من وراء كل غاية رددت كيد العدو وأرغمت انف الحسود فنحن نلجأ اليه منها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر وأين يبلغ جهد المجتهد . وقال ابراهيم بن المهدى يشكر المامون :

رددت مالى ولم تمنن على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فابن منك وقد جللتنى نعما * هى الحيا نان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمى ابغى رضاك به * والمال حتى اسل النعل من قدمى
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لولم تعرها كنت لم تلم
البر بى منك وطى العذر عندك لى * فيما أتيت فلم تعتب ولم تلم
وقام علمك بى يحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

فصول فى البلاغة : كتب الحسن بن وهب الى ابراهيم بن العباس وصل كتابك فما رأيت كتابا اسهل فنونا ولا املس متونا ولا اكثر عيونا ولا احسن مقاطع ومطالع منه انجزت فيه عدة الرأى و بشرى الفراسة وعاد الظن يقينا والامل مبلوغا والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات فصل : الكلام كثيرة فنونه قليلة عيونه فمنه ما يفكه الاسماع و يؤنس القلوب ومنه ما يحمل الآذان ثقلا و يملأ الاذهان وحشا . فصول من المدح : وكتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر ان جميع اكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل فاذا انتهوا اليك اقروا لك و يتنافسون المنازل فاذا بلغوك وقفوا دونك فزادك الله و زادنا بك وفيك وجعلنا ممن يقبله رأيك و يقدمه اختيارك و يقع من الامور بموقع موافقتك و يجرى فيها على سبيل طاعتك . وفصل له : ان من النعمة على المثنى عليك أن لا يخاف الافراط ولا يامن التقصير و يامن ان تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية الا وجد فضلك تجاوزها ومن سعادة جدك ان الداعى لا يقدم كثرة

المتابعين له والمؤمنين معه . وفصل : ان مما يطمعني في بقاء النعمة عندك و يزدني بصيرة في العلم بدوامها لديك انك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ومن شان الاجناس ان تتالف وشان الاشكال ان تتقاوم وكل شيء يتقلقل الى معدنه و يحن الى عنصره فاذا صادف منبته ونزل في مغرسه ضرب بعرقه وسبق بفرعه وتمكن تمكن الاقامة وتفتك تفتك الطبيعة وفصل : انى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر والقمر الباهر الذى لا يخفى على كل ناظر وأيقنت انى حيث أنتهى بى القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت من الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك . وفصل لمحمد بن الجهم : انك لزمت من الوفاء طريقة محمودة وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها فتنافس الاخوان فيك يبتدرون ودك و يتمسكون بحبالك فمن أثبت الله له عندك ودا فقد وضع حلته موضع حرزها وفصل لابن مكرم : السيف العتيق اذا أصابه الصدا استغنى بالقليل من الجلاء حتى تعود جدته و يظهر فرنده للين طبيعته وكرم جوهره ولم أصف نفسي لك عجبا بك بل شكرا . وفصل له : زاد معروفك عندى عظما انه عندك مستور حقير وعند الناس مشهور كبير . أخذه الشاعر فقال:

زاد معروفك عندى عظما * أنه عندك مستور حقير
تتناساه كان لم تاته * وهو عند الناس مشهور كبير

وفصل للعتابي : أنت أيها الامير وارث سلفك و بقية أعلام اهل بيتك المسدود بهم ثلمهم المجدد به قديم شرفهم والمحيا به أيام سعيهم وانه لم يخمل من كنت وارثه ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا انمحت اعلام من خلفته في رتبته . فصول في الذم : كتب أحمد بن يوسف أما بعد فانى لا اعرف للمعروف طريقا أوعر من طريقه اليك فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك مهجور وانما غايتك في المعروف ان تحقره و في وليه ان تكفره . وكتب أبو العتاهية الى الفضل ابن معن بن زائدة أما بعد فانى توسلت اليك في طلب انائلك باسباب الامل وذرائع الحمد فرارا من الفقر و رجاء للغنى وازددت بهما بعدا مما فيه تقربت وقربا مما فيه تبعدت وقد قسمت اللائمة بيني و بينك لانى أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعى أمرت بالياس من أهل البخل فسالتهم ونهيت عن منع أهل الرغبة فمنعتهم و في ذلك أقول :

فررت من الفقر الذى هو مدركى * الى بخل محظور النوال منوع
فاعقبنى الحرمان غب مطامعى * كذلك من يلقاه غير قنوع

وغير بديع منع ذى البخل ماله * كما بذل أهل الفضل غير بديع
اذا أنت كشفت الرجال وجدتهم * لاعراضهم من حافظ ومذيع

وفصل لابراهيم بن المهدى: أما بعد فانك لو عرفت فضل الحسن لتجنبت شين القبيح ورأيتك آثر القول عندك مايضرك فكنت فيما كان منك ومنا كما قال زهير بن أبى سلمى :

وذى خطل فى القول يحسب أنه * مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

فصل : ان مودة الاشرار متصلة بالذلة والصغار تميل معهما وتصرف فى آثارهما وقد كنت أحل مودتك بالمحل النفيس وأنزلها بالمنزل الرفيع حتى رأيت ذلتك عند الضعة وضرعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء واطراحك لاخوان الصفاء فكان ذلك أقوى أسباب عذرى فى قطيعتك عند من يتصفح أمرى وامرك بعين عدل لاتميل الى هوى ولاترى القبيح حسنا فصل للعتابى : تأتينا افاقتك من سكرتك وترقبنا انتباهك من رقدتك وصبرنا على تجرع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأس من خيرك وكشف لنا الصبر عن وجه الغلط فيك فها أنا قد عرفتك حق معرفتك فى تعديك لطورك واطراحك حق من غلط فى اختيارك . فصل فى الادب : كتب سعيد بن حميد ان من أمارات الحزم صحة الرأى فى الرجل يترك التماس مالاسبيل اليه اذا كان ذلك داعية لغنى لاعزة له وشقاء لادرك فيه وقد سمحت فى أمر تخبرك أوائله عن أواخره وينبيك بدؤه عن عواقبه ولو كان هذا الخبر الصادق مستمع حازم ورأيت رائد الهوى ما مال بك الى هذا الامر ميلا أياس من رغب فيك ودل عدوك على معايبك وكشف له عن مقاتلك ولولا علمى بان غلط الناصح يؤدى الى نفع فى اعتقاد صواب الرأى لكان غير هذا القول أولى بك والله يوفقك لما يحب ويوفق لك ماتحب . وفصل : انت رجل لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق عزمك فقدم على نفسك من قدمك على نفسه . وفصل : من أخطا فى ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين كان أحرى ان يخطئ فى أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل . وفصل : قد حسدك من لاينام دون الشفاء وطلبك من لاينام دون الظفر فاشدد حيازيمك وكن على حذر . وفصل : قد آن ان تدع ماتسمع بما تعلم ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق من نفسك فيما تعرفه . وفصل : لست بحال يرضى بها حر ولا يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا الا من لا ينبغى لك أن ترضى به . وفصل : أنت طالب مقيم وأنا دافع مغرم فان كنت شاكرا فيما مضى فاعذر فيما بقى . وفصل للعتابى : أما

بعد فان قربيك من قرب منك خيره وابن عمك من عمك نفعه وعشيرك من أحسن عشرتك وأهدى الناس الى مودتك من اهدى بره اليك . فصول الى عليل : ليست حالى اكرمك الله فى الاغتمام بعلتك حال المشارك فيها بان ينالنى نصيب منها وأسلم من أكثرها بل اجتمع على منها انى مخصوص بها دونك مؤلم منها بما يؤلمك فانا عليل مصروف العناية الى عليل كانى سليم فانا أسأل الله الذى جعل عافيتى فى عافيتك ان يخصنى بما فيك فانها شاملة لى ولك . وفصل : ان الذى يعلم حاجتى الى بقائك قادر على المدافعة عن حوبائك فلو قلت ان الحق قد سقط عنى فى عيادتك لانى عليل بعلتك لقام بذلك شاهد عدل فى ضميرك واثر باد فى حالى لغيبتك واصدق الخبر ما حققه الاثر وافضل القول ما كان عليه دليل من العقل . وفصل : لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبى ذكرك ولا لسانى فحصا عن خبرك يجب ان تتقسم جوارحه وصبك وان زاد فى ألمها ألمك وان تتصل به احوالك فى السراء والضراء ولما بلغتنى افاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب الا بخير السلامة ان شاء الله . ولاحمد بن يوسف : قد اذهب الله وصب العلة ونصبها ووفر أجرها وثوابها وجعل فيها من ارغام العدو بعقباها اضعاف ما كان عنده من السرور بفتح أولاها . فصول الى خليفة وأمير : منها كتب الحجاج ابن يوسف الى عبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين ان كل من عنت به فكرتك فما هو الا سعيد يؤثر أو شقى يوتر . كتب الحسن بن سهل : يصف عقل المامون وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة عفيف الطعمة كريم الشيمة مبارك الضريبة محمود النقيبة موفيا بما أخذ الله عليه مطلعا بما حمله منه مؤديا الى الله حقه مقرا له بنعمته شاكرا للآلائه لا يأمر الا عدلا ولا ينطق الا فصلا عيالدينه واماناته كافا ليده ولسانه . وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : ان حق الاولياء على السلطان تنفيذ أمورهم وتقويم أودهم ورياضة اخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم ويؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء فى احسانهم ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم . وفصل له : ان من أعظم الحق حق الدين وأوجب الحرمة حرمة المسلمين فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ان يراعى له حسب ما رعاه الله ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه . وفصل له : ان الله أوجب لخلفائه على عباده حق الطاعة والنصيحة ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة واحياء السنن الصالحة فاذا أدى كل الى كل حقه كان ذلك سببا لتمام المعونة واتصال الزيادة واتساق الكلمة ودوام الالفة . وفصل : ليس من نعمة يجددها الله لامير المؤمنين فى نفسه خاصة الا

اتصلت برعيته عامة وشملت المسلمين كافة وعظم بلاء الله عندهم فيها ووجب عليهم شكره عليها لان الله جعل بنعمته تمام نعمتهم و بتدبيره وذبه عن دينه حفظ حريمهم وبحياطته حقن دمائهم وأمن سبيلهم فاطال الله بقاء أمير المؤمنين منطوى القلب على مناصحته مؤيدا بالنصر معززا بالتمكين موصول البقاء بالنعيم المقيم . فصل : الحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته منطوى القلب على مناصحته مستحوذ السيف على عدوه ثم وهب له الظفر ودوخ له البلاد وشرد به العدو وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا وبرا وبحرا . وفصل : أفعال الامير عندنا معسولة كالامانى متصلة كالايام ونحن نواتر الشكر لكريم فعله ونواصل الدعاء له مواصلة برءانه الناهض بكلنا والحامل لاعبائنا والقائم بما ناب من حقوقنا . وفصل : أما بعد فقد انتهى الى أمير المؤمنين كذا فانكره ولا يخلو من احدى منزلتين ليس فى واحدة منهما عذر يوجب حجة ولا يزيل لائمة اما تقصير فى عملك دعاك للاخلال بالحزم والتفريط فى الواجب واما مظاهرة لاهل الفساد ومداهنة لاهل الريب وأية هاتين كانت منك محلة النكر بك وموجبة العقوبة عليك لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الاناة والنظرة والاخذ بالحجة والتقدم فى الاعذار والانذار على حسب ما اقلت من عظيم العثرة ما يجب اجتهادك فى تلافى التقصير والاضاعة والسلام . وكتب طاهر بن الحسين : حين أخذ بغداد الى ابراهيم ابن المهدى . أما بعد فانه عزيز على ان أكتب الى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الامرة وسلامها غير انه بلغنى عنك انك مائل الهوى والرأى للناكس المخلوع فان كان كما بلغنى فقليل ما كتبت به كثير لك وان يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الامير و رحمة الله و بركاته وقد كتبت فى أسفل كتابى أبياتا فتدبرها :

ركوبك الهول مالم تلق فرصته * جهل رمى بك بالاقحام تغرير
اهون بدنيا يصيب المخطؤن بها * حظ المصيبين والمغرور مغرور
فازرع صوابا وخذ بالحزم حيطته * فلن يذم لاهل الحزم تدبير
فان ظفرت مصيبا أو هلكت به * فانت عند ذوى الالباب معذور
وان ظفرت على جهل ففزت به * قالوا جهول أعانته المقادير

فصل للحسن بن وهب : اما بعد فالحمد لله متمم النعم برحمته الهادى الى شكره بفضله وصلى الله على سيدنا محمد عبده و رسوله الذى جمع له من الفضائل ما فرقه فى الرسل قبله وجعل تراثه راجعا

الى من خصه بخلافته وسلم تسليما . فصول لعمرو بن بحر الجاحظ فى الادب : منها فصول فى عتاب . أما بعد فان المكافأة بالاحسان فريضة والتفضل على ذوى الاحسان نافلة : أما بعد فلها السكوت على لسانك ان كانت العافية من شانك . أما بعد فلا تزهد فيما رغب اليك فتكون لحظك معاندا وللنعمة جاحدا . أما بعد فان العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فبايهما ظفرت كانت فى حزبه . أما بعد فان الاشخاص كالاشجار والحركات كالاغصان والالفاظ كالثمار . اما بعد فان القلوب اوعية والعقول معادن فما فى الوعاء ينفد اذا لم يمده المعدن . اما بعد فكفى بالتجارب تاديبا و بتقلب الايام عظة و باخلاق من عاشرت معرفة و بذكرك الموت زاجرا . أما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب اهون من اطفائه بالشتم والقدع . اما بعد فان أهل النظر فى العواقب أولوا الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرىء الا استغرقت الدنيا همته ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الايام مطايا عمله والآخرة مقيل مرتحله . اما بعد فان الاهتمام بالدنيا غير زائد فى الرزق والاجل والاستغناء غير ناقص للمقادير . اما بعد فانه ليس كل من علم امسك وقد يستجهل الحليم حين يستحق الهجران . أما بعد فان احببت ان تتم لك الثقة فى قلوب اخوانك فاستقل كثيرا مما تولهم . أما بعد فان أنظر الناس فى العاقبة من لطف حين كف حرب عدوه بالصفح والتجاوز واستل حقده بالرفق والتحبب . وكتب الى أبى حاتم السجستانى : و بلغه عنه انه نال منه . أما بعد فلو كففت عنا من غربك لكنا أهلا لذلك منك والسلام فلم يعد أبو حاتم الى ذكره بقبيح . وله فصول فى وصاة : اما بعد فان احق من أسعفته فى حاجته واجبته الى طلبته من توسل اليك بالامل ونزع نحوك بالرجاء . أما بعد فما أقبح الاحدوثة من مستمنح حرمته وطالب حاجة رددته ومثابر حجبته ومنبسط اليك قبضته ومقبل اليك بعنانه لويت عنه فتثبت فى ذلك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم . أما بعد فان فلانا أسبابه متصلة بنا يلزمنا ذمامه و بلوغ موافقته من أياديك عندنا وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته فاولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن رأيك وتكون مكافأة لحقه علينا . اما بعد فقد أتانا كتابك فى فلان وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته ورعاية حقه ونحن من المعتبة بامره على ما كان فى حرمته و يؤدى شكره . وله فصول فى استنجاز وعد أما بعد فقد رسفنا فى قيود مواعيدك وطال مقامنا فى سجون مطلك فاطلقنا ابقاك الله من ضيقها وشديد غمها بنعم منك مثمرة أو مريحة . أما بعد فان شجر مواعيدك قد أورقت فليكن

ثمر هاسا لمامن جوائح المطـل . أما بعد فان سحاب وعـدك قد برقت فليكن و بلهاسا لمامن صواعق المطل والاعتلال . وله فصول فى الاعتذار: اما بعد فنعم البديل من الزلة الاعتذار و بئس العوض من التوبة الاصرار . اما بعد فان أحق ما عطفت عليه بحلمك من لم يتشفع اليك بغيرك . اما بعد فانه لا عوض من اخائك ولا خلف من حسن رأيك وقد انتقمت منى فى زلتى بجفائك فاطلق أسير تشــوقى الى لقائك . اما بعد فانى بعرفى ببلوغ حلمك وغاية عفوك ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك . اما بعد فان من جحد احسانك بسوء مقالته فيك مكذب نفسه بما يبدو للناس منـه . اما بعد فقد مسنى من الالم مالم يشفه غير مواصلتك مع حبسك الاعتذار من هفوتك ولـكن ذنبك تغتفره مودتك فامنن علينا بصـلتك تكن بدلا من مساءتك وعوضا من هفوتك . اما بعد فلا خير فمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع لهنات الاخوان . اما بعد فان أولى الناس عندى بالصفح من أسلمه الى ملكك الناس رضاك من غير مقدرة منك عليه . اما بعد فان كنت ذممتنى على الاساءة فلم رضيت لنفســك المكافأة . وله فصول فى التعازى : اما بعد فان الماضى قبلك الباقى لك والباقى بعدك المأجور فيك وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . أما بعد فان فى الله العـزاء من كل هالك والخلف من كل مصـاب وانه من لم يتعـز بعزاء الله تنقطع نفسـه عن الدنيا حسرة . اما بعد فان الصبر يعقبه الاجر والجزع يعقبه الهلع فتمسك بحظك من الصـبر تنل به الذى تطلب وتدرك به الذى تأمل . اما بعــد فقد كفى بكتاب الله واعظا ولذوى الالباب زاجرا فعليك بالتلاوة تنج مما أوعد الله أهل المعصية . صدور الى خليفة وفق الله امير المؤمنين بالظفر فيما قاده وأيده واصلح به وعلى يديه اكرم الله أمير المؤمنين بالظفر وأيده بالنصر فى دوام نعمته وحاط الرعية بطول مدته . صدور الى ولى عهد: متع الله أمير المؤمنين بطول مدة الامير واجرى على يديه فعل الجميل وآنس بولايته المؤمنـين مد الله للامير النعمة واسـعد بطول عمره الامة وجعله غياثا ورحمة أكمل الله له الـكرامة وحاطه بالنعمة والسلامة ومتع به الخاصة والعامة متع الله بسلامتك أهل الحرمة وجمع لك شمل الامة واستعملك بالرأفة والرحمة . صدور الى والى شرطة: انصف الله بك المظـلوم واغاث بك الملهوف وأيدك بالتثبت ووفقك للصـواب ارشـدك الله بالتوفيق وانطقك بالصواب وجعلك عصمة للدين وحصـنا للمسلمين اعانك الله على ما قلدك وحفظ لك ما استعملك بما يرضى من فعلك سددك الله وأرشدك وأدام لك فضـل ما عودك زادك الله شرفا فى المنزلة وقدرا فى قلوب الامة وزلفة عنـد الخليفة نصر الله بعــدلك المظلوم وكشـف بك كربة

الملهوف واعانك على اداء الحقوق . صدور الى قاض : الهمك الله الحجة وأيدك بالتثبت ورد بك الحقوق ألهمك الله الاعتصام بحبله بالعلم والتثبت فى الحكم ألهمك الله الحكمة وفصل الخطاب وجعلك اماما لذوى الالباب زين الله بفضلك الزمان وأنطق بشكرك اللسان وبسط يدك فى اصطناع المعروف وأدام الله لك الافضال وحقق فيك الآمال . صدور الى عالم : جعل الله لك العلم نورا فى الطاعة وسببا الى النجاة وزلفة عند الله نفع الله بعلمك المستفيدين وقضى بك حوائج المتحرمين واوضح بك سنن الدين وشرائع المسلمين أدام الله لك التطول باسعاف الراغب وأنجح بك حاجة الطالب وأمنك مكروه العواقب . صدور الى اخوان : متع الله أبصارنا برؤيتك وقلوبنا بدوام الفتك ولا أخلانا من جميل عشرتك ووهب لك من كريم نفسك بحسب ما تنطوى عليه مودتك وأبهج الله اخوانك بقربك وجمع الفتهم بالانس بك وصرف الله عن الفتنا عواقب القدر واعاذ صفو اخائنا من الكدر وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشكر من الله علينا بطول مدتك وآنس أيامنا بمواصلتك وهنانا النعمة بسلامتك قرب الله منا ما كنا نامل منك وجمع شمل السرور بك نزد الله بقربك القلوب وبرؤيتك الابصار وبحديثك الاسماع اقبل الله بك على اودائك ولا ابتلاهم بطول جفائك ازال الله حرصنا من فتورك عنا ورغبتنا عنك من تقصيرك فى أمورنا حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقده وردالينا ما كنا نالفه ونعهده رحم الله فاقة الحنين اليك ومابى من تباريح الحزن عليك وجعل حرمتنا منك الشفيع لديك يسر الله لنا من صفحك مايسع تقصيرنا ومن حلمك مايردسخطك عنا زين الله الفتنا بمعاودة صلتك واجتماعنا بزيارتك أعاد الله علينا من اخائك وجميل رأيك مايكون معهودا منك بالوفاء لك . صدور فى عتاب : انصف الله شوقنا اليك من جفائك لنا وأخذ لبرنا بك من تقصيرك عنا . وكتب معاوية : الى عمرو بن العاصى وبلغه عنه أمر وفقك الله لرشدك بلغنى كلامك فاذا أوله بطر وآخره خور ومن أبطره الغنى أذله الفقر وهما ضدان تخادعان للمرء عن عقله وأولى الناس بمعرفة الدواء من يبين له الداء والسلام . فاجابه : طاولتك النعم وطاولت بك علوا نصافك يؤمن سطوة جورك ذكرت انى نطقت بما تكره وأنا مخدوع وقد علمت انى ملت الى محبتك ومثلك شكر مسعى معتذر وعفا زلة معترف اه الكتاب

١٤

فن من كتاب العسجدة الثانية

﴿ فى الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا فى التوقيعات والفصول والصدور والكتابة وهذا كتاب ألفناه فى أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وأسماء كتابهم وحجابهم

١ — أخبار الخلفاء — نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم روى أبو الحسن على بن محمد ابن عبد الله بن أبى يوسف عن أشياخه هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأمه آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب

﴿ مولد النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ قالوا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول . وقال بعضهم لليلين خلتا منه . وقال بعضهم بعد الفيل بثلاثين يوما فهذا جمع ما اختلفوا فى مولده وأوحى الله اليه وهو ابن أربعين عاما واقام بمكة عشرا و بالمدينة عشرا . وقال ابن عباس : اقام بمكة خمس عشرة و بالمدينة عشرا والمجمع عليه انه اقام بمكة ثلاث عشرة و بالمدينة عشرا . هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول . مات يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول اليوم والشهر الذى هاجر فيه صلى الله عليه وسلم وجعلنا ممن يرد حوضه و ينال مرافقته فى أعلى عليين من درجات الفردوس واسأل الله الذى جعلنا من أمته ولم نره أن يتوفانا على ملته ولا يحرمنا رؤيته فى الدنيا والآخرة ﴿ صفة النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ ربيعة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشربا بحمرة ضخم الرأس أزج الحاجبين عظيم العينين أدعج أهدب شثن الكفين والقدمين اذا مشى تكفأ كأنما ينحط من صبب و يمشى فى صعد كأنما يتقلع من صخر اذا

التفت التفت جميعا ليس بالجعد القطط ولا السبط ذا وفرة الى شحمة أذنيه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتطامن عرقه اطيب من المسك الاذفر لم تلد النساء قبله ولا بعده مثله بين كتفيه خاتم النبوة كبيض الحمامة لا يضحك الا تبسما فى عنفقته شعرات بيض لا تكاد تبين . وقال أنس بن مالك : لم يبلغ الشيب الذى كان برسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة وقيل له يارسول الله عجل عليك الشيب قال شيبتنى هود وأخواتها ﴿ هيئة النبي وقعدته صلى الله عليه وسلم ﴾ كان صلى الله عليه وسلم يأكل على الارض ويجلس على الارض ويمشى فى الاسواق ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويقعد القرفصاء ويتوسد يده ويلعق أصابعه ويقضى من نفسه ولا يأكل متكئا ولم ير قط ضاحكا ملء فيه وكان يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت الى ذراع لاجبت ولو اهدى الى كراع لقبلت ﴿ شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد البشر ولا فخر وأنا أفصح العرب وانا أول من يقرع باب الجنة وانا أول من ينشق عنه التراب دعا لى ابراهيم وبشر بى عيسى ورأت أمى حين وضعتنى نورا أضاء لها ما بين المشرق والمغرب . وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه وجعلهم افراقا فجعلنى فى خيرهم فرقة وجعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خير بيت فانا خيركم بيتا وخيركم نسبا . وقال صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الفواطم والعواتك من سليم واسترضعت فى بنى سعد بن بكر . وقال : نزل القرآن بأعرب اللغات فلكل العرب فيه لغة ولبنى سعد بن بكر سبع لغات وبنو سعد بن بكر بن هوازن أفصح العرب فهم من الاعجاز وهى قبائل من مضر متفرقة . وكان ظئر النبي صلى الله عليه وسلم التى أرضعته حليمة بنت أبى ذؤيب من بنى ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن . واخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث . وجذامة بنت الحرث وهى التى أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فى أسرى حنين فبسط لها رداءه ووهب لها أسرى قومها . والعواتك من سليم ثلاث عاتكة بنت هلال ولدت هاشما وعبد شمس ونوفلا وعاتكة بنت الاوقص بن هلال ولدت وهب بن عبد مناف بن زهرة وعاتكة بنت فالج . وقال علي : للاشعث اذ خطب اليه أغرك ابن أبى قحافة اذ زوجك أم وفرة وانها لم تكن من الفواطم من قريش ولا العواتك من سليم ﴿ أبو النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ عبد الله بن عبد المطلب ولم يكن له ولد غيره صلى الله عليه وسلم . وتوفى وهو فى بطن أمه فلما ولد كفله جده عبد المطلب الى أن توفى فكفله عمه أبو طالب . وكان أخا عبد الله لامه

وأبيه فمن ذلك كان أشفق أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وأولاهم به . واما أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته فان عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصلبه عشرة من الذكور وستة من الاناث وأسماء بنيه عبد الله والد النبي عليه الصلاة والسلام . والزبير . وأبو طالب واسمه عبد مناف . والعباس . وضرار . وحمزة . والمقوم . وأبو لهب واسمه عبد العزى . والحرث والغيداق واسمه حجل . ويقال نوفل . وأسماء بناته عمات النبي صلى الله عليه وسلم عاتكة والبيضاء وهي أم حكيم . وبرة . وأميمة . وأروى . وصفية . وولد النبي صلى الله عليه وسلم : ولد له من خديجة القاسم والطيب وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وولد له من مارية القبطية ابراهيم فجميع ولده من خديجة غير ابراهيم . وأزواجه صلى الله عليه وسلم : أولهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ولم يتزوج عليها حتى ماتت ثم تزوج سودة بنت زمعة . وكانت تحت السكران بن عمرو وهو من مهاجرة الحبشة فمات ولم يعقب فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعده ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر بكرا ولم يتزوج بكرا غيرها وهي ابنة ست وابتنى عليها ابنة تسع وتوفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة وعاشت بعده الى أيام معاوية . وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين . ودفنت ليلا بالبقيع . وأوصت الى عبد الله بن الزبير . وتزوج حفصة ابنة عمر بن الخطاب . وكانت تحت خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله الى كسرى ولا عقب له . ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة . وكانت تحت عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب أول شهيد كان ببدر . ثم تزوج زينب بنت جحش الاسدية وهي بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم . وهي أول من مات من أزواجه في خلافة عمر . ثم تزوج أم حبيبة واسمها رملة ابنة أبي سفيان وهي أخت معاوية وكانت تحت عبيد الله بن جحش الاسدي فتنصر ومات بارض الحبشة . وتزوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي وكانت تحت أبي سلمة فتوفي عنها وله منها أولاد وبقيت الى سنة تسع وخمسين . وتزوج ميمونة بنت الحرث من بني عامر بن صعصعة وكانت تحت أبي سبرة بن أبي رهم العامري . وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب النضرية وكانت تحت رجل من يهود خيبر يقال له كنانة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه وسبي أهله . وتزوج جويرية بنت الحرث وكانت من سبي بني المصطلق . وتزوج خولة بنت حكيم وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . وتزوج امرأة يقال لها عمرة فطلقها ولم يبن بها وذلك ان اباها قال له وأزيدك انها لم

تمرض قط فقال ماهذه عندالله من خير فطلقها . وتزوج امرأة يقال لها أميمة بنت النعمان فطلقها قبل ان يطأها وخطب امرأة من بني مرة بن عوف فردها أبوها وقال ان بها برصا . فلما رجع اليها وجدها برصاء ﴿كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وخدامه﴾ كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت . ومعاوية بن أبي سفيان . وحنظلة بن ربيعة الاسدي . وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ارتد ولحق بمكة مشركا . وحاجبه أبوأنيسة مولاه . وخادمه أنس بن مالك الانصاري ويكنى أباحمزة . وخازنه على خاتمه معقيب بن أبي فاطمة . ومؤذناه بلال . وابن أم مكتوم . وحراسه سعد بن زيد الانصاري . والزبير بن العوام . وسعد بن ابي وقاص وخاتمه فضة وفصه حبشي مكتوب عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر الله سطر . وفي حديث أنس بن مالك : خادم النبي صلى الله عليه وسلم وبه تختم أبو بكر وعمر وتختم به عثمان ستة أشهر ثم سقط منه في بئر ذي اروان فطلب فلم يوجد ﴿وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وسنه﴾ توفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وحفر له تحت فراشه في بيت عائشة . وصلى عليه المسلمون جميعا بلاامام الرجال ثم النساء ثم الصبيان . ودفن ليلة الاربعاء في جوف الليل . ودخل القبر علي والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولاه . ويقال اسامة بن زيد وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله . وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . واختلف في سنه فقال عبدالله بن عباس وعائشة وجرير بن عبدالله ومعاوية توفي وهوابن ستين سنة . وقال عروة بن الزبير وقتادة اثنتين وستين سنة

٢ — نسب أبي بكر الصديق وصفته رضي الله عنه — هو عبدالله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأمه أم الخير ابنة صخر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وكاتبه عثمان بن عفان . وحاجبه رشيد مولاه . وقيل كتب له زيد بن ثابت أيضا . وعلى أمره كله وعلى القضاء عمر بن الخطاب . وعلى بيت المال ابوعبيدة بن الجراح ثم وجهه الى الشام . ومؤذنه سعد القرظ مولى عمار بن ياسر قيل لعائشة صفي لنا أباك قالت كان أبيض نحيف الجسم خفيف العارضين أحنى لا يستمسك ازاره معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الاشاجع اقرع وكان عمر بن الخطاب أصلع وكان ابو بكر يخضب بالحناء والكتم . وقال أبوجعفر الانصاري رأيت أبا بكر كأن لحيته ورأسه جمر الغضى . وقال أنس بن مالك قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس في

أصحابه أشمط غير أبي بكر فغلفها بالحناء والكتم . وتوفي مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال . وكان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله . خلافة ابي بكر رضي الله عنه: شعبة عن سعد بن ابراهيم عن عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت يارسول الله ان أبا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فأمر عمر فليصل بالناس قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت عائشة فقلت لحفصة قولي له ان أبا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فأمر عمر ففعلت حفصة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس . أبو جعدة : عن الزبير قال قالت حفصة يارسول الله انك مرضت فقدمت ابا بكر قال لست الذي قدمته ولكن الله قدمه . أبو سلمة : عن اسماعيل بن مسلم عن أنس قال صلى أبو بكر بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم مريض ستة أيام . النضر بن اسحق : عن الحسن قال قيل لعلي علام بايعت أبا بكر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت فجاة كان يأتيه بلال في كل يوم في مرضه يؤذنه بالصلاة فيأمر ابا بكر فيصلي بالناس وقد تركني وهو يرى مكاني فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي المسلمون لدنياهم من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينهم فبايعوه وبايعته . ومن حديث الشعبي : قال أول من قدم مكة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة ابي بكر عبد ربه بن قيس بن السائب المخزومي . فقال له أبو قحافة من ولي الامر بعده قال ابو بكر ابنك قال فرضي بذلك بنو عبد مناف قال نعم قال لا مانع لما اعطى الله ولا معطي لما منع الله . جعفر بن سليمان : عن مالك ابن دينار قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان غائب في مسعاة أخرجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما انصرف لقي رجلا في بعض طريقه مقبلا من المدينة فقال له مات محمد قال نعم . قال فمن قام مقامه قال ابو بكر . قال ابو سفيان فما فعل المستضعفان علي والعباس . قال جالسين قال اما والله لئن بقيت لهما لارفعن من اعقابهما ثم قال اني أرى غبرة لا يطفئها الا الدم . فلما قدم المدينة جعل يطوف في ازقتها ويقول

بني هاشم لا تطمع الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة او عدي
فما الامر الا فيكم واليكم * وليس لها الا أبو حسن علي

فقال عمر لابي بكر ان هذا قد قدم وهو فاعل شرا . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفه على

الاسلام فدع له ما بيده من الصدقة ففعل فرضي أبو سفيان و بايعه

٣ — سقيفة بن ساعدة — أحمد بن الحرث عن أبي الحسن عن أبي معشر عن المقبري ان المهاجرين بينما هم في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قبضه الله اليه اذ جاء معن بن عدي وعويم بن ساعدة . فقالا لابي بكر باب فتنة ان يغلقه الله بك هذا سعد بن عبادة والانصار يريدون ان يبايعوه فمضى ابو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى جاؤا سقيفة بني ساعدة وسعد على طنفسة متكئا على وسادة و به الحمى . فقال له أبو بكر ماذا ترى اباثابت قال أنا رجل منكم فقال حباب ابن المنذر منا أمير ومنكم أمير فان عمل المهاجري في الانصاري شيا رد عليه وان عمل الانصاري في المهاجري شيا رد عليه وان لم تفعلوا فانا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب لنعيدنها جذعة . قال عمر فاردت ان أتكلم وكنت زورت كلاما في نفسي . فقال أبو بكر على رسلك ياعمر فما ترك كلمة كنت زورتها في نفسي الا تكلم بها . وقال نحن المهاجرون أول الناس اسلاما وأكرمهم احسابا واوسطهم دارا واحسنهم وجوها وأمسهم برسول الله صلى الله عليه وسلم رحما وأنتم اخواننا في الاسلام وشركاؤنا في الدين نصرتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا فنحن الامراء وأنتم الوزراء لاتدين العرب الالهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر بن الخطاب واباعبيدة بن الجراح . فقال عمر يكون هذا وانت حي ما كان أحد ليؤخرك عن مقامك الذي اقامك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ضرب على يده فبايعه وبايعه الناس وازدحموا على أبي بكر . فقالت الانصار قتلتم سعدا . فقال عمر اقتلوه قتله الله فانه صاحب فتنة فبايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعلى التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال على ماهذا قال العباس ماريء مثل هذا قط ماقلت لك . ومن حديث النعمان بن بشير الانصاري : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم الناس من يقوم بالامر بعده . فقال قوم أبو بكر وقال قوم أبي بن كعب قال النعمان بن بشير فاتيت أبيا قلت ياأبي ان الناس قد ذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف أبا بكر واياك فانطلق حتى تنظر في هذا الامر . فقال ان عندي في هذا الامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ما أنا بذاكره حتى يقبضه الله اليه . ثم انطلق وخرجت معه حتى دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصبح

وهو يحسو حسوا فى قصعة مشوبة . فلما فرغ أقبل على أبى فقال هذا ما قلت لك قال فاوص بنا فخرج يخط برجليه حتى صار على المنبر . ثم قال يامعشر المهاجرين انكم اصبحتم تزيدون واصبحت الانصار كما هى لا تزيد ألا وان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فمن ولى من أمرهم شيأ فليقبل من محسنهم ويعف عن مسيئهم ثم دخل فلما توفى قيل لى هاتيك الانصار مع سعد بن عبادة يقولون نحن أولى بالامر والمهاجرون يقولون لنا الامر دونكم فاتيت أبيا فقرعت بابه فخرج الى ملتحفا . فقلت ألا أراك قاعدا ببيتك مغلقا عليك بابك وهؤلاء قومك فى بنى ساعدة ينازعون المهاجرين فاخرج الى قومك فخرج . فقال انكم والله ما أنتم من هذا الامر فى شىء وانه لهم دونكم يليها من المهاجرين رجلان ثم يقتل الثالث وينزع الامر فيكون ههنا وأشار الى الشام وان هذا الكلام لمبلول بريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغلق بابه ودخل . ومن حديث حذيفة : قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى لا أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى وأشار الى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه ﴿الذين تخلفوا عن بيعة أبى بكر﴾ على والعباس والزبير وسعد بن عبادة فاما على والعباس والزبير فقعدوا فى بيت فاطمة حتى بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة . وقال له ان أبوا فقاتلهم فاقبل بقبس من نار على ان يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة . فقالت يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا قال نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الامة فخرج على حتى دخل على أبى بكر فبايعه . فقال له أبو بكر أكرهت امارتى فقال لا ولكننى آليت ان لا أرتدى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفظ القرآن فعليه حبست نفسى . ومن حديث الزهرى : عن عروة عن عائشة قالت لم يبايع على أبا بكر حتى ماتت فاطمة وذلك لستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه وسلم فارسل على الى أبى بكر فاتاه فى منزله فبايعه . وقال والله ما نفسنا عليك ما ساق الله اليك من فضل وخير ولكنا كنا نرى ان لنا فى هذا الامر شيأ فاستبديت به دوننا وما ننكر فضلك . واما سعد بن عبادة فانه رحل الى الشام . أبو محمد : عن الكلبى قال بعث عمر رجلا الى الشام فقال ادعه الى البيعة واحمل له بكل ما قدرت عليه فان أبى فاستعن الله عليه . فقدم الرجل الشام فلقيه بحوران فى حائط فدعاه الى البيعة فقال لا أبايع قرشيا أبدا قال فانى أقاتلك قال وان قاتلتنى قال أفخارج أنت مما دخلت فيه الامة قال اما من البيعة فانا خارج فرماه بسهم فقتله . ميمون بن مهران : عن ابيه قال رمى سعد بن

عبادة فى حمام بالشام فقتل . سعيد بن أبى عروة : عن ابن سيرين قال رمى سعد بن عبادة بسهم فوجد دفينا فى جسده فمات فبكته الجن فقالت :

نحن قتلنا سيد الخز * رج سعد بن عباده

رميناه بســـهم * فلم يخط فؤاده

﴿ فضائل أبى بكر رضى الله عنه ﴾ محمد بن المنكدر قال نازع عمر أبا بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركونى وصاحبى ان الله بعثنى بالهدى ودين الحق الى الناس كافة فقالوا جميعا كذبت وقال أبو بكر صدقت وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجليسه فى الغار وأول من صلى معه وآمن به واتبعه . وقال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يريد بلالا وكان بلال عبدا لامية بن خلف فاشتراه أبو بكر وأعتقه وكان من مولدى مكة أبوه رباح وأمه حمامة وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم من أول من قام معك فى هذا الامر قال حر وعبد يريد بالحر أبا بكر وبالعبد بلالا وقال بعضهم على وخباب . أبو الحسن المداينى قال : دخل هرون الرشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الى مالك بن أنس فقيه المدينة فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة . قال يامالك صف لى مكان أبى بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحياة الدنيا . فقال مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره فقال شفيتنى يامالك . أبو سلمة : عن الشعبى ان عليا سئل عن أبى بكر وعمر فقال على الخبير سقطت كانا والله امامين صالحين مصلحين خرجا من الدنيا خميصين . وقال على بن أبى طالب : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وثنى أبو بكر وثلث عمر ثم خبطتنا فتنة عمياء كما شاء الله . وقالت عائشة : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بابى لهدها اشرأب النفاق وارتدت العرب فوالله ما طار وافى نقطة الا طار أبى لحظها وعنائها فى الاسلام . عمرو بن عثمان عن أبيه عن عائشة أنه بلغها أن اناسا يتناولون من أبيها فارسلت اليهم . فلما حضروا قالت ان أبى والله لا تعطوه الايد طود منيف وظل ممدود ونجح اذ كذبتم وسبق اذ ونيتم سبق الجواد اذا استولى على الامر فتى قريش ناشئا وكهفها كهلا يفك عانيها ويريش مملقها ويرأب شعبها فما برحت شكيمته فى ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيى فيه ما أمات المبطلون . وكان وقيذ الجوانح غزير الدمعة شجى النشيج وتصفقت اليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزؤن به والله

يستهزىء بهم و يمدهم فى طغيانهم يعمهون وأكثرت ذلك رجالات قريش فما فلوا له صفاة ولا قصموا اقناة حتى ضرب الحق بجرانه والقى بركه و رست أوتاده . فلما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله وأجلب بخيله و رجله . فقام الصديق حاسرا مشمرا فرد الاسلام على غربه واقام أود ثقافه فانذعر النفاق بوطنه وانتاش الناس بعدله حتى أزاح الحق على أهله وحقن الدماء فى أهبها . ثم أتته منيته فسد ثلمته نظيره فى المرحمة وشقيقه فى المعدلة ذلك ابن الخطاب لله در أم حفلت له ودرت عليه ففتح الفتوح وشرد الشرك و بعج الارض فقاءت أكلها ولفظت جناها ترأمه و يأباها وتريده و يصرف عنها . ثم تركها كما صحبها فارونى ماذا ترون وأى يومى ابى تنقمون أيوم اقامته اذ عدل فيكم أم يوم ظلعته اذ نظر لكم أقول هذا واستغفر الله لى ولكم ﴿ وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾ الليث بن سعد عن الزهرى قال أهدى لابى بكر طعام وعنده الحرث بن كلدة فأكلا منه . فقال الحرث أكلنا سم سنة وانى واياك لميتان عند رأس الحول فماتا جميعا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وانما سمته يهود كما سمت النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر فى ذراع الشاة . فلما حضرت النبىّ صلى الله عليه وسلم الوفاة قال مازالت أكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت أبهرى وهذا مثل ما قال الله تعالى «ثم لقطعنا منه الوتين» والابهرى والوتين عرقان فى الصلب اذا انقطع أحدهما مات صاحبه . الزهرى: عن عروة عن عائشة قالت اغتسل أبو بكر يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لايخرج الى صلاة وكان يأمر عمر يصلى بالناس وتوفى ليلة الثلثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وغسلته امرأته أسماء بنت عميس وصلى عليه عمر بن الخطاب بين القبر والمنبر وكبر أربعا . الزهرى : عن سعيد بن المسيب قال لما توفى أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح فبلغ ذلك عمر فنهاهن فابين . فقال لهشام بن الوليد اخرج الى بنت أبى قحافة فأخرج اليه أم فروة فعلاها بالدرة ضربا فتفرق النوائح وقالت عائشة وأبوها يغمض رضى الله عنه :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للارامل

قالت عائشة فنظر الىّ وقال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغمى عليه فقالت :

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر الى كالغضبان وقال قولى «وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد» ثم قال انظروا ملاءتى خلق فاغسلوهما وكفنونى فيهما فان الحى أحوج الى الجديد من الميت . عروة بن الزبير

والقاسم بن محمد قالا : أوصى أبو بكر عائشة ان يدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما توفى حفر له وجعل رأسه بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند حقوى أبى بكر و بقى فى البيت موضع قبر . فلما حضرت الوفاة الحسن بن على أوصى بان يدفن مع جده فى ذلك الموضع فلما أراد بنوهاشم ان يحفروا له منعهم مروان وهو والى المدينة فى أيام معاوية . فقال أبوهريرة علام تمنعه ان يدفن مع جده فاشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة قال له مروان لقد ضيع الله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يروه غيرك قال أنا والله لقد قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من احب ومن ابغض ومن نفى ومن أقر ومن دعا له ومن دعا عليه قال وسطح قبر أبى بكر كما سطح قبر النبي صلى الله عليه وسلم و رش بالماء . هشام بن عروة عن أبيه : ان آبا بكر صلى عليه ليلا ودفن ليلا ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم وعاش أبوقحافة بعد أبى بكر أشهرا وأياما ووهب نصيبه فى ميراثه لولد أبى بكر . وكان نقش خاتم أبى بكر نعم القادر الله . ولما قبض أبو بكر سجى بثوب فارتجت المدينة من البكاء ودهش القوم كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء على بن أبى طالب باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم اسلاما وأخلقهم ايمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم غنى واحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم على الاسلام وأحماهم عن أهله وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وصمتا فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله فى كتابه صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به يريد محمدا ويريدك كنت والله للاسلام حصنا وللكافرين نا كبا لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك قويا فى دينك متواضعا فى نفسك عظيما عند الله جليلا فى الارض كبيرا عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا هوى فالضعيف عندك قوى والقوى عندك ضعيف حتى تاخذ الحق من القوى وتاخذ للضعيف فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك . القاسم بن محمد : عن عائشة أم المؤمنين انها دخلت على أبيها فى مرضه الذى توفى فيه فقالت ياأبت اعهد الى خاصتك وانفذ رأيك فى عامتك وانقل من دار جهازك الى دار مقامك انك محضور ومتصل بى لوعتك وأرى

تخاذل أطرافك وانتقاع لونك فالى الله تعزيتي عليك ولديه ثواب حزنى عليك ارقو فلا ارقى واشكو فلا اشكى . قال فرفع رأسه وقال يا أمه هذا يوم يخلى لى عن غطائى وأشاهد جزائى ان فرحا فدائم وان ترحا فقيم انى أطعت امانة هؤلاء القوم حين كان النكوس اضاعة والخذل تفريطا فشهيدى الله ما كان يقيلنى اياه فتعلقت بصحفتهم وتعللت بدرة لقحتهم فاقمت صلاتى معهم لا مختالا أشرا ولا مكاثرا بطرا لم أعد سد الجوعة ووري العورة وقرابة القوم من طوى عفص تهفو منه الاحشاء وتجف له الامعاء فاضطررت الى ذلك اضطرار المريض الى المعيف الآجن فاذا أنامت فردى اليهم صفحتهم وعبدهم ولقحتهم ورحاهم ووثارة مافوقى اتقيت بها البرد ووثارة ماتحتى اتقيت بها أذى الارض كان حشوها قطع السعف . قال ودخل عليه عمر فقال ياخليفة رسول الله لقد كلفت القوم بعدك تعبا و وليتهم نصبا فهيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك

٤ — استخلاف أبى بكر لعمر — عبد الله بن محمد التيمى عن محمد بن عبد العزيز ان أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاة كتب عهده و بعث به مع عثمان بن عفان ورجل من الانصار ليقرأه على الناس . فلما اجتمع الناس قاما فقالا هذا عهد أبى بكر فان تقروا به نقرؤه وان تنكروه نرجعه فقال بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد أبى بكر بن أبى قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويشقى الفاجر ويصدق الكاذب انى أمرت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل واتقى فذاك ظنى به ورجائى فيه وان بدّل وغير فالخير اردت ولا يعلم الغيب الا الله . قال أبو صالح : أخبرنا محمد بن وضاح قال حدثنى محمد بن زمج بن مهاجر التجيبى قال حدثنى الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه انه دخل على أبى بكر رضى الله عنه فى مرضه الذى توفى فيه فاصابه مفيقا . فقال أصبحت بحمد الله بارئا قال أبو بكر أبرأه الله . قال نعم قال اما انى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعى انى وليت أمركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم من ذلك انفه يريد ان يكون له الامر ورأيتم الدنيا مقبلة . ولما تقبل وهى مقبلة حتى تتخذوا استور الحرير ونضائد الديباج وتألمون الاضطجاع على الصوف الازدى كما يألم أحدكم الاضطجاع على شوك السعدان والله لان يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من ان يخوض فى غمرة الدنيا الا وانكم اول ضال بالناس غدا فتصدوهم عن الطريق يمينا وشمالا

ياهادى الطريق انما هو الفجر أو النحر قال فقلت له خفض عليك يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك انما الناس فى امرك بين رجلين اما رجل رأى ما رأيت فهو معك واما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب ولا نعلمك أردت الا الخير ولم تزل صالحا مصلحا مع انك لا تأسى على شىء من الدنيا . فقال أجل انى لا آسى على شىء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت انى تركتهن وثلاث تركتهن و وددت انى فعلتهن وثلاث وددت انى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن . فاما الثلاث التى فعلتهن و وددت انى تركتهن فوددت انى لم أكشف بيت فاطمة عن شىء وان كانوا أغلقوه على الحرب و وددت انى لم أكن حرقت الفجاءة السلمى وانى قتلته شديخا أو خليته نجيحا و وددت انى يوم سقيفة بنى ساعدة قدمت الامر فى عنق احد الرجلين فكان أحدهما أميرا وكنت له وزيرا يعنى بالرجلين عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح . وأما الثلاث التى تركتهن و وددت انى فعلتهن فوددت انى يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه يخيل الى انه لا يرى شرا الا أعان عليه و وددت انى يوم سيرت خالد بن الوليد الى اهل الردة اقمت بذى القصة فان ظفر المسلمون ظفروا وان انهزموا كنت بصدد لقاء أو مدد و وددت انى وجهت خالد بن الوليد الى الشام ووجهت عمر بن الخطاب الى العراق فاكون قد بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله . وأما الثلاث التى وددت انى أسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فانى وددت انى سألته لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه احد وانى سألته هل للانصار فى هذا الامر نصيب فلا يظلموا نصيبهم منه و وددت انى سالته عن بنت الاخ والعمة فان فى نفسى منهما شيئاً

٥ — نسب عمر بن الخطاب وصفته — أبو الحسن على بن محمد قال هو عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك . وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهاشم هو ذو الرمحين . قال أبو الحسن : كان عمر رجلا آدم مشربا بحمرة طويلا اصلع له حفافان حسن الخدين والانف والعينين غليظ القدمين والكفين مجدول اللحم حسن الخلق ضخم الكراديس اعسر ايسر اذا مشى كانه راكب . ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وطعن لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من التاريخ

فعاش ثلاثة أيام و يقال سبعة ايام . معدان بن أبي صفحة قال : قتل عمر يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة فى رواية الشعبي ولها مات أبو بكر ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم . فضائل عمر بن الخطاب : أبو الاشهب عن الحسن قال عاتب عيينة عثمان فقال له كان عمر خير الناس منك اعطانا فاغنانا وأخشانا فاتقانا . وقيل لعثمان مالك لا تكون مثل عمر قال لا استطيع ان أكون مثل لقمان الحكيم . القاسم بن عمر قال كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة . وقيل ان عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة فزوجوها المغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا زوجتم عمر فانه خير قريش أولها آخرها الا ما جعل الله لرسوله . الحسن بن دينار : عن الحسن قال ما فضل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اطولهم صلاة وأكثرهم صياما ولكنه كان أزهدهم فى الدنيا وأشدهم فى أمر الله . وتظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى انه ضربه وتعدى عليه فقال اللهم انى لا أحل لهم اشعارهم ولا أبشارهم كل من ظلمه أميره فلا أمير عليه دونى ثم اقاده منه . عوانة عن الشعبي قال كان عمر يطوف فى الاسواق و يقرأ القرآن و يقضي بين الناس حيث ادركه الخصوم . وقال المغيرة بن شعبة : وذكر عمر فقال كان والله له فضل يمنعه ان يخدع وعقل يمنعه ان ينخدع فقال عمر لست بخب ولا الخب يخدعني . عكرمة عن ابن عباس : قال بينما أنا أمشي مع عمر بن الخطاب فى خلافته وهو عامد لحاجة له وفى يده الدرة فانا أمشي خلفه وهو يحدث نفسه و يضرب وحشى قدميه بدرته اذا التفت الى . فقال يا ابن عباس أتدرى ما حملنى على مقالتي التي قلت يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا . قال الذى حملنى على ذلك انى كنت أقرأ هذه الآية « وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا » فوالله انى كنت لاظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد علينا باحنف أعمالنا فهو الذى دعانى الى ما قلت . ابن داب قال : قال ابن عباس خرجت أريد عمر فى خلافته فالفيته راكبا على حمار قد أرسنه بحبل أسود وفى رجليه نعلان مخصوفتان وعليه ازار قصير وقميص قصير قد انكشفت منه ساقاه فمشيت الى جنبه وجعلت اجبذ الازار عليه فجعل يضحك و يقول انه لا يطيعك حتى أتى العالية فصنع له قوم طعاما من خبز ولحم فدعوه اليه وكان عمر صائما فجعل ينبذ الى الطعام و يقول كل لى ولك . ومن حديث ابن وهب : عن الليث ان أبا بكر لم يكن يأخذ من بيت المال شيا ولا يجرى عليه من الفيء درهما الا انه استلف منه مالا . فلما

حضرته الوفاة أمر عائشة برده . واما عمر بن الخطاب كان يجرى على نفسه درهمين كل يوم فلما ولى عمر بن عبد العزيز قيل له لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب . قال كان عمر لا مال له وأنا مالى يغنينى فلم يأخذ منه شيأ . أبو حاتم : عن الاصمعى قال قال عمر وقام على الردم أين حقك يا أبا سفيان مما ههنا . قال ما تحت قدميك الى قال طالما كنت قديم الظلم ليس لاحد فيما وراء قدمى حق انما هى منازل الحاج . قال الاصمعى وكان رجل من قريش قد تقدم صدر من داره عن قدمى عمر فهدمه واراد ان يغور البئر فقيل له فى البئر للناس منفعة فتركها . قال الاصمعى اذا ودع الحاج ثم بات خلف قدمى عمر لم أر عليه أن يرجع يقول قد خرج من مكة ﴿مقتل عمر﴾ أبو الحسن كان للمغيرة بن شعبة غلام نصرانى يقال له فيروز أبو لؤلؤة وكان نجار الطيفا وكان خراجه ثقيلا فشكا الى عمر ثقل الخراج وساله أن يكلم مولاه ان يخفف عنه من خراجه . فقال له وكم خراجك قال ثلاثة دراهم فى كل شهر . قال وما صناعتك قال نجار . قال ما أرى هذا ثقيلا فى مثل صناعتك فخرج مغضبا فاستعمل خنجرا محدود الطرفين وكان عمر قد رأى فى المنام ديكا احمر ينقره ثلاث نقرات فتاوله رجلا من العجم يطعنه ثلاث طعنات فطعنه أبو لؤلؤة بخنجره ذلك فى صلاة الصبح ثلاث طعنات احداها بين سرته وعانته فخرقت الصفاق وهى التى قتلته وطعن فى المسجد معه ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة . فاقبل رجل من بنى تميم يقال له حطان فالقى كساء عليه ثم احتضنه . فلما علم العلج انه مأخوذ طعن نفسه وقدم عمر صهيبا يصلى بالناس فقرأ بهم فى صلاة الصبح . قل هو الله أحد فى الركعة الاولى وقل يا أيها الكافرون فى الركعة الثانية واحتمل عمر الى بيته . فعاش ثلاثة أيام ثم مات وقد كان استاذن عائشة ان يدفن فى بيتها مع صاحبيه فاجابته وقالت والله لقد كنت أردت ذلك المضطجع لنفسى ولاوثرنه اليوم على نفسى . فكانت ولاية عمر عشر سنين صلى عليه صهيب بين القبر والمنبر ودفن عند غروب الشمس . كاتبه زيد بن ثابت وكتب له معيقيب أيضا . وحاجبه يرفا مولاه وخازنه يسار وعلى بيت ماله عبد الله بن ارقم . وقال الليث بن سعد كان عمر أول من جند الاجناد ودون الدواوين . وجعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ليختاروا منهم رجلا يولونه أمر المسلمين وأوصى ان يحضر عبد الله بن عمر معهم وليس له من أمر الشورى شىء

٦ — أمر الشورى فى خلافة عثمان بن عفان — صالح بن كيسان قال قال ابن عباس دخلت على عمر فى أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له رجل ليس عليك باس قال لئن لم يكن على اليوم ليكونن بعد اليوم وان للحياة لنصيبا من القلب وان للموت لكربة وقد كنت أحب ان أنجى نفسى وأنجو منكم وما كنت من أمركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى ان يموت دونها فهو يركض بيديه ورجليه واشد من الغريق الذى يرى الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هى مالبستها فاخلقتها وثمرتكم يانعة فى اكمامها ما اكلتها وما جنيت ما جنيت الا لكم وما تركت ورائى درهما ماعدا ثلاثين أو أربعين درهما ثم بكى وبكى الناس معه . فقلت ياأمير المؤمنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وان المسلمين راضون عنك قال المغرور والله من غررتموه اما والله لوان لى ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع . داود بن أبى هند : عن قتادة قال لما ثقل عمر قال لولده عبد الله ضع خدى على الارض فكره ان يفعل ذلك فوضع عمر خده على الارض وقال ويل لعمر ولام عمر ان لم يعف الله عنه . أبو أمية ابن يعلى عن نافع قال قيل لعبد الله بن عمر تغسل الشهداء قال كان عمر افضل الشهداء فغسل وكفن وصلى عليه يونس بن الحسن : وهشام بن عروة عن أبيه قال : لما طعن عمر بن الخطاب قيل له ياأمير المؤمنين لواستخلفت . قال ان تركتكم فقد تركتكم من هو خير منى وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير منى . ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سالنى ربى قلت سمعت نبيك يقول انه آمين هذه الامة . ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته فان سالنى ربى قلت سمعت نبيك يقول ان سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه قيل له فلو انك عهدت الى عبد الله فانه له أهل فى دينه وفضله وقديم اسلامه قال بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددت أنى نجوت من هذا الامر كفافا لالى ولا على ثم راحوا فقالوا ياامير المؤمنين لوعهدت فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم أن أولى رجلا امركم ارجو أن يحملكم على الحق وأشار الى على . ثم رايت أن لا أحملها حيا ولا ميتا فعليكم بهؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

ولست مدخله فيهم ولكن الستة علي وعثمان ابنا عبد مناف وسعد وعبد الرحمن ابن عوف خال رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وطلحة الخير فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم واليا فاحسنوا موازرته . فقال العباس لعلى لاتدخل معهم قال أكره الخلاف قال اذا ترى ماتكره فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعداً والزبير وعبد الرحمن ثم قال انى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وانى لا أخاف الناس عليكم ولكنى أخافكم على الناس وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض فاجتمعوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا واختاروا منكم رجلا وليصل بالناس صهيب ثلاثة أيام ولا يأتى اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم و يحضركم عبد الله مشيرا ولا شئ له من الامر وطلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الثلاثة أيام فاحضروه وأمركم وان مضت الثلاثة أيام قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لى بطلحة فقال سعد انا لك به ان شاء الله ثم قال لابى طلحة الانصارى يا أبا طلحة ان الله قد أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود الكندى اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن وطلحة ان حضر وأحضر عبد الله بن عمر وليس له فى الامر شئ وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة على رأى واحد وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع أربعة فرضوا وأبى الاثنان فاضرب رأسيهما فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس وخرجوا فقال على لقوم معه من بنى هاشم ان أطيع فيكم قومكم فلن يؤمروكم أبدا وتلقاه العباس . فقال له عدلت عنا قال له وما أعلمك قال قرن بى عثمان . ثم قال ان رضى رجلان رجلا و رجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فلو كان الآخران معى ما نفعانى فقال العباس لم أدفعك فى شئ الا رجعت الى متأخرا بما أكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الامر فابيت وأشرت عليك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعاجل الامر فابيت وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فابيت فاحفظ عنى واحدة كلما عرض عليك القوم فامسك الى ان يولوك واحذر هذا الرهط فانهم لا يبرحون

يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم لنا فيه غيرنا . فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى على وعثمان أيهما يصلى عليه . فقال عبد الرحمن كلا كما يحب الامر لستما من هذا فى شىء هذا صهيب استخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على امام فصلى عليه صهيب . فلما دفن عمر جمع المقداد بن الاسود أهل الشورى فى بيت عائشة باذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا طلحة ان يحجبهم . وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحضهما سعد وأقامهما . وقال تريدان تقولا حضرنا وكنا فى الشورى فتنافس القوم فى الامر وكثر بينهما الكلام كل يرى انه أحق بالامر . فقال أبو طلحة لا تدافعوا فانى أخاف ان تناقضوها لا والذى ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الايام الثلاثة التى أمرها عمر أو أجلس فى بيتى . فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد . قال فانا أنخلع منها قال عثمان أنا أول من رضى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عبد الرحمن أمين فى السماء أمين فى الارض فقال القوم رضينا وعلى ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال ان أعطيتنى موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا . قال اعطونى مواثيقكم على ان تكونوا معى على من نكل وان ترضوا بما أخذت لكم فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها الى عبد الرحمن فخلا بعلى فقال انك أحق بالامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك ولم تبعد فمن أحق بها بعدك من هؤلاء . قال عثمان ثم خلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك . فقال على ثم خلا بسعد فقال على ثم خلا بالزبير فقال عثمان فقال عمار بن ياسر لعبد الرحمن ان أردت ان لا يختلف عليك اثنان فول عليا . وقال ابن أبى سرح ان أردت ان لا يختلف عليك قرشى فول عثمان . وقال عبد الرحمن والله ما خلعت نفسى وأنا أرى فيه خيرا لانى علمت انه لا يلى بعد أبى بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره . فلما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الاحداث من أهل بيته وتقديم قرابته قيل لعبد الرحمن هذا كله فعلك قال لم أظن هذا به ولكن لله على ان لا أكلمه أبدا فمات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ودخل عليه عثمان عائدا فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه . ذكروا ان زيادا أوفد ابن حصين على معاوية فاقام عنده ما أقام ثم ان معاوية بعث اليه ليلا فخلا به . فقال له يا ابن حصين قد بلغنى ان عندك ذهنا وعقلا فاخبرنى عن شىء أسألك عنه . قال سلنى عما بدا لك قال اخبرنى ما الذى شتت أمر المسلمين وملأهم وخالف بينهم قال نعم قتل الناس عثمان قال ما صنعت شيأ قال فمسير على اليك وقتاله اياك . قال ما صنعت شيأ قال فمسير طلحة والزبير وعائشة وقتال

على اياهم قال ماصنعت شيئاً قال ماعندى غيرهذا يا أمـير المؤمنين . قال فانا أخبرك انه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم الا الشورى التى جعلها عمر الى سـتة نفر وذلك ان الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فعمل بما أمره الله به ثم قبضه الله اليه وقدم أبا بكر للصلاة فرضوه لامر دنياهم اذ رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر دينهم فعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسيره حتى قبضه الله واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ثم جعلها شورى بين ستة نفر فلم يكن رجل منهم الا رجاها لنفسـه ورجاها له قومه وتطلعت الى ذلك نفسه ولو ان عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك اختـلاف . وقال المغيرة بن شعبة : انى لعند عمر بن الخطاب ليس عنده أحد غيرى اذ اتاه آت فقال هـل لك يا أمير المؤمنين فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون ان الذى فعل أبو بكر فى نفسه وفيك لم يكن له وانه كان بغير مشورة ولا مؤامرة . وقالوا تعالوا نتعاهد ان لا نعود الى مثلها قال عمر واين هم قال فى دار طلحة فخرج نحوهم وخرجت معه وما أعلمه يبصرنى من شـدة الغضب . فلما رأوه كرهوه وظنوا الذى جاء له فوقف عليهـم . وقال أنتم القائلون ما قلتم والله لا تتحابوا حـتى يتحاب الاربعة الانسان والشـيطان يغويه وهو يلعنه والنار والماء يطفئها وهى تحرقه ولم يأن لكم بعد وقد آن ميعادكم ميعاد المسيح متى هو خارج قال فتفرقوا فسلك كل واحد منهم طريقا قال المغيرة قال لى ادرك ابن أبى طالب فاحبسـه على . فقلت لا يفـعل أمير المؤمنين فوالله ما غددت أبغضهم فقال ادركه والا قلت لك يا ابن الدباغة قال فادركته فقلت له قف مكانك لامامك واحلم فانه سلطان وسيندم وتندم . قال فاقبل عمر فقال والله ما خرج هذا الامر الا من تحت يدك . قال على اتق ان لا تـكون الذى نطيعك فنفتنك . قال وتحب ان تـكون هو قال لا ولـكننا نذكرك الذى نسيت فالتفت الى عمر فقال انصرف فقد سمعت منا عنـد الغضب ما كفاك فتنحيت قريبا وما وقفت الا خشية ان يكون بينهـما شىء فأكون قريبا فتـكلما كلاما غير غضبانين ولا راضيين . ثم رأيتهما يضحكان وتفرقا وجاءنى عمر فمشيت معـه وقلت يغفر الله لك أغضبت قال فاشار الى على وقال أما والله لولا دعابة فيه ماشككت فى ولايته وان نزلت على رغم أنف قريش العتبى عن أبيـه : ان عتبـة بن أبى سفيان قال كنت مع معاوية فى دار كندة اذ أقبل الحسن والحسين ومحمـد بنو على بن أبى طالب . فقلت يا أمـير المؤمنين ان لهؤلاء القوم اشعارا وابشارا وليس مثلهم كذب وهم يزعمون ان أباهم كان يعلم فقال اليك من صوتك فقـد قرب القوم فاذا قاموا

فذ كرني بالحديث . فلما قاموا قلت يا أمير المؤمنين ما سألتك عنه من الحديث قال كل القوم كان يعلم وكان أبوهم من أعلمهم ثم قال قدمت على عمر بن الخطاب فاني عنده اذ جاءه علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاستأذنوا فاذن لهم فدخلوا وهم يتدافعون و يضحكون فلما رآهم عمر نكس فعلموا انه على حاجة فقاموا كادخلوا فلما قاموا أتبعهم بصره فقال فتية أعوذ بالله من شرهم وقد كفاني الله شرهم قال ولم يكن عمر بالوجل يسأل عما لا يفسر . فلما خرجت جعلت طريقي على عثمان فحدثته الحديث وسالته الستر . قال نعم على شريطة قلت هي لك قال تسمع ما أخبرك به و تسكت اذا سكت قال نعم قال ستة يقدح بينهم زناد الفتنة يجري الدم منهم على أربعة قال ثم سكت وخرجت الى الشام . فلما قدمت على عمر فحدث من أمره ما حدث فلما مضت الشورى ذكرت الحديث فاتيت بيت عثمان وهو جالس و بيده قضيب فقلت يا أبا عبد الله تذكر الحديث الذي حدثتني قال فازم على القضيب عضا ثم أقلع عنه وقد أثر فيه فقال ويحك معاوية أي شيء ذكرتني لولا ان يقول الناس خاف ان يؤخذ عليه لخرجت الى الناس منها قال فابى قضاء الله الا ماترى . أبو الحسن قال : لما خاف علي بن أبي طالب عبد الرحمن بن عوف والزبير وسعدا ان يكونوا مع عثمان لقي سعدا ومعه الحسن والحسين . فقال له «اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا» أسالك برحم ابني هذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم و برحم عمي حمزة منك ان لا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا على لعثمان فاني أدلي بما لا يدلي به عثمان ثم دار عبد الرحمن لياليه تلك على مشايخ قريش يشاورهم فكلهم يشير بعثمان حتى اذا كان في الليلة التي استكمل في صبيحتها الاجل اتى منزل المسور بن مخرمة بعد هجعة من الليل فايقظه . فقال ألا أراك نائما ولم أذق في هذه الليالي نوما فانطلق فادع لي الزبير وسعدا فدعا بهما فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد . فقال خل بني عبد مناف لهذا الامر فقال نصيبي لعلي . فقال لسعد انا وانت كلالة فاجعل نصيبك لي فاختار قال اما ان اخترت نفسك فنعم واما ان اخترت عثمان فعلي احب الي منه . قال يا أبا اسحق اني قد خلعت نفسي منها على ان اختار ولو لم افعل وجعل الي الخيار ما اردتها اني رأيت كاني في روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل لم ار مثله فحلا اكرم منه فمر كانه سهم لا يلتفت الى شيء مما في الروضة حتى قطعها ودخل بعير تلاوة فاتبع اثره حتى خرج اليه من الروضة . ثم دخل فحل عبقري يجر خطامه يلتفت يمينا وشمالا و يمضي قصد الاولين ثم خرج من الروضة . ثم دخل بعير رابع فرتع

في الروضة ولا والله لا اكون البعير الرابع ولا يقوم بعد ابي بكر وعمر احد فيرضى الناس عنه . ثم ارسل المسور الى علي فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم ارسل المسور الى عثمان فناجاه طويلا حتى فرق بينهما اذان الصبح . فلما صلوا الصبح جمع اليه الرهط و بعث الى من حضره من المهاجرين والانصار والى امراء الاجناد حتى ارتج المسجد باهله . فقال ايها الناس ان الناس قد احبوا أن تلحق اهل الامصار بامصارهم وقد علموا من اميرهم . فقال عمار ابن ياسر ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا واطعنا . قال ابن ابي سرح ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان ان بايعت عثمان سمعنا واطعنا فشتم عمار ابن ابي سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم و بنو امية . فقال عمار ايها الناس ان الله أكرمنا بنبينا وأعزنا بدينه فانى تصرفون هذا الامر عن بيت نبيكم فقال له رجل من بني مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لانفسها . فقال سعد بن أبي وقاص افرغ قبل أن يفتتن الناس فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ودعا عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده . قال اعمل بمبلغ علمي وطاقتي ثم دعا عثمان . فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده . فقال نعم فبايعه فقال علي حبوته محاباة ليس ذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا أما والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو في شأن فقال عبد الرحمن يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا فاني قد نظرت وشاورت الناس فاذاهم لا يعدلون بعثمان أحدا فخرج علي وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله . قال المقداد اما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق و به يعدلون . فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال لئن كنت أردت بذلك الله فاثابك الله ثواب المحسنين . ثم قال المقداد ما رأيت مثل ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبيهم ولا أقضي منهم بالعدل ولا اعرف بالحق أما والله لو أجد أعوانا . قال له عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فاني أخشى عليك الفتنة . قال وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه عثمان فقيل له ان الناس قد بايعوا عثمان فقال أكل قريش رضوا به قالوا نعم واتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس أمرك . قال طلحة فان أبيت أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه وبايعه . وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا أبا محمد قد أصبت

اذبايعت عثمان ولو بايعت غيره مارضيناه قال كذبت ياأعور لو بايعت غيره لبايعته وقلت هذه المقالة . وقال عبدالله بن عباس : ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لي ياابن عباس ما يمنع قومكم منكم وأنتم أهل البيت خاصة قلت لا أدرى . قال لكننى أدرى انكم فضلتموهم بالنبوة فقالوا ان فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيأ وان أفضل النصيبين بأيديكم بل ما أخالها الا مجتمعة لكم وان نزلت على رغم أنف قريش . فلما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الاحداث من أهل بيته على الجلة من أصحاب محمد قيل لعبد الرحمن هذا عملك قال ما ظننت هذا ثم مضى ودخل عليه وعاتبه وقال انما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال ان عمر كان يقطع قرابته فى الله وأنا أصل قرابتى فى الله . قال عبد الرحمن لله على ان لا اكلمك أبدا فلم يكلمه أبدا حتى مات ودخل له عثمان عائدا له فى مرضه فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه . ومما نقم الناس على عثمان انه آوى طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبي العاص ولم يؤوه ابو بكر ولا عمر وأعطاه مائة ألف وسير أباذر الى الربذة وسير عامر بن عبد قيس من البصرة الى الشام وطلب منه عبيد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمائة ألف وتصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بمهزون موضع سوق المدينة على المسلمين فاقطعها الحرث بن الحكم أخا مروان واقطع فدك مروان وهى صدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وافتتح افريقية وأخذ خمسه فوهبه لمروان . فقال عبد الرحمن بن جمل الجمحى:

فاحلف بالله رب الانا * م ماترك الله شيا سدى
ولكن خلقت لنا فتنة * لكى نبتلى بك أو تبتلى
فان الامينين قد بينا * منار الحق عليه الهدى
فما أخذا درهما غيلة * وما تركا درهما فى هوى
وأعطيت مروان خمس العبا * د هيهات تناؤك ممن تشا

٧ — نسب عثمان وصفته — هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف . أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمها البيضاء ابنة عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكان عثمان أبيض مشربا بصفرة كأنها فضة وذهب حسن القامة حسن الساعدين سبط الشعر أصلع الرأس أجمل الناس اذا اعتم

مشرف الانف عظيم الارنبة كثير شعر الساقين والذراعين ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين . ولما أسن شد اسنانه بالذهب وسلس بوله فكان يتوضا لكل صلاة ولى الخلافة منسلخ ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وقتل يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحى سنة خمس وثلاثين . وفى ذلك يقول حسان :

ضحوا باشمط عنون السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر ياثارات عثمانا

فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وستة عشر يوما وهو ابن أربع وثمانين سنة . وكان على شرطته وهو أول من اتخذ صاحب شرطة عبيد الله بن قنفذ وعلى بيت المال عبيد الله بن ارقم ثم استعفاه وكاتبه مروان وحاجبه حمران مولاه ﴿ فضائل عثمان ﴾ سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر قال اصاب الناس مجاعة فى غزوة تبوك فاشترى عثمان طعاما على مايصلح العسكر وجهز به عيرا فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى سواد مقبل فقال هذا جمل اشقر قد جاء كم بميرة فانيخت الركائب فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم انى قد رضيت عن عثمان فارض عنه وكان عثمان حليما سخيا محببا الى قريش حتى كان يقال أحبك والرحمن حب قريش لعثمان و زوجه النبى صلى الله عليه وسلم رقية ابنته فماتت عنده فزوجه أم كلثوم ابنته أيضا . الزهرى : عن سعيد بن المسيب قال لما ماتت رقية جزع عثمان عليها وقال يارسول الله انقطع صهرى منك قال ان صهرك منى لا ينقطع وقد أمرنى جبريل ان أزوجك أختها بامر الله . عبد الله بن عباس قال : سمعت عثمان ابن عفان يقول دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت فرآنى ضجعا لام كلثوم فاستعفر فقلت والذى بعثك بالحق ما أضجعت على أنثى بعدها . فقال ليس لهذا استغفرت فان الثياب للحى وللميت الحجر ولو كن ياعثمان عشرا لزوجتكهن واحدة بعد واحدة وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان فابى منها فشكاه عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال سيزوج الله ابنتك خيرا من عثمان و يزوج عثمان خيرا من ابنتك فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وزوج ابنته من عثمان بن عفان . ودخل عليه عثمان فسوى ثوبه عليه وقال كيف لا أستحى ممن تستحى منه الملائكة ﴿ مقتل عثمان بن عفان ﴾ الرياشى

عن الاصمعي قال : كان القواد الذين ساروا الى المدينة فى أمر عثمان أربعة عبد الرحمن بن عديس التنوخى وحكيم بن جبلة العبدى والاشتر النخعىُ وعبد الله بن فديك الخزاعى . فقدموا المدينة فحاصروه وحاصره معهم قوم من المهاجرين والانصار حتى دخلوا عليه فقتلوه والمصحف بين يديه . ثم تقدم وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر وأرادوا ان يقطعوا رأسه ويذهبوا به فرمت نفسه عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة وابنة شيبة بن علية فتركوه وخرجوا فلما كان ليلة السبت انتدب لدفنه رجال منهم جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو الجهم بن حذيفة وعبد الله بن الزبير فوضعوه على باب صغير وخرجوا به الى البقيع ومعهم نائلة بنت الفرافصة بيدها السراج فلما بلغوا به البقيع منعهم من دفنه فيه رجال من بنى ساعدة فردوه الى حش كوكب فدفنوه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم ويقال حكيم بن حزام ودخلت القبر نائلة بنت الفرافصة وأم البنين بنت عتبة زوجتاه وهما دلتاه فى القبر والحش البستان . وكان حش كوكب اشتراه عثمان فجعله أولاده مقبرة للمسلمين . يعقوب بن عبد الرحمن : عن محمد بن عيسى الدمشقى عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبى ذئب عن محمد بن شهاب الزهرى قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبرى كيف قتل عثمان ما كان شان الناس وشانه ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا . قلت وكيف ذاك قال ان عثمان لما ولى كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عثمان كان يحب قومه فولى الناس اثنتى عشرة سنة وكان كثيرا ما يولى بنى أمية ممن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة وكان يجيُ من أمرائه ما يكره اصحاب محمد فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم . فلما كان فى الحجج الآخرة استأثر بنى عمه فجرجوا فولاهم وأمرهم بتقوى الله وولى عبد الله بن أبى سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ومن قبل ذلك كانت من عثمان هناة الى عبد الله بن مسعود وأبى ذر وعمار بن ياسر فكانت هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فيها لابن مسعود . وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لابى ذر فى قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان بحال عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبى سرح فكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فابى ابن أبى سرح أن يقبل ما نهاه عثمان عنه وضرب رجلا ممن أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل الى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبى سرح . فقام طلحة

ابن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت اليه عائشة قد تقدمت اليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت ان تعزله فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك ودخل عليه علي وكان متكلم القوم . فقال انما سألوك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم وان وجب عليه حق فانصفهم منه . فقال لهم اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فاشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر . فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وأخرج معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه . فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذا هم بغلام اسود على بعير يخبط الارض خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له اصحاب محمد ما قصتك وما شانك كانك هارب اوطالب . فقال أنا غلام امير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقالوا هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا أريد واخبر بامره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه فاتى به . فقال له غلام من انت قال فاقبل مرة يقول غلام امير المؤمنين ومرة غلام مروان حتى عرفه رجل منهم انه لعثمان . فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يوجد معه شيء الا اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة فاذا فيها كتاب من عثمان الى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم . ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه اذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحتبس من جاء يتظلم منك ليأتيك في ذلك رأيي ان شاء الله . فلما قرؤا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه ودفعوا الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام واقرؤهم الكتاب فلم يبق أحد في المدينة الا حنق على عثمان وازداد من كان منهم غاضبا لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر غضبا وحنقا وقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلحقوا منازلهم ما منهم أحد الا وهو مغتم عاقرؤا في الكتاب وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بني تيم وغيرهم واعانه طلحة بن عبيد الله على ذلك . وكانت عائشة تقرضه كثيراً . فلما رأى ذلك علي بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم بدرى ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير . وقال له على هذا الغلام غلامك قال نعم والبعير بعيرك قال نعم والخاتم خاتمك . قال نعم قال فانت كتبت الكتاب . قال لا وحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت الغلام الى مصر قط . وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا فى أمر عثمان وسألوه ان يدفع اليهم مروان فابى . وكان مروان عنده فى الدار فخرج أصحاب محمد من عنده غضابا وشكوا فى أمر عثمان وعلموا انه لا يحلف باطلا الا ان قوما قالوا لا نبرئ عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب وكيف يامر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق فان يك عثمان كتبه عزلناه وان يك مروان كتبه على لسانه نظرنا فى أمره . ولزموا بيوتهم وأبى عثمان ان يخرج اليهم مروان وخشى عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فاشرف عليهم . فقال أفيكم على قالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا فسكت . ثم قال الا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح من سببها عدة من موالى بنى هاشم و بنى أمية حتى وصل اليه الماء فبلغ عليا ان عثمان يراد قتله . فقال انما أردنا منه مروان . فاما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه بمكروه . و بعث الزبير ولده و بعث طلحة ولده على كره منه . و بعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ليمنعوا الناس أن يدخلوا على عثمان وسألوه اخراج مروان ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم فى الدار وخضب محمد ابن طلحة وشج قنبر مولى على وخشى محمد بن أبى بكر ان تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فأخذ بيدى رجلين فقال لهما اذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان و بطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير ان يعلم أحد . فتسور محمد بن أبى بكر وصاحباه من دار رجل من الانصار و يقال من دار محمد ابن حزم الانصارى ومما يدل على ذلك قول الاحوص :

لا ترثين لحزمى ظفرت به * طرا ولو طرح الحزمى فى النار
الناخسين لمروان بذى خشب * والمدخلين على عثمان فى الدار

فدخلوا عليه وليس معه الا امرأته نائلة بنت الفرافصة والمصحف فى حجره ولا يعلم أحد ممن كان معه لانهم كانوا على البيوت فتقدم اليه محمد وأخذ بلحيته . فقال له عثمان ارسل لحيتى يا ابن أخى

فلو رآك أبوك اساءه مكانك فتراخت يده من لحيته وغمز الرجلين فوجا ه بمشاقص معهما حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت امرأته . فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا فا كبوا عليه يبكون و بلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا . وقال على لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وانتما على الباب ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن وشتم محمد بن ابى طلحة ولعن عبد الله بن الزبير ثم خرج على وهو غضبان يرى ان طلحة أعان عليه . فلقيه طلحة فقال مالك ياأبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال عليك وعليهما لعنة الله يقتل أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدرى ولم تقم بينة ولا حجة . فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال لو دفع مروان قتل قبل ان تثبت عليه حجة وخرج على فاتى منزله وجاءه القوم كلهم يهرعون اليه أصحاب محمد وغيرهما يقولون امير المؤمنين على بن أبي طالب . فقال ليس ذلك الا لاهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا . فقالوا ما نرى أحدا أولى بها منك فمد يدك نبايعك . فقال أين طلحة والزبير فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده . فلما رأى ذلك على خرج الى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد طلحة فبايعه بيده وكانت أصبعه شلاء فتطير منها على وقال ما أخلقه ان ينكث . ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعا . ثم نزل ودعا الناس وطلب مروان فهرب منه وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان مظلوما . فقال لها عمار انت بالامس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه وجاء على الى امرأة عثمان . فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدرى دخل رجلان لا أعرفهما الا ان أرى وجوههما وكان معهما محمد بن أبى بكر وأخبرته بما صنع محمد بن أبى بكر فدعا على بمحمد فسأله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد لم تكذب وقد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لى أبى فقمت وأنا تائب والله ما قتلته ولا امسكته . فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه ادخلهما . المعتمر عن أبيه : عن الحسن ان محمد بن أبى بكر أخذ بلحية عثمان . فقال له يا ابن أخى لقد قعدت منى مقعدا ما كان أبوك ليقعده . وفى حديث آخر انه قال يا ابن أخى لو رآك أبوك لساءه مكانك فاسترخت يده . وخرج محمد فدخل عليه رجل والمصحف فى حجره . فقال له بينى و بينك كتاب الله فخرج وتركه ثم دخل عليه آخر . فقال بينى و بينك كتاب الله فاهوى اليه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما انها أول يد خطت المفصل

﴿القواد الذين اقبلوا الى عثمان﴾ الاصمعى عن ابى عوانة قال: كان القواد الذين اقبلوا الى عثمان علقمة بن عثمان وكنانة بن بشر وحكيم بن جبلة والاشتر النخعى وعبد الله بن بديل . وقال أبو الحسن : لما قدم القواد قالوا لعلى قم معنا الى هذا الرجل قال لا والله لا اقوم معكم . قالوا فلم كتبت الينا قال والله ما كتبت اليكم كتابا قط . قال فنظر القوم بعضهم الى بعض وخرج على من المدينة . الاعمش : عن عيينه عن مسروق قال قالت عائشة مصتموه موص الاناء حتى تركتموه كالثوب الرحض نقيا من الدنس ثم عدوتم فقتلتموه . فقال مروان فقلت لها هذا عملك كتبت الى الناس تأمرينهم بالخروج عليه . فقالت والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم بسواد فى بياض حتى جلست فى مجلسى هذا فكانوا يرون انه كتب على لسان على وعلى لسانها كما كتب أيضا على لسان عثمان مع الاسود الى عامل مصر فكان اختلاق هذه الكتب كلها سببا للفتنة . وقال أبو الحسن : اقبل أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدى وأهل الكوفة عليهم الاشتر واسمه مالك بن الحرث النخعى فى أمر عثمان حتى قدموا المدينة . قال أبو الحسن لما قدم وفد أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا كتبت فينا كذا وكذا . قال انما هما اثنتان ان تقيموا رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذى لا اله الا هو ما كتبت ولا امليت ولا علمت وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا قد أحل الله دمك وحصروه فى الدار فارسل عثمان الى الاشتر . فقال ما يريد الناس منى قال واحدة من ثلاث ليس عنها بد . قال ما هى قال يخيرونك بين ان تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فقلدوه من شئتم واما ان تقتص من نفسك فان ابيت فالقوم قاتلوك . قال اما ان اخلع لهم أمرهم ما كنت لاخلع سربالا سربلنيه الله فتكون سنة من بعدى كلما كره القوم امامهم خلعوه واما ان اقتص من نفسى فوالله لقد علمت ان صاحبى بين يدى قد كانا يعاقبان وما يقوى بدنى على القصاص واما ان تقتلونى فلئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون بعدى جميعا أبدا . قال أبو الحسن فوالله لن يزالوا على النواء جميعا وان قلوبهم مختلفة . وقال أبو الحسن : اشرف عليهم عثمان قال انه لا يحل سفك دم امرىء مسلم الا فى احدى ثلاث كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير نفس فهل أنا فى واحدة منهن فما وجد القوم له جوابا ثم قال انشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعة من أصحابه أنا أحدهم فتزلزل الجبل حتى همت احجاره ان تتساقط فقال اسكن حراء فما عليك الا نبى

أوصديق أوشهيد قالوا اللهم نعم قال شهدوا لى و رب الكعبة . قال أبو الحسن : اشرف عليهم عثمان فقال السلام عليكم فما رد أحد عليه السلام . فقال أيها الناس ان وجدتم فى الحق ان تضعوا رجلى فى القيد فضعوها فما وجد القوم له جوابا . ثم قال استغفر الله ان كنت ظلمت وقد غفرت ان كنت ظلمت . يحيى بن سعيد : عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان فى الدار فقال اعزم على كل من رأى ان لى عليه سمعا وطاعة ان يكف يده و يلقى سلاحه فالقى القوم اسلحتهم . ابن أبى عروبة : عن قتادة ان زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار فقال ان هذه الانصار بالباب و تقول ان شئت كنا انصار الله مرتين قال لا حاجة لى فى ذلك كفوا . ابن أبى عروبة : عن يعلى بن حكيم عن نافع ان عبد الله بن عمر لبس درعه وتقلد سيفه يوم الدار فعزم عليه عثمان ان يخرج و يضع سلاحه و يكف يده ففعل . محمد بن سيرين . قال : قال سليط نهانا عثمان عنهم ولو أذن لنا عثمان فيهم لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارنا

﴿ ماقالوا فى قتلة عثمان ﴾ العتبى قال : رجل من بنى ليث لقيت الزبير قادما فقلت أبا عبد الله مابالك قال مطلوب مغلوب يغلبنى ابنى و يطلبنى ذنبى قال فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبى وقاص فقلت أبا اسحق من قتل عثمان قال قتله سيف سلته : عائشة وشحذه طلحة وسمه على قلت فما حال الزبير قال أشار بيده وصمت بلسانه . وقالت عائشة : قتل الله مذمما بسعيه على عثمان تريد محمدا أخاها وأهرق دم ابن بديل على ضلالته . وساق الى أعين بن تميم هوانا فى بيته و رمى الاشتر بسهم من سهامه لا يشرى . قال فما منهم أحد الا ادركته دعوة عائشة . سفيان الثورى قال : لقى الاشتر مسروقا فقال له أبا عائشة مالى أراك غضبان على ربك من يوم قتل عثمان بن عفان لو رأيتنا يوم الدار ونحن كأصحاب عجل بنى اسرائيل . وقال سعد بن أبى وقاص لعمار بن ياسر لقد كنت عندنا من أفاضل أصحاب محمد حتى لم يبق من عمرك الا ظمء الحمار فعلت وفعلت يعرض له بقتل عثمان قال عمار أى شئ أحب اليك مودة على دخل أو هجر جميل قال هجر جميل قال فلله على ان لا أكلمك أبدا . دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت يا أبا عبد الله لو رأيتنى يوم الجمل . قد أنفذت النصل هودجى حتى وصل بعضها الى جلدى قال لها المغيرة وددت والله ان بعضها كان قتلك . قالت يرحمك الله ولم تقول هذا . قال لعلها تكون كفارة فى سعيك على عثمان . قالت أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله انى أردت قتله ولكن علم الله انى أردت ان يقاتل فقوتلت وأردت ان يرمى فرميت وأردت ان يعصى فعصيت ولو علم منى

أنى أردت قتله لقتلت . وقال حسان بن ثابت لعلى انك تقول ماقتلت عثمان ولكن خذلته ولم آمر به ولكن لم انه عنه فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك القائل . أخذ هذا المعنى كعب ابن جعل الثعلبي وكان مع معاوية يوم صفين . فقال فى على بن أبى طالب :

وما فى عـلى لمستحدث * مقال سوى عصمة المحدثينا
وايثاره لاهالى الذنوب * ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سيل عنه زوى وجهه * وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط * ولا فى النهاة ولا الآمرينا
ولا هـوناه ولا سره * ولا آمن بعض ذا ان يكونا

وقال رجل من أهل الشام فى قتلة عثمان رضى الله تعالى عنه :

خذلته الانصار اذ حضر المو * ت وكانت ثقاته الانصار
ضربوا بالبلاء فيه مع النا * س وفى ذاك للبرية عار
حرمة بالبلاء من حرمة الله * ه ووال من الولاة وجار
أين أهل الحياء اذ منع الما * ء فدته الاسماع والابصار
من عذيرى من الزبير ومن طل * حة هاجا أمرا له اعصار
تركوا الناس دونهم عبرة العج * ل فشبت وسط المدينة نار
هكذا زاغت اليهود عن الحـ * ق حسبا زخرفت لها الاحبار
ثم وافى محمد بن أبى بكـ * ر جهارا وخلفه عمار
وعلى فى بيته يسأل النا * س ابتداء وعنده الاخبار
باسطا للتى يريد يديه * وعليه سكينة ووقار
يرقب الامر أن يزف اليه * بالذى سببت له الاقدار
قد أرى كثرة الكلام قبيحا * كل قول يشينه اكثار

وقال حسان يرثى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه :

من سره الموت صرفا لامزاج له * فليات ماسدة فى دار عثمانا
صبرا فدا لكم أمى وما ولدت * قد ينفع الصبر فى المكر وه احيانا
لعلكم ان تروا يوما بمغيظة * خليفة الله فيكم كالذى كانا

انى لمنهم وان غابوا وان شهدوا * مادمت حيا وماسميت حسانا
ياليت شعرى وليت الطير تخبرنى * ما كان شان على وابن عفانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا
ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

﴿ فى مقتل عثمان بن عفان ﴾ أبو الحسن عن مسلمة عن ابن عوف قال كان ممن نصر عثمان سبعمائة فيهم الحسن بن على وعبد الله بن الزبير ولو تركهم عثمان لضربوهم حتى يخرجوهم من أقطارها . أبو الحسن : عن جبير بن سيرين قال دخل ابن بديل على عثمان وبيده سيف وكانت بينهما شحناء فضربه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما انها أول كف خطت المفصل أبو الحسن قال : يوم قتل عثمان يقال له يوم الدار وأعاق على ثلاث من القتلى غلام اسود كان لعثمان وكنانة بن بشر وعثمان . أبو الحسن قال : قال سلامة بن روح الخزاعى لعمرو بن العاصى كان بينكم و بين الفتنة باب فكسرتموه فما حملكم على ذلك . قال أردنا ان نخرج الحق من حفيرة الباطل وان يكون الناس فى الحق سواء . مجالد عن الشعبى قال : كتب عثمان الى معاوية ان امددنى فامده باربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كرز العجلى . فتلقاه الناس بقتل عثمان فانصرف . فقال لو دخلت المدينة وعثمان حى ماتركت بها محتلما الا قتلته لان الخاذل والقاتل سواء . قيس بن رافع قال : قال زيد بن ثابت رأيت عليا مضطجعا فى المسجد . فقلت أبا الحسن ان الناس يرون انك لو شئت رددت الناس عن عثمان فجلس . ثم قال والله ما أمرتهم بشىء ولا دخلت فى شىء من شانهم قال فاتيت عثمان فاخبرته فقال :

وحرق قيس على البلاد * حتى اذا اضطرمت أجما

الفضل عن كثير : عن سعيد المقبرى قال لما حصروا عثمان ومنعوه الماء قال الزبير «وحيل بينهم و بين مايشتهون كما فعل باشياعهم من قبل» ومن حديث الزهرى قال : لما قتل مسلم بن عقبة أهل المدينة يوم الحرة قال عبد الله بن عمر بفعلهم فى عثمان و رب الكعبة . ابن سيرين : عن ابن عباس قال لو أمطرت السماء دما لقتل عثمان لكان قليلا له . أبو سعيد : مولى أبى حذيفة قال بعث عثمان الى أهل الكوفة من كان يطالبنى بدينار او درهم أو لطمة فليأت يأخذ حقه أو يتصدق فان الله يجزى المتصدقين . قال فبكى بعض القوم وقالوا تصدقنا . ابن عوف : عن ابن سيرين قال لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشد على عثمان من طلحة . أبو الحسن قال : كان

عبـد الله بن عباس يقول ليغلبن معاوية وأصحابه عليا وأصحابه لان الله تعالى يقول «ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا» أبو الحسن قال: كان ثمامة الانصاري عاملا لعثمان فلما أتاه قتله بكى وقال اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار الملك بالسيف فمن غلب على شيء أكله. أبو الحسن: عن أبي مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي ان نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان كتبت الى معاوية كتابا مع النعمان بن بشير وبعثت اليـه بقميص عثمان مخضوبا بالدماء. وكان في كتابها من نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن أبي سـفيان. أما بعد: فاني أدعوكم الى الله الذي أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الـكفر ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأنشدكم الله واذكركم حقـه وحق خليفته ان تنصروه بعزم الله عليكم فانه قال «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهـما فان بغت احـداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله» فان أمير المؤمنين بغي عليه ولو لم يكن لعثمان عليكم الاحق الولاية لحق على كل مسلم يرجو امامته ان ينصره فكيف وقد علمتم قدمه في الاسـلام وحسن بلائه وانه أجاب الله وصـدق كتابه واتبع رسوله والله اعـلم به اذا انتخبه فاعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة واني أقص عليكم خبره اني شاهـدة أمره كله ان أهـل المدينة حصروه في داره وحرسوه ليلهم ونهارهم قياما على أبوابه بالسلاح يمنعونه من كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء فمـكث هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم الى علي ومحمد بن أبي بكر وعمـار بن ياسر وطلحة والزبير فامروهم بقتـله. وكان معهم من القبائل خزاعة وسـعد بن بكر وهذيل وطوائف من جهينة ومزينة وانباط يثرب. فهؤلاء كانوا أشـد الناس عليه ثم انه حصر فرشق بالنبل والحجارة فجرح ممن كان في الدار ثلاثة نفر معه فاتاه الناس يصرخون اليه ليأذن لهم في القتال فنهاهم وأمرهم ان يردوا اليهـم نبلهم فردوها عليهم فـما زادهم ذلك في القتـل الا اجرأة وفي الامر الا اغراقا فحرقوا باب الدار. ثم جاء نفر من أصحابه فقالوا ان ناسا يريدون ان ياخـذوا من الناس بالعدل فاخرج الى المسجد يأتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية فقال ما أرى اليوم أحدا يعدل فدخل الدار وكان معهم نفر ليس على عامتهم سـلاح فلبس درعه وقال لاصحابه لولا أنتم ما لبست اليوم درعي فوثب عليه القوم. فكلمهم ابن الزبير وأخـذ عليهم ميثاقا في صحيفة بعث بها الى عثمان عليكم عهد الله وميثاقه أن لا تقربوه بسوء حتى تكلموه وتخرجوا

فوضع السلاح فلم يكن الا وضعه ودخل عليه القوم يقدمهم محمد بن أبى بكر فاخذ بلحيته ودعوه باللقب . فقال أنا عبد الله وخليفته عثمان فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم العين فوق الانف ضربة أسرعت فى العظم فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون ان يقطعوا رأسه فيذهبوا به فاتتنى ابنة شيبة بن ربيعة فالقت بنفسها معى فوطئنا وطأ شديدا وعرينا من حلينا وحرمة أمير المؤمنين أعظم فقتلوا أمير المؤمنين فى بيته مقهورا على فراشه وقد أرسلت اليكم بثوبه عليه دمه فانه والله ان كان أثم من قتله فما سلم من خذله فانظروا أين أنتم من الله وأنا أشتكى كل مامسنا الى الله عز وجل واستصرخ بصالحى عباده فرحم الله عثمان ولعن قتلته وصرعهم فى الدنيا مصارع الخزى والمذلة وشفى منهم الصدور فحلف رجال من أهل الشام ان لا يمسوا غسلا حتى يقتلوا عليا أو تفنى أرواحهم . وقال الفرزدق فى قتل عثمان :

ان الخلافة لما أظعنت ظعنت * عن أهل يثرب اذ غير الهدى سلكوا
صارت الى أهلها منهم ووارثها * لما رأى الله فى عثمان ما انتهكوا
السافكى دمه ظلما ومعصية * أى دم لا هدوا من غيهم سفكوا

وقال حسان :

ان تمس دار بنى عثمان خاوية * باب صريع وبيت محرق خرب
فقد يصادف باغى الخير حاجته * فيها ويأوى اليها المجد والحسب
يامعشر الناس ابدوا ذات أنفسكم * لا يستوى الحق عند الله والكذب

﴿ تبرء على من دم عثمان ﴾ قال على بن أبى طالب على المنبر والله لئن لم يدخل الجنة الا من قتل عثمان لا دخلتها أبدا ولئن لم يدخل النار الا من قتل عثمان لا دخلتها أبدا . وأشرف على من قصر له بالكوفة فنظر الى سفينة فى دجلة فقال والذى أرسلها فى بحره مسخرة بأمره مابدأت فى أمر عثمان بشىء ولئن شاءت بنو أمية لاباهلنهم عند الكعبة خمسين يوما مابدأت فى حق عثمان بشىء . فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال انى لا أحسبه صادقا وقال معبد الخزاعى : لقيت عليا بعد الجمل فقلت له انى سائلك عن مسئلة كانت منك ومن عثمان فان نجوت اليوم نجوت غدا ان شاء الله قال سل عما بدا لك . قلت اخبرنى أى منزلة وسعتك اذ قتل عثمان ولم تنصره . قال ان عثمان كان اماما وانه نهى عن القتال . وقال من سل سيفه فليس منى فلو قاتلنا دونه عصينا . قال فاى منزلة وسعت عثمان اذا استسلم حتى قتل . قال المنزلة التى وسعت ابن آدم اذ قال لاخيه لئن

بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين . قلت فهلا وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل قال انا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا . قال الله « ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » فقاتلنا نحن من ظلمنا وصبر عثمان وذلك من عزم الامور . ومن حديث بكر بن حماد: ان عبد الله بن الكواء سال على بن أبى طالب يوم صفين . فقال له اخبرنى عن مخرجك هذا تضرب الناس بعضهم ببعض أعهد اليك عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى أرتأيته . قال على اللهم انى كنت أول من آمن به فلا أكون أول من كذب عليه لم يكن عندى فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندى فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تركت أخا تيم وعدى على منابرها . ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان نبي رحمة مرض أياما وليالى فقدم أبا بكر على الصلاة وهو يرانى و يرى مكانى فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيناه لامر دنيانا اذ رضيه رسول الله لامر ديننا فسلمت عليه و بايعت وسمعت وأطعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته منيته فرأى ان عمر أطوق لهذا الامر من غيره و والله ما أراد به المحاباة ولو أرادها لجعلها فى أحد ولديه فسلمت له و بايعت وأطعت وسمعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته منيته فرأى انه من استخلف رجلا فعمل بغير طاعة الله عذبه الله به فى قبره فجعلها شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أحدهم فاخذ عبد الرحمن مواثيقنا وعهودنا على ان يخلع نفسه و ينظر لعامة المسلمين . فبسط يده الى عثمان فبايعه اللهم ان قلت انى لم أجد فى نفسى فقد كذبت ولكننى نظرت فى أمرى فوجدت طاعتى قد تقدمت معصيتى و وجدت الامر الذى كان بيدى قد صار بيد غيرى فسلمت و بايعت وأطعت وسمعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه ثم نقم الناس عليه أمورا فقتلوه . ثم بقيت اليوم أنا ومعاوية فارى نفسى أحق بها من معاوية لانى مهاجرى وهو اعرابى وأنا ابن عم رسول الله وصهره وهو طليق ابن طليق . قال له عبد الله بن الكواء صدقت ولكن طلحة والزبير أما كان لهما فى هذا الامر مثل الذى لك قال ان طلحة والزبير بايعانى فى المدينة ونكثا بيعتى بالعراق فقاتلتهما على نكثهما ولو نكثا بيعة أبى بكر وعمر لقاتلاهما على نكثهما كما قاتلتهما قال صدقت و رجع اليه

واستعمل عبد الملك بن مروان : نافع بن علقمة بن صفوان على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان قاعد عند أصل المنبر فنال من طلحة والزبير . فلما نزل قال لابان أرضيتك من المدهنين فى أمير المؤمنين قال لا ولكنك سؤتنى حسبى أن يكونا بريئين من أمره وعلى هذا المعنى . قال اسحق بن عيسى أعيذ عليا بالله ان يكون قتل عثمان وأعيذ عثمان ان يكون قتله على وهذا الكلام على مذهب قول النبى صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أوقتله نبى . سعيد بن جبير : عن أبى الصهباء ان رجالا ذكروا عثمان فقال رجل من القوم انى أعرف لكم رأى على فيه فدخل الرجل على على فنال من عثمان فقال على دع عنك عثمان فوالله ما كان باشرنا ولكنه ولى فاستأثر فجدعنا فاساءنا الجدع . وقال عثمان بن حبيب : انى شهدت مشهدا اجتمع فيه على وعمار ومالك والاشتر وصعصعة فذكروا عثمان فوقع فيه عمار . ثم أخذ مالك فحذا حذوه ووجه على يتمعر ثم تكلم صعصعة . فقال ما على رجل يقول كان والله أول من ولى فاستأثر وأول من تفرقت عنه هذه الامة فقال على الى أبا اليقظان لقد سبقت لعثمان سوابق لا يعذبه الله بها أبدا . محمد بن حاطب : قال قال لى على يوم الجمل انطلق الى قومك فابلغهم كتبى وقولى فقلت ان قومى اذا أتيتهم يقولون ما قول صاحبك فى عثمان . فقال أخبرهم ان قولى فى عثمان احسن القول ان عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين . جرير بن حازم : عن محمد بن سيرين قال ما علمت ان عليا اتهم فى دم عثمان حتى بويع فلما بويع اتهمه الناس . محمد بن الحنفية : اتى عن يمين على يوم الجمل وابن عباس عن يساره اذ سمع صوتا فقال ماهذا قالوا عائشة تلعن قتلة عثمان فقال على لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل والبحر والبر ﴿ ما نقم الناس على عثمان ﴾ ابن داب قال : لما انكر الناس على عثمان ما انكروا من تأمير الاحداث من أهل بيته على الجلة الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لعبد الرحمن بن عوف هذا عملك واختيارك لامة محمد . قال لم أظن هذا به ودخل على عثمان فقال له انى انما قدمتك على ان تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر وقد خالفتهما فقال عمر كان يقطع قرابته فى الله وأنا أصل قرابتى فى الله . فقال له لله على ان لا أكلمك أبدا فمات عبد الرحمن وهو لا يكلم عثمان . ولما رد عثمان الحكم بن أبى العاصى طريد النبى صلى الله عليه وسلم وطريد أبى بكر وعمر الى المدينة تكلم الناس فى ذلك فقال عثمان ماينقم الناس منى انى وصلت رحما وقريت عينا . حصين بن زيد بن وهب قال : مررنا بأبى ذر بالربذة فسألناه عن منزله

فقال كنت بالشام فقرأت هذه الآية «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » فقال معاوية انما هى فى أهل الكتاب فقلت انها فينا وفيهم فكتب الى عثمان اقبل . فلما قدمت ركبتنى الناس كأنهم لم يرونى قط فشكوت ذلك الى عثمان . فقال لو اعتزلت فكنت قريبا فنزلت هذا المنزل فلا أدع قولى ولو أمروا على عبدا حبشيا الا طعت الحسن ابن أبى الحسن : عن الزبير بن العوام فى هذه الآية «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» قال لقد نزلت وما ندرى من يختلف لها . فقال بعضهم يا أبا عبد الله فلم جئت الى البصرة قال ويحك اننا ننظر ولا نبصر . ابو نصرة : عن أبى سعيد الخدرى قال ان أناسا كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكة فمر بنا عثمان فما بقى أحد من القوم الا لعنه غيرى فكان فيهم رجل من أهل الكوفة فكان عثمان على الكوفى اجرأ منه على غيره . فقال يا كوفى أتشتمنى فلما قدم المدينة كان يتهدده . قال فقيل له عليك بطلحة . قال فانطلق معه حتى دخل على عثمان فقال عثمان والله لأجلدنه مائة سوط . قال طلحة والله لا تجلده مائة الا ان يكون زانيا قال والله لاحرمنه عطاءه قال الله يرزقه . ومن حديث ابن أبى قتيبة عن الاعمش عن عبد الله بن سنان قال خرج علينا ابن مسعود ونحن فى المسجد وكان على بيت مال الكوفة والكوفة الوليد بن عقبة ابن أبى معيط . فقال يا أهل الكوفة فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتنى بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لى بها براءة . قال فكتب الوليد بن عقبة الى عثمان فى ذلك فنزعه عن بيت المال . ومن حديث الاعمش يرويه أبو بكر بن أبى شيبة قال : كتب أصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه فى صحيفة فقالوا من يذهب بها اليه . قال عمار أنا فذهب بها اليه فلما قرأها قال ارغم الله انفك . قال وبانف أبى بكر وعمر قال فقام اليه فوطئه حتى غشى عليه ثم ندم عثمان وبعث اليه طلحة والزبير يقولان له اختر احدى ثلاث اما ان تعفو واما ان تاخذ الارش واما ان تقتص . فقال والله لا قبلت واحدة منها حتى القى الله قال أبو بكر فذكرت هذا الحديث لحسن ابن صالح . فقال ما كان على عثمان اكثر مما صنع . ومن حديث الليث بن سعد قال : مر عبد الله بن عمر بحذيفة فقال لقد اختلف الناس بعد نبيهم فما منهم أحد الا اعطى من دينه ما عدا هذا الرجل . وسئل سعد بن أبى وقاص : عن عثمان فقال اما والله لقد كان احسننا وضوأ واطولنا صلاة وأتلانا لكتاب الله واعظمنا نفقة فى سبيل الله . ثم ولى فانكروا عليه شيا فاتوا اليه اعظم مما انكروا . وكتب عثمان : الى أهل الكوفة حين ولاهم سعيد بن العاص اما بعد

فانى كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاما حين ذهب شرهه وثاب حلمه وأوصيته بكم ولم أوصكم به فلما اعيتكم علانيته طعنتم فى سريرته قد وليتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته وأوصيكم به خيرا فاستوصوا به خيرا . وكان الوليد بن عقبة : أخا عثمان لامه وكان عامله على الكوفة فصلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت اليهم . فقال وان شئتم زدتكم فقامت عليه البينة بذلك عند عثمان . فقال لطلحة قم فاجلده قال لم أكن من الجالدين فقام اليه على فجلده وفيه يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد احق بالعذر

لنزيدهم خيرا ولو قبلوا * لجمعت بين الشفع والوتر

مسكوا عنانك اذ جريت ولو * تركوا عنانك لم تزل تجرى

ابن داب قال : لما انكر الناس على عثمان ما انكروا واجتمعوا الى على وسالوه ان يلقى لهم عثمان فاقبل حتى دخل عليه . فقال ان الناس ورائى قد كلمونى ان اكلمك والله ما أدرى ما أقول لك ما اعرف شيا تنكره ولا أعلمك شيا تجهله وما ابن الخطاب أولى بشئ من الخير منك وما نبصرك من عمى وما نعلمك من جهل وان الطريق لبين واضح تعلم ياعثمان ان أفضل الناس عند الله امام عدل هدى وهدى فاحيا سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان شر الناس عند الله امام ضلالة ضل واضل فاحيا بدعة مجهولة وامات سنة معلومة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالامام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصر ولا له عاذر فيلقى فى جهنم فيدور دور الرحى يرتطم بجمرة النار الى آخر الابد » وأنا احذرك أن تكون امام هذه الامة المقتول يفتح به باب القتل والقتال الى يوم القيامة يمرج بهم أمرهم ويمرجون فخرج عثمان . ثم خطب خطبته التى اظهر فيها التوبة . وكان على كلما اشتكى الناس اليه أمر عثمان ارسل ابنه الحسن اليه . فلما اكثر عليه قال له ان أباك يرى ان أحدا لا يعلم ما يعلم ونحن أعلم بما نفعل فكف عنا فلم يبعث على ابنه فى شئ بعد ذلك . وذكروا أن عثمان صلى العصر ثم خرج الى على يعوده فى مرضه ومروان معه فرآه ثقيلا . فقال اما والله لولا ما أرى منك ما كنت اتكلم بما أريد ان اتكلم به والله ما أدرى أى يوميك أحب الى أو ابغض أيوم حياتك أو يوم موتك أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتا يعدك كهفا ويتخذك عضدا ولئن مت لا فجعن بك فحظى منك حظ الوالد المشفق من الولد العاق ان عاش عقه وان مات فجعه فليتك جعلت لنا من أمرك علما نقف عليه ونعرفه اما صديق مسالم واما عدو

معانى ولم تجعلنى كالمختنق بين السماء والارض لا يرق بيدولا يهبط برجل اما والله لئن قتلتك لا اصيب منك خلفا ولئن قتلتني لا تصيب مني خلفا وما أحب أن أبقى بعدك . قال مروان أي والله واخرى انه لا ينال ماو راءظهو رناحتي تكسر رماحنا وتقطع سيوفنا فما خير العيش بعد هذا . فضرب عثمان فى صدره وقال ما يدخلك فى كلامنا فقال على انى والله فى شغل عن جوابكما ولكنى أقول كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . وقال عبد الله بن عباس : أرسل الى عثمان فقال لى أكفنى ابن عمك فقلت ان ابن عمى ليس بالرجل يرى له ولكنه يرى لنفسه فارسلني اليه بما أحببت قال قل له فليخرج الى ماله بالينبع فلا أغتم به ولا يغتم بى فاتيت عليا فاخبرته . فقال ما اتخذنى عثمان الا ناضحا ثم أنشد يقول :

فكيف به انى أداوى جراحه * فيدوى فلا مل الدواء ولا الداء

أما والله انه ليختبر القوم فاتيت عثمان فحدثته الحديث كله الا البيت الذى أنشده وقوله انه ليختبر القوم . فانشد عثمان :

فكيف بهانى أداوى جراحه * فيدوى فلا مل الدواء ولا الداء

وجعل يقول يارحيم انصرنى يارحيم انصرنى يارحيم انصرنى . قال فخرج على الى ينبع . فكتب اليه عثمان حين اشتد الامر . أما بعد فقد بلغ السيل الزبا وجاوز الحزام الطبيين وطمع فى من كان يضعف عن نفسه :

وانك لم يعجز عليك كعاجز * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

فاقبل الى على أى أمريك احببت وكن لى أم على صديقا كنت أم عدوا :

فان كنت ماكولا فكن خير آكل * والا فادركنى ولما أمزق

٨ — خلافة على بن أبى طالب رضي الله عنه — قال لما قتل عثمان بن عفان أقبل الناس يهرعون الى على بن أبى طالب فتراكمت عليه الجماعة فى البيعة . فقال ليس ذلك اليكم انما ذلك لاهل بدر ليبايعوا . فقال أين طلحة والزبير وسعد فاقبلوا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والانصار . ثم بايعه الناس وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكان أول من بايعه طلحة فكانت اصبعه شلاء فتطير منها على وقال ما أخلقه ان ينكث فكان كما قال على رضى الله عنه ﴿ نسب على بن أبى طالب وصفته ﴾ هو على بن أبى طالب بن

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأمه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفته كان اصلع بطينا حمش الساقين . صاحب شرطته معقل بن قيس الرياحي . ومالك بن حبيب اليربوعي وكاتبه سعد بن مهران وحاجبه قنبر مولاه . وقتل يوم الجمعة بالكوفة وهو خارج الى المسجد لصلاة الصبح لسبع بقين من شهر رمضان فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر صلى عليه ولده الحسن . ودفن برحبة الكوفة ويقال في لحف الحيرة وغير قبره واختلف في سنه . فقال الشعبي قتل على رحمه الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة وولد على بمكة في شعب بني هاشم ﴿ فضائل على بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾ أبو الحسن قال اسلم على وهو ابن خمس عشرة سنة وهو أول من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . وقال النبي عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبي بعدي . وبهذا الحديث سمت الشيعة على بن أبي طالب الوصي وتاولوا فيه انه استخلفه على أمته اذ جعله منه بمنزلة هرون من موسى لان هرون كان خليفة موسى على قومه اذا غاب عنهم . وقال السيد الحميري رحمه الله تعالى :

انى أدين بما دان الوصي به * وشاركت كفه كفي بصفينا

وجمع النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فالقى عليهم كساءه وضمهم الى نفسه ثم تلى هذه الآية «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» فتاولت الشيعة الرجس ههنا بالخوض في عشرة الدنيا وكدورتها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يمسى حتى يفتح الله له . فدعا عليا وكان أرمد فتفل في عينيه . وقال اللهم قه داء الحر والبرد فكان يلبس كسوة الصيف في الشتاء وكسوة الشتاء في الصيف ولا يضره . أبو الحسن قال : ذكر على عند عائشة فقالت ما رأيت رجلا أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ولا رأيت امرأة كانت أحب اليه من امرأته . وقال على بن أبي طالب : أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه لا يقولها بعدي الا كذاب . الشعبي قال : كان على بن أبي طالب في هذه الامة مثل المسيح بن مريم في بني اسرائيل احبه قوم فكفروا في حبه وابغضه قوم فكفروا في بغضه وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وأبوهما خير منهما

أبوالحسن قال : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيا ثم يرش له و يقيل فيه . و يتمثل بهذا البيت :

هذا اجنائي وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

كان علي بن أبي طالب اذا دخل بيت المال ونظر الى ما فيه من الذهب والفضة قال :

ابيض واصفري وغري غري * اني من الله بكل خير

ودخل رجل على الحسن بن أبي الحسن البصري فقال : ياأباسعيد انهم يزعمون انك تبغض عليا قال فبكى الحسن حتى اخضلت لحيته . ثم قال كان علي بن أبي طالب سهما صائبا من مرامي الله على عدوه و رباني هذه الامة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنؤمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الملومة في ذات الله ولا السروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة بينة ذلك علي بن أبي طالب يالكع

٩ — يوم الجمل — أبواليقظان قال قدم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين البصرة . فتلقاهم الناس باعلى المربد حتى لو رموا بحجر ما وقع الا على رأس انسان فتكلم طلحة وتكلمت عائشة وكثر اللغط فجعل طلحة يقول أيها الناس انصتوا وجعلوا يركبون ولا ينصتون فقال اف اف فراش نار وذباب طمع . وكان عثمان بن حنيف الانصاري عامل علي ابن أبي طالب على البصرة . فخرج اليهم في رجاله ومن معه فتواقفوا حتى زالت الشمس ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا ان يكفوا عن القتال حتى يقدم علي بن أبي طالب . ولعثمان بن حنيف دار الامارة والمسجد الجامع و بيت المال فكفوا . ووجه علي بن أبي طالب الحسن ابنه وعمار بن ياسر الى أهل الكوفة يستنفرانهم فنفر معهما سبعة آلاف من أهل الكوفة . فقال عمار أما والله اني لأعلم انها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو تتبعوها . وخرج علي في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم ثمانمائة من الانصار . وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم . وراية علي مع ابنه محمد بن الحنفية . وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين . وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر وعلى المقدمة عبدالله بن عباس وأبو طلحة والزبير مع عبدالله بن حكيم بن حزام وعلى الخيل طلحة بن عبيدالله . وعلى الرجالة عبدالله ابن الزبير فالتقوا بموضع قصر عبيدالله بن زياد في النصف من

جمادى الآخرة يوم الخميس وكانت الوقعة يوم الجمعة . وقالوا : لما قدم على بن أبى طالب البصرة قال لابن عباس ائت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا بقرنه يركب الصعوبة ويقول هى أسهل فاقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق فما عدا مما بدا . قال ابن عباس : فاتيته فابلغته فقال قل له بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف تحل ما أحلت وتحرم ما حرمت . وقال على ابن أبى طالب : مازال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى أدركه ابنه عبد الله فلفته عنا . وقال طلحة : لاهل البصرة وسألوه عن بيعة على فقال ادخلونى فى حش ثم وضعوا اللج على قفى فقالوا بايع والا قتلناك * قوله اللج يريد السيف وقوله قفى لغة طى وكانت أمه طائية . وخطبت عائشة : أهل البصرة يوم الجمل فقالت أيها الناس صه صه كأنما قطعت الالسن فى الافواه . ثم قالت ان لى عليكم حق الامومة وحرمة الموعظة لا يتهمنى الا من عصى ربه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وانا احدى نسائه فى الجنة ادخرنى ربى وسلمنى من كل بضاعة وبى ميز بين منافقكم ومؤمنكم وبى أرخص لكم فى صعيد الابواء . ثم أبى ثالث ثلاثة من المؤمنين وثانى اثنين فى الغار وأول من سمى صديقا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا عنه وطوقه طوق الامامة . ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبى بطرفيه وزين له افياءه فوقم النفاق وغاض نبع الردة وأطفأ ما حش يهود وانتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الندرة وتسمعون الصيحة فرأب الثاى وأوذم العطلة وانتاش من المهواة واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعل الناهل فقبضه الله واطئا على هامات النفاق مذكيا نار الحرب للمشركين وانتظمت بضاعتكم بحبله . ثم ولى امركم رجلا مرعيا اذا ركن اليه بعيد ما بين اللابتين عروكة للاذن بجنسه يقظان الليل فى نصرة الاسلام فسلك مسلك السابقة ففرق شمل الفتنة وجمع اعضادها جمع القران وانا نصب المسئلة عن مسيرى هذا لم التمس اثما ولم أدلس فتنة اوطئكموها أقول قولى هذا صدقا وعدلا واعذارا ونعذيرا واسال الله ان يصلى على محمد وان يخلفه فيكم بافضل خلافة المرسلين . وكتبت أم سلمة : زوج النبى صلى الله عليه وسلم الى عائشة أم المؤمنين اذ عزمت على الخروج الى الجمل من أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم الى عائشة أم المؤمنين فانى احمد

الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فقد هتكت سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته حجاب مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذيولك فلا تسحبيها وسكر خفارتك فلا تبتذليها فالله من وراء هذه الامه لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النساء يحتملن الجهاد عهد اليك أما علمت انه قد نهاك عن الفراطة فى الدين فان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع جهاد النساء غض الاطراف وضم الذيول وقصر الموادة ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قعودا من منهل الى منهل وغدا تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم واقسم لو قيل لى يا أم سلمة ادخلى الجنة لا ستحييت ان القى رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا ضربه على فاجعليه سترك وقاعة البيت حصنك فانك انصح ما تكونين لهذه الامة ماقعدت عن نصرتهم ولو انى حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشت نهش الرقشاء المطرقة والسلام . فاجابتها عائشة : من عائشة أم المؤمنين الى أم سلمة سلام عليك فانى احمد الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فما اقبلنى لوعظك واعرفنى لحق نصيحتك وما أنا بمعتمرة بعد تعريج ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين من المسلمين فان اقعد فمن غير حرج وان امض فالى مالا غنى بى عن الازدياد منه والسلام . وكتبت عائشة: الى زيد بن صوحان اذ قدمت البصرة من عائشة أم المؤمنين الى ابنها الخالص زيد بن صوحان سلام عليك . اما بعد فان أباك كان رأسا فى الجاهلية وسيدا فى الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد او لحق وقد بلغك الذى كان فى الاسلام من مصاب عثمان بن عفان ونحن قادمون عليك والعيان اشفى لك من الخبر فاذا أتاك كتابى هذا فثبط الناس عن على بن أبى طالب وكن مكانك حتى يأتيك أمرى والسلام فكتب اليها :من زيد بن صوحان الى عائشة أم المؤمنين سلام عليك اما بعد فانك أمرت بامر وامرنا بغيره أمرتِ ان تقرى فى بيتك وامرنا ان نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة فتركت ما أمرت به وكتبت تنهينا عما أمرنا به والسلام . وخطب على رضى الله عنه : باهل الكوفة يوم الجمل اذ اقبلوا اليه مع الحسن بن على فقام فيهم خطيبا . فقال الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ، اما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الثقلين . كافة ، والناس فى اختلاف ، والعرب بشر المنازل ، مستضعفون لما بهم فرأب الله به الثاى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المخشنة للصدور ، ثم قبضه الله

تعالى مشكورا سعيه ، مرضيا عمله ، مغفورا ذنبه ، كريما عند الله نزلة فيالها من مصيبة عمت المسلمين ، وخصت الاقربين ، وولى أبو بكر فسار فينا بسيرة رضا رضى بها المسلمون ثم ولى عمر فسار بسيرة أبى بكر رضى الله عنهما . ثم ولى عثمان فنال منكم ونلتم منه . ثم كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ثم اتيتمونى فقلتم لو بايعتنا . فقلت لا افعل وقبضت يدى فبسطتموها ونازعتكم كفى فجذبتموها وقلتم لا نرضى الا بك ولا نجتمع الا عليك وتراكمتم على تراكم الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت انكم قاتلى وان بعضكم قاتل بعضا فبايعتمونى وبايعنى طلحة والزبير . ثم مالبسا ان استاذنانى الى العمرة فسارا الى البصرة فقاتلا بها المسلمين وفعلا بها الافاعيل وهما يعلمان والله انى لست بدون من مضى ولو اشاء ان أقول لقلت اللهم انهما قطعا قرابتى ونكثا بيعتى وألبا على عدوى . اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما وارهما المساءة فيما عملا . وأملى على ابن محمد عن سلمة بن محارب عن داود بن أبى هند عن ابى حرب عن ابى الاسود عن أبيه قال خرجت مع عمران بن حصين وعثمان بن حنيف الى عائشة فقلنا ياأم المؤمنين اخبرينا عن مسيرك هذا اعهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيتيه . قالت بل رأى رأيته حين قتل عثمان بن عفان أنا نقمنا عليه ضربه بالسوط وموقع المسحاة المحماة وامرة سعيد والوليد فعدوتم عليه فاستحللتم منه الثلاث حرم حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام بعد ان مصتموه كما يماص الاناء فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم قلنا ما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ان تقرى فى بيتك فجئت تضرب الناس بعضهم ببعض . قالت وهل أحد يقاتلنى أو يقول غير هذا قلنا نعم . قالت ومن يفعل ذلك هل أنت مبلغ عنى ياعمران قال لست مبلغا عنك حرفا واحدا قلت لكننى مبلغ عنك فهات ماشئت . قالت اللهم اقتل مذمما قصاصا بعثمان وارم الاشتر بسهم من سهامك لا يشوى وادرك عمارا بحيرته على عثمان . أبو بكر بن ابى شيبة قال : حدثنا عبد الله بن ادريس عن حصين عن الاحنف ابن قيس قال قدمنا المدينة ونحن نريد الحج فانطلقت فاتيت طلحة والزبير فقلت انى لا أرى هذا الا مقتولا فمن تامرانى به كما ترضيانه لى قالا نامرك بعلى قلت فتامرانى به وترضيانه لى قالا نعم . قال ثم انطلقت حتى أتيت مكة فبينما نحن بها اذ أتانا قتل عثمان وبها عائشة أم المؤمنين فانطلقت اليها فقلت من تامرينى ان أبايع قالت على بن ابى طالب . قلت أتامرينى به وترضيه لى قالت نعم . قال فمررت على على بالمدينة فبايعته ثم رجعت الى البصرة وأنا أرى ان الامر

قداستقام فراعنا الا قدوم عائشة ام المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة . قال فقلت ما جاء بهم قد ارسلوا اليك يستنصرونك على دم عثمان انه قتل مظلوما قال فاتاني افظع أمر لم يأتني قط قلت ان خذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أمروني ببيعته لشديد . قال فلما أتيتهم قالوا جئناك نستصرخك على دم عثمان قتل مظلوما . قال فقلت ياام المؤمنين انشدك الله اقلت لك من تامريني به وترضيه لى فقلت على قالت بلى ولكنه بدل قلت يازبير ياحوارى رسول الله ويا طلحة نشدتكما بالله اقلت لكما من تامرانى به وترضيانه لى فقلتما على قالا بلى ولكنه بدل قال والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ولا أقاتل عليا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اختاروا مني احدى ثلاث خصال . اما ان تفتحوا الى باب الجسر فالحق بارض الاعاجم حتى يقضي الله من أمره ماقضى واما ان ألحق بمكة فاكون بها أو أتحول فاكون قريبا . فقالوا نأتمر ثم نرسل اليك قال فائتمروا وقالوا نفتح له باب الجسر فيلحق به المفارق والخاذل أو يلحق بمكة فيفحشكم فى قريش ويخبرهم باخباركم اجعلوه ههنا قريبا حيث تنظرون اليه فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين واعتزل معه زهاء ستة آلاف من بنى تميم ﴿ مقتل طلحة ﴾ أبو الحسن قال كانت وقعة الجمل يوم الجمعة فى النصف من جمادى الآخرة التقوا فكان أول مصروع فينا طلحة بن عبيد الله أتاه سهم غرب فاصاب ركبته فكان اذا امسكوه فتر الدم واذا تركوه انفجر فقال لهم اتركوه فانما هو سهم أرسله الله . حماد بن زيد : عن يحيى بن سعيد قال قال طلحة يوم الجمل :

ندمت ندامة الكسعى لما * شربت رضابني حزم برغم

اللهم خذ منى لعثمان حتى يرضى . ومن حديث ابى بكر بن ابى شيبة قال : لما رأى مروان بن الحكم يوم الجمل طلحة بن عبيد الله قال لا انتظر بعد اليوم بثارى فى عثمان فانتزعه بسهم فقتله ومن حديث سفيان الثورى قال: لما انقضى يوم الجمل خرج على بن أبى طالب فى ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى حتى وقف على طلحة بن عبيد الله فى بطن واد متعفرا فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول اعزز على يا أبا محمد ان أراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الاودية انا لله وانا اليه راجعون شفيت نفسى وقتلت معشرى الى الله أشكو عجرى وبجرى ثم قال والله انى لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا

ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واذا لم نكن نحن فمن هم . أبوادريس : عن ليث ابن طلحة عن مطرف ان علي بن أبي طالب اجلس طلحة يوم الجمل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه . ومن حديث سفيان : ان عائشة ابنة طلحة كانت ترى في نومها طلحة وذلك بعد موته بعشرين سنة فكان يقول لها يابنية اخرجيني من هذا الماء الذي يؤذيني فلما انتبهت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فنبشته فوجدته صحيحا كما دفن لم تنحسر له شعرة وقد اخضر جنبه كالسلق من الماء الذي كان يسيل عليه فلفته في الملاحف واشترت له عرصة بالبصرة فدفنته فيها وبنت حوله مسجدا . قال فلقد رأيت المرأة من اهل البصرة تقبل بالقارورة من البان فتصبها على قبره حتى تفرغها فلم يزلن يفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مسكا أذفر . ومن حديث الخشني قال : لما قتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل وجدوا في تركته ثلثمائة بهار من ذهب وفضة والبهار مزود من جلد عجل . وقع قوم في طلحة عند علي بن أبي طالب فقال أما والله لئن قلتم فيه انه لكما قال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ماهو استغنى و يبعده الفقر

كأن الثريا علقت في يمينه * وفي خده الشعرى وفي الآخر البدر

١٠ — مقتل الزبير بن العوام — شريك عن الاسود بن قيس قال حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصا فنوه به علي أباعبدالله أتذكر يوما أتانا النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك فقال أتناجيه والله ليقاتلنك وهو ظالم لك قال فصرف الزبير وجه دابته وانصرف . قال أبوالحسين : لما انحاز الزبير يوم الجمل مر بماء لبني تميم . فقيل للاحنف بن قيس هذا الزبير قد أقبل قال وما أصنع به ان جمع بين هذين الغاذين وترك الناس وأقبل يريد بالغاذين المعسكرين وفي مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعي فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبعه حتى وجده بوادي السباع نائما فقتله واقبل برأسه الى علي بن أبي طالب . فقال علي ابشر بالنار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشروا قاتل الزبير بالنار فخرج عمرو بن جرموز وهو يقول : أتيت عليا برأس الزبير * وقد كنت أحسبها زلفه

فبشر بالنار قبل العيان * فبئس بشارة ذي التحفه

ومن حديث ابن أبي شيبة قال : اقبل رجل بسيف الزبير الى الحسن بن علي قال لا حاجة لي به ادخله الى امير المؤمنين فدخل به الى علي فناوله اياه وقال هذا سيف الزبير فاخذه علي . فنظر

اليه مليا ثم قال رحم الله الزبير لطالما فرج الله به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت امرأة الزبير ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم الهياج وكان غير معدد
يا عمرو ولو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك امك أن قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

وقال جرير ينعى على بن مجاشع قتل الزبير رضى الله تعالى عنه :

انى تذكرنى الزبير حمامة * تدعو ببطن الواديين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
لو كنت حرا يا ابن قيس مجاشع * شيعت ضيفك فرسخا أو ميلا
أفبعد قتلكم خليل محمد * ترجو العيون مع الرسول سبيلا

هشام بن عروة عن أبيه : عن عبد الله بن الزبير قال دعانى أبى يوم الجمل فقمت عن يمينه . فقال انه لا يقتل اليوم الا ظالم أو مظلوم وما أرانى الا ساقتل مظلوما وان أكبر همى دينى فبع مالى ثم أقض دينى فان فضل شىء فثلثه لولدك وان عجزت عن شىء يا بنى فاستعن مولاى . قلت ومن مولاك يا أبت قال الله قال عبد الله بن الزبير فوالله ما بقيت بعد ذلك فى كربة من دينه أو عسرة الا قلت يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه قال فقتل الزبير ونظرت فى دينه فاذا هو ألف ألف ومائة ألف قال فبعت ضيعة له بالغابة بألف ألف وستمائة ألف ثم ناديت من كان له قبل الزبير شىء فليأتنا نقضه فلما قضيت دينه اتانى اخوتى فقالوا اقسم بيننا ميراثنا قلت والله لا أقسم حتى انادى أربع سنين بالموسم من كان له على الزبير شىء فليأتنا نقضه قال فلما مضت الاربع سنين اخذت الثلث لولدى ثم قسمت الباقى فصار لكل امرأة من نسائه وكان له أربع نسوة فى ربع الثمن ألف ألف ومائة ألف فجميع ما ترك مائة ألف ألف وسبعمائة ألف ألف . ومن حديث ابن أبى شيبة قال : كان على يخرج مناديه يوم الجمل يقول لا يسلبن قتيل ولا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح قال وخرج كعب بن ثور من البصرة قد تقلد المصحف فى عنقه فجعل ينشره بين الصفين ويناشد الناس فى دمائهم اذ أتاه سهم فقتله وهو فى تلك الحال لا يدرى من قتله . وقال على بن أبى طالب : يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن حرث وكان على الميمنة أحمل فحمل فكشف

من بازائه وقال لهاشم بن عقبة أحد بنى زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فكشف من بازائه فقال على لاصحابه كيف رأيتم ميسرتى وميمنتى • ومن حديث الجميلى الخشنى : عن أبى حاتم السجستانى قال أنشدنى الاصمعى عن رجل شهد الجمل يقول :

شهدت الحروب وشيبننى * فلم تر عينى كيوم الجمل
أشد على مؤمن فتنة * وأفتك منه لخرق بطل
فليت الظعينة فى بيتها * وليتك عسكر لم ترتحل

ابن منبه وهبه لعائشة وجعل له هودجا من حديد وجهز من ماله خمسمائة فارس باسلحتهم وأزودتهم وكان أكثر اهل البصرة مالا وكان على بن أبى طالب يقول بليت باقضى الناس وانطق الناس وأطوع الناس فى الناس يريد باقضى الناس يعلى بن منبه وكان اكثر الناس ناضا ويريد بانطق الناس طلحة بن عبيد الله وأطوع الناس فى الناس عائشة أم المؤمنين . أبو بكر بن أبى شيبة : عن مخلد بن عبيد عن التميمى قال كانت على راية يوم الجمل سوداء وراية أهل البصرة كالجمل الاعمش : عن رجل سماه قال كنت أرى عليا يوم الجمل يحمل فيضرب بسيفه حتى ينثنى ثم يرجع فيقول لا تلومونى ولوموا هذا ثم يعودو يقومه . ومن حديث : أبى بكر بن أبى شيبة قال قال عبد الله بن الزبير التقيت مع الاشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربنى خمسة أوستة ثم جر برجلى فالقانى فى الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع فيك عضو الى آخر . أبو بكر بن أبى شيبة قال : اعطت عائشة الذى بشرها بحياة ابن الزبير اذ التقى مع الاشتر يوم الجمل أربعة آلاف . سعيد عن قتادة قال : قتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفا منهم ثمانمائة من بنى ضبة . وقالت عائشة ما أنكر رأس جمل حتى فقدت أصوات بنى عدى وقتل من أصحاب على خمسمائة رجل لم يعرف منهم الا عمار بن الحرث السدوسى وهند الجملى قتلهما ابن اليثربى وأنشأ يقول :

انى لمن يجهلنى ابن اليثربى * قتلت عمارا وهندا الجملى

عبد الله بن عون عن أبى رجاء قال : لقد رأيت الجمل حينئذ وهو كظهر القنفذ من النبل ورجل من بنى ضبة آخذ بخطامه وهو يقول :

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل * الموت أحلى عندنا من العسل * ننعى ابن عفان باطراف الاسل

غندر قال : حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة وكان مع علي بن أبي طالب يوم الجمل والحرث بن سويد وكان مع طلحة والزبير وتذاكراوقعة الجمل . فقال الحرث ابن سويد والله ما رأيت مثل يوم الجمل لقد اشرعوا رماحهم في صدورنا وأشرعنا رماحنا في صدورهم ولوشاءت الرجال ان تمشي عليها لمشت يقول هؤلاء لا اله الا الله والله أكبر ويقول هؤلاء لا اله الا الله والله أكبر فوالله لوددت اني لم أشهد ذلك اليوم واني أعمى مقطوع اليدين والرجلين . قال عبد الله بن سلمة والله ما يسرني اني غبت عن ذلك اليوم ولا عن مشهد شهده علي بن أبي طالب بحمر النعم . علي بن عاصم : عن حصين قال حدثني أبو جميلة البكاء قال اني لفي الصف مع علي بن أبي طالب اذا عقر بام المؤمنين جملها فرأيت محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر يشتدان بين الصفين أيهما يسبق اليها فقطعا عارضة الرحل واحتملاها في هودجها . ومن حديث الشعبي قال . من زعم انه شهد الجمل من أهل بدر الا اربعة فكذبه كان علي وعمار في ناحية وطلحة والزبير في ناحية . أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثني خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن ابزى قال انتهى عبد الله بن بديل الى عائشة وهي في الهودج فقال ياأم المؤمنين انشدك بالله اتعلمين اني اتيتك يوم قتل عثمان . فقلت لك ان عثمان قد قتل فما تامريني فقلت لي الزم عليا فوالله ما غير ولا بدل فسكتت ثم اعاد عليها فسكتت ثلاث مرات . فقال اعقروا الجمل فعقروه فنزلت انا وأخوها محمد بن أبي بكر فاحتملنا الهودج حتى وضعناه بين يدي علي فسر به فادخل في منزل عبد الله بن بديل . وقالوا : لما كان يوم الجمل ما كان وظفر علي ابن أبي طالب حتى دنا من هودج عائشة فكلمها بكلام فاجابته ملكت فاسجح فجهزها علي باحسن الجهاز وبعث معها اربعين امرأة وقال بعضهم سبعين امرأة حتى قدمت المدينة . عكرمة عن ابن عباس قال لما انقضى امر الجمل دعا علي بن ابي طالب بآجرتين فعلاهما فحمد الله واثنى عليه . ثم قال : ياانصار المرأة ، واصحاب البهيمة رغا فجئتم ، وعقر فهزمتم ، نزلتم شر بلاد ، أبعدها من السماء ، بها مغيض كل ماء ، ولها شر اسماء هي البصرة والبصيرة والمؤتفكة وتدمر ، ابن ابن عباس قال فدعيت له من كل ناحية ، فاقبلت اليه فقال ائت هذه المرأة فلترجع الى بيتها التي أمرها الله ان تقر فيه . قال فجئت فاستاذنت عليها فلم تأذن لي فدخلت بلا اذن ومدت يدي الى وسادة في البيت فجلست عليها . فقالت تالله ياابن عباس ما رايت مثلك تدخل بيتنا بلا اذننا وتجلس على وسادتنا بغير امرنا . فقلت والله ماهو بيتك ولا بيتك الا الذي امرك الله ان

تقرى فيه فلم تفعلى ان امير المؤمنين يامرك ان ترجعى الى بلدك الذى خرجت منه . قالت رحم الله امير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب قلت نعم وهـذا أمير المؤمنـين على بن أبى طالب . قالت أبيت أبيت قلت ما كان اباؤك الا فواق ناقة بكية ثم صرت ما تحلـين ولا تمرين ولا تامرين ولا تنهين . قال فبكت حتى علا نشيجها ثم قالت نعم ارجع فانا أبغض البلدان الى بلد أنتم فيه . قلت اما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك اذ جعلناك للمؤمنين اما وجعلنا أباك لهم صـديقا قالت أتمن على برسول الله يا ابن عباس . قلت: نعم نمن عليك بمن لو كان منـك بمنزلته منا لمننت به علينا . قال ابن عباس فاتيت عليا فاخبرته فقبـل بين عينى وقال بابى ذرية بعضـها من بعض والله سميع . عليم ومن حديث ابن أبى شيبة عن ابن فضيل عن عطاء بن السائب ان قاضيا من قضاة أهل الشام أتى عمر بن الخطاب . فقال ياأمـير المؤمنـين رأيت رؤيا افظعتنى . قال وما رأيت قال رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهـما نصفين . قال فمع أيهـما كنت قال مع القـمر على . الشمس قال عمر بن الخطاب وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فانطلق فوالله لا تعمل لى عمـلا أبدا . قال فبلغنى انه قتل مع معاوية بصـفين . أبو بكر بن أبى شيبة قال : اقبل سليمان بن صرد وكانت له صحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم الى على بن أبى طالب بعد وقعة الجمل فقال له تنأنأت وتزحزحت وتربصت فـكيف رأيت الله صنع قال ياأمير المؤمنين ان الشوط بطين وقد بقى من الامور ما تعرف به عدوك من صـديقك . وكتب على بن أبى طالب : الى الاشعث بن قيس بعد الجمل وكان واليا لعثمان على اذربيجان سلام عليـك اما بعد فلولا هنات كن منك لـكنت أنت المقدم فى هذا الامر قبل الناس ولعـل أمرك يحمـل بعضه بعضا ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس اياى ما قد بلغك وقد كان طلحـة والزبير أول من بايعنى ثم نـكثا بيعتى من غير حـدث ولا سبب وأخرجا أم المؤمنـين فساروا الى البصرة وسرت اليهم فمن بايعنى من المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فأبوا فابلغت فى الدعاء وأحسنت فى البقيا وأمرت ان لا يزفف على جريح ولا يتبع منهزم ولا يسلب قتيل ومن القى سلاحه وأغلق بابه فهو آمن واعلم ان عملك ليس لك بطعمـة انمـا هو امانة فى عنقك وهو مال من مال الله وانت من خزانى عليه حتى تؤديه الى ان شاء الله ولا قوة الا بالله فلما بلغ الاشعث كتاب على قام فقال أيها الناس ان عثمان بن عفان ولانى أذربيجان فهلك

وقـد بقيت فى يدى وقـد بايع الناس عليا وطاعتناله واجبة وقـد كان من أمره وأمر عـدوه ما كان وهو المأمون على من غاب من ذلك المجلس ثم جلس ﴿ قولهم فى أصحاب الجمـل ﴾ أبو بكر بن أبى شيبة قال سئل على عن أصحاب الجمل امشركون هم قال من الشرك فروا قال فمنافقون هم قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قال فما هم قال اخواننا بغوا علينا . ومر على : بقتـلى الجمل فقال اللهم اغفر لنا ولهم ومعه محمد بن أبى بكر وعمـار بن ياسر فقال احـدهما لصاحبـه اما تسمع ما يقول قال اسكت لا يزيدك . وكيع : عن مسـعدة بن عبد الله بن رباح عن عمـار قال لا تقولوا كفر اهل الشام ولـكن قولوا فسقوا وظلموا . وسئل عمـار بن ياسر : عن عائشـة يوم الجمل . فقال اما والله انا لنعلم انها زوجته فى الدنيا والآخرة ولـكن الله ابتلا كم بها ليعلم اتتبعونها وقال على بن أبى طالب : يوم الجمل ان قوما زعموا ان البغى كان منا عليهـم وزعمنا انه منهم علينا وانما اقتتلنا على البغى ولم نقتتـل على التـكفير . أبو بكر بن أبى شيبة قال : أول ما تـكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا ما أحل لنا دماءهم وحرم علينا أموالهم فقال على هى السنة فى أهل القبلة قالوا ماندرى ما هـذا قال فهذه عائشة رأس القوم اتتساهمون عيها قالوا سـبحان الله آمنا قال فهى حرام قالوا نعم قال فانه يحرم من ابنائها ما يحرم منها . قال : ودخلت ام أوفى العبـدية على عائشـة بعد وقعة الجمل فقالت لهـا ياأم المؤمنين ما تقولين فى امرأة قتلت ابنا لهـا صـغيرا قالت وجبت لهـا النار قالت فما تقولين فى امرأة قتلت من اولادها الا كابر عشرين الفا فى صعيد واحد قالت خذوا بيد عدوة الله . وماتت عائشة : فى أيام معاوية وقد قاربت السبعين وقيل لها تدفنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت لا انى أحدثت بعده حدثا فادفنونى مع اخوتى بالبقيع وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهـا ياحمـيراء كانى بك ينبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليا وأنت له ظالمة والحوأب قرية فى طريق المدينـة الى البصرة وبعض الناس يسمونها الحوب بضم الحاء وتثقيل الواو وقد زعموا ان الحوأب ماء فى طريق البصرة . قال فى ذلك بعض الشيعة :

انى أدين بحب آل محمـــد * وبنى الوصى شهودهم والغيب

وانا البرى من الزبير وطلحة * ومن التى نبحت كلاب الحوأب

وكان وجهه الى معاوية فى اخذ بيعته فاقام عنده ثلاثة أشهر يماطله بالبيعة . فكتب اليه على سلام عليك فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل معاوية على الفصل وخيره بين حرب معضلة أو سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين وان اختار السلم فخذ بيعته وأقبل الى . وكتب على الى معاوية : بعد وقعة الجمل سلام عليك أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يردوا انما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما كان ذلك لله رضا وان خرج عن أمرهم خارج ردوه الى ما خرج عنه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعانى ثم نقضا بيعتهما وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب الامور الى قبولك العافية وقد أكثرت فى قتلة عثمان فان انت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمت القوم الى حملتك واياهم على كتاب الله وأما تلك التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللبن ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايعه ولا قوة الا بالله . فكتب اليه معاوية : سلام عليك اما بعد فلعمرى لو بايعك الذين ذكرت وانت برىء من دم عثمان لكنت كابى بكر وعمر وعثمان ولكنك اغريت بدم عثمان وخذلت الانصار فاطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى اهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ولعمرى ما حجتك على اهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير كانا بايعاك فلم أبايعك أنا فاما فضلك فى الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلست أرفعه . فكتب اليه على : أما بعد فقد أتانا كتابك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فاجابه وقاده فاتبعه زعمت انك انما أفسد عليك بيعتى خفرى لعثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا

من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلالة ولا ليضربهم بالعمى وما أمرت فلزمتني خطيئة الامر ولا قتلت فاخاف على نفسي قصاص القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم حكام أهل الحجاز فهات رجلا من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار ونحن نأتيك به من قريش الحجاز. وأما قولك ادفع الى قتلة عثمان فما أنت وذاك وههنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك فان زعمت انك أقوى على طلب دم عثمان منهم فارجع الى البيعة التى لزمتك وحاكم القوم الى وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري فما الامر هناك الا واحد لانها بيعة عامة لا يتأنى فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار وأما قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمي في الاسلام فلو استطعت دفعه لدفعته . وكتب معاوية : الى على أما بعد فانك قتلت ناصرك واستنصرت واترك فايم الله لارمينك بشهاب تزكيه الريح ولا يطفئه الماء فاذا وقع وقب واذا مس ثقب فلا تحسبني كسحيم أو عبد القيس أو حلوان الكاهن . فاجابه على : أما بعد فوالله ما قتل ابن عمك غيرك وانى أرجو أن الحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته وان السيف الذى ضربت به أباك وأهلك لمعي دائم والله ما استحدثت ذنبا ولا استبدلت نبيا وانى على المنهاج الذى تركتموه طائعين وأدخلتم فيه كارهين . وكتب معاوية : الى على بن أبى طالب أما بعد فان الله اصطفى محمدا وجعله الامين على وحيه والرسول الى خلقه واختار له من المسلمين أعوانا أيده بهم وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام فكان أفضلهم في الاسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة والخليفة الثالث فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وتنفسك الصعداء وابطائك على الخلفاء وأنت في كل ذلك تقاد كما يقاد البعير المخشوش حتى تبايع وأنت كاره ولم تكن لاحد منهم أشد حسدا منك لابن عمك عثمان وكان أحقهم ان لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت عليه الناس حتى ضربت اليه آباط الابل وشهر عليه السلاح في حرم الرسول فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة لا تؤدى عن نفسك في أمره بقول ولا فعل بر اقسم قسما صادقا لو قمت في أمره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحد ولمحى ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغى عليه وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ضنين ايواءك قتلة عثمان فهم بطانتك وعضدك وأنصارك فقد بلغنى انك تنتفى من دمه فان

كنت صادقا فادفع الينا قتلته نقتلهم به ثم نحن أسرع الناس اليك والا فليس لك ولا لاصحابك عندنا الا السيف والذى نفس معاوية بيده لاطلبن قتلة عثمان فى الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله . فاجابه على : أما بعد فان أخا خولان قدم على بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحى فالحمد لله الذى صدقه الوعد وتم له النصر ومكنه فى البلاد وأظهره على الاعادى من قومه الذين أظهروا له التكذيب ونابذوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه واخراج أصحابه وألبوا عليه العرب وحزبوا الاحزاب حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون وذكرت ان الله اختار من المسلمين أعوانا أيدة بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الاسلام فكان أفضلهم ابن عمك فى الاسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة من بعده ولعمرى ان كان مكانهم فى الاسلام لعظيما وان كان المصاب بهم لجرح فى الاسلام شديد فرحمهما الله وغفر لهما وذكرت ان عثمان كان فى الفضل ثالثا فان كان محسنا فسيلقى ربا شكورا يضاعف له الحسنات ويجزيه الثواب العظيم وان يك مسيئا فسيلقى ربا غفورا ولا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمرى انى لأرجو اذا الله أعطى الاسلام ان يكون سهمنا أهل البيت أوفر نصيب وايم الله ما رأيت ولا سمعت باحد كان أنصح لله فى طاعة الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله فى طاعة الله ولا أصبر على البلاء والاذى فى مواطن الخوف من هؤلاء النفر من أهل بيته الذين قتلوا فى طاعة الله عبيدة بن الحرث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد وجعفر وزيد يوم موتة وفى المهاجرين خير كثير جزاهم الله بأحسن أعمالهم وذكرت ابطائى عن الخلفاء وحسدى اياهم والبغى عليهم فاما البغى فمعاذ الله أن يكون وأما الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك وذكرت بغيي على عثمان وقطعى رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت وعمل به الناس ما قد بلغك فقد علمت انى كنت من أمره فى عزلة الا أن تجنى فتجن ما شئت وأما ذكرك قتلة عثمان وما سالت من دفعهم اليك فانى نظرت فى هذا الامر وضربت أنفه وعينه فلم يسعنى دفعهم اليك ولا الى غيرك وان لم تنزع عن غيك لنعرفنك عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم فى سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر وقد كان أبوك ابو سفيان أتانى حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابسط يدك أبايعك فانت أحق الناس بهذا الامر فكنت أنا الذى أبيت عليه مخافة الفرقة بين المسلمين لقرب عهد الناس بالكفر فابوك كان أعلم بحقى منك وان تعرف من حقى ما كان أبوك يعرفه تصب رشدك والا فنتعين الله عليك . وكتب عبد

الرحمن بن الحكم الى معاوية :

الا بلغ معاوية بن حرب * كتابا من أخي ثقة يلوم

فانك والكتاب الى علي * كدابغة وقد حلم الاديم

١٢ — يوم صفين — ابو بكر بن ابي شيبة قال خرج علي بن ابي طالب من الكوفة الى معاوية في خمسة وتسعين ألفا وخرج معاوية من الشام في بضع وثمانين ألفا فالتقوا بصفين وكان عسكر علي يسمى الزحزحة لشدة حركته وعسكر معاوية يسمى الخضرية لاسوداده بالسلاح والدروع أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة بين الفريقين الا على حامية ثم يكرون . أبو الحسن قال : كان منادي علي يخرج كل يوم وينادي أيها الناس لا تجهزن على جريح ولا تتبعن موليا ولا تسلبن قتيلا ومن ألقى سلاحه فهو آمن . أبو الحسن قال : خرج معاوية الى علي يوم صفين ولم يبايعه اهل الشام بالخلافة وانما بايعوه على نصرة عثمان والطلب بدمه فلما كان من أمر الحكمين ما كان بايعوه بالخلافة فكتب معاوية الى سعد بن أبي وقاص يدعوه الى القيام معه في دم عثمان سلام عليك أما بعد فان احق الناس بنصرة عثمان اهل الشورى من قريش الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره ونصرة طلحة والزبير وهما شريكاك في الامر ونظيراك في الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهه مارضوا ولا ترد ما قبلوا وانما نريدان نردها شورى بين المسلمين والسلام . فاجابه سعد : أما بعد فان عمر رضي الله عنه لم يدخل في الشورى الا من تحل له الخلافة فلم يكن أحد اولى بها من صاحبه الا باجتماعنا عليه غير ان عليا كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو باقصى اليمن وهذا الامر قد كرهنا أوله وكرهنا آخره وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيرا لهما والله يغفر لام المؤمنين ما أتت . وكتب معاوية : الى قيس بن سعد بن عبادة أما بعد فانما أنت يهودي ابن يهودي ان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفرا بغض الفريقين اليك قتلك ونكل بك وقد كان أبوك أوتر قوسه ورمى غرضه فاكثر الحز وأخطا المفصل فخذله قومه وأدركه يومه ثم مات طريدا بحوران . فاجابه قيس : أما بعد فانت وثني ابن وثني دخلت في الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم أيمانك ولم

يحذر نفاقك ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه واعداء الدين الذى دخلت فيه والسلام وخطب على بن ابى طالب اصحابه يوم صفين فقال أيها الناس ان الموت طالب لا يعجزه هارب ولا يفوته مقيم اقدموا ولا تنكلوا فليس عن الموت محيص والذى نفس ابن أبى طالب بيده ان ضربة سيف أهون من موت الفراش أيها الناس اتقوا السيوف بوجوهكم والرماح بصدوركم وموعدى واياكم الراية الحمراء فقال رجل من أهل العراق ما رأيت كاليوم خطيبا يخطبنا يأمرنا ان نتقى السيوف بوجوهنا والرماح بصدورنا ويعدنا راية بيننا وبينها مائة ألف سيف . قال أبو عبيدة فى التاج جمع على بن أبى طالب رياسة بكر كلها يوم صفين لحصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وجعل الويتها تحت لوائه وكانت له راية سوداء يخفق ظلها اذا اقبل فلم يغن أحد فى صفين غناءه . فقال فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه :

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما
يقدمها فى الصف حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عنى والجزاء بكفه * ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

وكان من همدان فى صفين حسن فقال فيهم على بن أبى طالب رضى الله عنه :

لهمدان أخلاق ودين يزينهم * وبأس اذا لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

أبو الحسن قال : كان على بن ابى طالب يخرج كل غداة لصفين فى سرعان الخيل فيقف بين الصفين ثم ينادى يا معاوية علام يقتتل الناس ابرز الى وأبرز اليك فيكون الامر لمن غلب . فقال له عمرو ابن العاص أنصفك الرجل فقال له معاوية أردتها يا عمرو والله لا رضيت عنك حتى تبارز عليا فبرز اليه متنكرا فلما غشيه على بالسيف رمى بنفسه الى الارض وأبدى له سوأته فضرب على وجه فرسه وانصرف عنه فجلس معه معاوية يوما فنظر اليه فضحك فقال عمرو أضحك الله سنك ما الذى أضحكك قال من حضور ذهنك يوم بارزت عليا اذا تقيته بعورتك أما والله لقد صادفت منانا كريما ولولا ذلك لخرم رفغيك بالرمح قال عمرو بن العاصى أما والله انى عن يمينك اذ دعاك الى البراز فاحولت عيناك وربا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك . وذكر عمرو بن العاصى : عند على بن أبى طالب فقال فيه على عجبا لابن الباغية يزعم انى بلقائه أعافس وامارس انى وشر القول أكذبه انه يسأل فيلحف ويسئل فيبخل فاذا احمر الباس وحمى الوطيس واخذت

السيوف ماخذها من هام الرجال لم يكن لهم الا غرقة ثيابه و عنح الناس استه فضمه الله وترحه

مقتل عمار بن ياسر العتبي قال لما التقى الناس بصفين نظر معاوية الى هشام بن عتبة الذى يقال له المرقال لقول النبي صلى الله عليه وسلم ارقل ليمون وكان أعور والراية بيده وهو يقول :

أعور يبغى نفسه محلا * قدعالج الحياة حتى ملا * لابد ان يفل او يفلا

فقال معاوية لعمرو بن العاصي ياعمرو هذا المرقال والله لئن زحف بالراية زحفا انه ليوم اهل الشام الاطول ولكني ارى ابن السوداء الى جنبه يعني عمارا وفيه عجلة فى الحرب وأرجو ان تقدمه الى الهلكة و جعل عمار يقول اباعتبة تقدم فيقول ياأباليقظان انا اعلم بالحرب منك دعني ازحف بالراية زحفا فلما اضجره وتقدم ارسل معاوية خيلا فاختطفوا عمارا فكان يسمى اهل الشام قتل عمار فتح الفتوح . ابو بكر بن ابى شيبة : عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن اسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد قال انى لجالس عند معاوية اذاتاه رجلان يختصمان فى رأس عمار كل واحد منهما يقول اناقتلته فقال لهما عبدالله ابن عمرو بن العاص ليطب به احدكما نفسا لصاحبه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تقتلك الفئة الباغية . ابو بكر بن ابى شيبة : عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن ام سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية . ابو بكر قال حدثنا على بن حفص عن أبى معشر عن محمد بن عبادة قال مازال جدى خزيمة بن ثابت كافا سلاحه يوم صفين حتى قتل عمار فلما قتل سل سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فمازال يقاتل حتى قتل . أبو بكر عن غندر عن عمرو بن شعبة عن عمرو بن مرة عن عند الله بن سلمة قال رأيت عمار يوم صفين شيخ آدم طوال أخذ الحربة بيده و يده ترعد وهو يقول والذى نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة والذى نفسى بيده لوضربونا حتى يبلغوابنا سعفات هجر لعرفت انا على حق وانهم على باطل ثم جعل يقول صبرا عباد الله الجنة تحت ظلال السيوف . أبو بكر بن ابى شيبة : عن وكيع عن سفيان عن حبيب عن ابى البختري قال لما كان يوم صفين واشتدت الحرب دعا عمار بشربة لبن وشربها وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ان آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن . أبوذر عن محمد بن يحيي عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه عن جدته أم

سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر باللبن يضرب وما يحتاج اليه ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والانصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذا العمل مضلل

قالت وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متنظفا فكان يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كفيه ونظر الى ثوبه فاذا أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي رضي الله عنه فانشد :

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها راكعا وساجدا

وقائما طورا وطورا قاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعني فسمعه عثمان . فقال يا ابن سمية ما اعرفني بمن تعرض ومعه جريدة . فقال لتكفن أو لاعترضن بها وجهك فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل حائط . فقال عمار جلدة ما بين عيني وأنفي فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني واشار بيده فوضعها بين عينيه فكف الناس عن ذلك وقالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف ان ينزل فينا قرآن . فقال أنا أرضيه كما غضب فاقبل عليه فقال يارسول الله مالي ولاصحابك قال ومالك ولهم . قال يريدون قتلي يحملون لبنة ويحملون على لبنتين فاخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول يا ابن سمية لا يقتلك اصحابي ولكن تقتلك الفئة الباغية . فلما قتل بصفين وروى هذا الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال معاوية هم قتلوه لانهم أخرجوه الى القتل فلما بلغ ذلك عليا قال ونحن قتلنا أيضاً حمزة لانا أخرجناه ﴿ من حرب صفين ﴾ أبو الحسن قال كانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة في أحد الفريقين الا على حامية ثم يكرون . أبو بكر بن ابي شيبة قال : انقضت وقعة صفين عن سبعين الف قتيل خمسين الفا من أهل الشام وعشرين الفا من أهل العراق ولما انصرف الناس من صفين قال عمرو بن العاص :

شبت الحرب فاعددت لها * مشرف الحارك محبوك الثبج

يصل الشر بشر فاذا * وثب الخيل من الشر معج

جرشع اعظمه حفزية * فاذا ابتل من الماء حرج

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

فان شهدت جمل مقامى ومشهدى * بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشــية جاأهــل العراق كأنهم * سحاب ربيع رفّعته الجنائب
وجئناهم تــترى كان صــفوفنا * من البحر مدّ موجه متراكب
اذا قلت قد ولوا سراعا بدت لنا * كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهمُ * سراة النهار ماتولى المناكب
وقالوا لنا انا نرى ان تبايعــوا * عليا فقلنا بل نرى ان نضارب

وقال السيد الحميرى وهو رأس الشيعة وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقى له وسادا بمسجد الكوفة:

انى ادين بمــا دان الوصى به * وشاركت كفه كفى بصفينا
فى سفك ماسفكت منها اذا احتضروا * وأبرز الله للقسط الموازينا
تلك الدماء معاًيارب فى عنــقى * ثم اسقنى مثلها آمــين آمينا
آمين من مثلهم فى مثل حالهــم * فى فتية هاجروا فى الله شارينا
ليسوا يريدون غير الله ربهم * نعم المــراد توخاه المــريدونا

وقال النجاشى يوم صفين وكتب بها الى معاوية :

ياأيها الملك المبدى عداوته * أنظر لنفسك أى الأمر تأتمر
فان نفست على الاقوام مجدهم * فابسط يديك فان الخــير مبتدر
واعلم بان علىّ الخــير من نفر * شم العرانين لايعــلوهم بشر
نعم الفــتى هو الا ان بينكما * كما تفاضل ضوء الشمس والقمر
وما أخالك الالست منتهيا * حتى ينالك من أظفاره ظفر

١٣ ــ خبر عمرو بن العاص مع معاوية ــ سفيان بن عيينة . قال اخبرنى أبو موسى الاشعرى قال اخبرنى الحسن قال: علم معاوية والله ان لم يبايعه عمرو لم يتم له أمر . فقال له ياعمرو اتبعنى قال لماذا للآخرة فوالله مامعك آخرة أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها قال فانت شريكى فيها قال فاكتب لى مصر وكورها فكتب له مصر وكورها وكتب فى آخر الكتاب وعلى عمرو السمع والطاعة قال عمرو واكتب ان السمع والطاعة لاينقصان من شرطه شيئاً . قال معاوية لاينظر الناس الى هذا قال عمرو حتى تكتب قال فكتب والله مايجد بدا من كتابتها . ودخل عتبة

ابن ابى سفيان على معاوية وهو يكلم عمرا فى مصر وعمرو يقول له انما أبايعك بها دينى فقال عتبة ائتمن الرجل بدينه فانه صاحب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وكتب عمرو الى معاوية :

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
وما الدين والدنيا سواء واننى * لآخذ ماتعطى ورأسى مقنع
فان تعطنى مصرا فاربح صفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

وقالوا : لما قدم عمرو بن العاص على معاوية وقام معه فى شان على بعد ان جعل له مصر طعمة قال له ان بارضك رجلا له شرف واسم والله ان قام معك استهويت به قلوب الرجال وهو عبادة بن الصامت فارسل اليه معاوية فلما أتاه وسع له بينه و بين عمرو بن العاص فجلس بينهما فحمد الله معاوية وأثنى عليه وذكر فضل عبادة وسابقته وذكر فضل عثمان ومانااله وحضه على القيام معه فقال عبادة قد سمعت ماقلت أتدريان لم جلست بينكما فى مكانكما قالا نعم لفضلك وسابقتك وشرفك قال لا والله ماجلست بينكما لذلك وما كنت لاجلس بينكما فى مكانكما ولكن بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة تبوك اذ نظر اليكما نسيران وأنتما تتحدثان فالتفت الينا فقال اذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما فانهما لا يجتمعان على خير أبدا وأنا أنهاكما عن اجتماعكما فاما مادعوتمانى اليه من القيام معكما فان لكما عدوا هو أغلظ اعدائكما عليكما وأنا كامن من ورائكم فى ذلك العدوّ ان اجتمعتم على شئ دخلت فيه

١٤ — امر الحكمين — أبو الحسن قال: لما كان يوم الهدير وهو أعظم يوم بصفين زحف أهل العراق على أهل الشام فازالوهم عن مراكزهم حتى انتهوا الى سرادق معاوية فدعا بالفرس وهم بالهزيمة ثم التفت الى عمرو بن العاص وقال له ماعندك قال تامر بالمصاحف فترفع فى اطراف الرماح و يقال هذا كتاب الله يحكم بيننا و بينكم فلما نظر أهل العراق الى المصاحف ارتدعوا واختلفوا وقال بعضهم نحاكمهم الى كتاب الله وقال بعضهم لانحاكمهم لانا على يقين من أمرنا ولسنا على شك ثم اجمع رأيهم على التحكيم فهم على ان يقدم أبا الاسود الدؤلى فابى الناس عليه فقال له ابن عباس اجعلنى أحد الحكمين فوالله لافتلن لك حبلا لا ينقطع وسطه ولا ينشر طرفاه فقال له على لست من كيدك ولا من كيد معاوية فى شئ لا أعطيه الا السيف حتى يغلبه الحق قال وهو والله لا يعطيك الا السيف حتى يغلبك الباطل قال وكيف

ذلك قال لانك تطاع اليوم وتعصى غدا وانه يطاع ولا يعصى. فلما انتشر عن على أصحابه قال لله بلاد ابن عباس انه لينظر الى الغيب بستر رقيق. قال ثم اجتمع اصحاب البرانس وهم وجوه أصحاب علي على ان يقدموا أباموسى الاشعرى وكان مبرنسا وقالوا لا نرضى بغيره فقدمه على وقدم معاوية عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو انك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأى فلا ترمه بعقلك كله فاخلى لهما مكان يجتمعان فيه فامهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام ثم اقبل اليه بانواع من الطعام يشهيه بها حتى اذا استبطن أبوموسى ناجاه عمرو. فقال له يا أباموسى انك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضلها وذو سابقتها وقد ترى ما وقعت فيه هذه الامة من الفتنة العمياء التى لا بقاء معها فهل لك ان تكون ميمون هذه الامة فيحقن الله بك دماءها فانه يقول فى نفس واحدة ومن أحياها فكانما أحيى الناس جميعا فكيف بمن أحيا نفس هذا الخلق كله. قال له وكيف ذلك قال تخلع انت على بن أبى طالب واخلع انا معاوية بن أبى سفيان ونختار لهذه الامة رجلا لم يحضر فى شىء من الفتنة ولم يغمس يده فيها قال له ومن يكون ذلك وكان عمرو بن العاص قد فهم رأى أبى موسى فى عبدالله بن عمر فقال له عبدالله بن عمر. فقال انه لكما ذكرت ولكن كيف لى بالوثيقة منك فقال له يا أباموسى الا بذكر الله تطمئن القلوب خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى ثم لم يبق عمرو بن العاص عهدا ولا موثقا ولا يمينا مؤكدة حتى حلف بها حتى بقى الشيخ مبهوتا وقال له قد أجبت فنودى فى الناس بالاجتماع اليهما فاجتمعوا فقال له عمرو قم فاخطب الناس يا أباموسى فقال قم انت اخطبهم فقال سبحان الله أنا اتقدمك وانت شيخ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا فعلت ابدا قال اوعسى فى نفسك أمر فزاده ايمانا وتوكيدا حتى قام الشيخ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى قد اجتمعت أنا وصاحبى على أن اخلع أنا على بن أبى طالب ويعزل هو معاوية بن ابى سفيان ونجعل هذا الامر لعبدالله بن عمر فانه لم يحضر فى فتنة ولم يغمس يده فى دم امرئ مسلم ألا وانى قد خلعت على بن ابى طالب كما اختلع سيفى هذا ثم خلع سيفه من عاتقه وجلس وقال لعمرو قم فقام عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه قد كان من رأى صاحبى ما قد سمعتم وانه قد أشهدكم انه خلع على بن ابى طالب كما يخلع سيفه وأنا أشهدكم انى قد اثبت معاوية بن ابى سفيان كما اثبت سيفى هذا وكان قد خلع سيفه قبل ان يقوم الى الخطبة فاعاده

على نفسه فاضطرب الناس وخرجت الخوارج . وقال ابوموسى لعمرو لعنك الله فان مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث . قال عمرو لعنك الله فان مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا وخرج ابوموسى من فوره ذلك الى مكة مستعيذا بها من على وحلف ان لا يكلمه أبدا . فاقام بمكة حينا حتى كتب اليه معاوية سلام عليك أما بعد فلو كانت النية تدفع الخطأ لنجا المجتهد واعذر الطالب والحق لمن نصب له فأصابه وليس لمن عرض له فأخطأ . وقد كان الحكمان اذا حكما على على لم يكن له الخيار عليهما وقد اختاره القوم عليك فاكره منهم ما كرهوا منك وأقبل الى الشام فانى خير لك من على ولا قوة الا بالله . فكتب اليه أبوموسى سلام عليك أما بعد فانى لم يكن منى فى على الا ما كان من عمرو فيك غير انى أردت بما صنعت ما عند الله وأراد به عمرو ما عندك وقد كان بينى و بينه شروط وشورى عن تراض فلما رجع عمرو رجعت أما قولك ان الحكمين اذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما فانما ذلك فى الشاة والبعير والدينار والدرهم فاما أمر هذه الامة فليس لاحد فيما يكره حكم ولن يذهب الحق عجز عاجز ولا خدعة فاجر واما دعاؤك اياى الى الشام فليس لى رغبة عن حرم ابراهيم فبلغ عليا كتاب معاوية الى أبى موسى الاشعرى فكتب اليه سلام عليك أما بعد فانك امرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغرور رحقق بك حسن الظن لزومك بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن فاستقل الله يقلك فان الله يغفر ولا يغفل وأحب عباده اليه التوابون وكتبه سماك بن حرب فكتب اليه أبوموسى سلام عليك فانه والله لولا انى خشيت ان يرفعك منى منع الجواب الى أعظم مما فى نفسك لم أجبك لانه ليس لى عندك عذر ينفعنى ولا قوة تمنعنى وأما قولك ولزومى بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن فانى اسلمت أهل الشام وانقطعت عن أهل العراق واصبت أقواما صغروا من ذنبى ما عظمتم وعظموا من حقى ما صغرتم اذ لم يكن لى منكم ولى ولا نصير . وكان على بن أبى طالب: اذ وجه الحكمين قال لهما انما حكمنا كما بكتاب الله فتحييا ما أحيا القرآن وتميتا ما أمات فلما كاد عمرو بن العاص على أبى موسى اضطرب الناس على على واختلفوا وخرجت الخوارج وقالوا لا حكم الا لله فجعل على يتمثل بهذه الابيات :

لى زلة اليكم فأعتذر * سوف أكيس بعدها وانشمر * واجمع الامر الشتيت المنتشر

ابوالحسن قال : لما قدم أبوالاسود الدؤلى على معاوية عام الجماعة قال له معاوية بلغنى ياأبا

الاسودان على بن أبي طالب ارادان يجعلك أحد الحكمين فما كنت تحكم به قال لو جعلني أحدهما لجمعت الفا من المهاجرين وابناء المهاجرين وألفا من الانصار وأبناء الانصار ثم ناشدتهم الله المهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الامر ام الطلقاء قال له معاوية لله أبوك أي حكم كنت تكون لو حكمت

١٥ ــ احتجاج على وأهل بيته فى الحكمين ــ ابوالحسن قال : لما انقضى امر الحكمين واختلف اصحاب علىّ قال بعض الناس مامنع اميرالمؤمنين ان يأمر بعض أهل بيته فيتكلم فانه لم يبق احد من رؤساء العرب الا وقد تكلم . قال فبينما على يوما على المنبر اذ التفت الى الحسن ابنه فقال قم ياحسن فقل فى هذين الرجلين عبدالله بن قيس وعمرو ابن العاص فقام الحسن . فقال أيها الناس انكم قد أكثرتم فى هذين الرجلين وانما بعثا ليحكما بالكتاب على الهوى فحكما بالهوى على الكتاب ومن كان هكذا لم يسم حكما ولكنه محكوم عليه وقد أخطأ عبدالله بن قيس اذ جعلها لعبدالله بن عمر فاخطأ فى ثلاث خصال واحدة انه خالف اباه اذ لم يرضه لها ولا جعله من اهل الشورى واخرى انه لم يستأمره فى نفسه وثالثة انه لم يجتمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامارة ويحكمون بها على الناس . وأما الحكومة فقد حكم النبي عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ فى بنى قريظة فحكم بما يرضى الله به ولا شك ولو خالف لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس . فقال لعبدالله بن عباس: قم فقال عبدالله بن عباس بعد ان حمد الله واثنى عليه أيها الناس ان للحق اهلا أصابوه بالتوفيق فالناس بين راض به وراغب عنه فانه بعث عبدالله بن قيس بهدى الى ضلالة وبعث عمرو بضلالة الى الهدى فلما التقيا رجع عبدالله بن قيس عن هداه وثبت عمرو على ضلاله وأيم الله لئن كانا حكما بما سار ابه لقد سار عبدالله وعلى امامه وسار عمرو ومعاوية امامه فما بعد هذا من غيب ينتظر . فقال على لعبدالله بن جعفر بن أبي طالب: قم فقام فحمد الله واثنى عليه . وقال: ايها الناس ان هذا الامر كان النظر فيه الى على والرضا الى غيره فجئتم الى عبدالله بن قيس مبرنسا فقلتم لا نرضى الا به وايم الله ما استفدنا به علما ولا انتظرنا منه غائبا وما نعرفه صاحبا وما افسد بما فعلا اهل العراق وما اصلحا اهل الشام ولا وضعا حق على ولا وضعا باطل معاوية ولا يذهب الحق رقية راق ولا نفحة شيطان ونحن اليوم على ما كنا عليه امس

١٦ — احتجاج عليّ على أهل النهروان — قالوا: ان عليا لما اختلف عليه اهل النهروان والقرى واصحاب البرانس ونزلوا قرية يقال لها حروراء وذلك بعد وقعة الجمل فرجع اليهم علي بن ابي طالب فقال لهم: ياهؤلاء من زعيمكم قالوا ابن الكواء قال فليبرز الي فخرج اليه ابن الكواء فقال له علي يا ابن الكواء مااخرجكم علينا بعد رضا كم بالحكمين ومقامكم بالكوفة قال قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده فزعمت ان قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار فبينما نحن كذلك اذ ارسلت منافقا وحكمت كافرا وكان من شكك في امر الله ان قلت للقوم حين دعوتهم كتاب الله بيني و بينكم فان قضى علي بايعتكم وان قضى عليكم بايعتموني فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك فقال علي يا ابن الكواء انما الجواب بعد الفراغ افرغت فاجيبك . قال نعم : قال علي اماقتالك معي عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ولو شككت فيهم لم اقاتلهم واماقتلانا وقتلاهم فقد قال الله في ذلك ما يستغني به عن قولي واما ارسالي المنافق وتحكيمي الكافر فانت أرسلت أباموسى مبرنسا ومعاوية حكم عمرا أتيت بابي موسى مبرنسا فقلت لا نرضى الا أباموسى فهلا قام الي رجل منكم . فقال يا علي لا تعطى هذه الدنية فانها ضلالة . واماقولي لمعاوية ان جرني اليك كتاب الله تبعتك وان جرك الي تبعتني زعمت اني لم أعط ذلك الا من شك فقد علمت ان أوثق ما في يديك هذا الامر . فحدثني ويحك عن اليهودي والنصراني ومشركي العرب أهم اقرب الى كتاب الله أم معاوية واهل الشام . قال بل معاوية واهل الشام اقرب قال علي افرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو انا قال بل رسول الله قال افرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين » اما كان رسول الله يعلم انه لا يؤتى بكتاب هو اهدى مما في يديه قال بلى . قال فلم اعطى رسول الله القوم ما اعطاهم قال انصافا وحجة . قال فاني اعطيت القوم ما اعطاهم رسول الله . قال ابن الكواء فاني اخطأت هذه واحدة زدني . قال علي فما اعظم ما نقمتم علي . قال تحكيم الحكمين نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيرا . قال علي فمتى سمي أبوموسى حكما حين أرسل أو حين حكم . قال حين ارسل قال أليس قد سار وهو مسلم وانت ترجوان يحكم بما انزل الله قال نعم . قال علي فلا أرى الضلال في ارساله فقال ابن الكواء سمي حكما حين حكم . قال نعم اذا فارساله كان عدلا ارأيت يا ابن الكواء لوان رسول الله بعث مؤمنا الى قوم مشركين يدعوهم الى كتاب الله فارتد على عقبه كافرا أكان يضر نبي الله شيئا قال لا

قال علي فما كان ذنبي ان كان أبوموسى ضل هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله اذ قال . قال ابن الكواء لا ولكنك جعلت مسلما وكافرا يحكمان في كتاب الله . قال علي ويلك يا ابن الكواء هل بعث عمرا غير معاوية وكيف احكمه وحكمه على ضرب عنقي انما رضي به صاحبه كما رضيت انت بصاحبك . وقد يجمع المؤمن والكافر يحكمان في امر الله أرأيت لو ان رجلا مؤمنا تزوج يهودية أو نصرانية فخافا شقاق بينهما ففزع الناس الى كتاب الله وفى كتابه « فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » فجاء رجل من اليهود أو رجل من النصارى ورجل من المسلمين اللذين يجوز لهما ان يحكما في كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء وهذه أيضا أمهلنا حتى ننظر فانصرف عنهم علي . فقال له صعصعة بن صوحان يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام القوم . قال نعم مالم تبسط يدا . قال فنادى صعصعة ابن الكواء فخرج اليه فقال أنشدكم بالله يا معشر الخارجين ان لا تكونوا عارا على من يغزو لغيره وان لا تخرجوا بارض تسموا بها بعد اليوم ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل . فقال له ابن الكواء ان صاحبك لقينا بامر قولك فيه صغير فامسك . قالوا ان عليا خرج بعد ذلك اليهم فخرج اليه ابن الكواء . فقال له علي يا ابن الكواء انه من اذنب في هذا الدين ذنبا يكون في الاسلام حدثا استتبناه من ذلك الذنب بعينه وان توبتك ان تعرف هدى ما خرجت منه و ضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء اننا لا ننكر انا قد فتنا . فقال له عبد الله بن عمرو بن جرمو زادركنا والله هذه الآية « ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وكان عبد الله من قراء أهل حروراء فرجعوا فصلوا خلف علي الظهر وانصرفوا معه الى الكوفة ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولام بعضهم بعضا . فقال زيد بن عبد الله الراسبي وكان من أهل حروراء يشككهم :

شككتم ومن أرسى ثبيرا مكانه * ولولم تشكوا ما انثنيتم عن الحرب
وتحكيمكم عمرا على غير توبة * وكان لعبد الله خطب من الخطب
فانكصه للعقب لما خلا به * فاصبح يهوي من ذرى حالق صعب

وقال الرياحي :

ألم تران الله أنزل حكمه * وعمرو وعبد الله مختلفان

وقال مسلم بن يزيد الثقفي وكان من عباد حروراء :

وان كان ماعبناه عيبا فحسبنا * خطايا باخذ النصح من غير ناصح

وان كان عيبا فاعظم بتركنا * عليا على أمر من الحق واضح
ونحـــن اناس بين بين وعلنا * سررنا بامر غبـه غـير صالح

ثم خرجوا على علي فقتلهم بالنهروان

١٧ — خروج عبد الله بن عباس على علي — قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان عبد الله بن عباس من أحب الناس الى عمر بن الخطاب . وكان يقدمه على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يستعمله قط . فقال له يوما كدت أستعملك ولكن أخشى ان تستحل الفيء على التأويل . فلما صار الامر الى علي استعمله على البصرة فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى » واستحله من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد قال مر ابن عباس على أبي الاسود الدؤلي . فقال له لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا ما بلغت المرعى له فكتب أبو الاسود الى علي . أما بعد فان الله جعلك واليا مؤتمنا وراعيا مسؤلا . وقد بلوناك رحمك الله فوجدناك عظيم الامانة ناصحا للامة توفر لهم فيئهم وتكف نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي بشيء في أحكامهم . وابن عمك قد أكل ما تحت يديه من غير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمك الله فيما هنالك . واكتب الى برأيك فيما أحببت أتبعه ان شاء الله والسلام : فكتب اليه علي : أما بعد فمثلك نصح الامام والامة ووالى على الحق وفارق الجور . وقد كتبت لصاحبك بما كتبت الى فيه ولم أعلمه بكتابك الى فلا تدع اعلامي ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح فانك بذلك جدير وهو حق واجب لله عليك والسلام . وكتب علي الى ابن عباس : أما بعد فانه قد بلغني عنك أمر ان كنت فعلته . فقد أسخطت الله وأخربت أمانتك وعصيت امامك وخنت المسلمين بلغني أنك خربت الارض وأكلت ما تحت يدك . فارفع الى حسابك واعلم ان حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام . وكتب اليه ابن عباس : أما بعد فان كل الذي بلغك باطل وأنا لما تحت يدي ضابط وعليه حافظ فلا تصدق على الضنين والسلام . فكتب اليه علي : أما بعد فانه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية من أين أخذته وما وضعت منها أين وضعته فاتق الله فيما ائتمنتك عليه واسترعيتك اياه فان المتاع بما أنت رازمه قليل وتباعته

و بيلة لا تبيد والسلام . فلما رأى ان عليا غير مقلع عنه كتب اليه . أما بعد : فانه بلغنى تعظيمك على مرزأة مال بلغك انى رزأته أهل هذه البلاد وايم الله لان التى الله بما فى بطن هذه الارض من عقيانها ومخبئها وبما على ظهرها من طلاعها ذهبا أحب الىّ من أن ألقى الله وقد سفكت دماء هذه الامة لانال بذلك الملك والامرة ابعث الى عملك من أحببت فانه ظاعن والسلام . فلما أراد عبد الله المسير من البصرة دعا أخواله بنى هلال بن عامر بن صعصعة ليمنعوه فجاء الضحاك بن عبد الله الهلالى فاجاره ومعه رجل منهم يقال له رزين بن عبد الله بن رزين وكان شجاعا بئيسا . فقالت بنو هلال لا غنى بنا عن هوازن . فقالت هوازن لا غنى بنا عن بنى سليم . ثم اتتهم قيس . فلما رأى اجتماعهم له حمل ما كان فى بيت مال البصرة وكان فيما زعموا ستة آلاف الف فجعله فى الغرائر قال فحدثنى الازرق اليشكرى . قال سمعت أشياخنا من أهل البصرة قالوا لما وضع المال فى الغرائر . ثم مضى به تبعته الاخماس كلها بالطف على أربع فراسخ من البصرة فواقفوه فقالت لهم قيس والله لا تصلوا اليه ومنا عين تطرف . فقال ضبرة وكان رأس الازد والله ان قيسا لاخوتنا فى الاسلام وجيراننا فى الدار وأعواننا على العدو وان الذى تذهبون به من المال لو رد عليكم لكان نصيبكم منه الاقل وهم خير لكم من المال . قالوا فما ترى قال انصرفوا عنهم . فقال بكر بن وائل وعبد القيس نعم الرأى رأى ضبرة واعتزلوهم . فقالت بنو تميم والله لا نفارقهم حتى نقاتلهم عليه . فقال الاحنف بن قيس أنتم والله أحق ان لا تقاتلوهم عليه وقد ترك قتالهم من هو أبعد منكم رحما . قالوا والله لنقاتلنهم فقال والله لا نشايعكم على قتالهم وانصرف عنهم فقدم عليهم ابن محدبة فقاتلهم فحمل عليه الضحاك بن عبد الله فطعنه فى كتفه فصرعه فسقط الى الارض بغير قتل . وحمل سلمة بن ذؤيب السعدى على الضحاك فصرعه أيضا وكثرت بينهم الجراح من غير قتل . فقال الاخماس الذين اعتزلوا والله ما صنعتم شيأ اعتزلتم قتالهم وتركتموهم يتشاجرون فجاؤا حتى صرفوا وجوه بعضهم عن بعض وقالوا لبنى تميم والله ان هذا اللؤم قبيح لنحن أسخى انفسا منكم حين تركنا أموالنا لبنى عمكم وانتم تقاتلونهم عليها خلوا عنهم وأرواحهم فان القوم فدحوا . فانصرفوا عنهم ومضى معه ناس من قيس فيهم الضحاك بن عبد الله وعبد الله بن رزين حتى قدموا الحجاز فنزل مكة . فجعل راجز لعبد الله بن عباس يسوق له فى الطريق ويقول :

صبحت من كاظمة القصر الخرب * مع ابن عباس بن عبد المطلب

وجعل ابن عباس يرتجز ويقول :

آوى الى أهلك يا رباب * آوى فقد حان لك الاياب

وجعل أيضا يرتجز و يقول:

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقال له يا أبا العباس أمثلك يرفث فى هذا الموضع . قال انما الرفث ما يقال عند النساء قال أبو محمد فلما نزل مكة اشترى من عطاء بن جبير مولى بنى كعب من جواريه ثلاث مولدات حجازيات يقال لهن شادن وحوراء وفتون بثلاثة آلاف دينار . وقال سليمان بن أبى راشد عن عبد الله ابن عبيد عن أبى الكنود قال كنت من أعوان عبد الله بالبصرة . فلما كان من أمره ما كان أتيت عليا فاخبرته فقال « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » ثم كتب معه اليه : اما بعد فانى كنت أشركتك فى امانتى ولم يكن من أهل بيتى رجل اوثق عندى منك بمواساتى وموازرتى باداء الامانة . فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك والعدو قد حرب وأمانة الناس قد خربت وهذه الامة قد فتنت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع القوم المفارقين وخذلته أسوأ خذلان وخنته مع من خان فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اليه أديت كانك لم تكن على بينة من ربك وانما كدت أمة محمد عن دنياهم وغدرتهم عن فيئهم . فلما امكنتك الفرصة فى خيانة الامة اسرعت الغدرة وعاجلت الوثبة فاختطفت ماقدرت عليه من أموالهم وانقلبت بها الى الحجاز كانك انما حزت على أهلك ميراثك من أبيك وأمك سبحان الله أما تؤمن بالمعاد أما تخاف الحساب اما تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما وتشترى الاماء وتنكحهم باموال اليتامى والارامل والمجاهدين فى سبيل الله التى أفاء الله عليهم فاتق الله وأد الى القوم أموالهم فانك والله لئن لم تفعل وامكننى الله منك لاعذرن الى الله فيك فوالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذى فعلت ما كانت لهما عندى هوادة ولما تركتهما حتى آخذ الحق منهما والسلام . فكتب اليه ابن عباس : اما بعد فقد بلغنى كتابك تعظم على امانة المال الذى أصبت من بيت مال البصرة ولعمرى ان حقى فى بيت مال الله اكثر من الذى أخذت والسلام .

فكتب اليه على : اما بعد فان العجب كل العجب منك اذ ترى لنفسك فى بيت مال الله اكثر مما لرجل من المسلمين قد افلحت ان كان تمنيك الباطل وادعاءك مالا يكون ينجيك من الاثم ويحل لك ما حرم الله عليك عمرك الله انك لانت البعيد البعيد قد بلغنى انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشترى المولدات من المدينة والطائف وتختارهن على عينك وتعطى بها مال غيرك . وانى

أقسم بالله ربي و ربك رب العزة ما أحب ان ما أخذت من أموالهم لي حلالا ادعه ميراثا لعقبي فما بال اغتباطك به تاكله حراما صحرو يدا فكأنك قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي فيه المغتر بالحسرة ويتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة . فكتب اليه : ابن عباس والله لئن لم تدعني من أساطيرك لاحملنه الى معاوية يقاتلك به فكف عنه علي

١٨ — مقتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه — سفيان بن عيينة قال: كان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يخرج بالليل الى المسجد . فقال أناس من أصحابه نخشى ان يصيبه بعض عدوه ولكن تعالوا نحرسه فخرج ذات ليلة فاذاهو بنا . فقال ماشانكم فكتمناه فعزم علينا فاخبرناه . فقال تحرسوني من أهل السماء أومن أهل الارض قلنامن أهل الارض . قال انه ليس يقضي في الارض حتى يقضي في السماء . التميمي باسناد له قال : لما تواعد ابن ملجم وصاحباه بقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص دخل ابن ملجم المسجد في فروغ الفجر الاول فدخل في الصلاة تطوعا ثم افتتح في القراءة وجعل يكرر هذه الآية ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله فاقبل ابن أبي طالب بيده مخفقة وهو يوقظ الناس للصلاة و يقول أيها الناس الصلاة الصلاة . فمر بابن ملجم وهو يردد هذه الآية فظن علي انه ينسى فيها ففتح عليه . فقال والله رؤف بالعباد . ثم انصرف علي وهو يريد ان يدخل الدار فاتبعه فضربه على قرنه ووقع السيف في الجدار فاطار فدرة من آخره فابتدره الناس فاخذوه ووقع السيف منه فجعل يقول أيها الناس احذروا السيف فانه مسموم . قال فاتي به علي فقال احبسوه ثلاثا واطعموه واسقوه فان أعش أرى فيه رأيي . وان أمت فاقتلوه ولا تمثلوا به فمات من تلك الضربة فاخذه عبدالله بن جعفر فقطع يديه ورجليه فلم يفزع ثم أراد قطع لسانه ففزع . فقيل له لم تفزع لقطع يديك ورجليك وفزعت لقطع لسانك . قال اني أكره ان تمر بي ساعة لا أذكر الله فيها . ثم قطعوا لسانه وضربوا عنقه . وتوجه الخارجي الآخر الى معاوية فلم يجد اليه سبيلا . ووجه الثالث الى عمرو فوجده قد اغفل تلك الليلة فلم يخرج الى الصلاة وقدم مكانه رجلا يقال له خارجة فضربه الخارجي بالسيف وهو يظنه عمرو بن العاص فقتله . فاخذه الناس فقالوا قتلت خارجة قال أوليس عمرا قالوا والله لا قال أردت عمرا واراد الله خارجة . وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي ألا أخبرك باشد الناس عذابا يوم القيامة . قال أخبرني يارسول الله قال فان أشد الناس عذابا يوم القيامة عاقر ناقة ثمود وخاضب لحيتك بدم رأسك . وقال كثير عزة :

ألاان الأئمة من قريش * ولاة العهد أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لايذرق الموت حتى * يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لايرى عنهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

قال الحسن بن على : صبيحة الليلة التى قتل فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه حدثنى أبى البارحة فى هذا المسجد . فقال يابنى انى صليت البارحة مارزق الله . ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ماأنا فيه من مخالفة أصحابى وقلة رغبتهم فى الجهاد فقال لى ادع الله ان يريحك منهم فدعوت الله . وقال الحسن : صبيحة تلك الليلة أيها الناس انه قتل فيكم الليلة رجل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا ينثنى حتى يفتح الله له ماترك الا ثلثمائة درهم

١٩ — خلافة الحسن بن على — ثم بويع للحسن بن على وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان سنة أربعين من التاريخ . فكتب اليه ابن عباس ان الناس قد ولوك أمرهم بعد على فاشدد عن يمينك وجاهد عدوك واستر من الضنين ذنبه بما لا يثلم دينك واستعمل أهل البيوتات تستصلح بهم عشائرهم . ثم اجتمع الحسن بن على ومعاوية بمسكن من أرض السواد من ناحية الانبار . واصطلحا وسلم الحسن الأمر الى معاوية وذلك فى شهر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين ويسمى عام الجماعة فكانت ولاية الحسن سبعة أشهر وسبعة أيام ومات الحسن فى المدينة سنة تسع وأربعين وهو ابن ست وأربعين سنة . وصلى عليه سعيد بن العاص وهو والى المدينة وأوصى ان يدفن مع جده فى بيت عائشة فمنعه مروان بن الحكم فردوه الى البقيع . وقال أبو هريرة : لمروان علام تمنع ان يدفن مع جده فلقد أشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . فقال له مروان لقد ضيع حديث نبيه اذلم يروه غيرك . قال أما انك اذ قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من أحب ومن أبغض ومن نفى ومن أقر ومن دعاله ومن دعا عليه . ولما بلغ معاوية موت الحسن بن على خر ساجداً لله . ثم أرسل الى ابن عباس وكان معه فى الشام فعزاه وهو مستبشر وقال له ابن كم سنة

مات أبو محمد . فقال له سنه كان يسمع فى قريش فالعجب من ان يجهله مثلك . قال بلغنى انه ترك أطفالا صغارا . قال : كل ما كان صغيرا يكبر وان طفلنا الكهل وان صغيرنا الكبير . ثم قال مالى أراك يامعاوية مستبشرا بموت الحسن بن على . فوالله لا ينسأ فى أجلك ولا يسد حفرتك وما أقل بقاءك و بقاءنا بعده . ثم خرج ابن عباس فبعث اليه معاوية ابنه يزيد فقعد بين يديه فعزاه واستعبر لموت الحسن . فلما ذهب اتبعه ابن عباس بصره . وقال اذا ذهب آل حرب ذهب الحلم من الناس

٢٠ — خلافة معاوية — ثم اجتمع الناس على معاوية سنة احدى وأربعين وهو عام الجماعة . فبايعه أهل الامصار كلها وكتب بينه و بين الحسن كتابا وشروطا ووصله بأربعين ألفا وفى رواية أبى بكر بن أبى شيبة انه قال له والله لاجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك ولا أجيز بها أحدا بعدك فأمر له بأربعمائة ألف . هو معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكنيته أبو عبد الرحمن . وأمه هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف . ومات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين . وصلى عليه الضحاك بن قيس وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . و يقال ابن ثمانين سنة كانت ولايته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوما . صاحب شرطته يزيد بن الحرث العبسى وعلى حرسه وهو أول من اتخذ حرسا رجل من الموالى يقال له المختار . وحاجبه سعد مولاه وعلى القضاء أبو ادريس الخولانى . و ولده عبد الرحمن وعبد الله من فاختة ابنة قرطة . أما عبد الرحمن فمات صغيرا . وأما عبد الله فمات كبيرا وكان ضعيفا ولا عقب له من الذكور . وكان له بنت يقال لها عاتكة تزوجها يزيد بن عبد الملك وفيها يقول الشاعر :

يا بيت عاتكة التى اتغزل * حذر العدا و به الفؤاد موكل

و يزيد بن معاوية وأمه ابنة بجدل كلبية

٢١ — فضائل معاوية — ذكر عمرو بن العاص معاوية فقال : احذروا آدم قريش وابن كريمها من يضحك عند الغضب ولا ينام الا على الرضا و يتناول ما فوقه من تحته . سئل عبد الله بن عباس : عن معاوية فقال سما بشىء أسره واستظهر عليه بشىء أعلنه فحاول ما اشر بما أعلن فناله وكان حلمه قاهر الغضبه وجوده غالبا على منعه يصل ولا يقطع

ويجمع ولا يفرق فاستقام له أمره وجرى الى أمده . قيل : فاخبرنا عن ابنه . قال كان فى خير سبيله وكان أبوه قد أحكمه وامره ونهاه فتعلق بذلك وسلك طريقا مذللا له . وقال معاوية : لم يكن فى الشباب شىء الا كان منى فيه مستمتع غير انى لم اكن صرعة ولا نكحة ولا سبا . قال الاصمعى : السب كثير السباب . ميمون بن مهران قال : كان أول من جلس بين الخطبتين معاوية . وأول من وضع شرف العطاء الفين معاوية . وقال معاوية : لا زلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاوية اذا ملكت فاحسن . العتبى عن أبيه قال : قال معاوية لقريش ألا أخبركم عنى وعنكم قالوا بلى قال فانا أطير اذا وقعتم واقع اذا طرتم ولو وافق طيرانى طيرانكم سقطنا جميعا . وقال معاوية : لو ان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا قيل له : وكيف ذلك . قال : كنت اذا مدوها أرخيتها واذا ارخوها مددتها . وقال زياد : ما غلبنى أمير المؤمنين معاوية قط الا فى أمر واحد طلبت رجلا من عمالى كسر على الخراج فلجأ اليه فكتبت اليه ان هذا فساد عملى وعملك . فكتب الى انه لا ينبغى لنا ان نسوس الناس سياسة واحدة لا نلين جميعا فيمرح الناس فى المعصية ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك . ولكن تكون أنت للشدة والفظاظة والغلظة وأكون انا للرأفة والرحمة

٢٢ — أخبار معاوية — قدم معاوية المدينة بعد عام الجماعة . فدخل دار عثمان ابن عفان فصاحت عائشة ابنة عثمان وبكت ونادت أباها : فقال معاوية يا ابنة أخى ان الناس اعطونا طاعة واعطيناهم أمانا واظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا ذلا تحته حقد ومع كل انسان سيفه ويرى موضع أصحابه فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ولان تكونى ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكونى امرأة من عرض الناس . القحذمى قال : لما قدم معاوية المدينة قال أيها الناس ان أبا بكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده . وأما عمر فارادته الدنيا ولم يردها . وأما عثمان فنال منها ونالت منه . وأما انا فمالت بى وملت بها . وأنا ابنها فهى أمى فان لم تجدونى خيركم فانا خير لكم . ثم نزل . قال جويرية بن أسماء : نال بشر بن ارطاة من على بن أبى طالب عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس فعلا بشرا ضربا حتى شجه . فقال معاوية : يازيد عمدت الى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربته وأقبل على بشر . وقال تشتم عليا وهو جده وأبوه الفاروق على رؤس الناس أفكنت تراه يصبر على

شتم علي . وكانت ام زيد ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب . ولما قدم معاوية مكة : وكان عمر قد استعمله عليها دخل على أمه هند . فقالت له يابني انه قلما ولدت حرة مثلك . وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه ابي سفيان فقال له يابني ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخيرنا فصرنا اتباعا وصاروا قادة . وقد قلدوك جسيما من أمرهم فلا تخالفن رأيهم فانك تجري الى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه . قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ . العتبي : عن ابيه ان عمر بن الخطاب : قدم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار . فتلقاهما معاوية في موكب نبيل فجاوز عمر حتى اخبر فرجع اليه . فلما قرب منه نزل فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل . فاقبل عليه عمر فقال يامعاوية انت صاحب الموكب آنفا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك . قال نعم ياأمير المؤمنين . قال ولم ذلك قال لانا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو فلابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك قمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت . قال لئن كان الذي قلت حقا فانه رأي أريب ولئن كان باطلا فانها خدعة اديب ولا آمرك به ولا انهاك عنه . فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ماصدر من هذا الفتى عما أوردته فيه . قال لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه . وقال معاوية لابن الكواء : يا ابن الكواء انشدك الله ماعلمك في قال انشدتني الله ما أعلمك الا واسع الدنيا ضيق الآخرة . ولما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة وأراد ان يلعن عليا على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث اليه وخذ رأيه فأرسل اليه وذكر له ذلك . فقال ان فعلت لاخرجن من المسجد . ثم لا اعود اليه فامسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد . فلما مات لعنه على المنبر وكتب الى عماله ان يلعنوه على المنابر ففعلوا . فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الى معاوية انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك انكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن احبه وأنا اشهد ان الله احبه ورسوله فلم يلتفت الى كلامها وقال بعض العلماء لولده : يابني ان الدنيا لم تبن شيا الا هدمه الدين وان الدين لم يبن شيا فهدمته الدنيا الا ترى ان قوما لعنوا عليا ليخفضوا منه فكانما أخذوا بناصيته جرا الى السماء . ودخل صعصعة بن صوحان

على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره . فقال وسع له على ترابية فيه : فقال صعصعة انى والله لترابى منه خلقت واليه أعود ومنه أبعث وانك لمارج من مارج من نار . العتبى عن أبيه قال : قال معاوية يوما لعمرو بن العاص ما أعجب الاشياء قال غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه قال معاوية أعجب من ذلك ان يعطى من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة . وقال معاوية : أعنت على على بار بعة كنت أكتم سرى وكان رجلا يظهره وكنت فى أصلح جند وأطوعه وكان فى أخبث جند وأعصاه وتركته واصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون على منه وان ظفر بهم اغتر بها فى دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الى ومفرق عنه . العتبى قال : أراد معاوية ان يقدم ابنه يزيد على الصائفة فكره ذلك يزيد فابى معاوية الا أن يفعل . فكتب اليه يزيد يقول :

تجنى لا يزال يعد ذنبا * لتقطع وصل حبلك من حبالى

فيوشك أن يريحك من اذاتى * نزولى فى المهالك وارتحالى

وتجهز للخروج فلم يختلف عنه احد حتى كان فيمن خرج أبو أيوب الانصارى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . قال العتبى : وحدثنى أبو ابراهيم قال أرسل معاوية الى ابن عباس قال ياأبا العباس ان أحببت أن تخرج مع ابن أخيك فيانس بك ويقر بك وتشير عليه برأيك ولا يدخل الناس بينك وبينه فيشغلوا كل واحد منكما عن صاحبه . وأقل من ذكر حقك فانه ان كان لك فقد تركته لمن هو أبعد منا حبا وان لم يكن لك فلا حاجة بك الى ذكره مع انه صائر اليك وكل آت قريب . ولتجدنا اذا كان ذلك خيرا لكم منا . فقال ابن عباس والله لئن عظمت عليك النعمة فى نفسك لقد عظمت عليك فى يزيد . وأما ماسالتنى عن الكف عن ذكر حقى فانى لم أغمد سيفى وأنا أريد أن انتصر بلسانى ولئن صار هذا الامر الينا ثم وليكم من قومى مثلى كما وليناه من قومك مثلك لا يرى أهلك الا ما يحبون . قال فخرج يزيد . فلما صار على الخليج ثقل أبو أيوب الانصارى فاتاه يزيد عائدا . فقال ما حاجتك أبا أيوب . فقال أما دنياكم فلا حاجة لى فيها ولكن قدمنى ما استطعت فى بلاد العدو فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدفن عند سور القسطنطينية رجل صالح أرجو أن أكون هو . فلما مات أمر يزيد بتكفينه وحمل على سريره . ثم اخرج الكتائب فجعل قيصر يرى سريرا يحمل والناس يقتتلون فارسل الى يزيد ما هذا الذى أرى . قال صاحب نبينا وقد سالنا أن نقدمه فى بلادك ونحن منفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله . فارسل اليه

العجب كل العجب كيف يدهى الناس أباك وهو يرسلك فتعمد الى صاحب نبيك فتدفنه فى بلادنا فاذا وليت أخرجناه الى الكلاب . فقال يزيد : انى والله ما أردت ان أودعه بلادكم حتى أودع كلامى آذانكم فانى كافر بالذى اكرمت هذا الله لئن بلغنى انه نبش من قبره أومثل به لا تركت بارض العرب نصرانيا الا قتلته ولا كنيسة الا هدمتها . فبعث اليه قيصر أبوك كان أعلم بك فوحق المسيح لاحفظنه بيدى سنة . فلقد بلغنى انه بنى على قبره قبة يسرج فيها الى اليوم

٢٣ – طلب معاوية البيعة لزيد — أبو الحسن المدائنى قال: لما مات زياد وذلك سنة ثلاث وخمسين اظهر معاوية عهدا مفتعلا . فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده وانما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد . فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين ويشاور ويعطى الاقارب ويدانى الاباعد حتى استوثق له من اكثر الناس . فقال لعبد الله بن الزبير: ما ترى فى بيعة يزيد . قال يا أمير المؤمنين انى أناديك ولا اناجيك ان اخاك من صدقك . فانظر قبل أن تتقدم وتفكر قبل أن تندم . فان النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم . فضحك معاوية وقال ثعلب رواغ تعلمت الشجاعة عند الكبر فى دون ما تشجعت به على ابن أخيك ما يكفيك . ثم التفت الى الاحنف فقال : ما ترى فى بيعة يزيد . قال نخافكم ان صدقناكم ونخاف الله ان كذبنا . فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية الى سائر الامصار أن يفدوا عليه فوفد عليه من كل مصر قوم وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم فخلا به معاوية وقال له ما ترى فى بيعة يزيد . فقال يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الارض أحد هو أحب الى رشدا من نفسك سوى نفسى وان يزيد أصبح غنيا فى المال واسطا فى الحسب وان الله سائل كل راع عن رعيته فاتق الله وانظر من تولى أمر أمة محمد . فاخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء وذلك فى يوم شات . ثم قال يا محمد انك امرؤ ناصح قلت برأيك ولم يكن عليك الا ذاك . قال معاوية : انه لم يبق الا ابنى وأبناؤهم فابنى أحب الى من أبنائهم اخرج عنى . ثم جلس معاوية فى أصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه وقد تقدم الى أصحابه أن يقولوا فى يزيد . فكان أول من تكلم الضحاك بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين انه لا بد للناس من وال بعدك والانفس يغدى عليها ويراح وان الله قال: « كل يوم هو فى شأن » ولا ندرى ما يختلف به العصران . ويزيد ابن أمير المؤمنين فى حسن معدنه وقصد سيرته من أفضلنا حلما واحكمنا علما فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك فانا قد بلونا الجماعة والالفة . فوجدناها احقن

للدماء وآمن للسبل وخيراً في العاقبة والآجلة . ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال: أيها الناس ان يزيد أمل تأملونه وأجل تأمنونه طويل الباع رحب الذراع اذا صرتم الى عدله وسعكم وان طلبتم رفده أغناكم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فجد وقورع فقرع خلفا من أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال: اجلس أبا أمية فلقد أوسعت واحسنت . ثم قام يزيد بن المقفع فقال: أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية فان هلك فهذا . وأشار الى يزيد فمن أبي فهذا وأشار الى سيفه . فقال: معاوية اجلس فانك سيد الخطباء ثم تكلم الاحنف بن قيس . فقال: ياأمير المؤمنين انت أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه . فان كنت تعلمه لله رضا ولهذه الامة فلا تشاور الناس فيه . وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب الى الآخرة . قال فتفرق الناس ولم يذكروا الا كلام الاحنف . قال ثم بايع الناس ليزيد بن معاوية . فقال رجل وقد دعى الى البيعة اللهم اني أعوذ بك من شر معاوية . فقال له معاوية تعوذ من شر نفسك فانه أشد عليك وبايع . قال اني أبايع وانا كاره للبيعة . فقال له معاوية بايع أيها الرجل فان الله يقول « فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ثم كتب الى مروان بن الحكم عامله على المدينة ان ادع أهل المدينة الى بيعة يزيد . فان أهل الشام والعراق قد بايعوا . فخطبهم مروان فحضهم على الطاعة وحذرهم الفتنة ودعاهم الى بيعة يزيد . وقال سنة أبي بكر الهادية المهدية . فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر كذبت ان أبا بكر ترك الاهل والعشيرة وبايع لرجل من بني عدى رضى دينه وامانته واختاره لامة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال مروان: ايها الناس ان هذا المتكلم هو الذى انزل الله فيه « والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن اخرج وقد خلت القرون من قبلي » فقال له عبد الرحمن: ياابن الزرقاء أفينا تتأول القرآن . وتكلم الحسين بن علي . وعبد الله بن الزبير . وعبد الله بن عمر وانكروا بيعة يزيد وتفرق الناس فكتب مروان الى معاوية بذلك . فخرج معاوية الى المدينة في ألف . فلما قرب منها تلقاه الناس . فلما نظر الى الحسين قال مرحبا بسيد شباب المسلمين قربوا دابة لابي عبد الله . وقال لعبد الرحمن بن ابي بكر مرحباً بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق . وقال لابن عمر مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق . وقال لابن الزبير مرحباً بابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته . ودعا لهم بدواب فحملهم عليها وخرج حتى أتى مكة فقضى حجه . ولما أراد الشخوص امر باثقاله فقدمت وامر بالمنبر فقرب من الكعبة وارسل الى الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير فاجتمعوا . وقالوا لابن الزبير اكفنا كلامه . فقال:

على ان لا تخالفوني. قالوا لك ذلك ثم أتوا معاوية فرحب بهم وقال لهم قد علمتم نظري لكم وتعطفي عليكم وصلتي أرحامكم. و يزيد أخوكم وابن عمكم. وانما أردت ان أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرون وتنهون فسكتوا وتكلم ابن الزبير. فقال: نخيرك بعد احدى ثلاث أيها أخذت فهي لك رغبة وفيها خيار ان شئت فاصنع فينا ماصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله ولم يستخلف فدع هذا الامر حتى يختار الناس لانفسهم. وان شئت فاصنع أبو بكر عهد الى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الادنين من كان لها أهلا. وان شئت فاصنع عمر صيرها الى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا. قال معاوية: هل غير هذا قال لا. ثم قال للآخرين ماعندكم: قالوا نحن على ماقال ابن الزبير. فقال معاوية اني اتقدم اليكم وقد أعذر من أنذر اني قائل مقالة فاقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع اليه كلمته حتى يضرب رأسه فلا ينظر امرؤ منكم الا الى نفسه ولا يبقي الا عليها. وأمر ان يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفهما فان تكلم بكلمة يردها عليه قوله قتلاه. وخرج وأخرجهم معه حتى رقي المنبر وحف به أهل الشام. واجتمع الناس. فقال: بعد حمد الله والثناء عليه انا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار. قالوا ان حسينا وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد. وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا نبرم أمرا دونهم. ولا نقضي أمرا الا عن مشورتهم. واني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين فبايعوا وسلموا وأطاعوا. فقال: أهل الشام ومايعظم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضرب أعناقهم لا نرضى حتى يبايعوا علانية. فقال: معاوية سبحان الله ما أسرع الناس الى قريش بالشر وأحلى دماءهم عندهم انصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ودعا الناس الى البيعة فبايعوا. ثم قربت رواحله فركب ومضى. فقال الناس للحسين وأصحابه قلتم لا نبايع فلما دعيتم وأرضيتم بايعتم. قالوا لم نفعل قالوا: بلى قد فعلتم و بايعتم. أفلا أنكرتم. قالوا: خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم

٢٤ — وفاة معاوية — عن الهيثم بن عدي قال: لما حضرت معاوية الوفاة و يزيد غائب دعا الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المري فقال أبلغا عني يزيد وقولا له انظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فاكرمه ومن قعد عنك فتعاهده. وانظر أهل العراق فان سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله فان عزل عامل واحد أهون من سل مائة ألف سيف لا تدري على من

تكون الدائرة. ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمه بهم. ثم أردد أهل الشام الى بلدهم ولا يقيموا فى غيره فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك الا ثلاثة الحسين بن علي وعبد الله الزبير وعبد الله بن عمر. فاما الحسين بن على فارجو ان يكفيكه الله فانه قتل أباه وخذل أخاه. وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان ظفرت به فقطعه أربا أربا. وأما ابن عمر فانه رجل قد قرقره الورع فخل بينه وبين آخرته يخل بينك وبين دنياك. ثم أخرج الى يزيد بريدا بكتاب يستقدمه ويستحثه فخرج مسرعا فتلقاه يزيد فاخبره بموت معاوية. فقال يزيد:

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى صحيفتكم * قالوا الخليفة أمسى مثبتا وجعا
فمادت الارض أوكادت تميد بنا * كأن أغبر من أركانها انقلعا
ثم انبعثنا الى خوص مزممة * نرمى العجاج بها ما نأتلى سرعا
فما نبالى اذا بلغن أرحلنا * ما مات منهن بالموماة أوظلعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه * كذاك كنا جميعا قاطنين معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به * لوقارع الناس عن أخلاقهم قرعا
لا يرقع الناس ما أوهى ولوجهدوا * ان يرقعوه ولا يوهون مارقعا

قال محمد بن عبد الحكم: قال الشافعى سرق هذين البيتين من الاعشى. ابن داب قال: لما هلك معاوية خرج الضحاك بن قيس الفهرى وعلى عاتقه ثياب حتى وقف الى جانب المنبر. ثم قال: أيها الناس ان معاوية كان إلف العرب وملكها اطفأ الله به الفتنة وأحيا به السنة وهذه اكفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه. فمن أراد حضوره صلاة الظهر فليحضره وصلى عليه الضحاك بن قيس الفهرى. ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن هلال السلولى فقال:

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذى بالملك حاباكا
لا رزء أعظم فى الاقوام قد علموا * مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعى اهل الارض كلهم * فانت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

فافتتح الخطباء الكلام. ثم دخل يزيد فاقام ثلاثة ايام لا يخرج للناس. ثم خرج وعليه أثر الحزن فصعد المنبر واقبل الضحاك فجلس الى جانب المنبر وخاف عليه الحصر. فقال له يزيد: ياضحاك

أجئت تعلم بنى عبدشمس الكلام . ثم قام خطيبا فقال: الحمد لله الذى ماشاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان معاوية بن ابى سفيان كان حبلا من حبال الله مده ماشاء ان يمده ثم قطعه حين شاء ان يقطعه فكان دون من قبله وخيرا ممن ياتى بعده ولا أزكيه وقد صار الى ربه فان يعف عنه فبرحمته وان يعذبه فبذنبه وقد وليت بعده الامر ولست اعتذر من جهل ولا أنى عن طلب وعلى رسلكم اذا كره الله شيئا غيّره واذا أراد شيئاً يسره

٢٥ — خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته — هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه ميسون ابنة بحدل بن قياسة احد بنى حارثة بن خباب . وكنيته أبو خالد . وكان آدم جعدا مهضوما أحور العين بوجهه آثار جدرى حسن اللحية خفيفها . ولى الخلافة فى رجب سنه ستين ومات فى النصف من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين ودفن بحوارين خارجا من المدينة وكانت ولايته أربع سنين وأياما وكان على شرطته حميد ابن حريث بن بحدل . وكاتبه وصاحب أمره سرخون بن منصور . وعلى القضاء أبو ادريس الخولانى . وعلى الخراج مسلمة بن حديدة الازدى . أولاد يزيد : معاوية وخالد وأبو سفيان امهم فاختـة بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة . وعبد الله وعمر وأمهما أم كلثوم ابنة عبد الله بن عباس . وكان عبد الله ولده ناسكا وولده خالد عالما لم يكن فى بنى أميـة ازهد من هـذا ولا أعلم من هـذا . الاصمعى عن أبى عمرو قال : اعرق الناس فى الخـلافة عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن سـفيان أبوها خليفة وجدها معاوية خليفة وأخوها معاوية بن يزيد خليفة وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة وار باؤها الوليد وسليمان وهشام خلفاء

٢٦ — مقتل الحسين بن على — على بن عبـد العزيز قال : قرأ علىّ أبو القاسم عبد الله بن سلام وأنا اسمع فسألته نروى عنك كما قرئ عليك قال نعم . قال أبو عبيد: لما مات معاوية بن سفيان وجاءت وفاته الى المدينة وعليها يومئذ الوليد بن عتبة فارسل الى الحسين بن على وعبد الله بن الزبير فدعاهما الى البيعـة ليزيد . فقالا بالغد ان شاء الله على رؤس الناس وخرجا من عنده فدعا الحسين برواحله فركبها وتوجه نحو مكة على المنهج الاكبر . وركب ابن الزبير برذونا له وأخذ طريق العرج حتى قدم مكة . ومر حسين حتى أتى على عبد الله بن مطيع وهو على بئر له فنزل عليه . فقال للحسـين يا أبا عبد الله لا سـقانا الله بعدك ماء طيبا أين تريد . قال العراق قال

سبحان الله. قال: مات معاوية وجاءني أكثر من حمل صحف . قال لا تفعل أبا عبد الله فوالله ماحفظوا أباك وكان خيرا منك فكيف يحفظونك . ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك الا استحلت . فخرج حسين حتى قدم مكة فاقام بها هو وابن الزبير . قال فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميرا على المدينة والموسم وعزل الوليد بن عتبة . فلما استوى على المنبر رعف . فقال اعرابي مه جاءنا والله بالدم . قال: فتلقاه رجل بعمامته فقال مه عم الناس والله . ثم قام فخطب فناولوه عصا لها شعبتان . فقال تشعب الناس والله . ثم خرج الى مكة فقدمها قبل التروية بيوم ووفدت الناس للحسين يقولون يا أبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانزلتهم بدارك اذ جاء المؤذن فاقام الصلاة فتقدم عمرو بن سعيد فكبر . فقيل للحسين اخرج أبا عبد الله اذا بيت ان تتقدم . فقال الصلاة في الجماعة افضل . قال فصلى ثم خرج فلما انصرف عمرو بن سعيد بلغه ان حسينا قد خرج . فقال اطلبوه اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فعجب الناس من قوله هذا فطلبوه فلم يدركوه وأرسل عبد الله بن جعفر ابنيه عونا ومحمدا ليردا حسينا فابى حسين ان يرجع . وخرج بابني عبد الله بن جعفر معه ورجع عمرو بن سعيد الى المدينة وأرسل الى ابن الزبير ليأتيه فابى ان يأتيه وامتنع ابن الزبير برجال من قريش وغيرهم من اهل مكة . قال: فارسل عمرو بن سعيد لهم جيشا من المدينة وأمر عليهم عمرو بن الزبير اخا عبد الله بن الزبير وضرب على أهل الديوان البعث الى أهل مكة وهم كارهون للخروج . فقال اما ان تأتوني بدلاء واما ان تخرجوا . قال فبعثهم الى مكة فقاتلوا ابن الزبير فانهزم عمرو بن الزبير وأسره أخوه عبد الله فحبسه في السجن . وقد كان بعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل بن أبي طالب الى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم . وكان على الكوفة حين مات معاوية فقال يا أهل الكوفة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بنت بحدل . قال فبلغ ذلك يزيد فقال يا أهل الشام أشيروا علي من استعمل على الكوفة . فقالوا: ترضى من رضي به معاوية قال نعم قيل له فان الصك بامارة عبيد الله بن زياد على العراقين قد كتب في الديوان فاستعمله على الكوفة فقدمها قبل ان يقدم حسين . وبايع مسلم بن عقيل اكثر من ثلاثين الفا من أهل الكوفة وخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد فجعلوا كلما انتهوا الى زقاق انسل منهم ناس حتى بقي في شرذمة قليلة . قال فجعل الناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت . فلما رأى ذلك دخل دار هانئ بن عروة المرادي وكان له شرف ورأي فقال له هانئ ان لي من ابن زياد مكانا واني سوف

أعارض . فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه . قال فبلغ ابن زياد ان هانئ بن عروة مريض يقيء الدم وكان شرب المغرة فجعل يقيؤها فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ اذا قلت لكم اسقوني فاخرج اليه فاضرب عنقه يقولها لمسلم بن عقيل . فلما دخل ابن زياد وجلس . قال هانئ اسقوني فتبطوا عليه . فقال ويحكم اسقوني ولو كان فيه نفسي . قال فخرج ابن زياد ولم يصنع الآخر شيئاً قال وكان اشجع الناس ولكن أخذ بقلبه . وقيل لابن زياد ما أراده ابن هانئ فارسل اليه فقال اني شاك لا أستطيع . فقال ائتوني به وان كان شاكيا فاسرجت له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا قليلا . ثم يقف ويقول ما اذهب الى ابن زياد حتى دخل على ابن زياد . فقال له يا هانئ اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال ويدي قال بلى . فقال له هانئ قد كانت لك عندي ولابيك وقد أمنتك في نفسك ومالك . قال اخرج فخرج فتناول العصا من يده وضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب عنقه . وارسل الى مسلم بن عقيل فخرج اليهم بسيفه . فما زال يقاتلهم حتى اثخنوه بالجراح فاسروه وأتى به ابن زياد فقدمه ليضرب عنقه . فقال له دعني حتى أوصي . فقال أوص فنظر في وجوه الناس . فقال لعمرو بن سعيد ما أرى قرشيا هنا غيرك فادن مني حتى أكلمك فدنا منه . فقال له هل لك ان تكون سيد قريش ما كانت قريش ان حسينا ومن معه وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب لهم ما اصابني . ثم ضرب عنقه فقال عمر ولابن زياد أتدري ما قال لي قال اكتم على ابن عمك . قال هو اعظم من ذلك قال وما هو قال قال لي ان حسينا اقبل وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامرأة فارددهم واكتب اليه بما اصابني . فقال له ابن زياد أما والله اذ دللت عليه لا يقاتله أحد غيرك . قال فبعث معه جيشا وقد جاء حسينا الخبر وهم بشراف فهمّ بان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل . فقالوا ترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به . فقال الحسين لبعض أصحابه والله مالي على هؤلاء من صبر قال فلقيه الجيش على خيولهم وقد نزلوا بكربلاء . فقال حسين أي أرض هذه قالوا كربلاء . قال أرض كرب وبلاء واحاطت بهم الخيل . فقال الحسين لعمرو بن سعيد : ياعمرو اخترمني احدى ثلاث خصال اما ان تتركني ارجع كما جئت . واما ان تسيرني الى يزيد فاضع يدي في يده . واما ان تسيرني الى الترك أقاتلهم حتى أموت . فارسل الى ابن زياد بذلك فهم ان يسيره الى يزيد . فقال له شمر بن ذي الجوشن امكنك الله من عدوك فتسيره

لا الا ان ينزل فى حكمك فارسل اليه بذلك فقال الحسين أنا انزل على حكم ابن مرجانة والله لا افعل ذلك أبدا. قال وأبطأ عمر وعن قتاله فارسل ابن زياد الى شمر بن ذى الجوشن . وقال له ان تقدم عمر وو قاتل والا فاتر كه وكن مكانه . قال وكان مع عمرو بن سعيد ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيا فتحولوا مع الحسين فقاتلوا ورأى رجل من أهل الشام عبد الله بن حسن بن على وكان من أجمل الناس فقال لاقتلن هذا الفتى . فقال له رجل ويحك ما تصنع به دعه فأبى وحمل عليه فضربه بالسيف فقتله فلما أصابته الضربة . قال ياعماه قال: لبيك صوتا قل ناصره وكثر واتره وحمل الحسين على قاتله فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم اقتتلوا . على بن عبد العزيز: قال حدثنى الزبير قال حدثنى محمد بن الحسين . قال لما نزل عمرو بن سعيد بالحسين وأيقن انهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : قد نزل بى ما ترون من الأمر وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واشمأزت فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الا خذس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا ينهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله فانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا ذلا وندما . وقتل الحسين رضى الله عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة احدى وستين بالطف من شاطئ الفرات بموضع يدعى كربلاء . وولد لخمس ليال من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقتل وهو ابن ست وخمسين سنة وهو صابغ بالسواد قتله سنان بن أبى أنس . وأجهز عليه خولة بن يزيد الاصبحى من حمير . وحز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وهو يقول :

أوقر ركابى فضة وذهبا * أنا قتلت الملك المحجبا * خير عباد الله أما وأبا

فقال له عبيد الله بن زياد اذا كان خير الناس أما وأبا وخير عباد الله فلم قتلته قدموه فاضربوا عنقه فضربت عنقه . روح بن زنباع عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الحرشى . قال : انى لعند يزيد ابن معاوية اذ اقبل زحر بن قيس الجعفى حتى وقف بين يدى يزيد . فقال: ما وراءك يازحر فقال ابشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره قدم علينا الحسين فى سبعة عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فبرزنا اليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الامير أو القتال فابوا الا القتال . فغدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف ماخذها من هام الرجال . فجعلوا يلوذون منا بالآكام والحفر كما يلوذ الحمام من الصقر فلم يكن

الانحر جزوراونوم نائم حتى أتينا على آخرهم . فها تيك أجسامهم مجزرة وهامهم مزملة . وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح بقاع سبسب زوارهم العقبان والرخم . قال فدمعت عينا يزيد . وقال: لقد كنت أقنع من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو كنت صاحبه لتركته رحم الله أبا عبد الله وغفر له . على بن عبد العزيز عن محمد بن الضحاك ابن عثمان الخزاعى عن أبيه . قال: خرج الحسين الى الكوفة ساخطا لولاية يزيد بن معاوية فكتب يزيد الى عبيد الله بن زياد وهو واليه بالعراق انه بلغنى ان حسينا سار الى الكوفة وقد ابتلى به زمانك بين الازمان وبلدك بين البلدان . وابتليت به من بين العمال وعنده تعتق أو تعود عبدا فقتله عبيد الله وبعث برأسه وثقله الى يزيد . فلما وضع الرأس بين يديه تمثل بقول حصين بن الحمام المزنى :

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له على بن الحسين . وكان فى السبى كتاب الله أولى بك من الشعر يقول الله: « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته . ثم قال غير هذا من كتاب الله أولى بك وبأبيك . قال الله : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » ماترون يا أهل الشام فى هؤلاء . فقال له رجل منهم لا تتخذ من كلب سوء جروا . قال النعمان بن بشير الانصارى: انظر ما كان يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم لو رآهم فى هذه الحالة فاصنعه بهم . قال : صدقت خلوا عنهم واضربوا عليهم القباب وأمال عليهم المطبخ وكساهم واخرج اليهم جوائز كثيرة . وقال لو كان بين ابن مرجانة وبينهم نسب ما قتلهم ثم ردهم الى المدينة . الرياشى قال أخبرنى محمد بن أبى رجاء قال أخبرنى أبو معشر عن يزيد بن زياد عن محمد بن الحسين بن على بن أبى طالب . قال : أتى بنا يزيد بن معاوية بعد ما قتل الحسين ونحن اثنا عشر غلاما . وكان أكبرنا يومئذ على بن الحسين فادخلنا عليه . وكان كل واحد منا مغلولة يده الى عنقه . فقال لنا أحرزت أنفسكم عبيد أهل العراق وما علمت بخروج أبى عبد الله ولا بقتله . أبو الحسن المداينى عن اسحق عن اسمعيل عن سفيان عن أبى موسى عن الحسن البصرى . قال: قتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته والله ما كان على الارض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم . وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله

عليه وسلم سبايا على أحقاب الابل . فلما أدخلن على يزيد قالت فاطمة ابنة الحسين يا يزيد أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا . قال بل حرائر كرام ادخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن بما فعلت . قالت فاطمة : فدخلت اليهن فما وجدت فيهن سفيانية الا متلدمة تبكي . وقالت بنت عقيل بن ابي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه :

عيني أبكي بعبرة وعويل * واندبي ان ندبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب علي * قد أصيبوا وخمسة لعقيل

ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت : كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعي الحسين فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم فاخذته فبكى فتركته فدنا منه . فاخذته فبكى فتركته فقال له جبريل أتحبه يا محمد . قال نعم قال : اما ان أمتك ستقتله وان شئت أريتك من تربة الارض التي يقتل بها فبسط جناحه فاراه منها فبكى النبي صلى الله عليه وسلم . محمد بن خالد قال قال ابراهيم النخعي : لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابن لهيعة عن أبي الاسود قال : لقيت رأس الجالوت فقال ان بيني و بين داود سبعين أبا وان اليهود اذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا حفظي وانه ليس بينكم و بين نبيكم الا أب واحد قتلتم ابنه . ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال : انتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة الا برصت . جعفر بن محمد عن أبيه قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قط صغيرا الا هم . على بن عبد العزيز عن الزبير عن مصعب بن عبد الله قال : حج الحسين خمسة وعشرين حجة ملبيا ماشيا . وقيل لعلي بن الحسين : ما كان أقل ولد ابيك قال : العجب كيف ولدت له كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فتى كان يتفرغ للنساء . يحيي ابن اسمعيل عن سالم ان الشعبي . قال : قيل لابن عمر ان الحسين توجه الى العراق فلحقه على ثلاث مراحل من المدينة وكان غائبا عند خروجه . فقال أين تريد فقال اريد العراق واخرج اليه كتب القوم . ثم قال هذه بيعتهم وكتبهم فناشده الله ان يرجع فأبى . فقال احدثك بحديث ماحدثت به احدا قبلك ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وانكم بضعة منه . فوالله لا يليها أحد من اهل بيته أبدا وما صرفها عنكم الا لما هو خير لكم فارجع فأنت تعرف غدر اهل العراق وما كان يلقى ابوك منهم فأبى فاعتنقه . وقال

استودعتك الله من قتيل . وقال الفرزدق: خرجت أريد مكة فاذا بقباب مضروبة وفساطيط فقلت لمن هذه قالوا للحسين . فعدلت اليه فسلمت عليه . فقال من أين اقبلت قلت من العراق قال كيف تركت الناس قلت القلوب معك والسيوف عليك والنصر من السماء .

٢٧ — تسمية من قتل مع الحسين بن على رضى الله عنهما — من اهل بيته ومن أسر منهم . قال أبو عبيد حدثنا حجاج عن أبى معشر قال : قتل الحسين بن على وقتل معه عثمان بن على . وأبو بكر بن على . وجعفر بن على . وعلى والعباس وكانت أمهم ام البنين بنت حرام الكلابية . وابراهيم بن على لام ولد له . وعبد الله بن حسن . وخمسة من بنى عقيل ابن أبى طالب . وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . وثلاثة من بنى هاشم فجميعهم سبعة عشر رجلا . وأسر اثنا عشر غلاما من بنى هاشم فيهم محمد بن الحسين . وعلى ابن الحسين . وفاطمة بنت الحسين فلم تقم لبنى حرب قائمة حتى سلبهم الله ملكهم . وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف : جنبنى دماء اهل هذا البيت فانى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين

٢٨ — حديث الزهرى فى قتل الحسين رضى الله عنه — حدثنا أبو محمد عبد الله بن ميسرة قال حدثنا محمد بن موسى الحرشى قال حدثنا حماد بن عيسى الجهنى عن عمر بن قيس . قال : سمعت ابن شهاب الزهرى يحدث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال حماد بن عيسى وحدثنى به عباد بن بشر عن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : لا يلسع المؤمن من جحر مرتين . وقالا : قال الزهرى خرجت مع قتيبة أريد المصيصة فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان واذا هو قاعد فى ايوان له واذا سماطان من الناس على باب الايوان . فاذا أراد حاجة قالها للذى يليه حتى تبلغ المسئلة باب الايوان ولا يمشى أحد بين السماطين . قال الزهرى فجئنا فقمنا على باب الايوان . فقال عبد الملك للذى عن يمينه هل بلغكم أى شئ اصبح فى بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن على . قال فسأل كل واحد منهما صاحبه حتى بلغت المسئلة الباب فلم يرد أحد فيها شيأ . قال الزهرى فقلت : عندى فى هذا علم

قال فرجعت المسئلة رجلا عن رجل حتى انتهت الى عبد الملك . قال فدعيت فمشيت بين السماطين . فلما انتهيت الى عبد الملك سلمت عليه . فقال لى: من انت قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى . قال فعرفنى بالنسب وكان عبد الملك طلابة للحديث . فقال ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن على بن أبى طالب . و فى رواية على بن عبد العزيز عن ابراهيم بن عبد الله عن أبى معشر عن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن العاص عن الزهرى . انه قال : الليلة التى قتل فى صبيحتها الحسين بن على . قال الزهرى نعم فقلت حدثنى فلان لم يسمه لنا انه لم يرفع تلك الليلة التى صبيحتها قتل على بن أبى طالب والحسين بن على حجر فى بيت المقدس الا وجد تحته دم عبيط . قال عبد الملك صدقت حدثنى الذى حدثك وانى واياك فى هذا الحديث لغريبان . ثم قال لى ما جاء بك قلت مرابطا . قال الزم الباب فاقمت عنده فاعطانى مالا كثيرا قال فاستأذنته فى الخروج الى المدينة فاذن لى ومعى غلام لى ومعى مال كثير فى عيبة . ففقدت العيبة فاتهمت الغلام فوعدته وتواعدته فلم يقر لى بشئ . قال فصرعته وقعدت على صدره ووضعت مرفقى على صدره وغمزته غمزة وأنا لا أريد قتله . فمات تحتى وسقط فى يدى وقدمت المدينة فسألت سعيد بن المسيب وأبا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله . فكلهم قال : لا نعلم لك توبة فبلغ ذلك على بن الحسين . فقال على به فاتيته فقصصت عليه القصة . فقال ان لذنبك توبة صم شهرين متتابعين واعتق رقبة مؤمنة واطعم ستين مسكينا ففعلت ثم خرجت أريد عبد الملك وقد بلغه انى أتلفت المال . فاقمت ببابه أياما لا يؤذن لى بالدخول فجلست الى معلم لولده . وقد حذق ابن لعبد الملك عنده وهو يعلمه ما يتكلم به بين يدى أمير المؤمنين اذا دخل عليه . فقلت لمؤدبه : كم تؤمل من أمير المؤمنين ان يصلك به فلك عندى ذلك على ان تكلم الصبى اذا دخل على أمير المؤمنين . فقال له سل حاجتك يقول له حاجتى ان ترضى عن الزهرى . ففعل فضحك عبد الملك وقال أين هو قال بالباب . فاذن لى فدخلت حتى اذا صرت بين يديه . قلت يا أمير المؤمنين حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

٢٩ — وقعة الحرة — أبو اليقظان قال : لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد . فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فاذا فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفنا نصيحته

فلما كان سنة ثلاث وستين قدم عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة عاملا عليها ليزيد بن معاوية. واوفد على يزيد وفدا من رجال المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة معه ثمانية بنين له فاعطاه مائة ألف. واعطى بنيه كل رجل منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم فلما قدم عبد الله بن حنظلة المدينة أتاه الناس. فقالوا: ماوراءك قال أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد الا بنى هؤلاء لجاهدته بهم. قالوا فانه قد بلغنا انه أكرمك واجازك وأعطاك قال قد فعل وماقبلت ذلك منه الا ان أتقوى به عليه أي على قتال يزيد. وحض الناس على يزيد فأجابوه. فكتب عثمان بن محمد الى يزيد بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف فكتب اليهم يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد «فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال» وانى قد لبستكم فأخلقتكم ورفعتكم على رأسي. ثم على عيني. ثم على فمي. ثم على بطني. والله لئن وضعتكم تحت قدمى لاطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأتركم بها أحاديث تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود. فلما أتاهم كتابه حمى القوم فقدمت الانصار عبد الله بن حنظلة على أنفسهم وقدمت قريش عبد الله بن مطيع ثم اخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة. ومروان بن الحكم وكل من كان بها من بني أمية. وكان عبد الله بن عباس بالطائف فسأل عنهم فقيل له استعملوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة على الانصار. فقال أميران هلك القوم. ولما بلغ يزيد مافعلوا أمر بقبة فضربت له خارجا عن قصره وقطع البعوث على اهل الشام فلم تمض ثالثة حتى توافت الحشود فقدم عليهم مسلم بن عقبة المرى فتوجه اليهم وقد عمد أهل المدينة فاخرجوا الى كل ماء لهم بينهم وبين الشام فصبوا فيه زقا من قطران وغوروه. فارسل الله عليهم المطر فلم يستقوا شيئاً حتى وردوا المدينة قال أبو اليقظان وغيره: ان يزيد بن معاوية ولى مسلم بن عقبة وهو قد اشتكى. فقال له ان حدث بك حدث فاستعمل حصين بن نمير فخرج حتى قدم المدينة فخرج اليه أهلها فى عدة وهيئة وجموع كثيرة لم ير مثلها. فلما رآهم اهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم. فامر مسلم بن عقبة بسريره فوضع بين الصفين وهو عليه مريض وأمر مناديا ينادى قاتلوا عن أميركم أو دعوه. فجد الناس فى القتال فسمعوا التكبير من خلفهم فى جوف المدينة فاذا قد اقتحم عليهم بنو حارثة اهل الشام وهم على الجدر. فانهزم الناس وعبد الله بن حنظلة متساند الى بعض بنيه يغط نوما. فلما

فتح عينيه فرأى ماصنعوا امرأ كبر بنيه فتقدم حتى قتل . فلم يزل يقدم واحدا واحداً حتى أتى على آخرهم . ثم كسر غمد سيفه وقاتل حتى قتل . ودخل مسلم بن عقبة المدينة . وتغلب على اهلها ثم دعاهم الى البيعة على انهم خول ليزيد بن معاوية يحكم فى دمائهم واموالهم واهليهم فبايعوا حتى أتى بعبد الله بن زمعة . فقال له بايع على انك خول لامير المؤمنين يحكم فى مالك ودمك واهلك قال: لن أبايع الا على انى ابن عم امير المؤمنين يحكم فى دمى ومالى واهلى . فقال مسلم بن عقبة اضربوا عنقه . فوثب مروان بن الحكم فضمه اليه . وقال نبايعك على ما أحببت فقال لا والله لا أقبلها اياه أبدا ان تنحى والا فاقتلوهما جميعا . فتركه مروان وضرب عنقه وهرب عبد الله بن مطيع حتى لحق بمكة . فكان بها حتى قتل مع عبد الله بن الزبير فى ايام عبد الملك بن مروان وجعل يقاتل اهل الشام وهو يقول :

أنا الذى فررت يوم الحره * والشيخ لا يفر الا مره

فاليوم أجزى كرة بفره * لا بأس بالكرة بعد الفره

أبو عقيل الزرقى قال : سمعت أبا نضرة يحدث . قال دخل أبو سعيد الخدرى يوم الحرة فى غار فدخل عليه رجل من اهل الشام وفى عنق أبى سعيد السيف . فوضع أبو سعيد السيف وقال بؤ باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فقال أبو سعيد الخدرى أنت قال نعم قال فاستغفر لى . قال غفر الله لك . وأمر مسلم بن عقبة بقتل معقل بن سنان الاشجعى صبرا . ومحمد بن أبى حذيفة صبرا . ومحمد بن الجهم صبرا . وكان جميع من قتل يوم الحرة من قريش والانصار ثلثمائة رجل وستة رجال . ومن الموالى وغيرهم أضعاف هؤلاء . وبعث مسلم بن عقبة برؤس اهل المدينة الى يزيد . فلما ألقيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم أحد :

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

لأهلوا واستهلوا فرحا * ولقالوا ليزيد لا فشل

فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتددت عن الاسلام يا أمير المؤمنين قال بلى نستغفر الله قال والله لا ساكنتك أرضا أبدا وخرج عنه . ولما انقضى أمر الحرة توجه مسلم بن عقبة بمن معه من اهل الشام الى مكة يريد ابن الزبير وهو ثقيل . فلما كان بالابواء حضره أجله فدعا حصين بن نمير . فقال له انى أرسلت اليك فلا أدرى أقدمك على هذا الجيش أم اقدمك فاضرب عنقك . قال أصلحك الله انا سهمك فارم بى حيث شئت . قال انك اعرابى جلف جاف

وان هذا الحي من قريش لم يمكنهم أحد قط من اذنه الا غلبوه على رأيه . فسر بهذا الجيش فاذا لقيت القوم فاياك ان تمكنهم اذنك . لا يكن الا على الوقاف . ثم الثقاف ثم الانصراف . ومات مسلم بن عقبة لا رحمه الله ومضى حصين بن نمير بجيشه ذلك فلم يزل محاصرا لاهل مكة حتى مات يزيد لا رحمه الله . وذلك خمسون يوما ونصب المجانيق على الكعبة وحرقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الاول سنة أربع وستين . وفيها مات يزيد بن معاوية بحوارين

٣٠ — وفاة يزيد بن معاوية — مات يزيد بن معاوية بحوارين من بلاد حمص . وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ليلة البدر في شهر ربيع الاول . وأم يزيد ميسون بنت بحدل الكلبي . ومات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوما .

٣١ — خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية — واستخلف معاوية بن يزيد بن معاوية في شهر ربيع الاول سنة أربع وستين وهو ابن احدى وعشرين سنة . ومات بعد أبيه بأربعين يوما ولم يزل مريضا طول ولايته لا يخرج من بيته . فلما حضرته الوفاة قيل له لو عهدت الى رجل من اهل بيتك واستخلفت خليفة . قال لم أنتفع بها حيا فلا أقلدها ميتا لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأتجرع مرارتها . ولكن اذا مت فليصل علي الوليد بن عقبة وليصل بالناس الضحاك ابن قيس حتى يختار الناس لا نفسهم . فلما مات صلى عليه الوليد بن عقبة وصلى بالناس الضحاك ابن قيس بدمشق حتى قامت دولة بني مروان

٣٢ — فتنة ابن الزبير — قال علي بن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر . قال : لما مات مسلم بن عقبة سار حصين بن نمير حتى أتى مكة وابن الزبير بها فدعاهم الى الطاعة فلم يجيبوه فقاتلهم وقاتله ابن الزبير فقتل المنذر بن الزبير يومئذ ورجلان من اخوته . ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف . والمسور بن مخرمة . وكان حصين بن نمير قد نصب المجانيق على أبي قبيس وعلى قيقعان . فلم يكن أحد يقدر ان يطوف بالبيت فأسند ابن الزبير الواحا من ساج على البيت والقى عليها الفرش والقطايف فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطايف كبروا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا في ناحية . فكلما جرح رجل من أصحابه ادخله ذلك الفسطاط . فجاء رجل من اهل الشام بنار في طرف سنانه فأشعلها في الفسطاط

وكان يوما شديدا الحر فتمزق الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب والسقف وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض . قال ثم اقتتلوا مع اهل الشام أياما بعد حريق الكعبة . قال أبو عبيد : احترقت الكعبة يوم السبت لست خلون من ربيع الاول سنة أربع وستين . فجلس اهل مكة فى جانب الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل والحجارة فوقعت نبلة بين يدى ابن الزبير . فقال فى هذه خبر فاخذها فوجد فيها مكتوبا مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لاربع عشرة خلت من ربيع الاول . فلما قرأ ذلك قال يا أهل الشام يا أعداء الله ومحرقى بيت الله علام تقاتلون وقد مات طاغيتكم . فقال حصين بن نمير موعدك البطحاء الليلة أبا بكر . فلما كان الليل خرج ابن الزبير باصحابه وخرج حصين باصحابه الى البطحاء . ثم ترك كل واحد منهما اصحابه وانفردا فنزلا . فقال حصين يا أبا بكر أنا سيد اهل الشام لا أدافع وأرى اهل الحجاز قد رضوا بك فتعال أبايعك الساعة ويهدر كل شئ أصبناه يوم الحرة وتخرج معى الى الشام فانى لا أحب ان يكون الملك بالحجاز . فقال لا والله لا أفعل ولا آمن من أخاف الناس وأحرق بيت الله وأنتهك حرمته . قال بلى فافعل على ان لا يختلف عليك اثنان فأبى ابن الزبير . فقال له حصين لعنك الله ولعن من زعم انك سيد والله لا تفلح أبدا اركبوا يا اهل الشام فركبوا وانصرفوا . أبو عبيد عن الحجاج عن أبى معشر . قال : حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا اقتال ابن الزبير . قال غلب حصين بن نمير على مكة كلها الا الحجر . قال فوالله انى لجالس عنده ومعه نفر من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن أبى عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير أذهبت رويحة . فقال المختار والله انى لارى فى هذه الرويحة النصر فاحملوا عليهم . فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة . وقتل المختار رجلا . وقتل ابن مطيع رجلا . ثم جاءنا على أثر ذلك موت يزيد بعد حريق الكعبة باحدى عشرة ليلة . وانصرف حصين بن نمير وأصحابه الى الشام . فوجدوا معاوية بن يزيد قد مات ولم يستخلف . وقال لا أتحملها حيا وميتا فلما مات معاوية بن يزيد بايع اهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن . وبايع اهل مصر أيضا ابن الزبير . واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهرى على اهل الشام . فلما رأى ذلك رجال بنى أمية وناس من أشراف اهل الشام ووجوههم . منهم روح بن زنباع وغيره قال بعضهم لبعض ان الملك كان فينا أهل الشام فانتقل عنا الى الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم ان تأخذوا رجلا منا فينظر فى هذا الامر . فقال استخيروا الله قال فرأى القوم انه غلام حدث السن

فخرجوا من عنده وقالوا هذا احدث فأتوا عمرو بن سعيد بن العاص . فقالوا له ارفع رأسك لهذا الامر فرأوه حديثا . فجاؤا الى خالد بن يزيد بن معاوية . فقالوا له ارفع رأسك لهذا الامر فرأوه حريصا على هذا الامر . فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديث . فأتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستاذنوا ودخلوا عليه . فقالوا: يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر . فقال استخيروا الله واسألوه أن يختار لامة محمد صلى الله عليه وسلم خيرها وأعدلها . فقال له روح بن زنباع: ان معى أربعمائة من جذام فانا آمرهم ان يتقدموا فى المسجد غدا ومر ابنك عبد العزيز ان يخطب الناس ويدعوهم اليه . فاذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد صدقت صدقت . فيظن الناس ان أمرهم واحد . فلما اجتمع الناس قام عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال ما احد أولى بهذا الامر من مروان كبير قريش وسيدها والذى نفسى بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر . فقال الجذاميون: صدقت صدقت . فقال خالد بن يزيد أمر دبر بليل فبايعوا مروان بن الحكم ثم كان من أمره مع الضحاك بن قيس بمرج راهط ما سيأتى ذكره بعد هذا فى دولة بنى مروان

٣٣ — دولة بنى مروان ووقعة مرج راهط — أبو الحسن قال: لما مات معاوية ابن يزيد اختلف الناس بالشام . فكان أول من خالف من امراء الاجناد النعمان بن بشير الانصارى . وكان على حمص فدعا لابن الزبير فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلابى وهو بقنسرين فدعا الى ابن الزبير أيضا بدمشق سرا ولم يظهر ذلك لمن بها من بنى امية وكلب وبلغ ذلك حسان ابن مالك بن بحدل الكلبى وهو بفلسطين . فقال لروح بن زنباع: انى أرى امراء الاجناد يبايعون لابن الزبير . وابناء قيس بالاردن كثير وهم قومى فانا خارج اليها وأقم انت بفلسطين فان جل اهلها قومك من لخم وجذام . فان خالفك احد فقاتله بهم فاقام روح بفلسطين وخرج حسان الى الاردن . فقام نائل بن قيس الجذامى . فدعا الى ابن الزبير واخرج روح بن زنباع من فلسطين ولحق بحسان بالاردن فقال حسان : يا أهل الاردن قد علمتم ان ابن الزبير فى شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين فانظروا رجلا من بنى حرب فبايعوه . فقالوا: اختر لنا من شئت من بنى حرب وجنبنا هذين الرجلين الغلامين عبد الله وخالدا ابنى يزيد بن معاوية فانا نكره ان يدعو الناس الى شيخ . ونحن ندعوا الى صبى . وكان هوى حسان فى خالد بن يزيد

وكان ابن أخته فلماره وهبذا الكلام أمسك . وكتب الى الضحاك بن قيس كتابا يعظم فيه بنى أمية وبلاءهم عنده ويذم ابن الزبير ويذكر خلافه للجماعة . وقال لرسوله اقرأ الكتاب على الضحاك بمحضر بنى أمية وجماعة الناس . فلما قرأ كتاب حسان تكلم الناس فصاروا فرقتين . فصارت اليمانية مع بنى أمية والقيسية زبيرية . ثم اجتلدوا بالنعال ومشى بعضهم الى بعض بالسيوف حتى حجز بينهم خالد بن يزيد . ودخل الضحاك دار الامارة فلم يخرج ثلاثة أيام وقدم عبيد الله بن زياد فكان مع بنى أمية بدمشق فخرج الضحاك بن قيس الى المرج مرج راهط فعسكر فيه وأرسل الى أمراء الاجناد فأتوه الا ما كان من كلب . ودعا مروان الى نفسه فبايعته بنو أمية وكلب وغسان والسكاسك وطى . فعسكر فى خمسة آلاف . وأقبل عباد بن يزيد من حوران فى ألفين من مواليه وغيرهم من بنى كلب . فلحق بمروان وغلب يزيد بن أبى أنيس على دمشق فأخرج منها عامل الضحاك وأمد مروان برجال وسلاح كثير . وكتب الضحاك الى أمراء الاجناد فقدم عليه زفر بن الحرث من قنسرين وأمده النعمان بن بشير بشرحبيل بن ذى الكلاع فى أهل حمص . فتوافوا عند الضحاك بمرج راهط . فكان الضحاك فى ستين ألفا ومروان فى ثلاثة عشر ألفا أكثرهم رجالة . وأكثر أصحاب الضحاك ركبان فاقتتلوا بالمرج عشرين يوما وصبر الفريقان . وكان على ميمنة الضحاك زياد بن الضحاك العقيلى وعلى ميسرته بكر بن أبى بشير الهلالى . فقال عبيد الله بن زياد لمروان : انك على حق وابن الزبير ومن دعا اليه على الباطل وهم أكثر منا عددا وعددا ومع الضحاك فرسان قيس . واعلم انك لا تنال منهم ما تريد الا بمكيدة . وانما الحرب خدعة فادعهم الى الموادعة فاذا أمنوا وكفوا عن القتال فكر عليهم . فأرسل مروان بشيرا الى الضحاك يدعوه الى الموادعة ووضع الحرب حتى تنظر فأصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن القتال وهم يطمعون ان يبايع مروان لابن الزبير . وقد أعد مروان أصحابه فلم يشعر الضحاك وأصحابه الا والخيل قد شدت عليهم ففزع الناس الى راياتهم من غير استعداد وقد غشيتهم الخيل . فنادى الناس أبا أنيس ، أعجز بعد كيس . وكنية الضحاك — أبو أنيس — فاقتتل الناس ولزم الناس راياتهم فترجل مروان . وقال قبح الله من ولاهم اليوم ظهره حتى يكون الامر لاحدى الطائفتين . فقتل الضحاك بن قيس وصبرت قيس عند راياتها يقاتلون فنظر رجل من بنى عقيل الى ما تلقى قيس عند راياتها من القتل . فقال اللهم العنها من رايات واعترضها بسيفه . فجعل يقطعها فاذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزمت الناس

فنادى منادى مروان لا تتبعوا من ولاكم اليوم ظهره فزعموا ان رجالا من قيس لم يضحكوا بعد يوم المرج حتى ماتوا جزعا على من أصيب من فرسان قيس يومئذ . فقتل من قيس يومئذ ممن كان يأخذ شرف العطاء ثمانون رجلا وقتل من بنى سليم ستمائة . وقتل لمروان ابن يقال له عبد العزيز وشهد مع الضحاك يوم مرج راهط عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان . فلما انهزم الناس قال له عبيد الله بن زياد : ارتدف خلفى فارتدف فأراد عمرو بن سعيد ان يقتله . فقال له عبيد الله بن زياد ألا تكف يالطيم الشيطان . وقال زفر بن الحرث وقد قتل ابناه يوم المرج :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط * لمروان صدعا بيننا متنائيا
فلم يرمنى زلة قبل هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا
أيذهب يوم واحد أن أسأته * بصالح أيامى وحسن بلائيا
أنترك كلبا لم تنلها رماحنا * وتذهب قتلى راهط وهى ماهيا
وقد تنبت الخضراء فى دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
فلا صلح حتى تدعس الخيل بالقنا * وتثأر من أبناء كلب نسائيا

فلما قتل الضحاك وانهزم الناس . نادى مروان ان لا يتبع أحد . ثم أقبل الى دمشق فدخلها ونزل دار معاوية بن أبى سفيان دار الامارة . ثم جاءته بيعة الاجناد فقال له أصحابه : انا لا نتخوف عليك الا خالد بن يزيد فتزوج أمه فانك تكسره بذلك . وأمه ابنة هاشم بن عتبة بن ربيعة فتزوجها مروان . فلما أراد الخروج الى مصر قال لخالد أعرنى سلاحا ان كان عندك فأعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل أهلها وسبى بها ناسا كثيرا فافتدوا منه . ثم قدم الشام فقال له خالد بن يزيد ردّ علىّ سلاحى فأبى عليه فألح عليه خالد . فقال له مروان وكان فحاشا : يا ابن رطبة الاست . قال فدخل الى أمه فبكى عندها وشكى اليها ما قاله مروان على رؤس أهل الشام . فقالت له : لا عليك فانه لا يعود اليك بمثلها . فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياما ثم جاء الى أم خالد فرقد عندها فامرت جوارى بها فطرحن عليه الشواذك . ثم غطته حتى قتلته . ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن يا أمير المؤمنين . يا أمير المؤمنين . ثم قام عبد الملك بالامر بعده . فقال لفاختة أم خالد والله لولا ان يقول الناس انى قتلت بأبى امرأة لقتلتك بأمير المؤمنين . وولد مروان بن الحكم بن العاصى ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة . ومات بالشام لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصلى عليه ابنه عبد الملك بن مروان . وكانت ولايته

تسعة أشهر وثمانية عشر يوما . وكان على شرطته يحيى بن قيس الشيبانى . وكاتبه سرحون بن منصور الرومى . وحاجبه أبوسهل الاسود مولاه

٣٤ ـ ولاية عبد الملك بن مروان ـ هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . ويكنى أبا الوليد . ويقال له أبو الاملاك وذلك انه ولى الخلافة أربع من ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام . وكان تدمى لثته فيقع عليها الذباب . فكان يلقب أبا الذباب . أمه عائشة بنت المغيرة بن أبى العاص بن أمية . وله يقول أبوقيس الرقيات :

أنت ابن عائشة التى * فضلت أروم نسائها
لم تلتفت للداتها * ومشت على غلوائها
ولدت أغر مباركا * كالشمس وسط سمائها

وبويع عبد الملك بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين . ومات بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين . وهو ابن ثلاث وستين سنة . فصلى عليه الوليد بن عبد الملك وولد عبد الملك بالمدينة سنة ثلاث وعشرين . ويقال سنة ست وعشرين ويقال ولد لسبعة أشهر . وكان على شرطته ابن أبى كبشة السكسكى ثم أبونائل بن رباح بن عبيدة الغسانى . ثم عبد الله بن يزيد الحكمى . وعلى حرسه الريان . وكاتبه على الخراج والجند سرحون بن منصور الرومى . وكاتبه على الرسائل أبو زرعة مولاه . وعلى الخاتم قبيصة بن ذؤيب . وعلى بيوت الاموال والخزائن رجاء بن حيوة . وحاجبه أبو يوسف مولاه . وكانت ولايته منذ اجتمع عليه ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر . ودفن خارج باب المدينة . وفى أيام عبد الملك حولت الدواوين الى العربية عن الرومية والفارسية حولها من الرومية سليمان بن سعيد مولى حسين . وحولها عن الفارسية صالح بن عبد الرحمن مولى عتبة امرأة من بنى مرة . ويقال حولت فى زمن الوليد ابن وهب عن ابن لهيعة قال : كان معاوية فرض للموالى خمسة عشر فبلغهم عبد الملك عشرين . ثم بلغهم سليمان خمسة وعشرين . ثم قام هشام فأتم للابناء منهم ثلاثين . وكتب عبد الله بن عمر الى عبد الملك بن مروان ببيعته لما قتل ابن الزبير . وكان كتابه اليه يقول : لعبد الملك بن مروان من عبد الله بن عمر . سلام عليك فانى أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبيعة نافع مولاى على مثل ما بايعتك عليه . وكتب محمد بن الحنفية ببيعته لما قتل ابن

الزبير وكان فى كتابه: انى اعتزلت الامة عند اختلافها فقعدت فى البلد الحرام الذى من دخله كان آمنا لاحرز دينى وأمنع دمى وتركت الناس «قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا» . وقد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحن عصابة من امتنا لا نفارق الجماعة. وقد بعثت اليك منا رسولا ليأخذ لنا منك ميثاقا . ونحن أحق بذلك منك فان أبيت فأرض الله واسعة والعاقبة للمتقين . فكتب اليه عبد الملك: قد بلغنى كتابك بما سألته من الميثاق لك وللعصابة التى معك فلك عهد الله وميثاقه ان لا تهاج فى سلطاننا غائبا ولا شاهدا ولا أحد من أصحابك ما وفوا ببيعتهم. فان أحببت المقام بالحجاز فأقم فلن ندع صلتك وبرك وان أحببت المقام عندنا فاشخص الينا فلن ندع مواساتك. ولعمرى لئن ألجأتك الى الذهاب فى الارض خائفا لقد ظلمناك وقطعنا رحمك فاخرج الى الحجاج فبايع فانك أنت المحمود عندنا دينا ورأيا وخير من ابن الزبير وأرضى وأتقى . وكتب الى الحجاج بن يوسف: لا تعرض لمحمد ولا لاحد من أصحابه . وكان فى كتابه جنبنى دماء بنى عبد المطلب فليس فيها اشتفاء من الحرب . وانى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن على . فلم يتعرض الحجاج لاحد من الطالبيين فى أيامه . أبو الحسن المداينى قال : كان يقال معاوية أحلم ، وعبد الملك أحزم . وخطب الناس عبد الملك فقال: أيها الناس انى والله ما أنا بالخليفة المستضعف ـ يريد عثمان بن عفان ـ ولا بالخليفة المداهن ـ يريد معاوية بن أبى سفيان ـ ولا بالخليفة المأفون ـ يريد يزيد بن معاوية ـ فمن قال برأسه كذا قلنا بسيفنا كذا ثم نزل . وخطب عبد الملك على المنبر فقال : أيها الناس ان الله حد حدودا وفرض فروضا فما زلتم تزدادون فى الذنب نزداد فى العقوبة حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف . أبو الحسن المداينى قال :قدم عمر بن على بن أبى طالب على عبد الملك . فسأله أن يصير اليه صدقة على فقال عبد الملك متمثلا بأبيات ابن الحقيق :

انى اذا مالت دواعى الهوى * وانصت السامع للقائل
واعتلج الناس بآرائهم * نقضى بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقا ولا * نرضى بدون الحق للباطل

لا . لعمرى لا نخرجها من ولد الحسين اليك . وأمر له بصلة فخرج وهو يقول :

فلست بقاتل رجلا يصلى * على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى اثمى * معاذ الله عن سفه وطيش

وقال أيمن بن خريم أيضا :

ان للفتنـة هيطا بينا * فرويد الميل منها يعتدل
فاذا كان عطاء فانتهز * واذا كان قتالا فاعـتزل
انما يوقـدها فرساننا * حطب النار فدعها تشتعل

وقال زفر بن الحرث لعبد الملك بن مروان : الحمد لله الذى نصرك على كره من المؤمنـين . فقال أبو زعيزعة: ما كره ذلك الا كافر . فقال زفر: كذبت قال الله لنبيه: « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون » . و بعث عبد الملك بن مروان الى المدينة حبيش بن دلجة القيسي فى سبعة آلاف فدخل المدينة . وجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بخبز ولحم فأكل . ثم دعا بماء فتوضأ على المنبر . ثم دعا جابر بن عبد الله صاحب النبي صـلى الله عليه وسلم . فقال تبايع لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين بعهد الله عليك وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه فى الوفاء فان خنتنا فهراق الله دمك على ضلالة . قال: أنت اطوق لذلك منى . ولـكن أبايعه على ما بايعت عليه رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يوم الحديبيـة على السمع والطاعـة . ثم خرج ابن دلجـة من يومه ذلك الى الربذة . وقـدم على أثره من الشام رجلان مـع كل واحـد منهما جيش . ثم اجتمعوا جميعا فى الربذة وذلك فى رمضان سـنة خمس وستين وأميرهم ابن دلجة . وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدى بالمدينة ان يسـير الى حبيش بن دلجة فسار حتى لقيه بالربذة . و بعث الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة . وهو عامل ابن الزبير على البصرة مددا الى عباس بن سهل بن حنيف . ابن السجف فى تسـعمائة من أهل البصرة . فساروا حتى انتهوا الى الربذة . فبات أهـل البصرة واهـل المدينة يقرؤن القـرآن و يصلون و بات اهل الشام فى المعازف والخمور . فلما أصبحوا غـدوا على القتال فقتل حبيش ابن دلجة ومن معه فتحصن منهم خمسمائة رجل من اهل الشام على عمود الربذة وهو الجبل الذى عليها . وفيهم يوسف أبو الحجاج فاحاط بهم عباس بن سهل فطلبوا الامان . فقال انزلوا على حكمى فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم اجمعين . ثم رجـع عباس بن سهل الى المدينة . و بعث عبد الله بن الزبير ابنه حمزة عاملا على البصرة فاسـتضعفه القوم . فبعث أخاه مصـعب بن الزبير فقدم عليهم فقال : ياأهل البصرة بلغنى انه لا يقدم عليكم أمير الا لقبتموه وانى ألقب لكم نفسى أنا القصاب

٣٥ – خبر المختار بن أبي عبيد – ثم أرسل عبدالله بن الزبير ابراهيم بن محمد بن طلحة أميرا على الكوفة . ثم عزله وأرسل المختار بن أبي عبيد وارسل عبد الملك عبيدالله بن زياد الى الكوفة فبلغ المختار اقبال عبيدالله بن زياد فوجه اليهم ابراهيم بن الاشتر فى جيش فالتقوا بالجازر . وقتل عبيدالله بن زياد وحصين بن نمير وذو الكلاع وعامة من كان معهم . و بعث برؤسهم الى عبدالله بن الزبير . أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا شريك بن عبدالله عن أبى الجويرية الجرمى . قال: كنت فيمن سار الى أهل الشام يوم الجازر مع ابراهيم بن الاشتر فلقيناهم بالزاب . فهبت الريح لنا عليهم فادبروا فقتلناهم عشيتنا وليلتنا حتى أصبحوا . فقال ابراهيم: انى قتلت البارحة رجلا فوجدت عليه ريح طيب فالتمسوه فما أراه الا ابن مرجانة فانطلقنا فاذا هو والله معكوس فى بطن الوادى . ولما التقى عبيدالله بن زياد وابراهيم بن الاشتر بالزاب . قال: من هذا الذى يقاتلنى . قيل له ابراهيم بن الاشتر. قال: لقد تركته أمس صبيا يلعب بالحمام . قال ولما قتل ابن زياد بعث المختار برأسه الى على بن الحسين بالمدينة . قال الرسول فقدمت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى . قال فلما رآه قال سبحان الله ما اغتر بالدنيا الا من ليس لله فى عنقه نعمة لقد أدخل رأس أبى عبدالله على ابن زياد وهو يتغدى . وقال يزيد بن معن :

ان الذى عاش ختارا بذمته * ومات عبدا قتيل الله بالزاب

ثم ان المختار كتب كتابا الى ابن الزبير . وقال لرسوله اذا جئت مكة فدفعت كتابى الى ابن الزبير فائت المهدى يعنى محمد بن الحنفية فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك أبو اسحق انى أحبك وأحب اهل بيتك قال فاتاه . فقال له ذلك فقال : كذبت وكذب أبو اسحق وكيف يحبنى و يحب أهل بيتى وهو يجلس عمرو بن سعيد على وسائده وقد قتل الحسين . فلما قدم عليه رسوله وأخبره قال المختار لابى عمرو صاحب حرسه استاجر لى نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعيد ففعل . فلما بكين قال عمرو لابنه حفص: يابنى ائت الامير فقل له مابال النوائح يبكين الحسين على بابى . فاتاه فقال له ذلك . فقال: انه أهل ان يبكى عليه . فقال أصلحك الله انههن عن ذلك قال نعم . ثم دعا أبا عمرو وصاحب حرسه فقال له اذهب الى عمرو بن سعيد فائتنى برأسه فاتاه . فقال له قم الى أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف بملحفة فجلله بالسيف فقتله وجاء برأسه الى المختار . ثم قال ائتونى بابن مرجانة. فلما حضره قال أتعرف هذا قال نعم رحمه الله . قال: أتحب ان

تلحقك به . قال: لا خير في العيش بعده . فامر به فضرب عنقه . ثم ان المختار لما قتل ابن مرجانة . وعمرو بن سعيد جعل يتتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم أجمعين . وأمر الحسينية وهم الشيعة أن يطوفوا في أزقة المدينة بالليل و يقولوا ياثارات الحسين . فلما أفناهم ودانت له العراق ولم يكن صادق النية ولا صحيح المذهب وانما أراد أن يستأصل الناس . فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبح نيته فادعى ان جبريل ينزل عليه و يأتيه بالوحي من الله . وكتب الى أهل البصرة بلغني انكم تكذبونني وتكذبون رسلي . وقد كذبت الانبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم . فلما انتشر ذلك عنه كتب أهل الكوفة الى ابن الزبير وهو بالبصرة فخرج اليه و برز اليه المختار فأسلمه ابراهيم بن الاشتر ووجوه أهل الكوفة . فقتله مصعب وقتل أصحابه . ابو بكر ابن أبي شيبة قال : قيل لعبد الله بن عمر ان المختار لزعم انه يوحى اليه قال صدق الشياطين يوحون الى أوليائهم . وقتل مصعب من أصحاب المختار ثلاثة آلاف . ثم حج في سنة احدى وسبعين فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق . فقال: ياأمير المؤمنين قد جئتك بوجوه أهل العراق. ولم أدع لهم نظيرا فاعطهم من المال . قال جئتني بعبيد أهل العراق لا عطيهم من مال الله . وددت ان لي بكل عشرة منهم رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . فلما انصرف مصعب ومعه الوفد من أهل العراق . وقد حرمهم عبد الله بن الزبير ما عنده فسدت قلوبهم فراسلوا عبد الملك بن مروان حتى خرج الى مصعب فقتله . علي بن عبد العزيز عن حجاج عن أبي معشر . قال: لما بعث مصعب برأس المختار الى عبد الله بن الزبير فوضع بين يديه . قال ما من شيء حدثنيه كعب الاحبار الا قد رأيته غير هذا فانه قال لي يقتلك شاب من ثقيف فأراني قد قتلته . وقال محمد بن سيرين : لما بلغه هذا الحديث لم يعلم ابن الزبير ان أبا محمد قد خبئ له . ولما قتل مصعب المختار بن أبي عبيد ودانت له العراق كلها الكوفة والبصرة . قال فيه عبد الله بن قيس الرقيات :

كيف نومي على الفراش ولما * تشمل الشام غارة شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي * عن حزام العقيلة العذراء

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

وتزوج مصعب لما ملك العراق عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ولم يكن لهما نظير في

زمانهما. وقتل مصعب امرأة المختار وهي ابنة النعمان بن بشير الانصارى. فقال فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومى :

ان من أعظم المصائب عندى * قتل حوراء غادة عيطبول
قتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

٣٦ — مقتل عمرو بن سعيد الاشدق — أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر قال قال : لما قدم مصعب بوجوه أهل العراق على أخيه عبد الله بن الزبير فلم يعطهم شيأ أبغضوا ابن الزبير . وكاتبوا عبد الملك بن مروان فخرج يريد مصعب بن الزبير . فلما أخذ في جهازه وأراد الخروج أقبلت عاتكة ابنة يزيد بن معاوية في جواريها وقد تزينت بالحلى . فقالت يا أمير المؤمنين لو قعدت في ظلال ملكك ووجهت اليه كلبا من كلابك لكفاك أمره . فقال هيهات أما سمعت قول الاول :

قوم اذا ما غزوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فلما أبى عليها وعزم بكت وبكى معها جواريها . فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبي ربيعة كأنه ينظر الينا حيث يقول :

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه * بكت فبكى مما دهاها قطينها

ثم خرج يريد مصعب . فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه . قيل له : ما تصنع أتريد العراق وتدع دمشق أهل الشام أشد عليك من أهل العراق . فرجع مكانه فحاصر أهل دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده وان له مع كل عامل عاملا ففتح له دمشق وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد . فأرسل اليه عبد الملك ان أخرج للحرس أرزاقهم . فقال اذا كان لك حرس فان لنا حرسا أيضا . فقال عبد الملك : اخرج لحرسك أيضا أرزاقهم . فلما كان يوم من الايام أرسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف النهار ان ائتنى أبا أمية حتى أدبر معك أمورا . فقالت له امرأته : يا أبا أمية لا تذهب اليه فانى أتخوف عليك منه . فقال أبو الذباب والله لو كنت نائما ما أيقظنى . قالت والله ما آمنه عليك وانى لاجد ريح دم مسفوح . فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فخرج وخرج معه أربعة

آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يقدر على مثلهم مسلحين فاحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك . فقالوا: ياأباأمية ان رابك ريب فأسمعنا صوتك . قال فدخل فجعلوا يصيحون أباأمية أسمعنا صوتك . وكان معه غلام أسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه باس . فقال له عبد الملك: أمكرا عند الموت أباأمية خذوه فأخذوه . فقال له عبد الملك انى أقسمت ان أمكنتنى منك يدان اجعل فى عنقك جامعة وهذه جامعة من فضة أريد أن أبر بها قسمى . قال فطرح فى رقبته الجامعة ثم نتره الى الارض بيده فانكسرت ثنيته فجعل عبد الملك ينظر اليه . فقال عمر : ولا عليك ياأمير المؤمنين عظم انكسر . قال وجاء المؤذنون فقالوا الصلاة ياأمير المؤمنين لصلاة الظهر . فقال لعبد العزيز بن مروان اقتله حتى أرجع اليك من الصلاة فلما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه . قال له عمرو نشدتك بالرحم ياعبد العزيز أن لا تقتلنى من بينهم فجاء عبد الملك فرآه جالساً . فقال مالك لم تقتله لعنك الله ولعن أما ولدتك . ثم قال قدموه الى فأخذ الحربة بيده . فقال فعلتها ياابن الزرقاء . فقال له عبد الملك : انى لو علمت انك تبقى و يصلح لى ملكى لفديتك بدم الناظر . ولكن قلما اجتمع فحلان فى ذود الا عدا أحدهما على الآخر . ثم رفع اليه الحربة فقتله وقعد عبد الملك يرعد ثم أمر به فأدرج فى بساط وأدخل تحت السرير . وأرسل الى قبيصة بن ذؤيب الخزاعى فدخل عليه . فقال كيف رأيك فى عمرو بن سعيد الاشدق . قال وأبصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير . فقال اضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال: جزاك الله خيراً أما علمت انك لموفق . قال قبيصة اطرح رأسه وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها ففعل وافترق الناس . وهرب يحيى بن سعيد بن العاص حتى لحق بعبد الله بن الزبير بمكة فكان معه . وارسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد الى رجل كان يستشيره و يصدر عن رأيه اذا ضاق عليه الامر . فقال له: ما ترى ما كان من فعلى بعمرو بن سعيد . قال أمر قد فات دركه قال لتقولن قال حزم لو قتلته وحييت أنت . قال أولست بحى . قال: هيهات ليس بحى من أوقف نفسه موقفا لا يوثق منه بعهد ولا عقد . قال: كلام لو تقدم سماعه فعلى لامسكت . ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان عبد الملك بن مروان قتل لطيم الشيطان « كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون »

٣٧ — مقتل مصعب بن الزبير — فلما استقرت البيعة لعبد الملك بن مروان. أراد الخروج الى مصعب بن الزبير فجعل يستنفر أهل الشام فيبطؤن عليه. فقال له الحجاج بن يوسف سلطني عليهم فوالله لاخرجنهم معك. قال له: قد سلطتك عليهم. فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج الا احرق عليه داره. فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا وسار عبد الملك حتى دنا من العراق. وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة فالتقوا بين الشام والعراق. وقد كان عبد الملك كتب كتبا الى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها الى نفسه ويجعل لهم الاموال. وكتب الى ابراهيم بن الاشتر بمثل ذلك على ان يخذلوا مصعبا اذا التقوا. فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب: ان عبد الملك قد كتب اليَّ هذا الكتاب. وقد كتب الى أصحابي بمثل ذلك فادعهم الساعة فاضرب أعناقهم. قال: ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي أمرهم. قال فاخرى. قال ماهي قال: أحبسهم حتى يستبين لك ذلك. قال ما كنت لافعل قال فعليك السلام والله لا تراني بعد في مجلسك هذا أبدا. وقد كان قال له دعني ادعو أهل الكوفة بما شرطه الله فقال لا والله قتلتهم امس واستنصر بهم اليوم قال فما هو الا ان التقوا فحولوا وجوههم وصاروا الى عبد الملك وبقي مصعب في شرذمة قليلة. فجاءه عبيد الله بن ظبيان وكان مع مصعب. فقال أين الناس أيها الامير. فقال قد غدرتم يا أهل العراق. فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعبا فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة فنشب السيف في البيضة. فجاء غلام لعبيد الله ابن ظبيان فضرب مصعبا بالسيف فقتله. ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك بن مروان وهو يقول:

نطيع ملوك الارض ما اقسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فلما نظر عبد الملك الى رأس مصعب خر ساجدا. فقال عبيد الله بن ظبيان وكان من فتاك العرب. ماندمت على شيء قط ندمي على عبد الملك بن مروان اذ اتيته برأس مصعب فخر ساجدا ان لا أكون ضربت عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد. وقال في ذلك عبيد الله بن ظبيان:

هممت ولم افعل وكدت وليتني * فعلت فادمنت البكا لاقاربه

فاوردتها في النار بكر بن وائل * والحقت من قد خر شكرا بصاحبه

الرياشي عن الاصمعي قال : لما أتى عبدالملك برأس مصعب بن الزبير نظر اليه مليا . ثم قال متى تلد قريش مثلك . وقال هذا اسيد شباب قريش . وقيل لعبد الملك : أكان مصعب يشرب الطلاء . فقال : لوعلم مصعب ان الماء يفسد مروأته لما شربه . ولما قتل مصعب دخل الناس على عبد الملك يهنؤنه ودخل معهم شاعر فانشده :

الله اعطاك التى لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها

عنك و يأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فامر له بعشرة آلاف درهم . وقالوا : كان مصعب . أجل الناس ، واسخى الناس ، واشجع الناس ، وكان تحته عقيلتا قريش عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . ولما قتل مصعب خرجت سكينة بنت الحسين تريد المدينة فاطاف بها أهل العراق . وقالوا احسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله . فقالت : لا جزاكم الله عنى خيرا ولا اخلف عليكم بخير من أهل بلد قتلتم أبى وجدى وعمى و زوجى ايتمتمونى صغيرة وارملتمونى كبيرة . ولما بلغ عبدالله بن الزبير قتل مصعب صعد المنبر فجلس عليه . ثم سكت فجعل لونه يحمر مرة و يصفر مرة . فقال رجل من قريش لرجل الى جنبه ماله لا يتكلم فوالله انه للخطيب اللبيب . فقال له الرجل لعله يريد ان يذكر مقتل سيد العرب فيشتد ذلك عليه وغير ملوم . ثم تكلم فقال : الحمد لله الذى له الخلق والامر ، والدنيا والآخرة ، يؤتى الملك من يشاء ، و ينزع الملك ممن يشاء ، و يعز من يشاء ، و يذل من يشاء . اما بعد فانه لم يعز من كان الباطل معه ولو كان معه الانام طرا . ولم يذل من كان الحق معه ولو كان فردا . الا وان خبرا من العراق أتانا فاحزننا وافرحنا فأما الذى احزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ثم يرعوى ذوو الالباب الى الصبر وكريم الاجر . واما الذى افرحنا فان قتل مصعب له شهادة ولنا ذخيرة اسلمه الطغام الصم الآذان أهل العراق و باعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه فان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين . اما والله لا نموت جيفة كما يموت بنو مروان ولكن قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف . فان تقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الاشر البطر . وان تدبر عنى لم ابك عليها بكاء الحزن الزائل العقل . ولما توطد لابن الزبير أمره وملك الحرمين والعراقين اظهر بعض بنى هاشم الطعن عليه . وذلك بعد موت الحسن والحسين . فدعا عبدالله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بنى هاشم الى بيعته . فأبوا عليه فجعل يشتمهم و يتناولهم على المنبر واسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من

خطبته فعوتب فى ذلك . فقال والله مايمنعنى من ذكره علانية انى لاذكره سرا وأصلى عليه ولكن رأيت هذا الحى من بنى هاشم اذا سمعوا ذكره اشرأبت قلوبهم وابغض الاشياء الى ما يسرهم . ثم قال لتبايعن أو لاحرقنكم بالنار فأبوا عليه فحبس محمد بن الحنفية فى خمسة عشر من بنى هاشم فى السجن وكان السجن الذى حبسهم فيه يقال له سجن عارم . فقال فى ذلك كثير عزة وكان ابن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت :

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم فى سجن عارم
سمى النبى المصطفى وابن عمه * وفكاك اغلال وقاضى مغارم

وكان أيضا يدعى المحل لاحلاله القتال فى الحرم . وفى ذلك يقول رجل من الشعراء فى رملة ابنة الزبير :

الا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

ثم ان المختار بن أبى عبيد وجه رجالا يثق بهم من الشيعة يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم . ثم سار وابهم الى مأمنهم . وخطب عبد الله بن الزبير بعد موت الحسن والحسين . فقال أيها الناس ان فيكم رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره قاتل أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأفتى بتزويج المتعة وعبد الله بن عباس فى المسجد . فقام وقال لعكرمة أقم وجهى نحوه يا عكرمة ثم قال هذا البيت :

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى فؤادى وعقلى منهما نور

وأما قولك يا ابن الزبير انى قاتلت أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالك وبنا سميت أم المؤمنين فكنا لها خير بنين . فتجاوز الله عنها وقاتلت أنت وأبوك عليا فان كان على مؤمنا فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين وان كان كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة فانى سمعت على بن أبى طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفتيت بها ثم سمعته ينهى عنها فنهيت . وأول مجمر سطع فى المتعة مجمر آل الزبير

٣٨ ـ مقتل عبد الله بن الزبير ـ أبو عبيدة عن حجاج عن أبى معشر قال : لما بايع الناس عبد الملك بن مروان بعد قتل مصعب بن الزبير ودخل الكوفة . قال له الحجاج انى رأيت فى المنام كأنى أسلخ الزبير من رأسه الى قدميه . فقال له عبد الملك : أنت له فاخرج اليه : فخرج اليه

الحجاج فى ألف وخمسمائة حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا بعد رسل حتى توافى اليه الناس قدر ما يظن انه يقوى على قتال ابن الزبير . وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى . فحج بالناس وابن الزبير محصور . ثم نصب الحجاج المجانيق على أبى قبيس وعلى قعيقعان ونواحى مكة كلها يرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها ابن الزبير جمع ابن الزبير من كان معه من القرشيين . فقال: ماترون فقال رجل من بنى مخزوم من آل بنى ربيعة والله لقد قاتلنا معك حتى لا نجد مقيلا ولئن صبرنا معك ما نزيد على ان نموت وانما هى احدى خصلتين أما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا وأما ان تأذن لنا فنخرج . فقال ابن الزبير لقد كنت عاهدت الله ان لا يبايعنى أحد فاقيله بيعته الا ابن صفوان . فقال له ابن صفوان أما أنا فانى أقاتل معك حتى أموت بموتك وانها لتأخذنى الحفيظة ان أسلمك فى مثل هذه الحالة . وقال له رجل آخر: اكتب الى عبد الملك بن مروان فقال له: كيف أكتب من عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الملك بن مروان فوالله لا يقبل هذا أبدا . أم أكتب لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فوالله لان تقع الخضراء على الغبراء أحب لى من ذلك . فقال عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير: يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة . قال من هو قال حسن بن على خلع نفسه وبايع معاوية . فرفع ابن الزبير رجله فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير . وقال: يا عروة قلبى اذا مثل قلبك والله لو قبلت ما يقولون ما عشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وان ضربة بسيف فى عز خير من لطمة فى ذل فلما أصبح دخل عليه بعض نسائه وهى أم هاشم بنت منصور بن زياد الفزارية . فقال لها اصنعى لنا طعاما فصنعت له كبدا وسناما فأخذ منهما لقمة فلاكها ثم لفظها ثم قال اسقونى لبنا فأتى بلبن فشرب منه ثم قال هيؤا الى غسلا فاغتسل ثم تحنط وتطيب . ثم نام نومة وخرج ودخل على أمه اسماء ابنة أبى بكر ذات النطاقين وهى عمياء وقد بلغت مائة سنة . فقال يا أماه ما ترين قد خذلنى الناس وخذلنى أهل بيتى . فقالت لا يلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما فخرج فأسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتلهم ويهزمهم وهو يقول ويله يا له فتحا لو كان له رجال . فناداه الحجاج قد كان لك رجال فضيعتهم . وجعل ينظر الى أبواب المسجد والناس يهجمون عليه فيقول من هؤلاء فيقال له أهل مصر . قال قتلة عثمان فحمل عليهم وكان فيهم

رجل من أهل الشام يقال له خلبوب . فقال لاهل الشام أما تستطيعون اذا ولا كم ابن الزبير أن تأخذوه بأيديكم . قالوا و يمكنك أنت ان تأخذه بيدك قال نعم قالوا فشأنك فاقبل وهو يريد ان يحتضنه وابن الزبير يرتجز و يقول * لو كان قرنى واحدا كفيته * فضربه ابن الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خلبوب حس . قال ابن الزبير اصبر خلبوب . قال وجاءه حجر من حجارة المنجنيق فأصاب قفاه فسقط فاقتحم أهل الشام عليه فما فهموا قتله حتى سمعوا جارية تبكى وتقول وا أمير المؤمنيناه فحز وا رأسه وذهبوا به الى الحجاج . وقتل معه عبد الله بن صفوان وعمارة ابن حزم وعبد الله بن مطيع . قال أبو معشر و بعث الحجاج برؤسهم الى المدينة فنصبوها للناس فجعلوا يقربون رأس ابن صفوان الى رأس ابن الزبير كأنه يسار رده و يلعبون بذلك . ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك بن مروان فخرجت أسماء الى الحجاج . فقالت له أتأذن لى ان أدفنه فقد قضيت أربك منه . قال لا ثم قال لها ماظنك برجل قتل عبد الله بن الزبير . قالت: حسيبه الله . فلما منعها ان تدفنه . قالت: أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف رجلان الكذاب والمبير فأما الكذاب فالمختار وأما المبير فأنت. فقال الحجاج : اللهم مبير. لا كذاب . ومن غير رواية أبى عبيد قال لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير أظلتهم سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق ففزع الناس وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاج فقال: أيها الناس لا يهولنكم هذا فانى أنا الحجاج بن يوسف . وقد أصحرت لربى فلو ركبنا عظيما لحال بيننا و بينه . ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها . ثم أمر بكرسى فطرح له . ثم قال يا أهل الشام قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين فكان أهل الشام اذا رموا الكعبة يرتجزون و يقولون هذا :

خطارة مثل الفنيق المزبد * يرمى بها عواذ أهل المسجد

و يقولون أيضا درى عقاب بلبن واشخاب . فلما رأى ذلك الزبير خرج اليهم بسيفه . فقاتلهم حينا فناداه الحجاج و يلك يا ابن ذات النطاقين اقبل الامان وادخل فى طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أمه أسماء . فقال لها سمعت رحمك الله ما يقول القوم وما يدعوننى اليه من الامان . قالت سمعتهم لعنهم الله فما أجهلهم وأعجب منهم اذ يعيرونك بذات النطاقين . ولو علموا ذلك لكان ذلك أعظم فخرك عندهم . قال: وما ذاك يا أماه قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره

مع أبي بكر . فهيأت لهما سفرة فطلبا شيأ يربطانها به فما وجداه فقطعت من مئزري لذلك ما احتاجا اليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اما ان لك به نطاقين في الجنة . فقال عبد الله: الحمد لله حمدا كثيرا فما تأمريني به فانهم قد أعطوني الامان قالت أرى أن تموت كريما ولا تتبع فاسقا لئيما وأن يكون آخر نهارك أكرم من أوله . فقبل رأسها وودعها وضمته الى نفسها ثم خرج من عندها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال: أيها الناس ان الموت قد تغشاكم سحابه، وأحدق بكم ربابه، واجتمع بعد تفرق، وارجحن بعد تمشق، ورجس نحوكم رعده، وهو مفرغ عليكم ودقه، وقاد اليكم البلايا تتبعها المنايا . فاجعلوا السيوف لها غرضا واستعينوا عليها بالصبر وتمثل بابيات ثم اقتحم يقاتل وهو يقول:

قد جد أصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب لها على ساق

ثم جعل يقاتل وحده ولا يهده شيء كلما اجتمع عليه القوم فرقهم وذادهم حتى أثخن بالجراحات ولم يستطع النهوض . فدخل عليه الحجاج فدعا بالنطع فحز رأسه هو بنفسه في داخل مسجد الكعبة لا رحم الله الحجاج . ثم بعث برأسه الى عبد الملك بن مروان . وقتل من أصحابه من ظفر به ثم أقبل فاستأذن على أمه أسماء بنت أبي بكر ليعزيها فاذنت له . فقالت له يا حجاج قتلت عبد الله . قال يا ابنة أبي بكر اني قاتل الملحدين قالت بلى أنت قاتل المؤمنين الموحدين . قال لها كيف رأيت ماصنعت بابنك . قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا ضير ان أكرمه الله على يديك فقد أهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل . هشام بن عروة عن أبيه قال: كان عثمان استخلف عبد الله بن الزبير على الدار يوم الدار فبذلك ادعى ابن الزبير الخلافة . محمد بن سعيد قال: لما نصب الحجاج راية الامام وتصرم الناس عن ابن الزبير . قال لعبد الله بن صفوان قد أقلتك بيعتي وجعلتك في سعة فخذ لنفسك أمانا . فقال مه والله ما أعطيتك اياها حتى رأيتك أهلا لها ومارأيت أحدا أولى بها منك فلا تضرب هذه الصلعة فتيان بني أمية أبدا وأشار الى رأسه . فحدثت سليمان بن عبد الملك حديثه . فقال اني كنت لا راه أعرج جبانا . فلما كانت الليلة التي قتل في صباحها ابن الزبير أقبل عبد الله بن صفوان وقد دنا أهل الشام من المسجد فاستأذن . فقالت الجارية هو نائم فقال أو ليلة نوم هذه أيقظيه فلم تفعل فاقام ثم استأذن . فقالت هو نائم فانصرف ثم رجع آخر الليل وقد هجم القوم على المسجد . فخرج اليه

فقال والله ما تمت منذ عقلت الصلاة نومي هذه الليلة وليلة الجمل . ثم دعا بالسواك فاستاك متمكنا ثم توضأ متمكنا ولبس ثيابه . ثم قال : انظرني حتى أودع أم عبد الله فلم يبق شيء وكان يكره أن يأتيها فتعزم عليه أن يأخذ الامان . فدخل عليها وقد كف بصرها فسلم . فقالت من هذا فقال عبد الله فتشممته . ثم قالت : يابني مت كريما فقال لها ان هذا قد أمنني يعني الحجاج فقالت يابني لا ترض الدنية فان الموت لابد منه قال اني أخاف أن يمثل بي قالت ان الكبش اذا ذبح لم يألم السلخ . قال فخرج فقاتل قتالا شديدا فجعل يهزمهم . ثم يرجع و يقول يالله فتحا لو كان لك رجال أو كان المصعب أخي حيا فلما حضرت الصلاة صلى صلاته ثم قال أين باب أهل مصر حنقا للعثمان . فقاتل حتى قتل وقتل معه عبد الله بن صفوان وأتي برأسه الحجاج وهو فاتح عينيه وفاه . فقال : هذا رجل لم يكن يعرف القتل ولا ما يصير اليه فلذلك فتح عينيه وفاه . هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن الزبير كان أول مولود ولد في الاسلام فلما ولد كبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولما قتل كبر الحجاج بن يوسف وأهل الشام معه . فقال ابن عمر ماهذا . قالوا كبر أهل الشام لقتل عبد الله بن الزبير . قال : الذين كبروا لمولده خير من الذين كبروا لقتله . أيوب عن أبي قلابة قال : شهدت ابنة أبي بكر غسلت ابنها ابن الزبير بعد شهر وقد تقطعت أوصاله وذهب برأسه وكفنته وصلت عليه . هشام بن عروة قال قال عبد الله بن عباس : للجائزة جنبني خشبة ابن الزبير . فلم يشعر ليلة حتى عثر فيها فقال ماهذا فقال خشبة ابن الزبير . فوقف ودعا له وقال لئن علتك رجلاك لطالما وقفت عليهما في صلاتك . ثم قال لاصحابه أما والله ماعرفته الا صواما قواما ولكنني مازلت أخاف عليه منذ رأيته تعجبه بغلات معاوية الشهب . قال وكان معاوية قد حج فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الارجوان فيها الجواري عليهن الجلابيب والمعصفرات ففتن الناس

٣٩ — أولاد عبد الملك بن مروان — الوليد وسليمان بن العبسية ويزيد وهشام وأبو بكر ومسلمة وسعد الخير وعبد الله وعنبسة والحجاج والمنذر ومروان الاكبر ومروان الاصغر . ولم يعقب مروان الاكبر ويزيد ومعاوية وداود

٤٠ — وفاة عبد الملك بن مروان — توفي عبد الملك بن مروان بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين . وهو ابن ثلاث وستين . وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . وولد

عبدالملك فى المدينة فى دار مروان سنة ثلاث وعشرين . وكتب عبدالملك الى هشام بن اسمعيل المخزومى . وكان عامله على المدينة : أن يدعو الناس الى البيعة لابنيه الوليد وسليمان . فبايع الناس غير سعيد بن المسيب فانه أبى : وقال لا أبايع وعبدالملك حى . فضربه هشام ضربا مبرحا وألبسه المسوح وأرسله الى ثنية بالمدينه يقتلونه عندها و يصلبونه . فلما انتهوا به الى الموضع ردوه . فقال سعيد : لو علمت انهم لا يصلبوننى ما لبست لهم الثياب . و بلغ عبدالملك خبره فقال : قبح الله هشاما مثل سعيد بن المسيب يضرب بالسياط انما كان ينبغى له أن يدعوه الى البيعة فان أبى يضرب عنقه . وقال للوليد : اذا أنا مت فضعنى فى قبرى ولا تعصر على عينيك عصر الامة ولكن شمر وائتزر والبس للناس جلد النمر فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا

٤١ — ولاية الوليد بن عبدالملك — ثم بويع للوليد بن عبدالملك فى النصف من شوال سنة ست وثمانين . وأم الوليد ولادة بنت العباس بن حرب بن الحرث بن خزيمة العبسى . وكان على شرطته كعب بن حماد ثم عزله . و ولى أبا نائل بن رباح بن عبدة الغسانى . ومات الوليد يوم السبت فى النصف من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وهو ابن أربع وأربعين وصلى عليه سليمان . وكانت ولايته عشر سنين غير شهور . ولد الوليد . عبدالعزيز ومحمد وعنبسة ولم يعقبوا وأمهم أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان . والعباس وبه كان يكنى . ويقال انه كان أكبرهم وعمرو و بشر و روح وتمام ومبشر وحزم وخالد ويزيد ويحيى وابراهيم وأبو عبيدة ومسرور ومحمد وصدقة لامهات أولاد . وأم أبى عبيدة فزارية . وكان أبو عبيدة ضعيفا وولى الخلافة من ولد الوليد ابراهيم شهرين . ثم خلع وولى يزيد الكامل شهرا ثم مات وكان تمام ضعيفا هجاه رجل فقال :

بنو الوليد كرام فى ارومتهم * نالوا المكارم طرا غير تمام

ومسرور بن الوليد كان ناسكا وكانت عنده بنت الحجاج . وكان بشر من فتيانهم . وروح من غلمانهم والعباس من فرسانهم . وفيه يقول الفرزدق :

ان أبا الحارث العباس نائله * مثل السماك الذى لا يخلف المطرا

وكان تحته بنت قطرى بن الفجاءة سباها وتزوجها وله منها المؤمل والحرث . وكان عمرو من رجالهم كان له تسعون ولدا ستون منهم كانوا يركبون معه اذا ركب . وقال رجل من أهل الشام

ليس من ولد الوليد أحد الا ومن رآه يحسب انه من أفضل اهل بيته ولو وزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم . وفيه يقول جرير :

و بنوالوليد من الوليد بمنزل * كالبدر حف بواضحات الانجم

وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه ان يبايع له بعد سليمان فأبى عليه سليمان . وحدث الهيثم بن عدي عن سليمان عن ابن عباس قال : لما أراد الوليد ان يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبى ذلك سليمان وشنع عليه . وقال للوليد: لو أمرت الشعراء ان يقولوا في ذلك لعله كان يسكت فيشهد عليه بذلك فدعا الاقيبل العتبي . فقال له ارتجز بذلك وهو يسمع فدعا سليمان فسايره والاقيبل خلفه فرفع صوته وقال :

ان ولي العهد لابن أمه * ثم ابنه ولي عهد عمه * قد رضي الناس به فسمه

فهو يضم الملك في مضمه * ياليتها قد خرجت من فمه

فالتفت اليه سليمان . وقال يا ابن الخبيثة من رضي بهذا

٤٢ — أخبار الوليد — أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد أسن ولد عبد الملك وكان يحبه فتراخى في تأديبه لشدة حبه اياه فكان لحانا . وقال عبد الملك : أضر بنا في الوليد حبنا له فلم يوجهه الى البادية . وقال الوليد يوما وعنده عمر بن عبد العزيز : ياغلام ادع لي صالح . فقال الغلام ياصالحا . فقال له الوليد انقص الفا : فقال له عمر بن عبد العزيز وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا . وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحا وأعظمهم نفقة في سبيل الله بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر وأعطى المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح . ومر الوليد بمعلم كتاب فوجد عنده صبية : فقال ماتصنع هذه عندك فقال أعلمها الكتابة والقرآن . قال فاجعل الذي يعلمها أصغر منها سنا . وشكا رجل من بني مخزوم دينا لزمه . فقال نقضه عنك ان كنت لذلك مستحقا فقال: يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقا في منزلتي وقرابتي قال قرأت القرآن . قال لا قال : ادن مني فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده ثم قرعه به قرعة . وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن فقام اليه آخر : فقال: يا أمير المؤمنين اقض ديني فقال له أتقرأ

القرآن . قال نعم فاستقرأه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرأ فقال نعم نقض دينك وأنت أهل لذلك . وركب الوليد بعيرا وحاد يحدو بين يديه والوليد يقول:

يا أيها البكر الذى أراكا * ويحك تعلم الذى علاكا

خليفة الله الذى امتطاكا * لم يحب بكر ومثل ماحباكا

٤٣ — ولاية سليمان بن عبد الملك — أبو الحسن المدائنى : ثم بويع سليمان بن عبد الملك فى ربيع الاول سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر وهو ابن ثلاث وأربعين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفا . ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة فى بنى جديلة ومات بدابق من أرض قنسرين وكان سليمان فصيحا جميلا وسيما نشأ بالبادية عند اخواله بنى عبس . وكانت ولايته يمنا وبركة افتتحها بخير وختمها بخير فأما افتتاحه فيها بخير فرد المظالم وأخرج المسجونين وبغزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية . واما ختمها بخير فاستخلافه عمر بن عبد العزيز * ولبس يوما واعتم بعمامة وكانت عنده جارية حجازية . فقال لها كيف ترين الهيئة : فقالت أنت اجمل العرب لولا . قال: على ذلك لتقولين قالت :

انت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير ان لا بقاء للانسان

أنت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير انك فان

قال فتنغص عليه ما كان فيه فالبث بعدها الا أياما حتى توفى رحمه الله . وتفاخر ولد لعمر بن عبد العزيز وولد لسليمان بن عبد الملك فذكر ولد عمر فضل أبيه وخاله . فقال له ولد سليمان ان شئت اقل وان شئت أكثر فما كان أبوك الا حسنة من حسنات أبى . محمد بن سليمان : قال فعل سليمان فى يوم واحد مالم يفعله عمر بن عبد العزيز فى طول عمره أعتق سبعين ألفا ما بين مملوك ومملوكة وبغتهم أى كساهم — والبغت — الكسوة . ولد لسليمان أيوب : وأمه أم أبان بنت الحكم بن العاص وهو أكبر ولد سليمان وولى عهده فمات فى حياة سليمان . وله يقول جرير :

ان الامام الذى ترجى فواضله * بعد الامام ولى العهد أيوب

وعبد الواحد وعبد العزيز وأمهما أم عامر بنت عبد الله بن خالد بن عبد الاسد . وفى عبد الواحد يقول القطامى :

أهـل المدينة لا يحزنك حالهم * اذا تخطأ عبد الواحـد الاجل
قد يدرك المتانى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولما مات أيوب ولىّ عهد سليمان بن عبد الملك . قال عبد الاعلى يرثيه وكان من خواصه :

ولقد أقول لذى الشماتة اذ رأى * جزعى ومن يذق الحوادث يجزع
أبشر فقد قرع الحوادث مروتى * وافرح بمروتك التى لم تقـرع
ان عشت تفجع بالاحبة كلهم * أو يفجعوا بك ان بهـم لم تفجع
أيوب من يشمت بموتك لم يطق * عن نفسـه دفعا وهل من مدفع

٤٤ — أخبار سليمان بن عبد الملك — أبو الحسـن المدائنى . قال : لما بلغ قتيبة بن مسـلم ان سليمان بن عبد الملك عزله عن خراسان واسـتعمل يزيد بن المهلب كتب اليـه ثلاث صحف . وقال للرسول : ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد . فادفع اليه هذه . فان شتمنى فادفع هذه فلما سار الرسول اليـه دفع الكتاب اليه وفيه : ياأمير المؤمنـين ان من بلائى فى طاعة أبيـك وأخيـك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد . فاعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيـه : ياأمير المؤمنـين . كيف تأمن ابن رحمـة على أسرارك وأبوه لم يأمنه على أمهات اولاده . فلما قرأ الكتاب شتمه وناوله ليزيد . فأعطاه الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فوالله لاوثقن له أخبية لا ينزعها المهر الارن مؤاخاة . فلما قرأها قال سليمان : عجلنا على قتيبة ياغـلام جدد له عهدا على خراسان . ودخـل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج على سليمان . فقال له سليمان : أترى الحجاج استقر فى قعر جهنم ، أم هو يهوى فيها . فقال : ياأمير المؤمنين ان الحجاج يأتى يوم القيامة بين أبيك وأخيك فضعه من النار حيث شئت . قال فأمر به الى الحبس فكان فيه طول ولايته . قال محمد بن يزيد الانصارى : فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعثنى فاخرجت من السجن من حبس سليمان ما خـلا يزيد بن أبى مسلم فقد ردّ . فلما مات عمر بن عبد العزيز ولاه يزيد بن عبد الملك افريقية وأنا فيها . فاخذت فأتى بى اليه فى شهر رمضان عند الليل . فقال : محمد بن يزيد . قلت : نعم . قال الحمـد لله الذى مكننى منك بلا عهد ولا عقـد ، فطالما سألت الله أن يمكننى منـك . قلت : وأنا والله طالما استعذت بالله منك . قال فوالله ما أعاذك الله منى ولو ان ملك الموت سابقنى اليك لسبقته . قال

فأقيمت صلاة المغرب فصلى ركعة فثارت عليه الجند فقتلوه وقالوا الى خذ الى الطريق أي طريق شئت . وأراد سليمان بن عبد الملك ان يحجر على يزيد بن عبد الملك ، وذلك انه تزوج سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فاصدقها عشرين ألف دينار . واشترى جارية بأربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد هممت ان أضرب على يد هذا السفيه ولكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين . بابني عاتكة يزيد ومروان . وحبس سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير وأوحى اليه اغرم ديتك خمسين مرة . فقال موسى : ماعندي ما أغرمه . فقال : والله لتغرمنها مائة مرة فحملها عنه يزيد بن المهلب وشكر ما كان من موسى الى أبيه المهلب أيام بشر بن مروان وذلك ان بشرا اتهم بالمهلب . فكتب اليه موسى يحذره فتمارض المهلب ولم يأته حين أرسل اليه وكان خالد بن عبد الله القسري واليا على المدينة للوليد ثم أقره سليمان وكان قاضي مكة طلحة بن هرم فاختصم اليه رجل من بني شيبة الذين اليهم مفتاح الكعبة يقال له الاعجم مع ابن أخ له في ارض لهما فقضى للشيخ على ابن أخيه . وكان متصلا بخالد بن عبد الله . فاقبل الى خالد فأخبره . فحال خالد بين الشيخ وبين ماقضى له القاضي . فكتب القاضي كتابا الى سليمان يشكو له خالدا ووجه الكتاب اليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان الى خالد : لاسبيل لك على الاعجم ولا ولده فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على خالد وقال لاسبيل لك علينا هذا كتاب أمير المؤمنين . فأمر به خالد فضرب مائة سوط قبل أن يقرأ كتاب سليمان . فبعث القاضي ابنه المضروب الى سليمان وبعث ثيابه التي ضرب فيها بدمائها . فأمر سليمان بقطع يد خالد فكلمه يزيد بن المهلب : وقال ان كان ضربه يا أمير المؤمنين بعد ماقرأ الكتاب تقطع يده ، وان كان ضربه قبل ذلك فعفو أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان الى داود بن طلحة بن هرم : ان كان خالد ضرب الشيخ بعد ماقرأ الكتاب الذي أرسلته اقطع يده . وان كان ضربه قبل ان يقرا كتابي فأضربه مائة سوط . فأخذ داود بن طلحة لما قرأ الكتاب خالدا فضربه مائة سوط فجزع خالد من الضرب فجعل يرفع يديه . فقال له الفرزدق : ضم اليك يديك يا ابن النصرانية . فقال خالد : ليهنأ الفرزدق وضممت يدي وقال الفرزدق :

لعمري لقد صبت على متن خالد * شآبيب لم يصببن من صيب القطر

فلولا يزيد بن المهلب حلقت * بكفك فتخاء الجناح الى الوكر

فردت أم خالد عليه تقول :

لعمرى لقد باع الفرزدق عرضه * بخسف وصلى وجهه حامى الجمر
فكيف يساوى خالداً أو يشينه * خميص من التقوى بطين من الخمر

وقال الفرزدق أيضاً فى خالد القسرى :

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا * متى ملكت قسر قريشا تدينها
أقبل رسول الله أو بعد عهده * فتلك قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لا هدى الله قلبه * وما أمه بالام يهدى جنينها

فلم يزل خالد محبوسا بمكة حتى حج سليمان وكلمه فيه الفضل بن المهلب . فقال سليمان : لاطت بك الرحم أبا عثمان ان خالدا جر عنى غيظا . قال : يا أمير المؤمنين هبنى ما كان من ذنبه . قال قد فعلت ولا بد أن يمشى الى الشام راجلا فمشى خالد الى الشام راجلا . وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك :

سليمان غيث المحلين ومن به * عن البائس المسكين حلت سلاسله
وما قام من بعد النبى محمد * وعثمان فوق الارض راع يماثله
جعلت مكان الجور فى الارض مثله * من العدل اذ صارت اليك محامله
وقد علموا ان لن يميل بك الهوى * وما قلت من شئ فانك فاعله

زياد عن مالك . ان سليمان بن عبد الملك قال يوما لعمر بن عبد العزيز : كذبت . قال : والله ما كذبت منذ شددت على ازارى : وان فى غير هذا المجلس لسعة وقام مغضبا . فتجهز يريد مصر فأرسل اليه سليمان فدخل عليه . فقال له : يا ابن عمى ان المعاتبة تشق على ولكن والله ما أهمنى أمر قط من دينى ودنياى الا كنت أول من أذكره لك .

٤٥ — وفاة سليمان بن عبد الملك — قال رجاء بن حيوة قال لى سليمان : الى من ترى ان أعهد . فقلت : الى عمر بن عبد العزيز . قال كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين بابنى عاتكة من كان منهما حيا . قلت : تجعل الامر بعده ليزيد . قال صدقت قال : فكتب عهده لعمر ثم ليزيد بعده . ولما ثقل سليمان قال ائتونى بقمص بنى أنظر اليها فأتى بها فنشرها فرآها قصارا فقال

ان بنى صبية صغار * أفلح من كان له كبار

فقال له عمر: «أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى» . وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك ان نصرانيا أتاه وهو بدابق بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا . قال: قشروا فقشر واجعل يأكل بيضة وتينة حتى أتى على الزنبيلين . ثم أتوه بقصعة مملوءة مخا بسكر فأكله فاتخم فمرض فمات * ولما حج سليمان تأذى بحر مكة . فقال له عمر بن عبد العزيز : لو أتيت الطائف فأتاها فلما كان بسحوق لقيه ابن أبي الزهير . فقال : يا أمير المؤمنين اجعل منزلك علي . قال كل منزلى فرمى بنفسه على الرمل فقيل له : يساق اليك الوطاء فقال : الرمل أحب الى وأعجبه برده فألزق بالرمل بطنه قال : فأتى اليه بخمس رمانات فأكلها . فقال : أعندكم غير هذه . فجعلوا يأتونه بخمس بعد خمس حتى أكل سبعين رمانة . ثم أتوه بجدى وست دجاجات فأكلهن . وأتوه بزبيب من زبيب الطائف فنثر بين يديه فأكل عامته . ونعس فلما انتبه أتوه بالغداء فأكل كما أكل الناس فأقام يومه ومن غد قال لعمر : أراناقد أضررنا بالقوم . وقال لابن أبي الزهير : اتبعني الى مكة فلم يفعل . فقالوا له : لو أتيته فقال أقول ماذا ، أعطني ثمن قراى الذى قريتكه . العتبي عن أبيه عن الشمردل وكيل عمرو بن العاص قال : لما قدم سليمان بن عبد الملك الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستانا لعمرو . وقال فجال في البستان ساعة ثم قال ناهيك بمالكم هذا مالا . ثم ألقى صدره على غصن وقال : ويلك يا شمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى والله عندى جدى كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى . قال : عجل به ويحك فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله وما دعا عمر ولا ابنه حتى اذا بقى الفخذ قال : هلم أبا حفص . قال : أنا صائم . فأتى عليه ثم قال : ويلك يا شمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى والله دجاجتان هنديتان كأنهما رألا النعام . فأتيته بهما فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقى عظامها نقية حتى أتى عليهما ثم رفع رأسه فقال : ويلك يا شمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى عندى حريرة كأنها قراضة ذهب . قال : عجل بها ويلك فأتيته بعس يغيب فيه الرأس فجعل يلقمها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح في جب . ثم قال: ياغلام أفرغت من غدائى . قال نعم قال: وما هو قال ثمانون قدرا . قال ائتنى بها قدرا قدرا قال فأكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه ثم أذن للناس ووضعت الخوانات وقعد . وأذن للناس فما أنكرت شيأ من أكله

٤٦ — خلافة عمر بن عبد العزيز — المدائني قال : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وكنيته أبو حفص . وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وولي الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين . ومات يوم الجمعة لست بقين من رجب بدير سمعان من أرض حمص سنة أحدى ومائة وصلى عليه يزيد بن عبد الملك . علي بن زيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : تمت حجة الله على ابن الاربعين . ومات لها وكان على شرطته يزيد بن بشير الكناني . وعلى حرسه عمرو بن المهاجر . ويقال أبو العباس الهلالي . وكان كاتبه على الرسائل ابن أبي رقية وكاتبه أيضا اسمعيل بن أبي حكيم . وعلى خاتم الخلافة نعيم بن أبي سلامة وعلى الخراج والجند صالح بن أبي جبير . وعلى اذنه أبو عبيدة الاسود مولاه يعقوب . ابن داود الثقفي عن أشياخ من ثقيف قال : قرئ عهد عمر بالخلافة وعمر في ناحية فقام رجل من ثقيف يقال له سالم من أخوال عمر فأخذ بضبعيه فأقامه . فقال عمر . أما والله ما الله أردت بهذا ولن تصيب بها مني دنيا . أبو بشر الخراساني قال : خطب عمر بن عبد العزيز الناس حين استخلف فقال : أيها الناس والله ماسألت الله هذا الامر قط في سر ولا علانية . فمن كان كارها لشئ مما وليته فالآن . فقال سعيد بن عبد الملك : ذلك أسرع فيما نكره أتريد ان نختلف ويضرب بعضنا بعضا . قال رجل : سبحان الله وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ولم يقولوا هذا ويقوله عمر .

٤٧ — أخبار عمر بن عبد العزيز — بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو نفسه ويبكي فنسمع نحيبه بالبكاء . وهو يقول : أبعد الثلاثة الذين بوأتهم بيدي عبد الملك والوليد وسليمان . وقدم رجل من خراسان على عمر بن عبد العزيز حين استخلف فقال : يا أمير المؤمنين اني رأيت في منامي قائلا يقول اذا ولي الاشج من بني أمية يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . فولي الوليد فسألت عنه فقيل لي ليس باشج . ثم ولي سليمان فسألت عنه فقيل ليس باشج ووليت أنت فكنت الاشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله قال نعم قال فبالذي أنعم به عليك أحق ما أخبرتني قال نعم فأمر دان يقيم في دار الضيافة فمكث نحوا من شهرين ثم أرسل اليه عمر فقال هل تدري لم احتبسناك . قال : لا قال أرسلت الى بلدك لنسأل عنك فاذا اثناء صديقك وعدوك عليك سواء فانصرف راشدا . وكان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيأ ولا يجري

على نفسه من الفى درهما . وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين فى كل يوم فقيل لعمر بن عبد العزيز: لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب فقال ان عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنينى . ولما ولى عمر بن عبد العزيز قام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أعدنى على هذا وأشار الى رجل . قال : فيم قال: أخذ مالى وضرب ظهرى . فدعابه عمر فقال ما يقول هذا . قال صدق انه كتب الى الوليد بن عبد الملك وطاعتكم فريضة. قال كذبت لا طاعة لنا عليكم الا فى طاعة الله وأمر بالارض فردت الى صاحبها . عبد الله بن المبارك عن رجل أخبره قال : كنت مع خالد بن يزيد بن معاوية فى صحن بيت المقدس فلقينا عمر بن عبد العزيز ولا أعرفه فأخذ بيد خالد . وقال : ياخالد أعلينا عين. قلت عليكما: من الله عين بصيرة وأذن سميعة . قال فاستل يده من يد خالد وأرعد ودمعت عيناه ومضى . فقلت لخالد من هذا قال هذا عمر بن عبد العزيز وان عاش فيوشك ان يكون اماما عدلا . وقال رياح بن عبيدة اشتريت لعمر قبل الخلافة مطرفا بخمسمائة فاستخشنه وقال : لقد اشتريته خشنا جداً واشتريت له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم فاستلانه وقال لقد اشتريته لينا جدا . ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر وعليه ريطة من رياط مصر . فقال: بكم أخذت هذا يا أباسعيد قال بكذا وكذا قال فلو نقصت من ثمنها ما كان ناقصا من شرفك . قال مسلمة: ان أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجدة، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة، وأفضل اليد ما كان بعد الولاية . وكان لعمر غلام يقال له درهم يحتطب له . فقال له يوما : ما يقول الناس يادرهم . قال وما يقولون الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر . قال: وكيف ذلك قال انى عهدتك قبل الخلافة عطر اللباس فاره المركب ، طيب الطعام، فلما وليت رجوت ان أستريح وأتخلص . فزاد عملى شدة وصرت أنت فى بلاء. قال فانت حر فاذهب عنى ودعنى وما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مخرجا . ميمون بن مهران . قال: كنت عند عمر فكثر بكاؤه ومسألته ربه الموت . فقلت لم تسال الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحيا بك سننا وأمات بك بدعا . قال: أفلا أكون مثل العبد الصالح حين أقر الله عينه وجمع له أمره قال : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » . ولما ولى عمر بن عبد العزيز قال : ان فدك كانت مما أفاءالله على رسوله فسألتها فاطمة رسول الله

فقال لها مالك ان تسالينى ولا لى ان أعطيك . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها حيث أمره الله . ثم أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يضعونها المواضع التى وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ولى معاوية فاقطعها مروان و وهبها مروان لعبد الملك وعبد العزيز فقسمناها بيننا أثلاثا انا والوليد وسليمان فلما ولى الوليد سألته نصيبه فوهبه لى وما كان لى مال أحب الى منها وانا اشهدكم : انى قد رددتها الى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر : الامور ثلاثة . أمر استبان رشده فاتبعه ، وأمر استبان ضره فاجتنبه ، وأمر اشكل أمره عليك فرده الى الله . وكتب عمر الى بعض عماله : الموالى ثلاثة . مولى رحم ، ومولى عتاقه ، ومولى عقد . فمولى الرحم : يرث و يورث ، ومولى العتاقة يورث ولا يرث ، ومولى العقد لا يرث ولا يورث وميراثه لعصبته . وكتب عمر الى عماله : مروا من كان على غير الاسلام ان يضعوا العمائم ، و يلبسوا الاكسية ، ولا يتشبهوا بشئ من الاسلام . ولا تتركوا أحدا من الكفار يستخدم أحدا من المسلمين . وكتب عمر ابن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة عامله على العراق : اذا امكنتك القدرة على المخلوق ، فاذكر قدرة الخالق القادر عليك . واعلم ان مالك عند الله ، أكثر مما لك عند الناس . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله : مروا من كان قبلكم فلا يبقى أحد من احرارهم ولا مماليكهم صغيرا ولا كبيرا ذكرا ولا أنثى الا أخرج عنه صدقة فطر رمضان . مدين من قمح أو صاعا من تمر أو قيمة ذلك نصف درهم . فاما أهل العطاء فيؤخذ ذلك من اعطياتهم عن أنفسهم وعيالاتهم . واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الامانة يقبضان ما اجتمع من ذلك ثم يقسمانه فى مسكنة أهل الحاضرة . ولا يقسم على أهل البادية . وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن الى عمر : ان رجلا شتمك فاردت ان اقتله . فكتب اليه : لو قتلته لاقدتك به فانه لا يقتل أحد بشتم أحد الا رجل شتم نبيا . وكتب رجل من عمال عمر الى عمر : انا أتينا بساحرة فالقيناها فى الماء فطفت على الماء . فما ترى فيها فكتب اليه : لسنا من الماء فى شئ ان قامت عليها بينة والا خل سبيلها . وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة فى المظالم فيراده فيها فكتب اليه : انه يخيل لى انى لو كتبت لك ان تعطى رجلا شاة لكتبت الى اذكر أم أنثى . ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى أصغيرة أم كبيرة . ولو كتبت باحدهما لكتبت ضائنة أم معزاه . فاذا كتبت اليك فنفذ ولا ترد على والسلام . وخطب عمر فقال : أيها الناس لا تستصغروا

الذنوب ، والتمسوا تمحيص ماسلف منها بالتوبة منها . ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . وقال عز وجل : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » . وقال عمر لبنى مروان : ادوا ما فى أيديكم من حقوق الناس ولا تلجؤنى الى ما أكره فأحملكم على ما تكرهون . فلم يجبه أحد منهم . فقال : أجيبونى فقال رجل منهم : والله لا نخرج من أموالنا التى صارت الينا من آبائنا فنفقر ابناءنا ونكفر آباءنا حتى تزايل رؤسنا . فقال عمر : اما والله لولا ان تستعينوا على بمن طلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم عاجلا ولكننى أخاف الفتنة ولئن ابقانى الله لاردن الى كل ذى حق حقه ان شاء الله . وكان عمر : اذا نظر الى بعض موالى بنى أمية قال انى أرى رقابا سترد الى أربابها . ولما مات عمر بن عبد العزيز . قعد مسلمة على قبره فقال : اما والله ما أمنت الرق حتى رأيت هذا القبر . العتبى قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك تبعه الامويون . فلما دخل الى منزله قال له الحاجب : الامويون بالباب . قال : وما يريدون قال ماعودتهم الخلفاء قبلك . قال ابنه عبد الملك وهو اذ ذاك ابن أربع عشرة سنة : ائذن لى فى ابلاغهم عنك . قال وما تبلغهم قال : أقول أبى يقرئكم السلام و يقول لكم : « انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » . زياد عن مالك قال قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه : يا أبت ، مالك لا تنفذ الامور فوالله ما أبالى لو ان القدور غلت بى و بك فى الحق . قال له عمر : لا تعجل يا بنى فان الله ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة . وأنا أخاف ان أحمل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة و يكون من ذلك فتنة . ولما نزل بعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموت . قال له عمر : كيف تجدك يا بنى . قال : أجدنى فى الموت فاحتسبنى فثواب الله خير لك منى . فقال : يا بنى والله لان تكون فى ميزانى أحب الى من ان أكون فى ميزانك . قال اما والله لأن يكون ما تحب أحب الى من ان يكون ما أحب . ثم مات فلما فرغ من دفنه وقف على قبره . وقال : يرحمك الله يا بنى فلقد كنت سارا مولودا ، و بارا ناشئا ، وما أحب انى دعوتك فاجبتنى . فرحم الله كل عبد من حر او عبد ذكرا وأنثى دعا لك برحمة . فكان الناس يترحمون على عبد الملك ليدخلوا فى دعوة عمر . ثم انصرف فدخل الناس يعزونه . فقال : ان الذى نزل بعبد الملك أمر لم نزل نعرفه فلما وقع لم ننكره . وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز . فلما فرغ من دفنها دنا اليه رجل فعزاه . فلم يرد عليه ثم

آخر فلم يرد عليه . فلما رأى الناس ذلك امسكوا ومشوا معه . فلما دخل الباب اقبل على الناس بوجهه فقال : ادركت الناس وهم لا يعزون فى المرأة الا ان تكون اما .

٤٨ — وفاة عمر بن عبد العزيز — مرض عمر بن عبد العزيز بارض حمص . ومات بدير سمعان . فيرى الناس ان يزيد بن عبد الملك سمه . دس الى خادم كان يخدمه فوضع السم على ظفر ابهامه فلما استسقى عمر غمس ابهامه فى الماء ثم سقاه فمرض مرضه الذى مات فيه . فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فوقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيرا فلقد عطفت علينا قلوبا كانت عنا نافرة ، وجعلت لنا فى الصالحين ذكرا . زياد عن مالك قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى المرضة التى مات فيها فقال له : يا أمير المؤمنين انك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة ولا بد لهم من شئ يصلحهم . فلو أوصيت بهم الىّ أو الى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم ان شاء الله . فقال عمر : اجلسونى فاجلسوه . فقال : الحمد لله أبالله تخوفنى يا مسلمة اما ما ذكرت انى فطمت أفواه ولدى عن هذا المال وتركتهم عالة فانى لم أمنعهم حقا هو لهم . ولم أعطهم حقا هو لغيرهم . واما ما سألت من الوصاة اليك أو الى نظرائك من أهل بيتى فان وصيتى بهم الى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . وانما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا ورزقه من حيث لا يحتسب . ورجل غير وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه . ادعوا الى بنى فدعوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد بصره فيهم ويصوّبه حتى أغرورقت عيناه بالدمع . ثم قال : بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم يا بنى انى قد تركتكم من الله بخير انكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب ان شاء الله . يا بنى مثلت رأيى بين أن تفتقروا فى الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار . فكان ان تفتقروا الى آخرا لابد خيرا من دخول أبيكم يوما واحدا فى النار . قوموا يا بنى عصمكم الله ورزقكم . قال فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا أفتقر . واشترى عمر بن عبد العزيز من صاحب دير سمعان موضع قبره بأربعين درهما . ومرض تسعة أيام ومات رضى الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة . وصلى عليه يزيد بن عبد الملك

وقال جرير بن الخطفى يرثى عمر بن عبد العزيز :

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا * يا خير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمرا عظيما فاصطبرت له * وسرت فينا بحكم الله ياعمرا

فالشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

وأنشد أبوعبيدة الاعرابى فى عمر بن عبدالعزيز :

مقابل الاعراق فى الطيب الطاب * بين أبى العاص وآل الخطاب

قال أبوعبيدة يقال : طيب وطاب كما يقال أديم ودام

٤٩ — خلافة يزيد بن عبد الملك — ثم ولى يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم. وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة . ومات ببلاد البلقاء يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة . وهو ابن أربع وثلاثين سنة . صلى عليه أخوه هشام بن عبدالملك . وكانت ولايته أربع سنين وشهرا وفيه يقول جرير :

سربلت سربال ملك غير مغتصب * قبل الثلاثين ان الملك مؤتشب

وكان على شرطته كعب بن مالك العبسى . وعلى الحرس غيلان أبوسعيد مولاه . وعلى خاتم الخلافة مطر مولاه — وكان فاسقا — وعلى الخاتم الصغير بكير أبوالحجاج . وعلى الرسائل والجند والخراج صالح بن جبير الهمدانى ثم عزله واستعمل أسامة بن زيد مولى كلب . وعلى الخزائن و بيوت الاموال هشام بن مصاد . وحاجبه خالد مولاه . وكان يزيد بن عبد الملك صاحب لهو ولذات وهو صاحب حبابة وسلامة وفى ولايته خرج يزيد بن المهلب . أسماء ولد يزيد الوليد ويحيي وعبدالله والقهر وعبدالجبار وسليمان وأبوسفيان وهاشم وداود ولا عقب له . والعوام ولاعقب له . وكتب يزيد بن عبدالملك الى عمال عمر بن عبدالعزيز : أما بعد فان عمر كان مغرورا . غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه فى انكسار الخراج والضريبة . فاذا أتاكم كتابى هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى . أخصبوا أم أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا والسلام . أبوالحسن المدائنى قال : لما ولى يزيد بن عبدالملك . وجه الجيوش الى يزيد بن المهلب فعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وللعباس بن الوليد على أهل دمشق خاصة . فقال له العباس : ياأمير المؤمنين ان أهل العراق أرجاف وقد خرجنا اليهم محاربين والاحداث تحدث فلو عهدت الى عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك . قال : غدا ان شاءالله وبلغ مسلمة الخبر فأتاه فقال له : ياأمير المؤمنين

أولاد عبد الملك أحب اليك أم أولاد الوليد . قال : ولد عبد الملك . قال : فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك . قال : بل أخي اذ كان ولدي أحق بها من ابن أخي . قال : ياأمير المؤمنين فان ابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ولابنك الوليد من بعده . قال : غدا ان شاء الله فلما كان من الغد بايع لهشام ولابنه الوليد من بعده والوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة . فلما انقضى أمر يزيد بن المهلب وأدرك الوليد ندم على استخلاف هشام . فكان اذا نظر الى ابنه الوليد قال : الله بيني و بين من جعل هشاما بيني و بينك . قال ولما قتل يزيد بن المهلب جمع يزيد بن عبد الملك العراق لاخيه مسلمة بن عبد الملك فبعث هلال بن أحوز المازني الى قندابيل فى طلب آل المهلب فالتقوا فقتل المفضل بن المهلب وانهزم الناس وقتل هلال بن أحوز خمسة من ولد المهلب ولم يفتش على النساء ولم يعرض لهن . و بعث العيال والاسرى الى يزيد بن عبد الملك قال حدثني جابر بن مسلم قال: لما دخلوا عليه قام كثير بن أبي حماد الذي يقال له كثير عزة فقال :

حليم اذا ما نال عاقب مجملا * أشد عقاب أو عفا لم يثرب
فعفواً أمير المؤمنين وحسبة * فما تكتسب من صالح لك يكتب
أساؤا فان تغفر فانك قادر * وأعظم حلم حسبة حلم مغضب
نفتهم قريش عن أباطح مكة * وذو يمن بالمشرفي المشطب

فقال يزيد لاطت بك الرحم . لا سبيل الى ذلك من كان له قبل آل المهلب دم فليقم فدفعهم اليهم حتى قتل نحو ثمانين . قال: و بلغ يزيد بن عبد الملك ان هشاما ينتقصه فكتب اليه : أن مثلي ومثلك كما قال الاول

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
لعل الذي يبغى رداي ويرتجى * به قبل موتي أن يكون هو الردى

فكتب اليه هشام: ان مثلي ومثلك كما قال الاول

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

فكتب اليه يزيد : نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا عنك ، مع حفظ وصية أبينا عبد الملك . وما حض عليه من صلاح ذات البين . واني لاعلم انك كما قال معن بن أوس :

لعمرك ماأدرى وانى لاوجل * على أينا تعدو المنية أول
وانى على أشياء منك تريبنى * قديما ولا صلح على ذاك يجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ماقطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل
اذا سؤتنى يوما رجعت الى غد * ليعقب يوما منك آخر مقبل
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مرحل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلا متحول

فلما جاءه الكتاب رحل هشام اليه فلم يزل فى جواره الى أن مات يزيد وهو معه فى عسكره مخافة أهل البغى . محمد المغازى قال حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال حدثنى الزبير بن بكار قال : كان يزيد بن عبد الملك كلفا بحبابة كلفا شديدا . فلما توفيت اكب عليها يتشممها أياما حتى أنتنت فاخذ فى جهازها وخرج بين يدى نعشها حتى اذا بلغ القبر نزل فيه فلما فرغ من دفنها الصق اليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤسيه فقال : قاتل الله ابن أبى جمعة كانه كان يرى ما نحن فيه حيث يقول :

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارنى فهو قائل * من أجلك هذا ميت اليوم أو غد

قال وطعن فى جنازتها فدفناه الى سبعة عشر يوما

٥٠ — خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان — ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان . يكنى أبا الوليد : وأمه أم هشام بنت اسمعيل بن هشام المخزومى يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة . ومات بالرصافة يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الاول سنة خمس وعشرين ومائة . وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . وصلى عليه الوليد بن يزيد وكانت خلافته عشرين سنة . أسماء ولد هشام بن عبد الملك : معاوية وخلف ومسلمة ومحمد وسليمان وسعيد وعبد الله ويزيد وهو الأبكم ومروان وابراهيم ومحمد ومنذر وعبد الملك والوليد وقريش وعبد الرحمن . وكان على شرطته كعب بن عامر العبسى . وعلى الرسائل سالم مولاه . وعلى خاتم الخلافة الربيع مولى لبنى الحريش وهو الربيع بن سابور . وعلى الخاتم الصغير أبو

الزبيرمولاه . وعلى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد ثم عزله وولى الجثحات . وعلى اذنه غالب بن مسعود مولاه

٥١ — أخبار هشام بن عبدالملك — أبوالحسن المدائنى . قال : كان عبدالملك ابن مروان رأى فى منامه ان عائشة ابنة اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى فلقت رأسه فقطعته عشرين قطعة . فغمه ذلك فارسل الى سعيد بن المسيب فقصها عليه . فقال سعيد تلد غلاما يملك عشرين سنة وكانت عائشة أم هشام حمقاء فطلقها عبدالملك لحمقها و ولدت هشاما وهى طالق ولم يكن فى ولد عبدالملك أكمل من هشام . قال خالد بن صفوان : دخلت على هشام ابن عبدالملك بعد ان سخط على خالد بن عبدالله القسرى وسلط عليه يوسف بن عمر عامله على العراق . فلما دخلت عليه استدنانى حتى كنت أقرب الناس اليه فتنفس الصعداء . ثم قال ياخالد رب خالد قعد مقعدك هذا أشهى الىّ حديثا منك . فعلمت انه يريد خالد بن عبد الله القسرى . قلت : ياأمير المؤمنين أفلا تعيده . قال هيهات ان خالدا دل فأمل ، وارجف فاعجف ، ولم يدع لمرجع مرجعا ، على انه ماسألنى حاجة قط . فقلت : ياأمير المؤمنين فلو أدنيته فتفضلت عليه . قال هيهات وأنشد :

اذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكن * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

قال اصبغ بن الفرج لم يكن فى بنى مروان من ملوكها أعطر ولا ألبس من هشام : خرج حاجا فحمل ثياب ظهره على ستمائة جمل . ودخل المدينة فقال لرجل انظر من فى المسجد فقال رجل طويل آدم أدهم قال هذا سالم بن عبدالله ادعه فاتاه . فقال أجب أمير المؤمنين وان شئت أرسل فتؤتى بثيابك فقال : ويحك أتيت الله زائرا فى رداء وقميص ولا أدخل بهما على هشام . فدخل عليه فوصله بعشرة آلاف ثم قدم مكة فقضى حجه . فلما رجع الى المدينة قيل له : ان سالما شديد الوجع فدخل عليه وسأله عن حاله ومات سالم فصلى عليه هشام . وقال ماأدرى باى الامرين أنا أسر بحجتى أم بصلاتى على سالم . قال : ووقف هشام يوما قريبا من حائط فيه زيتون له فسمع نفض الزيتون . فقال لرجل . انطلق اليهم فقل لهم التقطوه ولا تنفضوه . فتفقؤا عيونه ، وتكسر واعضونه . وخرج هشام هاربا من الطاعون فانتهى الى دير فيه راهب فادخله

الراهب بستانه فجعل ينتقي له اطايب الفا كهة والبالغ منها فقال هشام يا راهب هبني بستانك هذا فلم يجبه . فقال: مالك لا تتكلم فقال وددت ان الناس كلهم ما تواغيرك . قال : ولم قال لعلك أن تشبع . فالتفت هشام الى الابرش . فقال أتسمع ما يقول قال الابرش بلى والله أن لقيك حر غيره . العتبي قال : انى لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك اذ أقبل ابراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه . فقال الحرسى : ان أمير المؤمنين جرأني فى خصومة بينه و بين ابراهيم . قال القاضي : شاهديك على الجراءة فقال : أتراني قلت على أمير المؤمنين مالم يقل وليس بيني و بينه الا هذه الستره . قال : لا ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك الا ببينة قال فقام فلم يلبث حتى قعقعت الابواب وخرج الحرسى . فقال : هذا أمير المؤمنين قال فقام القاضي فاشار اليه فقعد و بسط له مصلى فقعد عليه هو وابراهيم وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ويخفى علينا البعض . قال فتكلما وأحضرت البينة فقضى القاضي على هشام . فتكلم ابراهيم بكلمة فيها بعض الخرق . فقال: الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد هممت ان أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك . قال : أما والله ائن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق . قال : له استرها علي يا ابراهيم . قلت لا ستر الله على ذنبي اذا يوم القيامة . قال انى معطيك عليها مائة ألف . قال ابراهيم فسترتها عليه طول حياته ثمنا لما أخذت منه وأذعتها عنه بعد موته تزيينا له . وذكروا عن الهيثم بن عدى قال : كان سعيد بن هشام بن عبد الملك عاملا لابيه على حمص . وكان يرمى بالنساء والشراب فقدم حمصى لهشام فلقيه أبو جعد الطائى فى طريق فقال له هل ترى ان أعطيك هذه الفرس فانى لا أعلم بمكان مثلها على ان تبلغ هذا الكتاب أمير المؤمنين ليس فيه حاجة بمسئلة دينار ولا درهم فاخذها وأخذ الكتاب . فلما قدم على هشام سأله ما قصة هذا الفرس فاخبره فقال : هات الكتاب فاذا فيه:

ابلغ اليك أمير المؤمنين فقد * أمددتنا بامير ليس عنينا
طورا يخالف عمرا فى حليلته * وعند ساحته يسقى الطلا دينا

فلما قرأ الكتاب بعث الى سعيد فاشخصه . فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة . وقال: يا ابن الخبيثة تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين . ويلك أعجزت ان تفجر فجور قريش . أوتدرى ما فجور قريش لا أم لك قتل هذا . واخذ مال هذا . والله لا تلى لى عملا حتى تموت قال قال فما ولى له عملا حتى مات . أحمد ابن عبيد قال : أخبرنى هشام الكلبي عن أبى محمد بن سفيان القرشي عن أبيه . قال

كنا عند هشام ابن عبد الملك وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم . فحضرت كلامهم حتى محمد بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى وكان أعظم القوم قدرا وأكبرهم سنا . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ان خطباء قريش قد قالت فيك ماقالت وأكثرت وأطنبت والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وان أذنت فى القول قلت . قال: قل وأوجز قال تولاك الله ياأمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والاولى . ان لى حوائج . فأذكرها قال هاتها . قال كبرسنى ، ونال الدهر منى ، فان رأى أمير المؤمنين ان يجبر كسرى ، وينفى فقرى ، فعل . قال قال : وما الذى ينفى فقرك ، ويجبر كسرك . قال الف دينار والف دينار والف دينار . قال فاطرق هشام طويلا ثم قال ياابن أبى الجهم بيت المال لا يحتمل ماذكرت . ثم قال له: هيه قال: ماهيه اما والله أن الامر لوالى احد ولكن الله آثرك لمجلسك فان تعطنا فحقنا اديت، وان تمنعنا فنسأل الذى بيده ما حويت . ياأمير المؤمنين ان الله جعل العطاء محبة، والمنع مبغضة. والله لان أحبك احب الى من ان أبغضك . قال فألف دينار لماذا قال اقضى بها دينا فدحنى قضاؤه، وقدعنانى حمله، واضر بى اهله . قال فلا باس تنفس كربة ، وتؤدى امانة والف دينار لماذا . قال ازوج بها من بلغ من ولدى . قال نعم المسلك سلكت اغضضت بصرا وأعففت ذكرا ورفعت نسلا . والف دينار لماذا . قال اشترى بها أرضا يعيش بها ولدى، واستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون ذخرا لمن بقى . قال فانا قد أمرنا لك بما سألت قال فالمحمود الله على ذلك . خرج فاتبعه هشام بصره وقال اذا كان القرشى فليكن مثل هذا . مارأيت رجلا أوجز فى مقال ولا أبلغ فى بيان منه. ثم قال: اما والله انا لنعرف الحق اذا نزل، وننكره الاسراف والبخل، وما نعطى تبذرا ، ولا نمنع تقتيرا ، وما نحن الا خزان الله فى بلاده، وامناؤه على عباده، فاذا أذن اعطينا واذا منع ابينا. ولو كان كل قائل يصدق ،وكل سائل يستحق، ماجبهنا قائلا؟ ولا رددنا سائلا، ونسال الذى بيده ما استحفظنا ان يجريه على أيدينا فانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بعباده خبير بصير فقالوا ياأمير المؤمنين لقد تكلمت فأبلغت وما بلغ فى كلامه ماقصصت . قال: انه مبتلى وليس المبتلى كالمعتلى . وذكروا : ان العباس والوليد وجماعة من بنى مروان اجتمعوا عند هشام. فذكروا أمورا من يزيد وعابوه وذموه . وكان هشام ينقصه ودخل الوليد فقال له العباس ياوليد . كيف حبك للروميات فان أباك كان مشغوفا بهن . قال

كيف لا يكون وهن يلدن مثلك: قال ألا تسكت يا ابن البظراء قال حسبك أيها المفتخر علينا بختان أمه وقال له هشام ماشرابك ياوليد: قال بشرابك ياأمير المؤمنين. وقام يخرج. فقال له هشام هذا الذى زعمتوه احمق وقرب الوليد بن يزيد فرسه فجمع جراميزه و وثب على سرجه. ثم التفت الى ولد هشام. وقال له هل يقدر أبوك ان يصنع مثل هذا. قال لابى مائة عبد يصنعون مثل هذا. فقال الناس لم ينصفه فى الجواب . العتبي عن أبيه قال سمعت معاوية بن عمر بن عتبة يحدث قال انى لقاعد بباب هشام بن عبد الملك وكان الناس يتقربون اليه بعيب الوليد بن يزيد قال فسمعت قوما يعيبونه فقلت دعونا من عيب من يلزمنا مدحه ووضع من يجب علينا رفعه. وكانت للوليد بن يزيد عيون لا يبرحون بباب هشام فنقلوا اليه كلامى وكلام القوم فلم ألبس الا يسيرا حتى راح الى مولى للوليد قد التحف على الف دينار. فقال لى يقول لك مولاى انفق هذه فى يومك وغدا امامك قال فلئت رعبا من هشام وخشيت سطوته و رماه الله بالعلة فدفناه لثمانية عشر يوما بعد ذلك اليوم فلما قام الوليد بعده دخلت عليه. فقال لى يا ابن عتبة أتراني ناسيا قعودك بباب الاحول يهدمنى وتبنيني ويضعني وترفعني فقلت ياأمير المؤمنين شاركت قومك فى احسانك اليهم. وتفردت دونهم باحسانك الىّ فلست أحمل لك نفسى فى اجتهاد ولا أعذرها فى تقصير وتشهد بذلك ألسنة الجائزين بنا و يصدق قولهم فى الفعال بنا قال كذلك انتم لنا آل أبى سفيان وقد أقطعتك مالى بالبثنية وما أعلم لقرشي مثله * وقال عبد الله بن الحكم فقيه مصر: سمعت الاشباخ يقولون سنة خمس وعشرين ومائة اديل من الشرف وذهبت المروءة وذلك عند موت هشام بن عبد الملك . قال أبو الحسن المدائنى: مات هشام بن عبد الملك بالذبحة يوم الاربعاء بالرصافة فى ربيع الآخر لست خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وصلى عليه مسلمة بن هشام أو بعض ولده واشترى له كفن من السوق

٥٢ — خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك — بويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف وقتل بالهجرا من تدمر على ثلاث أميال يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين أو ست وثلاثين. قال حاتم بن مسلم ابن خمس وأربعين وأشهر. وكانت ولايته سنة وشهرين واثنين

وعشرين يوما فاول شيء نظر فيه الوليد ان كتب الى العباس بن الوليد بن عبد الملك ان يأتي الرصافة يحصي مافيها من أموال هشام و ولده و يأخذ عماله وحشمه الا مسلمة بن هشام. فانه كتب اليه أن لا يعرض له ولا يدخل منزله وكان مسلمة كثيرا مايكلم أباه في الرفق بالوليد ففعل العباس ماأمره به . وكتب الوليد بن يزيد الى يوسف بن عمر فقدم عليه من العراق فدفع اليه خالد بن عبد الله القسرى ومحمدا وابراهيم ابني هشام بن اسمعيل المخزومي وأمره بقتلهم. فحدث أبو بشر بن السرى قال رأيتهم حين قدم بهم يوسف بن عمر الحيرة وخالد في عباءة في شق محمل فعذبهم حتى قتلهم ثم عكف الوليد على البطالة وحب القيان . والملاهي والشراب ومعاشقة النساء فتعاشق سعدى ابنة سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فتزوجها. ثم تعاشق أختها سلمى فطلق أختها سعدى وتزوج سلمى فرجعت سعدى الى المدينة فتزوجت بشر بن الوليد بن عبد الملك ثم ندم الوليد على فراقها وكلف بحبها فدخل عليه اشعب المضحك فقال له الوليد هل لك على ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرون الف درهم قال: هاتها فدفعها اليه فقبضها وقال مارسالتك قال اذا قدمت المدينة فاستأذن عليها وقل لها يقول لك الوليد

أسعدى ما اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا ان يؤاتي * بموت من خليلك أو فراق

فأتاها أشعب فاستأذن عليها وكان نساء المدينة لا يحتجبن عنه . فقالت له: مابدا لك في زيارتنا ياأشعب. قال ياسيدتي أرسلني اليك الوليد برسالة قالت هاتها فانشدها البيتين . فقالت لجواريها خذن هذا الخبيث . وقالت ماجرأك على مثل هذه الرسالة . قال انها بعشرين ألفا معجلة مقبوضة قالت والله لاجلدنك أو لتبلغنه كما أبلغتني عنه . قال فاجعلي لي جعلا قالت بساطي هذا . قال فقومي عنه . فقامت عنه وطوى البساط وضمه . ثم قال هاتي رسالتك فقالت له قل له:

أتبكي على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة كظم الغيظ على أشعب . وقال اختر احدى ثلاث خصال ولا بد لك من احداها أما ان أقتلك . وأما ان أطرحك للسباع فتأكلك . وأما ان ألقيك من هذا القصر . فقال أشعب: ياسيدي ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى فضحك وخلى سبيله . وأقامت

عنده سلمى حتى قتل عنها وهو القائل فى سلمى :

شاع شعرى فى سلمى وظهر * ورواه كل بدو وحضر
وتهادته الغوانى بينها * وتغنين به حتى انتشر
لو رأينا من سلمى أثراً * لسجدنا ألف ألف للاثر
واتخذناها اماما مرتضى * ولكانت حجنا والمعتمر
انما بنت سعيد قمر * هل حرجنا ان سجدنا للقمر

وفيها يقول قبل تزوجه لها :

حدثوا ان سلمى * خرجت يوم المصلى
فاذا طير مليح * فوق غصن يتفلى
قلت ياطير ادن منى * فدنا ثم تدلى
قلت هل تعرف سلمى * قال لا ثم تولى
فتظامى القلب كلا * باطنا ثم تجلى

وقال فى سلمى قبل تزويجه لها :

لعل الله يجمعنى بسلمى * أليس الله يفعل مايشاء
ويأتى بى ويطرحنى عليها * فيوقظنى وقد قضى القضاء
ويرسل ديمة من بعد هذا * فتغسلنا وليس بنا عناء

وقال فيها بعد تزويجه لها :

أنا فى يمنى يديها * وهى فى يسرى يديه
ان هذا لقضاء * غير عدل يا أخيه
ليت من لام محبا * فى الهوى لاقى منيه
فاستراح الناس منه * ميتة غير سويه

قال : ولهج الوليد بالنساء والشراب والصيد . فأرسل الى المدينة فحملوا له المغنين فلما قربوا اليه أمر ان يدخلوا العسكر ليلا وكره ان يراهم الناس فاقاموا حتى أمسوا غير محمد بن أبى عائشة فانه دخل نهاراً . فامر الوليد بحبسه فلم يزل محبوسا حتى شرب الوليد يوما فطرب فكلمه معبد فأمر

الوليد باخراجه ودعاه فغناه فقال:

أنت ابن مستبطح البطاح ولم * يطرق عليك النجى والولج

فرضي عنه. وكان سعيد الاحوص ومعبد. قدما على الوليد ونزلا فى الطريق على غدير وجارية تستسقى فزاغت فانكسرت الجرة فجلست تغنى:

يابيت عاتكة التى أتعزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فقال: ياجارية لمن أنت. فقالت كنت لآل الوليد بالمدينة. فاشترانى مولاى وهو من بنى عامر بن صعصعة أحد بنى الوحيد من بنى كلاب وعنده بنت عم له فوهبنى لها فأمرتنى ان أستقى لها. فقال لها: فلمن الشعر. قالت: سمعت بالمدينة ان الشعر للاحوص والغناء لمعبد فقال معبد للاحوص: قل شيأ أغنى عليه. فقال:

ان زين الغدير من كسر الجـ * ـر وغنى غناء فحل مجيد

قلت من أنت يامليحة قالت * كنت فيما مضى لآل الوليد

ثم قد صرت بعد عز قريش * فى بنى عامر لآل الوحيد

وغنائى لمعبد ونشيدى * لفتى الناس الاحوص الصنديد

فتضاحكت ثم قلت أنا الاحـ * ـوص والشيخ معبد فأعيدى

فأعادت وأحسنت ثم ولت * تتهادى فقلت أم سعيد

يقصر المال عن شراك ولكن * أنت فى ذمة الامام الوليد

وأم سعيد كانت للاحوص بالمدينة: فغنى معبد على الشعر. فقال: ماهذا فاخبراه فاشتراها الوليد. قال أبو الحسن وقال ابن أبى الزناد: انى كنت عند هشام وعنده الزهرى فذكرا الوليد فتقصاه وعاباه عيبا شديدا. ولم أعرض لشىء مما كانا فيه فاستأذن فأذن له فدخل وأنا أعرف الغضب فى وجهه. فجلس قليلا ثم قام. فلما مات هشام: كتب بى فحملت اليه فرحب بى. وقال: كيف حالك يا ابن ذكوان والطف المسئلة. ثم قال أتذكر هشاما الاحول. وعنده الفاسق الزهرى وهما يعيبانى. فقلت: اذكر ذلك ولم أعرض لشىء مما كانا فيه. قال صدقت أرأيت الغلام الذى كان على رأس هشام قائما: قلت نعم. قال: فانه نم الى بما قالاه وأيم الله لو بقى الفاسق الزهرى لقتلته. قلت قد عرفت الغضب فى وجهك حين دخلت. قال: يا ابن ذكوان ذهب الاحول

قلت يطيل الله عمرك ، و يمتع الامة ببقائك ، ودعا بالعشاء فتعشينا ، وجاءت المغرب فصلينا ، وجلس . فقال : اسقنى فجاؤا باناء مغطى وجيء بثلاث جوار فصففن بينى و بينه حتى شرب ودهش فتحدثنا واستسقى فصنعوا مثل ذلك فما زال كذلك يستسقى و يتحدث و يصنعون مثل ذلك حتى طلع الفجر . فاحصيت له سبعين قدحا . على بن عياش قال : انى عند الوليد بن يزيد فى خلافته اذ أتى بابن شراعة من الكوفة فوالله ماسأله عن نفسه ولا عن مسيره حتى قال له : يا ابن شراعة أنا والله ما أبعث اليك لأسألك عن كتاب الله وسنة رسوله . قال والله لو سألتنى عنهما لوجدتنى فيهما حمارا . قال انما أرسلت اليك لاسألك عن القهوة . قال دهقانها الخبير ولقمانها الحكيم ، وطبيبها العليم . قال فأخبرنى عن الشراب . قال : يسأل أمير المؤمنين عمابدا له قال ماتقول فى الماء . قال لابد لى منه والحمار شريكى فيه . قال ماتقول فى اللبن . قال ما رأيته قط إلا استحييت من أمى لطول ما ارضعتنى به . قال : ماتقول فى السويق قال شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال فنبيذ التمر . قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش . قال فنبيذ الزبيب . قال حاموا به على الشراب . قال : ماتقول فى الخمر . قال : أواه تلك صديقة روحى . قال : وأنت والله صديق روحى قال فأى المجالس أحب قال ماشرب الكاس قط على وجه أحسن من السماء قال أبو الحسن كان أبو كامل مضحكا غزلا مغنيا فغنى الوليد يوما فطرب فأعطاه قلنسوة برود كانت عليه فكان ابو كامل لا يلبسها الا فى عيد و يقول كسانيها امير المؤمنين فانا اصونها وقد أمرت أهلى اذا مت ان توضع فى اكفانى وله يقول الوليد

من مبلغ عنى أبا كامل * انى اذا ماغاب كالهابل
وزادنى شوقا الى قربه * ماقد مضى من دهرنا الحائل
انى اذا عاطيته مرة * ظلت بيوم الفرح الجاذل

قال وجلس الوليد يوما وجارية تغنيه فانشدت الوليد * قينة فى عينها ابريق * فاستنشدها حماد الراوية فقال :

ثم نادى الا أصبحونى فقامت * قينة فى يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافه الراووق
مرة قبل مزجها فاذاما * مزجت لذطعمها من يذوق

وكتب له الوليد الى المدينة فحمل اليه اشعب فالبسه سراويل جلد قرد له ذنب وقال له ارقص

وغن صـوتا يعجبنى فان فعلت اعطيتك الف درهم فرقص وغـنى فاعجبـه فاعطاه الف درهم وأنشد الوليد هذا :

علانى واسـقيانى * من شراب اصفهانى
من شراب الشيخ كسرى * أوشراب الهـرمزان
ان بالكاس لمسـكا * أو بكفى من سـقانى
انما الكاس ربيع * يتعاطى بالبنان

وقال أيضا: وصفراء فى الكاس كالزعفران * سباها الدهاقـين من عسقلان
لها قادرمح اذا صفقت * تراها كلمعة برق يمانى

وقال أيضا : ليت حظى اليـوم من كل معاش لى وزاد
قهـوة أبذل فيها * طارفى بعـد تلادى
فيزال القلب منها * هائما فى كل واد
ان فى ذاك فلاحى * وصلاحى. ورشادى

وقال: امدح الكاس ومن اعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر * فاذا مالم نذقها لم نعش

و بلغ الوليد ان الناس يعيبونه و ينتقصونه بالشراب وطلب اللذات . فقال فى ذلك :

ولقـد قضـيت ولم يجلل لمـتى * شـيب عـلى رغم العـد الذاتى
من كاعبات كالدمى ومناصف * ومراكب للصيد والنشوات
فى فتية تابى الشموس وجوههم * شم الانوف جحاجح سادات
ان يطلبوا بتـوالهم يعطونها * أو يطلبـوا لايدركوا بترات

وقال معاوية بن عمرو بن عتبة، للوليد بن يزيد حـين تغيرله الناس وطعنوا عليه : ياامير المؤمنين انه ينطقنى الامن بك ، وتسبقنى اليك الهيبة لك وأراك تامن أشياء أخافها عليك . أفاسكت مطيعا أم أقول مشفقا قال كل مقبول منك والله فينا علم غيب نحن صائرون اليه فقتل بعـد ذلك بايام وقال اذ كثر القول فيه :

خذوا ملككم لاثبت الله ملككم * ثباتا لايساوى ماحييت عقالا
دعوالى سلمى مع طلاء وقينـة * وكاس الا حسـبي بذلك مالا

أبالملك ارجو أن أخلد فيكم * ألا رب ملك قد أزيل فزالا
ألا رب دار قد تحمل أهلها * فاضحت قفارا والديار خلالا

قال اسحق بن محمد الازرق دخلت على منصور بن جهور الازدى بعد قتل الوليد بن يزيد وعنده جاريتان من جوارى الوليد. فقال لى: اسمع من هاتين الجاريتان مايقولان قالتا قد حدثناك قال بل حدثاه كما حدثمانى قالت: احداهما كنا أعز جواريه عنده فنكح هذه وجاء المؤذنون يؤذنونه بالصلاة فأخرجها وهى سكرى جنبة متلثمة فصلت بالناس

٥٤ — مقتل الوليد بن يزيد — اسمعيل بن ابراهيم قال حدثنى عبدالله بن واقد الجرمى وكان شهد قتل الوليد. قال: لما اجمعوا على قتله قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك فخرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك فاتى أخاه العباس ليلا فشاوره فى قتل الوليد فنهاه عن ذلك فأقبل يزيد ليلا حتى دخل دمشق فى أربعين رجلا فكسروا باب المقصورة ودخلوا على واليها فأوثقوه وحمل يزيد الاموال على العجل الى باب المضمار وعقد لعبد العزيز بن الحجاج ونادى مناديه من انتدب الى الوليد فله ألفان فانتدب معه الفا رجل وضم مع عبد العزيز بن الحجاج يعقوب ابن عبد الرحمن ومنصور بن جهور و بلغ الوليد بن يزيد ذلك فتوجه من البلقاء الى حمص وكتب الى العباس بن الوليد أن يأتيه فى جند من أهل حمص وهو منها قريب. وخرج الوليد حتى انتهى الى قصر فى برية ورمل من تدمر على أميال وصبحت الخيل الوليد بالصحراء وقدم العباس بن الوليد بغير خيل فحبسه عبد العزيز بن الحجاج خلفه. ونادى منادى عبد العزيز من أتى العباس بن الوليد فهو آمن وهو بيننا و بينكم وظن الناس ان العباس مع عبد العزيز فتفرقوا عن الوليد وهجم عليه الناس فكان أول من هجم عليه السرى بن زياد بن ابى كبشة السكسكى وعبد السلام اللخمى فأهوى اليه السرى بالسيف وضربه عبد السلام على قرنه فقتل. قال اسمعيل وحدثنى عبدالله ابن واقد قال حدثنى يزيد بن أبى فروة مولى بنى أمية قال لما أتى يزيد برأس الوليد بن يزيد قال لى انصبه للناس قلت لا أفعل انما ينصب رأس الخارج خلف لينصبن ولا ينصبه غيرى فوضع على رمح ونصب على درج مسجد دمشق. ثم قال: اذهب فطف به فى مدينة دمشق: وخليفة بن خياط قال حدثنى الوليد بن هشام عن أبيه قال: لما أحاطوا بالوليد أخذ المصحف قال اقتل كما قتل ابن عمى عثمان أبو الحسن المدائنى قال: كان الوليد صاحب لهو وصيد وشراب ولذات فلما ولى الامر جعل يكره المواضع التى يراه الناس فيها. فلم يدخل

مدينة من مدائن الشام حتى قتل ولم يزل يتنقل و يتصيد حتى ثقل على الناس وعلى جنده واشتد على بني هاشم واضر بهم وضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه الى عمان فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد . وحبس يزيد بن هشام وهو الافقم فرماه بنو هاشم و بنو الوليد وكان أشدهم قولا فيه يزيد بن الوليد . وكان الناس الى قوله أميل لانه كان يظهر النسك ولما دفع الوليد خالد بن عبد الله القسري الى يوسف بن عمر فقتله غضب له اليمانية وغيرها فأتت يزيد بن الوليد بن عبد الملك فارادوه على البيعة وخلع الوليد فامتنع عليهم وخاف ان لا تبايعه الناس ثم لم يزل الناس به حتى بايعوه سرا . ولما قتل الوليد بن يزيد قام يزيد بن الوليد خطيبا فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال: أيها الناس اني والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي اطراء نفسي ولا تزكية عملي واني لظلوم لنفسي ان لم يرحمني ربي ولكنني خرجت غضبا لله ودينه . وداعيا الى كتاب الله وسنة نبيه حين درست معالم الهدى، وطفئ نور أهل التقوى، وظهر الجبار العنيد المستحل للحرمة، والراكب للبدعة والمغير للسنة، فلما رأيت ذلك أشفقت ان غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم، وقسوة من قلوبكم ، وأشفقت ان يدعو كثيرا من الناس الى ما هو عليه فيجيبه من أجابه منكم فاستخرت الله في أمري وسألته ان لا يكلني الى نفسي ودعوت الى ذلك من أجابني من أهلي وأهل ولايتي وهو ابن عمي في نسبي وكفئي في حسبي فأراح الله منه العباد وطهر منه البلاد ولاية من الله وعونا بلا حول ولا قوة ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه، أيها الناس: ان لكم علي ان وليت أموركم ان لا أضع لبنة على لبنة ولا حجرا على حجر ولا أنقل مالا من بلد الى بلد حتى اسد ثغره وأقسم بين أهله ما تقوون به فان فضل رددته الى أهل البلد الذي يليه ومن هو أحوج اليه حتى تستقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواء ولا أحد يعوزكم فتفتنوا فتنة أهاليكم فان أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم به وان ملت فلا بيعة لي عليكم وان رأيتم أحدا هو أقوى عليها مني فأردتم بيعته فأنا اول من بايع ودخل في طاعته أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . وقال خلف بن خليفة في قتل الوليد بن يزيد يقول في قتل خالد بن عبد الله :

لقد سكنت كلب واسياف مذحج * صدى كان يزقو ليله غير راقد

تركنا أمير المؤمنين جلية * مكبا على خيشومه غير ساجد

فان تقطعوا منا مناط قلادة * قطعنا بهامنكم مناط قلائد
وان تشغلونا عن أذان فاننا * شغلنا الوليد عن غناء الولائد

٥٥ ـ ولاية يزيد الناقص ـ ثم بويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فى أول رجب سنة ست وعشرين ومائة . وأمه ابنة يزدجرد بن كسرى سباها قتيبة بن مسلم بخراسان و بعث بها الى الحجاج بن يوسف فبعث بها الحجاج الى الوليد بن عبد الملك فاتخذها فولدت له يزيد الناقص ولم تلد غيره. ومات يزيد بن الوليد بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين سنة وصلى عليه أخوه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك . قال عبد العزيز: بويع وهو ابن تسع وثلاثين سنة ومات ولم يبلغ الاربعين. وعلى شرطته بكير بن عثمان الحسنى وكاتب الرسائل ابن أبى سليمان بن سعد . وعلى الخراج والجند والخاتم الصغير والحرس النضر بن عمرو من أهل اليمن وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حميد الكلبي. و يقال قطن مولاه وكتب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد بالجزيرة و بلغه عنه تلكك فى بيعته . أما بعد : فانى أراك تقدم رجلا و تؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . ثم قطع اليه البعوث وأمر لهم بالعطاء فلم ينقص عطاؤه حتى مات يزيد. ولما بلغ مروان ان يزيد قطع البعوث اليه كتب ببيعته و بعث وفدا عليهم سليمان بن علاثة العقيلى فخرج فلما قطعوا الفرات لقيهم بريد بموت يزيد فانصرفوا الى مروان والله أعلم

٥٦ ـ ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع ـ العلاء بن يزيد بن سنان قال حدثنى أبى قال: حضرت الوليد بن يزيد حين حضرته الوفاة فأتاه قطن . فقال أنا رسول من وراءبابك يسألونك بحق الله لو وليت أمرهم أخاك ابراهيم بن الوليد فغضب وضرب بيده على جبهته وقال. أنا أولى ابراهيم. ثم قال لى يا أبا العلاء الى من ترى ان اعهد قلت أمر نهيتك عن الدخول فى أوله فلا أشير عليك فى الدخول فى آخره . قال فأصابته غماءة حتى ظننت انه قد مات ففعل ذلك غير مرة ثم خرجت من عنده فقعد قطن وافتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لابراهيم بن الوليد ودعا ناسا فاشهدهم عليه . قال والله ما عهد اليه يزيد ولا الى أحد من الناس وقال يزيد فى مرضه لو كان سعيد بن عبد الملك قريبا منى لرأيت فيه رأيى . و فى رواية أبى الحسن المدائنى . قال لما مرض يزيد قيل له لو بايعت لاخيك ابراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعده فقال له قيس بن هانىء العبسى

اتق الله ياأمير المؤمنين وانظر لنفسك وأرض الله فى عباده، فاجعل ولى عهدك عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . فقال الوليد لا يسألنى الله عن ذلك ولو كان سعيد بن عبد الملك منى قريباً لرأيت فيه رأيى . وكان يزيد يرى رأى القدرية ويقول بقول غيلان فألحت القدرية عليه وقالوا : لايحل لك اهمال أمر الامة فبايع لاخيك ابراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده فلم يزالوا به حتى بايع لابراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده ومات يزيد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة وكانت ولايته خمسة أشهر واثنى عشر يوما فلما قدم مروان نبش يزيد من قبره وصلبه وكان يقرأ فى الكتب القديمة . يامبذر الكنوز ياسجاد فى الاسحار كانت ولايتك لهم رحمة وعليهم حجة نبشوك فصلبوك وبويع ابراهيم بن الوليد وأمه بربرية فلم يتم له الامر وكان يدخل عليه قوم فيسلمون بالخلافة وقوم يسلمون بالامرة وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بامرة . وجماعة تبايع وجماعة يأبون أن يبايعوا فمكث أربعة أشهر حتى قدم مروان بن محمد فخلع ابراهيم وقتل عبد العزيز بن الحجاج وولى الامر بنفسه . وفى رواية خليفة بن خياط قال : لما أتى مروان بن محمد وفاة يزيد بن الوليد دعا قيساً وربيعة ففرض لستة وعشرين ألفا من قيس وسبعة آلاف من ربيعة وأعطاهم عطياتهم وولى على قيس أسحق بن مسلم العقيلى وعلى ربيعة المساور بن عقبة . ثم خرج يريد الشام واستخلف على الجزيرة أخاه عبد العزيز بن محمد ابن مروان فتلقاه وجوه قريش الوثيق بن زفر ويزيد بن عمرو بن هبيرة الفزارى وأبو الورد بن الهذيل بن زفر وعاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى فى خمسة آلاف من قيس فسار وامعه حتى قدم حلب وبها بشر ومسرور ابنا الوليد بن عبد الملك أرسلهما ابراهيم بن الوليد حين بلغه مسير مروان بن محمد فالتقوا فانهزم بشر ومسرور من ابن محمد من غير قتال فاخذهما مروان فحبسهما عنده . ثم سار مروان حتى أتى حمص فدعاهم للمسير معه والبيعة وولى العهد الحكم وعثمان ابنى الوليد بن يزيد وهما محبوسان عند ابراهيم بن الوليد بدمشق فبايعوه وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد وبلغ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك مالقى سليمان وهو معسكر فى ناحية الرى . فاقبل الى دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد من دمشق ونزل بباب الجابية وتهيأ للقتال ومعه الاموال على العجل ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبد العزيز ابن الحجاج وسليمان بن الوليد فدخلا مدينة دمشق يريدان قتل الحكم وعثمان ابنى الوليد وهما

فى السجن . وجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى فدخل السجن فقتل يوسف بن عمر والحكم وعثمان ابنى الوليد بن يزيد وهما الحملان وأتاهم رسول ابراهيم فتوجه عبد العزيز بن الحجاج الى داره ليخرج عياله . فثار به أهل دمشق فقتلوه واحتز وا رأسه فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية . وكان محبوسا مع يوسف بن عمر وأصحابه فأخرجوه فوضعوه على المنبر فى قيوده ورأس عبد العزيز بين يديه وحلوا قيوده وهو على المنبر فخطبهم وبايع لمروان وشتم يزيد وابراهيم ابنى الوليد وأمر بجثة عبد العزيز فصلبت على باب الجابية منكوسا وبعث برأسه الى مروان بن محمد واستأمن أبو محمد لاهل دمشق فأمنهم مروان ورضى عنهم . وبلغ ابراهيم فخرج هاربا حتى أتى مروان فبايعه وخلع نفسه فقبل منه وأمنه فسار ابراهيم فنزل الرقة على شاطئ الفرات ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستأمنه فامنه فاتاه فبايعه واستقامت لمروان بن محمد وكانت ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع أشهرا . قال أبو الحسن شهرين ونصفا

٥٧ — ولاية مروان بن محمد بن مروان — ثم بويع مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم أمه بنت ابراهيم بن الاشتر قال بعضهم بل كانت أمه لخباز لمصعب بن الزبير أولابن الاشتر واسم الخباز رزياه وقال بعضهم كان رزيا عبدا لمسلم بن عمر الباهلى . وقال أبو العباس الهلالى حين دخل على أبى العباس السفاح الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب . وكان مروان بن محمد أحزم بنى مروان وأنجدهم وأبلغهم ولكنه ولى الخلافة والامر مدبر عنهم ودفع الى مروان أبياتا قالها الحكم بن الوليد وهو محبوس وهى :

الا فتيان من مضر فيحموا * اسارى فى الحديد مكبلينا
أتذهب عامر بدمى وملكى * فلا غثا أصبت ولا سمينا
فان أهلك أنا وولى عهدى * فمروان أمير المؤمنينا
فأدب لا عدمتك حرب قيس * فتخرج منهم الداء الدفينا
ألا من مبلغ مروان عنى * وعمى الغمر طال بذا حنينا
فانى قد ظلمت وطال حبسى * لدى الخضراء فى حلق مهينا

وقتل مروان ببوصير من أرض مصر فى ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة . الوليد بن هشام عن أبيه وعبد الله بن المغيرة عن أبيه وأبو اليقظان قالوا ولد مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين وقتل

بقرية من قرى مصر يقال لها بوصير يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكانت ولايته خمس سنين وستة اشهر وعشرة أيام. وأم مروان أمة لمصعب بن الزبير وقتل وهو ابن خمسين سنة ولد مروان عبد الملك ومحمد وعبد العزيز وعبيد الله وعبد الله وأبان ويزيد ومحمد الاصغر وأبو عثمان وكاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعيد مولى بنى عامر بن لؤى وكان معلما وكان على القضاء سليمان بن عبد الله بن علاثة وعلى شرطته الكوثر بن عتبة وأبو الاسود الغنوى وكان للحرس نوب فى كل ثلاثة أيام نوبة يلى ذلك صاحب النوبة وعلى حجابته صقلا ومقلاص وعلى الخاتم الصغير عبد الاعلى بن ميمون بن مهران وعلى ديوان الجند عمران بن صالح مولى بنى هذيل :

٥٨ — مقتل مروان بن محمد بن مروان — قال والتقى مروان وعامر بن اسمعيل ببوصير من أرض مصر فقاتلوهم ليلا وعبد الله وعبيد الله ابنا مروان واقفان ناحية فى جمع من أهل الشام فحمل عليهم أهل خراسان فأزالوهم عن مراكزهم ثم كروا عليهم فهزموهم حتى ردوهم الى عسكرهم ورجعوا الى موقفهم. ثم ان أهل الشام بدؤهم فحملوا على أهل خراسان فكشفوا كشفا قبيحا ثم رجعوا الى أماكنهم وقد مضى عبيد الله وعبد الله فلم يروا أحدا من أصحابهم فمضوا على وجوههم وذلك فى السحر وقتل مروان وانهزم الناس. أخذوا عسكر مروان وما كان فيه وأصبحوا فاتبعوا الفل وتفرق الناس فجعلوا يقتلون من قدروا عليه ورجع أهل خراسان عنهم فلما كان الغد لحق الناس بعبد الله وعبيد الله ابنى مروان وجعلوا يأتونهما متقطعين العشرة والعشرين وأكثر واقل ويقولان كيف أمير المؤمنين فيقول بعضهم تركناه يقاتلهم ويقول بعضهم انحاز وثاب اليه قوم ولا يتبعونه حتى أتوا الحرون. فقال كنت معه أنا ومولى له فصرع فجررت برجله فقال أوجعتنى فقاتلت أنا ومولاه عليه وعلموا انه مروان فألحوا عليه فتركته ولحقت بكم فبكى عبد الله فقال له أخوه عبيد الله ياألأم الناس فررت عنه وتبكى عليه ومضوا فقال بعضهم كانوا أربعة آلاف وقال بعضهم كانوا ألفين فأتوا بلاد النوبة فأجرى عليهم ملك النوبة ما يصلحهم ومعهم أم خالد بنت يزيد وأم الحكم بنت عبيد الله صبية جاء بها رجل من عسكر مروان حين انهزموا فدفعها الى أبيها ثم أجمع ابنا مروان على ان يأتيا اليمن وقالا نأتيها قبل ان يأتيها السودان فلنتحصن فى حصونها وندعو الناس. فقال لهم صاحب النوبة لا تفعلوا انكم فى بلاد السودان وهم فى عدد كثير ولا آمن عليكم فاقيموا فأبوا . قال : فاكتبوا الى كتابا فكتبوا له انا قدمنا بلادك

فاحسنت مثوانا وأشرت علينا ان لا تخرج من بلادك فابينا وخرجنا من عندك وافرين راضين شاكرين لك بطيب أنفسنا وخرجوا فاخذوا فى بلاد العدو فكانوا ربما عارضوا لهم ولا ياخذون منهم الا السلاح وأكثر ذلك لا يعرضون لهم حتى أتوا بعض بلادهم فتلقاهم عظيمهم فاحتبسهم فطلبوا الماء فمنعهم ولم يقاتلهم ولم يخلهم وعطشهم وكان يبيعهم القربة بخمسين درهما حتى اخذ منهم مالا عظيما ثم خرجوا فساروا حتى عرض لهم جبل عظيم بين طريقين فسلك عبد الله أحدهما فى طائفة وسلك عبيد الله الاخرى فى طائفة وظنوا ان للجبل غاية يقطعونها ثم يجتمعون بهم عند آخرها فلم يلتقوا وعرض قوم من العدو لعبيد الله وأصحابه فقاتلوهم فقتل عبيد الله وأخذت أم الحكم بنته وهى صبية . وقتل رجل من أصحابه وكفوا عن الباقين وأخذوا سلاحهم . وتقطع الجيش فجعلوا ينتكبون العمران فيأتون الماء فيقيمون عليه الايام فتمضى طائفة وتقيم الاخرى حتى بلغ العطش منهم . فكانوا ينحرون الدابة فيقطعون اكراشها فيشربونه حتى وصلوا الى البحر بحيال علائقة المندب . ووافاهم عبد الله وعليه مقرمة قد جاء بها فكانوا جميعا خمسين أو أربعين رجلا فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم الخرون . وعفان مولى بنى هاشم . فعبروا اليهم البحر فى السفن فمشوا الى المندب فأقاموا بها اشهرا فلم تحملهم . فخرجوا الى مكة . وقال بعضهم اعلم بهم العامل فخرجوا مع الحجاج عليهم ثياب غلاظ وثياب الاكرياء حتى وافوا جدة وقد تقطعت أرجلهم من المشى فمروا بقوم فرقوا لهم فحملوهم . وفارق عبد الله الحجاج بجدة ثم حجوا وخرجوا من مكة الى قتاله . وكان على عبد الله فص أحمر كان قد غيبه حين عبر الى المندب . فلما أمن استخرجه وكانت قيمته ألف دينار وكان يقول : وهو يمشى ليت به دابة . حتى صار فى مرقعة تكون عليه بالنهار فيلبسها بالليل . فقالوا : ما رأينا مثل عبد الله قاتل فكان اشد الناس ومشوا فكان اقواهم ، وجاعوا فكان اصبرهم ، وعروا فكان أحسنهم عريا . وبعث وهو بالمندب الى العدو الذين أخذوا أم الحكم بنت أخيه عبيد الله ففداها وردها اليه . فكانت معه ثم أخذ عبيد الله فقدم به على المهدى . فجاءت امرأته بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم فكلمت العباس بن يعقوب كاتب عيسى بن على واعطته لؤلؤا ليكلم فيه عيسى فكلمه واعلمه بما اعطته فلم يكلم فيه عيسى ابن على المهدى . واراد المهدى ان يخليه فقال له عيسى : ان له فى أعناقنا بيعة وقد أعطى كاتبى قيمة ثلاثين الف درهم فحبسه المهدى . وكان عبد الله بن مروان

تزوج أم يزيد ابنة يزيد بن محمد بن مروان وكانت فى الحبس . فلما اخرجهم العباس خرجت الى مكة فأقامت بها وقدم عبدالله بن مروان سرا فتزوجها . وقال مولى مروان : كنت مع مروان وهو هارب . فقال لى يوما : أين عزبت عنا حلومنا فى نسائنا ألا زوجناهم من اكفائهن من قريش فكفينا مؤنتهن اليوم . وقال بعض آل مروان : ما كان شىء اقبح لنا فى هربنا من الجوهر الخفيف الثمن الذى يساوى خمسة دنانير فادون كان يخرجه الصبى والخادم فيبيعه وكنا لا نستطيع ان نظهر الجوهر الثمين الذى له قيمة كثيرة . وقال مصعب بن الربيع الخثعمى كاتب مروان بن محمد لما انهزم مروان وظهر عبد الله بن على على أهل الشام : طلبت الاذن فانا عنده جالس وهو متكىء اذ ذكر مروان وانهزامه . فقال : شهدت القتال : قلت . نعم اصلح الله الامير وقال لى مروان احزر القوم . فقلت انما أنا صاحب قلم . ولست بصاحب حرب . فاخذ يمنة ويسرة فقال لى : هم اثنى عشر ألف رجل . وقال مصعب قيل لمروان : قد انتهب بيت المال الصغير فانصرف يريد بيت المال . فقيل له انتهب بيت المال الاكبر انتهبه أهل الشام . وقال أبو الجارود السلمى : حدثنى رجل من أهل خراسان قال لقينا مروان على الزاب فحمل علينا أهل الشام كانهم جبال حديد . فجثونا على الركب واشرعنا الرماح فزالوا عنا كانهم سحابة ومنحنا الله اكتافهم وانقطع الجسر مما يليهم حين عبروا فبقى عليه رجل من أهل الشام فخرج اليه رجل منا فقتله الشامى . ثم خرج اليه آخر فقتله حتى والى بين ثلاثة . فقال رجل منا اطلبوا لى سيفا قاطعا وترسا صليبا فأعطيناه ومشى اليه فضربه الشامى فاتقاه بالترس وضرب رجله فقطعها وقتله ورجع فحملناه وكبرنا فاذا هو عبيد الله الكابلى . سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم . وانهم لم يزالوا على استقامة حتى افضى أمرهم الى أبنائهم المترفين . وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات ، وايثار اللذات ، والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا باستدراج الله ، وأمنا لمكره ، فسلبهم الله العز ، ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على يا امير المؤمنين ان عبدالله بن مروان لما دخل النوبة هاربا فيمن تبعه . سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب الى عبد الله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى امير المؤمنين ان يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هذه الليلة و يسأله عن ذلك . فامر المنصور باحضاره وساله عن القصة . فقال : يا امير المؤمنين قدمنا أرض النوبة وقد خبر الملك بامرنا فدخل على رجل أقنى الانف طوال حسن الوجه فقعد على الارض ولم يقرب الثياب فقلت

مايمنعك ان تقعد على ثيابنا . قال : لانى ملك و يحق على الملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لاى شىء تشربون الخمر وهى محرمة عليكم قلت اجترأ على ذلك عبيدنا وغلماننا واتباعنا لان الملك قد زال عنا . قال فلم تطؤن الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت : يفعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم . قلت : ذهب الملك عنا وقل انصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال . فاطرق مليا وجعل يقلب يده و ينكث الارض و يقول عبيدنا واتباعنا وقوم دخلوا فى ديننا وزال الملك عنا يردده مرارا . ثم قال ليس ذلك كذلك بل أنتم قوم قد استحللتم ما حرم الله ، وركبتم ما نهاكم عنه ، وظلمتم من ملكتم فسلبكم الله العز ، وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لن تبلغ غايتها واخاف ان يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم وانما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم وارتحلوا عن بلدى

٥٩ — أخبار الدولة العباسية — الهيثم بن عدى قال : حدثنى عياش قال حدثنى بكير أبو هاشم مولى مسلمة قال : لم يزل لبنى هاشم بيعة سر ودعوة باطنة منذ قتل الحسين بن على بن أبى طالب ولم نزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان وزوال ملك بنى أمية حتى صار ذلك وقيل لبعض بنى أمية ما كان سبب زوال ملككم قال اختلاف فيما بيننا واجتماع المختلفين علينا . الهيثم بن عدى قال : حدثنى غير واحد ممن ادركت من المشايخ ان على بن أبى طالب اصار الامر الى الحسن فاصاره الحسن الى معاوية وكره ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية . فلما قتل الحسين بن على صار أمر الشيعة الى محمد بن الحنفية . وقال بعضهم الى على بن الحسين . ثم الى محمد بن على . ثم الى جعفر بن محمد والذى عليه الاكثر ان محمد بن الحنفية أوصى الى أبى هاشم ابنه عبد الله بن محمد بن الحنفية . ولم يزل قائما بامر الشيعة يأتونه و يقوم بامرهم و يؤدون اليه الخراج حتى استخلف سليمان بن عبد الملك فاتاه وافدا ومعه عدة من الشيعة فلما كلمه سليمان . قال ما كلمت قط قرشيا يشبه هذا وما نظن الذى كنا نحدث عنه الا حقا فاجازه وقضى حوائجه وحوائج من معه . ثم شخص وهو يريد فلسطين فلما كان ببلاد لخم وجذام ضربوا له أبنية فى الطريق ومعهم اللبن المسموم . فكلما مر بقوم قالوا هل لكم فى الشراب . قالوا جزيتم خيرا ثم باخرين فعرضوا عليه . فقال : هاتوا فلما شرب واستقر

بجوفه . قال لاصحابه انى ميت فانظر وامن اقوم فنظر وافاذاهم قدقوضوا أبنيتهم وذهبوا فقال.
ميلوابى الى ابن عمى وما أحسبنى أدركه فاسرعوا حتى أتوا الحميتين أرض الشراة وبها محمد بن
على بن عبدالله بن العباس . فنزل بها . فقال يا ابن عمى انى ميت وقد صرت اليك وأنت صاحب
هذا الامر وولدك القائم به ثم أخوه من بعده والله ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الرايات
السود من قعر خراسان . ثم ليغلبن ما بين حضرموت وأقصى افريقية وما بين غانة وأقصى فرغانة
فعليك بهؤلاء الشيعة واستوص بهم خيرا فهم دعاتك وأنصارك ولتكن دعوتك خراسان
لا تعدوها لاسيما مرو واستبطن هذا الحى من اليمن فان كل ملك لا يقوم به فمصيره الى انتقاض
وانظر هذا الحى من ربيعة فألحقهم بهم فانهم معهم فى كل أمر . وانظر هذا الحى من قيس وتميم
فأقصهم الا من عصم الله منهم . وذلك قليل ثم مرهم ان يرجعوا فليجعلوا اثنى عشر نقيبا . وبعدهم
سبعين نقيبا . فان الله لم يصلح أمر بنى اسرائيل الا بهم . وقد فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم
فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك فى خراسان منهم من يقتل ومنهم من ينجو حتى يظهر الله
دعوتكم . قال محمد بن على يا أباهاشم وما سنة الحمار . قال : انه لم تمض مائة سنة من نبوة قط
الا انتقض أمرها لقول الله عز وجل «أوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى
يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس»
واعلم ان صاحب هذا الامر من ولدك عبدالله بن الحارثية . ثم عبدالله أخوه ولم يكن لمحمد بن على
فى ذلك الحين ولد يسمى عبدالله فولد له من الحارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبدالله وكنى
الاكبر أباالعباس . والاصغر أباجعفر فوليا جميعا الخلافة . ثم مات أبوهاشم وقام محمد بن على بالامر
بعده . واختلفت الشيعة اليهم . فلما ولد أبوالعباس أخرجه اليهم فى خرقة قال لهم : هذا صاحبكم
فجعلوا يلحسون أطرافه . وولد أبوالعباس فى أيام عمر بن عبدالعزيز . ثم قدم الشيعة على محمد بن
على فاخبروه انهم حبسوا بخراسان فى السجن وكان يخدمهم فيه غلام من السراجين مار أواقط
مثل عقله وظرفه ومحبته فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبومسلم . وقال أحر أم
عبد . قال أما عيسى فيزعم انه عبد . وأما هو فيزعم انه حر قال فاشتروه واعتقوه واجعلوه بينكم
اذ رضيتموه واعطوا محمد بن على مائتى ألف كانت معهم . فلما انقضت المائة سنة بعث محمد بن
على رسله الى خراسان فغرسوا بها غرسا . وأبومسلم المقدم عليهم وثارت الفتنة فى خراسان بين
المضرية واليمانية فتمكن أبومسلم وفرق رسله فى كور خراسان يدعو الناس الى آل الرسول

فأجابوه . ونصر بن سيار عامل خراسان لهشام بن عبد الملك . فكان يكتب لهشام بخبرهم وتمضى كتبه الى ابن هبيرة صاحب العراق لينفذها الى أمير المؤمنين فكان يحبسها ولا ينفذها لئلا يقوم لنصر بن سيار قائمة عند الخليفة . وكان فى ابن هبيرة حسد شديد . فلما طال بنصر بن سيار ذلك ولم يأته جواب من عند هشام . كتب كتابا وأمضاه الى هشام على غير طريق ابن هبيرة وفى جوف الكتاب هذه الابيات مدرجة يقول فيها :

أرى خلل الرماد وميض جمر * فيوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب أولها الكلام
فان لم تطفئوها تجن حربا * مشمرة يشيب لها الغلام
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
تصرى عن رحالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه هشام ان احسم ذلك الثؤلول الذى نجم عندكم . قال نصر وكيف لنا بحسمه . وقال نصر بن سيار يخاطب المضرية واليمانية ويحذرهم هذا العدو الداخل عليهم بقوله :

أبلغ ربيعة فى مرو واخوتهم * فليغضبوا قبل ان لا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا * حربا يحرق فى حافاتها الحطب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم * كان أهل الحجا عن رأيكم غرب
وتتركون عدوا قد أظلكم * مما تأشب لا دين ولا حسب
قدما يدينون دينا ماسمعت به * عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم * فان دينهم ان تقتل العرب

ومات محمد بن على فى أيام الوليد بن يزيد وأوصى الى ولده ابراهيم بن محمد . فقام بامر الشيعة وقدم عليهم أبو مسلم السراج وسليمان بن كثير . وقال لابى مسلم ان استطعت ان لا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ومن شككت فى أمره فاقتله . فلما استعلى أمر أبى مسلم بخراسان وأجابته الكور كلها كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد بخبر أبى مسلم وكثرة من تبعه وانه قد خاف ان يستولى على خراسان وان يدعو الى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فأتى الكتاب مروان وقد

أتاه رسول أبي مسلم بجواب ابراهيم الى أبي مسلم فكتب مروان الى الوليد بن معاوية بن عبد الملك ابن مروان وهو عامله على دمشق انا كتب الى عاملك بالبلقاء ليسير الى الحسينية فيأخذ ابراهيم ابن محمد فيشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجهه الىّ فحمل الى مروان وتبعه من أهله عبد الله بن علي وعيسى بن موسى فادخل على مروان فامر به الى الحبس . قال الهيثم حدثني أبو عبيدة قال : كنت آتيه في السجن ومعه فيه سعيد بن عبد الملك وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز فوالله اني ذات ليلة في سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا بمولى لمروان قد استفتح الباب ومعه عشرون رجلا من موالي مروان الاعاجم ومعهم صاحب السجن فاصبحنا وسعيد وعبد الله وابراهيم قد ماتوا . قال الهيثم حدثني أبو عبيدة قال حدثني وصيف عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي كان يخدمه في الحبس : انه غم عبد الله مولاه بمرفقة وابراهيم بن محمد بجراب نورة وسعيد بن عبد الملك أخرجه صاحب السجن . فلقيه بعض حرس مروان في ظلمة الليل فوطئته الخيل وهم لا يعرفون من هو فمات . ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها فأرسل الى نصر بن سيار فهرب هو وولده وكاتبه داود حتى انتهوا الى الري . فمات نصر بن سيار بفسطاط وتفرق أصحابه ولحق داود بالكوفة وولده جميعا . واستعمل ابو مسلم عماله على خراسان ومرو وسمرقند واحوازها . ثم اخرج الرايات السود وقطع البعوث وجهز الخيل والرجال عليهم قحطبة بن شبيب وعامر بن اسمعيل ومحرز بن ابراهيم في عدة من القواد فلقوا من بطوس فانهزموا ومن مات في الزحام أكثر ممن قتل . فبلغ القتلى بضعة عشر الفا . ثم مضى قحطبة الى العراق فبدأ بجرجان وعليها نباتة بن حنظلة الكلابي . وكان قحطبة يقول لاصحابه : والله ليقتلن عامر بن منارة وينهزمن ابن هبيرة ولكني أخاف ان أموت قبل ان ابلغ ثاري . وأخاف أن أكون الذي يغرق في الفرات فان الامام محمد بن علي قال لي ذلك . قال الهيثم : فقدم قحطبة جرجان فقتل ابن نباتة ودخل جرجان فانتهبها وقسم ما اصاب بين أصحابه . ثم سار الى عامر بن ضبارة باصبهان فلقيه فقتل ابن ضبارة وقتل أصحابه ولم ينج منهم الا الشريد ولحق فلهم بابن هبيرة . وقال قحطبة لما قتل ابن ضبارة : ما شيء رأيته ولا عدو قتلته الا وقد حدثني به الامام صلوات الله عليه الا انه حدثني اني لا أعبر الفرات . وسار قحطبة حتى نزل بحلوان ووجه أباعون في نحو من ثلاثين ألفا الى مروان بن محمد . فاخذ على شهرزور حتى أتى الزاب وذلك برأي أبي مسلم . حدثني أبو عون عبد الملك ابن يزيد قال لي أبو هاشم بكير بن ماهان : أنت والله الذي تسير الى مروان ولتبعثن اليه غلاما من

مذحج يقال له عامر فليقتلنه . فامضيت والله عامر بن اسمعيل على مقدمتى فلقى مروان فقتله . ثم صار قحطبة من حلوان الى ابن هبيرة بالعراق فالتقوا بالفرات فاقتتلوا . حتى اختلط الظلام وقتل قحطبة فى المعركة وهو لا يعرف . فقال بعضهم : غرق فى الفرات . ثم انهزم ابن هبيرة حتى لحق بواسط . وأصبح المسودة وقد فقدوا أميرهم فقدموا الحسن بن قحطبة . ولما بلغ مروان قتل قحطبة وهزيمة ابن هبيرة قال : هذا والله الادبار والا فمتى رأيتم ميتا هزم حيا . وأقام ابن هبيرة بواسط وغلبت المسودة على العراق وبايعوا لابى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ووجه عمه عبيد الله بن على لقتال مروان وأهل الشام وقدمه على أبى عون وأصحابه . ووجه أخاه أبا جعفر الى واسط لقتال ابن هبيرة . وأقام ابو العباس بالكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزاب . وامضى عبد الله بن على أبا عون فى طلبه وأقام على دمشق ومدائن الشام ياخذ بيعتها لابى العباس . وكان أبو مسلمة الخلال واسمه حفص ابن سليمان يدعى وزير آل محمد . وكان أبو مسلم يدعى أمين آل محمد . فقتل أبو العباس أبا مسلمة الخلال واتهمه بحب بنى فاطمة وانه كان يخطب حبالهم فقتل أبو جعفر أبا مسلم وكان أبو مسلم يقول لقواده : اذا اخرجهم لا تكلموا الناس الا رمزا ولا تلحظوهم الا شزرا لتمتلئ صدورهم من هيبتكم

٦٠ — مقتل زيد بن على ايام هشام بن عبد الملك — كتب يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك : ان خالد بن عبد الله أودع زيد بن حسين بن على بن أبى طالب مالا كثيرا . فبعث هشام الى زيد فقدم عليه يساله عن ذلك فانكر . فاستحلفه فحلف فخلى سبيله واقام عند هشام بعد ذلك سنة . ثم دخل عليه فى بعض الايام فقال له هشام : بلغنى انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال أما قولك انى أحدث نفسى بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله . وأما قولك : انى ابن أمة فهذا اسمعيل صلى الله عليه وسلم ابن امة اخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم . واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . وخرج زيد مغضبا . فقال هشام ما أحب أحد الحياة الا ذل قال له الحاجب لا يسمع هذا الكلام منك أحد وخرج زيد حتى قدم الكوفة . فقال :

سوده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
محتفى الرجلين يشكو الوجا * تنكبه اطراف مروحداد

قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فوجه يوسف بن عمر اليه الخيل . وخرج فى أثرهم حتى التقوا فقاتله فرمى زيد فى آخر النهار بنشابة فى نحره فمات فدفنه أصحابه فى حمأة كانت قريبة منهم وتتبع أصحاب زيد فانهزم من انهزم وقتل من قتل . ثم أتى يوسف فقيل له ان زيدا دفن فى حمأة فاستخرجه وبعث برأسه الى هشام . ثم صلبه فى سوق الكناسة فقال فى ذلك اعور كلب وكان مع يوسف فى جيش أهل الشام :

نصبنا لكم زيدا على جذع نخلة * وما كان هذا على الجذع ينصب

الشيبانى قال : لما نزل عبد الله بن على نهر أبى قطرس . حضر الناس بابه للاذن وحضر اثنان وثمانون رجلا من بنى أمية فخرج الآذن . فقال : ياأهل خراسان قوموا فقاموا سماطين فى مجلسه . ثم اذن لبنى أمية فاخذت سيوفهم ودخلوا عليه . وقال أبو محمد العبدى الشاعر وخرج الحاجب فادخلنى فسلمت عليه فرد على السلام : ثم قال انشدنى قولك .

* وقف المتيم فى رسوم ديار * فانشدته حتى انتهيت الى قولى :

اما الدعاة الى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

من كان يفخر بالمكارم والعلا * فلها يتم المجد غير فخار

والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على المصلى . وبنو أمية على الكراسى فألقى الى صرة حرير خضراء فيها خمسمائة دينار . فقال : لك عندنا عشرة آلاف درهم وجارية وبرذون وغلام وتخت ثياب . قال : فوفى والله بذلك كله ثم انشأ عبد الله بن على يقول :

حسبت أمية أن سيرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمد وإلهه * حتى يبادوا زيدها وحسينها

ثم أخذ قلنسوته من رأسه فضرب بها الارض . فأقبل أولئك الجند على بنى أمية فخبطوهم بالسيوف والعمد . وقال الكلبى الذى كان بينهم وكان من أتباعهم أيها الامير انى والله ما أنا منهم فقال عبد الله بن على :

ومدخل رأسه لم يدعه أحد * بين الفريقين حتى بزه القرن

اضربوا عنقه . ثم أقبل على الغمر فقال : ما أحسب لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرا . فقال : أجل قال ياغلام اضرب عنقه فاقيم من المصلى فضرب عنقه . ثم أمر ببساط فطرح عليهم ودعا بالطعام فجعل

يا كل وأنين بعضهم تحت البساط . وفى رواية أخرى قال لما قدم الغمر بن يزيد بن عبد الملك على أبى العباس السفاح فى ثمانين رجلا من بنى أمية فوضعت لهم الكراسى و وضعت لهم نمارق وأجلسوا عليها وأجلس الغمر مع نفسه فى المصلى . ثم أذن لشيعته فدخلوا ودخل فيهم سديف ابن ميمون وكان متوشحا . سيفا متنكبا قوسا وكان طويلا آدم فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيزعم الضلال بما حبطت أعمالهم ان غير آل محمد أولى بالخلافة فلم و بم . أيها الناس لكم الفضل بالصحابة دون حق ذوى القرابة الشركاء فى النسب ، الا كفاء فى الحسب ، الخاصة فى الحياة، الوفاة عند الوفاة مع ضربهم على الامير جاهلكم واطعامهم فى الاولى جائعكم، فكم قصم الله بهم من جبار باغ، وفاسق ظالم، لم يسمع بمثل العباس لم تخضع له أمة بواجب حق أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه، وجلدة ما بين عينيه، أمينه ليلة العقبة، و رسوله الى أهل مكة وحاميه يوم حنين ، لا يرد له رأيا، ولا يخالف له قسما ، انكم والله معاشر قريش ما اخترتم لانفسكم من حيث ما اختاره الله لكم . تيمى مرة وعدوى مرة وكنتم بين ظهرانى قوم قد آثروا العاجل على الآجل ، والفانى على الباقى ، وجعلوا الصدقات فى الشهوات ، والفىء فى اللذات ، والغناء والمغانم فى المحارم، اذا ذكروا بالله لم يذكروا، واذا قدموا بالحق أدبروا . فذلك زمانهم، و بذلك كان يعمل شيطانهم . فلما كان الغد أذن لهم فدخلوا ودخل فيهم شبل . فلما جلسوا اقام شبل فاستأذن فى الانشاد فاذن له . فانشد :

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فلقوها * بعد ميل من الزمان وباس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * اقطعوا كل نخلة وغراس
ولقد غاظنى وغاظ سوائى * قربهم من منابر وكراسى
واذكروا مصرع الحسين و زيدا * وقتيلا بجانب المهراس
وقتيلا بجوف حران أضحى * تحجل الطير حوله فى الكناس
نعم شبل الهراس مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس

ثم قام وقاموا . ثم أذن لهم بعد فدخلوا ودخل الشيعة فلما جلسوا اقام سديف بن ميمون . فأنشد :

قد أتتك الوفود من عبد شمس * مستعدين يوجعون المطيا
عنوة أيها الخليفة لا عن * طاعة بل تخوفوا المشرفيا

لا يغـــرنك ماترى من رجال * ان تحت الضـــلوع داء دويا
فضع السيف وارفع الصوت حتى * لا ترى فـوق ظهرها أمـويا

ثم قام خلف بن خليفة الاقطع فانشد :

ان تجاوز فقد قدرت عليهـم * أو تعاقب فـلم تعاقب بريا
أو تعاتبهـم على رقـة الديـ * ـن فقـد كان دينهـم سامريا

فالتفت أبو العباس الى الغمر . فقال : كيف ترى هذا الشعر قال والله ان هذا لشاعر ولقـد قال شاعرنا ماهو أقعد قال وما قال فانشده :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فشرق وجه أبي العباس بالدم . وقال : كذبت يا ابن اللخناء انى لا رى الخيلاء فى رأسك بعد . ثم قاموا وأمر بهم فدفعوا الى الشيعة فاقتسموهم فضربوا أعناقهم . ثم جروا بارجلهم حتى ألقوهم فى الصحراء بالانبار وعليهم سراويلات الوشى فوقف عليهم سديف مع الشيعة وقال :

طمعت أمية ان سيرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمـد والهـه * حـتى يبيد كفورها وخؤنها

وكان أشد الناس على بنى أمية عبدالله بن على وأحنهم عليهم سليمان بن على وهو الذى كان يسميه أبو مسلم كنف الامان . وكان يجير كل من استجار به . وكتب الى أبى العباس يا أمير المؤمنين انالم نحارب بنى أمية على أرحامهم وانما حاربناهم على عقوقهم . وقد دافت الى منهـم دافة لم يشهروا سـلاحا ولم يكثر واجمعا فأحب ان تـكتب لهـم منشور أمان فـكتب لهم منشور أمان وأنفذه اليهم فمات سليمان بن على : وعنده بضع وثمانون حرمة لبنى أمية :

٦١ — خلفاء بنى أمية بالاندلس — عبـدالرحمن بن معاوية بن هشام أول خلفاء الاندلس من بنى أمية . عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك وتوفى فى عشرة من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ومائة . فـكان ملـكه اثنتين وثلاثين سنة وخمســة أشهر . ولى الملك يوم الجمعة لعشر خلون من ذى الحجة ســنة ثمان وثلاثين ومائة . وهو ابن ثمان وعشرين سنة وكان يقال له صقر قريش . وذلك ان أبا جعفر المنصور قال لاصحابه اخبرونى عن صقر قريش من هو قالوا أمير المؤمنين الذى راض الملك . وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعـداء . قال :

ما منعتم شيأ. قالوا : فمعاوية قال ولا هذا. قالوا : فعبد الملك بن مروان قال : ولا هذا قالوا فمن يا أمير المؤمنين. قال : عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين . وأقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره. وشدة شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه . وعبد الملك ببيعة تقدم له عقدها وأمير المؤمنين بطلب غيره واجتماع شيعته. وعبد الرحمن منفرد بنفسه، مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه. وقالوا لما توطد ملك عبد الرحمن بن معاوية عمل هذه الابيات وأخرجها الى وزرائه فاستغربت من قوله اذ صدقها فعله . وهى :

ماحق من قام ذا امتعاض * منتقضى الشفرتين نصلا
فبر ملكا وساد علما * ومنبرا للخطاب فصلا
فجاز قفراً وشق بحراً * مساميا لجة ومحلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأى ان هلم أهلا
فجاءه هذا طريد جوع * شريد سيف أباد قتلا
فحل أمنا ونال شبعا * وحاز مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا * أوجب من منعم ومولى

وكتب أمية بن يزيد عنه كتابا الى بعض عماله يستقصره فيما فرط فيه من عمله فأكثر وأطال الكتاب . فلما لحظه عبد الرحمن أمر بقطعه. وكتب : أما بعد فان يكن التقصير لك مقدما ، بعد الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا. وقد علمت بما تقدمت ، فاعتمد على أيهما أحببت . وكان ثار عليه ثائر يغزو ولده . فغزاه فظفر به وأسره. فبينما هو منصرف وقد حمل الثائر على بغل مكبولا. نظر اليه عبد الرحمن بن معاوية . وتحته فرس له فتقنع رأسه بالعباءة وقال : يابغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق . قال الثائر : يافرس ماذا تحمل من العفو والرحمة فقال له عبد الرحمن : والله لا تذوق موتا على يدى أبدا ﴿ هشام بن عبد الرحمن ﴾

ثم ولى هشام بن عبد الرحمن لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين ومائة ومات فى صفر سنة ثمانين ومائة. وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر. ومات وهو ابن احدى وثلاثين سنة . وهو أحسن الناس وجها وأشرفهم نفسا : الكامل

المروأة الحاكم بالكتاب والسنة. الذى أخذ الزكاة على حلها . ووضعها فى حقها . لم يعرف منه هفوة فى حداثته. ولا زلة فى أيام صباه . ورآه يوما أبوه وهو مقبل ممتلئ شبابا فاعجبه . فقال : ياليت نساء بنى هاشم أبصرنه حتى يعدن فوارك . وكان هشام يصر الصرر بالاموال فى ليالى المطر والظلمه ، و يبعث بها الى المساجد فيعطى من وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد . وأوصى رجل فى زمن هشام بمال فى فك سبية من أرض العدو . فطلبت فلم توجد احتراساً منه للثغر واستنقاذاً لاهل السبى

﴿الحكم بن هشام﴾ ثم ولى الخلافة الحكم بن هشام فى صفر سنة ثمانين ومائة وكانت ولايته سبعا وعشرين سنة . ومات يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحجة سنة تسعين ومائة . وهو ابن خمسين سنة . وكانت فيه بطالة الا انه كان شجاع النفس ، باسط الكف ، عظيم العفو ، متخير الاهل عمله ، ولاحكام رعيته أورع من يقدر عليه وأفضلهم فيبسطهم على نفسه فضلا عن ولد وسائر خاصته . وكان له قاض قد كفاه أمور رعيته بفضله وعدله وورعه وزهده . فمرض مرضاً شديداً واغتم له الحكم غما شديدا . فذكر يزيد فتاه انه أرق يوما وليلة و بعد عنه نومه و جعل يتململ على فراشه . فقلت أصلح الله الامير انى أراك متململا وقد زال النوم عنك فلم أدر ما عرض لك . قال : ويحك انى سمعت نائحة هذه الليلة وقاضينا مريض فما أراه الا وقد قضى نحبه وأين لنا بمثله ، ومن يقوم للرعية مقامه . ثم ان القاضى مات ، واستقضى الحكم بعده سعيد بن بشير . فكان أقصد الناس الى حق ، وآخذهم بعدل ، وأبعدهم من هوى ، وأنفذهم لحكم ، رفع اليه رجل من أهل كورة جيان ان عاملا للحكم اغتصبه جارية وعمل فى تصييرها الى الحكم . فوقعت من قلبه كل موقع وان الرجل أثبت أمره عند القاضى وأتاه ببينة يشهدون على معرفة ما تظلم منه وعلى عين الجارية ومعرفتهم بها . وأوجب البينة أن تحضر الجارية واستأذن القاضى على الحكم فأذن له فلما دخل عليه . قال : انه لا يتم عدل فى العامة ، دون افاضته فى الخاصة . وحكى له أمر الجارية وخيره فى ابرازها اليه ، أو عزله عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك الى خير من ذلك . تبتاع الجارية من صاحبها بعين ثمنها وأبلغ ما يسأله فيها . فقال : ان الشهود قد شخصوا من كورة جيان يطلبون الحق فى مظانه . فلما صاروا ببابك تصرفهم دون انفاذ الحق لاهله . ولعل قائل أن يقول : باع من لا يملك بيع متيسر على نفسه فلما رأى عزمه أمر باخراج الجارية من قصره وشهد الشهود على عينها . وقضى بها لصاحبها .

وكان سعيد بن بشـير القاضي اذا خرج الى المسجد . أو جلس فى مجلس الحكم . جلس فى رداء معصفر وشعر دمفرق الى شحمة أذنيه . فاذا طلب ما عنـده وجد أورع الناس ، وأفضلهم وكانت للحكم ألف فرس مربوطة ببـاب قصره على جانب النهر عليها عشرة عرفاء تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تبرح فاذا بلغـه عن ثائر فى طرف من أطرافه عاجله قبـل استحكام أمره فلا يشعر حتى يحاط به . وأتاه الخبر : ان جابر بن لبيد يحاصر جيان وهو يلعب بالصولجان فى الجسر . فدعا بعريف من أولئك العرفاء فأشار اليه ان يخرج من تحت يده الى جابر ابن لبيد . ثم فعل مثل ذلك باصحابه من العرفاء . فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه متساوين فلما رأى ذلك عدوه سقط فى أيديهم وظنوا ان الدنيا قد حشرت لديهـم فولوا مدبرين . وقال الحكم يوم الهيجاء بعد وقعة الربض :

رأيت صدوع الارض بالسيف راقعا * وقدما رأيت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغورى هل بها اليـوم ثغرة * أبادرها منتضى السيف دارعا
وشافه على أرض الفضاء جماجمـا * كأجفان شريان الجبـير لوامعا
ولمـا تساقينا سجال حروبنـا * سـقيتهم سما من الموت ناقعا
وهـل زدت ان وفيتهم صاع قرضـهم * فوافوا منايا قدّرت ومصارعا

قال عثمان بن المثنى المؤدب قدم علينا عباس بن ناصح من الجزيرة أيام الامير عبد الرحمن بن الحكم فاستنشدنى شعر الحكم فانشدته فلمـا انتهيت الى قوله

* وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم * قال لو جونى الحكم فى حكومة لاهـل الربض لقام بعذره هذا البيت ﴿ عبد الرحمن بن الحكم ﴾ ثم ولى بعده عبد الرحمن بن الحكم . أندى الناس كفا ، وأكرمهم عطفا ، وأوسعهم فضـلا ، فى ذى الحجة سنة ست ومائتين فملك احدى وثلاثين سنة وخمسة أشهر . ومات ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة . وكتب اليه بعض عمـاله : يسأله عملا رفيعا لم يكن من شاكلته فوقع فى أسفل كتابه : من لم يصب وجه مطلبه ، كان الحرمان أولى به ﴿ محمد بن عبد الرحمن ﴾ ثم ولى الملك محمد بن عبد الرحمن . يوم الخميس لثلاث من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين . فملك أربعا وثلاثين سنة . وتوفى يوم الجمعة مستهل ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . وهو ابن سبع وسـتين سـنة . وكتب عبد الرحمن بن

الشمر : الى الامير محمد بن عبد الرحمن فى حياة أبيه عبد الرحمن . وكان يتجنب الوقوف ببابه مخافة نصر الفتى . فلما مات نصر كتب ابن الشمر هذه الابيات الى محمد يقول فيها :

لئن غاب وجهى عنك ان مودتى * لشاهدة فى كل يوم تسلم
وما عاقنى الا عدو مسلط * يذل و يقصى من يشاء و يرغم
ولم يستطل الا بكم و بعزكم * ولا ينبغى ان يمنح العز مجرم
فمكنتموه فاستطال عليكم * وكادت بنا نيرانه تتضرم
كذلك كلب السوء ان يشبع الذرا * واشبعه مستشليا يترمرم
فجمع خوانا لصوصاً أراذلا * ومناهم أن يقتلونا و يغنموا
رأى بامين الله سقما يعده * ولم يك يدرى انه يتقدم
* فنحمد ربا سرنا بهلاكه * فمازال بالاحسان والطول ينعم
أراد بكيد الله نصرا فكاده * ولله كيد يغلب الكيد مبرم
بكى الكفر والشيطان نصرا فاعولا * كما ضحكت شوقا اليه جهنم
وكانت له فى كل شهر جباية * جباية آلاف تعد وتختم
فهل حائط الاسلام يوما يسوءهم * بما اجترموا يوما عليه وأقدموا
و ينهبنا أموالهم وهو فاعل * فانى أرى الدنيا له تتبسم
ألا أيها الناس اسمعوا اقول ناصح * حريص عليكم مشفق وتفهموا
محمد نور يستضاء بوجهه * وسيف بكف الله ماض مصمم
فكونوا له مثل البنين يكن لكم * أبا حد فى الرحم بل هو ارحم
فياابن أمين الله لازلت سالما * معافى فانا ماسلمت سنسلم
ألست المرجى من أمية والذى * له المجد منها الاتلد المتقدم
وأنت لاهل الخير روح ورحمة * نعم ولاهل الشر صاب وعلقم

وحدث بقى بن محمد الفقيه قال : ما كلمت أحدا من الملوك أكمل عقلا ، ولا ابلغ لفظا . من الامير محمد دخلت عليه يوما فى مجلس خلافته فافتتح الكلام : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة . فحكى كل واحد منهم بحليته ونعته ، ووصفه وذكر مآثره ومناقبه . بافصح لسان ، وابين بيان ، حتى انتهى الى نفسه فسكت

وخرج الامير محمد يوما متنزها الى الرصافة ومعه هاشم بن عبد العزيز فكان بها صدر نهاره على لذته فلما أمسى واختلط الظلام رجع منصرفا الى القصر و به اختلاط فاخبرني من سمعه وهاشم يقول : له ياسيدي يا ابن الخلائف . ما أطيب الدنيا لولا . قال له : لولا ماذا . قال لولا الموت . قال له : يا ابن اللخناء لحنت فى كلامك وهل ملكنا هذا الملك الذى نحن فيه الا بالموت ولولا الموت ما ملكناه أبدا . وكان الامير محمد : غزاء لاهل الشرك والخلاف وربما أوغل فى بلاد العدو الستة أشهر أو اكثر يحرق و ينسف وله فى العدو وقيعة وادى سليط . وهى من أمهات الوقائع . لم يعرف مثلها فى الاندلس قبلها . وفيها يقول عباس بن فرناس وشعره يكفينا من صفتها :

وختلف الاصوات مؤتلف الزحف * لهوم الفلا عبل القبائل ملتف
اذا أومضت فيه الصوارم خلتها * بروقا تراءى فى الجهام وتستخفى
كان ذرى الاعلام فى سيلانه * فراقديم قد عجزن عن القذف
وان طحنت اركانه كان قطبها * حجى ملك نجد شمائله عف
سمى ختام الانبياء محمد * اذا وصف الاملاك جل عن الوصف
فمن أجله يوم الثلاثاء غزوة * وقد نقض الاصباح حل عرى السجف
بكى جبلا وادى سليط فاعولا * على النفر العيدان والعصبة الغلف
دعاهم صريخ العير فاجتمعوا له * كما اجتمع الجعلان للبعر فى قف
فما كان الا ان رماهم ببعضها * فولوا على اعقاب مهزولة كشف
كان مساعير الموالى عليهم * شواهين جادت للغرانيق بالسيف
بنفسى تنانير الوغا حين صممت * الى الجبل المشحون صفا على صف
يقول ابن بليوس لموسى وقد ولى * أرى الموت قدامى وتحتى ومن خلفى
قتلناهم ألفا وألفا ومثلها * وألفا وألفا بعد ألف الى ألف
سوى من طواه النهر فى مستلجه * فاغرق فيه أو تردى من الجرف

﴿المنذر بن محمد﴾ ثم ولى المنذر بن محمد . يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . ومات يوم السبت فى غزاة له على بشتر لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . وهو ابن ست وأربعين سنة . وكان أشد الناس شكيمة ، وأمضاهم

عزيمة . ولما ولى الملك بعث اليه أهل طليطلة بجبايتهم كاملة فردها عليهم . وقال : استعينوا بها فى حربكم فانا سائر اليكم ان شاء الله . ثم غزا الى المارق الموتر عمرو بن حفصون وهو بحصن فامره فاحدق به بخيله ورجله . فلم يجد الفاسق منفذا ولا متنفسا . فاعمل الحيلة وغاص بالمكر والخديعة واظهر الانابة والاجابة وان يكون من مستوطنى قرطبة باهله وولده . وسال الحاق أولاده فى الموالى فاجابه الامير الى كل ماسأل وكتب لهم الامانات . وقطعت لاولاده الثياب وخرزت له الخفاف ثم سأل مائة بغل يحمل عليها ماله ومتاعه الى قرطبة فأمر الامير بها وطلبت البغال ومضت الى بشتر وعليها عشرة من العرفاء وانحل العسكر عن الحصن بعض الانحلال وقفل القاضى وجماعة من الفقهاء على تمام الصلح فيما حسبوا . فلما رأى الفاسق الفرصة انتهزها ففتق ليلا وخرج فلقى العرفاء بالبغال فقتلهم . وأخذ البغال وعاد الى سيرته الاولى فعقد المنذر على نفسه عقدا ان لا اعطاه صلحا ولا عهدا الا ان يلقى بيده وينزل على عهده وحكمه ثم غزاه الغزاة التى توفى فيها فامر بالبنيان والسكنى عليه وان يرد سوق قرطبة عليه فما جله أجله عن ذلك ﴿عبدالله بن محمد﴾ ثم تولى عبدالله بن محمد التقى النقى العابد الزاهد التالى لكتاب الله ، والقائم بحدود الله يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . فبنى الساباط وخرج الى الجامع والتزم الصلاة الى جانب المنبر حتى أتاه أجله رحمه الله يوم الثلاثاء لليلة بقيت من صفر سنة ثلثمائة وكانت له غزوات منها غزاة بلى التى أنست كل غزاة تقدمتها . وذلك ان المرتد بن حفصون الب عليه كور الاندلس فنزل حصن بلى وخرج اليه الامير عبدالله بن محمد فى أربعة عشر ألفا من أهل قرطبة خاصة وأربعة آلاف من حشمه ومواليه فبرز اليه الفاسق وقد كردس كراديسه فى سفح الجبل وناهضه الامير عبدالله بجمهور عسكره فلم يكن لهم فيه الا صدمة صادقة ازالوهم بها عن عسكرهم . فلم يقدروا ان يتراجعوا اليه . ونظر الفاسق الى معسكر عبدالله الامير . فاذا عدد مقبل مثل الليل ، فى انحدار السيل ، لا ينقطع فجشمت نفسه وعطف الى الحصن يظهر اخراج من بقى فيه . فثلم ثلمة وخرج منها فى خمسة معه وقد طار بهم جناح الفرار فلما انتهى ذلك الى أهل عسكره ولوا مدبرين لا يلوى أحد على أحد . فعملت الرماح على أكتافهم ، والسيوف فى طلا أعناقهم ، حتى أفنوهم أو كادوا . وكان منهم جماعة قد افترقوا فى عسكر الامير عبدالله فقعد الامير فى المظلة . وأمر بالتقاطهم وأن لا يمر أحد على أحد منهم الا قتله فقتل منهم ألف رجل صبرا بين يدى الامير

﴿عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين﴾ ثم ولي الملك القمر الازهر ، الاسد الغضنفر ، الميمون النقيبة ، المحمود الضريبة ، سيد الخلفاء ، وأنجب النجباء ، عبد الرحمن ابن محمد أمير المؤمنين صبيحة هلال ربيع الاول سنة ثلثمائة . فقلت فيه :

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد

يا نعمة الله زيدى * ما كان فيه مزيد

وهى عدة أبيات فتولى الملك . وهى جمرة تحتدم ، ونار تضطرم ، وشقاق ونفاق . فاخمد نيرانها ، وسكن زلازلها ، وافتتحها عوداً ، كما افتتحها بدأ سميه عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله . وقد قلت وقيل فى أشعار غزواته كلها اشعار قد جالت فى الامصار ، وشردت فى البلدان ، حتى أتهمت وأنجدت وأعرقت . ولولا ان الناس مكتفون بما فى أيديهم منها لاعدنا ذكرها أوذكر بعضها . ولكنا سنذكر ماسيق الينا من مناقبه التى لم يتقدمه اليها متقدم ولا أخت لها ولا نظير . فمن ذلك أول غزاة غزاها وهى الغزاة المعروفة بغزاة المنتلون افتتح بها سبعين حصنا كل حصن منها قد نكبت عنه الطوائف واعيا على الخلائف وفيها أقول :

قد أوضح الله للاسلام منهاجا * والناس قد دخلوا فى الدين أفواجا
وقد تزينت الدنيا لساكنها * كأنما ألبست وشيا وديباجا
يا ابن الخلائف ان المزن لو علمت * نداك ما كان منها الماء ثجاجا
والحرب لو علمت باسا تصول به * ماهيجت من جبال الدين أهياجا
مات النفاق وأعطى الكفر ذمته * وذلت الخيل الجاما واسراجا
وأصبح النصر معقودا بالوية * تطوى المراحل تهجيرا وادلاجا
أدخلت فى قبة الاسلام مارقة * أخرجتها من ديار الشرك اخراجا
بجحفل تشرق الارض الفضاء به * كالبحر يقذف بالامواج أمواجا
يقوده البدر يسرى فى كواكبه * عرمرما كسواد الليل رجراجا
تروق فيه بروق الموت لامعة * ويسمعون به للرعد اهزاجا
غادرت فى عفرتى جيان ملحمة * أبكيت منها بارض الشرك أعلاجا
فى نصف شهر تركت الارض ساكنة * من بعد ما كان فيها الطير قد ماجا
وجدت فى الخبر المأثور منصلتا * من الخلائف خراجا وولاجا

تملا بك الارض عدلا مثل ماملئت * جورا وتوضح للمعروف منهاجا
يابدر ظلمتها ياشمس صبحتها * ياليث حومتها ان هائج هاجا
ان الخلافة لن ترضى وان رضيت * حتى عقدت لها فى رأسك التاجا

ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك فى الجاهلية والاسلام . وله غزاة مارتش التى كانت أخت بدر وحنين وقد ذكرناها على وجهها فى الارجوزة التى ضمنتها مغازيه كلها من سنة احدى وثلثمائة الى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وأوقفناها . ومن مناقبه : ان الملوك لم تزل تبنى على أقدارها ، ويقضى عليها بآثارها . وانه بنى فى المدة القليلة مالم تبن الخلفاء فى المدة الطويلة نعم لم يبق فى القصر الذى فيه مصانع أجداده ومعالم أوليته بنية الاوله فيها أثر محدث اما تزييد أو تجديد ومن مناقبه : انه أول من سمى أمير المؤمنين من خلفاء بنى أمية بالاندلس . ومن مناقبه : التى لا أخت لها ولا نظير : ماأعجز فيه من بعده . وفات فيه من قبله . من الجود الذى لم يعرف لاحد من أجواد الجاهلية والاسلام الاله . وقد ذكرت ذلك فى شعرى الذى أقول فيه :

ياابن الخلائف والعلى للمعتلى * والجود يعرف فضله للمفضل
نوهت بالخلفاء بل أخملتهم * حتى كان نبيلهم لم ينبل
أذكرت بل أنسيت ماذكر الاولى * من فعلهم فكانه لم يفعل
وأتيت آخرهم وشأوك فائت * للاآخرين ومدرك للاول
الآن سميت الخلافة باسمها * كالبدر يقرن بالسماك الاعزل
تابى فعالك أن تقر لآخر * منهم وجودك أن يكون لاول

﴿ وهذه الارجوزة التى ذكرت جميع مغازيه ومافتح الله عليه فيها فى كل غزاة وهى ﴾

سبحان من لم تحوه أقطار * ولم تكن تدركه الابصار * ومن عنت لوجهه الوجوه
فماله ند ولا شبيه * سبحانه من خالق قدير * وعالم بخلقه بصير
وأول ليس له ابتداء * وآخر ليس له انتهاء * أوسعنا احسانه وفضله
وعز أن يكون شئ مثله * وجل أن تدركه العيون * أو يحويه الوهم والظنون
لكنه يدرك بالقريحة * والعقل والابنية الصحيحة * وهذه من أثبت المعارف
فى الاوجه الغامضة اللطائف * معرفة العقل من الانسان * أثبت من معرفة العيان
فالحمد لله على نعمائه * حمدا اجزيلا وعلى آلائه * وبعد حمد الله والتمجيد

و بعد شكر المبدئ المعيد * أقول فى أيام خير الناس * ومن تحلى بالندى والباس
ومن أباد الكفر والنفاقا * وشرد الفتنة والشقاقا * ونحن فى حنادس كالليل
وفتنة مثل زهاء السيل * حتى تولى عابد الرحمن * ذاك الاعز من بنى مروان
مؤيد حكم فى عداته * سيفا يسيل الموت من ظباته
وصبح الملك مع الهلال * فأصبحا بدرين فى الجمال
واحتمل التقوى على جبينه * والدين والدنيا على يمينه
قد أشرقت بنوره البلاد * وانقطع التشغيب والفساد
هذا على حين طغى النفاق * واستفحل النكاب والمراق
وضاقت الارض على سكانها * وأذكت الحرب لظى نيرانها
ونحن فى عشواء مدلهمه * وظلمة ما مثلها من ظلمه
تأخذنا الصيحة كل يوم * فما تلذ مقلة بنوم
وقد نصلى العيد بالنواظر * مخافة من العدو الثائر
حتى أتانا الغوث من ضياء * طبق بين الارض والسماء
خليفة الله الذى اصطفاه * على جميع الخلق واجتباه
من معدن الوحى و بيت الحكمة * وخير منسوب الى أميه
تكل عن معروفه الجنائب * وتستحى من جوده السحائب
فى وجهه من نوره برهان * وكفه لعقله قربان
أحيا الذى مات من المكارم * من عهد كعب و زمان حاتم
مكارم يقصر عنها الوصف * وغرة يحسر عنها الطرف
وشيمة كالصاب أو كالماء * وهمة ترقى الى السماء
وانظر الى البديع من بيانه * يريك بدعا من عظيم شانه
لو كايل البحر ندى يديه * اذا لجت عفاته اليه
لغاض أو لكاد أن يغيضا * ولاستحى من بعد أن يفيضا
من أسبغ النعما وكانت محقا * ورتق الدنيا وكانت فتقا

هـو الذى جمع شمـل الامه * وجاب عنها دامسات الظلمه
وجـدد الملك الذى قـد أخلقا * حتى رست أوتاده واستوثقا
وجمع العـدة والعـديدا * وكنف الاجناد والحشودا

﴿ أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ﴾

ثم انتحى جيان فى غـزاته * بعسكر يسـعد من همـاته
فاستنزل الوحش من الهضاب * كانما حطت من السحاب
فاذعنت مراقهـا سراعا * وأقبلت حصونها تداعى
لما رماها بسـيوف العزم * مشحوذة على دروع الحـزم
كادت لها أنفسـهم تجود * وكادت الارض بهم تميد
لولا الاله زلزلت زلزالها * وأخرجت من رهبة أثقالها
فانزل النـاس الى البسـيط * وقطع البـين من الخليط
وافتتح الحصون حصنا حصنا * وأوسع النـاس جميعا أمنا
ولم يزل حتى انتحى جيـانا * فلم يدع بارضـها شـيطانا
فاصبح النـاس جميعا أمـه * قد عقـد الال لهـم والذمه
ثم انتهى من فـوره للبـيره * وهى بكل آفة مشـهوره
فداسـها بخيـله ورجـله * حتى توطا خدهـا بنعـله
ولم يدع من جنهـا مريدا * بهـا ولا من انسها عنيدا
الا كساه الذل والصغارا * وعمـه وأهـله دمارا
فما رأيت مثـل ذاك العام * ومثـل صـنع الله للاسلام
فانصرف الامـير من غزاته * وقد شـفاه الله من عداته
وقبلها ماخضعت وأذعنت * استجة وطالما قد صـنعت
وبعـدها مدينة الصنجيـل * ماأذعنت للصارم الصقيل
لما غزاهـا قائد الامـير * باليمن فى لوائه المنصـور
فاسلمت ولم تـكن بالمسلمه * وزال عنها أحمـد بن مسلمه
وبعـدها فى آخر الشهور * من ذلك العام الذكى النور

أرجفت القلاع والحصون * كأنما ساورها المنون
وأقبلت رجالها وفودا * تبغى مدى أيامها السعودا
وليس من ذى عزة وشده * الا توافوا عند باب السده
قلوبهم باخعه بالطاعه * قد أجمعوا الدخول فى الجماعه

﴿ سنة احدى وثلثمائة ﴾

ثم غزا فى عقب عام قابل * فجال فى سدونة والساحل
ولم يدع مرية والجزيرة * حتى كوى أكلبها الهريره
حتى أناخ بذرى قرمونه * بكلكل كمدرة الطاحونه
على الذى خالف فيها وانتزى * يعزى الى سوادة اذا اعتزى
فسال أن يمهله شهورا * ثم يكون عبده المامورا
فاسعف الامير منه ماسال * وعاد بالفضل عليه وقفل

﴿ سنة اثنتين وثلثمائة ﴾

كان بها القفول عند الجيئة * من غز واحدى وثلثمائة
فلم يكن يدرك فى باقيها * غزو ولا بعث يكون فيها

﴿ سنة ثلاث وثلثمائة ﴾

ثمت أغزى فى الثلاث عمه * وقد كساه عزمه وحزمه
فسار فى جيش شديد الباس * وقائد الجيش أبو العباس
حتى ترقى بذرى فى بشتر * وجال فى ساحتها بالعسكر
فلم يدع زرعا ولا ثمارا * لهم ولا علفا ولا عقارا
وقطع الكروم منها والشجر * ولم يصافف علجها ولا ظهر
ثم انثنى من بعد ذاك قافلا * وقد أباد الزرع والمآكلا
فأيقن الخنزير عند ذاكا * ان لا بقاء يرتجى هناكا
فكاتب الامام بالاجابه * والسمع والطاعة والانابة
فأخمد الله شهاب الفتنة * وأصبح الناس معافى هدنه
وارتعت الشاة معا والذيب * اذ وضعت أوزارها الحروب

﴿ سنة أربع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة أربع * فأي صنع ربنا لم يصنع
فيها ببسط الملك الاواه * كلتا يديه في سبيل الله
وذاك أن يقود قائدين * بالنصر والتأييد ظاهرين
هذا الى الثغر وما يليه * على عدو الشرك أوذويه
وذا الى شم الربا من مرسيه * وما مضى جري الى بلنسيه
فكان من وجهه للساحل * القرشي القائد القنابل
وابن أبي عبدة نحو الشرك * في خير ماتعبية وشاكي
فاقبلا بكل فتح شامل * وكل ثكل للعدو ثاكل
وبعدهذي الغزوة الغراء * كان افتتاح ليلة الحمراء
أغزى بجند نحوها مولاه * في عقب هذا العام لاسواه
بدرا فضم جانبيها ضمه * وعمها حتى أجابت عنوه
وأسلمت صاحبها مقهورا * حتى أتى بدر به ماسورا

﴿ سنة خمس وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة خمس * الى السوادي عقيد النحس
لما طغى وجاوز الحدودا * ونقض الميثاق والعهودا
ونابذ السلطان من شقائه * ومن تعديه وسوء رأيه
أغزى اليه القرشي القائدا * اذصارعن قصدالسبيل حائدا
* ثمت شدأزره ببدر * فكان كالشفع بها والوتر
أحدقها بالخيل والرجال * مشمرا وجد في القتال
فنازل الحصن العظيم الشان * بالرجل والرماة والفرسان
فلم يزل بدر بها محاصرا * كذا على قتاله مثابرا
والكلب في تهوره قد انغمس * وضيق الحلق عليه والنفس
فافترق الاصحاب عن لوائه * وفتحوا الابواب دون رأيه
واقتحم العسكر في المدينه * وهو بها كهيئة الظعينه

مستسلما للذل والصغار * وملقيا يديه للاسار *
فنزع الحاجب تاج ملكه * وقاده مكتفا لهلكه
وكان فى آخر هذا العام * نكب أبى العباس بالاسلام
غزا فكان أنجد الانجاد * وقائدا من أفحل القواد
فسار فى غير رجال الحرب * الضار بين عند وقت الضرب
محاربا فى غير ما محارب * والحشم الجمهور عند الحاجب
واجتمعت اليه أخلاط الكور * وغاب ذو التحصيل عنه والنظر
حتى اذا أوغل فى العدو * فكان بين البعد والدنو
أسلمه أهل القلوب القاسيه * وأفردوه للكلاب العاويه
فاستشهد القائد فى أبرار * قد وهبوا نفوسهم للبارى
فى غير تاخير ولا فرار * الا شديد الضرب للكفار

﴿ سنة ست وثلثمائة ﴾

ثم أقاد الله من أعدائه * وأحكم النصر لاوليائه
فى مبدأ العام الذى من قابل * أزهق فيه الحق نفس الباطل
فكان من رأى الامام الماجد * وخير مولود وخير والد
ان احتمى للواحد القهار * وفاض من غيظ على الكفار
فجمع الاجناد والحشودا * ونفر السيد والمسودا
وحشر الاطراف والثغورا * ورفض اللذة والحبورا
حتى اذا ما وافت الجنود * واجتمع الحشاد والحشود
قودبدرا أمر تلك الطائفه * وكانت النفس عليه خائفه
فسار فى كتائب كالسيل * وعسكر مثل سواد الليل
حتى اذا حل على مظنيه * وكان فيها أخبث البريه
ناصبهم حربا لها شرار * كأنما أضرم فيها النار
وجد من بينهم القتال * وأحدقت حولهم الرجال
فحاربوا يومهم وباتوا * وقد بغت نومهم الرماة

فهم طوال الليل كالطلائح * جراحهم تصل فى الجوارح
ثم مضوا فى حربهم أياما * حتى ترى الموت لهم زؤاما
لما رأوا سحائب المنيه * تمطرهم صواعق البليه
تغلغل العجم بأرض العجم * وانحشروا من تحت كل نجم
فأقبل العلج لهم مغيثا * يوم الخميس مسرعا حثيثا
بين يديه الرجل والفوارس * وحوله الصلبان والنواقس
وكان يرجوان يزيل العسكرا * عن جانب الحصن الذى قد دمرا
فاعتاقه بدر يمن لديه * مستبصرا فى زحفه اليه
حتى التقت ميمنة بميسرة * واعتلت الارواح عند الحنجرة
ففاز حزب الله بالعلجان * وانهزمت بطانة الشيطان
فقتلوا اقتلا ذريعا فاشيا * وأدبر العلج ذميا خاسيا
فانصرف الناس الى مظنة * فصبحوا بالرهن يوم الجمعة
ثم التقى العلجان فى الطريق * البنبلونى مع الحليق
فاعقدوا على انتهاب العسكر * وان يموتا قبل ذاك المحضر
وأقسما بالجبت والطاغوت * لا يهزما دون لقاء الموت
فأقبلوا باعظم الطغيان * قد جللوا الجبال بالفرسان
حتى تداعى الناس يوم السبت * فكان وقتا ياله من وقت
فأشرعت بينهم الرماح * وقد علا التكبير والصياح
وفارقت أغمادها السيوف * وفغرت أفواهها الحتوف
والتقت الرجال بالرجال * وانغمسوا فى غمرة القتال
فى موقف زاغت به الابصار * وقصرت فى طوله الاعمار
وهب أهل الصبر والبصائر * فازعقوا على العدو الكافر
حتى بدت هزيمة البشكس * كأنه مختضب بالورس
فانقضت العقبان والسلالقه * رهقا على مقدم الجلالقه
عقبان موت تخطف الارواحا * وتشبع السيوف والرماحا

فانهزم الخنزير عندذا كا * وانكشفت عورته هناك
فقتلوا فى بطن كل وادى * وجاءت الرؤس فى الاعواد
وقدم القائد ألف راس * من الجثاليق ذوى القماس
فتم صنع الله للاسلام * وعمنا سرور ذاك العام
وخير ما فيه من السرور * موت ابن حفصون به الخنزير
فاتصل الفتح بفتح ثان * والنصر بالنصر من الرحمن
وهذه الغزاة تدعى القاضيه * وقد أتتهم بعد ذاك الداهيه

﴿ سنة سبع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة بلده * وهى التى أودت بأهل الرده
وبدؤها ان الامام المصطفى * أصدق أهل الارض عدلا ووفا
لما أتته ميتة الخنزير * وانه صار الى السعير
كاتبه أولاده بالطاعه * وبالدخول مدخل الجماعه
وان يقرهم على الولايه * على ورود الخرج والجبايه
فاختار ذلك الامام المفضل * ولم يزل من رأيه التفضل
ثم لوى الشيطان رأس جعفر * وصار منه نافخا فى المنخر
فنقض العهود والميثاقا * واستعمل التشغيب والنفاقا
وضم أهل النكث والخلاف * من غير ما كاف ولا مواف
واعتاقه الخليفة المؤيد * وهو الذى يشقى به ويسعد
ومن عليه من عيون الله * حوافظ من كل أمر داه
فجند الجنود والكتائبا * وقود القواد والمقانبا
ثم غزا فى أكثر العديد * مستصحبا بالنصر والتأييد
حتى اذا مر بحصن بلده * خلد فيها قائدا فى عده
يمنعهم من انتشار خيلهم * وحرسهم فى يومهم وليلهم
ثم مضى يستنزل الحصونا * ويبعث الطلاع والعيونا
حتى أتاه باشر من بلده * يعدو برأس رأسها فى صعده

فقدم الخيـل اليها مسرعا * واحتلها من يومـه تسرعا
فخفها بالخيــل والرماة * وجمـلة الحماة والكماة
فاطلع الرجل على انقابها * واقتحم الجنـد على أبوابها
فأذعنت ولم تكن بمذعنه * واستسلمت كافرة لمؤمنه
فقدمت كفارها للسيف * وقتـلوا بالحق لا بالحيف
وذاك من يمن الامام المرتضى * وخير من بقى وخير من مضى
ثم انتحى من فوره ببشترا * فلم يدع بها قضيبا أخضرا
وحطم النبات والزروعا * وهتـك الرباع والربوعا
فاذ رأى الكلب الذى رآه * من عزمـه فى قطعة مثواه
القى اليـه باليدين ضارعا * وسأل الابقاله موادعا
وان يكون عاملا فى طاعته * على ورود الخرج من جبايته
فـوثق الامام من رهانه * كيلا يكون فى غنا من شأنه
فقبل الامام ذاك منـه * فضلا واحسانا وسارعنه

﴿ سنة ثمان وثلثمائة ﴾

ثم غزا الامام دار الحرب * فكان خطبا يالله من خطب
تحاشدت اليه أعلام الكور * ومن له فى النار ذكر وخطر
الى ذوى الديوان والرايات * وكل منسوب الى الشامات
وكل من أخلص للرحمن * بطاعة فى السر والاعلان
وكل من طاوع بالجهاد * اوضمـه تعـدية الحشاد
فكان حشدا لم يكن بالحشد * فى كل حر عنـدنا وعبد
فتحسب الناس جرادا منتشر * كما يقول ربنا فمن حشر
ثم مضى المظفر المنصور * على جبينه الهدى والنور
أمامه جند من الملائكه * آخـذة لربها وتاركه
حتى اذا فوز فى العـدو * جنبـه الرحمن كل سـو
وأنزل الجـزية والدواهى * على الذين أشركوا بالله

فزلزلت أقدامهم بالرعب * واستنفروا من حر نار الحرب
واقتحموا الشعاب والمكامنا * وأسلموا الحصون والمدائنا
فما تبقى من جناب دور * من بيعة لراهب أو دير
الا وقد صيرها هباء * كالنار اذ وافقت الاباء
وزعزعت كتائب السلطان * بكل ما فيها من البنيان
فكان من أول حصن زعزعوا * ومن به من العدو أوقعوا
مدينة معروفة بوخشمه * فغادروها فحمة مسخمه
ثم ارتقوا منها الى حواظر * فغادروها مثل أمس الدابر
ثم مضوا والعلج يحتذيهم * بجيشه يخشى ويقتفيهم
حتى التهوا منه لوادى دى * ففيه عقبى الرشد سبل الغى
لما التقوا بجمع الجوزين * واجتمعت كتائب العلجين
من أهل أليون وينبلونه * وأهل ربط وبرشلبونه
تضافر الكفر مع الالحاد * واجتمعوا من سائر البلاد
فاضطربوا فى سفح طود عال * وصففوا تعبية القتال
فبادرت اليهم المقدمه * سامية فى خيلها المسومه
وردها متصل برد * يمده بحر عظيم المد
فانهزم العلجان فى علاج * ولبسوا ثوبا من العجاج
كلاهما ينظر حينا خلفه * فهو يرى فى كل وجه حتفه
والبيض فى أثرهم والسمر * والقتل ماض فيهم والاسر
فلم يكن للناس من براح * وجاءت الرؤس فى الرماح
فأمر الامير بالتفويض * وأسرع العسكر فى النهوض
فصادفوا الجمهور لما هزموا * وعاينوا قوادهم تحرموا
فدخلوا حديقة للموت * اذ طمعوا فى حصنها بالفوت
فيالها حديقة ويالها * وافت بها نفوسهم آجالها
تحصنوا اذ عاينوا الاهوالا * لمعقل كان لهم عقالا
وصخرة كانت عليهم صيلما * وانقلبوا منها الى جهنما

تساقطوا يستطعمون الماء * فأخرجت أرواحهم ظماء
فكم لسيف الله من جزور * فى مأدب الغربان والنسور
وكم به قتلى من القوامس * يندب بالصلبان والنواقس
ثم ثنى عنانه الامير * وحوله التهليل والتكبير
مصمما بريح دار الحرب * قدامه كتائب من عرب
فداسها وسامها بالخسف * والهتك والسفك لها والنسف
فخرقوا ومزقوا الحصونا * وأسخنوا من أهلها العيونا
فانظر عن اليمين واليسار * فما ترى الا لهيب النار
وأصبحت ديارهم بلاقعا * فما ترى الا دخانا ساطعا
ونصر الامام فيها المصطفى * وقد شفى من العدو واشتفا

﴿ غزوة سنة تسع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة طوس * سمت اليها حية لم تمس
وأحدقت بحصنها الافاعي * وكل صل اسود شجاع
ثم بنى حصنا عليها راتبا * يعتور القواد فيه دائبا
حتى أنابت عنوة جنانها * وغاب عن يافوخها شيطانها
فاذعنت لسيد السادات * وأكرم الاحياء والاموات
خليفة الله على عباده * وخير من يحكم فى بلاده
وكان موت بدر بن احمد * بعد قفول الملك المؤيد
واستحجب الامام خير حاجب * وخير مصحوب وخير صاحب
موسى الاغر من بنى جرير * عقيد كل رأفة وخير

﴿ غزوة سنة عشر وثلثمائة ﴾

وبعدها غزاة عشر غزوه * بها افتتاح منة وعنوه
غزا الامام فى ذوى السلطان * يؤم أهل النكث والطغيان
فاحتل حصن ثروريه قاطعا * أسباب من أصبح فيه خالعا
سار اليه وبنى عليه * حتى أتاه ملقيا بديه
ثم انثنى عنه الى سدونه * فعاضها سهلا من الحزونه
وساقها بالاهل والولدان * الى لزوم قبة الايمان

ولم يدع صعبا ولا منيعا * الا وقــد أذلهم جميعا
ثم انثنى باطيب القفول * كما مضى باحســن الفصول

﴿ غزوة سنة احدى عشرة وثلثمائة ﴾

وبعدها غزاة احدى عشره * كم نبهت من نائم فى سكره
غزا الامام ينتحى ببســترا * فى عسكر أعظم بذاك عسكرا
فاحتــل من ببستر ذراها * وجال فى شاط ومســتواها
فخرب العمران من ببستر * وأذعنت شاط لرب العسكر
فادخــل العــدة والعــديدا * فيها ولم يترك بهــا عنيدا
ثم انتحى بعد حصون العجم * فداسها بالقضم بعــد القضم
ما كان فى سواحل البحور * منها وفى الغابات والوعور
وأدخــل الطاعة فى مكان * لم يدر قط طاعة السلطان
ثم رمى الثغر بخــير قائد * وذادهم منها بخــير ذائد
به قضى الله ذوى الاشراك * وأنقــذ الثغر من الهــلاك
وانتاش من مهوانه تطيله * وقد ثوت دماؤها مطلوله
وســهل الثغر وما يليــه * من شيعة الكفر ومن ذويه
ثم انثنى بالفتح والنجاح * قد غــير الفساد بالصــلاح

﴿ غزوة سنة اثنتى عشرة وثلثمائة ﴾

وبعــدها غزاة ثنتى عشرة * وكم بهــا من خبرة وعبره
غزا الامام حوله كتائب * كالبدر محفوفا به الكواكب
غزا وسيف النصر فى يمينه * وطالع السعد على جبينه
وصاحب العسكر والتدبير * موسى الاغر صاحب الامير
فدمر الحصون من تدمير * واستنزل الوحش من الصخور
فاجتمعت عليه كل الامه * وبايعته أمراء الفتنــة
حتى اذا أوعب من حصونها * وحمل الحق على متونهــا
مضى وطار فى ظلال العسكر * تحت لواء الاسد الغضنفر
رجال تدمير ومن يليهــم * من كل صنف يعتزى اليهم

حتى اذا حــل على تطيله * نـكب عن دمائها المطلوله
وعظم مالاقت من العـدو * والحرب فى الرواح والغدو
فهم أن يزيح دار الحرب * وأن يكون ردأة فى الدرب
ثم استشار ذوى النهى والحجر * من صحبه ومن رجال الثغر
فـكلهم أشار أن لايدربا * ولا يجوز الجبل الموشـبا
لانه فى عسـكر قد انخرم * بندب كل العرفاء والحشم
وشنعوا ان وراء الفج * خمسين ألفا من رجال العلج
فقال لابد من الدخول * وما الى حاشاه من سبيل
وأن أزيح أرض ينبلونه * وساحة المدينة الملعونه
وكان رأيا لم يكن من صاحب * ساعده عليه خير حاجب
واستنصر الله وعبى ودخل * فـكان فتحا لم يكن له مثل
لـما مضى وجاوز الدروبا * وأدرع الهيجاء والحـروبا
عبى له علج من الاعـلاج * كتائبا غطت على الفجاج
فاستنصر الامام رب الناس * ثم استعان بالندى والباس
وعاد بالرغبـــة والدعاء * واستـنزل النصر من السماء
فقـدم القواد بالحشـود * واتبع المـدود بالمـدود
فانهزم العلج وكانت ملحمه * جاوزفيها الساقة المقـدمه
فقتـلوا مقتـــلة الفناء * فارتوت البيض مـن الدماء
ثم أمال نحـو ينبـلونه * واقتحم العسكر فى المدينـه
حتى اذا جاسوا خلال دورها * وأسرع الخراب فى معمورها
بكت على مافاتهـا النواظر * اذ جعلت مدقة الحوافر
لفـقد من قتل من رجالها * وذل من أيتم من أطفالهـا
فـكم بها وحولهـا من أغلف * يهمى عليه دمع عين الاسقف
وكم بها معزاء من كنائس * بدلت الاذان بالنواقس
يبكى لها الناقوس والصليب * كلاهمـا فرض له النحيب
وانصرف الامام بالنجـاح * والنصر والتأييد والفلاح

ثم ثنى الرايات فى طريقه * الى بنى ذونون من توفيقه
فأصبحوا من بسطهم فى قبض * قد الصقت خدودهم بالارض
حتى بدوا اليه بالرهان * من أكثر الاماء والولدان
فالحمد لله على تأييده * حمدا كثيرا وعلى تسديده

﴿ غزوة سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ﴾

ثم غزا بقبة استينا * وقد أشادوا حولها حصونا
وخصها بالخيل والرجال * وقاتلوهم أبلغ القتال
حتى اذا ماعاينوا الهلاكا * تبادروا بالطوع عندذاكا
وأسلموا حصنهم المنيعا * وسمحوا بخرجهم خضوعا
وقبلهم فى هذه الغزاة * ماهدمت معاقد الاساة
وأحكم الامام فى تدبيره * على بنى هائل فى مسيره
ومن سواهم من ذوى العشيره * وامراء الفتنة المغيره
اذ حسبوا مرتباعليهم * حتى أتوا بكل مالديهم
من البنين والعيال والحشم * وكل من لاذ بهم من الخدم
فهبطوا من أجمع البلدان * وأسكنوا مدينة السلطان
فكان فى آخر هذا العام * بعد خضوع الكفر للاسلام
مشاهد من أعظم المشاهد * على يدى عبد الحميد القائد
لما غزا الى بنى ذى النون * فكان فتح لم يكن بالدون
اذ جاوزوا فى الظلم والطغيان * بقتلهم لعامل السلطان
وحاولوا الدخول فى الاذيه * حتى غزاهم أنجد البريه
فعاقهم عن كل مارجوه * بنقضه على الذى بنوه
وضبطه الحصن العظيم الشان * سرية بالرجل والفرسان
ثم مضى الليث اليهم زحفا * يختطف الارواح منهم خطفا
فانهزموا هزيمة لن ترفدا * وأسلموا صنوهمو محمدا
وغيرهم من أوجه الفرسان * مسربلا فى مأتم الغربان
مقطع الاوصال بالسنابك * من بعد مافرق بالنيازك

ثم لجوا الى طلاب الامن * و بذلهم ودائعا من رهن
فقبضت رهانهم وأمنوا * وأنفضوا رؤسهم وأذعنوا
ثم مضى القائد بالتأييد * والنصر من ذى العرش والتسديد
حتى أتى حصن بنى عماره * بالحرب والتدبير والاغاره
فافتتح الحصن وخلى صاحبه * وأمن الناس جميعا جانبه

﴿ غزوة سنة أربع عشرة وثلثمائة ﴾

لم يغز فيها وغزت قواده * واعتوزت بستر أجناده
فكلهم أبلى وأغنى واكتفى * وكلهم شفى الصدور واشتفى
ثم تلاهم بعد ليث الغيل * عبد الحميد من بنى نشيل
هو الذى قام مقام الضيغم * وجال فى غزاته بالصيلم
برأس جالوت النفاق والحسد * من جمع الخنزير فيه والاسد
فيا له من صحبه فى عده * مصلبين عندنا بالشده
قد امتطى مطية لا تبرح * صائمة قائمة لا ترمح
مطية أن يعرها انكسار * يطبها النجار لا البيطار
كأنه من فوقها السوار * عيناه فى كلتيهما مسمار
مباشرا للشمس والرياح * على جواد غير ذى جماح
يقول للخاطر بالطريق * قول محب ناصح شفيق
هذا مقام خادم الشيطان * ومن عصى خليفة الرحمن
فما رأينا واعظا لا ينطق * أصدق منه فى الذى لا يصدق
فقل لمن غزا بسوء رأيه * يمت اذا شاء بمثل دائه
كم مارق مضى وكم منافق * قد ارتقى فى مثل ذا لحالق
وعاد وهو فى العصى مصلب * ورأسه فى جذعه مركب
فكيف لا يعتبر المخالف * لحال من تطلبه الخلائف
أما رآه من هو أن يرفع * معتبرا لمن يرى ويسمع

﴿ غزوة سنة خمس عشرة وثلثمائة ﴾

فيها غزا معتزما بتسترا * فجال فى ساحتها ودمرا
ثم بنى طلحيرة عليها * وهى الشجى من بين أخدعيها

وامتدها بابن السليم راتبا * مشمرا عن ساقه محاربا
حتى رأى حفص سبيل رشده * بعد بلوغ غاية من جهده
فدان للامام قصدا خاشعا * وأسلم الحصن اليه طائعا

﴿ غزوة سنة ست عشرة وثلثمائة ﴾

لم يعز فيها وانتحى بتسترا * فزمها بما رأى ودبرا
واحتلها بالعز والتمكين * ومحو آثار بنى حفصون
وعاضها الصلاح من فسادهم * وطهر القبور من أجسادهم
حتى خلا ملحود كل قبر * من كل مرتد عظيم الكفر
عصابة من شيعة الشيطان * عدوة لله والسلطان
فحرمت أجسادها تحرما * وأصليت أرواحهم جهنما
ووجه الامام فى ذا العام * عبد الحميد الضيغم الضرغام
الى ابن داود الذى تقلعا * وفى جبلى شزنة تمنعا
فحطه منها الى البسيط * كطائر آذن بالسقوط
ثم أتى به الى الامام * الى وفى العهد والذمام

﴿ غزوة سنة سبع عشرة وثلثمائة ﴾

و بعد سبع عشرة وفيها * غزا بطليوس وما يليها
فلم يزل يسومها بالخسف * و ينتحيها بسيوف الحتف
حتى اذا ماضم جانبيها * محاصرا ثم بنى عليها
خلى ابن اسحق عليها راتبا * مثابرا فى حربه مواظبا
ومر يستقصى حصون الغرب * و يبتليها بو بيل الحرب
حتى قضى منهن كل حاجة * وافتتحت أشكوبة و باجه
و بعد فتح الغرب واستقصائه * وحسمه الادواء من أعدائه
لجت بطليوس على نفاقها * وغرها اللجاج من مراقها
حتى اذا شافهت الحتوفا * وشامت الرماح والسيوفا
دعا ابن مروان الى السلطان * وجاءه بالعهد والامان
فصار فى توسعة الامام * وساكنا فى قبة الاسلام

﴿ غزوة سنة ثمان عشرة وثلثمائة ﴾

فيها غـزا بعـزمه طليطله * وامتنعوا بعقل لامثل له
حتى بنى جلنكشه بجنبها * حصنامنيعا كافلا بحربها
وشدها بابن سليم قائدا * مجالدا لاهلها مجاهـــدا
فجاسها فى طول ذاك العام * بالخسف والنسف وضرب الهام

﴿ غزوة سنة تسع عشرة وثلثمائة ﴾

ثم أتى ردفا له درى * فى عسكر قضاؤه مقضى
فحاصروها عام تسع عشره * بكل محبوك القوى ذى امره
ثم أتاهم بعـــد بالرجال * فقـا تلوهـا أبلغ القتـال

﴿ غزوة سنة عشرين وثلثمائة ﴾

حتى اذا ماسـلفت شـهور * من عام عشرين لهـا ثبـور
ألقت يديها للامام طائعـة * واستسلمت قسرا اليــه باخعه
فأذعنت وقبلها لم تذعـن * ولم تقـدمن نفسها وتمكن
ولم تدن لربهـا بدين * سبعا وسـبعين من السـنين
ومبتدا عشرين مات الحاجب * موسى الذى كان الشهاب الثاقب
وبرز الامام بالتأييـــد * فى عـدة منــه وفى عـديد
صـبرا الى المدينـة اللعينــه * أتعسـها الرحمـن من مدينـة
مدينـة الشـقاق والنفاق * ومربد الفسـاق والمـراق
حتى اذا ما كان منهـا بالامم * وقد ذكا حر الهجير واحتدم
أتاه واليها باشـياخ البلـد * مستسلمين للامام المعتمـد
فوافقوا الرحب من الامام * وأنزلوا فى البر والاكـرام
ووجـه الامام فى الظهـيره * خيـلا لـكيما يدخل الجزيره
فوافقـوا قائدهـا درى * يلمـع فى متونهـا الدرى
فاقتحموا فى وعرهـا وسهلها * وذاك حين غفلة من أهلها
ولم يكن للقوم من دفاع * بخيـل درى ولا امتنـاع
وفوض الامام عنـد ذلـكا * وقام صنديدا بما هنالـكا
حتى اذا ماحـل فى المدينه * وأهلهـا ذليـلة مهينـه

أقمها بالخيل والرجال * من غير ماحرب ولا قتال
وكان من أول شيء نظرا * فيه ومان روى ودبرا
تهدم لبابها والسور * وكان ذاك أحسن التدبير
حتى اذا صيرها براحا * وعاينوا حريمها مباحا
أمر بالتشييد والتأسيس * فى الجبل النامى الى عمروس
حتى استوى فيها بناء محكم * فحله عامله والحشم
فعندذاك أسلمت واستسلمت * مدينة الدماء بعد ماعتت

﴿ غزوة سنة احدى وعشرين وثلثمائة ﴾

فيها مضى عبد الحميد مستلم * فى أهبة وعدة من الحشم
حتى أتى الحصن الذى تقلعا * يحيى بن ذى النون به وامتنعا
فحطه من هضبات وأب * من غير تعنيت وغير حرب
الا بترغيب له فى الطاعه * وفى الدخول مدخل الجماعه
حتى أتى به الامام راغبا * فى الصفح عن ذنوبه وتائبا
فصفح الامام عن جنايته * وقبل المبذول من انابته
ورده الى الحصون ثانيا * مسجلا له عليها واليا

﴿ غزوة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ﴾

ثم غزا الامام ذوالمجدين * فى مبتدا عشرين واثنتين
فى فيلق مجمهر لهام * مدكدك الرؤس والآكام
جاب الربا لزحفه بجيش * تجيش فى حفاته الجيوش
كانهم جن على سعال * وكلهم أمضى من الريبال
فاقتحموا ملوندة ورومه * ومن حواليها حصون حميه
حتى أتاه المارق التجيبي * مستجديا كالتائب المنيب
فخصه الامام بالترحيب * والصفح والغفران للذنوب
ثم حباه وكساه ووصل * بشاحج وصاهل لم يمتثل
كلاهما من مركب الخلائف * فى حليه تعجز وصف الواصف

فقال كن منا وأوطن قرطبه * نرقيك فيها فى أجـل مرتبه
تـكن وزيراً أعظم الناس خطر * وقائدا تحيى لنـا هـذا الثغر
فقال انى ناقه من علتى * وقد ترى تغـيرى وصـفرتى
فان رأيت سـيدى امهالى * حتى أرم من صـلاح حالى
ثم أوافيك على استعجال * بالاهـل والاولاد والعيـال
وأوثق الامام بالعهـود * وجعل الله من الشـهود
فقبل الامام من أيمانه * ورده عفـوا الى مكانه
ثم اتته ربة البشاقص * تدلى اليـه بالوداد الخالص
وانها مرسـلة من عنـده * وجـدها متصــل بجـده
وا كتفلت بكل ينبلونى * واطلقت اسرى بنى ذى النون
فأوعـد الامام فى تامينهـا * ونـكب العسكر من حصونها
ثم مضى بالعـز والتمكـين * وناصراً لاهـل هـذا الدين
فى جملة الرايات والعساكر * وفى رجال الصـبر والبصائر
الى عـدو الله من الخـلائق * وعابد المخلوق دون الخـالق
فدمروا السهول والقـلاعا * وهتـكوا الزروع والرباعا
وخربوا الحصون والمـدائنـا * وأفقـدوا من أهلها المسا كنا
فليس فى الديار من ديار * ولا بهـا من نافخ للنـار
فغـادروا عمـرانهـا خرابا * وبدلوا ربوعها يبـابا *
وبالقـلاع أحرقوا الحصونا * وأسـخنوا من أهلها العيونا
ثم ثنى الامام عن عنـانه * وقـد شفى الشجى من أشجانه
وأمن القـفار من انجاسها * وطهر البـلاد من أرجاسـها
(انتهت) الارجوزة وكمل كتاب العسجدة الثانية من أخبار الخلفاء

١٥

كتاب اليتيمة الثانية في اخبار زياد

﴿ والحجاج والطالبيين والبرامكه ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضى الله تعالى عنه : قد مضى قولنا فى أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وما تصرفت به دولتهم . ونحن قائلون بعون الله فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . وما سيجوز على شىء من أخبار الدولة اذ كان هؤلاء الذين جردنا لهم كتابنا هذا قطب الملك الذى عليه مدار السياسة ، ومعادن التدبير ، وينابيع البلاغة ، وجوامع البيان ، هم راضوا الصعاب حتى لانت مقاودها ، وخزموا الانوف حتى سكنت شواردها ، ومارسوا الامور ، وجربوا الدهور ، فاحتملوا أعباءها ، واستفتحوا مغالقها ، حتى استقرت قواعد الملك ، وانتظمت قلائد الحكم ، ونفذت عزائم السلطان

١ — أخبار زياد — كانت سمية أم زياد قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندى للحرث بن كلدة وكان طبيبا يعالجه . فولدت له على فراشه نافعا . ثم ولدت أبا بكرة فأنكر لونه وقيل له ان جاريتك بغى فانتفى من أبى بكرة ومن نافع وزوجها عبيدا عبداً لابنته . فولدت على فراشه زيادا . فلما كان يوم الطائف نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل فهو حر وولاؤه لله ورسوله . فنزل أبو بكرة وأسلم ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم . فقال الحرث ابن كلدة لنافع أنت ابنى فلا تفعل كما فعل هذا يريد أبا بكرة . فلحق به فهو ينتسب الى الحرث ابن كلدة . وكانت البغايا فى الجاهلية لهن رايات يعرفن بها وينتحيها الفتيان وكان أكثر الناس يكرهون اماءهم على البغاء والخروج الى تلك الرايات يبتغون بذلك عرض الحياة الدنيا فنهى الله تعالى فى كتابه عن ذلك بقوله جل وعز « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن — يريد فى الجاهلية — فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » يريد فى الاسلام . فيقال ان أبا سفيان خرج يوما وهو ثمل الى تلك الرايات

فقال لصاحبة الراية هل عندك من بغي . فقالت ماعندي الا سمية . قال هاتها على نتن ابطيها فوقع بها فولدت له زيادا على فراش عبيد . ووجه عامل من عمال عمر بن الخطاب زيادا بفتح فتحه الله على المسلمين به . فأمره عمر أن يخطب الناس به على المنبر فأحسن في خطبته وجود وعند أصل المنبر أبو سفيان بن حرب وعلى بن أبي طالب . فقال أبو سفيان لعلى أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى . قال نعم : قال أما انه ابن عمك . قال وكيف ذلك قال أنا قذفته في رحم أمه سمية . قال فما يمنعك ان تدعيه قال أخشى هذا القاعد على المنبر يعني عمر بن الخطاب أن يفسد على اهابي . فبهذا الخبر استلحق معاوية زيادا وشهد له الشهود بذلك . وهذا خلاف حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الولد للفراش وللعاهر الحجر . العتبي عن أبيه قال : لما شهد الشهود لزياد فقام في أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوله ولا علم لي بآخره . وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم وشهد الشهود ما سمعتم فالحمد لله الذي رفع منا ما وضع الناس وحفظ منا ما ضيعوا . وأما عبيد فانما هو والد مبرور وربيب مشكور ثم جلس . وقال زياد : ما هجيت ببيت قط أشد على من قول الشاعر :

فكر ففي ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتأمير

عاشت سمية ما عاشت وما علمت * ان ابنها من قريش في الجماهير

سبحان من ملك عباد بقدرته * لا يدفع الناس أسباب المقادير

وكان زياد عاملا لعلى بن أبي طالب على فارس . فلما مات على رضى الله عنه وبايع الحسن معاوية عام الجماعة بقي زياد بفارس وقد ملكها وضبط قلاعها فاغتم به معاوية . فأرسل الى المغيرة بن شعبة . فلما دخل عليه قال لكل نبأ مستقر ولكل سر مستودع وأنت موضع سري وغاية ثقتي . فقال المغيرة يا أمير المؤمنين ان تستودعني سرك تستودعه ناصحا شفيقا ورعا رفيقا فما ذاك يا أمير المؤمنين . قال ذكرت زيادا واعتصامه بارض فارس ومقامه بها وهو داهية العرب ومعه الاموال وقد تحصن بارض فارس وقلاعها يدبر الامور . فما يؤمنني ان يبايع لرجل من أهل هذا البيت فاذا هو قد أعادها جذعة . قال له المغيرة أتأذن لي يا أمير المؤمنين في اتيانه . قال نعم فخرج اليه . فلما دخل عليه وجده وهو قاعد في بيت له مستقبل الشمس . فقام اليه زياد ورحب به وسر بقدومه وكان له صديقا . وذلك ان زيادا كان أحد الشهود الاربعة الذين

شهدوا على المغيرة وهو الذى تلجلج فى شهادته عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فنجا المغيرة وجلد الثلاثة من الشهود . وفيهم أبو بكرة أخو زياد فحلف ان لا يكلم زيادا أبدا . فلما تفاوضا فى الحديث قال له المغيرة أعلمت ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثنى اليك ولا نعلم أحدا يمديده الى هذا الامر غير الحسن . وقد بايع معاوية فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغنى عنك معاوية . قال أشر على وارم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن . قال أرى ان تصل حبلك بحبله وتسير اليه وتعير الناس أذنا صماء وعينا عمياء قال يا ابن شعبة لقد قلت قولا لا يكون غرسه فى غير منبته لا أصل له يغذيه ولا ماء يسقيه كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا فى منابتها النخل

ثم قال أرى و يقضى الله . وذكر عمر بن عبد العزيز زيادا فقال سعى لاهل العراق سعى الام البرة وجمع لهم جمع الذرة . وقال غيره تشبه زياد بعمر فأفرط وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس وقالوا : الدهاة أربعة معاوية للروية وعمرو بن العاص للبديهة والمغيرة للمعضلات وزياد لكل صغيرة وكبيرة . ولما قدم زياد العراق قال من على حرسكم قالوا بلخ قال انما يحترس من مثل بلخ فكيف يكون حرسا أخذه الشاعر فقال * وحارس من مثله يحترس * . العتبى قال : كان فى مجلس زياد مكتوب الشدة فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف ، المحسن يجازى باحسانه والمسيء يعاقب باساءته ، الاعطيات فى أيامها لا احتجاب عن طارق ليل ولا صاحب ثغر و بعث زياد : الى رجال من بنى تميم و رجال من بنى بكر وقال دلونى على صلحاء كل ناحية ومن يطاع فيها فدلوه فضمنهم الطريق وحد لكل رجل منهم حدا فكان يقول لو ضاع حبل بينى و بين خراسان عرفت من آخذه . وكان زياد يقول من سقى صبيا خمرا حددناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا . وكان يقول اثنان لا تقاتلوا فيهما العدو الشتاء و بطون الاودية . وأول من جمعت له العراق زياد . ثم ابنه عبيد الله بن زياد لم تجتمع لقرشى قط غيرهما وعبيد بن زياد أول من جمع له العراق وسجستان وخراسان والبحران وعمان وانما كان البحران وعمان الى عمال أهل الحجاز . وهو أول من عرف العرفاء ودعا الفقراء ونكب المناكب وحصل الدواوين ومشى بين يديه بالعمد و وضع الكراسى وعمل المقصورة ولبس الزيادى و ربع الارباع بالكوفة وخمس الاخماس بالبصرة . وأعطى فى يوم واحد للمقاتلة

والذرية من أهل البصرة والكوفة . و بلغ بالمقاتلة من أهل الكوفة ستين ألفا ومقاتلة البصرة ثمانين ألفا والذرية مائة ألف وعشرين ألفا وضبط زياد وابنه عبيد الله العراق باهل العراق . قال عبد الملك بن مروان : لعباد بن زياد أين كانت سيرة زياد من سيرة الحجاج . قال يا أمير المؤمنين ان زيادا قدم العراق وهى جمرة تشتعل فسل أحقادهم وداوى أدواءهم وضبط أهل العراق باهل العراق وقدمها الحجاج فكسر الخراج وأفسد قلوب الناس ولم يضبطهم باهل الشام فضلا عن أهل العراق ولو رام منهم ما رامه زياد لم يفجأك الاعلى قعود يوجف به . وقال نافع : لزياد استعملت أولاد أبى بكرة وتركت أولادى . قال انى رأيت أولادك كراما قصارا ورأيت أولاد أبى بكرة نجباء طوالا . ودخل عبد الله بن عامر على معاوية فقال له حتى متى تذهب بخراج العراق . فقال يا أمير المؤمنين ما تقول هذا لمن هو أبعد منى رحما ثم خرج فدخل على يزيد فأخبره وشكا اليه . فقال له لعلك أغضبت زيادا قال قد فعلت . قال فانه لا يرضى حتى ترضى زيادا عنك فانطلق ابن عامر فاستأذن على زياد فاذن له وألطفه . فقال له ابن عامر ان شئت فصلح بعتاب وان شئت فصلح بغير عتاب فانه اسلم للصدر . ثم راح زياد الى معاوية فأخبره وأصبح ابن عامر غاديا الى معاوية . فلما دخل عليه قال مرحبا بابى عبد الرحمن ههنا وأجلسه الى جانبه فقال له يا أبا عبد الرحمن لنا سياق ولكم سياق وقد علمت ذلك الرفاق . الحسن بن أبى الحسن قال : ثقل أبو بكرة فارسل زياد اليه أنس بن مالك ليصالحه و يطلقه فانطلقت معه فاذا هو مول وجهه الى الجدار . فلما قعد قال له كيف تجدك أبا بكرة . فقال صالح كيف أنت أبا حمزة . فقال له أنس اتق الله أبا بكرة فى زياد أخيك فان الحياة يكون فيها ما يكون فأما عند فراق الدنيا فليستغفر الله أحد كالصاحبه فوالله ما علمت انه لوصول للرحم هذا عبد الرحمن ابنك على الايلة وهذا داود على الرى وهذا عبد الله على فارس كلها والله ما أعلمه الا مجتهدا قال اقعدونى فأقعدوه فقال اخبرنى ما قلت فى آخر كلامك فاعاد عليه القول . فقال يا أنس وأهل حروراء قد اجتهدوا فأصابوا أم أخطؤا والله لا أكلمه أبدا ولا يصلى على . فلما رجع أنس الى زياد أخبره بما قال وقال له انه قبيح أن يموت مثل أبى بكرة بالبصرة فلا تصلى عليه ولا تقوم على قبره فاركب دوابك والحق بالكوفة قال ففعل ومات أبو بكرة بالغد عند صلاة الظهر فصلى عليه أنس ابن مالك . وقدم شريح مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة . فكان زياد يجلسه الى جنبه

و يقول له ان حكمت بشيء ترى غيره أقرب الى الحق منه فأعلمنيه . فكان زياد يحكم فلا يرد شريح عليه فيقول زياد لشريح ما ترى في هذا الحكم حتى أتاه رجل من الانصار . فقال اني قدمت البصرة والخطط موجودة فأردت أن أختط لي فقال لي بنو عمي وقد اختطوا ونزلوا أين تخرج عنا أقم معنا واختط عندنا فوسعوا لي فاتخذت فيهم دارا وتزوجت . ثم نزغ الشيطان بيننا فقالوا لي اخرج عنا . فقال زياد ليس ذلك لكم منعتموه أن يختط والخطط موجودة وفي أيديكم فضل فاعطيتموه حتى اذا ضاقت الخطط أخرجتموه وأردتم الاضرار به لا يخرج من منزله . فقال شريح يامستعير القدر ارددها . فقال زياد يامستعير القدر احبسها ولا تردها . فقال محمد بن سيرين القضاء بما قال شريح وقول زياد حسن . وقال زياد : ماغلبني أمير المؤمنين معاوية الا في واحدة طلبت رجلا فلجأ اليه وتحرم به . فكتبت اليه ان هذا افساد لعملي اذا طلبت أحدا لجأ اليك فتحرم بك فكتب الي انه لا ينبغي لنا ان نسوس الناس بسياسة واحدة فيكون مقامنا مقام رجل واحد ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون انا للرأفة والرحمة فيستريح الناس فيما بيننا . ولما عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه زيادا عن كتابة أبي موسى قال له أعن عجز أم عن خيانة . قال لا عن واحدة منهما ولكني كرهت ان أحمل على العامة فضل عقلك وكتب الحسن بن علي رضي الله عنه : الى زياد في رجل من أهل شيعته فعرض له زياد وحال بينه و بين ما يملكه وكان عنوان كتابه من الحسن بن علي الى زياد . فغضب زياد اذ قدم نفسه عليه ولم ينسبه الى أبي سفيان . وكتب اليه من زياد بن أبي سفيان الى حسن اما بعد فانك كتبت الي في فاسق لا يأويه الا الفساق وايم الله لا طلبنه ولو بين جلدك ولحمك فاني أحب ان آكل لحما أنت منه . فكتب الحسن الى معاوية يشتكي زيادا وأدرج كتاب زياد في داخل كتابه . فلما قرأه معاوية أكثر التعجب من زياد وكتب اليه أما بعد فان لك رأيين أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية . فاما الذي من أبي سفيان فحزم وعزم . وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها وان الحسن بن علي كتب الي يذكر انك عرضت لرجل من أصحابه . وقد حجزناه عنك ونظراءه فليس لك على واحد منهم سبيل ولا عليه حكم وعجبت منك حين كتبت الى الحسن لا تنسبه الى أبيه أفالى أمه وكلته لا ام لك فهو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن حين اخترت له . وكتب زياد الى معاوية : ان عبد الله بن عباس يفسد الناس علي فان أذنت لي ان أتوعده فعلت . فكتب اليه ان أبا الفضل وأبا سفيان كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد

وذلك حلف لا يحله سوء رأيك . واستاذن زياد معاوية فى الحج فاذن له وبلغ ذلك أبا بكرة فاقبل حتى دخل على زياد وقد أجلس له بنيه فسلم عليهم ولم يسلم على زياد . ثم قال يا بنى أخى ان أباكم ركب أمراً عظيماً فى الاسلام بادعائه الى ابى سفيان فوالله ما علمت سمية بغت قط وقد استاذن أمير المؤمنين فى الحج وهو مار بالمدينة لا محالة وبها أم حبيبة ابنة ابى سفيان زوج النبى صلى الله عليه وسلم ولا بد له من الاستئذان عليها فان اذنت له فقعد منها مقعد الاخ من أخته فقد انتهك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة وان لم تاذن له فهو عار الابد . ثم خرج فقال له زياد جزاك الله خيراً من أخ فما تدع النصيحة على حال . وكتب الى معاوية يستقيله فاقاله وكتب زياد الى معاوية : انى قد أخذت العراق بيمينى وبقيت شمالى فارغة وهو يعرض له بالحجاز . فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . فقال اللهم اكفنا شماله فعرضت له قرحة فى شماله فقتلته . ولما بلغ عبد الله بن عمر موت زياد قال اذهب اليك ابن سمية لا يدا رفعت عن حرام ولا دنيا تمليت . قال زياد : لعجلان حاجبه كيف تأذن للناس قال على البيوتات . ثم على الانساب . ثم على الآداب . قال فمن تؤخر قال من لا يعبأ الله بهم قال ومن هم قال الذين يلبسون كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء . وقال زياد لحاجبه : وليتك حجابتى وعزلتك عن أربع هذا المنادى الى الله فى الصلاح والفلاح لا توقفه عنى ولا سلطان لك عليه . وطارق الليل لا تحجبه فشر ما جاء به ولو كان خيراً ما جاء فى تلك الساعة . ورسول صاحب الثغر فانه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة . وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد . وقال عجلان حاجب زياد : صار لى فى يوم واحد مائة ألف دينار وألف سيف قيل له وكيف ذلك . قال : أعطى زياد ألف رجل مائتى ألف دينار وسيفاً سيفاً فاعطانى كل رجل منهم نصف عطائه وسيفه

٢ أخبار الحجاج — دخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الغداة . فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة فانك قذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت . قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا وما هو بشىء مما ظننت ولكنى استكت فاردت ان أتخلل بسواك . فندم المغيرة على ما بدر منه فخرج أسفاً فلقى يوسف بن أبى عقيل . فقالت له هل لك الى شىء ادعوك اليه . قال وماذاك قال انى نزلت

الساعة عن سيدة نساء ثقيف فنز وجها فانها تنجب لك فنز وجها فولدت له الحجاج . وممار واه عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال ان الحجاج بن يوسف كان يعلم الناس بالطائف واسمه كليب وأبوه يوسف معلم أيضا . وفى ذلك قال الشاعر :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده * اذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد اياد
زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى و يغادى

ثم لحق الحجاج بن يوسف بروح بن زنباع و زير عبد الملك بن مروان . فكان فى عديد شرطته الى ان شكا عبد الملك ابن مروان ما رأى من انحلال العسكر وان الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله . فقال روح بن زنباع يا أمير المؤمنين ان فى شرطتى رجلا لو قلده امير المؤمنين أمر عسكره لا رحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف . قال فانا قد قلدناه ذلك فكان لا يقدر أحد يتخلف عن الرحيل والنزول الا أعوان روح بن زنباع . فوقف عليهم يوما وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون . فقال لهم ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين . فقالوا له انزل يا ابن اللخناء فكل معنا فقال هيهات ذهب ما هنالك ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم فى العسكر وامر بفساطيط روح بن زنباع فاحرقت بالنار . فدخل روح بن زنباع على عبد الملك ابن مروان باكيا . فقال له مالك . فقال يا أمير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذى كان فى عديد شرطتى ضرب عبيدى وأحرق فساطيطى . قال علىّ به فلما دخل عليه قال ما حملك على ما فعلت . قال ما أنا فعلته يا امير المؤمنين . قال ومن فعله . قال أنت والله فعلت انما يدى يدك وسوطى سوطك وما على أمير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين وللغلام غلامين ولا يكسرنى فيما قدمنى له فاخلف لروح بن زنباع ما ذهب له . وتقدم الحجاج فى منزلته وكان ذلك أول ما عرف من كفايته . قال أبو الحسن المداينى : كانت امرأة الحجاج الفارعة ابنة هبار . فقال كان الحجاج بن يوسف يضع فى كل يوم ألف خوان فى رمضان وفى سائر الايام خمسمائة خوان على كل خوان عشرة أنفس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وارزة بسكر . وكان يحمل فى محفة و يدار به على موائده يتفقدها فاذا رأى ارزة ليس عليها سكر وسعى الخباز ليجىء بسكرها فابطأ حتى أكلت الارزة بلا سكر امر به فضرب

مائتى سوط . فكانوا بعد ذلك لا يمشون الا متأبطى خرائط السكر . قال : وكان يوسف بن عمر والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك يضع خمسمائة خوان . فكان طعام الحجاج لاهل الشام خاصة وطعام يوسف بن عمر لمن حضره فكان عند الناس احمد . العتبى قال : دخل على الحجاج سليك بن سلكة . فقال أصلح الله الامير اعرنى سمعك واغضض عنى بصرك واكفف عنى حزبك فان سمعت خطأ او زللا فدونك والعقوبة . فقال قل فقال عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمى وهدمت دارى وحرمت عطائى . قال هيهات اما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب ماخوذ بذنب عشيرة * ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير قال سمعت الله قال غير هذا قال وماذاك قال قال « ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون » فقال الحجاج على بيزيد بن أبى مسلم فأتى به فمثل بين يديه . فقال افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله . وأمر مناديا ينادى فى الناس صدق الله وكذب الشاعر . أتى الحجاج : بامرأة عبد الرحمن بن الاشعث بعد دير الجماجم . فقال لحرسى قل لها ياعدوة الله ابن مال الله الذى جعلتيه تحت استك . فقال ياعدوة الله اين مال الله الذى جعلتيه تحت استك فقال له كذبت ماهكذا قلت استك وخل عنها . الاصمعى قال : ماتت رفقة بالسجا والسجا ربوة من الارض فى بطن فلج فسجى به الوادى فسمى سجا . فقال الحجاج انى أراهم قد تضرعوا اذا نزل بهم الموت فاحفروا فى مكانهم فحفروا . فامر الحجاج رجلا يقال له عضيدة يحفر البئر . فلما أنبطها حمل منها قربتين الى الحجاج بواسط . فلما قدم بهما عليه قال ياعضيدة لقد تجاوزت مياها عذابا احتفت أم أوشلت . قال لا واحد منهما ولكن نبطا بين المنافق . قال وكيف يكون قدره قال مرت بنا رفيقة فيها خمسة وعشرون جملا فروبت الابل وأهلها . قال أوللابل حفرتها ان الابل ضمر خشف ماجشمت جشمت . بعث عبد الملك بن مروان : الحجاج بن يوسف واليا على العراق وأمره ان يحشر الناس الى المهلب فى حرب الازارقة . فلما أتى الكوفة صعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه . فنظر محمد بن عمير بن عطارد

التميمى . فقال لعن الله هذا ولعن من ارسله الينا ارسل غلاما لا يستطيع ان ينطق عيا وأخذ حصاة بيده ليحصبه بها . فقال له جليسه لا تعجل حتى ننظر ما يصنع . فقام الحجاج فكشف لثامه عن وجهه فقال :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفونى

صليب العود من سلفى نزار * كنصل السيف وضاح الجبين

أخو خمسين مجتمع اشدى * ونجدنى مداورة الشؤن

أما والله لا أحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله أما والله انى لارى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وكأنى أرى الدماء بين العمائم واللحى :

هذا أوان الشر فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ألا وان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كب كنانته فعجم عيدانها فوجدنى أصلبها عودا فوجهنى اليكم فانكم طالما اسعيتم فى الضلالة وسننتم سنن البغى أما والله لالحونكم لحو العصا ولاعصبنكم عصب السلمة ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما أخلق الا فريت ولا أعد الا وفيت ولا أغمز تغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان اياى وهذه الزرافات والجماعات . وقيل وقال وما يقول وفيم أنتم ونحو هذا من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب ضربت عنقه . ثم قال ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين . فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيأ . فقال الحجاج اسكت ياغلام هذا أدب ابن نهية والله لاؤدبنهم غير هذا الادب أوليستقيمن اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق أحد فى المسجد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام . ثم نزل فأتاه عمير بن هانئ فقال أيها الامير انى شيخ كبير عليل وهذا ابنى أقوى على الغزو منى . قال أجيزوا ابنه عنه فان الحدث أحب الينا من الشيخ . فلما ولى الرجل قال له عنبسة بن سعيد أيها الامير هذا الذى ركض عثمان برجله وهو مقتول . فقال ردوا الشيخ فردوه فقال اضربوا عنقه . فقال فيه الشاعر :

تجهز فاما ان تزور ابن هانئ * عميرا وأما ان تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من البلج أشهبا

ثم قال دلونى على رجل أوليه الشرطة . فقيل له أى الرجال تريد قال أريده دائم العبوس، طويل الجلوس، سمين الامانة، أعجف الخيانة، لا يحنق فى الحق على حرة، يهون عليه سؤال الاشراف فى الشفاعة . فقيل عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمى فارسل اليه فاستعمله . فقال له لست أقبلها الا ان تكفينى عمالك وولدك وحاشيتك . فقال الحجاج ياغلام ناد من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت الذمة منه . قال الشعبى : فوالله مارأيت قط صاحب شرطة مثله كان لا يحبس الا فى دين . وكان اذا أتى برجل نقب على قوم وضع منقبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره . وكان اذا أتى برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فيه حيا واذا أتى برجل قاتل بحديدة أو أظهر سلاحا قطع يده فربما أقام أربعين يوما لا يؤتى اليه باحد . فضم الحجاج اليه شرطة البصرة مع شرطة الكوفة . ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان . فمر الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو جالس فى المسجد وعلى الحجاج سيف محلى وهو يخطر متبخترا فى المسجد فقال رجل من قريش لخالد ماهذه التختارة . فقال بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعه الحجاج فمال اليه . فقال قلت هذا عمرو بن العاص والله ماسرنى ان العاص ولدنى ولا ولدته ولكن ان شئت اخبرتك من أنا انا ابن الاشياخ من ثقيف والعقائل من قريش والذى ضرب مائة بسيفه هذا كلهم يشهدون على أبيك بالكفر وشرب الخمر حتى أقروا انه ولى وهو يقول هذا عمرو ابن العاص . الاصمعى قال : بعث الحجاج الى يحيى بن يعمر . فقال له أنت الذى تقول ان الحسن بن على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لتأتينى بالمخرج أو لاضربن عنقك . فقال له فان أتيت بالمخرج فانا آمن قال له نعم . قال له اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى فمن أقرب عيسى الى ابراهيم . وانما هو ابن ابنته أو الحسن الى محمد . قال الحجاج فوالله لكأنى ماقرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بها قاضيا حتى مات . قال أبو عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها رأيا وحزما وعابدها قبل ان يستخلف ورعا وزهدا . فجلس يوما فى خاصته فقبض على لحيته فشمها مليا . ثم اجتر نفسه ونفخ نفخة أطالها . ثم نظر فى وجوه القوم فقال ما أقول يوم ذى المسئلة عن أمر الحجاج وأدحض المحتج على العليم بما طوته الحجب أما ان تمليكى له قرن بى لوعة يحثها التذكار كيف وقد علمت فتعاميت وسمعت فتصاممت وحمله الكرام الكاتبون . والله

لكانى آلف ذا الطعن على نفسى بعدان نعت الايام بتصرفها أنفسا حق لها الوعيد بتصرم الزوال وما أبقت الشبهة للباقى متعلقا وماهو الا الغل الكامن والغش المندمل من ذى النفس بحو بائها اللهم أنت لى أوسع غير منتصر ولا معتذر يا كاتب هات الدواة والقرطاس . فقعد كاتبة بين يديه وأملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عبدالملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد : فقد أصبحت بأمرك برما يقعدنى الاشفاق ويقيمنى الرجاء عجزت فى دار السعة وتوسط الملك وحين المهل واجتماع الفكر التمس العذر فى أمرك فأنا لعمر الله فى دار الجزاء وعدم السلطان واشتغال النفس والركون الى الذلة من نفسى والتوقع لما طويت عليه الصحف أعجز . وقد كنت أشركتك فيما طوقنى الله حمله وألاث بحقوى من أمانة الله فى هذا الخلق المرعى فدللت منه على الحزم والجد فى امانة بدعة وانعاش سنة فقعدت عن تلك ونهضت بما عاندها حتى صرت حجة الغائب وعذر اللاعن والشاهد القائم . فلعن الله أباعقيل وما نجل فالام والدوأخبث نسل فلعمرى ماظلمكم الزمان ولا قعدت بكم المراتب لقد ألبستكم ملبسكم وأقعدتكم على روابى خططكم واحلتكم أعلى منعتكم فمن حافر وناقل وماتح للفلوات القفرة المتفيهقة ما تقدم فيكم الاسلام ولقد تأخر ثم وما الطائف منا ببعيد يجهل أهله . ثم قمت بنفسك وطمحت بهمتك وسرك انتضاء سيفك فاستخرجك أمير المؤمنين من أعوان روح بن زنباع وشرطته وأنت على معاونته يومئذ محسود فهفا أمير المؤمنين والله يصلح بالتوبة والغفران زلته وكأن بك وكان مالو لم يكن لكان خيرا مما كان كل ذلك من تجاسرك وتحاملك على المخالفة لرأى أمير المؤمنين فصدعت صفاتنا وهتكت حجبنا وبسطت يديك تحفن بهما من كرائم ذوى الحقوق اللازمة والارحام الواشجة فى أوعية ثقيف فاستغفر الله لذنب ماله عذر . فلئن استقال أمير المؤمنين فيك الرأى فلقد جالت البصيرة فى ثقيف بصلح النبى صلى الله عليه وسلم اذ ائتمنه على الصدقات وكان عبده فهرب بها عنه وماهو الا اختيار للثقة والمطلب لمواضع الكفاية فقعد فيه الرجاء كما قعد بامير المؤمنين فيما نصبك له فكأن هذا ألبس أمير المؤمنين ثوب العزاء ونهض بعذره الى استنشاق نسيم الروح فاعتزل عمل أمير المؤمنين واظعن عنه باللعنة اللازمة والعقوبة الناهكة ان شاء الله اذا استحكم لامير المؤمنين مايحاول من رأيه والسلام . ودعا عبد الملك مولى له يقال له نباتة له لسان وفضل رأى فناوله الكتاب . ثم قال له يانباتة العجل ثم العجل حتى تأتى العراق فضع هذا الكتاب فى يد الحجاج وترقب مايكون منه فاذا جبن عند قراءته واستيعاب مافيه فاقلعه عن عمله وانقلع معه حتى تأتى به

وهدى الناس حتى يأتيهم أمرى بما تصفنى به فى حين انقلاعك من حبى لهم والسلامة وان هش للجواب ولم تكشفه ارنبة الحيرة فخذ منه ما يجيب به وأقره على عمله . ثم اعجل على بجوابه قال نباتة فخرجت قاصداً الى العراق فضمتنى الصحارى والفيافى واحتوانى القر وأخذمنى السفر حتى وصلت . فلما وردته أدخلت عليه فى يوم ما يخطر فيه الخلق وعلى شحوب مضنى وقد توسط خدمه من نواحيه وتدثر بمطرف خز أدكن ولاث به الناس من بين قائم وقاعد . فلما نظر الى وكان لى عارفاً قعد . ثم تبسم تبسم الوجل . ثم قال أهلا بك يانباتة أهلا بمولى أمير المؤمنين لقد أثر فيك سفرك واعرف أمير المؤمنين بك ضنينا فليت شعرى ماد همك أو دهمنى عنده . قال فسلمت وقعدت فسأل ما حال أمير المؤمنين وخوله . فلما هدأ أخرجت له الكتاب فناولته اياه فأخذه منى مسرعاً ويده ترعد . ثم نظر فى وجوه الناس فما شعرت الا وأنا معه ليس معنا ثالث وصار كل من يطيف به من خدمه يلقاه خاليا لا يسمعون منا الا الصوت ففك الكتاب فقرأه وجعل يتثاءب ويردد تثاؤبه ويسيل العرق على جبينه وصدغيه على شدة البرد من تحت قلنسوته من شدة العرق وعلى رأسه عمامة خز خضراء وجعل يشخص الى ببصره ساعة كالمتوهم . ثم يعود الى قراءة الكتاب ويلاحظنى النظر كالمتفهم الا انه واجم . ثم يعاود الكتاب وانى لاقول ما أراه يثبت حروفه من شدة اضطراب يده حتى استقصى قراءته . ثم مالت يده حتى وقع الكتاب على الفراش ورجع اليه ذهنه فمسح العرق عن جبينه . ثم قال متمثلا :

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

قبح والله منا الحسن يانباتة وتواكلتنا عند أمير المؤمنين الالسن وما هذا الا سانح فكرة نمقها مرصد يكلب بقصتنا مع حسن رأى أمير المؤمنين فينا ياغلام فتبادر الغلمان الصيحة فلى علينا منهم المجلس حتى دفأتنى منهم الانفاس . فقال الدواة والقرطاس فاتى بدواة وقرطاس . فكتب بيده وما رفع القلم الا مستمدا حتى سطر مثل خد الفرس . فلما فرغ قال لى يانباتة هل علمت ما جئت به فتسمعك ما كتبنا قلت لا قال اذا حسبك منا مثله . ثم ناولنى الجواب وأمر لى بجائزة فأجزل وجرد لى كساء ودعا لى بطعام فأكلت . ثم قال نكلك الى ما أمرت به من عجلة أو توان وانى لاحب مقارنتك والانس برؤيتك . فقلت كان معى قفل مفتاحه عندك ومفتاح قفلك عندى فأجدت لك الوافية بالامرين فاقفلت المكروه وفتحت العافية وما ساءنى ذلك وما أحب

ان أزيدك بيانا وحسبك من استعجال القيام . ثم نهضت وقام مودعا لى فالتزمنى . وقال بابى أنت وأمى رب لفظة مسموعة ومحتقر نافع فكن كما أظن نخرجت مستقبلا وجهى حتى وردت أمير المؤمنين فوجدته منصرفا من صلاة العصر . فلما رآنى قال ما احتواك المضجع بانباته فقلت من خاف من وجه الصباح أدلج . فسلمت وانتبذت عنه فتركنى حتى سكن حاشى ثم قال مهيم فدفعت اليه الكتاب فقرأه متبسما . فلما مضى فيه ضحك حتى بدت له سن سوداء ثم استقصاه فانصرف الى فقال كيف رأيت اشفاقه . قال فقصصت عليه ما رأيت منه فقال صلوات الله على الصادق الامين ان من البيان لسحرا . ثم قذف الكتاب الى . فقال اقرأ فقرأته فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين والمؤيد بالولاية المعصوم من خطل القول وزلل الفعل بكفالة الله الواجبة لذوى أمره من عبد اكتنفته الذلة ومد به الصغار الى وخيم المرتع ووبيل المكرع من جائل قادح ومعتز فادح والسلام عليك ورحمة الله التى اتسعت فوسعت وكان بها التقوى الى أهلها قائدا فانى أحمد الله اليك راجيا لعطفك بعطفه الذى لا اله الا هو أما بعد

كان الله لك بالدعة فى دار الزوال والامن فى دار الزلزال فانه من عنت به فكرتك يا أمير المؤمنين مخصوصا فما هو الا سعيد يؤثر أو شقى يوتر وقد حجبنى عن نواظر السعد لسان مرصد ونافس حقد انتهز به الشيطان حين الفكرة فافتتح به أبواب الوسواس بما تحتويه الصدور فواغوثاه باستعاذة أمير المؤمنين من رجيم انما سلطانه على الذين يتولونه واعتصاما بالتوكل على من خصه بما أجزل له من قسم الايمان وصادق السنة فقد أراد اللعين أن يفتق لاوليائه فتقا نباعنه كيده وكثر عليه تحسره بلية قرع بها فكر أمير المؤمنين مبلسا وكاد حاو مؤرشا ليفل من غرّبه الذى نصبنى ويصيب ثارا لم يزل به موترا واذكره قديما مامت به الاوائل حتى لحقت بمثله منهم وممن كنت أبلوه من خسة اقدار ومزاولة أعمال الى أن وصلت ذلك بالتشرط لروح بن زنباع وقد علم أمير المؤمنين بفضل ما اختار الله له تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضى بان الذى عير به القوم مصا نعهم من أشد ما كان يزاوله أهل القدمة الذين اجتبى الله منهم وقد اعتصموا وامتعضوا من ذكر ما كان وارتفعوا بما يكون وما جهل أمير المؤمنين وللبيان موقعة غير محتج ولا متعدد ان متابعة روح بن زنباع طريق الى الوسيلة لمن أراد من فوقه وان روحا لم يلبسنى العزم الذى به رفعنى أمير المؤمنين عن خوله وقد ألصقتنى بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمى بى البعيد وتطالع الاعلام وقد أخذت من أمير المؤمنين نصيبا اقتسمه الاشفاق

من سخطه والمواظبة على موافقته فما بقى لنا بعد الاصابة وارث به تجول النفس وتطرف النواظر ولقد سرت بعين أمير المؤمنين سير المتثبط لمن يتلوه المتطاول لمن يقدمه غير متثبت موجف ولا متثاقل مجحف فقت الطالب ولحقت الهارب حتى ثارت السنة و بادت البدعة وخسىء الشيطان وحملت الاديان الى الجادة العظمى والطريقة المثلى فها أناذا يا أمير المؤمنين نصب المسئلة لمن رامنى وقد عقدت الحبوة وقرنت الوظيفين لقائل محتج أولائم ملتج وأمير المؤمنين ولى المظلوم ومعقل الخائف وستظهر له المحنة نبأ أمرى ولكل نبأ مستقر وماحفنت يا أمير المؤمنين فى أوعية ثقيف حتى روى الظمآن و بطن الغرثان وغصت الاوعية وأنقدت الاوكية فى آل مروان فأخذت ثقيف فضلا صارلها لولاهم القطته السائلة ولقد كان مما أنكره أمير المؤمنين من تحاملى وكان مما لولم يكن لعظم الخطب فوق ما كان وان أمير المؤمنين لرابع أربعة أحدهم ابنة شعيب النبى صلى الله عليه وسلم اذ رمت بالظن غرض اليقين تفرسا فى النجى المصطفى بالرسالة فحقق لها فيه الرجاء و زالت شبهة الشك بالاختيار وقبلها العزيز فى يوسف ثم الصديق فى الفاروق رحمة الله عليهما وأمير المؤمنين فى الحجاج وما حسد الشيطان يا أمير المؤمنين خاملا ولا شرف بغير سجافكم غبطة يا أمير المؤمنين الرجيم أدبرمنها وله غواة ومرساة وقد قلت حيلته و وهن كيده يوم كيت وكيت ولا أظن أذكرها من أمير المؤمنين ولقد سمعت لا مير المؤمنين فى صالح صلوات الله عليه فى ثقيف مقالا هجم بى الرجاء لعدله عليه بالحجة فى وده بمحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . فقد أخبر عن الله عز وجل وحكاية غر الملا من قريش عند الاختيار والافتخار . وقد نفخ الشيطان فى مناخرهم فلم يدعوا خلف ماقصدوا اليه موسى قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . فوقع اختيارهم عند المباهاة بنفخة الكبر وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومى وأبى مسعود الثقفى فصارا فى الافتخار بهما صنوين ما أنكر اجتماعهما من الامة منكر فى مدصوت القرآن ومبلغ الوحى وان كان ليقال للوليد فى الامة يومئذ ريحانة قريش ومارد ذلك العزيز تعالى الا بالرحمة الشاملة الى القسم السابق . فقال عز وجل « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » وماقدمتنى يا أمير المؤمنين ثقيف فى الاحتجاج لها وان لها مقالا رحبا ومعاندة قديمة الا ان هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب . والامر الى أمير المؤمنين عزل أم أقر وكلاهما عدل متبع وصواب معتدل والسلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة

الله . قال نباتة فأتيت على الكتاب بمحضر أمير المؤمنين عبد الملك . فلما استوعبته سارقته النظر عن الهيبة منه فصادف لحظي لحظه . فقال اقطعه ولا تعلمن بما كان أحدا . فلما مات عبد الملك فشاعني الخبر بعد موته . محمد بن المنتشر بن الاجدع الهمدانى قال : دفع الى الحجاج رجلا ذميا وأمرني بالتشديد عليه والاستخراج منه . فلما انطلقت به قال لي يا محمد ان لك لشرفا ودينا انى لا أعطى على القسر شيأ . فأذن لي وارفق بي ففعلت فادى الى في أسبوع خمسمائة ألف . فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه فانتزعه من يدي ودفعه الى الذى كان يتولى لهم العذاب فدق يديه و رجليه ولم يعطه شيأ . قال محمد بن المنتشر فانى لسائر يوما في السوق اذ صائح بي يا محمد فالتفت فاذا أنا به معترضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج ان أتيته فتذممته . فملت اليه فقال لى انك وليت مني ما ولي هؤلاء فرفقت بي وأحسنت الى وانهم صنعوا بى ما ترى . ولى خمسمائة ألف عند فلان فخذها مكافأة لما أحسنت الى فقلت ما كنت لآخذ منك على معروفي أجرا ولا لارزأك على هذه الحالة شيأ . قال فأما اذ أبيت فاسمع منى حديثا أحدثك به حدثنيه بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم اذا رضى الله عن قوم أنزل عليهم المطر في وقته وجعل المال في سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر في غير وقته وجعل المال في بخلائهم واستعمل عليهم شرارهم . فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج فسرت اليه فألفيته جالسا على فرشه والسيف مصلت بيده . فقال لى ادن فدنوت شيأ ثم قال لى ادن فدنوت شيئا ثم قال لى الثالثة ادن لا أبالك . فقلت مابى الى الدنو من حاجة وفي يد الامير ما أرى فضحك وغمد سيفه . وقال اجلس ما كان من حديث الخبيث . فقلت له أيها الامير والله ما غششتك منذ استصحبتني ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ثم حدثته فلما صرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عنى بوجهه وأومأ الى بيده وقال لا تسمه . ثم قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الاحاديث . و يقال ان الحجاج كان اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه . ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع حتى يتزايد في الكلام فيخرج يده من مطرفه . ثم يزجر الزجرة فيقرع بها أقصى من في المسجد . صعد خالد بن عبد الله القسرى . المنبر في يوم جمعة وهو اذ ذاك على مكة فذكر الحجاج فحمد طاعته وأثنى عليه خيرا . فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم

الحجاج ونشر عيوبه واظهار البراءة منه . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان ابليس كان ملكا من الملائكة وكان يظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلا . وكان الله قد علم من غشه وخبثه ما خفى على ملائكته . فلما أراد الله فضيحته أمره بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفى عنا فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يدى أمير المؤمنين فلعنه فالعنوه لعنه الله ثم نزل . ولما أتى الحجاج بامرأة ابن الاشعث قال للحرسى قل لها ياعدوة الله أين مال الله الذى جعلته تحت ذيلك فقال لها الحرسى ياعدوة الله أين مال الله الذى جعلته تحت أستك قال الحجاج كذبت ماهكذا قلت ارسلها فخلى سبيلها . أبو عوانة عن عاصم عن أبى وائل قال : أرسل الحجاج الىّ فقال لى ما اسمك قلت ما أرسل الامير الىّ حتى عرف اسمى . قال لى متى هبطت هذه الارض قلت حين ساكنت أهلها . قال كم تقرأ من القرآن قلت أقرأ منه ما ان اتبعته كفانى . قال انى أريد ان أستعين بك على بعض عملى . قلت ان تستعن بى تستعن بكبير اخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعنى فهو أحب الىّ وان تقحمنى أتقحم . قال ان لم أجد غيرك أقحمتك وان وجدت غيرك لم أقحمك . قلت وأخرى أكرم الله الامير انى ما علمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك والله انى لا تعار من الليل فاذكرك فما يأتينى النوم حتى أصبح هذا ولست لك على عمل فاعجبه ذلك . وقال هيه كيف قلت فأعدت عليه الحديث . فقال انى والله ما أعلم اليوم رجلا على وجه الارض هو أجرأ على دم منى . قال فقمت فعدلت عن الطريق كأنى لا أبصر . فقال أهدوا الشيخ أرشدوا الشيخ . أبو بكر بن أبى شيبة قال : دخل عبد الرحمن بن أبى ليلى على الحجاج . فقال لجلسائه اذا أردتم ان تنظروا الى رجل يسب أمير المؤمنين عثمان فانظروا الى هذا . فقال عبد الرحمن معاذ الله أيها الامير ان أكون أسب عثمان انه ليحجزنى عن ذلك آيات فى كتاب الله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله و رضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » فكان عثمان منهم . ثم قال « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فكان أبى منهم ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » فكنت أنا منهم قال صدقت . أبو بكر بن أبى شيبة : عن أبى

معاوية عن الاعمش قال رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى ضربه الحجاج وأوقفه على باب المسجد فجعلوا يقولون له العن الكاذبين علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد. فقال لعن الله الكاذبين. ثم قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد بالرفع فعرفت حين سكت. ثم ابتدأ فرفع انه ليس يريدهم. قال الشعبي: أتي بي الحجاج موثقا فلما جئت باب القصر لقيني يزيد بن أبي مسلم كاتبه. فقال انا لله يا شعبي لما بين دفتيك من العلم وليس اليوم بيوم شفاعة قلت له فما المخرج. قال بؤ للامير بالشرك والنفاق على نفسك وبالحرى ان تنجو. ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال لي مثل مقالة يزيد. فلما دخلت على الحجاج قال لي وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا وكثر قلت أصلح الله الامير انبأبنا المنزل، وأجدب بنا الجناب، واستحلسنا الخوف، واكتحلنا السهر وضاق المسلك، وخبطتنا فتنة لم تكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. قال صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا اطلقوا عنه فاحتاج الى في فريضة بعد ذلك فارسل الى فقال ما تقول في أم وأخت وجد. فقلت اختلف فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وعلي وعثمان وزيد وابن عباس. قال فما قال فيها ابن عباس ان كان لمتقيا قلت جعل الجد أبا ولم يعط الاخت شيأ وأعطى الام الثلث. قال فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ستة فاعطى الجد ثلاثة وأعطى الام اثنين وأعطى الاخت سهما. قال فما قال زيد قلت جعلها من تسعة فاعطى الام ثلاثة وأعطى الجد أربعة وأعطى الاخت اثنين فجعل الجد معها أخا. قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها ثلاثا. قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها من ستة فاعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام اثنين وأعطى الجد سهما قال مر القاضي فليمضها على ما أمضاها أمير المؤمنين فبينا أنا عنده اذ جاءه الحاجب. فقال له ان بالباب رسلا. فقال ائذن لهم: قال فدخلوا عمائمهم على أوساطهم وسيوفهم على عواتقهم وكتبهم بايمانهم اذ جاء رجل من بني سليم يقال له شبابة بن عاصم. فقال له من أين قال من الشام قال كيف تركت أمير المؤمنين وكيف تركت حشمه فاخبره قال هل وراءك من غيث قال نعم. قال فهل بيني وبين الامير من سحاب قال نعم. قال فانعت لي كيف وقع المطر وتباشيره قال أصابتني سحابة بحوارين فوقع قطر صغار وقطر كبار. فكانت الصغار تحمد الكبار ووقع بسيطا ومتداركا وهو الثلج الذي سمعت به فواد سائل وواد نازح وأرض مقبلة وأرض مدبرة.

وأصابتني سحابة بسرافأبدت الدماث وأسالت العرار وأدحضت التلاع وصدعت عن الكماة أماكنها . وأصابتني سحابة بالقريتين فقاءت الارض بعد الري وامتلأت الاجاديد وأفعمت الاودية وجئتك في مثل وجار الضبع . قال ائذن فدخل رجل من بني أسد . فقال هل وراءك من غيث . قال لا كثر الله الاعصار واغبرت البلاد وأيقنا انه عام سنة . قال بئس المخبر أنت . قال أخبرتك الذي كان . قال ائذن فدخل رجل من أهل اليمامة . قال هل وراءك من غيث . قال نعم سمعت الرواد يدعون الى الماء وسمعت قائلا يقول هلم ظعنكم الى محلة تطفأ فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعزى . قال الشعبي : فلم يدر الحجاج ماقال . فقال له تبالك انما تحدث أهل الشام فأفهمهم قال نعم أصلح الله الامير اخصب الناس فكثر التمر والسمن والزبد واللبن فلا توقد نار يختبز بها . وأما تشكي النساء فان المرأة تظل تربق بهمها وتمخض لبنها فتبيت ولها أنين من عضدها . وأما تنافس المعزى فانها ترى من أنواع التمر وأنواع الشجر ونور النبات مايشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت أكراشها ولها من الكظة جرة فتبقى الجرة حتى تستنزل الدرة . قال ائذن فدخل رجل من الموالي كان من أشد الناس في ذلك الزمان : فقال له هل وراءك من غيث . قال نعم ولكني لا أحسن ان أقول مايقول هؤلاء قال فما تحسن . قال أصابتني سحابة بحلوان فلم أزل أطأ في آثارها حتى دخلت عليك . فقال لئن كنت اقصرهم في المطر خطبة انك لاطولهم بالسيف حظوة . ابراهيم بن مرزوق : عن سعيد بن جويرية قال لما كان عام الجماعة كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انظر ابن عمر فاقتد به وخذ عنه يعني في المناسك . قال فلما كان عشية عرفة سار الحجاج بين يدي عبد الله بن عمر وسالم ابنه . فقال له سالم ان أردت أن تصب السنة اليوم فأوجز الخطبة وعجل الصلاة . قال فخطب ونظر الى عبد الله بن عمر . فقال صدقت فلما كان عند الزوال مر عبد الله بن عمر بسرادقه . وقال الرواح فما لبث ان خرج ورأسه يقطر كانه قد اغتسل . فلما أفاض الناس رأيت العرق يتحدر من النجيبة التي عليها ابن عمر . فقلت أبا عبد الله عقرت النجيبة قال أنا عقرت ليس النجيبة وكان أصابه زج رمح بين أصبعين من قدمه . فلما صرنا بمكة دخل عليه الحجاج عائدا . فقال ياأبا عبد الرحمن لو علمت من أصابك لفعلت وفعلت . قال له أنت أصبتني : قال غفر الله لك لم تقول هذا قال حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح وفي بلد لا يحمل فيه السلاح . أبو الحسن المدائني قال : أخبرني من دخل المسجد والحجاج على المنبر وقد ملأ صوته المسجد بابيات

سويد بن أبى كاهل اليشكرى حيث يقول :

رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لى موتا لم يطع

ساء ماظنوا وقد أبليتهم * عند غايات المدا كيف أقع

كيف يرجون سقوطى بعدما * شمل الرأس مشيب وصلع

كتب الوليد الى الحجاج ان صف لى سيرتك . فكتب اليه انى أيقظت رأيى، وأنمت هواى، فأدنيت السيد المطاع فى قومه ، ووليت الحرب الحازم فى أمره ، وقلدت الخراج الموفر لامانته وصرفت السيف الى النطق المسىء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب . قرأ الحجاج : فى سورة هود «قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح» فلم يدر كيف يقرأ أعمل بالضم والتنوين أو عمل بالفتح فبعث حرسيا . فقال ائتنى بقارئ فاتى به وقد ارتفع الحجاج عن مجلسه فحبسه حتى عرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر . فلما انتهى اليه . قال له فيم حبست قال فى ابن نوح أصلح الله الامير وأمر باطلاقه . ابراهيم بن مرزوق قال : حدثنى سعيد بن جويرية قال خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف فأرسل الى أنس بن مالك ان يخرج معه فأبى . فكتب اليه يشتمه فكتب أنس بن مالك الى عبد الملك ابن مروان بشكوه وأدرج كتاب الحجاج فى جوف كتابه قال اسمعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر بعث الى عبد الملك بن مروان فى ساعة لم يكن يبعث الى فى مثلها فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقا وغيظا . فقال يااسمعيل ما أشد على ان تقول الرعية ضعف أمير المؤمنين وضاق ذرعه فى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة فقلت وماذاك ياأمير المؤمنين . قال أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى يذكر ان الحجاج قد أضر به وأساء جواره . وقد كتبت فى ذلك كتابين كتابا الى أنس بن مالك والآخر الى الحجاج فاقبضهما . ثم اخرج على البريد فاذا وردت العراق فابدأ بأنس بن مالك فادفع له كتابى وقل له اشتد على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج اليك ولن يأتى اليك أمر تكرهه ان شاء الله . ثم ائت الحجاج فادفع اليه كتابه وقل له قد اغتررت بامير المؤمنين غرة لا أظنه يخطئك شرها ثم افهم مايتكلم به ومايكون منه حتى تفهمنى اياه اذا قدمت على ان شاء الله . قال اسمعيل فقبضت الكتابين وخرجت على البريد حتى قدمت العراق . فبدأت بأنس بن مالك فى منزله فدفعت اليه كتاب أمير المؤمنين وأبلغته رسالته فدعاله وجزاه خيرا . فلما فرغ من قراءة

الكتاب قلت له أبا حمزة ان الحجاج عامل ولو وضع لك فى جامعة لقدر ان يضرك و ينفعك فأنا أريد ان تصالحه . قال ذلك اليك لا أخرج عن رأيك . ثم أتيت الحجاج فلما رآنى رحب وقال والله لقد كنت أحب ان أراك فى بلدى هذا . قلت وأنا والله قد كنت احب ان أراك وأقدم عليك بغير الذى أرسلت به اليك . قال وماذاك قلت فارقت الخليفة وهو أغضب الناس عليك . قال ولم قال فدفعت اليه الكتاب فجعل يقرؤه وجبينه يعرق فمسحه بيمينه . ثم قال اركب بنا الى أنس بن مالك قلت له لا تفعل فانى سأتلطف به حتى يكون هو الذى يأتيك وذلك للذى أشرت عليه من مصالحته . قال فالقى كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف . أما بعد فانك عبد طمت بك الامور فطغيت وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لاغمزنك كبعض غمزات الليوث للثعالب ولاركضنك ركضة تدخل منها فى وجارك اذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ويحفرون الآبار فى المناهل بايديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة . وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس ابن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأة منك على امير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد على غير محبته ونزل عند سخطته . وأظنك أردت ان تر زأه بها لتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها فان سوغتها مضيت قدما وان بغضتها وليت دبرا فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الجاعرتين وأيم الله لوأن أمير المؤمنين علم انك اجترمت منه جرما وانتهكت له عرضا عليك فيما كتب به الى أمير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهر البطن حتى ينتهى بك الى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ولم يخف على أمير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون قال اسمعيل فانطلقت الى أنس فلم أزل به حتى انطلق معى الى الحجاج فلما دخلنا عليه قال يغفر الله لك أبا حمزة عجلت باللائمة واغضبت علينا أمير المؤمنين . ثم أخذ بيده فاجلسه معه على السرير . فقال أنس انك كنت تزعم انا الاشرار والله سمانا الانصار . وقلت انا من أبخل الناس والله يقول فينا « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وزعمت انا أهل نفاق والله تعالى يقول فينا « والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » فكان

المخرج والمشتكى فى ذلك الى الله والى أمير المؤمنين . فتولى من ذلك ماولاه الله وعرف من حقنا ماجهلت وحفظ منا ماضيعت وسيحكم فى ذلك رب هو أرضى للمرضى وأسخط للمسخط وأقدر على الغير فى يوم لا يشوب الحق عنده الباطل ولا النور الظلمة ولا الهدى الضلالة . والله لولا أن اليهود أو النصارى رأت من خدم موسى بن عمران أو عيسى بن مريم يوما واحدا لرأت له مالم تروا لى فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين . قال فاعتذر اليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره وترضى عنه . وكتب برضاه وقبوله عذره ولم يزل الحجاج له معظما هائبا له حتى هلك رضى الله عنه . وكتب الحجاج : الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه وسهل حظه وأحاطه ولا أعدمناه فان اسمعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين أعز الله نصره قدم على بكتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وجعلنى من كل مكروه فداءه يذكر شتمتى وتوبيخى بآبائى وتعبيرى بما كان قبل نزول النعمة بى من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه واحسانه اليه ويذكر لى أمير المؤمنين جعلنى الله فداه استطالة منى على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراءة على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطته وأمير المؤمنين أصلحه الله فى قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الهدى وخاتم الانبياء أحق من أقال عثرتى وعفا عن ذنبى فأمهلنى ولم يعجلنى عند هفوتى للذى جبل عليه من كريم طبائعه وماقلده الله من أمور عباده فرأى أمير المؤمنين أصلحه الله فى تسكين روعتى وافراج كربتى فقد ملئت رعبا وفرقا من سطوته وفجاءة نقمته وأمير المؤمنين أقاله الله العثرات وتجاوز له السيآت وضاعف له الحسنات وأعلى له الدرجات أحق من صفح وعفا وتعمل وأبقى ولم يشمت فى عدوا مكبا ولا حسودا مصبا ولم يجرعنى غصصا والذى وصف أمير المؤمنين من صنيعته الى وتنويهه لى بما أسند الى من عمله وأوطأنى من رقاب رعيته فصادق فيه مجزى بالشكر عليه والتوسل منى اليه بالولاية والتقرب له بالكفاية وقد عاين اسمعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه نزولى عند مسرة أنس بن مالك وخضوعى عند كتاب أمير المؤمنين. واقلاقه اياى ودخوله بالمصيبة على ماسيعلمه أمير المؤمنين ويشهد اليه فان رأى أمير المؤمنين طوقنى الله بشكره وأعاننى على تأدية حقه وبلغنى الى مافيه موافقة مرضاته ومدلى فى أجله ان يأمر لى بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمننى به من سفك دمى ويرد ماشرد من نومى

و يطمئن به قلبي فقد ورد على أمر جليل خطبه عظيم أمره شديد على كربه أسال الله أن لا يسخط امير المؤمنين وان يثبته فى حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنائعه مايحمد به حسن رأيه و بعد همته انه ولى أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه والصانع له فى أمره والسلام فحدث اسمعيل انه لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال يا كاتب افرخ روع أبى محمد . فكتب اليه بالرضا عنه . كان سليمان بن عبد الملك : يكتب الى الحجاج فى أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتبا فلا ينظر له فيها . فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل الطاعة من عباد الله . أما بعد فانك امرؤ مهتوك عنه حجاب الحق مولع بما عليك لا لك منصرف عن منافعك تارك لحظك مستخف بحق الله وحق أوليائه لا ماسلف اليك من خير يعطفك ولا ما عليك لا لك تصرفه فى مهمة من أمرك معموه معصوصر عن الحق اعصيصارا الا تسكت عن قبيح ولا ترعوى عن اساءة ولا ترجو لله وقارا حتى دعيت فاحشا سبابا فقس شبرك بفترك واخرز زمام نعل بحذو مثله قائم وايم الله لئن أمكنني الله منك لادوسنك دوسة تلين منها فرائصك ولا جعلنك شريدا فى الجبال تلوذ باطراف الشمال ولا علقن الرومية الحمراء بثديها علم الله ذلك منى وقضى لى به على فقد ما غرتك العافية وانتحيت أعراض الرجال فانك قدرت فبذخت وظفرت فتعديت فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك ان كانت بى و بك مدة تعلق بها وان تكن الاخرى فارجوان تؤل الى مذلة ذليلة وخزية طويلة و يجعل مصيرك فى الآخرة شر مصير والسلام . فكتب اليه الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانك كتبت الى تذكر انى امرؤ مهتوك عنى حجاب الحق مولع بما على لا لى منصرف عن منافعى تارك لحظى مستخف بحق الله وحق ولى الحق وتذكر انك ذو مصاولة ولعمرى انك لصبى حديث السن تعذر بقلة عقلك وحداثة سنك و يرقب فيك غيرك فأما كتابك الى فلعمرى لقد ضعف فيه عقلك واستخف به حلمك ولله أبوك أفلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك و رجاء الله دون رجائك وأمت غيظك وأمنت عدوك وسترت عنه تدبيرك ولم تنبهه فيلتمس من مكايدتك ما تلتمس من مكايدته ولكنك لم تشف بالامور علما ولم ترزق من أمرك حزما جمعت أمورا دلاك فيها الشيطان على أسوأ أمرك فكان الجفاء من خليقتك والحمق من

طبيعتك وأقبل الشيطان بك وأدبر وحدثك انك لن تكون كاملا حتى تتعاطى ما يعيبك فتحذلقت حنجرتك لقوله واتسع جوانها لكذبه . وأما قولك لوملكك الله لعلقت زينب ابنة يوسف بثديها فارجوان يكرمها الله بهوانك وان لا يوفق ذلك لك ان كان ذلك من رأيك مع انى أعرف انك كتبت الى والشيطان بين كتفيك فشر مملي عليك على شر كاتب راض بالخسف فاحرى بالحق ان لا يدلك على هدى ولا يردك الا الى ردى وتحلب فوك للخلافة فأنت شامخ البصر طامح النظر تظن انك حين تملكها لا تنقطع عنك مدتها انها للقطة الله أسأل الله ان يلهمك فيها الشكر مع انى أرجوان ترغب فيما رغب فيك أبوك وأخوك فاكون لك مثلي لهما وان نفخ الشيطان في منخريك فهو أمر أراد الله نزعه عنك واخراجه الى من هو أكمل به منك ولعمرى انها النصيحة فان تقبلها فمثلها قبل وان تردها على اقتطمتها دونك وأنا الحجاج . قدم الحجاج : على الوليد بن عبد الملك فدخل عليه وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت اليه أم البنين بنت عبد الملك بن مروان من هذا الاعرابي المستلئم في السلاح عندك وأنت في غلالة . فبعث اليها هذا الحجاج بن يوسف فاعادت الرسول اليه تقول والله لان يخلو بك ملك الموت أحب الى ان يخلو بك الحجاج فاخبره الوليد بذلك وهو يمازحه . فقال يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك . فلما دخل الوليد عليها أخبرها بمقالة الحجاج . فقالت يا أمير المؤمنين حاجتي ان تأمره غدا يأتيني مسلما ففعل ذلك فاتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما . ثم قالت له ايه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتالك عبد الله بن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا ان الله علم انك من شرار خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الاسلام . واما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ أوطاره منهن فان كن ينفرجن عن مثلك فما احقه بالاخذ عنك وان كن ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك اما والله لقد نفض كساء امير المؤمنين الطيب عن غدائرهن بعثك في اعطية اهل الشام حتى كنت في اضيق من الفرق قد أظلتك رماحهم وانحنتك كفاحهم وحتى كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وابنائهم . فما نجاك الله من عدو أمير المؤمنين الا بحبهم اياه ولله در القائل اذ نظر اليك وسنان غزالة بين كتفيك :

أسدعلى وفى الحروب نعامة * ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى مخالب طائر
صدعت غزالة جمعه بعساكر * تركت كتائبه كامس الدابر

ثم قالت : اخرج فخرج مذموما مدحورا . كان عروة بن الزبير عاملا على اليمن لعبد الملك ابن مروان، فاتصل به ان الحجاج مجمع على مطالبته بالاموال التى بيده وعزله عن عمله . ففر الى عبد الملك وعاذ به تخوفا من الحجاج واستدفاعا لضرره وشره . فلما بلغ ذلك الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان : أما بعد فان لوذان المعترضين بك، وحلول الجانحين الى المكث بساحتك واستلانتهم دمث أخلاقك، وسعة عفوك . كالعارض المبرق لاعدائه، لا يعدم له شائما رجاء استمالة عفوك واذا الاذ أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على اضاعة الحقوق، مع كل ضال . والناس عبيد العصا هم على الشدة أشد استباقا منهم على اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله وفى استخراجه منه قطع لطمع غيره فليبعث به أمير المؤمنين ان رأى ذلك والسلام . فلما قرأ الكتاب . بعث الى عروة ثم قال له ان كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبى الا أشخاصك اليه . ثم قال لرسول الحجاج شأنك به . فالتفت اليه عروة مقبلا عليه وقال : أما والله ماذل وخزى من مات ، ولكن ذل وخزى من ملكتموه والله لئن كان الملك بجواز الامر، ونفاذ النهى ان الحجاج لسلطان عليك ينفذ أموره دون أمورك انك لتريد الامر يزينك عاجله، ويبقى لك أكرومة آجله، فيجذبك عنه، ويلقاه دونك . ليتولى من ذلك الحكم فيه فيحظى بشرف عفو ان كان أو بجرم عقوبة ان كانت وما حاربك من حاربك الا على أمر هذا بعضه . قال فنظر فى كتاب الحجاج مرة ورفع بصره الى عروة تارة . ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب اليه : أما بعد فان أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا فى السياسة خبط عشواء الليل . فان رأيك الذى يسول لك ان الناس عبيد العصا هو الذى أخرج رجالات العرب الى الوثوب عليك ، واذا أخرجت العامة بعنف السياسة كان اوشك وثوبا عليك عند الفرصة . ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعى ، ولا هداه . اذا رجوا بذلك ادراك الثأر منك . وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ احمى أنوفا، وأقرب من عمياء الجاهلية . وكانوا عليهم أصلح منهم عليك . وللشدة واللين أهلون والافراط فى العفو أفضل من الافراط فى العقوبة والسلام . زكريا بن عيسى عن ابن شهاب . قال: خرجنا مع الحجاج حجاجا . فلما انتهينا الى البيداء وافينا ليلة

الهلال هلال ذي الحجة . فقال لنا الحجاج: تبصرون الهلال فاما أنا ففي بصرى غبرة . فقال له نوفل بن مساحق: أوتدرى لم ذلك اصلح الله الامير . قال :لا أدرى . قال الكثرة نظرك فى الدفاتر . الاصمعى قال :عرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب . و وجد فيهم اعرابى أخذ يبول فى أصل مدينة واسط فكان فيمن اطلق فانشا الاعرابى يقول :

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا و بلنا لا نخاف عقابا

أبو داود المصحفى عن النضر بن شميل قال : سمعت هشاما يقول : احصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة ألف وعشرين ألفا . وخطب الحجاج أهل العراق فقال : يا أهل العراق بلغنى انكم تروون عن نبيكم انه قال:من ملك على عشرة رقاب من المسلمين جئ به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور . وأيم الله انى لأحب الى ان احشر مع أبى بكر وعمر مغلولا من ان أحشر معكم مطلقا . ومرض الحجاج ففرح أهل العراق . وقالوا :مات الحجاج مات الحجاج . فلما أفاق صعد المنبر وخطب الناس . فقال: يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، مرضت فقلتم مات الحجاج . أما والله لاحب الى أن أموت من أن لا أموت وهل أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رأيت الله رضى بالخلود فى الدنيا لاحد من خلقه الا لابغض خلقه اليه وأهونهم عليه ابليس . ولقد رأيت العبد الصالح يسأل ربه . فقال: «رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى» . ففعل ثم اضمحل ذلك فكانه لم يكن . وأراد الحجاج أن يحج فاستخلف محمدا ولده على أهل العراق . ثم خطب فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق انى أردت الحج وقد استخلفت عليكم محمدا ولدى . وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فانه أوصى فيهم أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم . وانى أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ، وأن لا يتجاوز عن مسيئكم . الا وانكم قائلون بعدى مقالة لا يمنعكم من اظهارها الا خوفى . لا أحسن الله له الصحابة ، وأنا أعجل لكم الجواب: فلا احسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل فلما كان غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج . فلما كان بالعشى أتاه بريد من اليمن بوفاة محمد أخيه ففرح أهل العراق . وقالوا : انقطع ظهر الحجاج وهيض جناحه . فخرج فصعد المنبر ثم خطب الناس فقال: أيها الناس محمدان فى يوم واحد أما والله ما كنت أحب انهما معى فى الحياة الدنيا لما أرجو من ثواب الله لهما فى الآخرة . وأيم الله ليوشكن الباقى منى

ومنكم أن يفنى، والجديد ان يبلى، والحي مني ومنكم ان يموت، وان تدال الارض منا كما أدلنا منها فتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا. كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها. ثم نكون كما قال الله تعالى: «ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون» ثم تمثل بهذين البيتين:

عزائي نبي الله من كل ميّت * وحسبي ثواب الله من كل هالك
اذا ما لقيت الله عني راضيا * فان سرور النفس فيما هنالك

ثم نزل واذن للناس فدخلوا عليه يعزونه. ودخل فيهم الفرزدق. فلما نظر اليه قال يا فرزدق أما رثيت محمدا ومحمدا. قال: نعم أيها الامير وأنشد:

لئن جزع الحجاج ما من مصيبة * تكون لمحزون امض وأوجعا
من المصطفى والمنتقى من ثقاية * جناحاه لما فارقاه وودعا
جناحا عتيق فارقاه كلاهما * ولو نزعا من غيره لتضعضعا
ولوان يومي جمعتيه تتابعا * على شامخ صعب الذرى لتصدعا
سميا رسول الله سماهما به * اذا لم يكن عند الحوادث اخضعا

قال أحسنت وأمر له بصلة. فخرج وهو يقول: لو كلفني الحجاج بيتا سادسا لضرب عنقي قبل أن آتيه به وذلك انه دخل ولم يهيئ شيأ.

٣ — قولهم في الحجاج — الرياشي عن العتبي عن ابيه. قال: ما رأيت مثل الحجاج كان زيه زي شاطر، وكلامه كلام خارجي، وصولته صولة جبار. فسألته عن زيه قال: كان يرجل شعره ويخضب اطرافه. كثير بن هشام عن جعفر بن برقان. قال: سألت ميمون ابن مهران فقلت كيف ترى في الصلاة خلف رجل يذكر انه خارجي فقال انك لا تصلي له انما تصلي لله. قد كنا نصلي خلف الحجاج وهو حروري ازرقي. قال فنظرت اليه فقال: أتدري ما الحروري الازرقي هو الذي ان خالفت رأيه سماك كافرا واستحل دمك وكان الحجاج كذلك. ابو أمية عن أبي مسهر قال: حدثنا هشام بن يحيي عن أبيه قال حدثنا عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم. وحلف رجل بطلاق امرأته: ان الحجاج في النار فاتى امرأته فمنعته نفسها. فسأل الحسن بن ابي الحسن

البصري . فقال: لا عليك يا ابن أخي فانه ان لم يكن الحجاج في النار، فما يضرك ان تكون مع مع امرأتك على زنا . أبو أمية عن اسحق بن هشام عن عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن علي بن زيد. قال: لما مات الحجاج أتيت الحسن فاخبرته فخر ساجدا. علي بن عبد العزيز عن اسحق عن جرير بن منصور. قال: قلت لابراهيم ماترى في لعن الحجاج. قال: ألم تسمع لقول الله تعالى «ألا لعنة الله على الظالمين» فاشهد ان الحجاج كان منهم . وكيع عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله . قال: دخلت على الحجاج فما سلمت عليه. وكيع عن سفيان قال قال يزيد الرقاشي عن الحسن: اني لارجو للحجاج . قال الحسن: اني لارجو ان يخالف الله رجاءك . ميمون بن مهران قال: كان أنس وابن سيرين لا يبيعان ولا يشتريان بهذه الدراهم الحجاجية . قال عبد الملك بن مروان للحجاج: ليس من احد الا وهو يعرف عيب نفسه فصف لي عيوبك . قال: اعفني يا أمير المؤمنين . قال لابد ان تقول . قال: انا لجوج حسود حقود. قال: ما في ابليس شر من هذا . أبو بكر بن أبي شيبة قال قيل لعبد الله بن عمر: هذا الحجاج قد ولي الحرمين. قال ان كان خيرا شكرنا، وان كان شرا صبرنا. ابن أبي شيبة قال: قيل للحسن. ما تقول في قتال الحجاج. قال: ان الحجاج عقوبة من الله فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف . ابن أبي فضيل قال: حدثنا أبو نعيم قال أمر الحجاج بماهان ان يصلب على بابه فرأيته حين رفعت خشبته يسبح ويهلل ويكبر ويعقد بيده حتى بلغ تسعة وتسعين وطعنه رجل على تلك الحال فلقد رأيتها بعد شهر في يده. قال: وكنا نرى عند خشبته بالليل شبيها بالسراج . أبو داود المصحفي عن النضر بن شميل. قال: سمعت هشاما يقول: احصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة وعشرين ألفا

٤ — من زعم ان الحجاج كان كافرا — ميمون بن مهران عن الاجلح. قال قلت للشعبي: يزعم الناس ان الحجاج مؤمن قال مؤمن بالجبت والطاغوت كافر بالله . علي بن عبد العزيز عن اسحق بن يحيي عن الاعمش. قال: اختلفوا في الحجاج فقالوا بمن ترضون. قالوا بمجاهد فاتوه فقالوا انا قد اختلفنا في الحجاج فقال اجئتم تسألوني عن الشيخ الكافر . محمد بن كثير عن الاوزاعي. قال سمعت القاسم بن محمد يقول: كان الحجاج ابن يوسف ينقض عرى الاسلام عروة عروة. عطاء بن السائب. قال: كنت جالسا مع أبي البختري والحجاج يخطب . فقال في خطبته . «ان مثل عثمان عند الله كمثل عيسى بن مريم قال الله فيه

انى متوفيك و رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » . فقال أبو البخترى : كفر ورب الكعبة . ومما كفرت به العلماء الحجاج . قوله : ورأى الناس يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره انما يطوفون باعواد ورمة . الشيبانى عن الهيثم عن ابن عباس . قال كنا عند عبد الملك بن مروان : اذ اتاه كتاب الحجاج يعظم فيه أمر الخلافة ويزعم ان ماقامت السموات والارض الا بها وان الخليفة عند الله افضل من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين . وذلك ان الله خلق آدم بيده واسجد له الملائكة واسكنه جنته ثم اهبطه الى الارض وجعله خليفته وجعل الملائكة رسلا اليه . فاعجب عبد الملك بذلك . وقال : لوددت ان عندى بعض الخوارج فاخاصمه بهذا الكتاب . فانصرف عبد الله بن يزيد الى منزله . فجلس مع ضيفانه وحدثهم الحديث . فقال له حوار بن زيد الضبي وكان هاربا من الحجاج توثق لى منه . ثم اعلمنى به فذكر ذلك لعبد الملك ابن مروان . فقال : هو آمن على كل مايخاف فانصرف عبد الله الى حوار فاخبره بذلك . فقال بالغداة ان شاء الله . فلما أصبح اغتسل ولبس ثوبين ثم تحنط وحضر باب عبد الملك . فقال هذا الرجل بالباب فقال ادخله ياغلام فدخل رجل عليه ثياب بيض يوجد عليه ريح الحنوط . ثم قال : السلام عليكم ثم جلس فقال عبد الملك ائت بكتاب أبى محمد ياغلام فاتاه به فقال : اقرأ فقرأ حتى اتى على آخره . فقال حوار اراه قد جعلك فى موضع ملكا وفى موضع نبيا وفى موضع خليفة . فان كنت ملكا فمن أنزلك . وان كنت نبيا فمن أرسلك . وان كنت خليفة فمن استخلفك عن مشورة من المسلمين أم ابتززت الناس امورهم بالسيف . فقال عبد الملك قد أمناك ولا سبيل اليك والله لا تجاورنى فى بلد أبدا فارحل حيث شئت . قال فانى قد اخترت مصر فلم يزل بها حتى مات عبد الملك . على بن عبد العزيز عن اسحق بن اسمعيل الطائى . قال حدثنا جرير عن مغيرة عن الربيع قال . قال الحجاج فى كلام له : ويحكم اخليفة أحدكم فى أهله أكرم عليه أم رسوله اليهم . قال ففهمت ما أراد . فقلت : لله على ان لا أصلى خلفك صلاة أبدا ولئن وجدت قوما يقاتلونك لقاتلتك معهم فقاتل فى الجماجم حتى قتل . قيل للحجاج : كيف وجدت منزلك بالعراق . قال : خير منزل لو أدركت بها أربعا لتقربت الى الله بدمائهم . قيل : ومن هم . قال مقاتل بن مسلم ولى سجستان فاتاه الناس فاعطاهم الاموال . فلما قدم البصرة بسط الناس له أرديتهم فقال « لمثل هذا فليعمل العاملون » . وعبيد الله بن ظبيان قام فخطب خطبة أوجز فيها

فنادى الناس من أعراض المسجد: أكثر الله فينا أمثالك قال: لقد سالتم الله شططا . وسعيد بن زرارة كان ذات يوم جالسا على الطريق فمرت به امرأة فقالت ياعبدالله اين الطريق الى مكان كذا فغضب وقال المثلي يقال له ياعبدالله . وأبو سماك الحنفي اضل ناقته . فقال لئن لم يردها على لاصليت أبدا . فلما وجدها قال علم ان يمينى كانت برا قال ناقل الحديث: ونسى الحجاج نفسه وهو خامس الاربعة بل هو أفسقهم وأطغاهم وأعظمهم الحادا وا كفرهم فى كتابه الى عبد الملك بن مروان ان خليفة الله فى أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم . وكتابه اليه و بلغه انه عطس يوما فحمد الله وشمته أصحابه فرد عليهم ودعالهم . فكتب اليه : بلغنى ما كان من عطاس أمير المؤمنين ومن تشميت أصحابه له ورده عليهم فياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما . وكان عبد الملك كتب الى الحجاج فى اسرى الجماجم: ان يعرضهم على السيف . فمن اقر منهم بالكفر بخروجه علينا فخل سبيله، ومن زعم انه مؤمن فاضرب عنقه ففعل . فلما عرضهم أتى بشيخ وشاب فقال للشاب: امؤمن أنت ام كافر . قال بل كافر فقال الحجاج لكن الشيخ لا يرضى بالكفر . فقال له الشيخ أعن نفسى تخادعنى يا حجاج والله لو كان شيء أعظم من الكفر لرضيت به . فضحك الحجاج وخلى سبيلهما . ثم قدم اليه رجل فقال له على دين من أنت قال على دين ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . فقال اضربوا عنقه . ثم قدم آخر فقال له على دين من أنت قال على دين ابيك الشيخ يوسف . فقال: أما والله لقد كان صواما قواما خل عنه ياغلام . فلما خلى عنه انصرف اليه . فقال له يا حجاج سألت صاحبى على دين من أنت فقال على دين ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فامرت به فقتل وسالتنى على دين من أنت فقلت على دين أبيك الشيخ يوسف فقلت أما والله لقد كان صواما قواما فامرت بتخلية سبيلى . والله لو لم يكن لابيك من السيآت الا أنه ولد مثلك لكفاه فامر به فقتل . ثم أتى بعمران بن عصام العنوى . فقال: عمران قال نعم . قال ألم أوفدك على أمير المؤمنين ولا يوفد مثلك قال بلى . قال ألم أزوجك مارية بنت مسمع سيدة قومها ولم تكن لها أهلا قال بلى . قال فما حملك على الخروج علينا قال اخرجنى باذان . قال فاين كنت من حجة أهلك قال اخرجنى باذان . فامر رجلا فكشف العمامة عن رأسه فاذا هو محلوق قال ومحلوق أيضاً لا اقالنى الله ان لم أقتلك فامر به فضرب عنقه . فسأل عبد الملك بعد ذلك عن عمران بن عصام فقيل له قتله الحجاج . فقال ولم قال بخروجه مع ابن الاشعث . قال ما كان ينبغى له أن يقتله بعد قوله :

وبعثت من ولد الاغر معتب * صقرا يلوذ حمامه بالعوسج
فاذا طبخت بناره انضجتها * واذا طبخت بغيرها لم تنضج
وهو الهزبر اذا اراد فريسة * لم ينجها منه صريخ الهجهج

ثم أتى بعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشخير وسعيد بن جبير . وكان الشعبي ومطرف يريان التورية . وكان سعيد بن جبير لا يرى ذلك . فلما قدم له الشعبي قال اكافر أنت ام مؤمن . قال: اصلح الله الامير نبا بنا المنزل ، واجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة اتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال الحجاج: صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ، ولا فوا واخليا عنه . ثم قدم اليه مطرف بن عبد الله فقال له اكافر انت أم مؤمن . قال : اصلح الله الامير ان من شق العصا ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة ، واخاف المسلمين . لجدير بالكفر . فقال: صدق خليا عنه . ثم اتى بسعيد بن جبير . فقال له انت سعيد بن جبير . قال: نعم قال لا بل شقي ابن كسير قال أمي اعلم باسمي منك . قال: شقيت وشقيت أمك . قال الشقاء لاهل النار قال أكافر أنت أم مؤمن قال ما كفرت بالله منذ آمنت به قال اضربوا عنقه

٥ — موت الحجاج — مات الحجاج فى آخر أيام الوليد بن عبد الملك . فتفجع عليه وولى مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فاكتفى وجاوز . فقال الوليد: مات الحجاج ووليت مكانه يزيد بن أبي مسلم فكنت كمن سقط منه درهم وأصاب ديناراً . وكان الوليد بن عبد الملك يقول ان عبد الملك كان يقول الحجاج جلدة ما بين عيني . وأنف وأنا اقول: انه جلدة وجهي كله . لما بلغ عمر بن عبد العزيز موت الحجاج خر ساجدا . وكان يدعو الله ان يكون موته على فراشه ليكون أشد لعذابه فى الآخرة . أبو بكر بن عياش قال : سمع صياح الحجاج فى قبره فأتوا الى يزيد بن أبي مسلم فاخبروه . فركب فى اهل الشام فوقف على قبره فسمع فقال يرحمك الله يا أبا محمد فما تدع القراءة حتى ميتا . الرياشي عن الاصمعي قال : اقبل رجل الى يزيد بن ابي مسلم . فقال له : انى كنت أرى الحجاج فى المنام فكنت اقول له مافعل الله بك . قال قتلني بكل قتيل قتلته قتلة وأنا منتظر ما ينتظره الموحدون . ثم قال رأيته بعد الحول فقلت ماصنع الله بك . فقال: ياعاض بظر امه أماسألتنى عن هذا عام أول

فاخبرتك. فقال يزيد بن أبي مسلم أشهد انك رأيت أبا محمد حقا. وقال الفرزدق يرثي الحجاج ليرضي بذلك الوليد بن عبد الملك :

ليبك على الاسلام من كان باكيا * على الدين من متوحش الليل خائف
وأرملة لما أتاها نعيه * فجادت له بالوا كفات الذوارف
وقالت لعبديها انيخا فعجلا * فقدمات راعي ذودنا بالتنائف
فليت الاكف الدافنات ابن يوسف * يقطعن أو يجتثن فوق السقائف
فما ذرفت عيناي بعد محمد * على مثله الا نفوس الخلائف

قال ابن عباس فلقيت الفرزدق في الكوفة. فقلت له اخبرني عن قولك :

* فليت الاكف الدافنات ابن يوسف * يقطعن ما معناك في ذلك. فقال وددت والله ان أرجلهم تقطع مع أيديهم. قال ابن عباس فلما هلك الوليد واستخلف سليمان استعمل يزيد بن المهلب على العراق وأمره بقتل آل ابي عقيل فقتلهم. فانشأ الفرزدق يقول :

لئن نفر الحجاج آل معتب * لقوا دولة كان العدو يرى لها
لقد أصبح الاحياء منهم اذلة * وموتاهم في النار كلحا سبالها
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم * فصار عليهم بالعذاب انتقالها
وكنا اذا قلنا اتق الله شمرت * به عزة لا يستطاع جدالها
ألكني الى من كان بالصين اذرمت * به الهند الواحا عليها جلالها
هلم الى الاسلام والعدل عندنا * فقدمات من أرض العراق جبالها
ألا تشكرون الله اذفك عنكم * اذاهم بالمهدي صما ففالها
وشيمت به عنكم سيوف عليكم * صباح مساء بالعذاب استلالها
واذ أنتم من لم يقل هو كافر * تردى نهارا عثرة لا يقالها

قال ابن عباس. فقلت للفرزدق: ما أدري بأي قوليك نأخذ، امدحك في الحجاج حياته، أم هجوك له بعد موته. قال : انما نكون مع احدهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه تخلينا عنه. ولما مات الحجاج دخل الناس على الوليد يعزونه ويثنون على الحجاج خيرا وعنده عمر بن عبد العزيز فالتفت اليه ليقول فيه ما يقول الناس. فقال: يا أمير المؤمنين فهل كان الحجاج الا رجلا منا فرضينا منه

٦ — أخبار البرامكة — قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ حدثني سهل بن هرون قال : والله ان كانوا سجعوا الخطب، ومزجوا القريض لعيال على يحيي بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيي . ولو كان كلام يتصور درا، أو يحيله المنطق السرى جوهرا، لكان كلامهما والمنتقى من لفظهما . ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد و بديهته وتوقيعاته فى كتبه فدمين عيين ، وجاهلين أميين . ولقد عمرت معهم وأدركت طبقة المتكلمين فى ايامهم وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم، ولم تكن مقصورة الا عليهم، ولا انقادت الا لهم، وانهم محض الايام ، ولباب الكرام، وملح الانام، عتق منظر، وجودة مخبر، وجزالة منطق: وسهولة لفظ، ونزاهة أنفس ، واكتمال خصال، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم، والمأثور من خصالهم، كثير أيام سواهم من لدن آدم أبيهم الى النفخ فى الصور ، وانبعاث اهل القبور ، حاشى أنبياء الله المكرمين ، واهل وحيه المرسلين لما باهت الا بهم، ولا عولت الا عليهم، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم اعراقهم : وسعة آفاقهم ، ورونق سياقهم ، ومعسول مذاقهم: وبهاء اشراقهم ، ونقاوة أعراضهم ، وتهذيب أغراضهم ، واكتمال الخير فيهم، فى جنب محاسن المأمون كالنقطة فى البحر ، والخردلة فى المهمه القفر . قال سهل بن هرون : انى لاحصل أرزاق العامة بين يدى يحيي بن خالد فى بناء خلا به داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقد بها جملا بكفه اذ غشيته سآمة فأخذته سنة فغلبته عيناه. فقال: ويحك ياسهل طرق النوم شفرى وأكلت السنة خواطرى. فما ذلك قلت ضيف كريم، ان قريته روحك، وان منعته عنتك، وان طردته طلبك ، وان أقصيته أدركك وان غالبته غلبك. قال: فنام أقل من فواق بكية أو نزع ركية. ثم انتبه مذعورا. فقال ياسهل لامر ما كان والله لقد ذهب ملكنا وولى عزنا وانقضت أيام دولتنا. قلت وماذاك أصلح الله الوزير قال كأن منشداً أنشدنى :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاجبته من غير روية ولا اجالة فكرة :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

قال فوالله مازلت أعرفها منه وأراها ظاهرة فيه الى الثالث من يومه ذلك فانى لفى مقعدى بين يديه أكتب توقيعات فى أسافل كتبه لطلاب الحاجات اليه. قد كلفنى اكمال معانيها باقامة الوزن

فيها اذوجدت رجلا سعى اليه حتى ارتمى مكبا عليه . فرفع رأسه. فقال مهلا ويحك ما أكتتم خير ولا استترشر. قال قتل امير المؤمنين جعفراً الساعة قال أوقد فعل. قال نعم قال فما زاد على ان رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة. قال سهل بن هرون: فلو انكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم وضم يحيي بن خالد و بقية ولده الفضل ومحمد وخالد بنيه. وعبد الملك. ويحيي وخالدا بنى جعفر بن يحيي . والعاصى ومزيدا وخالدا ومعمرا بنى الفضل بن يحيي. ويحيي وجعفرا ويزيدا بنى محمد بن يحيي. وابراهيم ومالكا وجعفرا وعمر ومعمرا بنى خالد بن يحيي . ومن لف لفهم أوهكس بصدره أمل فيهم و بعث الى الرشيد فوالله لقد أعجلت عن النظر فلبست ثياب أحزانى واعظم رغبتى الى الله الا راحة بالسيف والا نعيت فى نعى جعفر. فلما دخلت عليه عرف الذعر فى تحريض ربقى وشخوصى الى السيف المشهور ببصرى. فقال: أيها يا سهل من غمط نعمتى واعتدى وصيتى وجانب موافقتى أعجلته عقوبتى. قال: فوالله ما وجدت جوابها حتى. قال يفرخ روعك ويسكن جاشك وتطيب نفسك وتطمئن حواسك فان الحاجة اليك قربت منك وأبت عليك بما يبسط منقبضك ويطلق معقولك فاقتصر على الاشارة دون اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الناصل وأشار الى مصرع جعفر. فقال:

مـــن لم يؤدبه الجميـ * ل ففى عقوبته صلاحه

قال سهل والله ما أعلم انى عييت بجواب أحد قط غير جواب الرشيد يومئذ فما عولت فى الشكر الا على تقبيل باطن رجليه. ثم قال اذهب فقد احللتك محل يحيي ووهبتك ما ضمته ابنيته وما حواه سرادقه فاقبض الدواوين واحص حباءه وحباء جعفر لنأمرك بقبضه ان شاء الله. قال سهل فكنت كمن نشر عن كفن وأخرج من حبس وأحصيت حباءهما فوجدته عشرين ألف ألف دينار. ثم قفلت راجعا الى بغداد وفرق البرد الى الامصار بقبض أموالهم وغلاتهم وأمر بجيفة جعفر وجثته ففصلت على ثلاثة جذوع رأسه فى جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط و بعض جسده على جذع بالجزيرة وسائره فى جذع على آخر الجسر الثانى مما يلى باب بغداد فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذى فيه وجه جعفر واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه فأنا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل الحاجب عن يساره. فلما نظر اليه

الرشـيد وكان ألقى شعره وطلى بنور بشره اربد وجهه واغضى بصره . فقال عبـد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو أمير المؤمنين . وقال الرشـيد من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه ومن أراد فهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحلته على بالنضاحات فنضح عليها حتى احترقت عن آخرها وهو يقول لئن ذهب أثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك لقد عـلا ذكرك . قال سهل بن هرون : وأمر بضم أموالهم فوجـد من العشرين الف الف التى كانت مبلغ جبايتهم اثنى عشر الف الف مكتوب على بدرها صكوك مخترمة تفسيرها رقيا حبوا بها . فما كان منها حباء على غريبة أو استطراف ملحة تصـدق به يحي وأثبت ذلك فى دوانها على تواريخ أيامها . فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر أموالهم ثلاثين ألف الف وستمائة الف وسـتة وسبعين ألفا الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورياشهم والدقيق والجليـل من مواهبهم فانه لا يوصف أقله ولا يعرف أيسره الا من أحصى الاعمال وعرف منتهى الآجال وابرزت حرمه الى دار الياقوتة ابنة المهدى . فوالله ما علمته عاش ولا عيش الا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لا يعلم من ملك قبله على آخر ملـكه . وكانت أم جعفر بن يحي وهى فاطمة ابنة محمد بن الحسين بن قحطبة أرضعت الرشـيد مع جعفر لانه كان ربى فى حجرها وغذى برسلها لان أمه ماتت عن مهده . فكان الرشيد يشاورها مظهر الاكرامها والتبرك برأيها وكان آلى وهو فى كفالتها ان لا يحجبها ولا استشفعته لاحد الا شفعها وآلت عليـه أم جعفر ان لا دخلت عليه الا مأذونا لها ولا شفعت لاحد لغرض دنيا . قال سهل فكم أسير فـكت ومهم عنده فتحت ومستغلق منه فرجت . واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليـه من دار الياقوتة ومتت بوسائلها اليه فلم يأذن لهـا ولا أمر بشىء فيها . فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية فى مشيها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى شفقة أم الواحـد . فقال الرشيد ويحك يا عبد الملك أوساعية . قال نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال ادخلها يا عبـد الملك فرب كبد غذتها وكربة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فما شككت يومئذ فى النجاة بطلابها واسعافها بحاجتها فدخلت . فلما نظر الرشيد اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس واكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها . ثم اجلسها معه . فقالت يا أمير المؤمنين أيعـدو علينا الزمان ويجفونا خوفا لك الاعوان ويحردك بنا البهتان وقد ربيتك فى حجرى وأخـذت برضاعك

الامان من عـدوى ودهرى . فقال لها وماذلك يا أم الرشيد قال سهل فآيسني من رأفته بتركه كنيتها آخرا ما كان اطمعني من بره بها أولا قالت ظئرك يحيي وابوك بعدابيك ولا اصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته واشفاقه عليه وتعرضه للحتف فى شأن موسى اخيه . قال لها يا أم الرشـيد أمر سبق وقضاء حم وغضب من الله نفذ . قالت يا أمير المؤمنـين يمحو الله ما يشاء و يثبت وعنده أم الكتاب . قال صدقت فهذا مما لم يمحه الله . فقالت الغيب محجوب عن النبيين فـكيف عنك يا أمير المومنين . قال سهل بن هرون فاطرق الرشيد مليا ثم قال :

واذا المنية أنشبت اظفارها * الفيت كل تميـمة لا تنفع

فقالت بغير روية ما أنا ليحيي بتميمة ياامير المؤمنين . وقد قال الاول :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال

هذا بعـد قول الله عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فأطرق هرون مليا . ثم قال ياأم الرشيد اقول :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * اليـه بوجـه آخر الدهر تقبـل

فقالت ياامير المؤمنين وأقول :

ستقطع فى الدنيـا اذا ما قطعتني * يمينـك فانظر اى كف تبـدل

قال هرون رضيت قالت فهبه لى يا امير المؤمنين . فقد قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيأ لله لم يوجده الله فقده فأكب هرون مليا . ثم رفع رأسه يقول لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنـين و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . واذكر يا أمير المؤمنين أليتك مااستشفعت الا شفعتني . قال واذكرى يا أم الرشـيد اليتك ان لا شفعت لمقترف ذنبا . قال سهل بن هرون . فلما رأته صرح بمنعها ولاذ عن مطلبها أخرجت حقا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه . فقال الرشـيد ماهذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فأخرجت منـه خفضه وذوائبه وثناياه قد غمست جميع ذلك فى المسك . فقالت ياأمير المؤمنين استشفع اليك واستعين بالله عليك و بما صار معى من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك فأخذ هرون ذلك فلثمه . ثم استـعبر و بكى بكاء شديدا و بكى أهل المجلس ومر البشـير الى يحيي وهو لا يظن الا ان البكاء رحمة له و رجوع عنه . فلما أفاق رمى جميع ذلك فى الحق وقال لها لحسن ما حفظت الوديعة . قالت وأهل للمكافاة أنت ياأمير المؤمنين فسكت وقفل الحق ودفعه اليها . وقال ان الله

يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها . قالت والله يقول واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل و يقول وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم . ثم قال وماذلك يا أم الرشيد قالت وما أقسمت لى به أن لا تحجبنى ولا تمهننى . قال أحب ياأم الرشيد ان تشتريه محكمة فيه . قالت انصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك . قال بكم قالت برضاك عمن لم يسخطك . قال ياأم الرشيد امالى عليك من الحق مثل الذى لهم . قالت بلى ياأمير المؤمنين أنت اعز على وهم أحب الى قال فتحكمى فى ثمنه بغيرهم . قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه و بقى مبهوتا ما يحير لفظة . قال سهل وخرجت فلم تعد ولا والله ما رأيت لها عبرة ولا سمعت لها انة . قال سهل وكان الامين محمد بن زبيدة رضيع يحيى بن جعفر فمت اليه يحيى بن خالد بذلك . فوعده استيهابه أمه اياه وتكلمها فيهم . ثم شغله اللهو عنهم فكتب اليه يحيى و يقال انها لسليمان الاعمى أخى مسلم بن الوليد . وكان منقطعا الى البرامكة يقول :

ياملاذى وعصمتى وعمادى * ومجيرى من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء فى كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد
انما أنت نعمة اعقبتها * نعم نفعها لكل العباد
وعدمولاك اتمنه فابهى الدار * ما زين حسنه بانعقاد
ما أظلت سحائب اليأس الا * كان فى كشفها عليك اعتمادى
ان تراخت يداك عنى فواقا * اكلتنى الايام اكل الجراد

و بعث بها الى الامين محمد . فبعث بها الامين الى أمه زبيدة فاعطتها هرون وهو فى موضع لذته وعند اقبال أريحيته وتهيأت للاستشفاع لهم وهيات جوار بها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام معها اذا قامت . فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم تنقض حبوته حتى وقع فى أسفلها عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك ورمى بها الى زبيدة . فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه . وقال بعض الهاشميين : أخبرنى اسحق بن على بن عبد الله بن العباس . قال كنت أساير الرشيد يوما والامين عن يمينه والمامون عن شماله فاستدنانى وقدمهما امامه فسايرته فجعل يحدثنى . ثم بدأ يشاورنى فى أمر البرامكة واخبرنى بما أضمر عليه لهم فانهم استوحشوه من أنفسهم وانى عنده بالموضع الذى لا يكتمنى شيأ من أمرهم . فقلت ياأمير المؤمنين لا تنقلنى من السعة الى الضيق . فقال الرشيد الاان تقول فانى لا أتهمك فى نصيحة ولا أخافك على رأى ولا مشورة . فقلت ياأمير المؤمنين

انى أرى نفاستك عليهم بما صاروا اليه من النعمة والسعة ولك ان تامر وتنهى وهم عبيدلك بانباتك اياهم . فهل يصنعون ذلك كله الا بك قال وكنت احطب فى حبال البرامكة . فقال لى فضياعهم ليس لولدى مثلها وتطيب نفسى بذلك لهم . فقلت ياأمير المؤمنين ان الملك لا يحسد ولا يحقد ولا ينعم نعمة ثم يفسد نعمته . قال فرأيته قد كره قولى وزوى وجهه عنى . قال اسحق فعلمت انه سيوقع بهم . ثم انصرفت فكتمت الخبر فلم يسمع به أحد وتجنبت لقاء يحيى البرامكة خوفا ان يظن انى أفضى اليهم بسره حتى قتلهم . وكان أشد ما كان اكرامالهم وكان قتلهم بعد ست سنين من تاريخ ذلك اليوم . وكان يحيى بن خالد بن برمك قد اعتل قبل النازلة التى نزلت بهم فبعث الى منكة الهندى . فقال ماذا ترى فى هذه العلة . فقال منكة داء كبير دواؤه يسير والشكر أيسر وكان متفننا . فقال له يحيى ربما ثقل على السمع خطرة الحق به واذا كان ذلك كان الهجر له الزم من المفاوضة . قال منكة لكننى أرى فى الطالع أثرا والامر فيه قريب وانت قسيم فى المعرفة وربما كانت صورة النجم عقيمة الانتاج لها ولكن الاخذ بالحزم أوفى حظ الطالبين . قال يحيى الامور منصرفة الى العواقب وما حتم فلابد ان يقع والمنعة بمسالمة الايام نهزة فاقصد مادعوتك له من هذا الامر الموجود بالمزاج . قال منكة هى الصفراء مازجتها مائية من البلغم فحدث لذلك مايحدث من اللهب عند ممارسة رطوبة المادة من الاشتعال فخذ ماء الرمان فدق فيه هليلجة سوداء تنهضك مجلسا أو مجلسين ويسكن ذلك التوقد ان شاء الله . فلما كان من أمرهم ما كان تلطف منكة حتى دخل الحبس فوجد يحيى قاعدا على لبد والفضل بين يديه يخدم فاستعبر منكة باكيا . وقال كنت ناديت لو أسرعت الاجابة . قال له يحيى أتراك كنت علمت من ذلك شيأ جهلته كلا ولكن كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفقة . وكان مزايلة القدر الخطير عنا أقل ما تنهض به الهمة . فقد كانت نعم أرجو ان يكون أولها شكرا، وآخرها أجرا، فما تقول فى هذا الداء . قال منكة ما أرى له دواء انفع من الصبر ولو كان يفدى بملك أو بمفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك . قال يحيى قد شكرت ماذكرت فان أمكنك تعاهدنا فافعل . قال منكة لو أمكننى تخليف الروح عندك مابخلت به فانما كانت الايام تحسن بسلامتك . وكتب يحيى بن خالد : فى الحبس الى هرون الرشيد لامير المؤمنين ، وخليفة المهديين، وامام المسلمين، وخليفة رب العالمين ، من عبد أسلمته ذنوبه ، وأوبقته عيوبه ، وخذله شقيقه ، ورفضه

صديقه ، ومال به الزمان ، ونزل به الحدثان ، فعالج البؤس بعد الدعة ، وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهاد بعد الهجود ، ساعته شهر ، وليلته دهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت، جزعا لموجدتك يا أمير المؤمنين وأسفا على مافات من قربك لا على شيء من المواهب لان الاهل والمال انما كانا لك وبك وكانا في يدي عارية والعارية مردودة . وأما ما أصبت به من ولدي فبذنبه ولا أخشى عليك الخطأ في أمره ولا ان تكون تجاوزت به فوق حده تفكر في أمري جعلني الله فداك وليمل هواك بالعفو عن ذنب ان كان فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة وانما اعتذر اليك باقرار ما يجب به الاقرار حتى ترضى فاذا رضيت رجوت ان شاء الله ان يتبين لك من أمري وبراءة ساحتي ما لا يتعاظمك بعده ذنب ان تغفره مد الله لي في عمرك وجعل يومي قبل يومك وكتب اليه بهذه الابيات :

قل للخليفة ذي الصنيـــعة والعطايا الفاشية * وابن الخلائف من قريـ
ـش والملوك العاليه * ان البرامكة الذين رموا لديك بداهيه
صفر الوجوه عليهم * خلع المذلة باديه * فكأنهم مما بهم
أعجاز نخل خاويه * عمتهم لك سخطة * لم تبق منهم باقيه
بعد الامارة والوزا * رة والامور الساميه * ومنازل كانت لهم
فوق المنازل عاليه * أضحوا وجل مناهم * منك الرضا والعافيه
يا من يودلي الردى * يكفيك مني ما بيه * يكفيك ما أبصرت من
ذلي وذل مكانيه * وبكاء فاطمة الكئيبة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع * ياسوأتي وشقائيه * من لي وقد غضب الزما
ن على جميع رجاليه * يالهف نفسي لهفها * ما للزمان وماليه
ياعطفة الملك الرضا * عودي علينا ثانيه

فلم يكن له جواب من الرشيد واعتل يحيى في الحبس . فلما أشفى دعا برقعة فكتب في عنوانها ينفذ أمير المؤمنين عهد مولاه يحيى بن خالد وفيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وأنت على الاثر والله حكم عدل وستقدم فتعلم . فلما ثقل قال للسجان هذا عهدي توصله الى أمير المؤمنين فانه ولي نعمتي وأحق من نفذ وصيتي . فلما مات يحيى أوصل

السجان عهده الى الرشيد . قال سهل بن هرون وأنا عند الرشيد اذ وصلت الرقعة اليه . فلما قرأها جعل يكتب فى أسفلها ولا أدرى لمن الرقعة . فقلت له يا أمير المؤمنين . ألا أكفيك قال كلا انى أخاف عادة الراحة ان يتقوى سلطان العجز فيحكم بالغفلة و يقضى بالبلادة ووقع فيها الحكم الذى رضيت به فى الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه قال ثم رمى بالصك الى . فلما رأيته علمت انه ليحيى . وان الرشيد أراد ان يؤثر الجواب عنه . وقال دعبل يرثى بنى برمك :

ولما رأيت السيف جلل جعفرا * ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت انما * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

﴿ وقال سليمان الاعمى يرثى بنى برمك ﴾

هدأ الخالون عن شجوى وناموا * وعينى لا يلائمها منام
وما سهرى بانى مستهام * اذا سهر المحب المستهام
ولكن الحوادث أرقتنى * فبى أرق اذا هجع النيام
أصبت بسادة كانوا عيونا * بهم نسقى اذا انقطع الغمام
فقلت و فى الفؤاد ضريم نار * وللعبرات من عينى انسجام
على المعروف والدنيا جميعا * ودولة آل برمك السلام
جزعت عليك يا فضل بن يحيى * ومن يجزع عليك فلا يلام
هوت بك أنجم المعروف فينا * وعز بفقدك القوم اللئام
وما ظلم الاله أخاك لكن * قضاء كان سببه اجترام
عقاب خليفة الرحمن فخر * لمن بالسيف صبحه الحمام
عجبت لما دها فضل بن يحيى * وما عجبى وقد غضب الامام
جرى فى الليل طائرهم بنحس * وصبح جعفرا منه اصطلام
ولم أر قبل قتلك يا ابن يحيى * حساما قده السيف الحسام
برين الحادثات له سهاما * فغالته الحوادث والسهام
ليهن الحاسدين بان يحيى * أسير لا يضيم و يستضام
وان الفضل بعد رداء عز * غدا ورداؤه ذال ولام

فقل للشامتين به جميعا * لكم أمثالها عام فعام
أمين الله فى الفضل بن يحيى * رضيعك والرضيع له ذمام
أبا العباس ان الكل هم * وان طال انقراض وانصرام
أرى سبب الرضاء له قبول * على الله الزيادة والتمام
وقد آليت فيه بصوم شهر * فان تم الرضا وجب الصيام
وقد آليت معتذرا بنذر * ولى فيما نذرت به اعتزام
بان لاذقت بعدكم مداما * وموتى أن يفارقنى المدام
أألهو بعدكم وأقر عينا * على اللهو بعدكم حرام
وكيف يطيب لى عيش وفضل * أسير دونه البلد الشآم
وجعفر ثاويا بالجسر أبلت * محاسنه السمائم والقتام
أمر به فيغلبنى بكائى * ولكن البكاء له اكتتام
أقول وقمت منتصبا لديه * الى ان كاد يفضحنى القيام
اما والله لولا خوف واش * وعين للخليفة لاتنام
لثمنا ركن جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام

وقال بعض الشعراء يغرى هرون ببنى برمك

قل للخليفة يا كتفائه * دون الانام بحسن رائه
أما بدأت بجعفر * فاسق البرامك من أنائه
ما برمكى بعده * تقف الظنون على وفائه
انى وقصد البرمكى الى انتكاث من شقائه
فلقد رفعت لجعفر * ذكرين قلا فى جزائه
فارفع ليحيى مثله * ما العود الا من لحائه
واخضب بصدر مهند * عثنون يحيى من دمائه

﴿ابراهيم بن المهدى﴾ قال : قال لى جعفر بن يحيى يوما انى استأذنت أمير المؤمنين فى الحجامة وأردت أن أخلو بنفسي وأفر من أشغال الناس وأتوحد فهل أنت مساعدى . قلت جعلنى الله

فداك أنا أسعد بمساعدتك وآنس بمخالاتك . فقال بكر الى بكور الغراب . قال: فاتيت عند الفجر الثانى فوجدت الشمعة بين يديه وهو قاعد ينتظرنى للميعاد . قال فصلينا ثم أفضنا فى الحديث حتى أتى وقت الحجامة فأتى الحجام فحجمنا فى ساعة واحدة . ثم قدم الينا الطعام فطعمنا فلما غسلنا أيدينا خلع علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وظللنا بأسر يوم مر بنا ثم انه تذكر حاجة فدعا الحاجب . فقال له اذا جاء عبد الملك القهرمان فأذن له فنسي الحاجب وجاء عبد الملك بن صالح الهاشمى على جلالته وسنه وقدره وأدبه فاذن له الحاجب فما راعنا الا طلعة عبد الملك بن صالح فتغير لذلك وجه جعفر بن يحيي وتنغص عليه ما كان فيه . فلما نظر اليه عبد الملك على تلك الحالة دعا غلامه فدفع اليه سيفه وسواده وعمامته ثم جاء فوقف على باب المجلس فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم . قال فجاء الغلام فطرح عليه ثياب المنادمة ودعا بطعام فطعم ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثا . ثم قال ليخفف عنى فانه شىء ماشربته قط فتهلل وجه جعفر فرحا . وقد كان الرشيد حاور عبد الملك على المنادمة فابى ذلك وتنزه عنه . ثم قال له جعفر بن يحيي جعلنى الله فداك قد تفضلت وتطولت فهل من حاجة تبلغها مقدرتى وتحيط بها نعمتى فاقضيها لك مكافأة لما صنعت . قال بلى ان قلب أمير المؤمنين عاتب على فتسأله الرضا عنى . فقال قد رضى عنك أمير المؤمنين . ثم قال وعلى أربعة آلاف دينار قال هى حاضرة ولكن من مال أمير المؤمنين أحب الى من مالى . قال وابنى ابراهيم أحب ان أشد ظهره بمصاهرة أمير المؤمنين . قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته عائشة العالية . قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه بولاية قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر. قال فانصرف عبد الملك ونحن نعجب من اقدام جعفر على الرشيد من غير استئذان فلما كان الغد وقفنا على باب أمير المؤمنين ودخل جعفر فلم يلبث أن دعى بابى يوسف القاضى ومحمد بن الحسن وابراهيم بن عبد الملك . فعقد له النكاح وحملت البدر الى عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر . وخرج جعفر فاشار الينا . فلما صار الى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله فالتفت الينا . فقال تعلقت قلوبكم باول أمر عبد الملك فاحببتم ان تعرفوا آخره وانى لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه سالنى عن أمسى فابتدأت أحدثه بالقصة من أولها الى آخرها فجعل يقول أحسن والله . ثم قال فما أجبته فجعلت أخبره وهو يقول فى كل شىء أحسن وخرج ابراهيم واليا على مصر

٧ — أخبار الطالبيين — حدث عبد العزيز بن عبد الله البصرى عن عثمان بن سعيد ابن سعد المدنى قال : لما ولى الخلافة أبو العباس السفاح قدم عليه بنو الحسن بن على بن أبى طالب فاعطاهم الاموال وقطع لهم القطائع . ثم قال لعبد الله بن الحسن احتكم على . قال يا أمير المؤمنين بالف ألف درهم فانى لم أرها قط فاستقرضها أبو العباس من ابن أبى مقرن الصيرفى وأمر له بها . قال عبد العزيز لم يكن يومئذ بيت مال . ثم ان أبا العباس أتى بجوهر مروان فجعل يقلبه وعبد الله بن الحسن عنده فبكى عبد الله . فقال له ما يبكيك يا أبا محمد . قال هذا عند بنات مروان وما رأت بنات عمك مثله قط . قال فحباه به ثم أمر أبا مقرن الصيرفى أن يصل اليه ويبتاعه منه فاشتراه منه بثمانين ألف دينار . ثم حضر خروج بنى حسن فارسل معهم رجلا من ثقاته . ثم قال له قم بانزالهم ولا تأل فى الطافهم وكلما خلوت معهم فاظهر الميل اليهم والتحامل علينا وعلى ناحيتنا وانهم أحق بالامر منا واحص لى ما يقولون وما يكون منهم فى مسيرهم ومقدمهم . ومما كان خشن قلب أبى العباس حتى أساء بهم الظن انه لما بنى مدينة الانبار دخلها مع أبى جعفر أخيه وعبد الله بن الحسن وهو يسير بينهما ويريهما بنيانه وما أقام فيها من المصانع والقصور . فظهرت من عبد الله بن الحسن فلتة فجعل يتمثل بهذه الابيات

ألم تر حوشبا قد صار يبنى * قصورا نفعها لبنى نفيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليله

قال فتغير وجه أبى العباس وقال له أبو جعفر : أتراهما ابنيك ابا محمد والامر اليهما صائر لامحالة . قال لا والله ماذهبت هذا المذهب ولا اردته ولا كانت الا كلمة جرت على لسانى لم الق لها بالا فاوحشت تلك الكلمة ابا العباس . فلما قدم المدينة عبد الله بن حسن اجتمع اليه الفاطميون . فجعل يفرق فيه من أموال التى بعث بها أبو العباس فعظم بها سرورهم . فقال لهم عبد الله بن الحسن فرحتم قالوا ومالنا لا نفرح بما كان محجوبا عنا بايدى بنى مروان حتى أتى الله بقرابتنا وبنى عمنا فصار واليها . قال لهم أفرضيتم ان تنالوا هذا من تحت أيدى قوم آخرين . فخرج الرجل الذى كان وكله أبو العباس باخبارهم فاخبره بما سمع من قولهم وقوله فاخبر أبو العباس أبا جعفر بذلك فزادت الامور شرا ثم مات أبو العباس وقام أبو جعفر بالامر بعده فبعث بعطاء أهل المدينة وكتب الى عامله ان أعط الناس فى أيديهم ولا تبعث الى أحد بعطائه وتفقد بنى هاشم ومن تخلف

منهم ممن حضر وتحفظ بمحمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن . ففعل وكتب انه لم يختلف أحد عن العطاء الا محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن فانهما لم يحضرا . فكتب أبو جعفر الى عبد الله بن الحسن وذلك مبدأ سنة تسع وثلاثين ومائة يسأله عنهما ويأمره باظهارهما ويخبره انه غير غادره ، فكتب اليه عبد الله انه لا يدرى أين هما ولا أين توجها وان غيبتهما غير معروفة . فلم يلبث أبو جعفر وكان قد أذكى العيون ووضع الارصاد حتى جاءه كتاب من بعض ثقاته يخبره ان رسولا لعبد الله ومحمد وابراهيم خرج بكتب الى رجال بخراسان يستدعيهم اليه . فأمر أبو جعفر برسولهم فأتى به وبكتبه فردها الى عبد الله بن الحسن بطوابعها لم يفتح منها كتابا ورد اليه رسوله . وكتب اليه انى أتيت برسولك والكتب الذى معه فرددتها اليك بطوابعها كراهية ان أطلع منها على ما يغير لك قلبي . فلا تدع الى التقاطع بعد التواصل ولا الى الفرقة بعد الاجتماع . وأظهر لى ابنيك فانهما سيصيران بحيث يحب من الولاية والقرابة وتعظيم الشرف . فكتب اليه عبد الله بن حسن يعتذر اليه ويتنصل فى كتابه ويعلمه ان ذلك من عدو أراد تشتيت ما بينهم بعد التئامه . ثم جاءه كتاب ثقة من ثقاته يذكر ان الرسول بعينه خرج بالكتب باعيانها على طريق البصرة وانه نازل على فلان المهلبي فان أراده أمير المؤمنين فليضع عليه رصده . فوضع اليه أبو جعفر رصده فأتى به اليه ومعه الكتب فحبس الرسول وأمضى الكتب الى خراسان مع رسول من عنده من أهل ثقاته . فقدمت عليه الجوابات بما كره واستبان له الامر . فكتب الى عبد الله ابن الحسن يقول :

أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

أما بعد فقد قرأت كتبك وكتب ابنيك وأنفذتها الى خراسان . وجاءتنى جواباتها بتصديقها وقد استقر عندى انك مغيب لابنيك تعرف مكانهما فأظهرهما الى فان لك على ان أعظم صلتهما وجوائزهما وأضعهما بحيث وضعتهما قرابتهما فتدارك الامور قبل تفاقمها . فكتب اليه عبد الله بن الحسن :

وكيف أريد ذاك وأنت منى * وزندك حين تقدح من زنادى

وكيف أريد ذاك وأنت منى * بمنزلة النياط من الفؤاد

وكتب اليه انه لا يدرى أين توجها من بلاد الله ولا يدرى أين صارا وانه لا يعرف الكتب ولا

يشك انها مفتعلة . فلما اختلفت الامور على أبي جعفر بعث سالم بن قتيبة الباهلي و بعث معه بمال وأمره بامره وقال له انى انما أدخلك بين جلدى وعظمى فلا توطئنى عشواء ولا تخف عنى أمرا تعلمه . فخرج سالم بن قتيبة حتى قدم المدينة وكان عبد الله يبسط له فى رخام المنبر فى الروضة . وكان مجلسه فيه فجلس اليه واظهر له المحبة والميل الى ناحيته . ثم قال له حين أنس اليه ان نفرا من أهل خراسان وهم فلان وفلان وسمى لهم رجالا يعرفهم ممن كان يكاتب ممن استقر عند أبى جعفر أمره قد بعثوا اليك معى مالا وكتبوا اليك كتابا فقبل الكتاب والمال وكان المال عشرة آلاف دينار . ثم أقام معه ماشاء الله حتى ازداد به انسا واستئمانا . ثم قال له انه قد بعث بكتابين الى أمير المؤمنين محمد والى ولى عهده ابراهيم وأمرت أن لا أوصل ذلك الا فى أيديهما فان أوصلتنى اليهما وادخلتنى عليهما أوصلت اليهما الكتابين والمال ورحلت الى القوم بما يثلج صدورهم وتقبله قلوبهم فاناعندهم بموضع الصدق والامانة وان أمرهما مظلم وان لم تكن تعرفهم كانهما لم يخاطر وابدينهم وأموالهم ومهجهم . فلما رأى عبد الله ان الامور تفسد عليه من حيث يرجو صلاحها الا بايصاله اليهما واظهارهما له أوصله . فدفع الكتابين مع أربعين الف درهم . ثم قال هذا محمد وهذا ابراهيم . فقال لهم ان من ورائى لم يبعثونى ولهم ورائى غاية وليس مثلى يتصرف الى قوم الا بجملة مايحتاجون اليه ومحمد انما صار الى هذه الخطة ووجبت له هذه الدعوة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وههنا من هو أقرب من رسول الله رحما وأوجب حقا منه . قال ومن هو قال أنت الا ان يكون عند ابنك محمد أثر ليس عندك فى نفسك . قال فكذلك الامر عندى . قال له فان القوم يقتدون بك فى جميع أمورهم ولا يريدون ان يبذلوا دينهم وأموالهم وأنفسهم الا بحجة يرجون بها لمن قتل منهم الشهادة فان أنت خلعت أبا جعفر وبايعت محمدا اقتدوا بك وان أبيت اقتدوا بك أيضا فى تركك ذلك ثقة بك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك الذى وضعك الله فيه . قال فانى أفعل فبايع محمدا وخلع أبا جعفر و بايعه سالم من بعده وأخذ كتبه وكتب ابراهيم ومحمد فخرج فقدم على أبى جعفر وقد حضر الموسم . فأخبره بحقيقة الامر و بعينه . فلما حضر أبو جعفر المدينة أرسل الى بنى الحسن فجمعهم وقال لسالم اذا رأيت عبد الله عندى فقم على راسى واشر الى بالسلاح . ففعل فلما رآه عبد الله سقط فى يده وتغير وجهه . فقال له أبو جعفر مالك أبا محمد أتعرفه . قال نعم يا أمير المؤمنين

فاقلني وصلتك رحم . فقال له أبوجعفر هل علمت انك تعرف موضع ولديك وانه لا عذر لك وقد باح السر فاظهرهما الي ولك ان أصل رحمك و رحمهما وان أعظم ولايتهما وأعطي كل واحد منهما الف الف درهم . فتراجع هو وعبد الله حتى جبذ على ظهره و بنوحسن اثنا عشر رجلا فامر بحبسهم جميعا وخرج أبوجعفر فعسكر من ليلته على ثلاثة اميال من المدينة وعبي على القتال ولم يشك ان أهل المدينة سيقاتلونه في بني حسن فعبي ميمنة وميسرة وقلبا وتهيأ للحرب واجلس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عشرين معطيا يعطون العطايا . فلم يتحرك عليه منهم أحد . ثم مضى بهم الى مكة فلما انصرف أبوجعفر الى العراق خرج محمد بن عبد الله بالمدينة . فكتب اليه أبوجعفر من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم » ولك عهد الله وميثاقه وذمة الله وذمة نبيه ان أتيا أتيتماو تبتما و رجعتما من قبل ان أقدر عليكما وان يقع بيني و بينكما سفك الدماء ان أؤمنكما وجميع ولدكما ومن شايعكما وتابعكما على دمائكم واموالكم وأوسعكم ما اصبتم من دم أومال وأعطيكما الف الف درهم لكل واحد منكما وما سألتماه من الحوائج وأبوئكما من البلاد حيث شئتما وأطلق من الحبس جميع ولد ابيكما ثم لا أتعقب واحدا منكما بذنب سلف منه أبدا . فلا تشمت بنا و بك عدونا من قريش فان احببت ان توثق من نفسك بما عرضت عليك فوجه الى من احببت ليأخذ لك من الامان والعهود والمواثيق ما تأمن به وتطمئن اليه ان شاء الله والسلام . فاجابه محمد بن عبد الله : من محمد بن عبد الله امير المؤمنين الى عبد الله بن محمد «طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون» الى قوله ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان ما عرضت فان الحق معنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم اليه بشيعتنا وحظيتم بفعلنا وان ابانا عليا رحمه الله كان الامام فكيف ورثتم ولاية ولده وقد علمتم انه لم يطلب هذا الامر احد بمثل نسبنا ولا شرفنا وانا لسنا من ابناء الظئار ولا من ابناء الطلقاء وانه ليس يمت احد بمثل ما نمت به من القرابة والسابقة والفضل وانا بنو ام ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ابنة عمرو في الجاهلية و بنوا فاطمة ابنته في الاسلام دونكم وان الله اختارنا

واختار لنا فولدنا من النبيين أفضلهم . ومن السلف أولهم اسلاما على بن أبى طالب . ومن النساء أفضلهم خديجة بنت خويلد أول من صلى الى القبلة منهن . ومن البنات فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ولدت الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة صلوات الله عليهما . وان هاشما ولد عليا مرتين . وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين . وان النبى صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين . وانى من أوسط بنى هاشم نسباً وأشرفهم أباً وأماً . وانا لم نعرق فى العجم ولم تنازع فى أمهات الاولاد . فما زال الله بمنه وفضله يختار لى الامهات فى الجاهلية والاسلام حتى اختار لى فى النار فانى أرفع الناس درجة فى الجنة ومن أهونهم عذابا فى النار . وأبى خير أهل الجنة . وأبى خير أهل النار فلك الله ان دخلت فى طاعتى وأجبت دعوتى ان أؤمنك على نفسك ومالك ودمك وكل أمر أحدثته الا حدا من حدود الله أوحق امرىء مسلم اومعاهد . فقد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا اولى بالامر منك وأوفى بالعهد لانك لا تعطى من العهد أكثر مما أعطيت رجالا قبلى فأى الامانات تعطينى أمان ابن هبيرة أو امان عمك عبد الله بن على أو أمان أبى مسلم والسلام

فكتب اليه أبو جعفر المنصور : من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله بن حسن . أما بعد : فقد بلغنى كتابك وفهمت كلامك فاذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة الاولياء لان الله جعل العم أبا وبدأ به فى القرآن على الوالد الادنى ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن لكانت آمنة اقربهن رحما وأعظمهن حقا وأول من يدخل الجنة غدا ولكن اختيار الله لخلقه على قدر علمه الماضى لهن فأما ماذكرت من فاطمة جدة النبى صلى الله عليه وسلم وولادتها لك فان الله لم يرزق أحدا من ولدها دين الاسلام ولو ان أحدا من ولدها رزق الاسلام بالقرابة لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير فى الدنيا والآخرة ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء وقد قال جل ثناؤه « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وله عمومة أربعة فأنزل الله عليه « وأنذر عشيرتك الاقربين » فدعاهم فانذرهم فاجابه اثنان أحدهما أبى وأبى عليه اثنان أحدهما أبوك . فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينهما الا ولا ذمة ولا ميراثا وقد زعمت انك ابن اخف اهل النار عذابا وابن خير الاشرار وليس فى الشر خيار ولا فخر فى النار وسترد فتعلم « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وأما ما فخرت به من فاطمة أم على وان هاشما ولدك مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة

ولا عبد المطلب الامرة وزعمت انك أوسط بنى هاشم نسبا وأكرمهم أبا وأما وانك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا فانظر أين انت ويحك من الله غدا فانك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نسبا وآباء وأولادا فخرت على ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم وهل خيار ولد أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات الاولاد وما ولد منكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على بن حسين وهو لام ولد وهو خير من جدك حسن بن حسن وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن على وجدته أم ولد وهو خير من ابيك ولا مثل ابنه جعفر وهو خير منك ولدته أم ولد. وأما قولك أنا بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يقول «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ولكنكم بنو ابنته وهى امرأة لا تحرز ميراثا ولا ترث الولاء ولا يحل لها ان تؤم فكيف تورث بها امامة ولقد ظلمها أبوك بكل وجه فاخرجها نهارا ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا الشيخين لتفضيلهما ولقد كانت السنة التى لا اختلاف فيها ان الجد أبا الام والخال والخالة لا يرثون ولا يورثون وأما ما فخرت به من على وسابقته فقد حضرت النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة فامر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فما أخذوه وكان فى الستة من أصحاب الشورى فتركوه كلهم رفضه عبد الرحمن بن عوف. وقاتله طلحة والزبير وأبى سعد بيعته واغلق بابه دونه. وبايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه فقاتل عليها. ثم حكم الحكمين ورضى بهما وأعطاهما عهد الله وميثاقه فاجتمعا على خلعه واختلفا فى معاوية. ثم قام جدك الحسن فباعها بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الاموال الى غير أهلها وأخذ مالا من غير ولاية فان كان لكم فيها حق فقد بعتموه وأخذتم ثمنه. ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه. ثم خرجتم على بنى أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد بأرض خراسان وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم كالسبي المجلوب الى الشام حتى خرجنا عليهم. فطلبنا بثاركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم ارضهم وديارهم وأموالهم واردنا اشراككم فى ملكنا فابيتم الا الخروج علينا وأنزلت ما رايت من ذكرنا أباك وتفضيلنا اياه لقدمه على العباس وحمزة وجعفر وليس كما ظننت ولكن هؤلاء سالمون مسلم منهم مجتمع بالفضل عليهم وابتلى بالحرب أبوك فكانت بنو أمية تلعنه على

نابر كما تلعن اهل الكفر فى الصلاة المكتوبة فاحتججنا الله وذكرنا فضله وعنفناهم وظلمناهم
بما نالوا منه . وقد علمت ان المكرمة فى الجاهلية سقاية الحاج الاعظم وولاية بئر زمزم . فصارت
ى العباس من بين اخوته وقد نازعنا فيها أبوك فقضى لنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نزل
ليها فى الجاهلية والاسلام . فقد علمت انه لم يبق أحد من بعد النبى صلى الله عليه وسلم من بنى
بد المطلب غير العباس وحده فكان وارثه من بين اخوته . ثم طلب هذا الامر غير واحد من
ى هاشم فلم ينله الا ولده فالسقاية سقايتنا وميراث النبى صلى الله عليه وسلم ميراثنا والخلافة
أيدينا . فلم يبق فضل ولا شرف فى الجاهلية والاسلام الا والعباس وارثه وموررثه والسلام
لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة بايعه أهل المدينة وأهل مكة . وخرج أخوه ابراهيم
بن عبد الله بن الحسن بالبصرة فى شهر رمضان فاجتمع الناس اليه فنهض الى دار الامارة وبها
سفيان بن محمد بن المهلب فسلم اليه البصرة بغير قتال وأرسل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الى
لاهواز جيشا فأخذه بعد قتال شديد وأرسل جيشا الى واسط فاخذها . ثم ان أبا جعفر
لمنصور جهز اليهم عيسى بن موسى فخرج الى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم باصحابه وقتل . ثم
مضى عيسى بن موسى الى البصرة فلقى ابراهيم بن الحسن فقتله و بعث برأسه الى أبى جعفر . وقال
رجل من أهل مكة كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد بالمسجد . فاتاه رجل بكتاب المنصور على
لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه الى نفسه فقرأه ثم وضعه . فقال الرسول الجواب . فقال
ليس له جواب قل لصاحبك يدعنا نجلس فى الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تاتينا آجالنا
مروان بن شجاع مولى بنى أمية قال : كنت مع اسمعيل بن على بفارس أؤدب ولده . فلما
لقيته المبيضة فظفر بهم أتى منهم بار بعمائة اسير . فقال له أخوه عبد الصمد وكان على شرطته
اضرب أعناقهم . فقال ما يقول يا مروان . فقلت اصلح الله الامير أول من سن قتال اهل القبلة
على بن أبى طالب فرأى ان لا يقتل اسير ولا يجهز على جريح ولا يتبع مول . قال خذ بيعتهم
وخل سبيلهم . قيل لمحمد بن على بن حسين ما اقل ولد أبيك . قال انى لا عجب كيف ولدت له
قيل له وكيف ذلك . قال انه كان يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة فتى كان يتفرغ للنساء . ولما
وجه المنصور عيسى بن موسى فى محاربة بنى عبد الله بن الحسن . قال يا أبا موسى اذا صرت الى
المدينة فادع محمد بن عبد الله بن الحسن الى الطاعة والدخول فى الجماعة فان أجابك فاقبل منه وان
هرب منك فلا تتبعه وان أبى الا الحرب فناجزه واستعن بالله عليه فاذا ظفرت به فلا

تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو فانهم الاصل والعشيرة وذرية المهاجرين والانصار وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم فهذه وصيتي اياك لا كما اوصى بها يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة حين وجهه الى المدينة وأمره ان يقتل من ظهر الى ثنية الوداع وان يبيحها ثلاثة أيام ففعل . فلما بلغ يزيد مافعله تمثل بقول ابن الزبعرى في يوم أحد حيث قال :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

ثم كتب الى أهل مكة بالعفو عنهم والصفح فانهم آل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه ومنبت القوم والعشيرة وعظماء البيت والحرم لا يلحد فيه بظلم فانه حرم الله الذي بعث منه محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم وشرف به آباءنا بتشريف الله ايانا فهذه وصيتي لا كما أوصى به الذي وجه الحجاج الى مكة . فأمره ان يضع المجانيق على الكعبة وان يلحد في الحرم بظلم . ففعل ذلك . فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو بن كلثوم :

الا لايجهلن أحـد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا

الرياشي قال : قال عيسى بن موسى لما وجهني المنصور الى المدينة في حرب بني عبد الله بن الحسن جعل يوصيني ويكثر . فقلت يا أمير المؤمنين الى كم توصيني :

اني أنا السيف الحسام الهندي * أكلت جفني وفريت غمدي

* فكل ماتطلب مني عندي *

وقال معاوية يوما لجلسائه من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدة وعماً وعمة وخالاً وخالة . فقالوا أمير المؤمنين اعلم . فأخذ بيد الحسن بن علي وقال هذا أبوه علي بن ابي طالب . وأمه فاطمة ابنة محمد وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجدته خديجة . وعمه جعفر . وعمته هالة بنت ابي طالب . وخاله القاسم بن محمد . وخالته زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم . الرياشي عن الاصمعي قال : لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة . فبايعه أهل المدينة واهل مكة وخرج ابراهيم أخوه بالبصرة فتغلب على البصرة والاهواز و واسط قال سديف بن ميمون في ذلك :

ان الحمامة يوم الشعب من حضن * هاجت فؤاد محب دائم الحزن

انا لنأمــل ان ترتد ألفتنا * بعدالتباعدوالشحناءوالاحن
وتنقضى دولة أحكام قادتها * فيها كاحكامقوم عابدى وثن
فانهض ببيعتكم تنهض بطاعتنا * ان الخـلافة فيكم يابنى حسـن
لاعز ركـن نزارعندنائبـة * ان أسلموك ولاركن لذى يمن
ألست أكرمهم يوما اذا انتسبوا * عودا وأنقاهم ثوبا من الدرن
وأعظم الناس عنـد الله منزلة * وأبعد الناس من عجز ومن افن

فلماسمع أبوجعفر هذه الابيات استـطير بها . فـكتب الى عبدالصمد بن على ان يأخذسديفا فيدفنه حيا ففـعل . قال الرياشى : فذكرت هـذه الابيات لابى جعفر شيخ من اهل بغداد فقال هذاباطل الابيات لعبدالله بن مصعب وانما كان سبب قتـل سديف انه قال أبياتامبهمة وكتب بها الى أبى جعفر وهى هذه :

أسرفت فى قتـل الرعية ظالما * فاكفف يديك أضلهامهديها
فلتأتينـك راية حسـنية * جرارة يقتادها حسـنيها

فالتفت أبوجعـفر . فقال لحازم بن خزيمة تهيأ بهيئة السـفر متنكرا حتى اذالم يكن الاان تضع رجلك فى الغرز ائتنى ففعل . فقال اذا أتيت المدينة فادخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فدع سارية وثانية فانك تنظر عند الثالثة الى شيخ آدم يكثر التلفت طويل كبيرفاجلس معـه فتوجع لآل أبى طالب واذكر شدة الزمان عليهم ثلاثة ايام . ثم قل فى الرابع من يقول هذه الابيات : * أسرفت فى قتل الرعية ظالما * قال ففـعل . فقال له الشيخ ان شئت نبأتك من أنت انت حازم بن خزيمة بعثك الى امير المؤمنين لتعرف من قال هذاالشعر . فقل له جعلت فداك والله ماقلته ولاقاله الاسديف بن ميمون فانى أنا القائل وقددعونى الى الخروج مع محمد بن عبدالله :

دعونى وقدسالت لابليس راية * وأوقـد للغاوين نارالحباحب
أبا الليث تغترون يحمى عرينه * وتلقون جهلا أسـد بالثعالب
فلا نفعتنى السن ان لم يؤزركم * ولاأحكمتنى صادقات التجارب

قال واذا الشيخ ابراهيم بن هرمة . قال فقـدمت على المنصور فاخـبرته الخـبر . فـكتب الى عبدالصمد بن على وكان سـديف فى حبسه فاخـذه فدفنه حيا . قال الرياشى : سمعت محمد بن عبدالحميد يقول قلت لابن ابى حفصة ما أغراك ببنى على قال ما أحداحب الىّ منهم ولـكنى لم

أجد شيئا أنفع عند القوم منه . لما دخل زيد بن علي بن ابى طالب على هشام . قال بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال اما قولك انى احدث نفسى بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله . واما قولك انى ابن أمة فهذا اسمعيل ابن امة اخرج الله من صلبه محمداً صلى الله عليه وسلم واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت . وخرج من عنده . فقال هشام ما أحب احد الحياة الا ذل . فقال له الحاجب لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وقال زيد بن علي عند خروجه من عند هشام بن عبد الملك :

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد

محتفى الرجلين يشكو الوجا * يقرعه اطراف مروحداد

قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فقتل وصلب . وفيه يقول شبل لابى العباس يغريه ببنى أمية حيث يقول :

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

٨ — باب من فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه — عوانة بن الحكم

قال : حج محمد بن هشام ونزلت رفقة فاذا فيها شيخ كبير قد احتوشته الناس وهو يامر وينهى فقال محمد بن هشام لمن حوله تجدون الشيخ عراقيا فاسقا . فقال له بعض اصحابه نعم وكوفيا منافقا . فقال محمد على به فاتى بالشيخ . فقال له أعراقى انت . قال له نعم عراقى . قال وكوفى . قال وكوفى . قال وترابى قال وترابى من التراب خلقت واليه أصير . قال انت ممن يهوى أباتراب . قال ومن أبو تراب . قال على بن أبى طالب قال أتعنى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج فاطمة ابنته وأبا الحسن والحسين . قال نعم قال فما قولك فيه . قال قد رأيت من يقول خيراً و يحمد ورأيت من يقول شراً و يذم . قال فايهما أفضل عندك أهو ام عثمان . قال وما أنا وذاك والله لوان عليا جاء بوزن الجبال حسنات ما نفعنى ولوانه جاء بوزنها سيآت ماضرنى وعثمان مثل ذلك . قال فاشتم أباتراب قال أوما ترضى منى عا رضى به من هو خير منك ممن هو خير منى فيمن هو شر من على . قال وماذاك قال رضى الله وهو خير منك من عيسى وهو خير منى فى النصارى وهم شر من على اذ قال « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » الرياشى قال : انتقص ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير عليا . فقال له أبوه يابنى انه والله

ما بنت الدنيا شيئا الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئا فهدمته الدنيا أما ترى عليا وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكانما والله ياخذون بناصيته رفعا الى السماء وما ترى بنى مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكانما يكشفون عن الجيف . قدم الوليد مكة . فجعل يطوف بالبيت والفضل بن أبى لهب يستقى من زمزم وهو يقول :

يا ايها السائل عن على * تسال عن بدر لنا بدرى

مردد فى المجد ابطحى * سائله غرته تضى

فلم ينكر عليه أحد . العتبى قال : قيل يوما لمسلمة بن هلال العبدى خطب جعفر بن سليمان الهاشمى خطبة لم يسمع مثلها قط وما درينا أوجهه كان أحسن ام كلامه . قال اولئك قوم بنور الخلافة يشرقون و بلسان النبوة ينطقون . وكتب عوام صاحب ابى نواس الى بعض عمال ديار ربيعة :

بحق النبى بحق الوصى * بحق الحسين بحق الحسن

بحق التى ظلمت حقها * و والدها خير ميت دفن

ترفق بار زاقنا فى الخراج * بترفيها و بحط المؤن

قال فاسقط عنه الخراج طول ولايته

٩ — احتجاج المأمون على الفقهاء فى فضل على — اسحق بن ابراهيم بن اسمعيل ابن حماد بن زيد قال : بعث الى يحيى بن اكثم والى عدة من اصحابى وهو يومئذ قاضى القضاة فقال ان امير المؤمنين امرنى ان احضر معى غدا مع الفجر اربعين رجلا كلهم فقيه يفقه ما يقال له و يحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب امير المؤمنين . فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتى تم العدد الذى أراد وكتب تسمية القوم وامر بالبكور فى السحر . و بعث الى من لم يحضر فامره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا فركب وركبنا معه حتى صرنا الى الباب فاذا بخادم واقف . فلما نظر الينا قال يا ابا محمد امير المؤمنين ينتظرك فادخلنا فامر بالصلاة فاخذنا فيها فلم نستتمها حتى خرج الرسول . فقال ادخلوا فدخلنا فاذا امير المؤمنين جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته . فوقفنا وسلمنا فرد السلام وامر لنا بالجلوس . فلما استقر بنا المجلس تحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه

ووضع قلنسوته . ثم اقبل علينا فقال انما فعلت ما رايتم لتفعلوا مثل ذلك . واما الخف فنمنع من خلعه علة من قد عرفها منكم فقد عرفها ومن لم يعرفها فساعرفه بها ومد رجله وقال انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم . قال فأمسكنا فقال لنا يحيي انتهوا الى ما امركم به امير المؤمنين فتنحينا فنزعنا اخفافنا وطيالستنا وقلانسنا ورجعنا . فلما استقر بنا المجلس . قال انما بعثت اليكم معشر القوم فى المناظرة فمن كان به شئ من الخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول . فمن اراد منكم الخلاء فهناك واشار بيده فدعونا الله . ثم التى مسئلة من الفقه . فقال يا ابا محمد قل وليقل القوم من بعدك فاجابه يحيي . ثم الذى يلى يحيي . ثم الذى يليه حتى اجاب آخرنا فى العلة وعلة العلة وهو مطرق لا يتكلم حتى اذا انقطع الكلام التفت الى يحيي . فقال يا أبا محمد اصبت الجواب وتركت الصواب فى العلة . ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته ويخطئ بعضنا ويصوب بعضنا حتى اتى على آخرنا . ثم قال انى لم ابعث فيكم لهذا ولكننى احببت ان ابسطكم ان امير المؤمنين اراد مناظرتكم فى مذهبه الذى هو عليه والذى يدين الله به قلنا فليفعل امير المؤمنين وفقه الله . فقال ان امير المؤمنين يدين الله على ان على بن ابى طالب خير خلفاء الله بعد رسوله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بالخلافة له . قال اسحق فقلت يا امير المؤمنين ان فينا من لا يعرف ما ذكر امير المؤمنين فى على . وقد دعانا امير المؤمنين للمناظرة . فقال يا اسحق اختر ان شئت سالتك اسالك وان شئت ان تسال فقل . قال اسحق فاغتنمتها منه . فقلت بل اسالك يا امير المؤمنين . قال سل قلت من اين قال امير المؤمنين ان على بن ابى طالب افضل الناس بعد رسول الله واحقهم بالخلافة بعده قال يا اسحق خبرنى عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان افضل من فلان . قلت بالاعمال الصالحة . قال صدقت . قال فاخبرنى عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ان المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بافضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ايلحق به . قال فاطرقت . فقال لى يا أبا اسحق لا تقل نعم فانك ان قلت نعم اوجدتك فى دهرنا هذا من هوا كثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاة وصدقة فقلت اجل يا امير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاضل ابدا . قال يا اسحق فانظر ما رواه لك اصحابك ومن اخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل على بن ابى طالب فقس عليها ما اتوك به من فضائل ابى بكر فانى رايت فضائل ابى بكر تشا كل فضائل على فقل انه افضل منه لا والله ولكن فقس الى فضائله ما روى لك من فضائل ابى بكر وعمر فان وجدت لهما من الفضائل

مالعلى وحده فقل انهما افضل منه لا والله . ولكن قس الى فضائله فضائل ابى بكر وعمر وعثمان فان وجدتها مثل فضائل على فقل انهم افضل منه لا والله . ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فان وجدتها تشا كل فضائله فقل انهم افضل منه قال يا اسحق اى الاعمال كانت افضل يوم بعث الله رسوله . قلت: الاخلاص بالشهادة قال اليس السبق الى الاسلام قلت نعم قال اقرأ ذلك فى كتاب الله تعالى يقول « والسابقون السابقون أولئك المقربون » انما عنى من سبق الى الاسلام فهل علمت احدا اسبق عليا الى الاسلام قلت: يا امير المؤمنين ان عليا اسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم وأبو بكر اسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم . قال اخبرنى أيهما اسلم قبل ثم اناظرك من بعده فى الحداثة والكمال قلت على اسلم قبل ابى بكر على هذه الشريطة . فقال نعم فاخبرنى عن اسلام على حين اسلم لا يخلو من ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه الى الاسلام او يكون الهاما من الله قال فاطرقت . فقال لى يا اسحق لا تقل الهاما فتقدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله لم يعرف الاسلام حتى اتاه جبريل عن الله تعالى . قلت اجل بل دعاه رسول الله الى الاسلام . قال: يا اسحق فهل يخلو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاه الى الاسلام من ان يكون دعاه بامر الله او تكلف ذلك من نفسه . قال فاطرقت. فقال يا اسحق لا تنسب رسول الله الى التكلف فان الله يقول « وما انا من المتكلفين » . قلت اجل يا امير المؤمنين بل دعاه بامر الله . قال فهل من صفة الجبار جل ذكره ان يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم . قلت اعوذ بالله فقال افتراه فى قياس قولك يا اسحق ان عليا أسلم صبيا لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم فى ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول عليه السلام أترى هذا جائزا عندك ان تنسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت اعوذ بالله قال يا اسحق فأراك انما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرفوا فضله ولو كان الله امره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا . قلت بلى قال فهل بلغك ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا احدا من الصبيان من اهله وقرابته لئلا تقول ان عليا ابن عمه . قلت لا اعلم ولا ادرى فعل اولم يفعل . قال يا اسحق ارأيت مالم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه . قلت لا قال فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك. قال ثم اى الاعمال كانت افضل بعد السبق الى الاسلام . قلت الجهاد فى سبيل الله . قال

صدقت فهل تجد لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجد لعلى فى الجهاد . قلت فى أى وقت . قال فى أى الاوقات شئت . قلت بدر . قال لا ارىد غيرها فهل تجد لاحد الا دون ما تجد لعلى يوم بدر اخبرنى كم قتلى بدر . قلت نيف وستون رجلا من المشركين . قال فكم قتل على وحده . قلت لا ادرى . قال ثلاثة وعشرين او اثنين وعشرين والاربعون لسائر الناس قلت يا امير المؤمنين كان ابو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عريشه . قال يصنع ماذا . قلت يدبر . قال ويحك يدبر دون رسول الله او معه شريكا ام افتقارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رأيه اى الثلاث احب اليك . قلت أعوذ بالله ان يدبر ابو بكر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون معه شريكا او ان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم افتقار الى رأيه . قال فما الفضيلة بالعريش اذا كان الامر كذلك أليس من ضرب بسيفه بين يدى رسول الله أفضل ممن هو جالس . قلت يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهدا . قال: صدقت كل مجاهد ولكن الضارب بالسيف المحامى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجالس أفضل من الجالس . أما قرأت كتاب الله «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما» قلت وكان أبو بكر وعمر مجاهدين . قال فهل كان لابى بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد . قلت نعم . قال فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبى بكر وعمر . قلت أجل . قال : يا اسحق هل تقرأ القرآن . قلت نعم . قال اقرأ على «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» فقرأت منها حتى بلغت «يشربون من كاس كان مزاجها كافورا الى قوله و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا» . قال: على رسلك فيمن أنزلت هذه الآيات . قلت فى على . قال فهل بلغك ان عليا حين أطعم المسكين واليتيم والاسير قال انما نطعمكم لوجه الله ، وهل سمعت الله وصف فى كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليا . قلت لا قال : صدقت لان الله جل ثناؤه عرف سيرته يا اسحق ، ألست تشهد ان العشرة فى الجنة . قلت بلى يا أمير المؤمنين . قال : أرأيت لو ان رجلا قال والله ما أدرى هذا الحديث صحيح أم لا ولا أدرى ان كان رسول الله قاله أم لم يقله أكان عندك كافرا قلت أعوذ بالله . قال أرأيت لو انه قال ما أدرى هذه السورة من كتاب الله أم لا كان كافرا قلت نعم . قال: يا اسحق أرى بينهما فرقا يا اسحق أتروى الحديث قلت نعم . قال

فهل تعرف حديث الطير. قلت نعم. قال: فحدثني به قال فحدثته الحديث. فقال يااسحق انى كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق. فاما الآن فقد بان لى عنادك انك توقن ان هذا الحديث صحيح قلت نعم رواه من لا يمكنني رده. قال: أفرأيت ان من أيقن ان هذا الحديث صحيح ثم زعم ان أحدا أفضل من على لا يخلو من احدى ثلاثة من أن يكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده مردودة عليه أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب اليه. أو أن يقول ان الله عزوجل لم يعرف الفاضل من المفضول. فاى الثلاثة أحب اليك أن تقول فاطرقت. ثم قال يااسحق لا تقل منها شيأ فانك ان قلت منها شيأ استتبتك وان كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الاوجه فقله. قلت لا أعلم وان لابى بكر فضلا. قال أجل لولا ان له فضلا لما قيل ان عليا أفضل منه فما فضله الذى قصدت له الساعة. قلت قول الله عزوجل: «ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا» فنسبه الى صحبته. قال يااسحق اما انى لا أحملك على الوعر من طريقك انى وجدت الله تعالى نسب الى صحبة من رضيه ورضى عنه كافرا وهو قوله: «فقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا» قلت ان ذلك صاحبا كان كافرا وأبو بكر مؤمن قال فاذا جاز أن ينسب الى صحبة من رضيه كافرا جاز أن ينسب الى صحبة نبيه مؤمنا وليس بافضل المؤمنين ولا الثانى ولا الثالث. قلت: ياأمير المؤمنين ان قدر الآية عظيم. ان الله يقول «ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا» قال يااسحق تأبى الآن الا أن أخرجك الى الاستقصاء عليك أخبرنى عن حزن أبى بكر أكان رضا أم سخطا. قلت ان أبا بكر انما حزن من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليه وغما أن يصل الى رسول الله شئ من المكروه. قال: ليس هذا جوابى انما كان جوابى أن تقول رضى أم سخط. قلت بل كان رضا لله. قال: فكان الله جل ذكره بعث الينا رسولا ينهى عن رضا الله عزوجل وعن طاعته. قلت أعوذ بالله. قال: أوليس قد زعمت ان حزن أبى بكر رضا لله. قلت بلى. قال: أولم تجد ان القرآن يشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحزن نهيا له عن الحزن. قلت اعوذ بالله. قال: يااسحق ان مذهبى الرفق بك لعل الله يردك الى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به وحدثنى عن قول الله «فانزل الله سكينته عليه» من عنى بذلك رسول الله أم أبو بكر. قلت

بل رسول الله . قال : صدقت . قال فحدثني عن قول الله عز وجل « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم — الى قوله — ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » أتعلم من المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع . قلت لا أدري يا أمير المؤمنين . قال : الناس جميعا انهزموا يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سبعة نفر من بني هاشم على يضرب بسيفه بين يدي رسول الله والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفا من أن يناله من جراح القوم شيء حتى اعطى الله لرسوله الظفر . فالمؤمنون في هذا الموضع على خاصة ثم من حضره من بني هاشم قال: فمن أفضل من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت ام من انهزم عنه ولم يره الله موضعا لينزلها عليه . قلت بل من انزلت عليه السكينة . قال : يا اسحق من افضل من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتى تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراد من الهجرة ان الله تبارك وتعالى امر رسوله ان يامر عليا بالنوم على فراشه وان يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فبكى على رضي الله عنه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا على أجزعا من الموت . قال لا والذي بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفا عليك افتسلم يا رسول الله . قال نعم قال سمعا وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله . ثم أتى مضجعه واضطجع وتسجى ثوبه وجاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجمعوا ان يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه وعلى يسمع ما القوم فيه من اتلاف نفسه ولم يدعه ذلك الى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ولم يزل على صابرا محتسبا . فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح . فلما اصبح قام فنظر القوم اليه فقالوا أين محمد . قال وما علمي بمحمد أين هو . قالوا فلا نراك الا مغرورا بنفسك منذ ليلتنا فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتى قبضه الله اليه : يا اسحق هل تروي حديث الولاية . قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال : اروه ففعلت قال يا اسحق أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه . قلت ان الناس ذكروا ان الحديث انما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي وأنكر ولاء علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . قال في أي موضع قال هذا أليس بعد منصرفه من حجة الوداع . قلت أجل . قال : فان قتل زيد بن حارثة قبل

الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا . أخبرني لو رأيت ابنا لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاعلموا ذلك أكنت منكرا ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون . فقلت اللهم نعم . قال : يا اسحق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم ان الله جل ذكره . قال في كتابه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا انهم أرباب ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم . يا اسحق أتروي حديث أنت مني بمنزلة هرون من موسى . قلت نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صححه وجحده . قال : فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أو من جحده . قلت من صححه . قال : فهل يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم مزح بهذا القول . قلت أعوذ بالله . قال : فقال قولا لا معنى له فلا يوقف عليه قلت أعوذ بالله قال أفما تعلم ان هرون كان أخا موسى لابيه وأمه . قلت بلى . قال : فعلي أخو رسول الله لابيه وأمه قلت لا قال أوليس هرون نبيا وعلي غير نبي . قلت بلى . قال : فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هرون فما معنى قوله أنت مني بمنزلة هرون من موسى . قلت له انما أراد أن يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون انه خلفه استثقالا له . قال فأراد ان يطيب نفسه بقول لا معنى له قال فاطرقت . قال يا اسحق له معنى في كتاب الله بين . قلت وما هو يا أمير المؤمنين . قال قوله عز وجل حكاية عن موسى انه قال لاخيه هرون « اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » . قلت يا أمير المؤمنين ان موسى خلف هرون في قومه وهو حي ومضى الى ربه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عليا كذلك حين خرج الى غزاته قال كلا ليس كما قلت اخبرني عن موسى حين خلف هرون هل كان معه حين ذهب الى ربه أحد من اصحابه أو أحد من بني اسرائيل . قلت لا قال : أوليس استخلفه على جماعتهم . قلت نعم . قال : فأخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى غزاته هل خلف الا الضعفاء والنساء والصبيان فانى يكون مثل ذلك . وله عندي تاويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه اياه لا يقدر أحد أن يحتج فيه ولا أعلم أحدا احتج به وأرجوان يكون توفيقا من الله . قلت وما هو يا أمير المؤمنين . قال قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله « واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا » فانت مني يا علي بمنزلة هرون من موسى وزيري من أهلي واخي شد الله به ازري وأشركه في أمري كي نسبح الله

كثيرا ونذكره كثيرا فهل يقدر أحد ان يدخل فى هذا شيأ غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبى صلى الله عليه وسلم وان يكون لا معنى له . قال فطال المجلس وارتفع النهار . فقال يحيى بن أكثم القاضى يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير وأثبت مالا يقدر أحد ان يدفعه . قال اسحق فاقبل علينا وقال ما تقولون . فقلنا كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله . فقال والله لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقبلوا القول من الناس ما كنت لاقبل منكم القول اللهم قد نصحت لهم القول اللهم انى قد اخرجت الامر من عنقى اللهم انى أدينك بالتقرب اليك بحب على و ولايته .

وكتب المأمون الى عبد الجبار بن سعد المساحقى عامله على المدينة : ان اخطب الناس وادعهم الى بيعة الرضا على بن موسى . فقام خطيبا فقال : يا أيها الناس هذا الامر الذى كنتم فيه ترغبون والعدل الذى كنتم تنتظرون ، والخير الذى كنتم ترجون . هذا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ستة آباءهم ماهم من خير من يشرب صوب الغمام . وقال المامون لعلى ابن موسى : علام تدّعون هذا الامر . قال : بقرابة على وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المأمون : ان لم تكن الا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من هو أقرب اليه من على أو من هو فى قعدده وان ذهبت الى قرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الامر بعدها للحسن والحسين فقد ابتزهما على حقهما وهما حيان صحيحان فاستولى على مالا حق له فيه فلم يجد على بن موسى له جوابا

١٠ — باب من أخبار الدولة العباسية — روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه افتقد عبد الله بن عباس وقت صلاة الظهر . فقال لاصحابه ما بال أبى العباس لم يحضر . قالوا ولد له مولود . فلما صلى على الظهر قال انطلقوا بنا اليه فاتاه فهناه . فقال له شكرت الواهب و بورك لك فى الموهوب ، فما سميته . قال : لا يجوز لى ان أسميه حتى تسميه أنت . فامر به فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ورده . وقال : خذه اليك أبا الاملاك وقد سميته عليا وكنيته أبا الحسن . قال فلما قدم معاوية قال لابن عباس لك اسمه وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه . وكان على سيدا شريفا عابدا زاهدا وكان يصلى فى كل يوم الف ركعة . وضرب مرتين ضربه الوليد فى تزويجه لبابة ابنة عبد الرحمن بن جعفر . وكانت عند عبد الملك بن مروان فعض تفاحة ورمى بها اليها وكان ابخر فدعت بسكين . فقال ما تصنعين به . قالت أميط عنها الاذى فطلقها فتزوجها على بن عبد الله بن عباس

فضربه الوليد. وقال انما تزوج أمهات أولاد الخلفاء لتضع منهم لان مروان بن الحكم انما تزوج أم خالد بن يزيد لتضع منه. فقال علي بن عبد الله بن عباس: انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لان أكون لها محرما وأما ضربه اياه في المرة الثانية فان محمد بن يزيد. قال حدثني من رآه مضروبا يطاف به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبد الله الكذاب. قال فاتيته فقلت ما هذا الذي نسبوك فيه الى الكذب. قال بلغهم اني أقول هذا الامر سيكون في ولدي والله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذي كان وجوههم المجان المطرقة. وفي حديث آخر ان علي بن عبد الله دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنان أبو العباس وأبو جعفر فشكا اليه دينا لزمه. فقال له كم دينك قال ثلاثون ألفا فأمر له بقضائه فشكر له عليه. وقال له وصلت رحما وأنا أريد ان تستوصي بابني هذين خيرا. قال نعم فلما تولى قال هشام لاصحابه ان هذا الشيخ قد هتر وأسن وخولط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمعه علي بن العباس. فقال والله ليكونن ذلك وليملكن ابناي هذان ما تملكه. قال محمد بن يزيد: وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال حضر علي بن عبد الله مجلس عبد الملك بن مروان وكان مكرما له وقد أهديت له من خراسان جارية وفص خاتم وسيف. فقال يا أبا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهي من سبي الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان بن علي وصالح بن علي. وذكر جعفر بن عيسى انه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فمرض سليمان من جدري خرج عليه فانصرف علي من مصلاه فاذا بها على فراشه. فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع عليها فاولدها صالحا فاجتنبت فراشه فسالها عن ذلك. فقالت: خفت ان يموت سليمان في مرضه فينقطع النسب بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدت صالحا فبالحري ان ذهب أحدهما بقي الآخر وليس مثلي وطيئة الرجال. وزعم جعفر انه كانت في سليمان رتة وفي صالح مثلها وانها موجودة في آل سليمان وصالح. وكان علي يقول: أكره ان أوصي الى محمد ولدي وكان سيد ولده وكبيرهم فأشينه بالوصية فاوصى الى سليمان. فلما دفن علي جاء محمد الى سعدى ليلا. فقال اخرجي لي وصية أبي. قالت ان أباك اجل من ان تخرج وصيته ليلا ولكن تاتي غدوة ان شاء الله. فلما أصبح غدا عليه سليمان بالوصية. فقال: يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك. فقال: جزاك الله من ابن وأخ

خيراما كنت لأترب على أبى بعدموته كما لم أترب عليه فى حياته . العتبى عن أبيه عن جده قال : لما اشتكى معاوية شكاته التى هلك فيها أرسل الى ناس من جملة بنى أمية ولم يحضرها سفيانى غيرى وغير عثمان بن محمد . فقال : يامعشر بنى أمية انى لما خفت ان يسبقكم الموت الى سبقته بالموعظة اليكم . لالأرد قدراء ولكن لا بلغ عذراء . ان الذى أخلف لكم من دنياى أمر ستشاركون فيه وتغلبون عليه . والذى أخلف لكم من ورائى أمر مقصور لكم نفعه ان فعلتموه مخوف عليكم ضرره ان ضيعتموه . ان قريشا شاركتكم فى أنسابكم وانفردتم دونها بأفعالكم فقدمكم ماتقدمتم له اذا أخر غيركم ما اخر واعنه ، ولقد جهل بى فحلمت ، ونقر لى ففهمت ، حتى كانى أنظر الى أبنائكم بعدكم كنظرى الى آبائهم قبلهم . ان دولتكم ستطول وكل طويل مملول وكل مملول مخذول . فاذا كان ذلك كذلك كان سببه اختلافكم فيما بينكم واجتماع المختلفين عليكم فيدبر الامر بضد ما أقبل به فلست أذكر حسنا يركب منكم ، ولا قبيحا ينتهك فيكم ، ألا والذى أمسك عن ذكره أكثر وأعظم ؛ ولا معول عليه عند ذلك أفضل من الصبر واحتساب الاجر فيمادكم القوم دولتهم امتداد العنانين فى عنق الجواد . حتى اذا بلغ الله بالامر مداه ، وجاء الوقت المبلول بريق النبى صلى الله عليه وسلم مع الحلقة المطبوعة على ملالة الشىء المحبوب ، كانت الدولة كالاناء المكفأ فمندها أوصيكم بتقوى الله الذى لم يتقه غيركم فيكم فجعل العاقبة لكم والعاقبة للمتقين . قال عمرو بن عتبة : فدخلت عليه يوما آخر فقال : ياعمرو أوعيت كلامى قلت وعيت . قال أعد على كلامى فلقد كلمتكم وما أرانى أمسى من يومكم ذلك . قال شبيب بن شبة الاهتمى : حججت عام هلك هشام وولى الوليد بن يزيد وذلك سنة خمس وعشرين ومائة فبينا أنا فى ناحية من المسجد . اذ طلع من بعض أبواب المسجد فتى أسمر رقيق السمرة ، موفر اللمة خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، أقنى بين القنى ، أعين كأن عينيه لسانان ينطقان ، يخلط أبهة الاملاك بزى النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف فى تواضعه ، والعفو فى صورته ، واللب فى مشيته . فما ملكت نفسى ان نهضت فى أثره سائلا عن خبره وسبقنى فتحرم بالطواف . فلما سبع قصد المقام فركع وأنا أرعاه ببصرى . ثم نهض منصرفا فكأن عينا أصابته فكبا كبوة دميت لها أصبعه . فقعد لها القرفصاء فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب ، فلا يمتنع على ثم شققت حاشية ثوبه فعصبت بها أصبعه وما ينكر ذلك ولا يدفعه . ثم نهض متوكئا على وأقدت له أماشيه حتى اذا أتى دارا بأعلى مكة ابتدره

رجلان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحاله الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله . ثم خلى يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين أوجز فيهما في تمام . ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها . ثم قال : لم يخف علي مكانك منذ اليوم ولا فعلك بي فمن تكون يرحمك الله قلت شبيب بن شبة التميمي . قال الاهتمي قلت نعم . قال فرحب وقرب ووصف قومي بابين بيان وأفصح لسان . فقلت له أنا أجلك أصلحك الله عن المسئلة وأحب المعرفة فتبسم وقال لطف أهل العراق أنا عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . فقلت بأبي أنت وامي ما أشبهك بنسبك وأدلك على منصبك ولقد سبق الى قلبي من محبتك مالا أبلغه بوصفي لك . قال فاحمد الله يا أخا بني تميم فانا قوم انما يسعد الله بحبنا من أحبه و يشقي ببغضنا من أبغضه ولن يصل الايمان الى قلب أحدكم حتى يحب الله و يحب رسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه . فقلت له أنت توصف بالعلم وانا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل اهل مكة كثير وفي نفسي أشياء أحب ان أسأل عنها أفتأذن لي فيها جعلت فداك . قال نحن من أكثر الناس مستوحشون وأرجو أن تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت كما رجوت فافعل . قال فقدمت من وثائق القول والايمان ماسكن اليه فتلا قول الله « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني و بينكم » ثم قال سل عما بدا لك . قلت ما ترى فيمن على الموسم وكان عليه يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي خال الوليد . فتنفس الصعداء وقال عن الصلاة خلفه تسالني أم كرهت ان يتامر على آل الله من ليس منهم . قلت عن كلا الامرين . قال ان هذا عند الله لعظيم . فأما الصلاة ففرض لله تعبد به خلقه فادما فرض الله تعالى عليك في كل وقت مع كل أحد وعلى كل حال فان الذي ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه بانه لا يقبل منك نسكا الامع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة منه لك . ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك قال ثم كررت في السؤال عليه فما احتجت ان أسأل عن أمر ديني أحدا بعده . ثم قلت يزعم اهل العلم انها ستكون لكم دولة . فقال لا شك فيها تطلع طلوع الشمس وتظهر ظهورها فنسأل الله خيرها ونعوذ بالله من شرها فخذ بحظ لسانك ويدك منها ان أدركتها . قلت أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها . قال نعم قوم يأبون الا الوفاء لمن اصطنعهم ونأبى الا طلبا بحقنا فننتصر ويخذلون كما نصر بأولنا أولهم ويخذل بمخالفتنا من خالف منهم . قال فاسترجعت . فقال

سهل عليك الامر سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس ما يكون لهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم وحفظ أعقابهم وتجديد الصنيعة عندهم . قلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم . قال نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا وبغض الينا الغدر وان كان لنا وانما يشذ عنا منهم الاقل . فأما أنصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم مواليهم وموالى القوم من انفسهم فاذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا بالمحسن عن المسىء ووهبنا للرجل قومه ومن اتصل بأسبابه فتذهب المثابرة وتخبو الفتنة وتطمئن القلوب . قلت ويقال انه يبتلى بكم من أخلص لكم المحبة قال قد روى ان البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره . قلت لم أرد هذا . قال فمه قلت تقعون بالولى وتحظون بالعدو قال من يسعد بنا من الاولياء أكثر ومن يسلم لنا من الاعداء أقل وأيسر وانما نحن بشر وأكثرنا اذن ولا يعلم الغيب الا الله وربما استترت عنا الامور فنقع بما لا نريد وان لنا لاحسانا يا سوالله به ما نكلم ويرم به ما نثلم ونستغفر الله مما لا نعلم وما أنكرت من ان يكون الامر على ما بلغك ومع الولى التعزز والادلال ، والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والاحتيال ، والتذلل والاغتيال ، وربما أمل المذل ، وأخل المسترسل وتجانب المتقرب ومع المقة تكون الثقة ، وعلى ان العاقبة لنا على عدونا وهى لولينا وانك لسؤل يا أخا تميم . قلت انى أخاف ان لا أراك بعد اليوم . قال انى لارجوان أراك وترانى كما تحب عن قريب ان شاء الله تعالى . قلت عجل الله ذلك . قال آمين . قلت ووهب لى السلامة منكم فانى من محبيكم . قال آمين وتبسم . وقال لا باس عليك ما أعاذك الله من ثلاث . قلت وما هى . قال قدح فى الدين أو هتك للملك أو تهمة فى حرمة . ثم قال احفظ عنى ما أقول لك اصدق وان ضرك الصدق وانصح وان باعدك النصح ولا تجالس عدونا وان أحظيناه فانه مخذول ولا تخذل ولينا فانه منصور واصحبنا بترك المماكرة وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تستخف فيمقتوك ولا تنقبض فيتجشموك ولا تبدأ حتى يبدؤك ولا تخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال وأنا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته . ثم قلت أترقب لظهور الامر وقتا . قال الله المقدر الموقت فاذا قامت النوحتان بالشام فهما آخر العلامات قلت وماهما . قال موت هشام العام وموت محمد بن على مستهل ذى القعدة وعليه تخلفت وما بلغتكم حتى انضيت . قلت فهل أوصى . قال نعم الى أخيه ابراهيم . قال فلما خرجت فاذا مولى له يتبعنى حتى عرف منزلى . ثم أتانى بكسوة من كسوته . فقال يامرك أبوجعفر ان تصلى

فى هذه . قال وافترقنا . قال فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يدنيا نى منه فى جماعة من قومى لا يا يسه . فلما نظر الى أثبتنى فقال خليا عمن صحت مودته . وتقدمت حرمته . وأخذت قبل اليوم بيعته . قال فاكبر الناس ذلك من قوله و وجدته على أول عهده لى . ثم قال لى أين كنت عنى فى أيام أخى ابى العباس فذهبت اعتذر . قال امسك فان لكل شىء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مسابقتك فاختر بين رزق يسعك أو عمل يرفعك قلت أنا حافظ لوصيتك . قال وأنا لها أحفظ انما نهيتك ان تخطب الاعمال ولم أنهك عن قبولها . قلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب الى . قال ذلك لك وهو أجم لقلبك وأودع لك وأعفى ان شاء الله . ثم قال هل زدت فى عيالك بعدى شيئاً وكان قد سالنى عنهم فذكرتهم له فعجبت من حفظه . قلت الفرس والخادم . قال قد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخادمنا وفرسك بخيلنا ولو وسعنى لحملت لك من بيت المال وقد ضممتك الى المهدى وأنا أوصيه بك فانه أفرغ لك منى . قال الاحوص بن محمد الشاعر الانصارى من بنى عاصم بن الافلح الذى حمت لحمه الدبر يشبب بامرأة يقال لها أم جعفر . فقال فيها:

أدور ولولا ان أرى ام جعفر * بابياتكم مادرت حين أدور

وكان لام جعفر اخ يقال له ايمن فاستعدى عليه ابن حزم الانصارى وهو والى المدينة للوليد بن عبد الملك وهو ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فبعث ابن حزم الى الاحوص فاتاه وكان ابن حزم يبغضه فقال ما تقول فيما يقول هذا قال وما يقول قال يزعم انك تشبب باخته وقد فضحته وشهرت أخته بالشعر فانكر ذلك . فقال لهما قد اشتبه على أمركما ولكننى ادفع الى كل واحد منكما سوطا ثم اجتلدا وكان الاحوص قصيرا نحيفا وكان أيمن طويلا ضخما جلدا فغلب ايمن الاحوص فضربه حتى صرعه واثخنه . فقال أيمن :

لقد منع المعروف من أم جعفر * اشم طويل الساعدين غيور
علاك بمتن السوط حتى اتقيته * باصفر من ماء الصفاق يفور

قال فلما رأى الاحوص تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد. ثم شخص اليه الى الشام فدخل عليه فانشده: لاترثين لحزمى رأيت به * ضرا ولوالقى الحزمى فى النار
الناجشين لمروان بذى خشب * والمدخلين على عثمان فى الدار

قال له صدقت والله لقد كنا غفلنا عن حزم وآل حزم . ثم دعا كاتبه فقال اكتب عهد عثمان بن حيان المرى على المدينة واعزل ابن حزم واكتب بقبض أموال حزم وآل حزم واسقاطهم اجمعين من الديوان ولا يأخذوا الاموى عطاء أبدا . ففعل ذلك فلم يزالوا فى الحرمان للعطاء مع ذهاب الاموال والضياع حتى انقضت دولة بنى امية وجاءت دولة بنى العباس . فلما قام أبو جعفر المنصور بامر الدولة قدم عليه اهل المدينة فجلس لهم . فامر حاجبه ان يتقدم الى كل رجل منهم ان ينتسب له اذا قام بين يديه . فلم يزالوا على ذلك يفعلون حتى دخل عليه رجل قصير قبيح الوجه . فلما مثل بين يديه قال له يا أمير المؤمنين انا ابن حزم الانصارى الذى يقول فينا الاحوص :

لا ترثين لحزمى رأيت به * ضرا ولو القى الحزمى فى النار
الناخسين لمروان بذى خشب * والمدخلين على عثمان فى الدار

ثم قال يا أمير المؤمنين حرمنا العطاء منذ سنين وقبضت أموالنا وضياعنا . فقال له المنصور اعد على البيتين فاعادهما عليه . فقال اما والله لئن كان ذلك ضركم فى ذلك الحين لينفعنكم اليوم. ثم قال على بسليمان الكاتب فاتاه أبو أيوب الخوزى . فقال اكتب الى عامل المدينة ان يرد جميع ما اقتطعه بنو أمية من ضياع بنى حزم واموالهم ويحسب لهم ما فاتهم من عطائهم وما استغل من غلاتهم من يومئذ الى اليوم فيخلف لهم جميع ذلك من ضياع بنى مروان ويفرض لكل واحد منهم فى شرف العطاء . وكان شرف العطاء يومئذ مائتى دينار فى السنة . ثم قال على الساعة بعشرة آلاف درهم تدفع الى هذا الفتى لنفقته فخرج الفتى من عنده بما لم يخرج به احد ممن دخل عليه :

١١ — فرش ذكر خلفاء بنى العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم —

ابو العباس السفاح : ولد ابو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مستهل رجب سنة اربع ومائة . وبويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وتوفى بالانبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . فكانت خلافته أربع سنين وثمانية اشهر وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان . وكان أبيض طويلا اقنى الانف حسن الوجه حسن اللحية جعدها نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . وصلى عليه عمه عيسى بن على . ورزق

من الولد اثنين محمد من ام ولد ومات صغيرا وابنة سماها ريطة من ام ولد تزوجها المهدى وأولدها عليا وعبيد الله . ووزر له ابوسلمة حفص بن سليمان الخلال وهو اول من لقب بالوزارة . فقتله ابو العباس واستوزر بعده خالد بن برمك الى آخر ايامه . وكان حاجبه ابو غسان صالح بن الهيثم . وقاضيه يحيى بن سعيد الانصارى ﴿ المنصور ﴾ وبويع أبو جعفر المنصور واسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فى اليوم الذى توفى فيه اخوه لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . وكان مولده بالشراة لسبع خلون من ذى الحجة سنة خمس وتسعين . وتوفى بمكة قبل التروية بيوم لسبع خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وهو محرم . ودفن بالحجون وصلى عليه ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس . وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الاثمانية ايام . وكان سنه ثلاثا وستين سنة . وامه امة اسمها سلامة وجنسها بربرية . وكان اسمر طوالا نحيف الجسم خفيف العارضين يخضب بالسواد ونقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . وتزوج ابنة منصور الحميرية وولدت له محمدا وهو المهدى وجعفرا . وكانت شرطت عليه ان لا يتزوج ولا يتسرى الا عن امرها وكان قد ابتاع جارية ام على وجعلها قيما فى ولده على ام موسى واولادها . فحظيت عند ام موسى وسألته التسرى بها لما رأت من فضلها فواقعها فأولدها عليا . وتوفى قبل استكمال سنة . ثم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله فولدت له سليمان وعيسى ويعقوب ورزق من امهات الاولاد صالحا وغالية وجعفرا والقاسم والعباس وعبد العزيز . ووزر له ابن عطية الباهلى . ثم ابو ايوب الموريانى . ثم الربيع مولاه . وكان حاجبه عيسى بن روضة مولاه ثم ابو الخصيب مولاه . وكان قاضيه عبد الله بن محمد بن صفوان . ثم شريك بن عبد الله والحسن بن عمار والحجاج بن ارطاة ﴿ المهدى ﴾ ثم بويع ابنه ابو عبد الله محمد المهدى بن عبد الله المنصور ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس صبيحة اليوم الذى توفى فيه ابوه لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة . وكان مولده بالحميمة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . وتوفى بماسبذان فى المحرم سنة تسع وستين ومائة وصلى عليه ابنه الرشيد فكانت خلافته عشر سنين وخمسة واربعين يوما . وكان سنه احدى واربعين سنة وثمانية اشهر ويومين . وكان اسمر طويلا معتدل الخلق جعد الشعر بعينه اليمنى نكتة

بياض نقش خاتمه الله ثقة محمد و به يؤمن . وتزوج ريطة بنت السفاح وأولدها عليا وعبيد الله . وأول جارية ابتاعها محياة فرزق منها ولدا مات قبل استكمال سنة . وكان يبتاع الجوارى باسمها وتقربهن اليه وأول من حظى منهن عنده رحيم ولدت له العباسة . ثم الخيزران فولدت له موسى وهرون والبانوقة ثم حللة وحسنة فكانتا مغنيتين محسنتين . وتزوج سنة تسع وخمسين ومائة أم عبد الله بنت صالح بن على أخت الفضل وعبد الله واعتق الخيزران فى السنة وتزوجها . ووزر له أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعرى . ثم يعقوب بن داود السلمى . ثم الفيض بن أبى صالح . واستحجب سلامان الابرش . واستخلف عن القضاء محمد بن عبد الله بن علاثة وعافية ابن يزيد كانا يقضيان معا فى مسجد الرصافة ﴿ الهادى ﴾ ثم بويع ابنه أبو محمد موسى الهادى ابن المهدى مستهل صفر سنة تسع وستين ومائة . وتوفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة بعيساباذ وصلى عليه أخوه الرشيد . وكانت خلافته سنة وشهرين الا اياما . وكانت سنه ستا وعشرين سنة وكان أبيض طويلا جسيما بشفته العليا تقلص نقش خاتمه الله ربى . وتزوج أمة العزيز فأولدها عيسى . ثم رحيم فأولدها جعفرا . ثم سعوف فأولدها العباس . واشترى جارية حسنة بالف درهم وكانت شاعرة فرزق منها عدة بنات . منهم أم عيسى تزوجها المأمون . وكان له من أمهات الاولاد عبد الله واسحق وموسى وكان اعمى . ووزر له الربيع . ثم يونس . ثم عمر بن ربع . واستحجب الفضل بن الربيع وولى القضاء أبا يوسف يعقوب . ثم ابراهيم فى الجانب الغربى . وسعيد بن عبد الرحمن الجمحى بالجانب الشرقى ﴿ هرون الرشيد ﴾ ثم بويع أخوه أبو محمد هرون الرشيد فى اليوم الذى توفى فيه أخوه يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة . وفى هذه الليلة ولد عبد الله المأمون ولم يكن فى سائر الزمان ليلة ولد فيها خليفة وتوفى فيها خليفة وقام فيها خليفة غيرها وكان مولد الرشيد فى المحرم سنة ثمان وأربعين ومائة وتوفى فى جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ودفن بطوس وصلى عليه ابنه صالح فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وكانت سنه ستا وأربعين سنة وخمسة أشهر . ولما افضت اليه الخلافة سلم عليه عمه سليمان بن المنصور والعباس بن محمد عم أبيه وعبد الصمد بن على عم جده . فعبد الصمد عم العباس والعباس عم سليمان وسليمان عم هرون . وكان الرشيد أبيض جسيما طويلا جميلا وقد وخطه الشيب نقش

خاتمه لا اله الا الله وخاتم آخر كن من الله على حذر . وتزوج زبيدة واسمها أمة العزيز وتكنى أم الواحد وزبيدة لقب لها وهي ابنة جعفر بن المنصور أولدها محمدا الامين . ثم مراجل فأولدها عبد الله المأمون . وماردة أولدها محمدا المعتصم ونادر ولدت له صالحا وشجا ولدت له خديجة ولبابة . وسريرة ولدت محمدا . وبربرية ولدت له أبا عيسى ثم القاسم وهو المؤتمن . وسكينة وحث فولدت له اسحق وأبا العباس . ووزر له جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي وقتله . ثم الفضل بن الربيع واستحجب بشر بن ميمون مولاه . ثم محمد بن خالد بن برمك واستخلف على قضاء الجانب الغربي نوح بن دراج وحفص بن غياث ﴿الامين﴾ ثم بويع أبو عبد الله محمد الامين في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة . وقتل يوم الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان مولده بالرصافة سنة احدى وسبعين ومائة في شوال . فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وأياما صفا له الامر من جملتها سنتين وشهرا . وكانت الفتنة بينه وبين أخيه سنتين . وكان طويلا جسيما جميلا حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين أشقر سبطا صغير العينين به أثر جدري نقش خاتمه محمد واثق بالله ورزق من الولد موسى من أم ولد تدعى نظما . ولقبه الناطق بالحق وضرب اسمه على الدراهم . وذكر الصولي قال حدثني من قرأ على درهم :

كل عز ومفخر * فلموسى المظفر

ملك خط ذكره * في الكتاب المسطر

وماتت نظم فاشتد جزعه عليها فدخلت زبيدة معزية له . فقالت:

نفسي فداؤك لا يذهب بك التلف * ففي بقائك ممن قد مضى خلف

عوضت موسى فكانت كل مرزية * من بعد موسى على مفقوده سلف

وبايع لابنه موسى في حياته ولاخيه عبد الله وأمه أم ولد ونقش اسمه أيضا على الدراهم . وكان لجعفر بن موسى الهادي جارية اسمها بدل فطلبها الامين منه فأبى عليه . وكان شديد الوجد بها فزاره الامين يوما فسربه وزاد عليه في الشرب حتى ثمل فانصرف وأخذ الجارية فلما أصبح جعفر ندم على ما جرى ولم يدر ما يصنع فدخل على الامين . فلما مثل بين يديه قال له أحسنت والله يا جعفر بدفعك بدل الينا وما أحسنا ووقر زورقه على عشرين ألف ألف درهم . ووزر

للامين الفضل بن الربيع الى آخر أيامه . وكان حاجبه العباس بن الفضل بن الربيع . ثم على بن صالح صاحب المصلى . ثم السندى بن شاهق ﴿المأمون﴾ ثم بويع أبو العباس عبد الله المأمون ابن هرون الرشيد بعد قتل أخيه يوم الخميس لخمس خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة وكان مولده بالناشرية فى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة وتوفى بالبدندون سنة ثمانى عشرة ومائتين لثمان خلون من رجب ودفن بطرسوس . فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما . وكان سنه ثمانا وأربعين سنة وأربعة أشهر الا أياما وكان أبيض تعلوه شقرة أجنى أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين بخده خال أسود وكان قد وخطه الشيب نقش خاتمه سل الله يعطك وكان الرشيد حد المأمون . وذلك انه دخل على الرشيد وعنده مغنية تغنيه فلحنت فكسر المأمون عينه عند استماعه اللحن فتغير لون الجارية وفطن الرشيد لذلك . فقال أعلمتها بما صنعت . قال لا والله يامولاى قال ولا أومأت اليها قال قد كان ذلك . فقال كن منى بمرأى ومسمع فاذا خرج اليك أمرى فانته اليه . ثم أخذ دواة وقرطاسا وكتب اليه :

يا آخذ اللحن على القينة عند الطرب
تريد أن تفهمها * حد لغات العرب
أقسم بالله وما * سطر أهل الكتب
للكلب خير أدبا * من بعض أهل الادب

اذا قرأت ما كتبت به اليك فامر من يضربك عشرين مقرعة جيادا . فدعا المامون النوابين ثم أمرهم ببطحه وضربه فامتنعوا فاقسم عليهم فامتثلوا أمره . ورزق من الولد محمدا الاصغر وعبيد الله بن أم عيسى بنت موسى الهادى . وتزوج بوران بنت الحسن بن سهل بنى بها سنة عشر ومائتين ووهب لابيها عشرة آلاف ألف درهم ولولده ألف ألف درهم وكان له عدة أولاد من بنين وبنات . ووزر له الفضل بن سهل ذو الرياستين ثم الحسن بن سهل . ثم أحمد بن أبى خالد الاحول . ثم أحمد بن يوسف . ثم ثابت بن يحيى . ثم محمد بن بزدار . واستحجب عبد الحميد بن شبيب . ثم محمدا وعليا ابنى صالح مولى المنصور ﴿المعتصم بالله﴾ ثم بويع أخوه أبو اسحق المعتصم بن الرشيد يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمانى عشر

ومائتين وكان مولده فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة . وتوفى بسرمن رأى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين ومائتين وصلى عليه ابنه هرون الواثق . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . وأمه أم ولد يقال لها ماردة . وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعها مشرب اللون نقش خاتمه الله ثقة أبى اسحق بن الرشيد وبه يؤمن وكان شديد الباس حمل بابا من حديد فيه سبعمائة وخمسون رطلا وفوقه عكام فيه مائتان وخمسون رطلا . وخطا خطا كثيرة وكان يسمى ما بين أصبعى المعتصم المقطرة لشدته وانه اعتمد يوما على غلام فدقه . وذكر الصولى انه كان يسمى المثمن . وذلك انه الثامن من خلفائهم ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة وولى الامر فى سنة ثمانى عشرة ومائتين وله ثمان وأربعون سنة . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . ورزق من الولد الذكور ثمانية . ومن الاناث ثمانيا وغزا ثمان غزوات وخلف فى بيت ماله ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق ثمانية آلاف ألف درهم . ووزر له الفضل بن مروان . ثم أحمد بن عمار . ثم محمد بن عبد الملك الزيات واستحجب وصيفا مولاه . ثم محمد بن حماد ثم دنقش ﴿الواثق﴾ ثم بويع ابنه أبو جعفر هرون الواثق صبيحة اليوم الذى توفى فيه أبوه يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين . وكان مولده يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة وتوفى بسرمن رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وصلى عليه أخوه المتوكل . فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وكان سنه ستا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما . وكان أبيض الى الصفرة حسن الوجه جسيما فى عينه اليمنى نكتة بياض نقش خاتمه محمد رسول الله وخاتم آخر الواثق بالله ورزق من الولد محمدا المهتدى . وأمه أم ولد يقال لها قرب وعبد الله وأبا العباس أحمد وأبا اسحق محمدا وأبا اسحق ابراهيم . ووزر له محمد بن عبد الملك الزيات وحاجبه ايتاخ . ثم وصيف مولاه . ثم دنقش . وقاضيه ابن أبى دواد ﴿المتوكل﴾ ثم بويع أخوه ابو الفضل جعفر المتوكل يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان مولده يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست ومائتين . وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين ودفن فى القصر الجعفرى وصلى عليه ابنه المنتصر ولى عهده . فكانت مدة خلافته

اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وتسعة ايام . وكان سنه اربعين سنة الاثمانية ايام . وكان أسمر كبير العينين نحيف الجسم خفيف العارضين نقش خاتمه على الهى اتكالى وكان كثير الولد . ووزر له محمد ابن عبد الملك الزيات . ثم محمد بن الفضل الجرجانى . ثم عبيد الله بن يحيي بن خاقان واستحجب وصيفا التركى . ثم محمد بن عاصم . ثم ابراهيم بن سهل . وكان خليفته على القضاء يحيي بن اكثم

﴿المنتصر﴾ ثم بويع ابنه ابو جعفر محمد المنتصر لاربع خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين . وكان مولده يوم الخميس لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين فكانت خلافته ستة اشهر . وسنه ستة وعشرين سنة الاثلاثة ايام . وكان قصيرا أسمر ضخم الهامة عظيم البطن جسيما على عينه اليمنى اثر نقش خاتمه يؤتى الحذر من مامنه وعلى خاتم آخر انا من آل محمد الله وليي ومحمد . ورزق من الولد عليا وعبد الوهاب وعبد الله واحمد . ووزر له احمد بن الحصيب . وحاجبه وصيف ثم بغا . ثم ابن المرزبان ثم اوتامش ﴿المستعين﴾ ثم بويع المستعين ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وخلع نفسه بموافقة المعتز بوساطة ابى جعفر المعروف بابن الكردية يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين . وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر . وكان مولده يوم الثلاثاء لاربع خلون من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين . وقتل بالقادسية بعد خلعه نفسه بتسعة أشهر . وأمه أم ولد يقال لها مخارق . وكان مربوعا أحمر الوجه أشقر مسمنا عريض المنكبين ضخم الكراديس خفيف العارضين بوجهه أثر جدرى ألثغ بالسين نقش خاتمه فى الاعتبار غنى عن الاختيار . ووزر له أحمد بن الحصيب فنكبه وقلد مكانه ابن يزداد . ثم شجاع بن القاسم كاتب أوتامش . وأوتامش هذا حاجبه . وكانت سنه احدى وثلاثين سنة الاثمانية أيام ﴿المعتز﴾ ثم ولى أبو عبد الله محمد المعتز بن المتوكل يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وكانت الفتنة قبل ذلك بينه وبين المستعين سنة وقتل عشية يوم الجمعة لليلة خلت من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين . وكان مولده يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكانت خلافته منذ بويع له واجتمعت الكلمة عليه ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ومنذ بايعه أهل سر من رأى الى أن قتل أربع سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوما . وقتله صالح بن وصيف وكان

أبيض شديد البياض ربعة حسن الجسم على خده الايسر خال أسود الشعر نقش خاتمه الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء . وزرله جعفر بن محمود الاسكافى . ثم عيسى بن فرخان شاه . ثم أحمد بن اسرائيل الانبارى وحاجبه سماء بن صالح بن وصيف وكانت سنه أربعا وعشرين سنة وشهرين وأياما ﴿المهتدى﴾ ثم بويع المهتدى أبو عبد الله محمد بن الواثق بسر من راى يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين . كان مولده يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائتين . وقتل بسر من رأى بسهم لحقه يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين فكانت خلافته أحد عشر شهرا واربعة عشر يوما . وكان سنه سبعا وثلاثين سنة واربعة أشهر واحد عشر يوما وكان ابيض مشربا بحمرة صغير العينين اقنى الانف فى عارضيه شيب . وخضب لما ولى الخلافة نقش خاتمه من تعدى الحق ضاق مذهبه . وزرله ابوايوب سليمان بن وهب . وحاجبه بابك ﴿المعتمد﴾ ثم بويع ابو العباس احمد المعتمد بن المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين . وكان مولده يوم الثلاثاء لثمان بقين من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين . وتوفى ببغداد لاربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين . فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وكان سنه خمسين سنة وخمسة اشهر واثنتين وعشرين يوما ومات اخوه وولى عهده طلحة الموفق فى ايامه فى صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان قد غلب على الامر لميل الناس اليه . وكان المعتمد قد عقد لولده جعفر ولقبه المفوض وبعده لابى احمد طلحة الموفق فاشتد امر الموفق . وقتل صاحب الزنج فى سنة (١) ومال الناس اليه واسمه الناصر لدين الله وكان يدعى له على المنبر فى ايام المعتمد . وكان الموفق حبس ابنه ابا العباس المعتضد . فلما حضرته الوفاة اطلقه للقيام بالامر واجرى المعتمد امره على ما كان يجرى عليه امر ابيه الموفق وافرده بولاية العهد وامر بكتب الكتب لخلع ابنه المفوض . وافرد المعتضد بالعهد وجعله الخليفة بعده . وكان المعتمد اسمر مربوعا نحيف الجسم حسن العينين مدور الوجه على وجهه اثر جدرى نقش خاتمه السعيد من كفى بغيره . ووزرله عبيد الله يحيى بن خاقان ثم سليمان بن وهب . ثم الحسن بن مخلد . ثم صاعد بن مخلد . ثم أبو الصقر اسمعيل بن بلبل

(١) بياض بالاصل

حاجبه موسى بن بغا ثم جعفر بن بغا ثم بكتمر ﴿ المعتضد ﴾ و بويع المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق فى رجب سنة سبع وسبعين ومائتين وكان مولده فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وتوفى ببغداد ليلة الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وصلى عليه أبو عمر القاضى. فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام . وكان سنه خمسا وأربعين سنة وتسعة أشهر وأياما . وأمه ضرار وكان نحيف الجسم معتدل القامة طويل اللحية أسمر نقش خاتمه الاضطرار يزيل الاختيار . ووزر له عبيد الله ابن سليمان بن وهب . ثم ابنه القاسم بن عبيد الله وحاجبه صالح الامين ﴿ المكتفى ﴾ ثم بويع ابنه أبو محمد على بن المعتضد يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وكان مولده فى رجب سنة أربع وستين ومائتين . وتوفى ببغداد فدفن عند قبر أبيه ليلة الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما . وكان سنه احدى وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما وأمه (١) وقيل خاضع . وكان ربعة حسن الوجه أسود الشعر وافر اللحية عريضها ولم يشب الى ان مات نقش خاتمه بالله أحمد بن الموفق يثق . وخلف فى بيت ماله ستة عشر الف الف دينار ومن الورق ثلاثين الف الف درهم . ووزر له القاسم بن عبيد الله ثم العباس . ثم الحسن ابن أيوب . وحاجبه خفيف السمرقندى . ثم سوسن مولاه ﴿ المقتدر ﴾ ثم بويع المقتدر وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد فى اليوم الذى توفى فيه أخوه يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وخلع فى خلافته دفعتين الاولى بعد جلوسه بأربعة أشهر وأيام بابن المعتز وبطل الامر من يومه والدفعة الثانية بعد احدى وعشرين سنة وشهرين ويومين من خلافته . وخلع نفسه وأشهد عليه واجلس القاهر يومين وبعض اليوم الثالث ووقع الخلف بين العسكرين وعاد المقتدر الى حاله . وكان مولده لثمان بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وقتل بالشماسية يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة . فكانت خلافته خمسا وعشرين سنة الا خمسة عشر يوما . وكان سنه ثمانيا وأربعين سنة وشهرا وعشرين يوما . وكان أبيض مشربا بحمرة حسن الخلق ضخم الجسم بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر مدورا الوجه قد كثر الشيب فى وجهه نقش خاتمه الحمد لله الذى

---

(١) بياض بالاصل

ليس كمثله شيء وهو على كل شيء . و ز رله العباس بن الحسن . ثم علي بن محمد بن موسى بن الفرات . ثم عبيدالله بن خاقان . ثم أبوالحسن علي بن عيسى . ثم حامد بن العباس . ثم أحمد بن عبيدالله الحصيبي . ثم محمد بن علي بن مقلة . ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم عبيدالله الكلوداني . ثم الحسن بن القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب . ثم الفضل بن جعفر ابن الفرات واستحجب سوسنا مولى المكتفي ونصراً القشوري و ياقوتا المعتضدى وابراهيم ومحمدا ابني رائق ﴿ القاهر ﴾ ثم بويع أخوه أبومنصور محمد القاهر بن المعتضد يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة . وخلع وسمل يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده لخمس خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثمانين ومائتين . وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام وعاش الى أيام المطيع وكان سنه (١) وكان ربعة أسمر اللون معتدل القامة اصهب الشعر . و و ز رله أبو علي بن مقلة . ثم محمد بن القاسم بن عبيدالله ثم أحمد بن عبيدالله الحصيبي . واستحجب علي بن بلبق مولى يونس . ثم سلامة الطولوني ﴿ الراضي ﴾ ثم بويع الراضي أبوالعباس أحمد بن المقتدر يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين . ومات ببغداد ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وثلثمائة ودفن بالرصافة . وكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام . وكان سنه احدى وثلاثين سنة وثمانية أشهر وأياما وأمه أم ولد يقال لها ظلوم وكان قصير القامة نحيف الجسم اسود الشعر رقيق السمرة في وجهه طول نقش خاتمه محمد رسول الله . ووزر له أبو علي بن مقلة . ثم ابنه أبوالحسين . ثم عبدالرحمن بن عيسى . ثم محمد بن القاسم الكرجي . ثم سليمان بن الحسن . ثم الفضل بن جعفر . ثم أبوعبدالله البزيدي واستحجب محمد بن ياقوت . ثم دكيا مولاه ﴿ المتقي ﴾ ثم بويع أخوه المتقي ابواسحق ابراهيم بن المقتدر يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسمل يوم السبت لثمان خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة . وكان مولده في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين . وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا الا أياما . وكان أبيض

(١) بياض بالاصل

تعلوه حمرة أصهب شعر اللحية كث اللحية بفكه أدنى عوج نقش خاتمه محمد رسول الله . وزرله أحمد بن محمد بن ميمون . ثم اليزيدى . ثم سليمان بن الحسن . ثم أبو اسحق محمد بن أحمد العرايطى . ثم محمد بن القاسم الكرجى . ثم أحمد بن عبد الله الاصبهانى . ثم على بن محمد بن مقلة واستحجب سلامة مولى خمارويه بن أحمد . ثم بدر الحرشنى . ثم سلامة الطولونى . ثم عبد الرحمن بن أحمد بن خاقان المفلحى ﴿ المستكفى ﴾ ثم بويع أبو القاسم عبد الله بن على المستكفى فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بالسندية عقيب كسوف القمر وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . فكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وأياما . وكان مولده مستهل سنة اثنتين وتسعين ومائتين . وتوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة . وكانت سنه سبعا وأربعين سنة . وأمه أم ولد يقال لها غصن . وكان أبيض تعلوه حمرة ضخم الجسم تام الطول خفيف العارضين كبير العينين اشهل جهورى الصوت نقش خاتمه محمد رسول الله . وزرله محمد ابن على السرمن رأى . واستكتب بعده أبا أحمد الفضل بن عبد الله الشيرازى . واستحجب أحمد بن خاقان ﴿ المطيع ﴾ ثم بويع المطيع أبو القاسم الفضل بن المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وخلع نفسه ببغداد لسبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثلاث وستين وثلثمائة . وكان مولده فى النصف من ذى القعدة سنة احدى وثلثمائة وتوفى فى (١) فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد تدعى مشعلة وكان سنه (٢) وكان شديد البياض اسود شعر الرأس واللحية . وزرله على بن محمد بن مقلة والناظر فى الامور أبو جعفر الصيمرى كاتب أحمد بن بويه . ثم استولى على اسم الوزارة . وكتب للمطيع الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى . ومات وقام مقامه أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى وحاجبه عز الدولة بختيار بن معز الدولة * تم كتاب اليتيمة الثانية



(١) بياض بالاصل

(٢) بياض بالاصل

١٦

فن من كتاب الدرة الثانية

﴿ فى أيام العرب ووقائعها ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضى الله عنه : قد مضى قولنا فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أيام العرب ووقائعها فانها مآثر الجاهلية ومكارم الاخلاق السنية . قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتم فى مجالسكم . قال كنا نتناشد الشعر ونتحدث باخبار جاهليتنا وقال بعضهم وددت ان لنا مع اسلامنا كرم اخلاق آبائنا فى الجاهلية . ألا ترى ان عنترة الفوارس جاهلى لا دين له والحسن بن هانئ اسلامى له دين فمنع عنترة كرمه مالم يمنع الحسن بن هانئ دينه فقال عنترة فى ذلك :

واغض طرفى ان بدت لى جارتى * حتى يوارى جارتى مأواها

وقال الحسن بن هانئ مع اسلامه :

كان الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والهزل

والباعثى والناس قد رقدوا * حتى أتيت حليلة البعل

١ — حروب قيس فى الجاهلية — يوم منعج لغنى على عبس . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى يوم منعج يقال له يوم الردهة . وفيه قتل شاس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى بمنعج على الردهة . وذلك ان شاس بن زهير اقبل من عند النعمان بن المنذر . وكان قد حباه بحباء جزيل وكان فيما حباه قطيفة حمراء ذات هدب وطيلسان وطيب . فورد منعج وهو ماء لغنى فأناخ راحلته الى جانب الردهة وعليها خباء لرياح بن الاسل الغنوى وجعل يغتسل وامرأة رياح تنظر اليه وهو مثل الثور الابيض . فانتزعه رياح بسهم فقتله ونحر ناقته فأكلها وضم متاعه وغيب أثره وفقد شاس بن زهير حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ قد سامتها امرأة رياح بن الاسل . فعلموا ان رياحا صاحب ثارهم فغزت بنو عبس غنيا قبل ان يطلبوا

قودا أودية مع الحسين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة . فلما بلغ ذلك غنيا قالوا لرياح انج لعلنا نصالح القوم على شئ . فخرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب لا يريان الا انهما قد خالفا وجهة القوم فمر صرد على رؤسهما فصرصر . فقال ماهذا فما راعهما الا خيل بني عبس فقال الكلابي لرياح انحدر من خلفي والتمس نفقا في الارض فاني شاغل القوم عنك . فانحدر رياح عن عجز الجمل حتى أتى صعدة فاحتفر تحتها مثل مكان الارنب وولج فيه ومضى صاحبه فسألوه فحدثهم . وقال هذه غني جامعة وقد استمكنتم منهم فصدقوه وخلوا سبيله . فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا من الذي كان خلفك . فقال لا أكذب رياح بن الاسل وهو في تلك الصعدات . فقال الحصينان لمن معهما قد أمكننا الله من ثارنا ولا نريد ان يشركنا فيه أحد فوقفوا عنهما ومضوا فجعلا يريعان رياح بن الاسل بالصعدات . فقال لهما هذا اعز الكماة الذي تريعانه فابتدراه فرمى أحدهما بسهم فاقصده وطعنه الآخر قبل ان يرميه فاخطاه ومرت به الفرس واستدبره رياح بسهم فقتله . ثم نجا حتى أتى قومه وانصرفا خائبين موتورين . وفي ذلك يقول الكميت بن زيد الاسدي وكان له أبان من غني :

أنا ابن غني والدى كلاهما * لامين منهم في الفروع وفي الاصل

هم استودعوا زهرا نسيب بن سالم * وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل

وهم قتلوا شاس الملوك وارغموا * أباه زهيرا بالمذلة والثكل

٢ — يوم النفراوات لبني عامر على بني عبس — فيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي . وكانت هوازن تؤدي اليه اتاوة وهي الخراج فاتته يوما عجوز من بني نصر بن معاوية بسمن في نحي واعتذرت اليه وشكت سنين تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعسها بقوس في يده عطل في صدرها فاستلقت على قفاها منكشفة فتالى خالد بن جعفر وقال والله لاجعلن ذراعي في عنقه حتى يقتل أو اقتل . وكان زهير عدوسا مقداما لايبالي ما أقدم عليه فاستقل أي انفرد من قومه بابنيه و بني أخويه اسيد و زنباع يرعى الغيث في عشر أوات له وشول فاتاه الحرث بن الشريد وكانت تماضر بنت الشريد تحت زهير . فلما عرف الحرث مكانه ابرز اليه بني عامر بن صعصعة رهط خالد بن جعفر فركب منهم ستة فوارس فيهم خالد بن جعفر وصخر بن الشريد . وخرج ابن البكاء ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرات ويقال لمعاوية الاخيل وهو جد ليلى الاخيلية وثلاثة فوارس من سائر بني عامر . فقال أسيد لزهير اعلمتني راعية

غشى انها رأت على رأس الثنية اشباحا ولا أحسبها الا خيل بنى عامر فالحق بنا بقومنا . فقال زهير كل ازب نفور وكان اسيد أسعر القفا فذهبت مثلا فتحمل أسيد بمن معه و بقى زهير وابناه ورقاء والحرث وصبحتهم الفوارس . فمرت بزهير فرسه القعساء ولحقه خالد ومعاوية الاخيل فطعن معاوية القعساء فقلبت زهيرا وخر خالد فوقه فرفع المغفر عن رأس زهير . وقال يا آل عامر اقبلوا جميعا فأقبل معاوية فضرب زهيرا على مفرق رأسه ضربة بلغت الدماغ وأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالدا وعليه درعان فلم يغن شيأ واجهض ابنا زهير القوم عن زهير واحتملاه وقد أثخنته الضربة فمنعوه الماء . فقال أميت أنا عطشا اسقونى الماء وان كان فيه نفسى فسقوه فمات بعد ثلاثة أيام . فقال فى ذلك ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فأقبلت أسعى كالعجول ابادر
الى بطلين ينهضان كلاهما * يريدان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يمينى يوم أضرب خالدا * ويمنعه منى الحديد المظاهر
فياليت انى قبل أيام خالد * ويوم زهير لم تلدنى تماضر
لعمرى لقد بشرت بى اذ ولدتنى * فماذا الذى ردت اليك البشائر

وقال خالد بن جعفر فى قتله زهيرا :

بل كيف تكفرنى هوازن بعدما * أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر بناتهم ودياتهم * عقل الملوك هجائنا وبكارا

٣ — يوم بطن عاقل لذبيان على عامر — فيه قتل خالد بن جعفر ببطن عاقل وذلك ان خالدا قدم على الاسود بن المنذر أخى النعمان بن المنذر ومع خالد عروة الرحال بن عتبة ابن جعفر فالتقى خالد بن جعفر والحرث بن ظالم بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان عند الاسود بن المنذر . قال فدعا لهما الاسود بتمر فجىء به على نطع فجعل بين أيديهم فجعل خالد يقول للحرث بن ظالم يا حارث ألا تشكر يدى عندك ان قتلت عنك سيد قومك زهيرا وتركتك سيدهم . قال سأجزيك شكر ذلك . فلما خرج الحرث قال الاسود لخالد ما دعاك الى ان تحترش بهذا الكلب وانت ضيفى . فقال له خالد انما هو عبد من عبيدى لو وجدنى نائما

ما أيقظني وانصرف خالد الى قبته فلامه عروة الرحال . ثم ناما وقد أشرجت عليهما القبة ومع الحرث تبيع له من بني محارب يقال له خراش . فلما هدأت العيون أخرج الحرث ناقته وقال لخراش كن لي بمكان كذا فان طلع كوكب الصبح ولم آتك فانظر أي البلاد أحب اليك فاعمدها ثم انطلق الحرث حتى اتى قبة خالد فهتك شرجها . ثم ولجها وقال لعروة اسكت فلا بأس عليك و زعم أبو عبيدة انه لم يشعر به حتى أتى خالدا وهو نائم فقتله ونادى عروة عند ذلك واجوار الملك فاقبل اليه الناس وسمع الهتاف الاسود بن المنذر وعنده امرأة من بني عامر يقال لها المتجردة فشقت جيبها وصرخت . وفي ذلك يقول عبد الله بن جعدة :

شقت عليك العامرية جيبها * أسفا وماتبكي عليك ضلالا
ياحار لو نبهته لوجدته * لاطائشا رعشا ولا معزالا
واغرورقت عيناي لما أبصرت * بالجعفري وأسبلت اسبالا
فلنقتلن بخالد سرواتكم * ولنجعلن للظالمين نكالا
فاذا رأيتم عارضاً متلبياً * منا فانا لانحاول مالا

٤ ــ يوم رحرحان لعامر على تميم ــ قال وهرب الحرث بن ظالم ونبت به البلاد فلجأ الى معبد بن زرارة وقد هلك زرارة فاجاره . فقالت بنو تميم لمعبد مالك آويت هذا المشؤم الانكد وأغريت بنا الاسود وخذلوه غير بني ماوية و بني عبد الله بن دارم . و في ذلك يقول لقيط بن زرارة :

فامانهشل وبنونميم * فلم يصبر لنا منهم صبور
فان تعمد طهية في أمور * تجدها ثم ليس لها نصير
و يربوع باسفل ذي طلوح * وعمرو لاتحل ولا تسير
أسيد والهجيم لها حصاص * وأقوام من الجعراء عور
وأسلبنا قبائل من تميم * لها عدد اذا حسبوا كثير
وأما الاشعمان بنو عدي * وتيم ان تدبرت الامور
فلا تنعم بهم فتيان حرب * اذا ما الحي صبحهم نذير
اذا ذهبت رماحهم بزيد * فان رماح زيد لا تضير

قال و بلغ الاحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحرث بن ظالم عند معبد فاغزا معبدا فالتقوا برحرحان فانهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فدائه فقال لهما لكما عندى مائتا بعير . فقالا يا أبا نهشل انت سيد الناس وأخوك معبد سيد مضر فلا تقبل فيه الا دية ملك فابى ان يزيدهم . وقال لهم ان أبانا أوصانا ان لا نزيد أحدا فى ديته على مائتى بعير . فقال معبد للقيط لا تدعنى يالقيط فوالله لئن تركتنى لا ترانى بعدها أبدا . قال صبرا أبا القعقاع فاين وصاة أبينا ان لا تؤكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذؤب بكم ذؤبان العرب و رحل لقيط عن القوم . قال فمنعوا معبدا الماء وضاروه حتى مات هزالا وقيل أبى معبد ان يطعم شيأ أو يشرب حتى مات هزالا . ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل :

قضينا الحزن من عبس وكانت * منية معبد فينا هزالا

وقال جرير :

وليلة وادى رحرحان فررتم * فرارا ولم تلووا زفيف النعائم

تركتم أبا القعقاع فى الغل مصفدا * وأى أخ لم تسلموا فى الاداهم

وقال آخر :

و برحرحان غداة كبل معبد * نكحوا بناتكم بغير مهور

٥ ــ يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم ــ قال أبو عبيدة : يوم شعب جبلة أعظم أيام العرب وذلك انه لما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبنى عامر وألب عليهم . و بين أيام رحرحان و يوم جبلة سنة كاملة . وكان يوم شعب جبلة قبل الاسلام بار بعين سنة وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم . وكانت بنو عبس يومئذ فى بنى عامر حلفاء لهم فاستعدى لقيط بنى ذبيان لعداوتهم لبنى عبس من أجل حرب داحس فاجابته غطفان كلها غير بنى بدر . وتجمعت لهم تميم كلها غير بنى سعد . وخرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم و بين غطفان حتى أتى لقيط الجون الكلبى وهو ملك هجر . وكان يجبى من بها من العرب . فقال له هل لك فى قوم عادين قد ملؤا الارض نعما وشاء فترسل معى ابنيك فما أصبنا من مال وسبى فلهما وما أصبنا من دم فلى فاجابه الجون الى ذلك وجعل له موعدا رأس الحول . ثم

أتى لقيط النعمان بن المنذر فاستنجده وأطمعه فى الغنائم فاجابه . وكان لقيط وجيها عند الملوك فلما كان على قرن الحول من يوم رحرحان انهلت الجيوش الى لقيط وأقبل سنان بن أبى حارثة المرى فى غطفان وهو والد هرم بن سنان الجواد . وجاءت بنو أسد وأرسل الجون ابنيه معاوية وعمرا وأرسل النعمان أخاه لامه حسان بن وبرة الكلبى . فلما توافوا اخرجوا الى بنى عامر وقد أنذروا بهم وتأهبوا لهم . فقال الاحوص بن جعفر وهو يومئذ رحاهوازن لقيس بن زهير ماترى فانك تزعم انه لم يعرض لك أمران الا وجدت فى احدهما الفرج . فقال قيس بن زهير الرأى ان ترتحل بالعيال والاموال حتى ندخل شعب جبله فنقاتل القوم دونها من وجه واحد فانهم داخلون عليك الشعب وان لقيطا رجل فيه طيش فسيقتحم عليك الجبل فأرى لك ان تامر بالابل فلا ترعى ولا تسقى وتعقل ثم تجعل الذرارى وراء ظهورنا وتامر الرجال فتأخذ باذناب الابل فاذا دخلوا علينا الشعب حلت الرجالة عقل الابل ثم لزمت أذنابها فانها تنحدر عليهم وتحن الى مرعاها وردها ولا يرد وجوهها شئ وتخرج الفرسان فى أثر الرجالة الذين خلف الابل فانها تحطم مالقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل قال الاحوص نعم مارأيت . فاخذ برأيه ومع بنى عامر يومئذ بنو عبس وغنى فى بنى كلاب وباهلة فى بنى صعب والابناء أبناء صعصعة . وكان رهط المعقر البارقى يومئذ فى بنى نمير بن عامر . وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قيس . قال أبو عبيدة : وأقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بنى عامر قد دخلوا شعب جبلة فنزلوا على فم الشعب . فقال لهم رجل من بنى أسد خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا ويخرجوا . فوالله ليتساقطن عليكم تساقط البعر من است البعير فأبوا حتى دخلوا الشعب عليهم وقد عقلوا الابل وعطشوها ثلاثة أخماس وذلك اثنتا عشرة ليلة ولم تطعم شيأ . فلما دخلوا حلوا عقلها فاقبلت تهوى . فسمع القوم دويها فى الشعب فظنوا ان الشعب قد هدم عليهم والرجالة فى أثرها آخذين باذنابها فدقت كلما لقيت وفيها بعير اعور يتلوه غلام أعسر آخذ بذنبه وهو يرتجز ويقول :

أنا الغلام الاعسر * الخير فى والشر * والشر منى أكثر

فانهزموا لا يلوون على أحد . وقتل لقيط بن زرارة . وأسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرقيبة . وأسر سنان بن أبى حارثة المرى أسره عروة الرجال فجز ناصيته وأطلقه فلم تشنه . وأسر عمرو ابن أبى عمرو بن عوين أسره قيس ابن المنفق فجز ناصيته وخلاه طمعا فى المكافاة فلم يفعل .

وقتل معاوية بن الجون ومنقذ بن طريف الاسدى ومالك بن ربعى بن جندل بن نهشل . فقال جرير :

كانك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعايال دارم
ويوم الصفا كنتم عبيد العامر * وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم

يعنى بالحزن يوم لقيط . وقال جرير أيضا فى بنى دارم :

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا * كان عليه حلة ارجوان
وكبل حاجب بالشام حولا * فحكم ذا الرقيبة وهو عان

وقالت دختنوس أخت لقيط ترثى لقيطا :

قرت بنو اسد فرا * والطير عن أربابها
عن خير خندف كلها * من كهلها وشبابها
وأعمها حسبا اذا * ضمت الى أحسابها

وقال المعقر البارقى :

أمن آل شعثاء الحمول البواكر * مع الصبح أم زالت قبيل الاباعر
وحلت سليمى فى هضاب وأيكة * فليس عليها يوم ذلك قادر
فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر
فصبحها أملاكها بكتيبة * عليها اذا أمست من الله ناظر
معاوية بن الجون ذبيان حوله * وحسان فى جمع الرباب مكاثر
وقد جمعت دودان تبغى لثارها * وجاشت تميم كالفحول تخاطر
وقد جمعوا جمعا كان زهاءه * جراد هفا فى هبوة متطاير
فمروا باطناب البيوت فردهم * رجال باطناب البيوت مساعر
فباتوا لنا ضيفا وبتنا بنعمة * لنا مسمعات بالدفوف وزامر
فلم نقرهم شيأ ولكن قراهم * صبوح لدينا مطلع الشمس حازر
وصبحهم عند الشروق كتائب * كاركان سلمى سيرها متواتر
كان نعام الدوباض عليهم * وأعينهم تحت الحبيك خوازر

من الضار بين الهام يمشون مقدما * اذا غص بالريق القليل الحناجر
أظن سراة القوم ان لن يقاتلوا * اذا دعيت بالسفح عبس وعامر
ضربنا جميل البيض فى غمر لجة * فلم ينج فى الناجين منهم مفاخر
هوى زهدم تحت العجاج لعامر * كما انقض باز أقتم الريش كاسر
يفرج عنا كل ثغر نخافه * مشيح كسرحان القصيمة ضامر
وكل طموح فى العنان كانها * اذا اغتمست فى الماء فتخاء كاسر
لها ناهض فى الوكر قد مهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عاقر
تخاف نساء يبتززن حليلها * محربة قد أحردتها الضرائر

استعار هذا البيت فالقت عصاها من المعقر البارقى اذ كان مثلا فى الناس راشد بن عبد ربه السلمى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل أباسفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب . ووجه راشد بن عبد ربه السلمى أميرا على المظالم والقضاء فقال راشد بن عبد ربه :

صحا القلب عن سلمى واقصر شأوه * وردت عليه تبتغيه تماضر
وحلمه شيب القذال عن الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلى * عن اللهو لما ابيض منى الغدائر
على انه قد هاجه بعد صحوه * بفرض ذى الا آجام عبس بواكر
ولما دنت من جانب الغوط أخصبت * وحلت فلاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان ان ليس بينها * و بين قرى بصرى ونجران كافر
فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فاستعار هذا البيت الاخير من المعقر البارقى ولا أحسبه استجاز ذلك الا لاستعمال العامة له وتمثلهم به :

٦ — يوم مقتل الحرث بن ظالم بالحريبة — قال أبو عبيدة: لما قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر الكلابى آتى صديقا له من كندة فالتف عليه فطلبه الملك فخفى ذكره حتى شخص من عند الكندى وأضمرته البلاد حتى استجار بزياد أحد بنى عجل بن لجيم . فقام بنو ذهل بن ثعلبة و بنو عمرو بن شيبان فقالوا لعجل أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم فانه لا طاقة لنا

بالشهباء ودوسر وهما كتيبتان للاسود بن المنذر ولا بمحاربة الملك فابت ذلك عليهم عجل . فلما رأى ذلك الحرث بن ظالم كره أن يقع بينهم فتنة بسببه فارتحل من بنى عجل الى جبل طيء فأجاروه فقال فى ذلك :

لعمرى لقد حلت بى اليوم ناقتى * على ناصر من طيء غير خاذل

فأصبحت جارا للمجرة فيهم * على باذخ يعلو يد المتطاول

اذا اجأ لفت على شمابها * وسلمى فانى اتم من تناولى

فمكث عندهم حينا . ثم ان الاسود بن المنذر لما أعجزه أمره أرسل الى جارات كن للحرث بن ظالم فاستاقهن وأموالهن فبلغ ذلك الحرث بن ظالم فخرج من الجبلين فاندس الحرث بن ظالم فى الناس حتى علم مكان جاراته ومرعى ابلهن فاتاهن فاستنقذهن واستاق ابلهن فألحقهن بقومهن واندس فى بلاد غطفان حتى أتى سنان بن أبى حارثة المرى وهو أبو هرم الذى كان يمدحه زهير . وكان الاسود بن المنذر قد استرضع ابنه شرحبيل عند سلمى امرأة سنان وهى من بنى غنم بن دودان بن أسد . فكانت لا تأمن على ابن الملك أحدا فاستعار الحرث بن ظالم سرج سنان وهو فى ناحية الشربة لا يعلم سنان ما يريد وأتى بالسرج امرأة سنان وقال لها يقول لك بعلك ابعثى ابنك مع الحرث فانى أريد ان استأمن له الملك وهذا سرجه آية ذلك . قال فزينته سلمى ودفعته اليه فأتى به ناحية من الشربة فقتله . وقال فى ذلك :

اخصى حمار بات يكدم لحمه * اتؤكل جاراتى وجارك سالم

علوت بذى الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الاكارم

فتكت به لما فتكت بخالد * وكان سلاحى تحتويه الجماجم

بدأت بذاك واثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم

قال وهرب الحرث من فوره ذلك وهرب سنان بن أبى حارثة . فلما بلغ الاسود قتل ابنه شرحبيل غزا بنى ذبيان فقتل وسبى وأخذ الاموال وأغار على بنى دودان رهط سلمى التى كان شرحبيل فى حجرها فقتلهم وسباهم فنشط لذلك . قال فوجد بعد ذلك نعلى شرحبيل فى ناحية الشربة عند بنى محارب بن خصفة فعزاهم الملك . ثم أسرهم ثم أحمى الصفا . وقال انى أحذيكم نعالا فأمشاهم على ذلك الصفا فتساقطت أقدامهم . ثم ان سيار بن عمرو بن جابر الفزارى احتمل

للاسود دية ابنه الف بعير وهى دية الملوك و رهنه بها قوسه فوفا مها . فقال فى ذلك :

ونحن رهنا القوس ثمة فوديت * بألف على ظهر الفزارى اقرعا
بعشر مئين للملوك وفى بها * ليحمد سيار بن عمر و فاسرعا

فكان هذا قبل قوس حاجب . وقال فى ذلك أيضا :

وهل وجدتم حاملا كحامل * اذ رهن القوس بالف كافل
بدية للملك الحلاحل * فافتكها من قبل عام قابل

وهرب الحرث فلحق بعبد بن زرارة فاستجار به فأجاره . وكان من سببه وقعة رحرحان التى تقدم ذكرها . ثم هرب الحرث حتى لحق بمكة وقريش لانه يقال ان مرة بن عوف بن سعد أباذبيان انما هو مرة بن عوف بن لؤى بن غالب فتوسل اليهم بهذه القرابة . وقال فى ذلك :

اذا فارقت ثعلبة بن سعد * واخوتهم نسبت الى لؤى
الى نسب كريم غير دغل * وحى من أكارم كل حى
فان يك منهم أصلى فنهم * قرابين الاله بنو قصى

فقالوا هذه رحم كرشاء اذا استغنيتم عنها ادبرتم . قال فشخص الحرث عنهم غضبان . وقال فى ذلك :

ألا لستم منا ولا نحن منكم * برئنا اليكم من لؤى بن غالب
غدونا على نشز الحجاز وأنتم * بمنشعب البطحاء بين الاخاشب

وتوجه الحرث بن ظالم الى الشام فلحق بيزيد بن عمرو الغسانى فاجاره واكرمه . وكان ليزيد ناقة محماة فى عنقها مدية وزناد وصرة ملح وانما كان يمتحن بها رعيته لينظر من يجترئ عليه فوحمت امرأة الحرث فاشتهت شحما فى وحمها فانطلق الحرث الى ناقة الملك فانتحرها وأتاها بشحمها وفقدت الناقة فارسل الملك الى الحسن التغلبى . وكان كاهنا فساله عن الناقة فاخبره ان الحرث صاحبها فهم الملك به. ثم تذمم من ذلك وأوجس الحرث فى نفسه شرا فاتى الحسن التغلبى فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك فامر بقتله فقال أيها الملك انك قد أجرتنى فلا تغدرن بى. فقال لاضير ان غدرت بك مرة لقد غدرت بى مرارا وأمر ابن الحسن فقتله وأخذ ابن الحسن سيف الحرث فاتى به عكاظ فى الاشهر الحرم فاراه قيس بن زهير العبسى فضربه قيس فقتله .

وقال يرثى الحرث بن ظالم :

وماقصرت من حاضر دون سرها * أبر وأوفى منك حار بن ظالم
أعز واحمى عند جار وذمة * وأضرب فى كاب من النقع قاتم

٧ حرب داحس والغبراء — وهى من حروب قيس . قال أبوعبيدة : حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ابنى بغيض بن ريث بن غطفان . وكان السبب الذى هاجها ان قيس ابن زهير وحمل ابن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق . وكان داحس فحلا لقيس بن زهير والغبراء حجرة لحمل بن بدر وتواضعا الرهان على مائة بعير وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة والاضمار أربعين ليلة ثم قادوهما الى رأس الميدان بعد ان أضمروهما أربعين ليلة وفى طرف الغاية شعاب كثيرة فأكمن حمل بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغاية . قال فارسلوهما فاحضرا . فلما احضرا اخرجت الانثى من الفحل . فقال حمل بن بدر سبقتك يا قيس فقال قيس رويدا يعدوان الجرد الى الوعث وترشح أعطاف الفحل . قال فلما أوغلا فى الجرد وخرجا الى الوعث برز داحس عن الغبراء فقال قيس جرى المذكيات غلاء فذهبت مثلا . فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا فى وجه داحس فردوه عن الغاية . ففى ذلك يقول قيس بن زهير :

وما لاقيت من حمل بن بدر * واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا على بغير فخر * وردوا دون غايته جوادى

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابنى بغيض فبقيت أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق . فقال قيس كلا لامطلتك به . ثم أخذ الرمح فطعنه به فدق صلبه ورجعت فرسه غائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عشراء وزعموا أن الربيع بن زياد العبسى حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس . ثم ان مالك بن زهير نزل اللقاطة من أرض الشربة فاخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله . ففى ذلك يقول عنترة الفوارس :

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة * وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو عبس مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا فابى حذيفة ان يرد شيئاً . وكان

الربيع بن زياد مجاور النبي فزارة ولم يكن في العرب مثله ومثل اخوته . وكان يقال لهم الكملة وكان مشاحنا لقيس بن زهير من سبب درع لقيس غلبه عليها الربيع بن زياد فاطرد قيس لبونا لبني زياد فاتى بها مكة فعاوض بها عبد الله بن جدعان بسلاح . وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

ألم يأتيك والانباء تنمى * بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى * بادراع واسياف حداد
وكنت اذا بليت بخصم سوء * دلفت له بداهية الفؤاد

ولما قتل مالك بن زهير قامت بنو فزارة يسألون و يقولون مافعل حماركم قالوا اصدناه . فقال الربيع ماهذا الوحى قالوا اقتلنا مالك بن زهير . قال بئسما فعلتم بقومكم قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم . قالوا ولا انك جارنا لقتلناك وكانت خفرة الجار ثلاثا فقالوا له بعد ثلاث ليال اخرج عنا فخرج وانبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه وأتاه قيس بن زهير فعاقده . وفي ذلك يقول الربيع :

فان تك حربكم امست عوانا * فانى لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة أرثوها * وحشوا نارها لمن اصطلاها
فانى غير خاذلكم ولكن * سأسعى الآن اذ بلغت مداها

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان الى بني فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر

٨ — يوم المريقب لبني عبس على فزارة — فالتقوا بذى المريقب من أرض الشربه فاقتتلوا . فكانت الشوكة في بني فزارة قتل منهم عوف بن زيد بن عمرو بن أبي الحصين أحد بني عدى بن فزارة وضمضم أبو الحصين الذى قتله عنترة الفوارس، ونفر كثير ممن لا يعرف أسماؤهم . فبلغ عنترة ان حصينا وهرما ابني ضمضم يشتمانه و يوعدانه . فقال في قصيدته التي أولها :

يادار عبلة بالجواء تكلمي * وعمى صباحا دار عبلة واسلمى
ولقد خشيت بان أموت ولم تدر * للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما * والناذرين اذا لم آلقهما دمى
ان يفعلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

لما رآني قد نزلت أريده * أبدى نواجذه لغير تبسم

وفي هذه الوقعة يقول عنترة الفوارس :

ولقد علمت اذا التقت فرسانها * يوم المريقب ان ظنك أحمق

٩ — يوم ذي حسا لذبيان على عبس — ثم ان ذبيان تجمعت لما اصابت بنو عبس منهم يوم المريقب فزارة بن ذبيان ومرة بن عوف بن سفيان بن ذبيان وأحلافهم فنزلوا فتوافوا بذي حسا وهو وادي الصفا من أرض الشربة و بينها و بين قطن ثلاث ليال و بينها و بين اليعمرية ليلة فهربت بنو عبس وخافت ان لا تقوم بجماعة بني ذبيان واتبعوهم حتى لحقوهم فقالوا التفاني أو تقيدون . فاشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد ان لا يناجزوهم وان يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم . فتوافقوا ان يكون رهنهم عند سبيع بن عمرو احد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان : فدفعوا اليه ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكاف الناس . وكان رأي الربيع مناجزتهم فصرفه قيس عن ذلك . فقال الربيع :

أقول ولم املك لقيس نصيحة * أرى ما ترى والله بالغيب اعلم

أنبقي على ذبيان في قتل مالك * فقد حش جاني الحرب نارا تضرم

فمكث رهنهم عند سبيع بن عمرو حتى حضرته الوفاة . فقال لابنه مالك بن سبيع ان عندك مكرمة لا ضيران أنت حنظت هؤلاء الاغيلمة . فكأني بك لومت قد أتاك خالك حذيفة بن بدر فعصر لك عينيه . وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه فيقتلهم فلا تشرف بعدها أبدا فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم . فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم اليه فاتى بهم اليعمرية فجعل يبرز كل يوم غلاما فينصبه غرضا و يقول ناد اباك فينادي أباه حتى يقتله

١٠ — يوم اليعمرية لعبس على ذبيان — فلما بلغ ذلك من فعل حذيفة بني عبس أتوهم باليعمرية . فلقوهم بالحرة حرة اليعمرية فقتلوا منهم اثني عشر رجلا منهم مالك بن سبيع الذي بذي بالغلمة الى حذيفة وأخوه يزيد بن سبيع وعامر بن لوذان والحرث بن زيد وهرم بن ضمضم أخو حصين و يقال ليوم اليعمرية يوم نفر لان بينهما اقل من نصف يوم

١١ — يوم الهباءة لعبس على ذبيان — ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قائظ الى جنب جفر الهباءة واقتتلوا من بكرة حتى انتصف النهار وحجز الحر بينهم . وكان حذيفة بن بدر يحرق فخذيه الركض . فقال قيس بن زهير يابني عبس ان حذيفه غدا اذا احتدمت الوديقة مستنقع في جفر الهباءة فعليكم بها فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف فرس حذيفة والحنفاء فرس حمل بن بدر فقال قيس بن زهير هذا أثر الحنفاء وصارف فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة فبصر بهم حمل بن بدر . فقال لهم من أبغض الناس اليكم ان يقف على رؤسكم قالوا قيس بن زهير والربيع بن زياد . فقال هذا قيس بن زهير قد أتاكم فلم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه على جفر الهباءة وقيس يقول لبيكم لبيكم يعني اجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم اذ يقتلون . وفي الجفر حذيفة وحمل ابنا بدر ومالك بن بدر وورقاء بن هلال من بني ثعلبة بن سعد وحسن بن وهب فوقف عليهم شداد بن معاوية العبسي وهو فارس جروة وجروة فرسه ولها يقول :

ومن يك سائلا عني فاني * وجروة كالشجا تحت الوريد
اقوتها بقوتي ان شتونا * وألحفها ردائي في الجليد

فحال بينهم و بين خيلهم ثم توافت فرسان بني عبس . فقال حمل ناشدتك الله والرحم ياقيس فقال لبيكم لبيكم فعرف حذيفة انه لن يدعهم فانتهر حملا وقال اياك والمأثور من الكلام فذهبت مثلا وقال لقيس لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها فقال قيس أبعدها الله ولا أصلحها وجاءه قرواش بمعبلة فقصم صلبه وابتدرا الحرث بن زهير وعمرو بن الاسلع فضرباه بسيفهما حتى ذففا عليه وقتل الربيع بن زياد حمل ابن بدر . فقال قيس بن زهير يرثيه :

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة مايريم
ولولا ظلمه مازلت أبكي * عليه الدهر ماطلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي * وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني * فمعوج علي ومستقيم

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل هو بالغلمة فقطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه وجعلوا السانه في استه وفيه يقول قائلهم :

فان قتيلا بالهباءة فى استه * صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤها تهدكم عن ضلالكم * وتعرف اذ ما فض عنها الخواتم

وقال فى ذلك عقيل بن علفة المرى :

ويوقد عوف للعشيرة ناره * فهلا على جفر الهباءة أوقدا
فان على جفر الهباءة هامة * تنادى بنى بدر وعارا مخلدا
وان أبا ورد حذيفة مثغر * باير على جفر الهباءة اسودا

وقال الربيع بن قعنب :

خلق المخازى غيران بذى حسا * لبنى فزارة خزية لاتخلق
تبيان ذلك ان فى است أبيهم * شعناء من صحف المخازى تبرق

وقال عمرو بن الاسلع :

ان السماء وان الارض شاهدة * والله يشهد والانسان والبلد
انى جزيت بنى بدر بسعيهم * على الهباءة قتلا ماله قود
لما التقينا على أرجاء جمتها * والمشرفية فى ايماننا تقد
علوته بحسام ثم قلت له * خذها اليك فانت السيد الصمد

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة تجمعوا وعرفت بنو عبس ان ليس لهم مقام بارض غطفان فخرجوا الى اليمامة فنزلوا باخوالهم بنى حنيفة ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببنى سعد بن زيد بن مناة

١٢ — يوم الفروق — ثم ان بنى سعد غدر والجوارهم فأتوا معاوية الجون فاستجاسوا عليهم وأرادوا أكلهم فبلغ ذلك بنى عبس ففروا ليلا وقدموا ظعنهم ووقفت فرسانهم بموضع يقال له الفروق . واغارت بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم فلم يجدوا الامواقد النيران فاتبعوهم حتى أتوا الفروق فاذا بالخيل والفرسان قد توارت الظعن عنهم فانصرفوا عنهم ومضى بنو عبس فنزلوا ببنى ضبة فأقاموا فيهم . وكان بنو حذيفة من بنى عبس يسمون بنى رواحة و بنو بدر بن فزارة يسمون بنى سودة ثم رجعوا الى قومهم فصالحوهم . وكان أول من سعى فى الحمالة حرملة بن الاشعر بن صرمة بن مرة فمات فسعى فيها هاشم ابن حرملة

ابنه . وله يقول الشاعر :

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباتين ويوم اليعمله
ترى الملوك حوله مرعبله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

١٣ — يوم قطن — فلما توافوا للصلح وقفت بنو عبس بقطن وأقبل حصين بن ضمضم فلقى تيجان أحد بنى مخزوم بن مالك فقتله بابيه ضمضم . وكان عنترة بن شداد قتله بذى المريقب فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان . وقالوا الانصالح ما بل البحر صوفة وقد غدرتم بنا غير مرة وتناهض القوم عبس وذبيان فالتقوا بقطن فقتل يومئذ عمرو بن الاسلع غيينة ثم سفرت السفراء بينهم . وأتى خارجة بن سنان أبا تيجان بابنه فدفعه اليه . فقال في هذا وفاء من ابنك فاخذه فكان عنده أياما . ثم حمل خارجة لابى تيجان مائة بعير قادها اليه واصطلحوا وتعاقدوا

١٤ — يوم غدير قليباد — قال أبو عبيدة : فاصطلح الحيان الا بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فانهم أبوا ذلك . وقالوا لا نرضى حتى يودوا قتلانا أو يهدر دم من قتلها فخرجوا من قطن حتى وردوا غدير قليباد فسبقهم بنو عبس الى الماء فمنعوهم حتى كادوا يموتون عطشا ودوابهم فاصلح بينهم عوف ومعقل ابنا سبيع من بنى ثعلبة . واياها يعنى زهيرا بقوله :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

فوردوا حربا وأخرجوا عنه سلما . ثم حرب داحس والغبراء

١٥ — يوم الرقم لغطفان على بنى عامر — غزت بنو عامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرقم وهو ماء لبنى مرة وعلى بنى عامر عامر بن الطفيل ويقال يزيد بن الصعق فركب عيينة ابن حصن فى بنى فزارة ويزيد بن سنان فى بنى مرة ويقال الحرث بن عوف . فانهزمت بنو عامر وجعل يقاتل عامر بن الطفيل ويقول يالقيس لا تقتلى تموتى فزعمت بنو غطفان انهم أصابوا من بنى عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا فدفعوهم الى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم فقتلوهم أجمعين . وانهزم الحكم بن الطفيل فى نفر من أصحابه فيهم جراب بن كعب حتى انتهوا الى ماء يقال له المزورات فقطع العطش أعناقهم فماتوا . وخنق نفسه الحكم بن الطفيل تحت شجرة مخافة المثلة . وقال فى ذلك عروة بن الورد :

عجبت لهم لم يخنقون نفوسهم * ومقتلهم تحت الوغا كان أجدرا

١٦ – يوم النتأة لعبس على بني عامر — خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثارها يوم الرقم فجمعوا على بني عبس بالنتأة وقد أنذروا بهم فالتقوا وعلى بني عامر عامر بن الطفيل وعلى بني عبس الربيع بن زياد فاقتتلوا قتالا شديدا . فانهزمت بنو عامر وقتل منهم صفوان بن مرة قتله الاحنف بن مالك ونهشل بن عبيدة بن جعفر قتله أبو زعبة بن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد وطعن ضبيعة بن الحرث عامر بن الطفيل فلم يضره ونجا عامر وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة فقال حراشة بن عمرو العبسي :

وساروا على أطنابهم وتواعدوا * مياها تحامتها تميم وعامر
كان لم يكن بين الزقاف وواسط * الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر
ألا ابلغا عني خليلى عامرا * تنسى سعاد اليوم أم أنت ذاكر
وصدتك أطراف الرماح عن الهوى * ورمت أمورا ليس فيها مصادر
وغادرت هزان الرئيس ونهشلا * فلله عينا عامر من يغادر
وأسلمت عبد الله لما عرفتهم * ونجاك وثاب الجراثيم ضامر
قذفتهم فى اليم ثم خذلتهم * فلا وألت نفس عليك تحاذر

وقال أبو عبيدة : ان عامر بن الطفيل هو الذى طعن ضبيعة بن الحرث ثم نجا من طعنته . وقال فى ذلك :

فان تنج منها ياضبيع فانني * وجدك لم أعقد عليك التمائما

١٧ – يوم شواحط لبني محارب على بني عامر — غزت سرية من بني عامر بن صعصعة بلاد غسان فاغارت على ابل لبني محارب بن خصفة فادركهم الطلب فقتلوا من بني كلاب سبعة وارتدوا ابلهم . فلما رجعوا من عندهم وثب بنو كلاب على حشر وهم من بني محارب كانوا حاربوا اخوتهم فخرجوا عنهم وحالفوا بني عامر بن صعصعة فقالوا نقتلهم بقتل بني محارب من قتلوا منا فقام خداش بن زهير دونهم حتى منعهم من ذلك . وقال :

أيارا كبا اما عرضت فبلغن * عقيلا وأبلغ ان لقيت أبا بكر
فيا أخوينا من أبينا وأمنا * اليكم اليكم لا سبيل الى حشر
دعوا جانبي انى ساترك جانبا * لكم واسعا بين اليمامة والقفر

أنافارس الضحياء عمرو بن عامر * أبى الذم واختار الوفاء على الغدر

١٨ ـ يوم حوزة الاول لسليم على غطفان ـ قال أبوعبيدة : كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد و بين هاشم بن حرملة أحد بنى مرة غطفان كلام بعكاظ . فقال معاوية لوددت والله انى قد سمعت بظعائن يندبنك . فقال هاشم والله لوددت انى قد بريت الرطبة وهى حمة معاوية . وكانت الدهر تنطف ماء ودهنا وان لم تدهن . فلما كان بعد تهيأ معاوية ليغزو هاشما فنهاه أخوه صخر . فقال كانى بك ان غزوتهم علق بجمتك حسك العرفط . قال فأبى معاوية وغزاهم يوم حوزة فرآه هاشم بن حرملة قبل ان يراه معاوية وكان هاشم ناقهامن مرض أصابه . فقال لاخيه دريد بن حرملة ان هذا ان رآنى لم آمن ان يشد على وأنا حديث عهد بشيكة فاستطرد له دونى حتى تجعله بينى و بينك ففعل فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم فاختلفا طعنتين فاردى معاوية هاشما عن فرسه الشماء وأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية . قال وكر عليه دريد فظنه قد أردى هاشما فضرب معاوية بالسيف فقتله وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حرث الفزارى . قال وعادت الشماء فرس هاشم حتى دخلت فى جيش بنى سليم فاخذوها وظنوها فرس الفزارى الذى قتله خفاف . و رجع الجيش حتى دنوا من صخر أخى معاوية . فقالوا انعم صباحا أبا حسان قال حييتم بذلك ماصنع معاوية . قالوا قتل : قال فما هذه الفرس قالوا قتلنا صاحبها . قال اذا قد أدركتم ثاركم هذه فرس هاشم بن حرملة . قال فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام فاتى بنى مرة فلما رأوه قال لهم هاشم هذا صخر فحيوه وقولوا له خيرا وهاشم مريض من الطعنة التى طعنه معاوية . فقال من قتل أخى فسكتوا . فقال لمن هذه الفرس التى تحتى فسكتوا . فقال هاشم هلم أبا حسان الى من يخبرك قال من قتل أخى . فقال هاشم اذا أصبتنى أودريدا فقد أصبت ثارك قال فهل كفنتموه . قال نعم فى بردين أحدهما بخمس وعشرين بكرة . قال فارونى قبره فاروه اياه . فلما رأى القبر جزع عنده . ثم قال كانكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعى فوالله ما بت منذ عقلت الا واترا أوموتورا أو طالبا أومطلوبا حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده

١٩ ـ يوم حوزة الثانى ـ قال ثم غزاهم صخر . فلما دنا منهم مضى على الشماء وكانت

غراء محجلة فسود غرتها وتحجيلها فرأته بنت لهاشم . فقالت لعمها دريد أين الشماء . قال هى في بنى سليم . قالت ما أشبهها بهذه الفرس فاستوى جالسا . فقال هذه فرس بهيم والشماء غراء محجلة وعاد فاصطجع فلم يشعر حتى طعنه صخر . قال فثار وتنادروا وولى صخر وطلبته غطفان عامة يومها وعارض دونه ابو شجرة بن عبد العزى . وكانت أمه خنساء أخت صخر وصخر خاله فرد الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا الى قومه . فقال خفاف بن ندبة لما قتل معاوية قتلني الله ان برحت من مكانى حتى أثار به فشد على مالك سيد بنى جمح فقتله . فقال فى ذلك :

فان تك خيلى قد أصيب صميمها * فعمدا على عينى تيممت مالكا

نصبت له علوا وقد حام صحبتى * لابنى مجدا أولا ثأرها لكا

أقول له والرمح ياطر متنه * تأمل خفافا اننى أنا ذلكا

وقال صخر يرثى معاوية وكان قال له قومه اهج بنى مرة . فقال ما بيننا أجل من القذع وأنشأ يقول :

وعاذلة هبت بليل تلومنى * الا لا تلومينى كفى اللوم مابيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالى ان اهجوهم ثم ماليا

أبى الذم انى قد أصابوا كريمتى * وان ليس اهداء الخنى من سماتيا

اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب الناس عنى معاويا

وهون وجدى اننى لم أقل له * كذبت ولم ابخل عليه بماليا

وذى اخوة قطعت اقران بينهم * كما تركونى واحدا ألا أخاليا

وقال فى قتل دريد :

ولقد دفعت الى دريد طعنة * نجلاء توغر مثل غط المنخر

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس الدابر

قال أبو عبيدة : واما هاشم بن حرملة فانه خرج منتجعا فلقيه عمرو بن قيس الجشمى فتبعه . وقال هذا قاتل معاوية لا وألت نفسى ان وأل . فلما نزل هاشم كمن له عمرو بن قيس بين الشجر حتى اذا دنا منه أرسل عليه معبلة ففلق قحفه فقتله . وقال فى ذلك :

انى قتلت هاشم بن حرملة * اذا الملوك حوله مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

٢٠ ـ يوم ذات الاثل ـ قال أبو عبيدة : ثم غزا صخر بن عمرو الشريد بنى أسد ابن خزيمة واكتسح ابلهم فأتى الصريخ بنى أسد . فركبوا حتى تلاحقوا بذات الاثل فاقتتلوا قتالا شديدا فطعن ربيعة بن ثور الاسدى صخرا فى جنبه وفات القوم بالغنيمة وجرى صخر من الطعنة فكان مريضا قريبا من الحول حتى مله أهله فسمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته كيف بعلك قالت لاحى فيرجى ولا ميت فينسى لقد لقينا منه الامرين وكانت تسأل أمه كيف صخر فتقول أرجو له العافية ان شاء الله . فقال فى ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى
فاى امرىء ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان
وما كنت أخشى أن تكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
أهم بامر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة . قالوا له لو قطعتها لرجونا ان تبرأ فقال شأنكم فقطعوها فمات . فقالت الخنساء أخته ترثيه :

فما بال عينى ما بالها * لقد أخضل الدمع سربالها
أمن فقد صخر من آل الشريد * حلت به الارض أثقالها
فآليت أبكى على هالك * وأسأل نائحة مالها
هممت بنفسى كل الهموم * فاولى لنفسى أولى لها
سأحمل نفسى على آلة * فاما عليها واما لها

وقالت ترثية :

وقائلة والنفس قد فات خطوها * لتدركه يالهف نفسى على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

٢١ ـ يوم عدنية وهو يوم ملحان ـ قال أبو عبيدة : هذا اليوم قبل يوم ذات الاثل وذلك ان صخرا غزا بقومه وترك الحى خلوا فاغارت عليهم غطفان فثارت اليهم غلمانهم ومن كان تخلف منهم فقتل من غطفان نفر وانهزم الباقون . فقال فى ذلك صخر :

جزى الله خيرا قومنا اذ دعاهم * بعدنية الحى الخلوق المصبح
وغلماننا كانوا أسودا خفية * وحق علينا ان يثابوا و يمدحوا
هم قروا اقرانهـم بمضرس * وسعر وذادوا الجيش حتى تزحزحوا
كانهم اذ يطـردون عشـية * بقيــة ملحان نعام مروح

٢٢ـ يوم اللوى لغطفان على هوازن ـ قال أبو عبيدة : غزا عبـد الله بن الصمة واسم الصمة معاوية الاصغر من بنى غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى فاسمــه عبـد الله وخالد ومعبد وكنيته أبو فرغان وأبو دفافة وأبو ووفاء وهو أخو دريد بن الصمـة لابيــه وأمــه . فاغار على غطفان فاصاب منهـم ابلا عظيمـة فاطردها . فقال له أخوه دريد النجاء فقـد ظفرت فابى عليــه وقال لا أبرح حتى انتقع نقيعتى والنقيعة ناقـة ينحرها من وسط الابل فيصـنع منها طعاما لاصحابه و يقسم ما أصاب على أصحابه . فاقام وعصى أخاه فتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له اللوى فقتل عبـد الله وارتث دريد فبقى فى القتلى . فلما كان فى بعض الليل أتاه فارسان . فقال أحدهما لصاحبه انى أرى عينيــه تبص فانزل فانظر الى نفســه فنزل فـكشف ثوبه فاذا هى تزمر فطعنه فخرج دم قد كان احتقن . قال دريد فافقت عنـدها فلما جاوزونى نهضت . قال فـاشـعرت الا وأنا عنـد عرقوبى جمل امرأة من هوازن . فقالت من أنت أعوذ بالله من شرك قلت لا بل من أنت و يلك قالت امرأة من هوازن سـيارة قلت وأنا من هوازن وأنا دريد بن الصمة . قال وكانت فى قوم مجتازين لا يشعرون بالوقعة فضمته وعالجته حتى أفاق . فقال دريد يرثى عبد الله أخاه ويذكر عصيانه له وعصيان قومه بقوله :

أعاذل ان الرزء فى مثــل خالد * ولا رزء فيما أهلك المرء عن يد
وقلت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهدى
علانيــة ظنوا بالفى مدجج * سراتهـم فى السابرى المسرد
أمرتهم أمرى بمنقطع اللوى * فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم واننى غـير مهتــد
وما أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشـد غزية ارشـد

فان تعقب الايام والدهر تعلموا * بنى غالب أنا غضاب لمعبد
تنادوافقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعيذ الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلى مكانه * فما كان وقافا ولا طائش اليد
ولا برما اذا الرياح تناوحت * برطب العضاه والضريع المنضد
كميش الازار خارج نصف ساقه * صبور على الضراء طلاع انجد
قليل التشكى للمصائب حافظ * عليم باعقاب الاحاديث فى غد
وهون وجدى اننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى

أبوحاتم عن أبى عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة فى فوارس من بنى جشم حتى اذا كانوا فى واد لبنى كنانة يقال له الاخرم وهم يريدون الغارة على بنى كنانة اذ رفع له رجل فى ناحية الوادى معه ظعينة . فلما نظر اليه قال لفارس من أصحابه صح به خل عن الظعينة وانج بنفسك فانتهى اليه الفارس وصاح به وألح عليه فالقى زمام الناقة وقال للظعينة :

سيرى على رسلك سير الآمن * سير رداح ذات جاش ساكن
ان التأنى دون قرنى شائن * ابلى بلائى واخبرى وعاينى

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه فاعطاه للظعينة فبعث دريد فارسا آخر لينظر ماصنع صاحبه . فلما انتهى اليه ورأى ماصنع صاح به فتصامم عنه كان لم يسمع فظن انه لم يسمع فغشيه فالقى زمام الراحلة الى الظعينة . ثم خرج وهو يقول :

خل سبيل الحرة المنيعه * انك لاق دونها ربيعه * فى كفه خطية مطيعه
أولا فخذها طعنة سريعه * والطعن منى فى الوغى شريعه

ثم حمل عليه فصرعه . فلما ابطأ على دريد بعث فارسا لينظر ماصنعا . فلما انتهى اليهما وجدهما صريعين ونظر اليه يقود ظعينته ويجر رمحه . فقال للظعينة اقصدى قصد البيوت . ثم أقبل عليه فقال :

ماذا تريد من شتيم عابس * ألم تر الفارس بعد الفارس * أرداهما عامل رمح يابس

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه وارتاب دريد فظن انهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق دريد بربيعة وقد دنا من الحى و وجد أصحابه قد قتلوا . فقال أيها الفارس ان مثلك لا يقتل

ولا أرى معك رمحك والخيل ثائرة باصحابك فدونك هذا الرمح فانى منصرف الى أصحابى ومثبطهم عنك فانصرف الى أصحابه . فقال ان فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحى ولا مطمع لكم فيه فانصرف القوم . فقال دريد فى ذلك :

ماان رأيت ولا سمعت بمثله * حامى الظعينة فارسا لم يقتل
أردى فوارس لم يكونوا نهزة * ثم استمر كانه لم يفعل
متهللا تبدو أسرة وجهه * مثل الحسام جلته كف الصيقل
يزجى ظعينته و يسحب رمحه * متوجها يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه * مثل البغاث خشين وقع الاجدل
ياليت شعرى من أبوه وأمه * ياصاح من يك مثله لا يجهل

وقال ابن مكدم :

ان كان ينفعك اليقين فسائلى * عنى الظعينة يوم وادى الاخرم
اذ هى لاول من أتاها نهبة * لولا طعان ربيعة بن مكدم
اذ قال لى أدنى الفوارس منهم * خل الظعينة طائعاً لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه * عمدا ليعلم بعض مالم يعلم
وهويت بالرمح الطويل اهابة * فهوى صريعاً لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشة * نجلاء فاغرة كشدق الاضجم
ولقد شفعتها بآخر ثالث * وأبى الفرار عن العداة تكرمى

ثم لم يلبث بنو كنانة ان غارت على بنى جشم فقتلوا وأسروا دريد بن الصمة فاخفى نفسه . فبينما هو عندهم محبوس اذ جاءت نسوة يتهادين اليه فصاحت احداهن . فقالت هلكتم وأهلكتم ماذا جرى علينا هذا والله الذى أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها . فقالت يا آل فراس أنا جارة لكم منه هذا صاحبنا يوم الوادى فسألوه من هو . فقال أنا دريد بن الصمة فمن صاحبى قالوا ربيعة بن مكدم . قال فما فعل قالوا اقتلته بنو سليم . قال فما فعلت الظعينة قالت المرأة أنا هى وأنا امرأته فحبسه القوم وائتمروا أنفسهم . فقال بعضهم لا ينبغى لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا . وقال الآخرون لا يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذى أسره فانبعثت المرأة فى الليل وهى ريطة بنت جذل الطعان . فقالت :

ستجزى دريدا عن ربيعة نعمة * وكل امرئ يجزى بما كان قدما
فان كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وان كان شرا كان شرا مذمما
ستجزيه نعمى لم تكن بصغيرة * باعطائه الرمح الطويل المقوما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم * ولا تركبوا تلك التى تملأ الفما
فان كان حيا لم يطق بثوابه * ذراعا غنيا كان أو كان معدما

فلما أصبحوا أطلقوه فكسته وجهزته ولحق بقومه فلم يزل كافا عن حرب بنى فراس حتى هلك

٢٣ — يوم الصلماء لهوازن على غطفان — فلما كان فى العام المقبل غزاهم دريد بن الصمة بالصلماء فخرجت اليه غطفان . فقال دريد لصاحبه ماترى قال أرى خيلا عليها رجال كانهم الصبيان أسنتها عند آذان خيلها قال هذه فزارة . ثم قال انظر ماترى قال أرى قوما كان عليهم ثيابا غمست فى الجاب المعزى . قال هذه أشجع . ثم قال انظر ماترى قال أرى قوما يهزون رماحهم سودا يخدون الارض باقدامهم قال هذه عبس أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا فالتقوا بالصلماء فكان الظفر لهوازن على غطفان وقتل دريد ذواب بن أسماء بن زيد بن قارب

٢٤ — حرب قيس وكنانة يوم الكديد لسليم على كنانة — فيه قتل ربيعة ابن مكدم فارس كنانة وهو من بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وهو أنجد العرب كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم . وفيهم يقول على بن أبى طالب لاهل الكوفة وددت والله ان لى بجميعكم وأنتم مائة ألف ثلثمائة من بنى فراس بن غنم . وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره ومر به حسان بن ثابت وقتلته بنو سليم يوم الكديد ولم يحضر يوم الكديد أحد من بنى الشريد

٢٥ — يوم برزة لكنانة على سليم — قال أبو عبيدة : لما قتلت بنو سليم ربيعة بن مكدم فارس كنانة ورجعوا أقاموا ماشاء الله ثم ان ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد واسم الشريد عمرو . وكانت بنو سليم قد توجوا مالكا وأمروه عليهم فغزا بنو كنانة فاغار على بنى فراس ببرزة ورئيس بنى فراس عبد الله بن جذل فدعا عبد الله الى البراز . فبرز اليه هند بن خالد بن صخر ابن الشريد . فقال له عبد الله من أنت قال أنا هند بن خالد بن صخر . فقال عبد الله أخوك أسن

منك يريد مالك بن خالد فرجع فاحضر أخاه فبرز له فجعل عبد الله بن جذل يرتجز ويقول :

أدنوا بنى فرق القمع * انى اذا الموت كنع * لا أستغيث بالجزع

وشد على مالك بن خالد فقتله . فبرز اليه أخوه كرز بن خالد بن صخر فشد عليه عبد الله بن جذل فقتله أيضا فشد عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد . فتخالفا طعنتين فجرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا وكان عمرو قد نهى أخاه مالكا عن غزو بنى فراس فعصاه وانصرف للغزو عنهم . فقال عبد الله بن جذل :

تجنبت هندا رغبة عن قتاله * الى مالك أعشو الى ضوء مالك
فأيقنت انى ثائر بابن مكدم * غداة اذ أوهالك فى الهوالك
فأنفذته بالرمح حين طعنته * معانقة ليست بطعنة باتك
وأثنى لكرز فى الغبار بطعنة * علت جلده منها بأحمر عاتك
قتلنا سليما غثها وسمينها * فصبرا سليم قد صبرنا لذلك
فان تك نسوانى بكين فقد بكت * كما قد بكت أم لكرز ومالك

وقال عبد الله بن جذل :

قتلنا مالكا فبكوا عليه * وهل يغنى من الجزع البكاء
وكرزا قد تركناه صريعا * تسيل على ترائبه الدماء
فان تجزع لذاك بنو سليم * فقد وأبيهم غلب العزاء
فصبرا يا سليم كما صبرنا * وما فيكم لواحدنا كفاء
فلا تبعد ربيعة من نديم * أخو الهلاك ان ذم الشتاء
وكم من غارة ورعيل خيل * تداركها وقد حمس اللقاء

٢٦ — يوم الفيفاء لسليم على كنانة — قال أبو عبيدة : ثم ان بنى الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن حتى يدركوا ابثارهم من بنى كنانة فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على بنى فراس فقتل منهم نفرا منهم عاصم بن المعلى ونضلة والمعارك وعمرو بن مالك وحصن وشريح وسبى سبيا فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة بن مكدم . فقال عباس بن مرداس فى ذلك يرد على ابن جذل فى كلمته التى قالها يوم برزة :

ألا أبلغا عنى ابن جذل ورهطه * فكيف طلبنا كم بكرز ومالك

غـداة فجعنا كم بمحصـن و بابنه * و بابن المعـلى عاصم والمعارك
ثمـانيـة منهـم ثارناهـم به * جميعا وما كانوا بواء بمـالك
نذيقكم والمـوت يبنى سرادقا * عليكم شباحد السيوف البواتك
تـلوح بايدينا كما لاح بارق * تلالأ فى داج من الليـل حالك
صبحنا كم لعوج العناجيج بالضحى * تمـر بنا مر الرياح السواهك
اذا خرجت من هبوة بعـد هبوة * سمت نحو ملتف من الموت شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد :

قتلت بمالك عمـرا وحصـنا * وخليت القتام على الخدود
وكـرزا قد أبات به شريحا * على أثر الفوارس بالـكديد
جزيناهم بما انتهكوا و زدنا * عليـه ماوجـدنامـن مزيد
جلبنا من جنوب العود جردا * كطير المـاء غلس للـورود

قال فلما ذكر هند بن خالد يوم الـكديد وافتخر به ولم يشهده أحد من بنى الشريد غضب من ذلك نبيشة ابن حبيب فانشا يقول :

تبجل صـحبنا فى كل يوم * كمخضوب البنان ولا يصـيد
وتاكل مايعاف الـكلب منه * وتزعم ان والدك الشريد
أبى لى أن أقر الضيم قيس * وصاحبه المزور به الـكديد

٢٧ــ حرب قيس و تميم يوم السريان لبنى عامر على بنى تميم ــ قال أبو عبيدة أغارت بنو عامر على بنى تميم وضبة فاقتتلوا . ورئيس ضبة حسان بن وبرة وهو أخو النعمان لامه فاسره يزيد بن الصعق وانهزمت تميم . فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسـده فشد على درار بن عمرو القيسى وهو الرويم . وقال لابنه أدهم اغنه عنى فشد عليه فطعنه فتحول عن سرجه الى جنب أبدانه . ثم لحقه فقال لاحـد بنيه اغنه عنى ففعل مثـل ذلك ثم لحقه فقال لابن له آخر اغنه عنى ففعل مثل ذلك فقال ماهذا الا ملاعب الاسنة فسمى عامر من يومئذ ملاعب الاسنة . فلما دنا منـه قال له درار انى لاعـلم ماتريد أتريد اللبب . قال نعم قال انك لن تصل الى ومن هؤلاء عين تطرف كلهم بنو عامر . قال له عامر فاحلنى على غيرك فدله على حبيش بن الدلف وقال

عليك بذلك الفارس فشد عليه فاسره . فلما رأى سواده وقصره جعل يتفكر وخاف ابن الدلف أن يقتله . فقال ألست تريد اللبب قال بلى . قال فانى لك به وفادى حسان بن وبرة نفسه من يزيد بن الصعق بالف بعير فداء الملوك فكثر مال يزيد ونما . ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصعق على عصافير النعمان بذى ليان وذوليان عن يمين العرنيين

٢٨ — يوم اقرن لبنى عبس على بنى دارم — غزا عمرو بن عمرو بن عدس من بنى دارم وهو فارس بنى مالك بن حنظلة فاغار على بنى عبس وأخذ ابلا وشاء ثم أقبل حتى اذا كان أسفل من ثنية أقرن نزل فابتنى بجارية من السبى ولحقه الطلب فاقتتلوا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسى عمرا . وانهزمت بنو مالك بن حنظلة وقتلت بنو عبس أيضا حنظلة بن عمرو . وقال بعضهم قتل فى غير هذا اليوم وارتد واما كان فى أيدى بنى مالك فنعى ذلك جرير على بنى دارم فقال :

هل تذكرون لدى ثنية أقرن * أنس الفوارس حين يهوى الاسلع

وكان عمرو أسلع أى أبرص . وكان لسماعة بن عمرو خال من بنى عبس فزاره يوما فقتله بابنه عمرا

٢٩ — يوم المروت لبنى العنبر على بنى بشير — أغار بجير بن سلمة بن أقيش على بنى العنبر بن عمرو بن تميم فاتى الصريخ بنى عمرو بن تميم فاتبعوه حتى لحقوه . وقد نزل المروت وهو يقسم المرباع ويعطى من معه فتلاحق القوم واقتتلوا فطعن قعنب بن عتاب الهيثم بن عامر العنبرى فصرعه فاسره وحمل الكدام وهو يزيد بن أزهر المازنى على بجير بن سلمة فطعنه فارداه عن فرسه . ثم نزل اليه فاسره فابصره قعنب بن عتاب فحمل عليه بالسيف فضربه فقتله فانهزم بنو عامر وقتل رجالهم . فقال يزيد بن الصعق يرثى بجيرا :

أواردة على بنى رياح * بفخرهم وقد قتلوا بجيرا

فاجابته العوراء من بنى سليطة بن يربوع وهى تقول :

قعيدك يا يزيد أبا قبيس * أتنذر كى تلاقينا النذورا
وتوضع مجمر الركبان انا * وجدنا فى مراس الحرب خورا
ألم تعلم قعيدك يا يزيد * بانا نقمع الشيخ الفجورا
ونفقا ناظريه ولا نبالى * ونجعل فوق هامته الدرورا

فابلغان عرضت بنى كلاب * فانا نحن أقعصنا بجيرا
وضرجنا عبيدة بالعوالى * فاصبح موثقا فينا أسيرا
أخرا فى الخلاء بغير نخر * وعند الحرب خوارا ضجورا

٣٠ — يوم دارة مأسل لتميم على قيس — غزا عتبة بن شتير بن خالد الكلابى بنى ضبة فاستاق نعمهم وقتل حصين بن ضرار الضبى زيد الفوارس . فجمع أبوه ضرار قومه وخرج ثائرا بابنه حصين و زيد الفوارس يومئذ حدث لم يذكر . فاغار على بنى عمرو بن كلاب وأفلت منه عتبة بن شتير وأسر أباه شتير بن خالد وكان شيخا كبيرا أعور . فاتى به قومه فقال ياشتير اختر واحدة من ثلاث قال أعرضها على قال اما ان ترد ابنى حصينا قال فانى لا أنشر الموتى . قال واما ان تدفع الى ابنك عتبة أقتله به قال لا ترضى بذلك بنو عامر ان يدفعوا فارسهم شابا مقتبلا بشيخ أعور هامة اليوم أوغد . قال : واما ان أقتلك قال اما هذه فنعم . قال فامر ضرار ابنه ادهم ان يقتله . فلما قدمه ليضرب عنقه نادى شتير يا آل عامر صبرا بصبى كانه أنف ان يقتل بصبى فقال فى ذلك شمعلة فى كلمة له طويلة :

وخيرنا شتيرا من ثلاث * وما كان الثلاث له خيارا
جعلت السيف بين الليت منه * و بين قصاص لمته عذارا

وقال الفرزدق يفخر بايام ضبة :

ومغبوقة قبل القيان كانها * جراد اذا أجلى على القزع الفجر
عوابس ماتنفك تحت بطونها * سرابيل ابطال بنائقها حمر
تركن ابن ذى الجدين يسبح مسندا * وليس له الا الآلاء له قبر *
وهن على خدى شتير بن خالد * اثير عجاج من سنا بكها كدر
اذا لبست للباس يغشى ظهورها * اسود عليها البيض عادتها الهصر
يهزون ارماحا طوالا متونها * بهن الغنى يوم الكريهة والفقر

٣١ — أيام تميم على بكر يوم الوقيط — قال فراس بن خندف تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون فرأى ذلك ناشب بن الاعور بن بشامة العنبر وهو أسير فى بنى سعد بن مالك ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . فقال لهم اعطونى رسولا ارسله الى بنى العنبر أوصيهم بصاحبكم خيرا

ليولوه مثل الذى يولونى من البرية والاحسان اليه . وكان حنظلة بن الطفيل الريدى أسيرا فى بنى العنبر . فقالوا له على ان توصيه ونحن حضور قال نعم فاتوه بغلام لهم . فقال لقد أتيتمونى بأحمق وما أراه مبلغا عنى . قال الغلام لا والله ما أنا باحمق وقل ماشئت فانى مبلغه فملأ الاعور كفه من الرمل . فقال كم هذا الذى فى كفى من الرمل قال الغلام شىء لا يحصى كثرة . ثم أومأ الى الشمس وقال ما تلك قال هى الشمس . قال فاذهب الى قومى فأبلغهم عنى التحية وقل لهم يحسنوا الى أسيرهم ويكرموه فانى عند قوم محسنين الى مكرمين لى وقل لهم يقروا جملى الاحمر . ويركبوا ناقتى العنساء ويرعوا حاجتى فى بنى مالك . وأخبرهم ان العوسج قد اورق ، وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة ، فانه مشؤم ويطيعوا ابن الاخنس فانه حازم ميمون . قال فاتاهم الرسول فابلغهم . فقال بنو عمرو بن تميم ما نعرف هذا الكلام ولقد جن الاعور بعدنا . فوالله ما نعرف له ناقة عنساء ولا جملا احمر فشخص الرسول . ثم ناداهم هذيل يابنى العنبر قد بين لكم صاحبكم اما الرمل الذى قبض عليه فانه يخبركم انه أتاكم عدد لا يحصى . واما الشمس التى أومأ اليها فانه يقول ان ذلك أوضح من الشمس . وأما جمله الاحمر فانه هو الصمان يامركم ان تقروه . واما ناقته العنساء فهى الدهناء يأمركم ان تحترزوا منها . واما ابناء مالك فانه يامركم أن تنذروا بنى مالك بن زيد مناة وان تمكوا الحلف بينكم وبينهم . واما العوسج الذى أورق فيخبركم ان القوم قد لبسوا السلاح . واما تشكى النساء فيخبركم بانهن قد عملن عملا يغزون به . قال فتحرزت عمرو وقربت الدهناء وانذروا بنى مالك فقالوا السنا ندرى ما يقول بنو عمرو ولسنا متحولين لما قال صاحبكم . قال فصبحت اللهازم بنى حنظلة فوجدوا عمرا قد خلت . وانما أرادوهم على الوقيط وعلى الجيش ابجر بن جابر العجلى وشهدها ناس من تيم الله وشهدها الغرز ابن الاسود بن شريد من بنى سنان فاقتتلوا فاسر ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة . وتنازع فى أسره بشر بن الفرما من تيم الله . والغرز بن الاسود فجز ناصيته وحلا أسره من تحت الليل . وأسر عمرو بن قيس من بنى ربيعة بن عجل . وأسر عثجل بن المامون بن شيبان بن علقمة من بنى زرارة ومن عليه . وأسرت غمامة بنت طوق بن عبيد بن زرارة واشترك فى أسرها الحطيم بن هلال ودربان بن زياد وقيس بن خالد وردوها الى أهلها . وعيرجرير بن الخطفى بنى دارم باسر ضرار وعثجل وبنى غمامة . فقال :

اغمارم لوشهد الوقيط فوارسى * مافيه يقتل عثجل وضرار

فاسر حنظلة المأموم بن شيبان بن علقمة أسره طلبسة بن زياد أحد بنى ربيعة . وأسر حوثرة بن بدر من بنى عبد الله بن دارم فلم يزل فى الوثاق حتى قال أبياتا يمدح فيها بنى عجل . وانشايتغنى بها رافعا عقيرته :

وقائـلة ما غاله ان يزورها * وقد كنت عن تلك الزيارة فى شغل

وقد أدركتنى والحوادث جمة * مخالب قوم لاضعاف ولا عزل

سراع الى الداعى بطاء عن الخنا * رزان لدى النادى من غير ماجهل

لعلهم ان يمطروني بنعمة * كما طاب ماء المزن فى البلد المحل

فقد ينعش الله الفتى بعد عسرة * وقد يبتدى الحسنى سراة بنى عجل

فلما سمعوه أطلقوه . وأسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وعمرو بن ناشب . وأسر سنان ابن عمرو أخو بنى سلامة بن كندة من بنى دارم . وأسر حاضر بن ضمرة وأسر الهيثم بن صعصعة . وهرب عوف بن القعقاع عن اخوته . وقتل حكيم النهشلى وذلك انه لم يزل يقاتل وهو يرتجز و يقول :

كل امرىء مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وفيه يقول عنترة الفوارس :

وغادرنا حكيما فى مجال * صريعا قد سلبناه الازارا

٣٢ ـ يوم النباج و نبتل لبكر على تميم ـ الحسنى قال: أخبرنا أبو حسان العبدى واسمه رفيع عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال : غدا قيس بن عاصم فى مقاعس وهو رئيس عليها ومقاعس هو صريم و ربيع وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحمانى فى الحارث وهم حمان و ربيعة ومالك والاعرج بنو كلب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بنى ذهل بن ثعلبة بن عكابة واللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة وعجل بن لجيم . وعنزة بن أسد بن ربيعة بالنباج و نبتل و بينهما روحة . فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن ظرب فى الاغارة . ثم اتفقا على ان يغير قيس على أهل النباج . و يغير سلامة على أهل النبتل . قال فبعث قيس بن عاصم للاهتم

سبقة له والسبقة الطليعة فأتاه الخبر . فلما أصبح قيس سقى خيله ثم اطلق بافواه الزوايا . وقال لقومه قاتلوا فان الموت بين أيديكم والفلاة بين أيديكم ومن ورائكم . فلما دنوا من القوم صبحا سمعوا ساقيا يقول لصاحبه ياقيس أو ردفتفاء لوابه . فاغاروا على النباج قبل الصبح فقاتلوهم قتالا شديدا . ثم ان بكرا انهزمت فأسر الاهتم حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد وأصابوا غنائم كثيرة . فقال قيس لاصحابه لامقام دون النبتل فالنجاة فأتو نبتل ولم يغزسلامة ولا أصحابه بعد فأغار عليهم قيس بن عاصم فقاتلوه . ثم انهزموا فاصاب ابلا كثيرة . فقال سلامة انكم أغرتم على ما كان أمره الى فتلاحوا في ذلك ثم اتفقوا على ان سلموا اليه غنائم نبتل ففي ذلك يقول ربيعة بن ظرب :

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فأنت لنا عز عزيز وموئل
وأنت الذي خويت بكر بن وائل * وقد عضلت منها النباج ونبتل
غداوغدت يا آل شيبان اذرأت * كراديس يزجيهن ورد محجل
وظلت عقاب الموت تهفوا عليهم * وشعث النواصي لجمهن تصلصل
فما منكم ابناء بكر بن وائل * لغارتنا الا ركوب مذلل

وقال جرير يصف ما كان من اطلاق قيس بن عاصم أفواه المزاد بقوله:

وفي يوم الكلاب ويوم قيس * هراق على مسلحة المزاد

وقال مرة بن قيس بن عاصم :

أنا ابن الذي شق المزاد وقد رأى * بنبتل أحياء اللهازم حضرا
وصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * ولم يجدوا الا الاسنة مصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من أعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤن الا فجاءة * يثرن عجاجا بالسنابك أكدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ما أورد الامر أصدرا
وحمران أدته الينا رماحنا * فنازع غلا عن ذراعيه أسمرا
وجشامة الذهلي قدناه عنوة * الى الحي مصفود اليدين مكفرا

٣٣ - يوم زرود الثاني لبني يربوع على بني ثعلب - أغار خزيمة بن طارق التغلبي

على بني يربوع وهم بزرود فبدروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا . ثم انهزمت بنو تغلب وأسر خزيمة بن طارق أسره أنيف بن جبلة الضبي وهو فارس السليط . وكان يومئذ معتلا في بني يربوع وأسيد بن جبلة السليطي . فتنازعا فيه فحكما بينهما الحرث بن قراد وأم الحرث امرأة من بني سعد بن ضبة . فحكم بناصية خزيمة للانيف بن جبلة على ان لاسيد على انيف مائة من الابل . قال فقدا خزيمة نفسه بمائتى بعير وفرس قال انيف :

أخذتك قسرا يا خزيم بن طارق * ولاقيت مني الموت يوم زرود

وعانقته والخيل تدمى نحورها * فانزلته بالقاع غير حميد

وهذه أيام كلها لبني يربوع على بني بكر من ذلك . يوم ذي طلوح وهو يوم أود ويوم الحائر . ويوم ملهم . ويوم القحقح وهو يوم مالة . ويوم رأس عين . ويوم طخفة . ويوم الغبيط . ويوم مخطط . ويوم جدود . ويوم الجبابات . ويوم زرود الثاني

٣٤ - يوم ذي طلوع لبني يربوع على بكر - كان عميرة بن طارق بن حصينة ابن أريم بن عبيد بن ثعلبة تزوج مزنة بنت جابر اخت ابجر بن جابر العجلي . فخرج حتى ابتنى بها في بني عجل فاتى ابجر أخته مزنة امرأة عمير يزورها فقال لها انى لارجو أن آتيك ببنت النطف امرأة عميرة التي في قومها . فقال له عميرة أترضى أن تحارب بني وتسبيني . فندم أبجر وقال لعميرة ما كنت لاغزو قومك . ثم غزا ابجر الحوفزان متساندين هذا فيمن تبعه من بني شيبان . وهذا فيمن تبعه من بني اللهازم وسار وابعميرة معهم قد وكل بهم أبجر أخاه حرفشة بن جابر . فقال له عميرة لو رجعت الى أهلي فاحتملتهم فقال حرفشة افعل فكر عميرة على ناقته . ثم مطل عن الجيش فسار يومين وليلة حتى أتى بني يربوع فانذرهم الجيش فاجتمعوا حتى التقوا باسفل ذي طلوح . فاول ما كان فارس طلع عليهم عميرة فنادى ياابجر هلم . فقال من أنت قال أنا عميرة فكذبه فسفر عن وجهه فعرفه فاقبل اليه والتقت الخيل بالخيل . فأسر الجيش الا أقلهم وأسر حنظلة بن بشر بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . وكان في بني يربوع الحوفزان بن شريك وأخذ معه مكبلا وأخذ طارق سوادة بن بحير بن غنم أخوه وأخذ أبو غنمة الضبي الشاعر مع بني شيبان فافتكه متمم بن نويرة . فقال ابن غنمة يمدح متمم بن نويرة :

جزى الله رب الناس عني متمما * بخير جزاء ما اعف وأمجدا

أجيرت به آباؤنا وبناتنا * وشارك فى اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل انى لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال مرصدا

وأسر سويد بن الحوفزان وأسر أسود وفلحس وهمام من بنى سعد بن همام . فقال جرير فى ذلك يذكر يوم ذى طلوح :

ولما لقينا خيل أبجر يدعى * بدعوى لجيم قبل ميل العواتق
صبرنا وكان الصبر منا سجية * باسيافنا تحت الظلال الخوافق
فلما رأوا ان لا هوادة عندنا * دعوا بعد كرب يا عمير بن طارق

٣٥ ـ يوم الحائر وهو يوم ملهم لبنى يربوع على بكر ـ وذلك ان أبا مليك عبيد الله بن الحرث بن عاصم بن حميد وعلقمة أخاه انطلقا يطلبان ابلا لهما حتى وردا ملهم من أرض اليمامة . فخرج عليهما نفر من بنى يشكر فقتلوا علقمة وأخذوا أبا مليك فكان عندهم ماشاء الله ثم خلوا سبيله وأخذوا عليه عهدا وميثاقا أن لا يخبر بأمر أخيه أحدا . فاتى قومه فسالوه عن أمر اخيه فلم يخبرهم . فقال وبرة بن حمزة هذا رجل قد اخذ عليه عهد وميثاق فخرجوا يقصون أثره ورئيسهم شهاب بن عبد القيس حتى وردوا ملهم . فلما رآهم أهل ملهم تحصنوا فحرقت بنو يربوع بعض زرعهم وعقروا بعض نخلهم . فلما رأى ذلك القوم نزلوا اليهم فقاتلوهم فهزمت بنو يشكر وقتل عمرو بن صابر صبرا ضربوا عنقه . وقتل عيينة بن الحرث بن شهاب بن مثلم بن عبيد بن عمرو رجلا آخر منهم . وقتل مالك بن نويرة حمران بن عبد الله وقال :

طلبنا بيوم مثل يومك علقما * لعمرى لمن يسعى بها كان أكرما
قتلنا بجنب العرص عمرو بن صابر * وحمران أقصدناهما والمثلما
فلله عينا من رأى مثل خيلنا * وما أدركت من خيلهم مثل ملهما

٣٦ ـ يوم القحقح وهو يوم مالة ـ لبنى يربوع على بنى بكر أغارت بنو ربيعة بن ذهل بن شيبان على بنى يربوع ورئيسهم مجبة بن ربيعة بن ذهل فأخذوا ابلا لعاصم بن قرط أحد بنى حميد وانطلقوا فطلبهم بنو يربوع فناوشوهم . فكانت الدائرة على بنى ربيعة وقتل المنهال بن عصمة المجبة بن ربيعة فقال فى ذلك ابن نمراز الرياحى :

واذا لقيت القوم فاطعن فيهم * يوم اللقاء كطعنة المنهال

ترك المجبة للضباع منكساً * والقوم بين سوافل وعوال

٣٧- يوم رأس العين لبني يربوع على بكر - أغارت طوائف من بني يربوع على بني أبي ربيعة برأس العين فاطردوا النعم فاتبعهم معاوية بن فراس في بني أبي ربيعة فادركوهم. فقتل معاوية بن فراس وفاتوا بالابل. وقال سحيم في ذلك :

أليس الاكرمون بنو رياح * نموى منهم عمى وخالى
هم قتلوا المجبة وابن تيم * تنوح عليهما سواد الليالى
وهم قتلوا عميد بنى فراس * برأس العين فى الحجج الخوالى
وذادوا يوم طخفة عن حماهم * ذياد غرائب الابل النهالى

٣٨- يوم العظالى لبني يربوع على بكر - قال أبو عبيدة : وهو يوم أعشاش ويوم الافاقة. ويوم الاياد. ويوم مليحة قال وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس. وكانوا يجيرونهم ويجهزونهم فاقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلثمائة فارس متساندين يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن. وكانوا يشتون خفافا فاذا انقطع الشتاء انحدروا والى الحزن قال فاحتمل بنو عيينة وبنو عبيدة وبنو زبيد من بني سليط من أول الحى حتى استهلوا ببطن مليحة. فطلعت بنو زبيد فى الحزن حتى حلوا الحديقة والافاقة. وحلت بنو عبيدة وبنو عتيبة بعين روضة الثمد قال وأقبل الجيش حتى نزلوا هضبة الحصا ثم بعثوا رئيسهم فصادفوا غلاما شابا من بني عبيد يقال له قرط بنى أضبط فعرفه بسطام وقد كان عرفه عامة غلمان بنى ثعلبة حين أسره عتيبة قال وقال سليط بل هو المطوح بن قرواش. فقال له بسطام أخبرنى ماذاك السواد الذى أرى بالحديقة قال هم بنو زبيد قال أفيهم أسيد بن حياة قال نعم قال كم هم قال خمسون بيتاً قال فاين بنو عتيبة واين بنو ريم قال نزلوا روضة الثمد. قال فأين سائر الناس قال هم محتجزون بخفاف. قال فمن هناك من بني عاصم قال الاحيمر وقعب ومعدان ابنا عصمة. قال فمن فيهم من بني الحرث بن عاصم. قال حصين بن عبدالله. فقال بسطام لقومه أطيعونى تقبضوا على هذا الحى من زبيد وتصبحوا سالمين غانمين قالوا وما يغنى عنا بنو زبيد لا يودون رحلتنا قال ان السلامة احدى الغنيمتين. فقال له مفروق انتفخ تتحول يا أبا الصهباء. وقال له هانئ احينا فقال لهم ويلكم ان أسيد لم يظله بيت قط شاتيا ولا قائظا انما بيته القفر فاذا أحس بكم اجال على الشقراء فركض

حتى يشرف على مليحة فينادى يا آل يربوع فتركب فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ولا يبصر أحدكم مصرع صاحبه وقد جشمونى وأنا آتابعكم وقد أخبرتكم ما أنتم لاقون غدا . فقالوا نلتقط بنى زبيد ثم نلتقط بنى عبيد و بنى عتيبه كما تلتقط الكمأة ونبعث فارسين فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه و بين يربوع ففعلوا . فلما أحس بهم أسيد ركب الشقراء ثم خرج نحو بنى يربوع فابتدره الفارسان فطعن أحدهما فالقى نفسه فى شق فأخطأه . ثم كر راجعا حتى أشرف على مليحة فنادى ياصباحاه يا آل يربوع غشيتم فتلاحقت الخيل حتى توافوا بالعطعان فاقتتلوا فكانت الدائرة على بنى بكر فقتل منهم مفروق بن عمرو فدفن بثنية يقال لها ثنية مفروق . والمقاعس الشيبانى . وزهير بن الحرور الشيبانى . وعمرو بن الحرور الشيبانى . والدمس بن المقاعس وعمير ابن الوراك . والضريس . وأما بسطام فالح عليه فارسان من بنى يربوع وكان دارعا على ذات النسوع . وكانت اذا أجردت لم يتعلق بها شىء من خيلهم . واذا أوعثت كادوا يلحقونها . فلما رأى ثقل درعه وضعها بين يديه على القربوس وكره ان يرمى بها وخاف أن يلحق فى الوعث فلم يزل ديدنه وديدن طالبيه حتى حميت الشمس وخاف اللحاق فر بوجار ضبع . فرمى الدرع فيها فمد بعضها بعضا حتى غابت فى الوجار . فلما خفف عن الفرس نشطت ففاتت الطلب وكان آخر من أتى قومه . وقد كان رجع الى درعه لما رجع عنه القوم فاخذها . فقال العوام فى بسطام وأصحابه :

ان يك فى جيش الغبيط ملامة * فجيش العظالى كان أخزى وألوما
أناخوا يريدون الصباح فصبحوا * فكانت على الغادين غدوة أشاما
فررتم ولم تلووا على مجحريكم * كرائحة الحراث يدعى لاقدما
ولوان بسطاما أطيع لامره * لادى الى الاحياء بالخور مغنما
ففر أبو الصهباء اذ حمى الوغى * وألقى بابدان السلاح وسلما
وأيقن ان الخيل ان تلتبس به * يعد غانما أو يملأ البيت مأتما
ولوانها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأزنما
أبى لك قيد بالغبيط لقاؤهم * ويوم العظالى ان فخرت مكلما
فافلت بسطام حريصا بنفسه * وغادر فى كرشاء لدنا مقوما
وقاظ أسيراها نىء وكانما * مفارق مفروق تغشين عندما

قال ثم ان هانئا فدى نفسه وأسرى قومه . فقال العوام فى ذلك :

ان الفتى هانئا لاقى بشكته * ولم يحم عن قتال القوم اذ نزلا
نمت سارع فى الاسرى فكهم * حامى الذمار حقيق بالذى فعلا

٣٨ - يوم الغبيط لبنى يربوع على بنى بكر - قال أبو عبيدة: يقال لهذا اليوم يوم الغبيط . ويوم الثعالب والثعالب أسماء قبائل اجتمعت فيه . ويقال له يوم صحراء فلج . وقال أبو عبيدة: حدثنى سليط بن سعد و رباب الصبيرى وجهم بن حسان السليطى . قال غزا بسطام بن قيس ومفروق بن عمرو والحرث بن شريك وهو الحوفزان بلاد بنى تميم . وهذا اليوم قبل يوم العظالى فاغاروا على بنى ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن عدى ابن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان . فلذالك قيل له يوم الثعالب . وكان هؤلاء جميعا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا . فانهزمت الثعالب فاصابوا فيهم واستاقوا ابلا من نعمهم ولم يشهد عتيبة ابن الحرث بن شهاب هذه الوقعة لانه كان نازلا يومئذ فى بنى مالك بن حنظلة . ثم انبروا على بنى مالك وهم بين صحراء فلج وبين الغبيط فاكتسحوا ابلهم فركبت عليهم بنو مالك فيهم عتيبة بن الحرث بن شهاب ومعه فرسان من بنى يربوع بانفهم أى صار معهم مثل الاثافى للرماد وتالف اليهم الاحيمر بن عبد الله والاسيد بن حياة وأبو مرحب وجرو بن سعد الرياحى وهو رئيس بنى يربوع وربيع والخليس وعمارة وبنو عتيبة بن الحرث ومعدان وعصمة ابنا قعنب ومالك بن نويرة والمنهال بن عصمة أحد بنى رياح بن يربوع . وهو الذى يقول فيه متمم بن نويرة فى شعره الذى يرثى فيه مالكا أخاه :

لقد غيب المنهال تحت لوائه * فتى غير مبطان العشية أروعا

فادركوهم بغبيط المدرة . فقاتلوهم حتى هزموهم وادركوا ما كانوا استاقوا من أموالهم وألح عتيبة والاسيد والاحيمر على بسطام . فلحقه عتيبة فقال استأسر لى يا أبا الصهباء . فقال ومن أنت قال أنا عتيبة وأنا خير لك من الفلاة والعطش . فاسره عتيبة ونادى القوم نجادا أخا بسطام كر على أخيك وهم يرجون ان يأسروه فناداه بسطام ان كررت فانا حنيف وكان بسطام نصرانيا . فلحق نجاد بقومه فلم يزل بسطام عند عتيبة حتى فادى نفسه . قال أبو عبيدة : فزعم أبو عمرو بن العلاء انه فدى نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرسا ولم يكن عربى عكاظى أعلى فداء منه على ان

جز ناصيته وعاهده أن لا يغزو بني شهاب أبدا . فقال عتيبة بن الحرث بن شهاب :

ابلغ سراة بني شيبان مألكة * أني أبأت بعبد الله بسطاما
اني أسرته في قيد وسلسلة * صوت الحديد يغنيه اذا قاما

٣٩ - يوم مخطط لبني يربوع على بكر - قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس والحوفزان الحرث متساندين يقودان بكر بن وائل حتى وردوا على بني يربوع بالفردوس وهو بطن لا يادو بينه و بين مخطط ليلة . وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمخطط فاقتتلوا فانهزمت بكر بن وائل وهرب الحوفزان و بسطام فقا تاركضا . وقتل شريك بن الحوفزان قتله شهاب ابن الحرث أخو عتيبة . وأسر الاحيمر بن عبد الله بن الضريس الشيباني . فقال في ذلك مالك بن نويرة ولم يشهد هذا اليوم :

ان لا اكن لاقيت يوم مخطط * فقد خبر الركبان ما أتودد
بابناء حي من قبائل مالك * وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا
فقال الرئيس الحوفزان تكتبوا * بني الحصن قد شارفتم ثم جردوا
فما فتئوا حتى رأونا كأننا * مع الصبح آذي من البحر مزبد
بملمومة شهباء يبرق خالها * ترى الشمس فيها حين دارت توقد
فما برحوا حتى علتهم كتائب * اذا طعنت فرسانها لا تعرد
فاقررت عيني يوم ظلوا كأنهم * ببطن غبيط خشب أثل مسند
صريع عليه الطير يحجل فوقه * وآخر مكبول اليدين مقيد
وكان لهم في أهلهم ونسائهم * مبيت ولم يدروا بما يحدث الغد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى * شريك و بسطام عن الشر مقعد

٤٠ - يوم جدود - غزا الحوفزان وهو الحرث بن شريك فاغار على من بالقاعة من بني سعد بن زيد مناة فاخذ نعما كثيرا وسبي فيهن الزرقاء من بني ربيع بن الحرث فاعجب بها وأعجبت به . وكانت خرقاء فلم يتمالك ان وقع بها فلما انتهى الى جدود منعتهم بنو يربوع بن حنظلة ان يردوا الماء ورئيسهم عتيبة بن الحرث بن شهاب . فقاتلوهم فلم يكن لبني بكر بهم يد فصالحوهم على ان يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم على ان يخلوهم يردوا الماء فقبلوا ذلك

وأجازوهم فبلغ ذلك بني سعد فقال قيس بن عاصم في ذلك :

جزى الله يربوعا بأسوا سعيها * اذا ذكرت في النائبات أمورها
ويوم جدود قد فضحتم أباكم * وسالمتم والخيل تدمى نحورها

فاجابه مالك :

سأسأل من لاقي فوارس منقذ * رقاب اماء كيف كان نكيرها

ولما أتى الصريخ بني سعد ركب قيس بن عاصم في أثر القوم حتى أدركهم بالاشمسين . فألح قيس على الحوفزان وقد حمل الزرقاء وكان الحوفزان قد خرج في طليعة فلقيه قيس بن عاصم فساله من هو فقال لا تكاتم اليوم أنا الحوفزان فمن أنت قال أنا أبو علي . ومضى ورجع الحوفزان الى أصحابه . فقال لقيت رجلا أزرق كان لحيته ضريبة صوف . فقال أنا أبو علي فقالت عجوز من السبي بابي أبو علي ومن لنا بابي علي فقال لها ومن أبو علي . قالت قيس بن عاصم . فقال لاصحابه النجاء وأردف الزرقاء خلفه وهو على فرسه الزبد وعقد شعرها الى صدره ونجا بها . وكانت فرس قيس اذا أوعثت تضرب ويمطر عليها الزبد فلما أجدا لحقت بحيث تكلم الحوفزان . فقال له قيس يا أبا حمار أنا خير لك من الفلاة والعطش . قال له الحوفزان ماشاء الزبد . فلما رأى قيس ان فرسه لا يلحقه نادى الزرقاء فقال ميلي به يا جمار . فلما سمعه الحوفزان دفعها بمرفقه وجز قرونها بسيفه فالقاها عن عجز فرسه وخاف قيس ان لا يلحقه فنجله بالرمح في خزانة وركه فلم يقصده وعرج منها وردقيس الزرقاء الى بني الربيع . فقال سويد بن حيان المنقري :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * تمج نجيعا من دم الجوف أشكلا

٤١ — يوم سفوان — قال أبو عبيدة : التقت بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سفوان فزعمت بنو شيبان انه لهم وأرادوا ان يجلوا تميما عنه . فاقتتلوا قتالا شديدا فظهرت عليهم بنو تميم وزادوهم حتى وردوا المحدث وكانوا يتواعدون بني مازن قبل ذلك . فقال في ذلك الوداك المازني :

رويدا بني شيبان بعض وعيدكم * تلاقوا غدا خيلي على سفوان
تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى * اذا الخيل جالت في القنا المتداني
عليها الكماة الغر من آل مازن * أولات طعان كل يوم طعان

تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم * على ماجنت فيهم يد الحدثان
مقاديم وصالون فى الروع خطوهم * بكل رقيق الشفرتين يمان
اذا استنجدوا لم يسالوا من دعاهم * لاية حرب أم لاى مكان

٤٢ - يوم السلى - قال أبو عبيدة : كان من حديث يوم السلى ان بنى مازن أغارت على بنى يشكر فصابوا منهم . وشد زاهر بن عبد الله بن مالك على تيم بن ثعلبة اليشكرى فقتله فقال فى ذلك :

لله تيم أى رمح طراد * لاقى الحمام وأى نصل جلاد
ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غير معرد حياد

وقال حاجب بن دينار المازنى

سلى يشكرا عنى وأبناء وائل * لهازمها طرا وجمع الاراقم
ألم تعلمى انا اذا الحرب شمرت * سمام على أعدائنا فى الحلاقم
عتاة قراة فى الشتاء مساعر * حماة كماة كالليوث الضراغم
بايديهم سمر من الخط لدنة * وبيض تجلى عن فراخ الجماجم
أولئك قوم ان فخرت بعزهم * فخرت بعز فى اللهى والغلاصم
هم انزلوا يوم السلى عزيزها * بسمر العوالى والسيوف الصوارم

٤٣ - يوم بلقاء الحسن - وهو يوم السقيفة لبنى ضبة على شيبان : قال أبو عبيدة غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد وقيس بن مسعود هو ذو الجدين وأخوه السليل بن قيس بنى ضبة بن اد بن طابخة . فاغار على ألف بعير لمالك بن المشفق فيها فحلها قد فقاعينه وفى الابل مالك بن المشفق فركب فرساله ونجا ركضا حتى اذا دنا من قومه نادى ياصباحاه فركبت بنو ضبة . وتداعت بنو تميم فتلاحقوا بالبلقاء . فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه أيهم رئيس القوم . قال حاميتهم صاحب الفرس الادهم يعنى بسطام فعلا عاصم عليه بالرمح فعارضه حتى اذا كان بحذائه رمى بالقوس وجمع يديه فى رمحه فطعنه فلم تخطئ صماخ أذنه حتى خرج الرمح من الناحية الاخرى وخر على الالاءة والالاءة شجرة فلما رأى ذلك بنو شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فمن قتيل وأسير . وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس بن مسعود أخا بسطام فى سبعين

من بنى شيبان . فقال ابن غنمة الضبي وهو مجاور يومئذ فى بنى شيبان يرثى بسطام وخاف أن يقتلوه . فقال :

لام الارض ويل ماأجنت * بحيث أضر بالحسن السبيل
يقسم ماله فينا ويدعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
كانك لم تريه ولم تريه * تخب به عذافرة ذبول
حقيبة رحلها بدن وسرج * يعارضها مربتة ذؤل
الى ميعاد أرعن مكفهر * تضمر فى جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
لقد ضمنت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفى ببسطام قتيل
تخر على الالاة ولم يوسد * كان جبينه سيف صقيل
فان تجزع عليه بنو أبيه * فقد فجعوا وحل بهم جليل
بمطعام اذ الاشوال راحت * الى الحجرات ليس لها فصيل

وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة :

ويوم شقائق الحسنين لاقت * بنو شيبان آجالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور * صماخى كبشهم حتى استدارا
وأوخذناه أسمر ذا كعوب * يشبه طوله مسدا مغارا

وقال محرز بن المكعبر الضبي :

أطلقت من شيبان سبعين راكبا * فآبوا جميعا كلهم ليس يشكر
اذا كنت فى أفنان شيبان منعما * فجز اللحى ان النواصى تكفر
فلا شعرهم أبقى وان كنت منعما * ولا ودهم فى آخر الدهر أضمر

٤٤ ـ أيام بكر على تميم ـ يوم الزويرين : قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنتجع أرض تميم فى الجاهلية ترعى بها اذا أجدبوا فاذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عورة يصيبونها ولا شيئاً يظفرون به الا اكتسحوه . فقالت بنو تميم امنعوا هؤلاء القوم من رعى أرضكم وما يأتون اليكم فحشدت تميم وحشدت بكر واجتمعت . فلم يتخلف منهم الا الحوفزان بن شريك فى أناس من بنى ذهل بن شيبان وكان غازيا . فقدمت بكر عليهم عمرا الاصم أبا مفروق قال وهو

عمرو بن قيس بن مسعود أبو عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان فحسد سائر ربيعة الاصم على الرياسة فأتوه فقالوا يا ابا مفروق انا قد زحفنا التميم وزحفوا الناأ كثر ما كنا وكانوا قال فما تريدون قالوا نريد ان نجعل كل حى على حياله ونجعل عليهم رجلا منهم فنعرف عناء كل قبيلة فانه اشد لاجتهاد الناس . قال والله انى لابغض الخلاف عليكم ولكن يأتى مفروق فينظر فيما قلتم . فلما جاء مفروق شاوره أبوه وذلك أول يوم ذكر فيه مفروق بن عمرو . فقال له مفروق ليس هذا أرادوا وانما أرادوا ان يخدعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال الفضل لنا بذلك أبدا ولئن ظفر بك لا تزال لنا رياسة نعرف بها . فقال الاصم يا قوم قد استشرت مفروقا فرأيته مخالفا لكم ولست مخالفا رأيه وما أشار اليه فاقبلت تميم بجملين مجللين مقرونين مقيدين وقالوا لا نولى حتى يولى هذان الجملان وهما الزوبران فاخبرت بكر بقولهم الاصم . فقال وأنا زوبركم ان خشوهما فخشونى وان عقروهما فاعقرونى . قال والتقى القوم فاقتتلوا قتالا شديدا . قال وأسرت القوم بنو تميم حراث بن مالك أخا مرة بن همام فركض به رجل منهم وقد أردفه واتبعه ابنه قتادة بن حراث حتى لحق الفارس الذى اسر أباه فطعنه فارداه عن فرسه واستنقذ أباه . ثم استحر بين الفريقين القتال فانهزمت بنو تميم . فقتل منهم مقتلة عظيمة فمن قتل منهم أبو الرئيس النهشلى . وأخذت بكر الزوبرين أخذتهما بنو سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة فنحروا أحدهما فأكلوه وافتحلوا الآخر وكان نجيبا . فقال رجل من بنى سدوس :

يا سلم ان تسألى عنا فلا كشف * عند اللقاء ولسنا بالمقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * جيش الزوبرين فى جمع الاحاليف
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

وقال الاغلب بن جعشم العجلى :

جاؤا بزوربهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا قد كان من عهد ارم
فكر بالسيف اذا الرمح انحطم * كهمة الليث اذا ما الليث هم
كانت تميم معشرا ذوى كرم * مخلصة من الفلاصم العصم
قد نفخوا لو ينفخون فى فحم * وصبروا لو صبروا على أمم
اذ ركبت ضبة اعجاز النعم * فلم تدع ساقا لها ولا قدم

٤٥ — يوم الشيطين لبكر على تميم — قال أبو عبيدة : لما ظهر الاسلام قبل ان يسلم أهل نجد والعراق سارت بكر بن وائل الى السواد . وقالت نغير على تميم بالشيطين فان فى دين ابن عبد المطلب من قتل نفسا قتل بها فنغير هذا العام . ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذرارى والاموال فأتوا الشيطين فى أربع و بينهما مسيرة ثمان اميال . فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون و رئيسهم يومئذ بشر بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين . فقتلوا بنى تميم قتلا ذريعا وأخذوا أموالهم واستحر القتل فى بنى العنبر و بنى ضبة و بنى يربوع دون بنى مالك بن حنظلة . قال أبو عبيدة : حدثنا أبو الحناء العنبرى قال قتل من بنى تميم يوم الشيطين ستمائة رجل قال فوفد وفد بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع الله على بكر بن وائل فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رشد بن زهير العنبرى :

وما كان بين الشيطين ولعلع * لسوقتنا الا مراجع أربع
فجئنا بجمع لم يرالناس مثله * يكاد له ظهر الوديقة يضلع
بارعن دهم شيد البلق وسطه * له عارض فيه الاسنة تلمع
صبحنا به سعدا وعمرا ومالكا * فكان لهم يوم من الشر أشنع
تخلوا لنا صحن العراق وانه * حمى منهم لا يستطاع ممنع

٤٦ — يوم صعفوق لبكر على تميم — اغارت بنو ربيعة على بنى سليط بن يربوع يوم صعفوق فأصابوا منهم أسرى . فاتى طريف بن تميم العنبرى فروة بن مسعود وهو يومئذ سيد بنى ربيعة ففدى منهم أسرى بنى سليط ورهنهم ابنه فابطأ عليهم فقتلوا ابنه . فقال :

لا تأمنن سلمى ان أفارقها * صرمى الظعائن بعد اليوم صعفوق
اعطيت اعداءه طوعا برمته * ثم انصرفت وظنى غير موثوق

٤٧ — يوم مبايض لبكر على تميم — قال أبو عبيدة : كانت الفرسان اذا كانت أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا تقنعوا كى لا يعرفوا . وكان طريف بن تميم العنبرى لا يتقنع كما يتقنعون فوافى عكاظ وقد كشفت بكر بن وائل . وكان طريف قتل شراحيل الشيبانى أحد بنى عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان . فقال حصيصة أرونى طريفا فاروه اياه فجعل كلما مر به تامله ونظر اليه ففطن طريف . فقال مالك تنظر الى . فقال اتوسمك

لاعرفك فلله على ان لقيتك ان اقتلك أو تقتلنى . فقال طريف فى ذلك :

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
فتوسمونى اننى أنا ذلكم * شاكى سلاحى فى الحوادث معلم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم
حولى اسيد والهجيم ومازن * واذا حللت فحول بيتى خضم

قال فقضى لذلك ماشاء الله . ثم ان بنى عائذة حلفاء بنى ربيعة بن ذهل بن شيبان وهم يزعمون انهم من قريش وان عائذة بن لؤى بن غالب خرج منهم رجلان يصيدان فعرض لهما رجل من بنى شيبان فذعر عليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه . فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فابت بنو ربيعة عليهم ذلك . فقال هانئ بن مسعود يابنى ربيعة ان اخوتكم قد أرادوا اطلبكم فانمازوا عنهم . قال ففارقوهم وساروا حتى نزلوا بمبايض ماء لهم . ومبايض علم من وراء الدهناء فابق عبد لرجل من بنى ربيعة فسار الى بلاد تميم فاخبرهم أن حيا جديدا من بنى بكر بن وائل نزول على مبايض وهم بنو ربيعة والحى الجديد المنتقى من قومه فقال طريف العنبرى هؤلاء ثارى يا آل تميم انما هم اكلة رأس واقبل فى بنى عمرو بن تميم واقبل معه أبو الجدعاء أحد بنى طهية وجاءه فدكى ابن عبد المنقرى فى جمع من بنى سعد بن زيد مناة فنذرت بهم بنو ربيعة فانحاز بهم هانئ بن مسعود وهو رئيسهم الى علم مبايض . فاقاموا عليه وشرقوا بالاموال والسرح وصبحتهم بنو تميم فقال لهم طريف أطيعونى وافرغوا من هؤلاء الاكلب يصف لكم ماوراءهم . فقال له أبو الجدعاء رئيس بنى حنظلة وفدكى رئيس بنى سعد بن مناة أنقاتل اكلبا أحرزوا نفوسهم ونترك أموالهم ماهذا برأى وأبوا عليه . فقال هانئ لاصحابه لا يقاتل رجل منكم ولحقت تميم بالنعم والبغال فاغاروا عليها . فلما ملؤا أيديهم من الغنيمة قال هانئ بن مسعود لاصحابه احملوا عليهم فهزموهم وقتلوا طريفا العنبرى قتله حمصيصة الشيبانى . وقال :

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * سفها وانت بمعلم قد تعلم
وأتيت حيا فى الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستقدم
فوجدت قوما يمنعون ذمارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا
واذا دعوا بنى ربيعة شمروا * بكتائب دون النساء تلملم
حشدوا عليك وعجلوا بقراهم * وحموا ذمار أبيهم ان يشتموا

سلبوك درعك والاغر كلاهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

٤٨ - يوم فيحان لبكر على تميم - قال أبو عبيدة: لما فدى بسطام بن قيس بن عتيبة بن الحرث اذ أسر يوم الغبيط بار بمائة بعير قال لادركن عقل ابلى فاغار بفيحان فاخذ الربيع بن عيينة واستاق ماله. فلما سار بومين شغل عن الربيع بالشراب وقد مال الربيع على قده حتى لان ثم خلعه وانحل منه. ثم جال فى متن ذات النسوع فرس بسطام وهرب فركبوا فى أثره. فلما يئسوا منه ناداه بسطام يار بيع هلم طليقا فابى قال وأتى نادى قومه يحدثهم فجعل يقول فى أثناء حديثه ايهايار بيع انج ر بيع وكان معه رئى. قال وأقبل ر بيع حتى انتهى الى أدنى بنى يربوع فاذا هو براع فاستسقاه وضربت الفرس برأسها فماتت فسمى ذلك المكان الى اليوم هبير الفرس. فقال له أبو عيينة اما اذ نجوت بنفسك فانى مخلف لك مالك

٤٩ - يوم ذى قار الاول لبكر على تميم - قال أبو عبيدة: خرج عيينة فى نحو خمسة عشر فارسا من بنى يربوع فكمن فى حمى ذى قار حتى مرت به ابل بنى الحصين بالقداوية سم ماءلهم فصاحوا بمن فيها من الحامية والرعاء ثم استاقوها فاخلف للربيع ماذهب له. وقال:

ألم ترنى أفات على ربيع * جلادا فى مباركها وخورا
وانى قد تركت بنى حصين * بذى قار يرمون الامورا

٥٠ - يوم الحاجر لبكر على تميم - قال أبو عبيدة: خرج وائل بن صريم اليشكرى من اليمامة فلقيه بنو أسيد بن عمرو بن تميم أخذوه أسيرا فجعلوا يغمسونه فى الركية ويقولون * يا أيها الماتح دلوى دونكا * حتى قتلوه فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجر فاخذ ثمامة بن باعث بن صريم رجلا من بنى أسيد كان وجيها فيهم فقتله وقتل على بطنه مائة منهم. فقال باعث بن صريم:

سائل أسيدا هل ثأرت بوائل * أم هل شفيت النفس من بلبالها
اذ أرسلونى ماتحا لدلائهم * فملأتها علقا الى أسبالها
ان الذى سمك السماء مكانها * والبدر ليلة نصفها وهلالها
آليت اثقف منهم ذا لحية * أبدا فينظر عينه فى مالها

وقال : سائل أسيداً هل ثأرت بوائل * أم هل أتيتهم بامر مبرم
اذ أرسلوني ماتحا لدلائهم * فملأتهن الى العراقي بالدم

٥١ - يوم الشقيف لبكر على تميم - قال أبو عبيدة: أغار أبجر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة فسبي سلمى بنت محصن فولدت له أبجر . ففي ذلك يقول أبو النجم :
ولقد كررت على طهية كرة * حتى طرقت نساءها بمساء

٥٢ - حرب البسوس وهي حرب بكر وتغلب ابني وائل - ابو المنذر هشام ابن محمد بن السائب قال : لم تجتمع معد كلها الا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر وربيعة وكليب. فالاول عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث . وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان . وهو الياس بن مضر وعامر بن الظرب هو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة . وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن . والثاني ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيت بن كعب هو قائد معد يوم السلان وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن . والثالث كليب بن ربيعة . وهو الذي يقال فيه أعز من كليب وائل وقاد معدا كلها يوم خزازى ففض جموع اليمن وهزمهم . فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا له قسم الملك وتاجه وتحيته وطاعته فمبر بدلك حينا من دهره . ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه لما هو فيه من عزه وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أرض كذا في جواري فلا يهاج ولا نورد ابل أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره حتى قالت العرب أعز من كليب وائل . وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة . وكان كليب بن وائل قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان وأخوها جساس بن مرة . وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة خالة جساس بن مرة وكانت نازلة في بني سيبان مجاورة لجساس . وكان لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب أشأم من سراب وأشأم من البسوس . فمرت ابل لكليب بسراب ناقة البسوس وهي معقولة بفناء بيتها جوار جساس بن مرة . فلما رأت سراب الابل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الابل واختلطت بها حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض معه قوس وكنانة فلما رآها أنكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهي ترغو . فلما رأتها

البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت واذلاه واجاراه وخرجت

٥٣ ـ مقتل كليب بن وائل ـ فاحمست جساسا فركب فرساله مغر و رابه فاخذ آلته وتبعه عمر و بن الحرث بن ذهل بن شيبان على فرسه ومعه رمحه حتى دخلا على كليب الحمى فقال له يا أبا الماجدة عمدت الى ناقة جارتي فعقرتها . فقال له أتراك مانعي ان أذب عن حماى فاحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمر و بن الحرث من خلفه فقطع بطنه . فوقع كليب وهو يفحص برجله . وقال لجساس أغثني بشربة من ماء . فقال تجاوزت شبيثا والاحص . فى ذلك يقول عمر و بن الاهتم :

وان كليبا كان يظلم قومه * فأدركه مثل الذى تريان
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه * تذكر ظلم الاهل أى أوان
وقال لجساس أغثني بشربة * والا تخبر من رأيت مكانى
فقال تجاوزت الاحص وماءه * و بطن شبيث وهو غير زؤان

وقال نابغة بنى جعدة :

أبلغ عقالا ان خطة داحس * بكفيك فاستأخر لها أو تقدم
كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية البرد اليمانى المسهم
وقال لجساس أغثني بشربة * تدارك بها منا علي وأنعم
فقال تجاوزت الاحص وماءه * و بطن شبيث وهو ذو متوسم

فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهى وتشمر المهلهل أخو كليب واسمه عدى بن ربيعة . وانما قيل له المهلهل لانه أول من هلهل الشعر أى أرقه واستعد لحرب بكر وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه فأرسل رجلا منهم الى بنى شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الامر فاتو مرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه . فقالوا انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناب من الابل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم . ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا لكم فيها مخرج ولنا مقنع . فقال مرة وما هى قالوا تحيي لنا كليبا أو تدفع الينا جساسا قاتله فنقتله به أو هماما فانه كفء له أو تمكنا

من نفسك فان فيك وفاء من دمه . فقال أما احيائى كليبا فهـذا مالا يكون . وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوى عليه . وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه لى فادفعه اليكم يقتل بجريرة غيره واما انا فهل هو الا أن تجول الخيل جولة غدا فاكون اول قتيل بينها فما أتعجل من الموت . ولكن لكم عندى خصلتان اما احداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور والا فالف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل . فغضب القوم وقالوا لقد أسأت تبذل لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب . ووقع الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها ودعت النمر بن قاسط فانضمت الى بنى كليب وصاروا يدا معهم على بكر . ولحقت بهم عقيلة بن قاسط واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وأعظموا قتل جساس كليبا بناب من الابل . فظعنت لجيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم وانقبض الحرث بن عباد فى أهل بيته وهو أبو بجير وفارس النعامة . وقال المهلهل يرثى كليبا :

بت ليلى بالانعمين طويلا * أرقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف أهدا ولا يزال قتيل * من بنى وائل ينسى قتيلا
غيبت دارنا تهامة فى الدهـر وفيها بنو معد حلولا
فتساقوا كاسا أمرت عليهم * بينهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بنى لجيم بضرب * يترك الهام وقعه مفلولا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا * وأخو الحرب من أطاق النزولا
انتضوا معجس القسى وابرقنا كما توعد الفحول الفحولا
قتلوا ربهم كليبا سفاها * ثم قالوا ماان نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى * يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين فى عاطف الرحـم ونروى رماحنا والخيولا

وقال أيضا يرثيه :

كليب لاخير فى الدنيا ومن فيها * اذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتى عز ومكرمة * تحت السفاسف اذ يعلوك سافيها

نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم * مالت بنا الارض أوزالت رواسيها
الحـزم والعزم كانا من صنيعته * ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيـل تردى فى أعنتها * زهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ماتلقى أسنتها * الا وقد خضبوها من أعاديها
يهزهزون من الخطى مدمجة * كمتا أنابيبها زرقا عـواليها
نروى الرماح بايدينا فنوردها * بيضا ونصـدرها حمـرا أعاليها
ليت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت بمن فيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم * مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

قال أبو المنذر : أخبرنى خراش ان أول وقعة كانت بينهم بالنهى يوم النهى فالتقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحـرث بن مرة . فكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى شيبان واستحر القتل فيهم الا انه لم يقتل فى ذلك اليوم أحـد من بنى مرة

٥٤ — يوم الذنائب — ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعـة لهـم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكرا مقتلة عظيمة وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو جـد الحوفزان وهو جد معن بن زائدة والحوفزان هو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل قتله عتاب بن سعد بن زهير بن جشم . وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان قتله كعب بن زهير ابن جشم وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . وقتل من بنى تيم الله جميل بن مالك بن تيم الله وعبد الله بن مالك بن تيم الله . وقتل من بنى قيس بن ثعلبة سعد ابن ضبيعة بن قيس وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحـد الخرفين وكان شيخا كبيرا فحمل فى هودج فلحقه عمرو بن مالك بن الفـدوكس بن جشم وهو جـد الاخطل فقتله هؤلاء . من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب

٥٥ — يوم واردات — ثم التقوا بواردات وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمينا فظفرت بنو تغلب واستحر القتل فى بنى بكر . فيومئذ قتل الشعثمان شعثم وعبـد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن الحرث بن سيار . وفيه قتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو

جساس لامه وأبيه فر به مهلهل مقتولا . فقال والله ماقتل بعد كليب قتيل أعز على فقدا منك وقتله ناشرة . وكان همام رباه وكفله كما كان ربى حذيفة بن بدر قرواشا فقتله يوم الهباءة

٥٦ — يوم عنيزة — ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو اتغلب . ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيه لبنى تغلب على بنى بكر . فنها يوم الحنو . و يوم غو برضات . و يوم انيق و يوم ضرمة . و يوم العصيات هذه الايام كلها التغلب على بكر أصيبت فيها بكر حتى ظنوا ان ليس يستقيلوا أمرهم . وقال مهلهل يصف هذه الايام و ينعيها على بكر فى قصيدة طويلة أولها :

أليلتنا بذى حسم أنيرى * اذا أنت انقضيت فلا تحورى
فان يك بالذنائب طال ليلى * فقد أبكى من الليل القصير

وفيها يقول :

فلو نبش المقابر عن كليب * لاخبر بالذنائب أى زير
كانا غدوة و بنى أبينا * بجنب عنيزة رحيا مدير
وانى قد تركت بواردات * بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بنى عباد * و بعض القتل أشفى للصدور
على ان ليس عدلا من كليب * اذا برزت مخباة الخدور
ولولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وقال مهلهل لما أسرف فى الدماء :

أكثرت قتل بنى بكر بربهم * حتى بكيت ومايبكى لهم أحد
آليت بالله لا أرضى بقتلهم * حتى أبهرج بكرا أينما وجدوا

قال أبو حاتم: أبهرج أدعهم بهرجالا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية . وقال البهرج من الدراهم من هذا . وقال المهلهل :

يال بكر انشروا لى كليبا * يال بكر أين أين الفرار
تلك شيبان تقول لبكر * صرح السر وبان السرار
وبنو عجل تقول لقيس * ولتيم اللات سيروا فساروا

وقال : قتلوا كليبا ثم قالوا اربعوا * كذبوا ورب الحل والاحرام

حتى تبيد قبائل وقبيلة * ويعض كل مثقف بالهام
وتقوم ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض ذوائب الايتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه * مما يرى ندما على الابهام

٥٧ — يوم قضة — ثم ان مهلهلا أسرف فى القتل ولم يبال باى قبيلة من قبائل بكر أوقع وكان أكثر بكر قعدت عن نصرة بنى شيبان لقتلهم كليب بن وائل . فكان الحرث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير بن الحرث . و يقال انه كان ابن أخيه. فلما بلغ الحرث قتله قال نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل وظن ان المهلهل قد أدرك به ثار كليب وجعله كفؤا له . فقيل له انما قتله بشسع نعل كليب . وذلك ان المهلهل . لما قتل بجيرا قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحرث بن عباد . وكان له فرس يقال له النعامة فركبها وتولى أمر بكر . فقتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب . فقال فى ذلك الحرث بن عباد :

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيالى
لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى

وكان اليوم الذى شهده الحرث بن عباد يوم قضة و يوم تحلاق اللمم . وفيه يقول طرفة بن العبد :

سائلوا عنا الذى يعرفنا * مالقوا فى يوم تحلاق اللمم
يوم تبدى البيض عن أسوقها * وتلف الخيل أفواج النعم

وفيه أسر الحرث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه واسمه عدى بن ربيعة . فقال له دلنى على عدى بن ربيعة وأخلى عنك . فقال له عدى عليك العهود بذلك ان دللتك عليه قال نعم . قال فانا عدى فجز ناصيته وتركه . وقال فيه :

لهف نفسى على عدى ولم أعرف عديا اذا مكنتنى اليدان

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان قتلهما جحدر بن ضبيعة طعن أحدهما بسنان رمحه والآخر بزجه . ثم ان المهلهل فارق قومه ونزل فى بنى جنب وجنب فى مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فاجبروه على تزويجها وساقوا اليه فى صداقها جلودا من ادم . فقال فى ذلك :

اعزز على تغلب بما لقيت * اخت بنى الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من ادم

لو با بانين جاء يخطبها * زمل ماانف خاطب بدم

٥٨ — الكلاب الاول — قال أبو عبيدة : لما تسافهت بكر بن وائل وغلبها سفهاؤها وتقاطعت أرحامها ارتأى رؤساؤهم . فقالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فاكل القوى الضعيف ولا نستطيع تغيير ذلك فنرى ان نملك علينا ملكا نعطيه الشاء والبعير فيأخذ للضعيف من القوى و يرد على المظلوم من الظالم ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فتفسد ذات بيننا ولكنا نأتى تبعا فنملكه علينا . فأتوه فذكروا له أمرهم فملك عليهم الحرث بن عمرو آكل المرار الكندى . فقدم فنزل بطن عاقل . ثم غزا ببكر بن وائل حتى انتزع عامة ما فى أيدى ملوك الحيرة اللخميين وملوك الشام الغسانيين وردهم الى أقاصى أعمالهم . ثم طعن فى نبطه أى مات فدفن ببطن عاقل واختلف ابناه شرحبيل ومسلمة فى الملك . فتواعدا الكلاب فاقبل شرحبيل فى ضبة والرباب كلها و بنى يربوع و بكر بن وائل . وأقبل مسلمة فى تغلب والنمر و بهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة وعليهم سفيان بن مجاشع وعلى تغلب السفاح وانما قيل له السفاح لانه سفح أوعية قومه . وقال لهم انذروا الى ماء الكلاب فسبقوا ونزلوا عليه وانما خرجت بكر بن وائل مع شرحبيل لعداوتها لبنى تغلب فالتقوا على الكلاب واستحر القتل فى بنى يربوع وشد أبو حنش على شرحبيل فقتله . وكان شرحبيل قتل حنشا فأراد أبو حنش ان يأتى برأسه الى مسلمة فخافه فبعثه مع عسيف له . فلما رآه مسلمة دمعت عيناه فقال له أنت قتلته . قال لا ولكنه قتله أبو حنش . فقال انما أدفع الثواب الى قاتله وهرب أبو حنش عنه . فقال مسلمة :

ألا أبلغ أباحنش رسولا * فمالك لاتجىء الى الثواب
تعلم ان خير الناس ميتا * قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاميس الرباب

ومما يدل على ان بكرا كانت مع شرحبيل قول الاخطل :

اباغسان انك لم تهنى * ولكن قد أهنت بنى شهاب
تركوا فى النخيل وأنسؤنا * دماء سراتكم يوم الكلاب

٥٩ — يوم الصفقة — وهو يوم الكلاب الثانى . قال أبو عبيدة: أخبرنا أبو عمرو بن

العلاء قال كان يوم الكلاب متصلا بيوم الصفقة . وكان من حديث الصفقة ان كسرى الملك كان قد أوقع ببني تميم فأخذ الاموال وسبي الذراري بمدينة هجر . وذلك انهم أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . ثم ان بني تميم أداروا أمرهم وقال ذوو الحجى منهم انكم قد أغضبتم الملك وقد أوقع بكم حتى وهنتم وتسامعت بما لقيتم القبائل فلا تامنون دوران العرب فجمعوا سبعة رؤساء منهم وشاوروهم في أمرهم . وهم أكثم بن صيفي الاسدي والاعيمر بن يزيد بن مرة المازني . وقيس بن عاصم المنقري . وأبير بن عصمة التيمي والنعمان بن الحسحاس التيمي . وأبين بن عمرو السعدي . والزبرقان بن بدر السعدي . فقالوا لهم ماذا ترون . فقال أكثم بن صيفي وكان يكنى أباحنش ان الناس قد بلغهم ما قد لقينا ونحن نخاف ان يطمعوا فينا . ثم مسح بيده على قلبه وقال اني قد نيفت على التسعين وانما قلبي بضعة من جسمي . وقد نحل كما نحل جسمي واني أخاف ان لا يدرك ذهني الرأي لكم . وأنتم قوم قد شاع في الناس أمركم وانما كان قوامكم اسيفا وعسيفا يريد العبد والاجير وصرتم اليوم انما ترعى لكم بناتكم فليعرض على كل رجل منكم رأيه وما يحضره فاني متى أسمع الحزم أعرفه . فقال كل رجل منهم ما رأى وأكثم ساكت لا يتكلم حتى قام النعمان بن الحسحاس . فقال ياقوم انظروا ماء يجمعكم ولا يعلم الناس باي ماء أنتم حتى تنفرد الحلقة عنكم . وقد حممتم وصلحت أحوالكم وانجبر كسيركم وقوي ضعيفكم ولا أعلم ماء يجمعكم الا قدة . فارتحلوا انزلوا قدة وهو موضع يقال له الكلاب فلما سمع أكثم بن صيفي كلام النعمان . قال هذا هو الرأي فارتحلوا حتى نزلوا الكلاب . وبين أدناه واقصاه مسيرة يوم واعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق . فنزلت سعد والرباب باعلى الوادي ونزلت حنظلة باسفله . قال أبو عبيدة : وكانوا لا يخافون ان يغزوا في القيظ ولا يسافر فيه أحد ولا يستطيع أحد ان يقطع تلك الصحاري لبعد مسافتها وليس بها ماء ولشدة حرها فاقاموا بقية القيظ لا يعلم أحد بمكانهم حتى اذا تهور القيظ أي ذهب بعث الله ذا العينين وهو من اهل مدينة هجر فمر بقدة وصحرائها . فرأى ما بها من النعم فانطلق حتى أتى أهل هجر فقال لهم هل لكم في جارية عذراء ومهرة شوهاء وبكرة حمراء ليس دونها نكبة . فقالوا ومن لنا بذلك قال تلكم تميم القاء مطرحون بقدة . قالوا أي والله فمشى بعضهم الى بعض . وقالوا اغتنموها من بني تميم فاخرجوا منهم أربعة أملاك يقال لهم اليزيديون . يزيد بن هوبر . ويزيد بن عبد المدان . ويزيد ابن المأمور . ويزيد بن المحرم وكلهم حارثيون ومعهم عبد يغوث الحارثي . فكان كل واحد منهم

على ألفين والجماعة ثمانية آلاف فلا يعلم جيش فى الجاهلية كان أكبر منه ومن يوم جيش كسرى يوم ذى قار . ويوم شعب جبلة فمضوا حتى اذا كانوا ببلاد باهلة . قال جزء بن جزء لابنه جزء الباهلى يابنى هل لك فى اكرومة لا يصاب أبدا مثلها . قال وماذاك قال هذا الحى من تميم قد ولجوا هناك مخافة وقد قصصت أثر الجيش يريدونهم فاركب جملى الارحبى وسر سيرا رويدا عقبة من الليل يعنى ساعة ثم خل عنه حبليه وأنخه وتوسد ذراعه . فاذا سمعته قد أفاض بجرته وبال فاستنقعت ثفناته فى بوله فشد عليه حبله . ثم ضع السوط عليه فانك لا تسأل جملك شيأ من السير الا أعطاك حتى تصبح القوم ففعل ما أمره به . قال الباهلى فحللت بالكلاب قبل الجيش وأنا أنظر الى ابن ذكاء يعنى الصبح فناديت ياصباحاه فانهم ليثبون الى يسألونى من أنت اذ أقبل رجل من بنى شقيق على مهر قد كان فى النعم فنادى ياصباحاه قد أتى على النعم . ثم كر راجعا نحو الجيش فلقيه عبد يغوث الحارثى وهو اول الرعيل فطعنه فى رأس معدته فسبق اللبن الدم . وكان قد اصطبح . فقال عبد يغوث أطيعونى وامضوا بالنعم وخلوا العجائز من تميم ساقطة أفواهها . قالوا امادون ان تنكح بناتهم فلا . وقال ضمرة بن لبيد الحماسى أنظروا اذا سقتم النعم فان أتتكم الخيل عصبا العصبة تنتظر الاخرى حتى تلحق بها فان أمر القوم هين وان لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضا حتى يردوا وجوه النعم فان أمرهم شديد . وتقدمت سعد والرباب فى أوائل الخيل فالتقوا بالقوم فلم يلتفتوا اليهم واستقبلوا النعم ولم ينتظر بعضهم بعضا . ورئيس الرباب النعمان بن الحسحاس . ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم . وأجمع العلماء ان قيس بن عاصم كان رئيس بنى تميم . فالتقى القوم فكان أول صريع النعمان بن الحسحاس واقتتل القوم بقية يومهم . وثبت بعضهم لبعض حتى حجز الليل بينهم . ثم أصبحوا على راياتهم . فنادى قيس بن عاصم يا آل سعد . ونادى عبد يغوث يا آل سعد قيس يدعو سعد بن زيد مناة وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى يا آل كعب فنادى عبد يغوث يا آل كعب قيس يدعو كعب بن سعد وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك . فلما رأى ذلك قيس نادى يا آل كعب مقاعس . فلما سمعه وعلة بن عبد الله الجرمى . وكان صاحب لواء أهل اليمن نادى يا آل مقاعس تفاءل به فطرح له اللواء . وكان أول من انهزم فحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم لا تقتلوا الا فارسا فان الرجالة لكم . ثم جعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عصبا هواربا * أقسمت لا أطعن الا راكبا * انى وجدت الطعن فيهم صائبا

وقال أبو عبيدة : أمر قيس بن عاصم ان يتبعوا المنهزمة و يقطعوا عرقوب من لحقوا ولا يشتغلوا بقتلهم عن اتباعهم فجزوا دوابرهم . فذلك قول وعلة :

فدى لكم أهلى وأمى ووالدى * غداة كلاب اذ تجز الدوابر

وسنكتب هذه القصيدة على وجهها . وحمى عبد يغوث أصحابه فلم يوصل الى الجانب الذى هو فيه فالظ به مصاد بن ربيعة بن الحرث . فلما لحقه مصاد طعنه فالقاه عن الفرس فاسره . وكان مصاد قد أصابته طعنة فى مأبضه . وكان عرقه يهمى أى يسيل فعصبه وكتفه يعنى عبد يغوث ثم اردفه خلفه فنزفه الدم فمال عن فرسه مقلوبا . فلما رأى ذلك عبد يغوث قطع كتافه واجهز عليه وانطلق على فرسه وذلك أول النهار . ثم ظفر به بعد فى آخره ونادى منادقتل اليزيديون وشد قبيصة بن ضرار الضبى على ضمرة بن لبيد الحماسى الكاهن فطعنه فخر صريعا . فقال له قبيصة الا أخبرك تابعك بمصرعك اليوم وأسر عبد يغوث أسره عصمة بن أبير التيمى . قال أبو عبيدة : انتهى عصمة بن أبير الى مصاد وقد أمعنوا فى الطلب فوجده صريعا وقد كان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيرا فى يديه فعرف انه هو الذى اجهز عليه فاقتص أثره. فلما لحقه قال له ويحك انى رجل أحب اللبن وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال عبد يغوث ومن أنت قال عصمة بن أبير . قال عبد يغوث أو عندك منعة . قال نعم فالقى يده فى يده فانطلق به عصمة حتى جثاه عند الاهتم على ان جعل له من فداه جعلا . فوضعه الاهتم عند امرأته العبشمية فاعجبها جماله وكمال خلقه . وكان عصمة الذى أسره غلاما نحيفا . فقالت لعبد يغوث من أنت قال أنا سيد القوم فضحكت . وقالت قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا . ولذلك يقول عبد يغوث :

وتضحك منى شيخة عبشمية * كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

فاجتمعت الرباب الى الاهتم . فقالت ثارنا عندك وقد قتل مصاد والنعمان فاخرجه الينا فابى الاهتم ان يخرجه اليهم فكادان يكون بين الحيين الرباب وسعد فتنة حتى أقبل قيس بن عاصم المنقرى . فقال أترى اقطع حلف الرباب من قبلنا وضرب فمه بقوس فهتمه فسمى الاهتم فقال الاهتم انما دفعه الى عصمة بن أبير ولا أدفعه الا لمن دفعه الى فليجئ فليأخذه فأتوا عصمة فقالوا ياعصمة قتل سيدنا النعمان وفارسنا مصاد وثارنا أسيرك وفى يدك فما ينبغى لك أن تستحييه . فقال انى محل وقد أصبت الغنى فى نفسى ولا تطيب نفسى عن أسيرى فاشتراه بنو الحسحاس بمائة بعير . وقال رؤبة بن العجاج بل أرضوه بثلاثين من حواشى النعم فدفعه اليهم فخشوا ان

يهجوهم فشدوا على لسانه نسعة . فقال انكم قاتلى ولا بد فدعونى اذم أصحابى وأنوح على نفسى فقالوا انك شاعر ونخاف ان تهجونا فعقدلهم ان لا يفعل فاطلقوا لسانه وامهلوه حتى قال قصيدته التى أولها :

ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا * فما لكما فى اللوم خير ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها * قليل ومالومى أخى من سمائيا
فياراكبا اما عرضت فبلغن * نداماى من نجران ان لا تلاقيا
أبا كرب والايهمين كلاهما * وقيس باعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومى بالكلاب ملامة * صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتنى من القوم نهدة * ترى خلفها الجرد الجياد تواليا
ولكننى أحمى ذمار أبيكم * وكاد الرماح يختطفن المحاميا
أحقا عباد الله أن لست سامعا * بشر الوغا والمقر بين المماليا
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة * أمعشر تيم اطلقوا عن لسانيا
وتضحك منى شيخة عبشمية * كان لم ترى قبلى أسيرا يمانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا * فان أسارلم يكن من بوائيا
وقد علمت عرسى مليكة اننى * انا الليث معدوا عليه وعاديا
وقد كنت نحارا لجزور ومعمل المطى وامضى حيث لا حى ماضيا
وأعقر للشرب الكرام مطيتى * واصدع بين القينتين ردائيا
وكنت اذا ما الخيل شمطها القنا * لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وغادية سوم الجراد وزعتها * برحى وقد أنحوا الى العواليا
كانى لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلى كرى قاتلى عن رجاليا
ولم اسبا الزق الروى ولم أقل * لايسار صدق اعظموا ضوء ناريا

قال أبوعبيدة : فلما ضربت عنقه قالت ابنة مصاد بؤ بعصاد . فقال بنو النعمان يالكاع نحن نشتريه باموالنا ويبوء بعصاد . فوقع بينهم فى ذلك الشر ثم اصطلحوا وكان الغناء كله يوم الكلاب من الرباب لتميم ومن بنى سعد لمقاعس . وقال وعلة الجرمى وكان أول منهزم انهزم يوم الكلاب وكان بيده لواء القوم :

ومن على الله منا شكرته * غداة الكلاب اذ تجز الدوابر
ولما رأيت الخيل تبرى اثابجا * علمت بان اليوم احمس فاجر
نجوت نجاء ليس فيه وتيرة * كانى عقاب عند تيماء كاسر
خدارية صقعاء لبدر يشها * بطخفة يوم ذو أهاضيب ماطر
لها ناهض فى الوكر قد مهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عاقر
كانا وقد حالت جدية دوننا * نعام تلاه فارس متواتر
فمن يك يرجو فى تميم هوادة * فليس لجرم فى تميم أواصر
ولما سمعت الخيل تدعو مقاعسا * تنازعنى من ثغرة النحر ناحر
فان استطع لا تبتئس بى مقاعس * ولا ترنى بيداؤهم والمحاضر
ولا أك فى جرارة مضرية * اذا ما غدت قوت العيال تبادر
يقول لى النهدى هل أنت مردفى * وكيف رداف الفل امك عاثر
يذكرنى بالآل بينى وبينه * وقد كان فى جرم ونهد تدابر

وقال محرز بن المعكبر الضبى ولم يشهدها وكان مجاورا فى بنى بكر بن وائل لما بلغه الخبر :

فدى لقومى ما جمعت من نشب * اذ ساقت الحرب أقواما لاقوام
اذ حدثت مذحج عنا وقد كذبت * ان لا يذبب عن أحسابنا حام
دارت رحاهم قليلا ثم واجههم * ضرب تصدع منه جلدة الهام
ظلت ضباع مجيرات تجزرهم * وألحموهن منهم أى الحام
حتى جدية لم يترك بها ضبعا * الا لها جزر من شلو مقدام
ضلت رؤس بنى كعب بكلكلها * وهم يوم بنى بدر باظلام

قال أبو عبيدة : حدثنى المنتجع بن نبهان قال وقف رؤبة بن العجاج على التيم بمسجد الحرورية فقال يامعشر تيم انى سمرت عند الامير تلك الليلة فتذاكرنا يوم الكلاب . فقال يامعشر تيم ان الكلاب ليس كما ذكرتم فاعفونا من قصيدتى صاحبينا يعنى عبد يغوث ووعلة الجرمى ومن قصيدة ابن المعكبر صاحبكم وهاتوا غير ذلك فانتم أكثر الناس كلاما وهجاء . قال رؤبة فانشدناه فى ذلك اليوم شعرا كثيرا فجعل يقول هذه اسلامية كلها

٦٠ — يوم طخفة — كانت الردافة ردافة الملك لعتاب بن هرم بن رباح ثم كانت لقيس بن عتاب . فسأل حاجب بن زرارة النعمان ان يجعلها للحرث بن مرط بن سفيان بن مجاشع فسألها النعمان بنى يربوع وقال اعقبوا اخوتكم فى الردافة قالوا انهم لا حاجة لهم فيها وانما سألها حاجب حسدا لنا وأبوا عليه . فقال الحرث بن شهاب وهو عند النعمان ان بنى يربوع لا يسلمون ردافتهم الى غيرهم . وقال حاجب ان بعث اليهم الملك جيشا لم يمنعوا ولم يمتنعوا فبعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسان بن المنذر . فكان قابوس على الناس وكان حسان على المقدمة وبعث معهم الصنائع والوضائع فالصنائع من كان يأتيه من العرب والوضائع المقيمون بالحيرة . فالتقوا بطخفة فانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق بن عميرة فرس قابوس فعقره وأخذه ليجز ناصيته . فقال قابوس ان الملوك لا تجز نواصيها فجهزه وأرسله الى أبيه . وأما حسان بن المنذر فاسره بشر بن عمرو الرياحى ثم من عليه وأرسله . فقال مالك بن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه والخيول تلهب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه * جراز من الهندى أبيض مقضب
طلبنا بها انا مداريك قبلها * اذا طلب الشأو البعيد المقرب

٦١ — يوم فيف الريح — قال أبو عبيدة: تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحرث بن كعب وقبائل من مراد وجعفى وزبيد وخثعم . وعليهم أنس بن مدركة وعلى بنى الحرث الحصين . فاغاروا على بنى عامر بن صعصعة بفيف الريح . وعلى بنى عامر عامر بن مالك ملاعب الاسنة . قال فاقتتل القوم فكسروهم وارفضت قبائل من بنى عامر وصبرت بنو نمير فما شبهوا الا بالكلاب المتعاظلة حول اللواء . واقبل عامر بن الطفيل وخلفه دعى بن جعفر . فقال يامعشر الفتيان من ضرب ضربة أو طعن طعنة فليشهدنى . فكان الفارس اذا ضرب ضربة أو طعن طعنة قال عند ذلك أبا على . فبينما هو كذلك اذ أتاه مسهر بن يزيد الحارثى . فقال له من ورائه عندك ياعامر والرمح عند اذنه فوهصه أى طعنه فاصاب عينه فوثب عامر عن فرسه ونجا على رجليه . وأخذ مسهر رمح عامر . ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر :

لعمرى وما عمرى على بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
أعاذل لو كان البداد لقوتلوا * ولكن تزونا بالغدير المجمهر

ولو كان جمع مثلنا لم يبزنا * ولكن أتتنا ثروة ذات مفخر
أتونا ببهراء ومذحج كلها * وأكلب طرا في جباب السنور

وقال مسهر وزعم انهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل:

وهصت بخوص الرمح مقلة عامر * فاضحى نحيفا في الفوارس أعورا
وغادر فينا رمحه وسلاحه * وأدبر يدعو في الهوالك جعفرا
وكنا اذا قيسية فرقت لنا * جرى دمعها من عينها فتحدرا
مخافة مالاقت حليلة عامر * من الشر اذ سربالها قد تعفرا

قال وامتنت بنو نمير على بني كلاب بصبرهم يوم فيف الريح. فقال عامر:

تمنون بالنعما ولولا مكرنا * بمنعرج الفيفا لكنتم مواليا
ونحن تداركنا فوارس وحوح * عشية لاقين الحصين اليمانيا

وحوح من بني نمير وكان عامر استنقذهم وأسر حنظلة بن الطفيل يومئذ. قال أبو عبيدة: كانت وقعة فيف الريح وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وأدرك مسهر بن يزيد الاسلام فاسلم

٦٢ - يوم تياس - كانت افناء قبائل من بني سعد بن زيد مناة وافناء قبائل من بني عمرو بن تميم التقت بتياس. فقطع غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم رجل الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة فطلبوا القصاص فاقسم غيلان ان لا يعقلها ولا يقص بها حتى تحشى عيناه ترابا. وقال:

لا نعقل الرجل ولا نديها * حتى ترو اداهية تنسيها

فالتقوا فاقتتلوا فجرحوا غيلان حتى ظنوا انهم قد قتلوه ورئيس عمرو كعب بن عمرو ولواؤه مع ابنه ذؤيب وهو القائل لابنه:

يا كعب ان أخاك منحمق * ان لم يكن بك مرة كعب
جانيك من يجني عليك وقد * تعدي الصحاح مبارك الجرب
والحرب قد يضطر جانبها * نحو المضيق ودونه الرحب

٦٣ - يوم زرود الاول - غزا الحوفزان حتى انتهى الى زرود فخلف جبل من جبالها. فاغاروا على نعم كثير صادر عن الماء لبني عبس فاحتازوه وأتى الصريخ بني عبس. فركبوا ولحق عمارة بن زياد العبسي الحوفزان فعرفه. وكانت أم عمارة قد أرضعت مضر بن

شريك وهو أخو الحوفزان . وقال عمارة يا بنى شريك قد علمتم ما بيننا وبينكم . قال الحوفزان وهو الحرث بن شريك صدقت يا عمارة فانظر كل شيء هو لك فخذه . فقال عمارة لقد علمت نساء بنى بكر بن وائل انى لم أملأ أيدى أزواجهن وابنائهن شفقة عليهن من الموت . فحمل عمارة ليعارض النعم ليرده وحال الحوفزان بينه و بين النعم فعثرت بعمارة فرسه فطعنه الحوفزان ولحق به نعامة بن عبد الله بن شريك فطعنه أيضا . وقال نعامة ما كرهت الرمح فى كفل رجل قط أشد من كفل عمارة وأسر ابنا عمارة سناد وشداد . وكان فى بنى عبس رجلان من طيء ابنان لأوس بن حارثة مجاورين لهم . وكان لهما أخ أسير فى بنى يشكر فاصابا رجلا من بنى مرة يقال له معدان بن محرب فذهبا به فدفناه تحت شجرة . فلما فقدته بنو شيبان نادوا يا ثارات معدان . فعند ذلك قتلوا بنى عمارة وهرب الطائيان باسيرهما . فلما برأ عمارة من جراحه أتى طيأ فقال ادفعوا الى هذا الكلب الذى قتلنا به . فقال الطائى لأوس ادفع الى بنى عبس صاحبهم . فقال لهم أوس أنا أمر ونى أن أعطى بنى عبس قطرة من دمى وان ابنى أسير فى بنى يشكر فوالله ما أرجو فكاكه الا بهذا . فلما قفل الحوفزان من غزوه بعث الى بنى يشكر فى ابن أوس فبعثوا به اليه فافتك به معدان . وقال نعامة بن شريك :

استنزلت رماحنا سنانا * وشيخنا بطخفة عنانا

ثم أخوه قد رأى عيانا * لما فقدنا بيننا معدانا

٦٤ — يوم غول الثانى — وهو يوم كنهل قال أبو عبيدة: اقبل ابنا هجيمة وهما من بنى غسان فى جيش فنزلا فى بنى يربوع فجاورا طالق بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع فنزلا معه على ماء يقال له كنهل فاغار عليهما أناس من ثعلبة بن يربوع فاستاقوا نعمهما وأسروا من كان فى النعم . فركب قيس بن هجيمة بخيله حتى أدرك بنى ثعلبة فكر عليه عتيبة بن الحرث . فقال له قيس هل لك يا عتيبة الى البراز . فقال ما كنت لاسئله وأدعه فبارزه . قال عتيبة فما رأيت فارسا املأ لعينى منه يوم رأيته فرمانى بقوسه فما رأيت شيا كان أكره الى منه فطعننى فاصاب قربوس سرجى حتى وجدت من السنان فى باطن فخذى فتجنبت . قال ثم ارسل الرمح وقبض بيدى وهو يرى ان قد أثبتنى وانصرف فاتبعته الفرس . فلما سمع زجلها رجع جانحا على قربوس سرجه و بدا لى فرج الدرع ومعى رمح معلية بالقد والعصب كنا نصطاد به

الوحش فرميته بالقوس وطعنته بالرمح فقتلته وانصرفت . فلحقت النعم . وأقبل الهرماس بن هجيمة فوقف على أخيه قتيلا ثم اتبعني . وقال هل لك في البزار فقلت لعل الرجعة لك خير . قال ابعد قيس ثم شد على فضر بني على البيضة فخلص السيف الى رأسي وضربته فقتلته . فقال سحيم بن وثيل يعير طارقا بقتل جاريه:

لقد كنت جارا بني هجيمة قبلها * فلم تغن شيأ غير قتل المجاور

وقال جرير :

وساق ابني هجيمة يوم غول * الى أسيافنا قدر الحمام

٦٥ — يوم الجبابات — قال أبو عبيدة : خرج بنو ثعلبة بن يربوع فروا بناس من طوائف بني بكر بن وائل بالجبابات خرجوا سفارا فنزلوا وسرحوا ابلهم ترعى وفيها نفر منهم يرعونها منهم سوادة بن يزيد بن بجيل العجلي ورجل من بني شيبان وكان محموما . فمرت بنو ثعلبة ابن يربوع بالابل فاطردوها وأخذوا الرجلين فسالوهما من معكما . فقالا معنا شيخ بن يزيد بن بجيل العجلي في عصابة من بني بكر بن وائل خرجوا سفارا يريدون البحرين . فقال الربيع ودعموص ابنا عتيبة بن الحرث بن شهاب اين نذهب بهذين الرجلين وبهذه الابل ولم يعلموا من أخذها ارجعوا بنا حتى يعلموا من أخذ ابلهم وصاحبيهم ليعنهم ذلك . فقال لهما عميرة ما وراءكما الا شيخ بن يزيد قد أخذ تما أخاه واطردتما ماله دعاه فابيا ورجعا فوقفا عليهم وأخبراهم وتسميا لهم فركب شيخ بن يزيد فاتبعهما وقد وليا . فلحق دعموصا فاسره ومضى ربيع حتى أتى عميرة فاخبره ان أخاه قد قتل . فرجع عميرة على فرس يقال له الخنساء حتى لحق القوم فافتك منهم دعموصا على ان يرد عليهم أخاهم وابلهم فردها عليهم فكفر ابنا عتيبة ولم يشكرا عميرة . فقال :

ألم ترد عموصا يصد بوجهه * اذا مارآني مقبلا لم يسلم

ألم تعلما ياابني عتيبة مقدمي * على ساقط بين الاسنة مسلم

فمارضت فيه القوم حتى انتزعته * جهارا ولم أنظر له بالتلوم

٦٦ — يوم اراب — غزا الهذيل بن حسان التغلبي فاغار على بني يربوع باراب فقتل فيهم قتلا ذريعا فاصاب نعما كثيرة وسبى سبيا كثيرا فيهم زينب بنت حميري بن الحرث بن همام بن رياح بن يربوع وهي يومئذ عقيلة نساء بني تميم وكان الهذيل يسمى المجدع . وكان بنو تميم

يفزعون به أولادهم وسبي أيضا طاية بنت جزء بن سعد الرياحى ففداها أبوها وركب عتيبة بن الحرث فى أسراهم ففكهم أجمعين

٦٧ — يوم الشعب — غزا قيس بن شرقاء التغلبي فاغار على بنى يربوع بالشعب فاقتتلوا فانهزمت بنو يربوع فزعم أبو هدبة انها كانت اختطافا فاسر سحيم بن واصل الرياحى ففى ذلك يقول سحيم :

أقول لهم بالشعب اذ ياسروننى * ألم تعلموا انى ابن فارس زهدم

ففدى نفسه وأسر يومئذ متمم بن نويرة . فوفد مالك بن نويرة على قيس بن شرقاء فى فدائه فقال :

هل أنت ياقيس بن شرقاء منعم * أو الجهد ان اعطيته أنت قائله

فلما رأى وسامته وحسن اشارته . قال بل منعم فاطلقه له

٦٨ — يوم عول الاول — فيه قتل طريف بن شراحيل وعمرو بن مرثد المحمى غزا طريف بن هشيم فى بنى العنبر وطوائف من بنى عمرو بن تميم فاغار على بنى بكر بن وائل بعول فاقتتلوا . ثم ان بكرا انهزمت فقتل طريف بن شراحيل أحد بنى ربيعة وقتل أيضا عمرو بن مرثد المحمى وقتل المحسر . فقال فى ذلك ربيعة بن طريف :

يارا كبا بلغن عنى مغلغلة * بنى الخصيب وشر المنطق الفند
هلا شراحيل اذ مال الحزام به * وسط العجاج فلم يغضب له أحد
أو المحسر أو عمرو يخيفهم * منا فوارس هيجا نصرهم حسد
ان يلحظونى بزرق من أسنتنا * تشفى بهن النسا والعجب والكبد
وقد قتلنا كم صبرا ونأسركم * وقد طردنا كم لو ينفع الطرد
حتى استغاث بنا أدنى شريدكم * من بعد مامسه الضراء والنكد

قال نضلة السلمى فى يوم عول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة :

ألم تسل الفوارس يوم عول * بنضلة وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو حر * وينفع أهله الرجل القبيح
فشد عليهم بالسيف صلتا * كما عض الشبا الفرس الجموح
فاطلق غل صاحبه وأردى * قتيلا منهم ونجا جريح
ولم يخشوا مصاليتا عليهم * وتحت الرغوة اللبن الصريح

٦٩ — يوم الخندمة — كان رجل من مشركى قريش يحد حربة يوم فتح مكة . فقالت له امرأته ما تصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه قالت والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شىء فقال والله انى لأرجو ان أخدمك بعض نسائهم وأنشأ يقول :

ان تبتلوا اليوم فمالى عله * هذا سلاح كامل واله * وذو غرار بن صريع السله

فلما لقيهم خالد بن الوليد يوم الخندمة انهزم الرجل لا يلوى على شىء فلامته امرأته . فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه
ولقيتنا بالسيوف المسلمه * يفلقن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا تسمع الا غمغمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

٧٠ — يوم اللهيما — قال أبو عبيدة . كان سبب الحرب التى كانت بين عمرو بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل و بين عمرو بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة أن قيس بن عامر بن غريب أخا بنى عمرو بن عدى وأخاه سالما خرجا يريدان بنى عمرو بن الحرث على فرسين يقال لاحداهما اللعاب والاخرى عفزر فباتا عند رجل من بنى نفاثة . فقال النفاثى لقيس وأخيه أطيعانى وارجعا لا عرفن رماحكما تكسر فى قتاد نعمان قالا ان رماحنا لا تكسر الا فى صدور الرجال . قال لا يضركما وستحمدان أمرى فاصبحا غاديين . فلما شارفامتن اللهيما من نعمان و بنو عمرو بن الحرث فوق ذلك بموضع يقال له ادية أغارا على غنم جندب بن أبى عميس وفيها جندب فتقدم اليه قيس . فرماه جندب فى حلمة ثديه ونفحه قيس بالسيف فاصابت ظبة السيف وجه جندب وخر قيس وتفرت الغنم نحو الدار تتبعها . وحمل سالم على جندب بفرسه عفزر فضرب جندب خطم عفزر بالسيف فقطعه وضربه سالم فاتقاه بيده فقطع أحد زنديه فخر جندب وذفف عليه سالم وأدرك العشى سالما فخرج وترك سيفه فى المعركة وثوبه بحقويه لم ينج الا بجفن سيفه ومئزره . فقال فى ذلك حماد ابن عامر :

لعمرك ما وفى ابن أبى عميس * وماخان القتال وما أضاعا
* سما بقرانه حتى اذا ما * أتاه قرنه بذل المصاعا
فان أك نائيا عنه فانى * سررت بانه عين البياعا

وأفلت سالم منها حريصا * وقد كلم الدراية والذراعا
ولو سلمت له يمنى يديه * لعمر أبيك أطعمك السباعا

وقال حذيفة بن أنيس :

ألا بلغا جل السرارى وجابرا * و بلغ بنى ذى السهم عنا و يعمرا
كشفت غطاء الحرب لما رأيتها * تميل على صفو من الليل أكدرا
أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
و يمشى اذا ما الموت كان أمامه * كذا الشبل يحمى الانف أن يتأخرا
نجا سالم والنفس منه بشرقة * ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا
وطاب عن اللعاب نفسا و رمة * وغادر قيسا فى المكر وعفزرا

٧١ — يوم خزاز — قال أبو عبيدة : تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك وخالد بن جبلة وابراهيم بن محمد بن نوح العطاردى وغسان بن عبد الحميد وعبد الله بن سالم الباهلى وتفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة و يتفاخرون و يتنازعون فى الرياسة يوم خزاز . فقال خالد بن جبلة كان الاحوص بن جعفر الرئيس وقال عامر ومسمع كان الرئيس كليب بن وائل . وقال ابن نوح كان الرئيس زرارة بن عدس وهذا فى مجلس أبى عمرو بن العلاء . فتحاكموا الى أبى عمرو . فقال ماشهدها عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ولا جشم بن بكر اليوم أقدم من ذلك ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحدا من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك غير ان أهل اليمن كان الرجل منهم يأتى ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها فيأخذ من أموال نزار ماشاء كعمال صدقاتهم اليوم . وكان أول يوم امتنعت معد عن الملوك ملوك حمير وكانت نزار لم تكثر بعد فاوقدوا نارا على خزاز ثلاث ليال ودخنوا ثلاثة أيام . فقيل له وما خزاز . قال هو جبل قريب من امرة على يسار الطريق خلفه صحراء منبج يناوحه كور وكوير اذا قطعت بطن عاقل . ففى ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن ان يأكلوهم ولولا قول عمرو بن كلثوم ماعرف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غداة أوقد فى خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا
فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الايسرين بنو أبينا

فصالوا صولة فيما يليهــم * وصـلنا صولة فيما يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسـبايا * وأبنا بالملوك مصـفدينا

قال أبو عمـرو بن العـلاء : ولو كان جده كليب وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الوفادة وترك الرياسة وما رأيت أحدا عرف هذا اليوم ولا ذكره فى شعره قبله ولا بعده

٧٢ — يوم المعا — قال أبو عبيدة : أغار المنبطح الاسدى على بنى عباد بن ضبيعة فاخذ نعما لبنى الحرث بن عباد وهى ألف بعـير فركبت بنى سـعد بن مالك بن ضبيعة وبنى عجل بن لجيم . فتبعوه حتى انتزعوها منه ورئيس بنى سعد حمران بن عبـد عمرو فاسره وأقبل ابن حسان العجلى المنبطح الاسدى فقداه قومه ولا أدرى كم كان فداؤه واستنقذ السـبى . فقال حجر بن خالد بن محمود فى يوم المعا :

ومنبطح الفواخر قد أذقنا * بناعجـة المعا حر الجلاد
تنفـذنا أخاديدا فردت * على سكن وجمع بنى عباد

سكن ابن باعث بن الحرث بن عباد والاخاديد من أخذ من النساء . وقال حمران بن عبد عمرو :

ان الفوارس يوم ناعجة المعا * نعم الفـوارس من بنى سيار
لم يلههم عقـد الاصرة خلفهم * وحنين منهلة الضروع عقار
لحقوا على قب الاباطل كالقنا * شعث تعـد لكل يوم عوار
حتى حبون أخا القواصر طعنة * وفـكـكن منه القد بعد اسار
سالت عليه من الشعاب خوائف * ورد القطاط تبلج الاسحار

٧٣ — يوم النسار — قال أبو عبيدة : تحالفت أسـد وطىء وغطفان ولحقت بهم ضـبة وعدى فغزوا بنى عامر فقتلوهم قتلا شديدا . فغضبت بنو تميم لقتل بنى عامر فتجمعوا حتى لحقوا طيأ وغطفان وحلفاءهم من بنى ضبة وعدى يوم الفجار . فقتلت تميم طيأ أشـد ما قتلت عامر يوم النسار . فقال فى ذلك بشر بن أبى حازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فاعتبوا بالصيلم

٧٤ — يوم ذات الشقوق — خلف ضمرة النهشلى . فقال الخمر على حرام حتى يكون له يوم يكافئه فاغار عليهم ضمرة يوم ذات الشقوق فقتلهم . وقال فى ذلك :

الآن ساغ لى الشراب ولم أكن * آتى الفجار ولا أشد تكلمى
حتى صبحت على الشقوق بعدة * كالتمر تنثر فى حرير الحرم
وأبأت يوما بالجفار بمثله * وأجرت نصفا من حديث الموسم
ومشت نساء كالنساء عواطلا * من بين عارفة النساء وأيم
ذهب الرماح بزوجها فتركته * فى صدر معتدل القناة مقوم

٧٥ — يوم خو — قال أبو عبيدة : غارت بنو أسد على بنى يربوع فاكتسحوا ابلهم فأتى الصريخ الحى فلم يتلاحقوا الامساء بموضع يقال له خو . وكان ذؤاب بن ربيعة الاشتر على فرس أنثى . وكان عيينة بن الحرث بن شهاب على حصان فجعل الحصان يستنشق ريح الانثى فى سواد الليل ويتبعها . فلم يعلم عيينة الا وقد أقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة الاسدى وعيينة غافل لا يبصر ما بين يديه فى ظلمة الليل . وكان عيينة قد لبس درعه وغفل عن جربانها حتى أتى الصريخ فلم يشده . ورآه ذؤاب فاقبل بالرمح الى ثغرة نحره فخر صريعا قتيلا . ولحق الربيع بن عيينة فشد على ذؤاب فاسره وهو لا يعلم انه قاتل أبيه . فكان عنده أسيرا حتى فاداه أبوه ربيعة بابل معلومة قاطعه عليها وتواعدا سوق عكاظ والاشهر الحرم ان يأتى هذا بالابل ويأتى هذا بالاسير . وأقبل أبو ذؤاب بالابل وشغل الربيع بن عيينة فلم يحضر سوق عكاظ . فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشك أن ذؤابا قد قتلوه بابيهم عيينة فرثاه وقال :

أبلغ قبائل جعفر مخصوصة * ما ان أحاول جعفر بن كلاب
ان المودة والهوادة بيننا * خلق كسحق الريطة المنجاب
ولقد علمت على التجلد والاسى * ان الرزية كان يوم ذؤاب
ان يقتلوك فقد هتكت بيوتهم * بعيينة بن الحرث بن شهاب
باحبهم فقدا على أعدائه * وأشدهم فقدا على الاصحاب

فلما بلغهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة . وقالت آمنة بنت عيينة ترثى أباها :

على مثل ابن مية فانعياه * بشق نواعم البشر الجيوبا
وكان أبى عيينة سمهريا * فلا تلقاه يدخر النصيبا
ضروبا للكمى اذا اشمعلت * عوان الحرب لا ورعا هيوبا

٧٦ ـ أيام الفجار الاول ـ قال أبوعبيدة : أيام الفجار عدة وهذا أولها وهو بين كنانة وهوازن وكان الذى هاجه أن بدر بن معشر أحد بنى عقال بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبدمناة بن كنانة جعل له مجلس بسوق عكاظ . وكان حدثا منيعا فى نفسه : فقال فى المجلس وقام على رأسه قائم :

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا فى عينه لم يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنهم لجة بحر مسدف

قال ومد رجله : وقال أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز منى فليضربها . فضربها الاحيمر بن مازن أحد بنى دهمان بن نصر بن معاوية فاندرها من الركبة . وقال خذها اليك أيها المخندف . قال أبو عبيدة : انما خرصها خريصة يسيرة . وقال فى ذلك :

نحن بنو دهمان ذو التغطرف * بحر لبحر زاخر لم ينزف * نبنى على الاحياء بالمعرف

قال أبوعبيدة : فتحاور الحيان عند ذلك حتى كاد أن يكون بينهما الدماء . ثم تراجعوا رأوا ان الخطب يسير :

٧٧ ـ الفجار الثانى ـ كان الفجار الثانى بين قريش وهوازن . وكان الذى هاجه أن فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بنى عامر بن صعصعة وضيئة حسانة بسوق عكاظ . وقالوا بل أطاف بها شباب من بنى كنانة وعليها برقع وهى فى درع فضل فأعجبهم ما رأوا من هيئتها فسألوها ان تسفر عن وجهها فأبت عليهم فأتى أحدهم من خلفها فشد ذيلها بشوكة الى ظهرها وهى لا تدرى . فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها فضحكوا وقالوا منعتنا النظر الى وجهها فقد رأينا دبرها فنادت المرأة يا آل عامر فتحاور الناس وكان بينهم قتال ودماء يسيرة فحملها حرب ابن أمية وأصلح بينهم

٧٨ ـ الفجار الثالث ـ وهو بين كنانة وهوازن . وكان الذى هاجه ان رجلا من بنى كنانة كان عليه دين لرجل من بنى نصر بن معاوية فأعدم الكنانى فوافى النصرى بسوق عكاظ بقرد فأوقفه فى سوق عكاظ . وقال من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان حتى أكثر فى ذلك وانما فعل ذلك النصرى تعييرا الكنانى ولقومه فمر به رجل من بنى كنانة فضرب القرد

بسيفه فقتله فهتف النصرى يا آل هوازن وهتف الكنانى يا آل كنانة . فتهايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال . ثم رأوا الخطب يسيرا فتراجعوا ولم يفقم الشر بينهم . قال أبو عبيدة : فهذه الايام تسمى فجار الانها كانت فى الاشهر الحرم وهى الشهور التى يحرمونها ففجروا فيها . فلذلك سميت فجارا وهذه يقال لها الفجار الثالث

٧٩ ـ الفجار الآخر ـ وهو بين قريش وكنانة كلها وهوازن . وانما هاجها البراض بقتله عروة الرجال بن عتبة بن جعفر بن كلاب فأبت ان تقتل بعروة البراض لان عروة سيد هوازن والبراض خليع من بنى كنانة أرادوا ان يقتلوا به سيدا من قريش . وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة . وقد شهدها النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه . وقال النبى عليه الصلاة والسلام كنت انبل على أعمامى يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة يعنى أناولهم النبل . وكان سبب هذه الحرب ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك و يشترى له بثمنها من ادم الطائف ما يحتاج اليه وكانت سوق عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القعدة فيتسوقون الى حضور الحج . ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم أربعة أشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وعكاظ بين نخلة والطائف و بينها و بين الطائف نحو من عشرة أميال . وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذى القعدة الى وقت الحج و يأمن بعضها بعضا فجهز النعمان عير اللطيمة ثم قال من يجيرها فقال البراض بن قيس الضمرى أنا أجيرها على بنى كنانة . فقال النعمان ما أريد الا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرجال وهو يومئذ رجل هوازن أكلب خليع يجيرها لك أبيت اللعن أنا أجيرها لك على اهل الشيح والقيصوم فى أهل نجد وتهامة . فقال البراض أعلى بنى كنانة تجيرها يا عروة . قال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة . فخرج بها وتبعه البراض وعروة لا يخشى منه شيا لانه كان بين ظهرانى قومه من غطفان الى جانب فدك الى أرض يقال لها أوارة فنزل بها عروة فشرب من الخمر وغنته قينة ثم قام فنام . فجاء البراض فدخل عليه فناشده عروة وقال كانت منى زلة وكانت الفعلة منى ضلة فقتله وخرج يرتجز و يقول :

قد كانت الفعلة منى ضله * هلا على غيرى جعلت الزله * فسوف أعلو بالحسام القله

وقال : وداهية يهال الناس منها * شددت على بني بكر ضلوعي

هتكت بها بيوت بني كلاب * وأرضعت الموالي بالضروع

جمعت له يدي بنصل سيف * أثل فخر كالجذع الصريع

واستاق اللطيمة الى خيبر واتبعه المساور بن مالك الغطفاني وأسد بن خيثم الغنوى حتى دخلا خيبر . فكان البراض أول من لقيهما فقال لهما من الرجلان قالا من غطفان وغنى . قال البراض ماشان غطفان وغنى بهذه البلدة قالا ومن أنت . قال من أهل خيبر قالا ألك علم بالبراض . قال دخل علينا طريدا خليعا فلم يؤوه أحد بخيبر ولا أدخله بيتا . قالا فاين يكون قال وهل لكما به طاقة ان دللتكما عليه قالا نعم . قال فانزلا فنزلا وعقلا راحلتيهما . قال فايكما أجرأ عليه وأمضى مقدما واحد سيفا . قال الغطفاني أنا . قال البراض فانطلق أدلك عليه ويحفظ صاحبك راحلتيكما ففعل فانطلق البراض يمشي بين يدي الغطفاني حتى انتهى الى خربة في جانب خيبر خارجة عن البيوت . فقال البراض هو في هذه الخربة واليها يأوى فانظرني حتى أنظر أثم هو أم لا فوقف له ودخل البراض . ثم خرج اليه وقال هو نائم في البيت الاقصى خلف هذا الجدار عن يمينك اذا دخلت فهل عندك سيف فيه صرامة قال نعم . قال هات سيفك انظر اليه أصارم هو فاعطاه اياه فهزه البراض ثم ضربه به حتى قتله . ووضع السيف خلف الباب وأقبل على الغنوى . فقال ماوراءك قال لم أر أجبن من صاحبك تركته قائما في الباب الذى فيه الرجل والرجل نائم لا يتقدم اليه ولا يتأخر عنه . قال الغنوى يالهفاه لو كان أحد ينظر راحلتينا . قال البراض هما على ان ذهبتا فانطلق الغنوى والبراض خلفه حتى اذا جاوز الغنوى باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب . ثم ضربه به حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما . ثم انطلق وبلغ قريشا خبر البراض بسوق عكاظ فخلصوا نجيا واتبعتهم قيس لما بلغهم ان البراض قتل عروة الرحال وعلم قيس أبو براء عامر بن مالك فادركوهم وقد دخلوا الحرم ونادوهم يامعشر قريش انا نعاهد الله ان لا نبطل دم عروة الرحال أبداً ونقتل به عظماء منكم وميعادنا واياكم هذه الليالى من العام المقبل فقال حرب بن أمية لابى سفيان ابنه قل لهم ان موعدكم قابل فى هذا اليوم . فقال خداش بن زهير فى هذا اليوم وهو يوم نخلة :

ياشدة ماشددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

لما رأوا خيلنا تزجى أوائلها * آساد غيل حمى اشبالها الاجم
واستقبلوا بضراب لا كفاء له * يبدى من الغرل الا كفال ما كتموا
ولوا سلالا وعظم الخيل لاحقة * كما تخب الى أوطانها النعم
ولت بهم كل محضار ململمة * كانها لقوة بجنبها ضرم

وكانت العرب تسمى قريشا سخينة لا كلهن السخن

٨٠ — يوم شمطة — وهى من يوم الفجار الآخر ويوم نخلة منه أيضا. قال فجمعت كنانة قريشها وعبد منافها والاحابيش ومن لحق بهم من بنى أسد بن خزيمة وسلح يومئذ عبد الله ابن جدعان مائة كمى باداة كاملة سوى من سلح من قومه والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة قال وجمعت سليم وهوازن جموعها واحلافها غير كلاب و بنى كعب فانهما لم يشهدا يوما من أيام الفجار غير يوم نخلة فاجتمعوا بشمطة من عكاظ فى الايام التى تواعدوا فيها على قرن الحول وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها . وكذلك على قبائل قيس غير ان أمر كنانة كلها الى حرب بن أمية وعلى احدى مجنبتيها عبد الله بن جدعان وعلى الاخرى كريز بن ربيعة وحرب ابن أمية فى القلب وأمر هوزان كلها الى مسعود بن معتب الثقفى . فتناهض الناس و زحف بعضهم الى بعض . فكانت الدائرة فى أول النهار لكنانة على هوازن حتى اذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت وانقشعت كنانة فاستحر القتل فيهم . فقتل منهم تحت رايتهم مائة رجل وقيل ثمانون ولم يقتل من قريش يومئذ أحد يذكر . فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة

٨١ — يوم العبلاء — ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ والرؤساء على هؤلاء واولئك الذين ذكرنا فى يوم شمطة وكذلك على المجنبتين . فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على كنانة . وفى ذلك يقول خداش بن زهير :

ألم يبلغك مالقيت قريش * وحى بنى كنانة اذ أبيروا
دهمناهم بارعن مكفهر * فظل لنا بعقوتهم زئير

وفى هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير بن العوام قتله مرة بن معتب الثقفى . فقال رجل من ثقيف :

منا الذى ترك العوام مجندلا * تنتاب الطير لحما بين أحجار

٨٢ - يوم شرب - ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ فالتقوا بشرب ولم يكن بينهم يوم أعظم منه والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا . وكذلك على المجنبتين وحمل ابن جدعان يومئذ مائة رجل على مائة بعير ممن لم تكن له حمولة فالتقوا . وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان يوم شمطة ويوم العبلاء فحميت قريش وكنانة وصابرت بنو مخزوم وبنو بكر فانهزمت هوازن وقتلت قتلا ذريعا . وقال عبد الله بن الزبعرى يمدح بنى المغيرة :

الا لله قوم ولدت أخت بنى سهم هشام وأبو عبد * مناف مدره الخصم
وذو الرمحين اشبال * من القوة والحزم فهذان يذودان * وذا من كثب يرمى

وأبو عبد مناف قصى وهشام بن المغيرة وذو الرمحين أبو ربيعة بن المغيرة قاتل يوم شرب برمحين وأمهم ريطة بنت سعيد بن سهم . فقال فى ذلك جذل الطعان :

جاءت هوازن ارسالا واخوتها * بنو سليم فهابو الموت وانصرفوا
فاستقبلوا بضراب فض جمعهم * مثل الحريق فما عاجوا ولا عطفوا

٨٣ - يوم الحريرة - قال ثم جمع هؤلاء وأولئك ثم التقو على رأس الحول بالحريرة وهى حرة الى جنب عكاظ . والرؤساء على هؤلاء وأولئك هم الذين كانوا فى سائر الايام . وكذلك على المجنبتين الا ان أبا مساحق بلعاء بن قيس اليعمرى قد كان مات . فكان من بعده على بكر بن عبد مناة بن كنانة أخوه جثامة بن قيس فكان يوم الحريرة لهوازن على كنانة . وكان آخر الايام الخمسة التى تراجعوا فيها . قال فقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية . وقتل من كنانة ثمانية نفر قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك من بنى عامر بن صعصعة . وقتل أبو كنف وابنا اياس وعمرو بن أيوب . فقال خداش بن زهير :

انى من النفر المحمر أعينهم * أهل السوام وأهل الصخر واللوب
الطاعنين نحور الخيل مقبلة * من كل سمراء لم تعلب ومعلوب
وقد بلوتم فأبلاكم بلاؤهم * يوم الحريرة ضربا غير مكذوب
لاقتهم منهم آساد ملحمة * ليسوا بدارعة عوج العراقيب
فالآن ان تقبلوا نأخذ نحوركم * وان تباهوا فانى غير مغلوب

وقال الحرث بن كلدة الثقفى :

تركت الفارس البذاخ منهم * تمج عروقه علقا عبيطا
دعست بنانه بالرمح حتى * سمعت لمتنه فيه أطيطا
لقد أرضيت قومك يا ابن صخر * وقد جشمتهم أمرا شطيطا
وكم أسلمت منكم من كمى * جريحا قد سمعت له غطيطا

مضت أيام الفجار الآخر . وهى خمسة أيام فى أربع سنين أولها يوم نخلة ولم يكن لواحد منهما على صاحبه . ثم يوم شمطة لهوازن على كنانة وهو أعظم أيامهم . ثم يوم العبلاء . ثم يوم شرب وكان لكنانة على هوازن . ثم يوم الحريرة لهوازن على كنانة . قال أبو عبيدة : ثم تداعى الناس الى السلم على ان يذر واالفضل و يتعاهدواو يتواثقوا

٨٤ــ يوم عين أُباغ ــ و بعده أيام ذى قار : قال أبو عبيدة: كان ملك العرب المنذر الا كبر ابن ماء السماء . ثم مات فملك ابنه عمر و بن المنذر وأمه هند واليها ينسب . ثم هلك فملك أخوه قابوس وأمه هند أيضا فكان ملكه أربع سنين وذلك فى مملكة كسرى بن هرمز . ثم مات فملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء وذلك فى مملكة كسرى بن هرمز فغزاه الحرث الغسانى . وكان بالشام من تحت يد قيصر فالتقوا بعين أباغ . فقتل المنذر فطلب كسرى رجلا يجعله مكانه فاشار اليه عدى بن زيد وكان من تراجمة كسرى بالنعمان بن المنذر . وكان صديقا له فاحب ان ينفعه وهو أصغر بنى المنذر بن المنذر بن ماء السماء . فولاه كسرى على ما كان عليه أبوه وأتاه عدى بن زيد فمكنه النعمان ثم سعى بينهما فحبسه حتى أتى على نفسه . وهو القائل:

أبلغ النعمان عنى مالكا * انه قد طال حبسى وانتظار
لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصار
وعداتى شمت أعجبهم * اننى غيبت عنهم فى أسار
لامرىء لم يبل منى سقطة * ان أصابته ملمات العثار
فلئن دهر تولى خيره * وجرت بالنحس لى منه الجوار
لبما منه قضينا حاجة * وحياة المرء كالشئ المعار

فلما قتل النعمان عدى بن زيد العبادى وهو من بنى امرىء القيس بن سعد بن زيد مناة بن تميم

صار ابنه زيد بن عدي الى كسرى . فكان من تراجمته . وكان النعمان عند كسرى فحمله عليه فهرب النعمان حتى لحق ببني رواحة من عبس . واستعمل كسرى على العرب اياس بن قبيصة الطائي . ثم ان النعمان تحول حينا في أحياء العرب . ثم أشارت عليه امرأته المتجردة ان يأتي كسرى و يعتذر اليه . ففعل فحبسه بساباط حتى هلك و يقال أوطأه الفيلة . وكان النعمان اذا شخص الى كسرى أودع حلقته وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا هانئ بن مسعود الشيباني . وجعل عندها ابنته هند التي تسمى حرقة . فلما قتل النعمان قالت فيه الشعراء . فقال فيه زهير بن أبي سلمة المزني :

ألم تر للنعمان كان بنجوة * من الشر لو أن امرأ كان باقيا
فلم أر مخذولا له مثل ملكه * أقل صديقا أو خليلا موافيا
خلا ان حيا من رواحة حافظوا * وكانوا أناسا يتقون المخازيا
فقال لهم خيرا وأثنى عليهم * وودعهم توديع ان لا تلاقيا

٨٥ — يوم ذي قار — قال أبو عبيدة : يوم ذي قار هو يوم ذي الحنو . و يوم قراقر و يوم الجبايات . و يوم ذات العجرم . و يوم بطحاء ذي قار . وكلهن حول ذي قار وقد ذكرتهن الشعراء . قال أبو عبيدة : لم يكن هانئ بن مسعود المستودع حلقة النعمان وانما هو ابن ابنه واسمه هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود لان وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم و بي نصروا فكتب كسرى الى اياس بن قبيصة يأمره ان يضم ما كان للنعمان فأبى هانئ بن قبيصة ان يسلم ذلك اليه . فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل . وقدم عليه النعمان بن زرعة التغلبي وقد طمع في هلاك بكر بن وائل . فقال يا خير الملوك الا أدلك على غرة بكر قال بلى . قال اقرها واظهر الاضراب عنها حتى يجليها القيظ و يدنيها منك فانهم لو قاظوا تساقطوا عليك بماء لهم واديا يقال له ذو قار تساقط الفراش في النار فاقرهم حتى اذا قاظوا جاءت بكر بن وائل حتى نزلوا الحنو حنو ذي قار . فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم بين ثلاث خصال اما ان يسلموا الحلقة . واما ان يعروا الديار . واما ان يأذنوا بحرب فتنازعت بكر بينها فهم هانئ بن قبيصة بركوب الفلاة واشار به على بكر وقال لا طاقة لكم بجموع الملك فلم ترمن هانئ سقطة قبلها . وقال حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي لا أرى غير القتال فانا ان ركبنا الفلاة متنا عطشا وان أعطينا بايدينا تقتل

مقاتلتنا ونسبي ذرارينا • فراسلت بكر بينهـا وتوافت بذى قار ولم يشهدها أحد من بنى حنيفة ورؤساء بنى بكر يومئذ ثلاثة نفر هانى ٔ بن قبيصة • ويزيد بن مسهر الشـيبانى • وحنظلة بن ثعلبة العجلى • وقال مسمع بن عبد الملك العجلى بن لجيم بن مصعب بن على بن بكر بن وائل لا والله ما كان لهم رئيس وانما غزوا فى ديارهم فثار الناس اليهم من بيوتهم • وقال حنظلة بن ثعلبة لهانى ٔ ابن قبيصة يا أبا امامة ان ذمتكم ذمتنا عامة وانه لن يوصل اليك حتى تفنى أرواحنا فاخرج هذه الحلقة ففرقها فى قومك فان تظفر فستـرد عليك وان تهلك فاهون مفقود • فامر بها فاخرجت وفرقت بينهـم وقال للنعمان لولا انك رسـول ما أبت الى قومك سالما • قال أبو المنـذر : فعقد كسرى للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر • وعقـد لخالد بن يزيد البهرانى على قضاعة واياد • وعقد لاياس بن قبيصـة على جميع العرب ومعه كتيبتاه الشـهباء والدوسر وعقد للهامرز التسـترى وكان على مسلحة كسرى بالسواد على الف من الاساورة وكتب الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدين وكان عامله على الطف طف سفوان وأمره ان يوافى اياس بن قبيصة • ففعل وسار اياس بمن معه من جنده من طيىء ومعه الهـامرز والنعمان بن زرعة وخالد بن يزيد وقيس ابن مسـعود كل واحـد منهـم على قومه • فلما دنا من بكر انسل قيس الى قومه ليـلا فاتى هانئا فاشار عليهم كيف يصـنعون وأمرهم بالصـبر ثم رجع • فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى • فقال يامعشر بكر ان النشاب الذى مع هؤلاء الاعاجم تفرقكم فعاجلوهم اللقاء وابدؤهم بالشدة • وقال هانىء بن مسعود ياقوم مهلك معذور ، خير من منجى مغرور ، ان الجزع لا يرد القـدر ، وان الصبر من أسـباب الظفر ، المنية خـير من الدنيـة ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد فـما من الموت بد ، ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع وضن النساء فسقطن الى الارض . وقال ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته فسمى مقطع الوضن قال وقطع يومئذ سبعمائة رجل من بنى شـيبان أيدى اقبيتهم من منا كبها لتخف أيديهم لضرب السيوف وعلى ميمنتهم بكر بن يزيد بن مسـهر الشيبانى وعلى ميسرتهم حنظـلة بن ثعلبة العجلى وهانى ٔ بن قبيصة ويقال ابن مسعود فى القلب • فتجالد القوم وقتـل يزيد بن حارثة اليشكرى الهامرز مبارزة . ثم قتل يزيد بعد ذلك • ويقال ان الحوفزان بن شريك شـد على الهامرز فقتله • وقال بعضهم لم يدرك الحوفزان يوم ذى قار وانمـا قتله يزيد بن حارثة وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا فاتبعهم بكر حـتى دخلوا السواد فى طلبهم يقتلونهم وأسر النعمان بن زرعة التغلبى

ونجا اياس بن قبيصة على فرسه الحمامة . فكان أول من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس بن قبيصة . وكان كسرى لا يأتيه أحد بهزيمة جيش الا نزع كتفه . فلما أتاه ابن قبيصة ساله عن الجيش . فقال هزمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم فعجب بذلك كسرى وأمر له بكسوة ثم استأذنه اياس فقال أخى قيس بن قبيصة مريض بعين التمر. فاردت أن آتيه فاذن له . ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة وهو بالخورنق . فسال هل دخل على الملك أحد فقالوا اياس فظن انه حدثه الخبر . فدخل عليه واخبره بهزيمة القوم وقتلهم . فامر به فنزعت كتفاه . قال أبو عبيدة : لما كان يوم ذى قار كان فى بكر أسرى من تميم قريبا من مائتى أسيراً أكثرهم من بنى رياح ابن يربوع فقالوا خلوا عنا نقاتل معكم فانما نذب عن أنفسنا . فقالوا انا نخاف ان لا تناصحونا قالوا فدعونا نعلم حتى تروا مكاننا وغناءنا فذلك قول جرير :

منا فوارس ذى بهدى وذى نجب * والمعلمون صباحا يوم ذى قار

قال أبو عبيدة : سئل عمرو بن العلاء وتنافر اليه عجلى و يشكرى . فزعم العجلى انه لم يشهد يوم ذى قار غير شيبانى وعجلى . وقال اليشكرى بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم . فقال عمرو قد فصل بينكما التغلبى حيث يقول :

ولقد رأيت أخاك عمرا مرة * يقضى وضيعيه بذات العجرم
فى غمرة الموت التى لا تشتكى * غمراتها الابطال غير تغمغم
وكانما أقدامهم وأكفهم * سرب تساقط فى خليج مفعم
لما سمعت دعاء مرة قد علا * وأبى ربيعة فى العجاج الاقتم
ومحلم يمشون تحت لوائهم * والموت تحت لواء آل محلم
لا يصرفون عن الوغى بوجوههم * فى كل سابغة كلون العظلم
ودعت بنو أم الرقاع فاقبلوا * عند اللقاء بكل شاك معلم
وسمعت يشكر تدعى بحبيب * تحت العجاجة وهى تقطر بالدم
يمشون فى حلق الحديد كما مشت * أسد العرين بيوم نحس مظلم
والجمع من ذهل كان زهاءهم * جرب الجمال يقودها ابنا قشم
والخيل من تحت العجاج عوابسا * وعلى مناسجها سحائب من دم

وقال العديل بن الفرج العجلى :

ماأوقد الناس من نار لمكرمة * الا اصطلينا وكنا موقدى النار
وما يعدون من يوم سمعت به * للناس افضل من يوم بذى قار
جئنا باسلابهم والخيل عابسة * لما استلبنا لكسرى كل اسوار

قال وقالت عجل لنا يوم ذى قار فقيل لهم من المستودع ومن المطلوب ومن ناصب الملك ومن الرئيس فهوا ذا لهم كانت الرياسة لهانئ وكان حنظلة يشير بالرأى . وقال شاعرهم :

ان كنت ساقية يوما ذوى كرم * فاسقى الفوارس من ذهل بن شيبانا
واسقى فوارس حاموا عن ذمارهم * وأعلى مفارقهم مسكا وريحانا

وقال أعشى بكر :

أما تميم فقد ذاقت عداوتنا * وقيس عيلان مس الخزى والاسف
وجند كسرى غداة الحنو صبحهم * مناغطاريف ترجو الموت وانصرفوا
* لقوا ململمة شهباء يقدمها * للموت لاعاجز فيها ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة * موفق حازم فى أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم * مثل الاسنة لاميل ولا كشف
بيض الوجوه غداة الروع تحسبهم * جنان عين عليها البيض والزغف
لما رأونا كشفنا عن جماجمنا * ليعلموا أننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندى يحصدهم * ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو أن كل معد كان شاركنا * فى يوم ذى قارما أخطاهم الشرف
لما أمالوا الى النشاب أيديهم * ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت * حتى تولت وكاد القوم ينتصفوا
بطارق وبنى ملك مرازبة * من الاعاجم فى آذانها الشنف
من كل مرجانة فى البحر أحرزها * تيارها ووقاها طينها الصدف
كانما الآل فى حافات جمعهم * والبيض برق بدا فى عارض يكف
مافى الخدود صدود عن سيوفهم * ولا عن الطعن فى اللبات منحرف

وقال الاعشى يلوم قيس بن مسعود :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

أطورين فى عام غـزاة ورحلة * ألا ليت قيسا عرقتـه القوابل
لقد كان فى شيبان لو كنت عالما * قباب وفيهـم رحـلة وقبائل
ورجراجة تعشى النواظر فخمة * وجرد على أكتافهن الرواحل
رحلت ولم تنظر وأنت عميدهم * فلا يبلغنى عنك ما أنت فاعـل
فعريت من أهـل ومال جمعته * كما عـريت مما تمر المغازل
شفى النفس قتلى لم توسد خدودها * وسادا ولم تغمض عليها الانامل
لعلك يوم الحنو اذ صبحتهم * كتائب موت لم تعطك العواذل

ولما بلغ كسرى خبر قيس بن مسعود اذ نقل الى قومه حبسه حتى مات فى حبسه . وفيـه يقول الاعشى :

وعريت من أهل ومال جمعته * كما عريت مما تمر المغازل

وكتب لقيط الايادى الى بنى شيبان فى يوم ذى قار شعرا يقول فى بعضه :

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم * ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا
وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طـورا ومتبعا
حتى استمر على شزر مريرة * مستحكم الرأى لا قحما ولا ضرعا

وهذه الابيات نظير قول عبد العزيز بن زرارة :

غشيت فى الدهر أطوارا على طرق * شتى فصادفت منـه اللين والفظعا
كلا بلوت فلا النعـماء تبطرنى * ولا تخشعت مـن لاوائه جزعا
لا يملأ الامر صـدرى قبل موقعه * ولا أضـيق به ذرعا اذا وقعا

١٧

فن من كتاب الزمردة الثانية

فى فضائل الشعر

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا فى أيام العرب ووقائعها وأخبارها . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، اذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها ، والمقيد لايامها ، والشاهد على حكامها ، حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة . فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير . والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات . قال بعض المحدثين قصيدة له و يشبهها ببعض هذه القصائد بقوله :

برزت تذكر فى الحسن من الشعر المعلق   كل حرف نادر منها له وجه معشق

١ — المعلقات — لامرئ القيس قفا نبك . ولزهير أمن أم أوفى . ولطرفة لخولة أطلال . ولعنترة يادار عبلة . ولعمرو بن كلثوم ألا هبى . وللبيد عفت الديار . وللحرث ابن حلزة آذنتنا ببينها أسماء اختلف الناس فى أشعر الشعراء . قال النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عنده امرؤ القيس بن حجر هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم . وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان من الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا نابغة بنى ذبيان . قال لهم فمن الذى يقول هذا الشعر :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى * على وجل تظن بى الظنون

فألفيت الامانة لم تخنها * كذلك كان نوح لا يخون

قالوا هو النابغة قال هو أشعر شعرائكم . وما أحسب عمر ذهب الا الى انه أشعر شعراء غطفان ويدل على ذلك قوله هو أشعر شعرائكم . وقد قال عمر لابن عباس أنشدنى لاشعر الناس الذى

لا يعاظل من القوافى ولا يتبع حوشى الكلام . قال من ذلك ياأمير المؤمنين قال زهير بن أبى سلمى . فلم يزل ينشده من شعره حتى أصبح وكان زهير لا يمدح الا مستحقا كمدحه لسنان بن أبى حارثة وهرم بن سنان . وهو القائل :

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وكذلك أحسن القول ما صدقه الفعل . قالت بنو تميم لسلامة بن جندل مجد نا بشعرك قال افعلوا حتى أقول . وقيل للبيد من أشعر الشعراء قال صاحب القروح يريد امرأ القيس . قيل له فبعده من . قال ابن العشر بن يعنى طرفة . قيل له فبعده من قال أنا . وقيل للحطيئة من أشعر الناس قال الذى يقول :

من يسال الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

يريد عبيد بن الابرص قيل له فبعده من فاخرج لسانه وقال هذا اذا رغب . وقيل لبعض الشعراء من أشعر الناس قال النابغة اذا رهب وزهير اذا رغب وجرير اذا غضب . وقال أبو عمرو بن العلاء : طرفة أشعرهم واحدة يعنى قصيدته * لخولة أطلال ببرقة ثهمد * وفيها يقول

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * و يأتيك بالاخبار من لم تزود

وأنشد هذا البيت للنبى صلى الله عليه وسلم . فقال هذا من كلام النبوة . وسمع عبد الله بن عمر رجلا ينشد بيت الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال ذاك رسول الله اعجابا بالبيت يعنى ان مثل هذا المدح لا يستحقه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسئل الاصمعى عن شعر النابغة . فقال ان قلت ألين من الحرير صدقت وان قلت أشد من الحديد صدقت . وسئل عن شعر الجعدى فقال . مطرف بالاف وخمار براق . وسئل حماد الراوية عن شعر ابن أبى ربيعة فقال ذلك الفستق المقشر الذى لا يشبع منه . وقال فى عمرو بن الاهتم كأن شعره حلل مستترة . سئل عمرو بن العلاء عن جرير والفرزدق فقال هما بازيان يصيدان ما بين الفيل والعندليل . وقال جرير انا مدينة الشعر والفرزدق نبعته . وقال بلال بن جرير قلت لابى ياأبت انك لم تهجو قوما قط الا وضعتهم الا بنى تجا قال انى لم أجد شرفا فاضعه ولا بناء فاهدمه . واختلف الناس فى أشعر نصف بيت قالته العرب . فقال بعضهم قول

أبى ذؤيب الهذلى * والدهر ليس بمعتب من يجزع * وقال بعضهم قول حميد بن ثور الهلالى * توكل بالادنى وان جل ما يمضى * وقال بعضهم قول زهير * ومن يك رهنا للحوادث يغلق * وهذا ما لا يدرك غايته ولا يوقف على حد منه . والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتى به بديع الا أتى ما هو أبدع منه . ولله در القائل أشعر الناس من أبدع فى شعره الا ترى مروان بن أبى حفصة على موضعه من الشعر و بعد صيته فيه ومعرفته وسمعته أنشدوه لامرىء القيس فقال هذا أشعر الناس . وقد قالوا لحسان بن ثابت أفخر بيت قالته العرب وأحكم بيت قالته العرب . فاما أفخر بيت قالته العرب فقوله :

و بيوم بدر اذ يرد وجوههم * جبريل تحت لوائهم ومحمدا

واما أحكم بيت قالته العرب فقوله :

فان امرأ امسى وأصبح سالما * من الناس الاما جنى لسعيد

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

ولما قال جرير هذا البيت قال والله لقد هجوت بنى تغلب ببيت لو طعنوا فى استاهم بالرماح ما حكوها . و يقال ان أبدع بيت قالته العرب قول أبى ذؤيب الهذلى :

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

و يقال ان أصدق بيت قالته العرب قول لبيد :

الا كل شىء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وذكر الشعر عند عبد الملك بن مروان فقال اذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من بنى قيس بن ثعلبة وهم رهط أعشى بكر و باصحاب النخل من يثرب يريد الاوس والخزرج وأصحاب الشعف من هذيل والشعف رؤس الجبال

٢ — فضائل الشعر — ومن الدليل على عظم قدر الشعر عند العرب وجليل خطبه فى قلوبهم انه لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحكم تاليفه وأعجب قريشا ما سمعوا منه قالوا ما هذا الا سحر . وقالوا فى النبى صلى الله عليه وسلم شاعر نتربص به ريب المنون . وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرو بن الاهتم لما أعجبه كلامه ان من

البيان لسحرا . وقال الراجز :

لقد خشيت أن تكون ساحرا * رواية مرا ومرا شاعرا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة . وقال كعب الاحبار: انا نجد قوما فى التوراة اناجيلهم فى صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة وأظنهم الشعراء . وقال عمر بن الخطاب: رضى الله عنه أفضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها فى حاجاته يستعطف بها قلب الكريم و يستميل بها قلب اللئيم . وقال الحجاج: للمساور بن عبد مالك تقول الشعر وقد بلغت من العمر ما بلغت قال أرعى به الكلأ وأشرب به الماء وتقضى لى به الحاجة فان كفيتنى ذلك تركته . وقال عبد الملك بن مروان : لمؤدب ولده روهم الشعر روهم الشعر يمجدوا و ينجدوا . وقالت عائشة رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم . و بعث زياد: بولده الى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالما بكل ماساله عنه . ثم استنشده الشعر فقال لم أرو منه شيئا . فكتب معاوية الى زياد مامنعك ان ترويه الشعر . فوالله ان كان العاق يرويه فيبر وان كان البخيل يرويه فيسخو وان كان الجبان يرويه فيقاتل . وكان على رضى الله عنه اذا أراد المبارزة فى الحرب أنشأ يقول :

أى يومى من الموت أفر * يوم لا يقدر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجو الحذر

وقال المقداد بن الاسد: ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضى الله عنها . وفى رواية الخشنى عن أبى عاصم عن عبد الله بن الاحمق عن أبى مليكة قال قالت عائشة رحم الله لبيدا كان يقول:

قضى اللبانة لا أباك واذهب * والحق باسرتك الكرام الغيب

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * و بقيت فى خلف كجلد الاجرب

فكيف لو أدرك زماننا هذا . ثم قالت انى لاروى الف بيت له وانه أقل ماأروى لغيره . وقال الشعبي : ماأنا الشيء من العلم أقل منى رواية للشعر ولوشئت ان أنشد شعرا شهرا لا أعيد بيتا فعلت . وسمع النبى صلى الله عليه وسلم عائشة وهى تنشد شعر زهير بن حباب تقول :

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه * يوما فتدركه عواقب ماجنى

يجزيك أو يثنى عليك فان من * أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق ياعائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس . يزيد بن عمرو ابن مسلم الخزاعى : عن أبيه عن جده قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المصطلقى :

لا تأمنن وان أمسيت فى حرم * ان المنايا تحمى كل انسان
فاسلك طريقك تمشى غير مختشع * حتى تلاقى الذى منى لك المانى
فكل ذى صاحب يوما مفارقه * وكل زاد وان أبقيته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أدرك هذا الاسلام لاسلم . أبو حاتم : عن الاصمعى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك يارسول الله قال نعم . فانشده :

تركت القيان وعزف القيان * وأدمنت تصلية وابتهالا
وكر المشقر فى حومة * ونثنى على المشركين القتالا
أيارب لا أغبنن صفقتى * فقد بعت مالى وأهلى بدالا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع ربح البيع . وقدم أبوليلى النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد شعره الذى يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الى أين يا أباليلى . فقال الى الجنة يارسول الله بك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى الجنة ان شاء الله . فلما بلغ قوله وانتهى وهو يقول :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية سفيان الثورى : عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال انها الكلمة نبى يعنى قول الشاعر :

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * و يأتيك بالاخبار من لم تزود

وسمع كعب قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

قال انه فى التوراة حرف بحرف يقول الله تعالى من يفعل الخير يجده عندى لا يذهب الخير بينى

و بين عبدي . ابن عباس قال : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم أبياتا لامية بن أبي الصلت يذكر فيها حملة العرش . وهي :

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث مليد
والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمرا و يصبح لونها يتوقد
تأبى فما تطلع لهم في وقتها * الا معذبة والا تجلد

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم كالمصدق له . ومن حديث ابن أبي شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم أردف الشريد . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تروى من شعر أمية بن أبي الصلت شيا قلت نعم . قال فانشدني فأنشدته فجعل يقول بين كل قافيتين هيه حتى أنشدته مائة قافية . فقال هذا رجل آمن لسانه وكفر قلبه . ولو لم يكن من فضائل الشعر الا انه أعظم جند يجنده رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يدل على ذلك قوله لحسان شن الغطاريف على بني عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام وتحبط يمشي فيه (١) قال والذي بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم سل الشعرة من العجين . ثم أخرج لسانه فضرب به ارنبة انفه وقال والله يارسول الله انه ليخيل لي انى لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيد الله حسان في هجوه بروح القدس . وقال ابن سيرين : بلغني ان دوسا انما أسلمت فرقا من كعب بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

قضينا من تهامة كل نحب * وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
نخبرها ولو نطقت لقالت * قواضبهن دوسا أو ثقيفا

قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد شكر الله لك قولك حيث تقول :

زعمت سخينة ان تغالب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

ولو لم يكن من فضائل الشعر الا انه أعظم الوسائل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك انه قال لعبد الله بن رواحة أخبرني ما الشعر يا عبد الله . قال شيء يختلج في صدري فينطق به لساني قال فانشدني فانشده شعره الذي يقول فيه :

قبلت لله ما آتاك من حسن * قفوت عيسى باذن الله والقدر

---

(١) بياض بالاصل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وإياك قبلت الله وإياك قبلت لله . ومن ذلك ما رواه ابن اسحق صاحب المغازي وابن هشام . قال ابن اسحق لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء وقال ابن هشام الاثيل أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت اخته قتيلة ابنة الحرث ترثيه :

يارا كبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بان تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى عليك وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ياخير ضنو كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من اسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تمزق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام . قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر لو بلغنى قبل قتله ماقتلته وقال من حديث زياد بن طارق الجشمي : قال حدثني أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين . فبينما هو يميز الرجال من النساء اذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله فى حرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * ياأرجح الناس حلما حين يختبر
انا لنشكر للنعما اذا كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ فى هوازن وأرضعوه . فقال عليه الصلاة والسلام أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم . فقالت الانصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الانصار ما كان فى أيديها من الذرارى والاموال فاذا كان هذا مقام الشعر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأى وسيلة تبلغه أو تسره . وكان الذى هاج فتح مكة ان عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بنى كعب خرج من

مكة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وكانت خزاعة فى حلف النبى صلى الله عليه وسلم وفى عهده وعقده . فلما انتقضت عليهم قريش بمكة وأصابوا منهم ما أصابوا أقبل عمرو بن مالك الخزاعى بأبيات قالها . فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين أظهر الناس . فقال :

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الا تلدا
قد كنت والدا وكنا ولدا * و زعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا * هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا * فانصر هداك الله نصرا أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا * فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيما خلقا وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا

قال ابن هشام : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم . ثم عرض عارض من السماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه السحابة تستهل بنصر بنى كعب . وقال عمر بن الخطاب : الشعر جذل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفأ به النائرة و يبلغ به القوم فى ناديهم و يعطى به السائل . فقال ابن عباس الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز فاحسبه ذهب الى شعر الحجاز وحض عليه اذ لغتهم أوسط اللغات . وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن أخى انك شهرت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فانك تعر الشريفة فى قومها والعفيفة فى نفسها والهجاء فانك لا تعدو ان تعادى كريما أو تستثير به لئيما ولكن أفخر بيت قومك وقل من الامثال ما توقر به نفسك وتؤدب به غيرك . وسئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر بن الخطاب عماله فقال أموال كثيرة ظهرت عليهم وان شاعرا كتب اليه يقول:

نحج اذا حجوا ونغزو اذا غزوا * فانى لهم وفر ولسنا بذى وفر
اذا التاجر الهندى جاء بفارة * من المسك راحت فى مفارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته * سيرضون ان شاطرتهم منك بالشطر

قال فشاطرهم عمر أموالهم . وأنشد عمر بن الخطاب قول زهير :

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفاد أو جلاء

فجعل يعجب بمعرفته بمقاطع الحقوق وتفصيلها . وانما أراد مقطع الحقوق يمين أو حكومة أو بينة

وأنشد عمر قول عبدة بن الطيب * والعيش شح واعقاق وتأميل * فقال على هذا بنيت الدنيا ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهاجر أصحابه مسهم وباء المدينة فمرض أبو بكر وبلال قالت عائشة فدخلت عليهما . فقلت ياأبت كيف تجدك و يا بلال كيف تجدك . قالت فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبح فى أهله * والموت ادنى من شراك نعله

قالت وكان بلال اذا أقلعت عنه يرفع عقيرته و يقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوادو حولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة كان عامر بن فهيرة يقول :

وقد رأيت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه * كالثور يحمى جلده بروقه

قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته . فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد وصححها و بارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة . ومن حديث البراء ابن غازب قال لما كان يوم حنين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والعباس وأباسفيان بن الحرث ابن عبد المطلب وهما آخذان بلجام بغلته وهو يقول : أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن سفيان بن عيينة يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم انه لما دخل الغار مكث فقال هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت . فهذا من المنثور الذى يوافق المنظوم وان لم يتعمد به قائله المنظوم . ومثل هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوزن مثل قول عبد مملوك لمواليه اذهبوا بى الى الطبيب وقولوا قد اكتوى . ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يراد به الشعر ولا يسمى قول النبي صلى الله عليه وسلم وان كان موزونا شعرا الا انه لا يراد به الشعر . ومثله فى آى الكتاب . ومن الليل فسبحه وادبار النجوم . ومنه وجفان كالجواب وقدور راسيات . ومثله و يخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين ومنه فذلك الذى يدع اليتيم . ولو تطلبت فى رسائل الناس وكلامهم لوجدت فيه ما يحتمل الوزن كثيرا ولا يسمى شعرا من ذلك قول القائل من يشترى باذنجان تقطيعه مستفعلن مفعولات وهذا كثير

٣ — من قال الشعر من الصحابة والتابعين والعلماء المشهورين — كان شعراء النبي صلى الله عليه وسلم حسان . وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . وقال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى أشعر الثلاثة . ومن قول على كرم الله وجهه بصفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يردها * حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عنى والجزاء بكفه * ربيعة خيرا ما أعفوا كرما

وقال أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى الانصار بيت الا وهو يقول الشعر قيل له وأنت أبا حمزة قال وأنا . وقال عمرو بن العاص يوم صفين :

شبت الحرب فاعددت لها * مفرع الحارك محبوك الثبج
يصل المشد بشد فاذا * ونت الخيل عن الشد معج
جرشع أعظمه جفرته * فاذا ابتل من الماء خرج

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

فلو شهدت جمل مقامى ومشهدى * بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشية جا أهل العراق كانهم * سحاب ربيع زعزعتها الجنائب
وجئناهم نردى كان صفوفنا * من البحر مدموجه متراكب
اذا قلت قد ولوا سراعا بدت لنا * كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم * سراة النهار ما تولى المناكب
وقالوا لنا انا نرى ان تبايعوا * عليا فقلنا بل نرى ان نضارب

﴿ ومن شعراء التابعين ﴾ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو ابن أخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة . وله يقول سعيد بن المسيب أنت الفقيه الشاعر لا بد للصدر أن ينفث يعنى انه من كان فى صدره زكام فلا بد أن ينفث به زكمة صدره يريد ان كل من اختلج فى صدره شئ من شعر أو غيره ظهر على لسانه. وقال عمر بن عبد العزيز : وددت لو ان لى مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بدينار

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ما أحسن الحسنات فى أثر السيآت وأقبح السيآت فى أثر الحسنات . واحسن من هذا وأقبح من ذلك الحسنات فى أثر الحسنات والسيآت فى أثر السيآت ﴿ ومن شعراء التابعين ﴾ عروة بن أذينة وكان من ثقات أصحاب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عنه مالك . وقال ابن شبرمة كان عروة بن أذينة يخرج فى الثلث الاخير من الليل الى سكك البصرة فينادى يا أهل البصرة « أفأمن أهل القرى ان يأتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون » الصلاة الصلاة ﴿ ومن شعراء الفقهاء المبرزين ﴾ عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق . وقال حسان : خرجنا مع ابن المبارك مرابطين الى الشام . فلما نظر الى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم التفت الى وقال انا لله وانا اليه راجعون على اعمار أفنيناها وليال وأيام قطعناها فى علم الخلية والبرمة وتركناها هنا أبواب الجنة مفتوحة . قال فبينما هو يمشى وأنا معه فى أزقة المصيصة اذ لقى سكران قد رفع عقيرته يتغنى ويقول :

أذلنى الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فاخرج برنامجا من كمه . فكتب البيت فقلنا له أتكتب بيت شعر سمعته من سكران قال اما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة قالوا نعم قال فهذه جوهرة فى مزبلة . وبلغ عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره . فكتب اليه :

أتانى عنك هذا اليوم قول * فضقت به وضاق به جوابى

وقد فارقت أعظم منك رزأ * وواريت الأحبة فى التراب

وقد عزوا على ان اسلمونى * معا فلبست بعدهم ثيابى

وقد ذكرنا شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن أذينة فى الباب الذى يتلو هذا وهو قولهم فى الغزل . الواسطى : عن بعض أشياخ الشام قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ابن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب . ووجه راشد بن عبيد الله السلمى أميرا على القضاء والمظالم . فقال راشد بن عبيد الله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر شاوه * وردت عليه ما بغته تماضر

وحكمه شيب القذال على الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر

فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلى * عن اللهو لما ابيض منى الغدائر

على انه قد هاجه بعد صحوه * بعرض ذى الآجام عيس بواكر

ولما دنت من جانب الفرض أخصبت * وحلت ولاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها * و بين قرى بصرى ونجران كافر
فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وكان عبدالله بن عمر يحب ولده سالما حبا مفرطا فلامه الناس فى ذلك . فقال :

يلوموننى فى سالم وألومهم * وجلدة بين العين والانف سالم

وقال ان ابنى سالما يحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه . وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا برز للقتال أنشد :

أى يومى من الموت أفر * يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجى الحذر

وكان اذا سار بارض الكوفة يرتجز و يقول :

ياحبذا السير بأرض الكوفة * أرض سواء سهلة معروفة
* تعرفها جمالنا المعروفة *

وكان ابن عباس فى طريقه من البصرة الى الكوفة يحدو بالابل و يقول :

أوبى الى أهلك يارباب * أوبى فقد حان لك الاياب

وقال ابن عباس لما كف بصره :

أن يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

٤ — قولهم فى الغزل — قال رجل لمحمد بن سيرين ما تقول فى الغزل الرقيق ينشده الانسان فى المسجد فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة وتقدم الى المحراب فالتفت اليه . فقال :

ونبرد برد الفراديس فى الصيف رقرقت فيها العبيرا
ونسخن ليلة لا يستطيع * نباحا بها الكلب الاهريرا

ثم قال الله أكبر . وقال الحجاج دخلت المدينة فقصدت الى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فاذا بابى هريرة قد أكب الناس عليه يسألونه . فقلت هكذا افرجوا لى عن وجهه فافرج لى عنه فقلت له انما أقول هذا :

طاف الخيالان فهاجا سقما * خيال أروى وخيال تكتما
تريك وجها ضاحكا ومعصما * وساعدا عبلا وكفا أبرما

فما تقول فيه قال قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد مثل هذا المسجد فلا ينكره . ودخل كعب بن زهير على النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الصبح فتمثل بين يديه . وأنشد :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول
ماان تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول
ولا تمسك بالوعد الذى وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل
ولا يغرنك مامنت وما وعدت * ان الامانى والاحلام تضليل

ثم خرج من هذا الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألفا .
ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم * ولامك أقوام ولومهم ظلم
ونم عليك الكاشحون وقبل ذا * عليك الهوى قد نم لو نفع النم
فيامن لنفس لاتموت فينقضى * عناها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت اتيان الحبيب تأثما * ألا ان هجران الحبيب هو الاثم

ومن شعر عروة بن أذينة وهو من فقهاء المدينة وعبادها وكان من أرق الناس تشبيبا :

قالت وأبثثتها وجدى وبحت به * قد كنت عندى تحت الستر فاستتر
أ أنت تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وماالقى على بصرى

وقد وقفت عليه المرأة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * غدوت نحو سقاء الماء أبترد
هذا بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

والله ماقال هذا رجل صالح وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله بل لم يكن مرائيا . ولكنه كان مصدورا فنفث وقدم عروة بن أذنيه على هشام بن عبد الملك فى رجال من أهل المدينة . فلما

دخلوا عليه ذكروا حوائجهم فقضاها ثم التفت الى عروة . فقال له ألست القائل :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بان رزقى وان لم آت يأتينى
أسعى له فيعيينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعنينى

قال فأراك الا وقد سعيت له . قال سانظر فى أمرى يا أمير المؤمنين وخرج عنه فجعل وجهته الى المدينة فبعث اليه بالف دينار وكشف عنه . فقيل له قد توجه الى المدينة فبعث اليه بالالف دينار . فلما قدم عليه بها الرسول قال له أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له أنا كما قلت قد سعيت وعييت فى طلبه وقعدت عنه فاتانى لا يعنينى . ومن قول عبد الله بن المبارك وكان فقيها ناسكا شاعرا رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سالت جارتها * وتعرت ذات يوم تبترد
أكما تنعتنى تبصرننى * عمركن الله أم لا تقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن فى كل عين من يرد
حسدا حملنه من شأنها * وقديما كان فى الحب الحسد

وقال شريح القاضى وكان من جملة التابعين والعلماء المتقدمين استقضاه على رضى الله تعالى عنه ومعاوية وكان تزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب فنقم عليها فضربها ثم ندم . فقال :

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يمينى حين أضرب زينبا
أأضربها فى غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس أذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا برزت لم تبد منهن كوكبا

٥ — قولهم فى المدح — قال حج الرشيد وزميله أبو يوسف القاضى . قال شراحيل ابن زائدة وكان كثيرا ما أسايره . فبينما انا أسايره اذ عرض له أعرابى من بنى أسد فأنشده شعرا مدحه فيه وعرضه . فقال له الرشيد ألم أنهك عن مثل هذا فى شعرك يا أخا بنى أسد اذا أنت قلت فقل كما قال مروان بن أبى حفصة فى أبى هذا وأشار الى يقول :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها فى غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كأولهم فى الجاهلية أول

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا

وقال عتبة بن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

ان أولى بالحق فى كل حق * ثم أحرى بان يكون حقيقا
من أبوه عبد العزيز بن مروا * ن ومن كان جده الفاروقا
ثم داموا لنا علينا وكانوا * فى ذراشاهق يفوت الانوقا

مدح عباس بن مرداس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة ومدحه كعب بن زهير فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم وان ذلك البرد لعند الخلفاء الى اليوم . وقال ابن عباس قال لى عمر بن الخطاب أنشدنى قول زهير فانشدته قوله فى هرم بن سنان بن حارثة حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا امنوا * مرزدون بهاليل اذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال له عمر ما كان أحب الى لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الى صناعة عمر بالشعر كيف لم ير أحدا يستحق هذا المدح الا أهل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وأسمع رجل عبد الله بن عمر بيت الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أحدا يستحق هذا المدح غير رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستأذن نصيب بن رباح على عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له . فقال اعلموا أمير المؤمنين انى قلت شعرا أوله الحمد لله فاعلموه فاذن له فادخل عليه وهو يقول :

الحمد لله أما بعد يا عمر * فقد أتتنا بك الحاجات والقدر
فانت رأس قريش وابن سيدها * والرأس فيه يكون السمع والبصر

فامر له بحلية سيفه . ومدحه جرير بشعره الذى يقول فيه :

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فامر له بثلثمائة درهم . ومدحه دكين الراجز فامر له بخمس عشرة ناقة . ومدح نصيب بن رباح عبدالله بن جعفر فأمر له بمال كثير وكسوة ورواحل . فقيل له تفعل هذا بمثل هذا العبد الاسود فقال أما والله لئن كان عبدا ان شعره لحر وان كان أسود ان ثناءه لابيض وانما أخذ مالا يفنى وثيابا تبلى ورواحل تنضى فاعطى مديحا يروى وثناء يبقى . ودخل ابن هرم بن سنان على عمر ابن الخطاب . فقال له من أنت قال أنا ابن هرم بن سنان . قال صاحب زهير قال نعم : قال أما انه كان يقول فيكم فيحسن قال كذلك كنا نعطيه فنجزل . قال ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم وكان الطريح الثقفي ناسكا شاعرا . فلما قال في أبي جعفر المنصور قوله :

أنت ابن مستبطح البطاح ولم * تعطف عليه الحنى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والمو * ج عليه كالسيل يعتلج
لهم أوكاد أو لكان له * في سائر الارض عنك منعرج

فكيف ذلك وهو يقول للسيل دع طريقك . فبلغ ذلك الطريح فقال الله يعلم اني انما أردت يارب لو قلت للسيل دع طريقك . وقال الحطيئة لما حبسه عمر بن الخطاب في هجائه للزبرقان ابن بدر أبياتا يمدح فيها عمر ويستعطفه . فلما قرأها عمر عطف له وأمر باطلاقه والابيات :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ * زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذي من بعد صاحبه * ألقى اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم كانت بها الاثر

ودخل ابن دارة على عدي بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اني مدحتك قال أمسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسبه فاني أكره ان لا اعطيك ثمن ما تقول لي ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسي هذا حبس في سبيل الله فامدحني على حسب ما أخبرتك فقال :

تحن قلوصي في معد وانما * تلاقي الربيع في ديار بني ثعل
وأبقى الليالي من عدي بن حاتم * حساما كنصل السيف سل من الخلل
أبوك جواد لا يشق غباره * وانت جواد ليس تعذر بالعذل
فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

قال عدى امسك لا يبلغ بالى أكثر من هذا

٦ – قولهم فى الهجاء – قال الله تبارك وتعالى فى هجو المشركين « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » فارخص الله للشعراء بهذه الآية فى هجائهم لمن تعرض لهم . يزيد بن عمرو بن تميم الخزاعى عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أباسفيان يهجوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه هجانى وانى لا أقول الشعر فاهجه عنى . فقام اليه عبد الله بن رواحة فقال يارسول الله ائذن لى فيه . قال أنت القائل هممت الخ . قال نعم قال لست له . ثم قام حسان بن ثابت فقال يارسول الله ائذن لى فيه وأخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه وقال والله يارسول الله انه ليخيل لى انى لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . فقال أنت له اذهب الى أبى بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك . فقال يرد على ابى سفيان :

ألا ابلغ أبا سفيان عنى * مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا واجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويطريه ويمدحه سواء
لنا فى كل يوم من معد * سباب اوقتال او هجاء
لسانى صارم لا عيب فيه * وبحرى لا تكدره الدلاء
فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

وقال رجل من اهل اليمن دخلت الكوفة فاتيت المسجد فاذا بعمار بن ياسر ورجل ينشده هجاء معاوية وعمرو بن العاص وهو يقول الصق بالعجوزين . قلت له سبحان الله أتقول هذا وأنتم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قال ان شئت فاجلس وان شئت فاذهب فجلست . فقال اتدرى ما كان يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هجانا اهل مكة . قلت لا ادرى قال كان يقول لنا قولوا لهم مثل ما يقولون لكم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لقد شكر الله لك بيتا قلته وهو:

زعمت سخينة أن تغالب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

وسألت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحل لها الزنا . فقال حسان فى ذلك :

سألت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الملك بن مروان ماهجانى أحد باوجع من بيت هجانى به ابن الزبير وهو :

فان تصبك من الايام جائحة * لم نبك منك على دنيا ولا دين

وقيل لعقيل بن علقمة : مالك لا تطيل الهجاء . قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . وقال رجل من ثقيف لمحمد بن مناذر مابال هجائك أكثر من مدحك قال ذلك مما اغرانى به قومك واضطرنى اليه لومك . وقال أبو عمرو بن العلاء : قلت لجرير انك لعفيف الفرج كثير الصدقة فلم تسب الناس . قال يبدؤنى ثم لا أغفر لهم . وكان جرير يقول لست عندى ولكننى بعيد بر بدانه يسرف فى القصاص . ومثله قول الشاعر :

بنى عمنا لا تنطقوا الشعر بعدما * دفنتم بافناء العذيب القوافيا

فلسنا كمن قد كنتم تظلمونه * فيقتل نفسا أو يحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فيكم مسلط * فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا

فان قلتم انا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكنا أسانا التقاضيا

وكان عمر بن الخطاب يقول : واحدة باخرى والبادى أظلم . قيل وفد جرير على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك للاخطل أتعرف هذا قال لا قال هذا جرير . قال والذى عرفنى اعيار أمك ياجرير ماعرفتك قال له جرير والذى أعمى بصيرتك وأدام خزيتك لقد عرفتك سيما سيما أهل النار . ابن الاعرابى : قال . دخل كثير عزة على عبد الملك فانشده وعنده رجل لا يعرفه فقال لعبد الملك هذا شعر حجازى دعنى اضغمه له ضغمة . قال كثير من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا الاخطل قال فالتفت اليه فقال له هل ضغمت الذى يقول :

والتغلبى اذا تنحنح للقرا * حك استه وتمثل الامثالا

تلقاهم حلفا على أعدائهم * وعلى الصديق تراهم جهالا

حدثنا يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنا عبد الملك بمصر كان رجل له صديق يقال له حصين فولى موضعا يقال له السابين فطلب اليه حاجة فاعتل عليه فيها . فكتب له :

اذهب اليك فان ودك طالق * منى وليس طلاق ذات البين

فاذا اروعيت فانها تطليقة * ويقيم ودك لى على ثنتين
واذا أتيت شفعتها بمثالها * فيكون تطليقين فى حيضتين
وان الثلاث أتتك منى نية * لم تغن عنك ولاية السابتين
ولم أرض ان أهجو حصينا وحده * حتى اسود وجه كل حصين

طلب دعبل بن على حاجة الى بعض الملوك فصرح عنه . فكتب اليه :

أحسبت أرض الله ضيقة * عنى فارض الله لم تضق
وحسبتنى فقعا بقرقره * فوطئتنى وقعا على حنق
فاذا سالتك حاجة أبدا * فاضرب بها قفلا على غلق
وأعدلى غلا وجامعة * فاجمع يدى بها الى عنق
ثم أرم بى فى قعر مظلمة * ان عدت بعد اليوم فى الحمق
ما أطول الدنيا وأوسعها * وأدلنى بمسالك الطرق

ومثل هذا قول أبى زبيد

ان كان رزقى اليك فارم به * فى ناظرى حية على رصد * ليتك أدبتنى بواحدة
تجعلها منك آخر الابد * تحلف أن لا تبرنى أبدا * فان فيها بردا على كبدى

وقال زياد ما هجيت بيت اقط أشد على من قول الشاعر :

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتامير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت * ان ابنها من قريش فى الجماهير
سبحان من ملك عبادا بقدرته * لا يدفع الخلق محتوم المقادير

وقال بلال بن جرير سالت أبى أى شيء هجيت به أشد عليك قال قول البعيث :

ألست كليبا اذا سيم خطة * أقر كاقرار الحليلة للبعل
وكل كليبي صحيفة وجهه * اذل لاقدام الرجال من النعل

وكان بلال بن جرير شاعرا ابن شاعر ابن شاعر لان عطفان كان شاعرا وهو يقول:

مازال عصياننا لله يسلمنا * حتى دفعنا الى يحيى وبندار
الى عليجين لم تقطع ثمارهما * قد طال ما سجدا للشمس والنار

ومن أخبث الهجاء قول جميل :

أبوك حباب سارق الضيف برده * وجدى باشماخ فارس شمرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن * لآباء سوء يلقهم حيث سيرا

فان تغضبوا من قسمة الله فيكم * فلله اذ لم يرضكم كان أبصرا

وقال كثير فى نصيب وكان أسود ويكنى أبا الحجناء :

رأيت أبا الحجناء فى الناس حائرا * ولون أبى الحجناء لون البهائم

تراه على مالاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

وكان يقال لسعد بن أبى وقاص المستجاب لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة سعد . فقال رجل بالقادسية فيه :

ألم تر أن الله أنزل نصره * وسعد بباب القادسية معصم

فابنا وقد أيمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد اللهم اكفنى يده ولسانه فخرس وقطعت يده . وذكر عند المبرد محمد بن يزيد النحوى رجلا من الشعراء فقال لقد هجانى ببيتين أنضج بهما كبدى فاستنشدوه فانشدهم هذين البيتين :

سألنا كل حى عن ثماله * فكل قد أجاب ومن ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدتهما جهاله

ولم يقل أحد أحسن من قول أبى نواس :

وقائلة لها فى وجه نصح * علام قتلت هذا المستهاما

فكان جوابها فى حسن ميس * أأجمع وجه هذا والحراما

وكان جرير يقول اذا هجوت فاضحك وينشد :

اذا سعلت فتاة بنى تميم * تلقم باب عضرتها الترابا

ترى برصا باسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

وقوله: وتقول اذ نزعوا الازار عن استها * هذى دواة معلم الكتاب

وقوله : استوطنت بى سجايا من بنى مطر * وخاطرت بى عن احسابها مضر

هيأتم عمرا حامى دياركم * كما تهيا لاست الخارىء الحجر

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح بن حكيم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأتها تميم يوم زحف لولت
ولو أن عصفورا يمد جناحه * لقامت تميم تحته واستظلت

وقال جرير فى بنى تغلب :

قوم اذا نبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

وقال محمد بن الجهم يهجو محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل :

أحسن من سبعين بيتا سرى * جمعك اياهن فى بيت
ما أحوج الملك الى ديمة * تغسل عنه وضر الزيت

ومن أخبث الهجاء قول زياد الاعجم :

قالوا الاشاقر تهجوهم فقلت لهم * ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
وهم من الحسب الذاكى بمنزلة * كطحلب الماء لا أصل ولا ورق
لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

وقوله : قضى الله خلق الناس ثم خلقتم * بقية خلق الله آخر آخر
فلم تسمعوا الا الذى كان قبلكم * ولم تدركوا الا مدق الحوافر

وقال فيهم : قبيلة خيرها شرها * وأصدقها الكاذب الآثم
وضيفهم وسط أبياتهم * وان لم يكن صائما صائم

ونظير هذا قول الطرماح :

وما خلقت تيم وزيد مناتها * وضبة الا بعد خلق القبائل

ومن أخبث الهجاء قول الطرماح فى بنى تميم :

لو حان ورد تميم ثم قيل لها * حوض الرسول عليه الازد لم ترد
أو أنزل الله وحيا أن يعذبها * ان لم تعد لقتال الازد لم تعد
وكل لؤم أباد الله سبته * ولؤم ضبة لم ينقص ولم يزد
لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو أسد
قوم أقام بدار الذل أولهم * كما أقامت عليه خدمة الوتد

ومن قول المساور بن هند :

ماسرني ان قومي من بني أسد * وان ربي ينجيني من النار
وانهم زوجوني من بناتهم * وان لي كل يوم ألف دينار

ومن أخبث الهجاء في غير المطاعة :

اذا ما نأى عني الصديق وسبني * بها غير ذي اثم فلا أتكلم

وقال عبيد: ياأبا جعفر كتبتك سنحا * فاستطال المداد والسم لام
لا تلمني على الهجاء فلم يهجك الا المداد والاقلام

وقال سليمان بن أبي شيخ كان أبو سعيد الرأي يمارى أهل الكوفة و يفضل أهل المدينة فجاءه رجل من أهل الكوفة وسماه شرشيرا . وقال كلب في جهنم يسمى شرشيرا فقال :

عندي مسائل لا شرشير يعرفها * ان سيل عنها ولا أصحاب شرشير
وليس يعلم هذا الدين يعلمه * الا حنيفية كوفية الزور
لا تسالن مدينيا فتكفره * الا عن البم والمثنى والزير

فكتب أبو سعيد الى أهل المدينة انكم قد هجيتم فردوا فرد عليه رجل من أهل المدينة يقول :

لقد عجبت لغاوساقه قدر * وكل أمر اذا ماحم مقدور
قالوا المدينة أرض لا يكون بها * الا الغناء والا البم والزير
لقد كذبت لعمر الله ان بنا * قبر النبي وخير الناس مقبور

فما انتصر في بيته ولم يقل شيا . وقال مساور العزاف في أهل القياس :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة * حتى بلينا باصحاب المقاييس
قاموا من السوق اذ قامت مكاسبهم * فاستعملوا الرأي بعد الجهد والبؤس
أما الغريب فامسوا لا عطاء لهم * وفي الموالي هم شح علاميس

فلقيه أبو حنيفة فقال له هجوتنا نحن نرضيك فبعث اليه بدراهم فكف عنه . وقال :

اذا ما الناس يوما قايسونا * بمسئلة من الفتيا ظريفه
أتيناهم بمقياس صحيح * بديع من طراز أبي حنيفه
اذا سمع الفقيه بها وعاها * وأثبتها بحبر في صحيفه

ومن خبيث الهجاء قول الشاعر :

عجبت لعبدان هجونى سفاهة * ان اصطحبوا من شاتم وثقيل
بحارور سيان وفهر وغالب * وعون ومقدام وابن ضفول
فاما الذى يحصيهم فكثر * وأما الذى يطريهم فقليل

وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة :

قال ابن معن وجلى نفسه * على القرابين من الاهل
هل فى جوارى بنى وائل * جارية واحدة مثلى
قد نقطت فى خدها نقطة * مخافة العين من الكحل

٧ — مداراة الشعراء — قال مدح قوم من الشعراء جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله ابن عباس فماطلهم بالجائزة . وكان الخليل بن أحمد صديقه وكان وقت مدحهم اياه غائبا . فلما قدم الخليل أتوه فاخبروه فاستبطأوا ثوابه عليه . فكتب اليه :

لا تقبلن الشعر ثم تعقه * وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم اذا لم ينصفوا * حكموا لانفسهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضى * وعقابهم باق على الايام

فاجازهم وأحسن اليهم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم لما مدحه عباس بن مرداس اقطعوا عنى لسانه قالوا بماذا يا رسول الله فامر له بحلة قطع بها لسانه . ومدح ربيعة الرقى يزيد بن حاتم وهو والى مصر فتشاغل عنه ببعض الامور واستبطاه ربيعة فشخص من مصر . وقال :

أرانى ولا كفران لله راجعا * بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فارسل فى طلبه ورده . فلما دخل عليه قال له أنت القائل ارانى ولا كفران البيت قال نعم . قال هل قلت غير هذا قال لا قال والله لترجعن بخفى حنين مملوءة مالا . فامر بخلع خفيه وان تملآ له مالا ثم قال اصلح ما افسدت من قولك . فقال فيه لما عزل من مصر وولى مكانه يزيد بن حاتم السلمى :

بكى اهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الأغر بن حاتم
لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم
فهم الفتى القيسى انفاق ماله * وهم الفتى العبسى جمع الدراهم

فـلا يحسب التمّام انى هجوته * ولـكننى فضلت اهـل المكارم

واعـلم : ان بقيـة الشعراء لم تحفظ الاغراض التى امر الله تعالى بحفظها . وقد وضعنا فى هـذا الـكتاب بابا فمين وضـعه الهجاء ومن رفعه المدح . وكان لزياد عامل على الاهواز يقال له تـيم فمدحه رجل من الشعراء فلم يعطه شيا . فقال الشاعر اما انى لا اهجوك ولـكننى أقول فيك ماهو شر عليك من الهجاء فدخل على زياد فاسمعه شعر امدحه فيه . وقال فى بعضه :

وكائن عنـد تـيم من بدور * اذاما صـفدت تدعوز يادا

دعته كى يجيب لها وشيكا * وقدملئت حناجرها صفادا

فقال زياد لبيك يابدور ثم أرسل فيه فاغرمه مائة ألف :

٨ — باب فى رواة الشعر — قال الاصمعى : مابلغت الحـلم حـتى رويت اثنى عشر الف ارجوزة للاعراب . وكان خلف الاحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده . قال مروان ابن أبى حفصـة لما مدحت المهدى بشعرى الذى أوله :

طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها

أردت أن اعرضـه على نضراء البصرة . فدخلت المسجد الجامع فتصفحت الحلق فلم أر حلقة اعظم من حلقة يونس النحوى فجلست اليه . فقلت له انى مدحت المهدى بشـعر وأردت ان لا أرفعه حتى اعرضه على نضرائكم وانى تصفحت الحلق فلم أر حلقة أحفل من حلقتك فان رأيت ان تسمعه منى فافعل . فقال ياابن أخى ان ههنا خلفا ولا يمكن أحدنا أن يسمع شعرا حتى يحضر فاذا حضر فاسمعه فجلست حتى اقبل خلف الاحمر . فلما جلس جلست اليـه ثم قلت له ماقلت ليونس . فقال أنشد ياابن أخى فأنشدته حتى أتيت على آخره . فقال لى أنت والله كاعشى بكر بل انت اشعر منه حيث يقول :

رحلت سمية غدوة اجمالها * غضبى عليك فما تقول بدالها

وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشـعر فيحسن و ينحله الشـعراء . و يقال ان الشـعر المنسوب الى ابن أخت تأبط شرا . وهو :

ان بالشعب الى جنب سلع * لقتيـلا دمـه مايطل

لخلف الاحمـر وانما ينحله اياه . وكذلك كان يفعل حماد الراوية يحقق الشـعر القديم و يقول مامن شاعر الا قد حققت فى شعره أبيا تا فجازت عنه الا الاعشى اعشى بكر فانى لم أزد فى شعره قط

غير بيت فأنشدت عليه الشعر قيل له وما البيت الذى أدخلته فى شعر الاعشى . فقال :

وانكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

قال حماد الراوية : ارسل الى أبومسلم ليلا فراعنى ذلك فلبست أكفانى ومضيت . فلما دخلت عليه تركنى حتى سكن جاشى . ثم قال لى ماشعر فيه أوتاد . قلت من قائله اصلح الله الامير . قال لا أدرى قلت فمن شعراء الجاهلية أم شعراء الاسلام . قال لا أدرى قال فاطرقت حينا أفكر فيه حتى بدر الى وهمى شعر الافوه الازدى حيث يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى الا له عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذى كادوا

فقلت هو قول الافوه الازدى أصلح الله الامير وأنشدته الابيات . فقال صدقت انصرف اذا شئت فقمت فلما خطوت الباب لحقنى أعوان له ومعهم بدرة فصحبونى الى الباب . فلما أردت ان أقبضها منهم قالوا لا بد من ادخالها الى موضع منامك فدخلوا معى فعرضت ان اعطيهم منها شيا فقالوا لا نقدم على الامير . الاصمعى قال : أقبل فتيان الى أبى ضمضم بعد العشاء . فقال ما جاء بكم قالوا جئنا نتحدث اليك قال كذبتم يا خبثاء ولكن قلتم كبر الشيخ فهلم بنا عسى ان نأخذ عليه سقطة . قال فانشدهم لمائة شاعر كلها اسمه عمرو . قال الاصمعى : تحدثت أنا وخلف الاحمر فلم نزد على أكثر من ثلاثين . وقال الشعبى : لست لشىء من العلوم أقل رواية من الشعر ولو شئت لانشدت شهرا ولا أعيد بيتا . وكان الخليل بن أحمد : أروى الناس للشعر ولا يقول بيتا وكذلك كان الاصمعى . وقيل للاصمعى ما يمنعك من قول الشعر قال نظرى لجيده . وقيل للخليل : مالك لا تقول الشعر قال الذى أريد لا أجده والذى أجده منه لا أريده . وقيل لآخر : مالك تروى الشعر ولا تقوله قال لانى كالمسن أشحذ ولا أقطع . وقال الحسن بن هانىء رويت أربعة آلاف شعر وقلت أربعة آلاف شعر فما زريت لشاعر شيأ . القاسم بن محمد السلامى قال : حدثنا حماد بن بشر الاطروش قال حدثنى يحيى بن سعيد قال أخبرنى الاصمعى قال تصرفت بى الاسباب الى باب الرشيد مؤملا للظفر لما كان فى الهمة دفينا أرقب به طالع سعد فاتصل بى ذلك الى ان صرت للحرس مؤانسا بما استملت به مودتهم فكنت كالضيف عند أهل الميرة فطرفهم متوجهة بالتحافى وطاولتنى الغايات بما كدت به أن أصير الى

ملالة غيرانى لم أزل مؤانسا للامل بعذاكرته عند اعتراض الفترة . وقلت فى ذلك :

وأى فتى أعيرهات قلب * وساع ماتضيق به المعانى
تجاذبه المواهب عن اباء * الالابل تولفـــه الامانى
فرب معرس لليأس أملى * عن الدرك الجهـير لدى الامانى
وأى فتى أناس من سمو * من المهمات متهـم الجنان
بغير توسع فى الصدر ماض * على العزمات والعضب اليمانى

فلم نشعر أن خرج علينا خادم فى ليلة نثرت السعادة والتوفيق فيها الارق بين اجفان الرشـيد فقال هل بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضـيقة قد فكه التيسـير الا نعام أنا صاحبك ان كان صاحبك من طلب فادمن وحفظ فاتقن فاخذ بيدى . ثم قال ادخل ان يختم الله لك بالاحسان لديه والتصر يف فلعلها ان تكون ليلة تعرس فيها صـباحها بالغنى . قلت بشرك الله بالخـير قال ودخلت فواجهت الرشـيد فى البهو جالسا كانما ركب البـدر فوق أزراره جمالا والفضل بن يحيى الى جانبه والشمع يحدق به على قضب المناور والخـدم فوق فرشه وقوف فوقف بى الخادم حيث يسمع تسليمى . ثم قال سلم فسلمت فرد . ثم قال تنح ليسكن قليلا ان وجد لروعه حسا فقعدت حتى سكن جاشى قليلا . ثم أقدمت فقلت يا أمير المؤمنين اضاءة كرمك وبهاء مجدك مجيران لمن نظر اليهما من غير اعتراض أذية له تسالنى فاجيب أم ابتدئ فاصيب بيمن أمير المؤمنين وفضـله . قال فتبسم الفضـل ثم قال ما أحسن ما اسـتدعى الاختيار ولقد استسهل المفاتحة وأجدر به أن يكون محسنا . ثم قال الفضل والله يا أمير المؤمنين اقدم مبرزا محسنا فى استشهاده على براعته من الحيرة وارجو ان يكون ممتعا قال ارجو . ثم قال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية . فقلت راوية يا أمير المؤمنين . قال لمن قلت لذى جد وهزل بعـد أن يكون محسنا . قال والله ما رأيت أدعى لعلم ولا أخبر بمحاسن بيان فتقته الاذهان منك ولئن صـدرت حامدا أثرك لتعرفن الافضال متوجها اليك سريعا . قلت أنا على الميدان يا أمير المؤمنين لمن منى من غنائى مجيبا فيما أحبه . قال قد أنصف القارة من راماها . ثم قال ما معنى المثل فى هذه الكلمة بديا قلت ذكرت العرب يا أمير المؤمنين ان السابقة كانت لهـم رماة لا تقع سهامهم فى غير الحدق . فكانت تكون فى الموكب الذى يكون فيه الملك على الجياد البلق بايديهم الاسـورة وفى أعناقهم الاطواق تخرج من موكب الصمر فارس معلم بعذبات سمور فى قلنسـوته قد وضع

نشابته فى الوتر ثم صاح أين رماة الحرب فسمته العرب بالقارة. وقال قد أنصف القارة من راماها والملك أبو حسان أراد ذلك المضاف له . قال احسنت أرويت للعجاج ورؤبة شيأ قلت هما ياأمير المؤمنين يتناشدان لك بالقوافى وان غابا عنك بالاشخاص فمد يده فأخرج من تحت فراشه رقعة ثم قال اسمعنى . فقال اطرقنى طارق هم طرقا فمضيت فيها مضى الجواد فى سنن ميدانه تهدر فى أشداقى حتى اذا صرت الى مدح بنى أمية ثنيت عنان السياق الى امتداحه المنصور فى قوله قلت لزيد لم تصله مرية . قال أعن خبرة أم عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده . قال الفضل أحسنت بارك الله فيك مثلك يؤمل لهذا الموقف . قال الرشيد ارجع الى أول هذا الشعر فاخذت من أوله حتى صرت الى صفة الجمل فاطلت. فقال الفضل مالك تضيق علينا كل ما اتسع من مشاهدة السمر فى ليلتنا هذه بذكر جمل أجرب فكر الى امتداح المنصور حتى أتى على آخره . فقال الرشيد اسكت هى التى أخرجتك من دارك وأزعجتك من قرارك وسلبتك تاج ملكك ثم ماتت فعمل جلودها سياطا تضرب بها قومك ضرب العبيد ثم قهقه . ثم قال لا تدع نفسك والتعرض لما تكره . فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله . قال الرشيد أخطأت فى كلامك يرحمك الله لو قلت وأستعين الله قلت صوابا انما يحمد الله على النعم ثم صرف وجهه الى وقال ما أحسن ما أديت فى قدر ما سئلت اسمعنى كلمة عدى بن الرقاع فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قوله* عرف الديار توهما فاعتادها . فقال الفضل ياأمير المؤمنين البستنا ثوب السهر ليلتنا هذه لاستماع الكذب لم لا تامره يسمعك ما قالت الشعراء فيك وفى آبائك . قال ويحك انه أدب وقل ما يعتاض مثله ولان أسمع من ثقيف بعبارة تشغله العناية عمرا أحب الى من أن تشافهنى به الرسوم وللمتدح بهذا الشعر حركات سترد عليك ولا تقدر أن تصدر من غير استحسان لها فاكون أول مسبب طريقة ذكر ثم تردها اليك الرواية . قال الفضل قد والله ياأمير المؤمنين شاركتك فى الشوق وأعنتك على السوق. ثم التفت الى الفضل فقال احرمنا ليلتك منشدا هذا سيدى أمير المؤمنين قد أصغى اليك فرويحك فى عنان الانشاد فهى ليلة دهرك لم تنصرف الاغانما . قال الرشيد أما اذا قطعت على فاحلف لتشركنى فى الجزاء فما كان لى فى هذا شىء لم تقاسمنيه . قال الفضل قد والله ياأمير المؤمنين وطنت نفسى على ذلك متقدما فلا تجعلنه وعيدا . قال الرشيد لا أجعله وعيدا . قال الاصمعى الآن البس رداء التيه على العرب كلها وانى أرى الخليفة والوزير هما يتناظران فى المواهب لى. فمررت فى سنن الانشاد حتى بلغت الى قوله:

تزجي أغن كان ابرة روقـه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فاستوى جالسا ثم قال أتحفظ فى هذا شيئا قلت نعم ياأمير المؤمنين كان الفرزدق لما قال عدى :
* تزجي اغن كان ابرة روقه * قال لجرير أى شيء تراه يناسب هذا تشبيها . فقال جرير :
* قلم أصاب من الدواة مدادها * فما رجع الجواب حتى قال عدى * قلم أصاب من الدواة مدادها * فقلت لجرير ويحك لكان سمعك مخبوء فى فؤاده . فقال جرير اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام . ثم قال الرشيد مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

ولقـد أراد الله اذ ولاكها * من أمـة اصـلاحها و رشادها

قال الفضل كذب ومابر . قال الرشيد ماذا صنع اذ سمع هذا قلت ذكرت الرواة ياأمير المؤمنين انه قال لا حول ولا قوة الا بالله . قال مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

لم تاته السـلاب الاعنـوة * غصبا وبجمع للحروب عتادها

قال الرشيد لقـد وصفه بحزم وعزم لا يعرض بينهما وكل ولا استدلال . قال فماذا صنع قلت ياأمير المؤمنين ذكرت الرواة انه قال ماشاء الله قال أحسبك وهمان . قلت ياأمير المؤمنـين أنت أولى بالهداية فليردنى أمير المؤمنين الى الصواب . قال انما هذا عند قوله :

ولقـد أراد الله اذ ولاكها * من أمة اصلاحها و رشادها

ثم قال والله ماقلت هذا عن سمع ولكنى أعلم ان الرجل لم يكن يخطىء فى مثل هذا . قال الاصمعى وهو والله الصواب . ثم قال مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

٢ وعلمت حتى ماسائل عن * حرف لكننى ازدادها

قال وكان من خبرهم ماذا قلت ذكرت الرواة ان جريرا لما أنشد عدى هذا البيت . قال بلى والله وعشرمئين قال عدى وقر فى سمعى أثقل من الرصاص هذا والله ياامير المؤمنـين المديح المنتقى . قال الرشـيد والله انه لنقى الـكلام فى مدحه وتشبيبه . قال الفضـل ياأمير المؤمنـين لا يحسن عدى ان يقول :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * واعظم الناس احلاما اذا قدروا

قال الرشيد بلى قد أحسن . ثم التفت الى فقال ماحفظت له فى هذا الشعر شيئا حين قال :

أطفات نيران الحروب وأوقدت * نار قدحت براحتيك زنادها

قلت ذكرت الرواة انه ياأمير المؤمنين حك يمينا بشمال مقتدحا بذلك . ثم قال الحمـد الله على هبـة

الانعام . قال الرشيد رويت لذى الرمة شيئاً قلت الاكثر يا أمير المؤمنين . قال والله لا أسألك سؤال امتحان ولا كان هذا عليك ولكنني أجعله سبباً للمذاكرة فان وقع عن عرفانك والا فلا ضيق عليك بذلك عندى فما أراد بقوله :

ممرامرت منية أسدية * ذراعية حلالة بالمصانع

قلت وصف يا أمير المؤمنين حماراً وحشياً اسمنه بقل روضة تشابكت فروعه ثم تراسخت عروقه من قطر سحابة كانت فى نوء الاسد ثم فى الذراع منه . قال أصبت أفترى القوم علموا هذا من نجوم بنظرهم بل هو شىء قلما يستخرج بغير أسباب للذين دونت لهم أصوله واداه الى أهله الاوهام أو الشؤن فالله أعلم بذلك . قلت يا أمير المؤمنين هذا تسور فى كلامهم ولا أحسبه الاعن أثر التى اليهم قلما أجد الاشياء يعزها الفكر فى القلوب فان ذهبت الى انه هبة الله ذكرهم بها ذهبت الى ما تجارينى فيه الاوهام . ثم قال أرويت للشماخ شيئاً قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال يعجبنى من قوله هذا :

اذا رد فى ثنى الزمام ثنت له * جراناً كخوط الخيزران المعوج

قلت يا أمير المؤمنين هى عروس كلامه . قال فايها الحسن الآن من كلامه قلت الرائية وأنشدته أبياتاً منها قال امسك . ثم قال استغفر الله ثلاثاً أخر قليلا واجلس فقد أمتعت منشداً ووجدناك محسناً فى أدبك معبراً عن سرائر حفظك . ثم التفت الى الفضل فقال الكلام هؤلاء ومن تقدم من الشعراء ديباج الكلام الحسن وان يزيدك على القدم جدة وحسناً فاذا جاءك الكلام المزين بالبديع جاءك الحرير الصينى المذهب يبقى على المحادثة فى أنف الروايات فاذا أمتعته الاسماع ولذ فى القلوب لها رونق صواب ولكن فى الاقل . ثم قال يعجبنى مثل قول مسلم فى أبيك وأخيك الذى امتدحهما به مخاطباً حليلته مفتخراً عليها بطول الرأى فى اكتساب المغانم حيث قال :

أجدك هل تدرين ان رب ليلة * كان دجاها من قرونك ينشر

صبرت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

أفرأيت ما ألطف ما جعلهما معدناً لكمال الصفات ومحاسنها . ثم التفت الى فقال أجد ملالة ولعل أبا العباس يكون لذلك أنشط وهو لنا ضيف فى ليلتنا هذه فاقم عنده مسامراله . ثم نهض فتبادر الخدم فامسكوا بيده حتى نزل عن فرشه . ثم قدمت النعل فجعل الخادم يسوى عقب النعل فى رجله فقال ارفق ويحك حسبك قد عقرتنى . قال الفضل لله در العجم ما أحكم صنعتهم لو كانت سيرية

ما جيجت الى هذه الكليفة . قال هذه نعلى ونعل آبائى رحمة الله عليهم وتلك نعلك ونعل آبائك لا تزال تعارضنى فى الشىء ولا أدعك بغير جواب بعضك . ثم قال ياغلام على بصالح الخادم فقال يؤمر له بتعجيل ثلاثين ألف درهم فى ليلته هذه . قال الفضل لولا انه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه أحد غيره لدعوت له بمثل ما أمر به امير المؤمنين فدعا له بمثل ما أمر الا الف درهم و يصبح من غد فيلتى الخازن ان شاء الله قال الاصمعى فما صليت الظهر الا و فى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم . وقال دعبل :

يموت ردىء الشعر من غير أهله * وجيده يبقى وان مات قائله

وقال أيضا :

انى اذا قلت بيتا مات قائله * ومن يقال له والبيت لم يمت

٩ — باب من استعدى عليه من الشعراء — لما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بالشعر الذي يقول فيه:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

استعدى عليه عمر بن الخطاب وأنشده البيت فقال ما أرى به باسا . قال الزبرقان والله يا أمير المؤمنين ما هجيت ببيت قط أشد على منه فبعث الى حسان بن ثابت وقال انظر ان كان هجاه فقال ما هجاه ولكن سلح عليه ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء فى هذا البيت ولكنه كره أن يتعرض لشأنه . فبعث الى شاعر مثله وأمر بالحطيئة الى الحبس . وقال يا خبيث لاشغلنك عن أعراض المسلمين . فكتب اليه من الحبس يقول :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه * ألقت اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم قد كانت الاثر

فامر باطلاقه وأخذ عليه أن لا يهجو رجلا مسلما . ولما هجا النجاشى رهط تميم بن مقبل استعدوا عليه عمر بن الخطاب وقالوا يا أمير المؤمنين انه هجانا قال وما قال فيكم قالوا قال :

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة * فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

قال عمر هـذا رجـل دعا فان كان مظلوما استجيب له وان لم يكن مظلوما لم يستجب له قالوا فانه قد قال بعد هذا :

قبيلته لا يخفرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل
وما سمى العجلان الا لقولهم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال عمر ليت آل الخطاب مثل هؤلاء فان ذلك احم لهم وأمكن قالوا فانه يقول بعد هـذا ٢ قال عمر سيد القوم خادمهم فما أرى بهذا بأسا ونظير هذا قول معاوية لابى بردة بن أبى موسى وكان دخل حماما فزحمه رجل فرفع الرجل يده فلطم بها أبا بردة فاثر فى وجهه . فقال فيه عتبة الاسدى :

فلا يضرم الله اليمين التى لها * بوجهك يا ابن الاشعرين ندوب

قال فاستعدى عليه معاوية وقال انه هجانى قال وما قال فيك قال فانشده البيت . قال معاوية هذا رجل دعا ولم يقل الا خيرا قال فقد قال غير هذا قال وما قال . فانشده :

وأنت امرؤ فى الاشعرين مقابل * وفى البيت والبطحاء أنت غريب

قال معاوية واذا كنت مقابلا فى قومك فما عليك أن لا تكون مقابلا فى غيرهم قال فقد قال غير هذا قال وما قال قال :

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا وجذذتموها * فهل من قائم أو من حصيد
فهبنا أمة هلكت ضياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد
أتطمع بالخلود اذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود
ذروا خول الخلافة واستقيموا * وتامين الاراذل والعبيد

قال فما منعك يا أمير المؤمنين ان تبعث اليه من يضرب عنقه قال أفلا خير من ذلك قال وما هو قال نجتمع أنا وأنت فنرفع أيدينا الى السماء وندعو عليه فما زادان زوى . استعدى قوم زيادا على الفرزدق وزعموا انه هجاهم فارسل فيه وعرض له أن يعطيه فهرب منه وانشد :

دعانى زياد للعطاء ولم أكن * لاقربه ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم * رجال كثير قد يرى بهم فقرا
فلما خشيت أن يكون عطاؤه * اداهم سودا أو مدحرجة سمرا

نهضت الى عيسٍ تجون متونها * سرى الليل واستعراضها البلد القفرا
يؤم بها الموماة من لا يرى له * لدى ابن أبى سفيان جاها ولا عذرا

ثم لحق بسعيد بن العاص وهو والى المدينة فاستجار به وأنشده شعره الذى يقول فيه

اليك فررت منك ومن زياد * ولم أحسب دماءكما حلالا
فان يكن الهجاء أحل قتلى * فقد قلنا لشاعركم وقالا
ترى الغر السوابق من قريش * اذا ما الامر بالحدثان حالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

ولما بلغ التهاجى بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أم الحكم أرسل يزيد بن معاوية الى كعب ابن جعيل . فقال له ان عبد الرحمن بن حسان فضح عبد الرحمن بن أم الحكم فاهج الانصارى . فقال أرادى أنت الى الاشراك بعد الايمان لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أدلك على غلام مناضرى فدله على الاخطل فارسل اليه فهجا الانصار . وقال فيه :

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار
قوم اذا حضر العصير رأيتهم * حمرا عيونهم من المسطار
واذا نسبت الى الفريعة خلته * كالجحش بين حمارة وحمار
فدعوا المكارم لستم من أهلها * وخذوا مساحيكم بنى النجار

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الانصارى . فلما بلغه الشعر أقبل حتى دخل على معاوية ثم حسر العمامة عن رأسه . وقال يا معاوية هل ترى من لؤم قال ما أرى الا كرما . قال فما الذى يقول فينا عبد الاراقم :

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار

قال قد حكمتك فيه قال والله لا رضيت الا بقطع لسانه . ثم قال :

معاوى الا تعطنا الحق نعترف * لحى الاسد مشدودا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الاراقم ظلمه * وماذا الذى تجرى عليك الاراقم
فمالى ثار دون قطع لسانه * فدونك من ترضيه عنك الدراهم

فقال معاوية قد وهبتك لسانه وبلغ الاخطل . فلجا الى يزيد بن معاوية فركب يزيد الى النعمان

فاستوهبه اياه فوهبه له . ومن قول عبد الرحمن بن حسان فى عبد الرحمن بن أم الحكم :

وأما قولك الخلفاء منا * فهم منعوا ورِيدك من وداج
ولولاهم نضحت كحوت بحر * هوى فى مظلم الغمرات داج
وهم دعج وولد أبيك زرق * كأن عيونهم قطع الزجاج

وقال يزيد لابيه ان عبد الرحمن بن حسان يشبب بابنتك رملة قال وما يقول فيها قال يقول :

هى بيضاء مثل لؤلؤة الغواص صيغت من لؤلؤ مكنون

قال صدق قال ويقول :

واذا ما نسبتها لم تجدها * فى نساء من المكارم دون

قال صدق ايضا قال ويقول :

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشى فى مرمر مسنون

قال كذب قال ويقول فيه فى مرمر قال ما فى هذا شىء قال فهلا تبعث اليه من يأتيك برأسه . قال يابنى لو فعلت ذلك لكان اشد عليك لانه يكون سببا للخوض فى ذكره فيكثر مكثر ويزيد زائد اضرب عن هذا صفحا واطو دونه كشحا . ومن قول عبد الله بن قيس المعروف بالرقيات يشبب بعاتكة ابنة يزيد بن معاوية :

أعاتك يابنت الخلائف عاتكا * أنيلى فتى أمسى بحبك هالكا
تبدت وأتراب لها فقتلننى * كذلك يقتلن الرجال كذلكا
يقلبن ألحاظا لهن فواترا * ويحملن ما فوق النعال سبائكا
اذا غفلت عنا العيوب التى نرى * سلكن بها حيث انتهين المسالكا
وقلن لنا لو نستطيع نزاركم * طبيبان منا عالمان بدائكا
فهل من طبيب بالعراق لعله * يداوى سقيما هالكا متهالكا

فلم يعرض له يزيد للذى تقدم من وصاية أبيه معاوية فى رملة . تحدثت الرواة أن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج فارتاع من نظر الحجاج اليه فدعا به . فلما وقف بين يديه قال :

فداك أبى ضاقت بى الارض رحبها * وان كنت قد طوفت كل مكان

وان كنت بالعفيفاء أو بتخومها * ظننتك الا أن تصــد ترانى

فقال لا عليك فوالله ان قلت الا خيرا انما قلت هذا الشعر :

يخنين أطراف البنان من التقى * و يخرجن وسط الليل معتجرات

ولــكن أخبرنى عن قولك :

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن بان يلقينه حذرات

فى كم كنت قال والله ان كنت الا على حمار هـزيل ومعى رفيق على أتان . قال فتبسم الحجاج ولم يعرض له . وهذه الابيات لابن نمير فى زينب بنت يوسف :

لم تر عيــنى مثل سرب أريته * خرجن من التنعيم معتجرات

مررن بفج ثم رحن عشــية * يلبين للرحمــن مؤتجــرات

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن بان يلقينه حــــذرات

دعت نسوة شم العــرانين بدنا * نواضر لا شــعثا ولا غبرات

فادنين لما قمن يحجبن دونهـا * حجابا من القسى والحــبرات

أجل الذى فوق السموات عرشه * أوانس بالبطحاء معتمرات

يخنين أطراف البنان من التــقى * ويخرجن وسط الليل معتجرات

وكان الفرزدق قد عرض بهشام بن عبد الملك فى شعره . والبيت الذى عرض به فيه قوله :

يقلب عينا لم تكن لخليفة * مشوهة حولاء جما عيوبها

فكتب هشام الى خالد بن عبد الله القسرى عامله على العراق يأمره بحبسه فحبسه حتى دخل جرير على هشام فقال ياأمير المؤمنــين انك تريد أن تبسط يدك على بادى مضر وحاضرها فاطلق لها شاعرها وســيدها الفرزدق . فقال له هشام أوما يسرك ما أخزاه الله قال ما أريد أن يخزيه الله الا على يدى فأمر باطلاقه ﴿ أى بيت تقوله العرب أشعر ﴾ قيل لابى عمرو بن العلاء أى ابيت تقوله العرب أشعر . قال البيت الذى اذا سمعه سامعه سولت له نفســه أن يقول مثله ولان يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله . وقيل للاصمعى : أى بيت تقوله العرب أشعر قال الذى يسابق لفظه معناه . وقيل للخليل : أى بيت تقوله العرب أشــعر قال البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته . وقيل لعميرة : أى بيت تقوله العرب أشعر قال البيت الذى

لا يحجبه عن القلب شئ وأحسن من هذا كله قول زهير :

وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

﴿أحسن ما يجتلب به الشعر﴾ قالت الحكماء: لم يستدع شارد الشعر باحسن من الماء الجارى والمكان الخالى والشرف العالى وتأول بعضهم الخالى يريد الخالى من النوار يعنى الرياض وهو توجيه حسن . ولقى أبو العتاهية : الحسن بن هانئ فقال له أنت الذى لا تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك قال وكيف ينبغى للشعر أن يقال الا على هكذا قال اما أنى أقوله على الكنيف قال ولذلك توجد فيه الرائحة . وقال عبد الملك بن مروان : لارطاة بن سمية هل تقول الآن شعرا قال ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب فلا يقال الشعر الا بواحدة من هذه . وقيل للحطيئة : من أشعر الناس فأخرج لسانا رقيقا كانه لسان حية وقال هذا اذا طمع وقيل لكثير عزة : لم تركت الشعر قال ذهب الشباب فما أعجب وماتت عزة فما أطرب ومات عبد العزيز فما أرغب يريد عبد العزيز بن مروان . وقالوا : أشعر الناس النابغة اذا رهب وزهير اذا غضب وجرير اذا رغب . وقال عمرو بن هند : لعبيد بن الابرص ولقيه فى يوم بؤسه أنشدنى من شعرك قال حال الجريض دون القريض . وقد يمتنع الشعر على قائله ولا يسلس حتى يبعثه خاطر أو صوت حمامة . وقال الفرزدق : أنا أشعر الناس عند الياس وقد يأتى على الحين وقلع ضرس عندى أهون من قول بيت شعر . وقال الراجز :

انما الشعر بناء * يبتنيه المبتنونا * فاذا ما نسقوه

كان غثا أو سمينا * ربما واتاك حينا * ثم يستصعب حينا

وأسلس ما يكون الشعر فى أول الليل قبل الكرى وأول النهار قبل الغذاء وعند مفاجاة النفس واجتماع الفكر . وأقوى ما يكون الشعر عندى على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة . قيل للخزيمى : ما بال مدائحك لمحمد بن منصور أحسن من مراثيك . قال كنا حينئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد . والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس أن كثير عزة والكميت بن زيد كانا شيعيين غاليين فى التشيع وكانت مدائحهم فى بنى أمية أشرف وأجود منها فى بنى هاشم وما لذلك علة الا قوة أسباب الطمع . وقيل لكثير عزة : ياأبا صخر كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر قال اطوف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة فان نفرت عنك القوافى وأعيت عليك المعانى فروح قلبك واجم ذهنك وارتصد لقولك فراغ بالك وسعة

ذهنك فانك تجد فى تلك الساعة مايمتنع عليك يومك الاطول وليلك الاجمع

١٠ — من رفعه المدح ووضعه الهجاء — قال بلال بن جرير سالت أبى جريرا فقلت له انك لم تهج قوما قط الا وضعتهم غير بنى نجاء . قال يابنى انى لم أجد شرفا فاضعه ولا بناء فاهدمه . وقد يكون الشئ مدحا فيجعله الشعر ذما و يكون ذما فيجعله الشعر مدحا . قال حبيب الطائى فى هذا المعنى :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

يرى حكمة مافيه وهو فكاهة * ويقضى بما يقضى به وهو ظالم

الا ترى الى بنى عبد المدان الحارثيين كانوا يفخرون بطول أجسامهم وقديم شرفهم حتى . قال فيهم حسان هذا :

لا باس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

فقالوا له والله ياابا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر اجسامنا بعد أن كنا نفخر بها . فقال لهم ساصلح منكم ماافسدت . فقال فيهم:

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذى جسم يعد وذى بيان

كانك أيها المعطى لسانا * وجسما من بنى عبد المدان

وكان بنو أنف الناقة يعيبون بهذا الاسم فى الجاهلية حتى قال فيهم الحطيئة:

سيرى امامى فان الاكثرين حصى * والاكرمين اذاما ينسبون أبا

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوى بانف الناقة الذنبا

فعاد هذا الاسم فخرا لهم وشرفا فيهم . وكان بنو نمير أشراف قيس وذوائبها حتى قال فيهم جرير هذا:

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما بقى نميرى الا طأطأ رأسه . وقال حبيب :

فسوف يزيد كم ضعة هجائى * كما وضع الهجاء بنى نمير

وقد كان المحلق بن خيثم بن شداد خاملا لا يذكر حتى طرقه الاعشى فى فتية وليس عنده الا ناقة فأتى أمه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رأيتى ان تأذنى فى نحر الناقة . قالت نعم يابنى فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابا وشوى لهم بعض لحمها فاصبح الاعشى ومن معه غادين فلم يشعر

الحلق حتى أتته القصيدة التى أولها :

ارقت وما هــذا السـهاد المؤرق * ومابى من سقم ومابى تعشق
لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار فى يفاع تحرق
تشـب لمقـرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبانى ثدى أم تقاسما * باسحم داج عوض لا يتفرق
ترى الجود يسرى سائلا فوق وجهه * كما زان متن الهندوانى رونق

فلما أتته القصيدة جعلت الاشراف تخطب اليه وتقول وبات على النار الندى والمحلق . وقوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شىء تفعله الفرس لا يفترقوا أبد الدهر :

﴿ مايعاب من الشعر وليس بعيب ﴾ قال الاصمعى : سمعت حماد الراوية وانشد رجل بيتا لحسان :

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبـل

فقال مايعرف هذا الا فى كلاب الحانات . وانشده آخر قول الشاعر :

* لمن منزل بين المذانب فالجسر * فقال مايعرف هذا الا دار الياسريين

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الفرزدق:

أيا ابنة عبدالله وابنــة مالك * ويابنت ذى البردين والفرس الورد

فقال من جهل المعنى ولم يعرف الخبر مافى هذا من المدح ان يمدح رجــلا بلباس البردين وركوب فرس ورد انما معناه ما قال أبو عبيــدة ان وفود العرب اجتمعت عند النعمان . فاخرج اليهم بردى محرق وقال ليقم اعز العــرب قبيــلة فليلبسهما . فقام عامر بن أحيمر بن بهــدلة فاتزر باحدهما وتردى بالآخر . فقال له النعمان أنت أعز العرب قبيلة . قال العز والعــدد من العرب فى معد . ثم فى نزار . ثم فى مضر . ثم فى خندف . ثم فى تميم . ثم فى سعد . ثم فى كعب . ثم فى عوف . ثم فى بهدلة . فمن أنكر هذا من العرب فلينافرنى فسكت الناس . فقال النعمان هذه عشيرتك فكيف أنت كما تزعم فى نفسك وأهل بيتك . قال أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة . واما أنا فى نفسى فهــذا شاهدى ثم وضع قدمه فى الارض وقال من أزالهــا فله مائة من الابل فلم يتعاط ذلك أحد . فذهب بالبردين فسمى ذا البردين . وفيه يقول الفرزدق :

فما تم فى سـعد ولا آل مالك * غلام اذ ماقيــل لم يتبهـدل

لهم وهب النعمان بردى محرق * لمجد معد والعديد المحصل

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الأعشى فى فرس النعمان وكان يسمى اليحموم :

ويأمر لليحموم كل عشية * بقت وتعليف فقد كاد يسبق

فقالوا اما يمدح به أحد من السوقة فضلا عن الملوك ان يقوم بفرس ويأمر له بالعلف حتى كاد يسبق وليس هذا معناه . وانما المعنى فيه ما قال أبو عبيدة ان ملوك العرب بلغ من حزمها ونظرها فى العواقب ان أحدهم لا يبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريبا منه مخافة عدو يفجؤه أو حالة تصعب عليه . فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم فيتعاهده كل عشية وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بافنية البيوت . ومما عابوه وليس بعيب قول زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارياح والديم

فنقض فى عجز هذا البيت ما قال فى صدره لانه زعم ان الديار لم يعفها القدم . ثم انه انتبه من مرقده فقال بلى عفاها وغيرها أيضا الارياح والديم وليس هذا معناه الذى ذهب اليه . وانما معناه ان الديار لم تعف فى عينه من طريق محبته لها وشغفه بمن كان فيها . وقال غيره فى هذا المعنى ما هو أبين من هذا وهو :

ألا ليت المنازل قد بلينا * فلا يرمين عن شرف حزينا

فقوله الا ليت المنازل قد بلينا أى بلى ذكرها ولكنها تجدد على طول البلاء يتجدد ذكرها وقال الحسن بن هانئ فى هذا المعنى فلخصه وأوضحه وشنفه وقرظه حيث يقول :

لمن دمن تزداد طول نسيم * على طول ما أقوت وحسن رسوم

تلافى البلى فيهن حتى كأنما * لبسن على الاقواء ثوب نعيم

ومما عيب من الشعر وليس بعيب ما يروى عن مروان بن الحكم انه قال لخالد بن يزيد بن معاوية وقد استنشده من شعره فانشده :

فلو بقيت خلائف آل حرب * ولم يلبسهم الدهر المنونا

لاصبح ماء أهل الارض عذبا * وأصبح لحم دنياهم سمينا

فقال له مروان منونا وسمينا والله انها القافية ما اضطرك اليها الا العجز وهذا مما لا عجز فيه ولا عابه أحد فى قوافى الشعر وما أرى العيب فيه الا على من رآه عيبا لان الياء والواو يتعاقبان فى اشعار

العرب كلها قديمها وحديثها . وقال عبيد بن الابرص :

وكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لايؤب
من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لايخيب

ومثله من المحدثين :

أجارة بيتينا عليك غيور * وميسور مايرجى لديك عسير

ومما عيب من الشعر وليس بعيب قول ذى الرمة :

رأيت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

ولما أنشدوا هذا الشعر بلال بن أبى بردة قال ياغلام مر لصيدح بقت علف فانما هى انتجعتنا وهذا من التعنت الذى لا انصاف معه لان قوله انتجعى بلالا انما أراد نفسه . ومثله فى كتاب الله تعالى « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها » وانما أراد أهل القرية وأهل العير . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى بعض مايرتجز به من شعره :

اليك يعدو قلقا وضينها * مخالفا دين النصارى دينها

فجعل الدين للناقة وانما أراد صاحب الناقة ولم تزل الشعراء فى اماديحها تصف النوق وزيارتها لمن تمدحه ولكن من طلب تعنتا وجده أوتجنيا على الشاعر أدركه عليه كما فعل صريع الغوانى بالحسن ابن هانئ حين لقيه . فقال له مايسلم لك بيت عندى من سقط قال فاى بيت اسقطت فيه . قال انشدنى لك أى بيت ينسب فانشده :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح صباحا

فقال له قد ناقضت فى قولك كيف يمله ديك الصباح صباحا وانما يبشره بالصبوح الذى ارتاح له . فقال له الحسن فانشدنى انت من قولك فانشده :

عاصى الغرام فراح غير مفند * واقام بين عزيمة وتجلد

قال له قد ناقضت فى قولك انك قلت عاصى الغرام فراح غير مفند . ثم قلت واقام بين عزيمة وتجلد فجعلت رائحا مقيما فى مقام واحد والرائح غير المقيم . والبيتان جميعا مؤتلفان ولكن من طلب عيبا وجده . ومما عابه ابن قتيبة وليس بعيب قول المرقش الاصغر :

صحا قلبه عنها على ان ذكرها * اذا ذكرت دارت به الارض قائما

فقال له كيف يصحو من كانت هذه صفته والمعنى صحيح وانما ذهب الى أن هذه بعد ما تقدم من سوء حاله حالة صحو عنده ومثل هذا فى الشعر كثير لان بعض الشر أهون من بعض . وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى عمه ابى طالب انه اخف الناس عذابا يوم القيامة يحذى نعلين من نار يغلى منهما دماغه . وهذا من العذاب الشديد وانما صار خفيفا عند ما هو اشد منه . فزعم المرقش انه عند تفسه صاح اذ تبدل حاله الى اسهل مما كان فيه . وقد عاب الناس قول الحسن بن هانئ :

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

فقالوا كيف تخافه النطف التي لم تخلق ومجاز هذا قريب اذا لحظ ان من خاف شيا خافه بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه وروحه والنطف داخلة فى هذه الجملة . فهو اذا أخاف اهل الشرك أخاف النطف التي فى اصلابهم . وقال الشاعر :

الا ترنى لمكتئب * يحبك لحمه ودمه

وقال المكفوف :

احبكوا حبا على الله اجره * تضمنه الاحشاء واللحم والدم

ولقى العتابى : منصورا النميرى فساله . فقال انى لمدهوش وذلك انى تركت امرأتى وقد عسر عليها ولادها فقال له العتابى الا ادلك على ما يسهل عليها . قال وما هو قال اكتب على رحمها هرون قال وما معناك فى هذا . قال ألست القائل فيه :

ان أخلف القطر لم تخلف مواهبه * اوضاق امر ذكرناه فيتسع

فقال بالخلفاء تعرض واياهم تتبع فيقال فغدا على هرون فاعلمه ما كان من قول العتابى . فكتب الى عبد الصمد فكتب اليه عمه يشفع له فوهبه له

١١ — تقبيح الحسن وتحسين القبيح — سئل بعض علماء الشعر من أشعر الناس قال الذى يصور الباطل فى صورة الحق والحق فى صورة الباطل بلطف معناه ورقة فطنته فيقبح الحسن الذى لا أحسن منه ويحسن القبيح الذى لا أقبح منه . فمن تحسين القبيح قول الحرث ابن هشام يعتذر من فراره يوم بدر :

الله أعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا مهرى باشقر مزبد

وعلمت أنى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى

فصرفت عنهم والاحبة فيهم * طمعالهم بعقاب يوم مفسد

وهذا الذى سمعه صاحب زبيل . فقال يامعشر العرب حسنتم كل شئ فحسن حتى الفرار .

ومن تقبيح الحسن قول بشار العقيلى فى سليمان بن على . وكان وصل رجلا فاحسن :

ياسوأة يكثر الشيطان ان ذكرت * منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن لخير زال عن يده * فكوكب النحس يسقى الارض أحيانا

وقال غيره فى تقبيح الحسن :

يقولون لى انى بخيل بنائلى * وللبخل خير من سؤال بخيل

وقال المتلمس فى تحسين القبيح :

ياعائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغنى أكبر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى ان صح منك النظر

انك تعصى كى تنال الغنى * وليس تعصى الله كى تفتقر

ومن تحسين القبيح انه قيل لجذيمة الابرص ماهذا الوضح الذى بك . قال سيف الله الذى جلاه . وقال ابن حسان وكان به برص :

لا تحسبن بياضا فى منقصة * ان اللهاميم فى أقرانها بلق

وقال محمود الوراق يمدح الشيب :

وعائب عابنى بشيبى * لم يان لما أبان وقته

فقلت اذ عابنى بشيبى * ياعائب الشيب لا بلغته

وقال آخر :

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب

لقد جل قدر الشيب ان كان كلما * بدت شيبة غدا من اللهو مركب

وقال أعرابى فى عجوز :

أبى القلب الا أم عمرو وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند

كبرد يمان قد تقادم عهده * ورقعته ماشيب فى العين واليد

وقال بشار العقيلى فى سوداء :

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذلونكما واحد * انكما من طينة واحدة

١٢ — الاستعارة — لم تزل الاستعارة قديمة تستعمل فى المنظوم والمنثور . وأحسن ماتكون أن يستعار المنثور من المنظوم والمنظوم من المنثور وهذه الاستعارة خفية لا يؤبه بها لانك قد نقلت الكلام من حال الى حال . وأكثر ما يجتليه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء وانما يجرى فيه الامر على سنن الاول . وأقل ما يأتى لهم المعنى الذى لم يسبق اليه أحد امافى منظوم واما فى منثور لان الكلام بعضه من بعض . ولذلك قالوا فى الامثال ماترك الاول للآخر شيا الاترى ان كعب بن زهير وهو فى الرعيل الاول والصدر المتقدم قد قال :

ماأرانا نقول الامعارا * أومعادا من قولنا مكرورا

ولكن فى قولهم ان الآخر اذا أخذ من الاول المعنى فزاد فيه ما يحسنه ويقربه ويوضحه فهو أولى به من الاول . وذلك كقول الاعشى:

وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

فاخذ هذا المعنى الحسن بن هانئ فحسنه وقربه اذقال :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

وقال القطامى :

والناس من يلق خيرا يأملون له * مايشتهى ولام المخطىء الهبل

أخذه من قول المرقش :

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وقال قيس بن الحطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

أخذه بعض المحدثين فقال :

فشبهتها بدرا بدا منه شقة * وقد سترت خدا فابدت لنا خدا
وأذرت على الخدين دمعا كانه * تناثر درا أو ندا واقع الوردا

وأخذه آخر فقال :

ياقمر النصف من شهره * أبدى صبا لثمان بقين

وأخذه بشار فقال:

ضنت بخد وجلت عن خـد * ثم انثنت كالنفس المـرتد

فلم يفسد الآخر قول الاول ولم يكن الاول بالمعنى أولى من الآخر . قلنا فى هذا المعـنى ماهو أحسن من كل ماتقدم أومثله . وهو قوله :

كأن التى يوم الوداع تعرضت * هـلال بدا محقا عـلى أنه تم

واما الاستعارة : اذا كانت من المنثور فى المنظوم ومن المنظوم فى المنثور فانها أحسن اسـتعارة دخل سهل بن هرون : على الرشـيد وهو يضاحك ابنه المأمون . فقال سـهل اللهم زده من الخيرات وابسط له من البركات حتى يكون بكل يوم من أيامه موفيا على أمسـه مقصرا عن غده فقال له الرشيد ياسـهل من روى من الشـعر أفصحه ومن الحديث أوضحه . وأراد أن يقول لن يعجزه . قال يا أمير المؤمنين ما أعلم أحدا اسبقنى الى هذا المعنى . قال بلى سبقك اعشى همدان حيث يقول :

حسبتك امس خير بنى معد * وأنت اليوم خير منك امس

وأنت غدا تزيد الضعف خـيرا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

وقد يكون مثل هذا وما أشبهه عن موافقة . وقد سئل الاصمعى عن الشاعرين يتفقان فى المعنى الواحد ولم يسمع أحدهما قول صاحبه . فقال عقول الرجال توافت على ألسنتها

١٣ — اختلاف الشعراء فى المعني الواحد — وقد تختلف الشـعراء فى المعنى الواحد وكل واحـد منهم محسن فى مذهبه جار فى توجيهه وان كان بعضـه أحسن من بعض الا ترى ان الشماخ بن ضرار يقول فى ناقته :

اذا بلغتـنى وحملت رحـلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

وقال الحسن بن هانىء فى ضد هذا المعنى ماهو أحسن منه فى محمد الامين :

فاذا المطى بنا بلغن محمـدا * فظهورهن عـلى الرجال حرام

وقال أيضا أقول لناقـتى اذ أبلغتـنى * لقد أصبحت منى باليمين

فلم اجعلك للغربان نحلا * ولا قلت اشرقى بدم الوتين

فقد عاب بعض الرواة قول الشمـاخ واحتج فى ذلك بقول النبى صـلى الله عليه وسـلم للانصارية

المأسورة التي نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم انى نذرت يارسول الله ان نجانى الله عليها ان أنحرها . قال بئسما جزيتيها ولا نذر لاحد فى ملك غيره . وقد قالت الشعراء : فلم تزل تمدح حسن الهيئة وطيب الرائحة واسبال الثوب . قال الفرزدق :

بنو دارم قومى ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها
يجرون أهداب اليمانى كانهم * سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

وأول من سبق الى هذا المعنى النابغة الذبيانى فى قوله :

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب

وقال طرفة :

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

وقال كثير عزة فى اسبال الذيول يمدح بنى أمية :

اشم من الغادين فى كل حلة * يميسون فى صبغ من العصب متقن
لهم ازر حمر الحواشى بطونها * باقدامهم فى الحضرمى الملسن

وقال فيه أيضا :

اذا حلل العصب اليمانى أجادها * أكف اساتيذ على النسج درب
أتاهم بها الجانى فراحوا عليهم * توائم من فضفاضهن المكعب
لها طرر تحت البنائق اذنبت * الى مرهفات الحضرمى المعقرب

وقال آخر :

معى كل فضفاض القميص كانه * اذا ماسرت فيه المدام فتيق

وخالفهم فيه صريع الغوانى فقال :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وقال لبيد بن ربيعة يرثى أخاه عبد الله بن ربيعة و يصفه بتشمير الثوب :

كميش الازار خارج نصف ساقه * بعيد من السوآت طلاع أنجد

مثل قول الحجاج : [1]

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفونى

وقد يحمل معناهم فى تشمير الثوب وسحبه واختلافهم فيه على وجهين أحدهما أن يستحسن بعضهم ما يستقبح بعض . والوجه الثانى وهو أشبه ان يكون لتشمير الثوب موضع ولسحبه موضع كما قال عمرو بن معديكرب :

فيوما ترانا فى الخزوز نجرها * ويوما ترانا فى الحديد عوابسا
ويوما ترانا فى الثريد ندوسه * ويوما ترانا نكسر الكعك يابسا

وقال أعشى بكر لعمرو بن معديكرب :

واذا تجىء كتيبة مكروهة * ملمومة يخشى العدو نزالها
كنت المقدم غير لابس جبة * بالسيف تضرب مقدما ابطالها

وقال مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد خلاف هذا كله وهو :

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يامن الدهر ان يدعى على عجل

ولما انشده يزيد بن مزيد قال له ألا قلت كما قال الاعشى فانشده البيتين فقال قولى احسن من قوله انه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم . وقال عبد الملك بن مروان : لاسيلم بن الاحنف الاسدى ما احسن شئ مدحت به . قال قول الشاعر :

أسيلم ذاكم لاخفا بمكانه * لعين ترى أو الاذن تسمع
من النفر الشم الذين اذا اعتزوا * وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه * وطيب دهنا رأسه فهو أنزع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا * له حول برديه ارقوا وأوسعوا

فقال عبد الملك احسن من هذا قول قيس بن الاسلت :

قد حصت البيضة رأسى فما * اطعم نوما غير تهجاع
أسعى على حى بنى مالك * كل امرئ فى شأنه ساعى

وقال بعضهم :

سالت المحبين الذين تحملوا * تباريح هذا الحب فى سالف الدهر
فقالوا شفاء الحب حب يزيله * لاخرى وطول للتمادى على الهجر

وقال الحمدونى ماهو أحسن من هذا المعنى فى ضده وهو قوله :

زعموا ان من تشاغل بالحب سلا عن حبيبه وأفاقا * كذبوا ما كذا بلونا ولكن

لم يكونوا فيما أرى عشاقا * كيف أسلو بلذة عنك واللذات يحدثن لى اليك اشتياقا

كلما رمت سلوة تذهب الحر * فتزادت قلبى عليك احتراقا

وقال كثير عزة :

أريد لا أنسى ذكرها فكانما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

وقال بعض الناس ان كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ألا قال كما قال مجنون بنى عامر:

فلا خفف الرحمن ما بى من الهوى * ولا قطع الرحمن عن حبها حبى

فما سرنى انى خلى من الهوى * ولو أن لى ما بين شرق الى غرب

وذكر أكثرهم ان بعد العهد يسلى المحب عن حبيبه ، وقالوا فيه :

اذا ماشئت ان تسلوا حبيبا * فاكثردونه عدد الليالى

وقال العباس بن الاحنف :

اذا كنت لا يسليك عمن تحبه * تناء ولا يشفيك طول تلاق

فما أنت الا مستعير حشاشة * لمهجة نفس آذنت بفراق

وقال كثير عزة :

فان تسل عنك النفس أو تدع الصبا * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

ومثله قول بشار :

من حبها أتمنى ان يلاقينى * من نحو بلدتها ناع فينعاها

كيما أقول فراقا لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

وهذه المذاهب كلها خارجة فى معناها جائزة فى مجرها . وقال عبدالله بن جندب :

الا ياعباد الله هذا أخوكم * قتيلا فهل منكم له اليوم واتر

خذوا بدمى ان مت كل خريدة * مريضة جفن العين والطرف ساهر

وقال صريع الغوانى فى ضد هذا :

أديرا على الراح لا تشربا قبلى * ولا تطلبا من عند قاتلتى دخلى

وقالوا : عبدالله بن جندب أحسن فى هذا المعنى لانه انما أراد ان يدل على موضع ثاره واسم قاتله ولم يرد الطلب بالثار لانه لا ثار له . وقد قال عبدالله بن عباس ونظر الى رجل مدنف عشقا :

* هذا قتيل الحب لا عقل ولا قود *

وقال الفرزدق: وأراد مذهب ابن جندب فلم يؤاته رقة الطبع فخرج الى جفاء القول وقبحه فقال

يا أخت ناجية بن سامة التى * أجدى عليك بنى ان طلبوا دمى * لن يتركوك وقد قتلت أباهم

وقال ابن أخت تابط شرا يرثى خاله وقتلته هذيل :

شامس فى القر حتى اذا ما * ذكت الشعرى فبرد وظل

ظاعن بالحزم حتى اذا ما * حل حل الحزم حيث يحل

أخذ معنى البيت الاول أعرابى فسهل معناه وحسن ديباجته . فقال :

اذا نزل الشتاء فانت شمس * وان نزل المصيف فانت ظل

وأخذ معنى البيت الثانى الحسن بن هانئ فقال فى الخصيب :

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

وقالوا فى الخيال فحيوه و رحبوا به . فمن ذلك قول مروان بن أبى حفصة:

* طرقتك زائرة فحى خيالها . وقال * طرق الخيال فحيه بسلام *

وعلى هذا بنيت أشعارهم وخالفهم جرير فطرد الخيال . فقال :

طرقتك زائرة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام

وأول من طرد الخيال طرفة فقال :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فانى راصل حبل من وصل

وأعجب من هذا قول الراعى الذى هجا الخيال فقال:

طاف الخيال باصحابى فقلت لهم * أأم سدرة زارتنى أم الغول

لا مرحبا بابنة الاقيال اذ طرقت * كان محجرها بالقار مكحول

وقد يختلف معنى الشاعر أيضا فى شعر واحد يقوله ألا ترى ان امرأ القيس . قال :

وأن كنت قد ساءتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

فوصف نفسه بالصبر والجلد والقوة على التهالك . ثم أدركته الرقة والاشتياق فقال فى البيت الذى بعده :

أغرك منى ان حبك قاتلى * وانك مهما تأمرى القلب يفعل

مستدركا قوله فى البيت الاول * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل * ولم يزل من تقدم من الشعراء

وغيرهم مجمعين على ذم الغراب والتشاؤم به . وكان اسمه مشتقا من الغربة فسموه غراب البين وزعموا انه اذا صاح فى الديار أقفرت من أهلها وخالفهم أبو الشيص . فقال ما هو أحسن من هذا وأصدق من ذلك كله قوله :

مافرق الاحباب بعد الله الا الابل والناس يلحون غرا * ب البين لما جهلوا
وما اذا صاح غرا * ب فى الديار احتملوا وما على ظهر غرا * ب البين تطوى الرحل
وماغراب البين الا ناقة أو جمل

وقال آخر فى هذا المعنى وذكر الابل :

لهن الوجا اذ كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وكسير
وما الشؤم فى نعب الغراب ونعقه * وما الشؤم الا ناقة وبعير

ومن قولنا فى هذا المعنى :

نعب الغراب فقلت أكذب طائر * ان لم يصدقه رغاء بعير
رد الجمال هو المحقق للنوى * بل شر أحلاس لهن وكور

وقد يأتى من الشعر ما هو خارج عن طبقة الشعراء منفرد فى غرائبه وبديع صنعته ولطيف تشبيهه كقول جعفر بن جرار كاتب ابن طولون:

كم بين نادى وبين لما * وبين بون الى ذما
من رشا أبيض التراقى * أغيد ذى غنة أجما
وطفلة رخصة المرائى * ليست تجلى ولا تسمى
الاوسلك من اللآلى * تعجز من يخرج المعمى
صغرى وكبرى الى ثلاث * من التعاليل أو أعما
وكم معم وأرض لم * وأرض يرم وأرض رما
من طفلة بضة لعوب * تلقاك بالحسن مستتما
منهن ريا وكيف ريا * ريا اذا لاقت المشما
لو شمها طائر بدو * لخر فى الترب أو لهما
تسحب ذايلين من خلوق * قد أفنيا زعفران قما
كانما أحنيا عليها * من طيب ما بشرا وشما
فالقيا زعفران قم * فانغمسا فيه واستحما

فهل تظن اسمها الثريا * يفوح لا مرطها المذما
هيهات ياأخت أهل عما * غلطت فى الاسم والمسمى
لو كان هذا وقيل سم * مات اذا من يقول سما
قدقلت اذ أقبلت تهادى * كطلعة البدر أو أتما
قومى باسر وعة وتخنى * بالبردمثل القداح حما
لو كنت ممن لكنت مما * لكننى قد كبرت مما
عاتبنى الدهر فى عذارى * باحرف فارعويت لما
قوس ما كان مستقيما * وابيض ما كان مدلهما
وكيف تصبو الدمى الى من * كان أخا ثم صار عما
لى عنك ياأخت أهل يم * شغل بما قددنا وجما
فلست من وجهك المفدى * ولست من قدك المحما
أذهلنى عنك خوف يوم * يحيا له كل ماأرما
ما كسبته يدى رهينا * خيرا وشرا أصبت ثما
تحشر فيه الجنان زفا * وتحشر النار فيه زما
تقول هذى لطالبيها * هيت وهذى لهم هلما
نفسى أولى بان أذما * من أمرها كل ما استذما
يانفس كم تخدعين لما * بلبس داج وأكل لما
رعيت من ذى الحطام مرعى * جمعت أكلاله وذما
ويحك فاستيقظى ليوم * تغدو لما قبله مصما
ألم ترى يونس بن عبد السلا على غدا صامتا مرما
فى حفرة مايجيز حرفا * قددك من فوقها وطما
والمزنى الذى اليه * نعشو اذادهرنا ادلهما
احنى فؤادى له عزائى * لكن زفيرى عليه نما
كانما خوفا نخافا * أوحذرا جاشاهما فصما

أقبل سهم من الرزايا * فخص أعلامنا وعما
دكدك منا ذرا جبال * شامخة فى السماء شما
وخصنا دون من عليها * فداومتنا نعم وعما
قد قرب الموت يا ابن أم * فبادر الموت يا ابن أما
واعلم بأن ما عصاك كهلا * من التقى لم يطعك هما
هو الهدى والردى فاما * آتيت آتى الردى واما
مفاترا فاعتبر بحالى * فى طبق مؤصد معمى
قد أسكنتنى الذنوب بيتاً * يخاله الالف مستحما
فهل لدنياك من سبيل * تكون فيها الدهر رهما
فتشكر الله لا سواه * فقل نعماه ان تتما
يا نفس ردى ولا تميلى * فافضل البر ما استتما
ان بهذا الكلام نصحا * ان لم يواف القلوب صما
يارب لى ألف ألف ذنب * ان تعف يارب فاعف جما
فابرد بعفو غليل قلب * كأن فيه رسيس حما

١٤ — ما يجوز فى الشعر مما لا يجوز فى الكلام — قال أبو حاتم : أبيح للشاعر مالم يبح للمتكلم من قصر الممدود ومد المقصور وتحريك الساكن وتسكين المتحرك وصرف مالا ينصرف وحذف الكلمة مالم تلتبس بأخرى كقولهم فل من فلان وحم من حمام . قال الشاعر :

وجاءت حوادث من مثلها * يقال لمثلك ويهافل

وقال مسلم بن الوليد :

سل الناس انى سائل الله وحده * وصائن وجهى عن فلان وعن فل

وقال آخر : * ودعا حمامات تجاوبها حم * ومن المحذوف أيضا قول الشاعر :

لهما أشارير من لحم تتمره * من الثعالى وو خز من أرانيها

يريد من الثعالب ومثله قول الشاعر * وللضفادى جمة نقانق * يريد الضفادع . ومن

المحذوف قول كعب بن زهير :

ويلمها خلة لوانها صدقت * فى وعدها أولوان النصح مقبول

يريد ويل لامها ومنه قولهم لاه أبوك يريدون لله أبوك . وقال الشاعر :

لاه ابن عمك لا يخا * ف المبديات من العواقب

وكذلك الزيادة أيضا اذا احتاجوا اليها فى الشعر . فمن ذلك قول زهير :

* فى ماء شرقى سلمى فيدا وركك * قال الاصمعى سالت نحيبات فيد عن ركك فقيل ماء ههنا يسمى ركا فعلمت ان زهيرا احتاج فضعف . ومنه قول القطامى :

وقول المرء ينفذ بعد حين * مواضع ليس ينفذها الابار

ومثله قولهم كلكال من كلكل ونظيرهذا كثير فى الشعر لمن تتبعه . وأما قصرهم الممدود فجائز فى أشعارهم ومد المقصور عندهم قبيح . وقد يستجاد فى الشعر على قبحه مثل قول حسان بن ثابت

قفاؤك أحسن من وجهك * وأمك خير من المنذر

وأنشد أبو عبيدة :

يالك من تمر ومن شيشاء * ينشب فى الحلق وفى اللهاء

فمد اللهى وهو جمع لهاة كما قالوا قطاة وقطى ونواة ونوى . وأما تحريك الساكن وتسكين المتحرك فمن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

تراك أمكنة اذا لم ارضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

ومثله قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

وقال أمية بن أبى الصلت :

تأبى فما تطلع لهم فى وقتها * الا معذبة والا تجلد

ومن قولهم فى تحريك الساكن :

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسوط قونس الفرس

وأما صرف مالا ينصرف عندهم فكثير والقبيح عندهم أن لا يصرف المنصرف وقد يستجاد فى الشعر على قبحه . قال عباس بن مرداس :

وما كان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع

ومن قولهم فى تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبويه فى كتابه :

عجب الناس وقالوا * شعر وضاح اليمانى

انما شعرى قيد * قد خلط بجلجلان

ولو حرك خلط اجتمع خمس حركات :

١٥ — باب ما أدرك على الشعراء — قال أبو عبد الله بن محمد بن مسلم بن قتيبة أدركت العلماء بالشعر على امرئ القيس قوله

أغرك منى ان حبك قاتلى * وانك مهما تأمرى القلب يفعل

وقالوا اذا لم يغر هذا فما الذى يغر ومعناه فى هذا البيت يناقض البيت الذى قبله حيث يقول :

وان كنت قد ساءتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

لانه ادعى فى هذا البيت فضلا للتجلد وقوة الصبر بقوله * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل *

و زعم فى البيت الثانى انه لا تحمل فيه للصبر ولا قوة على التمالك بقوله:

* وانك مهما تامرى القلب يفعل * وأقبح من هذا عندى قوله:

يظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل

ومما أدرك على زهير قوله فى الضفادع:

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الغم والغرقا

وقالوا ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق وانما ذلك لانهن يبتن فى الشطوط . ومما أدرك على النابغة قوله يصف الثور :

يحيد عن استن سود أسافله * مثل الاماء الغوادى تحمل الحزما

قال الاصمعى انما توصف الاماء فى مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدو لانهن يجئن بالحطب اذا رحن . قال الاخفش التغلبي :

يظل بها ربد النعام كانها * اماء يرحن بالعشى حواطب

وأخذ عليه فى وصف السيف قوله :

يقد السلوقى المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

فزعم انه يفسد الدرع المضاعفة والفارس والفرس . ثم يقع فى الارض فيقدح النار من الحجارة . وهذا من الافراط القبيح . وأقبح عندى من هذا فى وصف المرأة قوله :

ليست من السود أعقابا اذا انصرفت * ولا تبيع باعلى مكة البرما

ومما أخذ عليه قوله :

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

فشبه نفسه بالدلو وشبه النعمان خطاطيف حجن يريد خطاطيف معوجة يمد بها الدلو . وكان الاصمعى يكثر التعجب من قوله :

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته * وهل على بان أخشاك من عار

ومما أدرك على المتلمس قوله :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم

والصيعرية سمة للنوق فجعلها صفة للفحل . وسمعه طرفة وهو صبى ينشد هذا البيت . فقال استنوق الجمل فضحك الناس وصارت مثلا . وأخذ عليه أيضا قوله :

أحارث انا لو تساط دماؤنا * تزايلن حتى لا يمس دم دما

وهذا من الكذب المحال . ومما أدرك على طرفة قوله :

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمر

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

فذكر أنهم يعطون اذا سكروا ولم يشترط لهم ذلك اذا صحوا كما قال عنترة :

واذا شربت فاننى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

ومما أدرك على عدى بن زيد قوله فى صفة الفرس :

فضاف يعرى جله عن سراته * يبذ الجياد فارها متتابعا

ولا يقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وعتيق . ويقال للكودن والبغل والحمار فاره . ومما أدرك عليه وصفه الخمر بالخضرة ولا يعلم أحد وصفها بذلك فقال :

والمشرف الهندى يسقى به * أخضر مطموثا بماء الجريض

ومما أدرك على أعشى بكر قوله :

وقدغدوت الى الحانوت يتبعني * شاومشـل شلول شلشل شلل

وهذه الالفاظ الاربعة فى معنى واحد . ومما أدرك على لبيد قوله :

ومقام ضيق فرجته * بمقامى ولسانى وجـــدل

لو يقوم الفيـل أوفياله * زل عن مثل مقامى وزحل

فظن ان الفيال أقوى الناس كما ان الفيل أقوى البهائم . ومما أدرك على عمرو بن أحمد الباهلى قوله يصف المرأة :

لم تدر ما نسج اليرندج قبلها * ودراس أعوص دارس متجدد

اليرندج جلود سود فظن انه شيء ينسج ودراس أعوص يريد انها لم تدارس الناس عويص الكلام الذى يخفى أحيانا ويتبين أحيانا . وقد أتى ابن أحمر فى شعره باربعة ألفاظ لم تعرف فى كلام العرب منها انه سمى النار ماموسا ولا يعرف ذلك كما قال * تطاير عن ماموسها الشرر . وسمى حوار الناقة مانوسا ولا يعرف ذلك فقال :

حنت قلوصي الى مانوسها جزعا . فما حنينك اما أنت والذكر

وفى بيت آخر يذكر فيه البقرة * وقبس عنها فرقد خضر * أى تأخر ولا يعرف التقبيس . وقال * وتقنع الحرباء أرنبة * يريد ما لف على الرأس ولا تعرف الارنبة فى غير شعره . ومما أدرك على نصيب بن رباح قوله :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى

تلهف على من يهيم بها بعده . ومما أدرك على الراعى قوله فى المرأة :

تكسو المفارق واللبات ذا أرج * من قصب معتلف الكافور دراج

أراد المسك فجعله من قصب والقصب المعى فجعل المسك من قصب دابة تعتلف الكافور فيتولد عنها المسك . ومما أدرك على جرير قوله فى بنى العدوس رهط الاخطل :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

القطين فى هذا الموضع العبيد والاماء . وقيل له أبا حرزة ماوجدت فى تيم شيئا تفخر به عليهم حتى فخرت بالخلافة لا والله ان صنعت فى هجائهم شيأ . ومما أدرك على الفرزدق قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا مسحتا أو مجلف

وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا فيه بشيء يرضى . ومثل ذلك قوله :

غداة أحلت لابن أصرم طعنة * حصين عبيطات السدائف والخمر

فنصب عبيطات السدائف ورفع الخمر وانما هى معطوفة عليها . وكان وجهها النصب فكانه أراد وحلت له الخمر . ومما أدرك على الاخطل قوله فى عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم * لابيض لا أرى الخوان ولا جدب

وهذا مما لا يمدح به خليفة . وأخذ عليه قوله فى رجل من بنى أسد يمدحه وكان يعرف بالقين ولم يكن قينا . فقال فيه :

نعم المجير شهابا من بنى أسد * بالسيف اذ قتلت جيرانها مضر

قد كنت أحسبه قينا وانبؤه * فالآن طير عن أثوابه الشرر

وهذا مدح كالهجاء . ومما ادرك على ذى الرمة :

تصغى اذا شدها بالكور جارحة * حتى اذا ما استوى فى غرزها تثب

وسمعه اعرابى ينشده فقال صرع والله الرجل ألا قلت كما قال عمك الراعى :

وواضعة خدها للزما * م فالخد منها له اصعر

ولا تعجل المرء قبل الركو * ب وهى بركبته ابصر

وهى اذا اقام فى غرزها * كمثل السفينة اواوقر

ومما ادرك عليه ايضا قوله :

حتى اذا دومت فى الارض راجعها * كرا ولو شاء نجى بيته الهرب

قالوا التدويم انما يكون فى الجو يقال دوم الطائر فى السماء اذا حلق واستدار ودوى فى الارض اذا استدار فيها . ومما ادرك على ابى الطمحان القيسى قوله :

لما تخايلت الحمول حسبتها * دوما بايلة ناعما مكموما

الدوم شجر المقل وهو لا يكم وانما يكم النخل . ومما اخذ على العجاج قوله :

كان عينيه من الغؤور * قلتان أو خوجلتا قارور

صيرتا بالنضح والتصبير * صلاصل الزيت الى السطور

الخوجلتان القارورتان جعل الزجاج ينضح ويرشح . ومما أدرك على رؤبة قوله :

كنتم كمن أدخل فى جحر يدا * فاخطا الافعى ولاقى الاسودا

جعل الافعى دون الاسود وهى فوقه فى المضرة . وأخذ عليه فى قوله فى وصف الظليم :

وكل زجاء سحام الخيل * تبرى له فى رعلات خطل

فجعل للظليم عدة اناث كما يكون للحمار وليس للظليم الا أنثى واحدة . وأخذ عليه قوله يصف الراعى * لا يلتوى من عطس ولا نعق * انما هو النعيق والنعاق وانما يصف الرامى . وادرك عليه قوله :

اقفرت الوعثاء والعثاعث * من أهلها والبرق البرارث

انما هى البراث جمع برث وهى الارض اللينة . وادرك عليه قوله * يالتنا والدهر يجرى السمهه * انما يقال ذهب السمهى أى فى الباطل ، وأخذ عليه قوله * أوفضة أوذهب كبريت * قال فسمع بالكبريت انه احمر فظن انه ذهب . ومما يستقبح من تشبيهه قوله فى النساء :

* يلبسن من لين الثياب نيما * والنيم الفرو المقشى * وأخذ عليه قوله فى قوائم الفرس:

* يهوين مساو يقفن وقفا * وانشده سالم بن قتيبة فقال له اخطأت يا أبا الجحاف جعلته مقيدا . قال له رؤبة ادننى من ذنب البعير . ومما ادرك على أبى نخيلة الراجز قوله فى وصف المرأة :

سرية لم تأكل المرققا * ولم تذق من البقول الفستقا

فجعل الفستق من البقول وانما هو شحم . ومما ادرك على أبى النجم قوله فى وصف الفرس :

* يسبح أخراه ويطفو اوله * قال الاصمعى اذا كان كذلك فحمار الكساح أسرع منه لان اضطراب مؤخره قبيح . وانما الوجه فيه ما قال اعرابى فى وصف فرس أبى الاعور السلمى:

مركلمع البرق شام ناظره * يسبح أولاه ويطفو آخره * فما يمس الارض منه حافره

وأخذ عليه أيضاً فى الورود قوله:

جاءت تسامى فى الرعيل الاول * والظل فى أخفافها لم يفصل

فوصف انها وردت فى الهاجرة وانما خير الورود غلسا والماء بارد كما قال الآخر :

* فوردت قبل الصباح الفائق * وكقول لبيد بن ربيعة العامرى * ان من وردى لتغليس النهل * وقال آخر * فوردن قبل تبين الالوان * وأنشد بشار الاعمى قول كثير عزة :

ألا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال لله أبو صخر جعلها عصا خيزرانة فوالله لوجعلها عصا زبد لهجنها ألا قال كما قلت :

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها قطع الجمان

اذا قامت لحاجتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

ودخل العتابى على الرشيد فانشده فى وصف الفرس :

كان أذنيه اذا تشوفا * قادمة أوقلما محرفا

فعلم الناس انه لحن ولم يهتد أحد منهم الى اصلاح البيت غير الرشيد فانه قال قل :

* تخال أذنيه اذا تشوفا * والراجز وان كان لحن فانه أصاب التشبيه . حدث أبو عبد الله محمد بن عرفة بواسط . قال حدثنى أحمد بن محمد بن يحيى عن الزبير بن بكار عن سليمان بن عباس السعدى عن السائب راوية كثير عزة . قال : قال لى كثير عزة يوما قم بنا الى ابن أبى عتيق نتحدث عنده . قال فجئنا فوجدنا عنده ابن معاذ المغنى . فلما رأى كثيرا قال لابن أبى عتيق ألا أغنيك شعر كثير عزة قال نعم فغناه :

أنبئت سعدى انها ستبين * كما انبت من حبل القرين قرين

أأن زم اجمال وفارق جيرة * وصاح غراب البين أنت حزين

كانك لم تسمع ولم تر قبلها * تفرق آلاف لهن حنين

فاخلفن ميعادى وخن أمانتى * وليس لمن خان الامانة دين

فالتفت ابن أبى عتيق الى كثير . فقال وللذين صحبتهم يا ابن أبى جمعة ذلك والله أشبه بهن وأدعى للقلوب اليهن وانما يوصفن بالبخل والامتناع وليس بالوفاء والامانة ذو الرقيات أشعر منك حيث يقول :

حبذا الادلال والغنج * والتى فى طرفها دعج

والتى ان حدثت كذبت * والتى فى ثغرها فلج

خبرونى هل على رجل * عاشق فى قبلة حرج

فقال كثير قم بنا من عند هذا . ومضى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال انى بباب المأمون اذ خرج عبد الله بن السمط . فقال لى علمت ان أمير المؤمنين على كماله لا يعرف الشعر . قلت له وبم علمت ذلك قال اسمعته الساعة بيتا لو شاطرنى ملكه عليه لكان قليلا . فنظر الى نظرة سمجة كاد أن يصطلمنى عليها . قلت له وما البيت فانشد :

اضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قلت له والله لقد حلم عليك اذ لم يؤدبك عليه ويلك واذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يدبر أمرها الا قلت كما قال جدك فى عبد العزيز بن مروان :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغل

فقال الآن علمت انى اخطأت . الهيثم بن عدى قال : دخل رجل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه . فقال يا أمير المؤمنين لقد رأيت ببابك جماعة من الشعراء لا أحسبهم اجتمعوا بباب أحد من الخلفاء فلو أذنت لهم حتى ينشدوك فاذن لهم فانشدوه . وكان فيهم الفرزدق وجرير والاخطل والاشهب بن رميلة وترك البعيث فلم ياذن له . فقال الرجل المستأذن لهم لو أذنت للبعيث فلم ياذن له . وقال انه ليس كهؤلاء انما قال من الشعر يسيرا قال والله يا أمير المؤمنين انه لشاعر فاذن له . فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ان هؤلاء ومن ببابك قد ظنوا انك انما أذنت لهم دوني لفضل لهم علي . قال أولست تعلم ذلك قال لا والله ولا علمه الله لي . قال فانشدني من شعرك قال أما والله حتى انشدك من شعر كل رجل منهم ما يفضحه . فاقبل على الفرزدق فقال قال هذا الشيخ الاحمق لعبد بني كليب :

باى رشاء ياجرير ومائح * تدليت فى حومات تلك القماقم

فجعله يتدلى عليه وعلى قومه من عل وانما يأتيه من تحته لو كان يعقل . وقد قال هذا كلب بني كليب :

لقومى أحمى للحقيقة منكم * وأضرب للجبار والنقع ساطع
واوثق عند المردفات عشية * لحاقا اذا ما جرد السيف لامع

فجعل نساءه لا يثقن بلحاقه الا عشية وقد نكحن وفضحن . وقال هذا النصراني ومدح رجلا يسمى قينا فهجاه ولم يشعر . فقال :

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه * فالآن طير عن أثوابه الشرر

وقال ابن رميلة ورفع أخاه سلمى فقتل :

مددنا وكانت ضلة من حلومنا * بثدى الى أولاد ضمرة أقطعا

فمن يرجو خيره وقد فعل باخيه ما فعل . فجعل الوليد يعجب من حفظه لمثالب القوم وقوة قلبه وقد قال له قد كشفت عن مساوى القوم فانشدني من شعرك فانشده فاستحسن قوله ووصله وأجزل له . ومما عيب على الحسن بن هانىء قوله فى بعض بني العباس :

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

فقالوا من حق الرسول صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى غيره ولو اتسع متسع فاجازه لكان له مجاز حسن . وذلك ان يقول القائل من بني هاشم لغيره من أبناء قريش منا رسول

الله صلى الله عليه وسلم يريد انه من القبيلة التي نحن منها كما قال حسان بن ثابت :

وما زال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عــز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعـفر وابن أمه * عـلي ومنهـم أحمـد المتخـير

فقال منهم كما قال هذا من نهره . ومما أدرك عليه قوله في البعير :

* اخنس في مثل الـكظام مخطمه * والاخنس القصـير المشافر وهو عيب له وانمـا توصف المشافر بالسبوطة . ومما أدرك على أبي ذؤيب قوله في وصف الدرة :

فجاء بها ماشئت من لطمية * يدوم الفـرات فوقها ويموج

قالوا والدرة لا تـكون في الماء الفرات انمـا تـكون في المـاء المالح . اجتمع جرير بن الخطفى وعمر ابن لجا التيمي عند المهاجر بن عبد الله والي اليمـامة . فانشده عمر بن لجا ارجوزته التي يقول فيها :

تلاطـم الجبها على دلائها * تلاطم الازد على عطائها

حتى انتهى الى قوله : تجر بالاهون من دمائها * جر العجوز الشيء من خبائها

فقال جرير ألا قلت * جر الفتاة طرفي ردائها * فقال والله ما أردت الا ضعف العجوز وقد قلت أنت أعجب من هذا وهو قولك :

وأوثق عند المردفات عشـية * لحاقا اذا ما جرد السيف لامع

والله لئن لم يلحقن الا عشية ما لحقن حتى نـكحن واحبلن ووقع الشر بينهما . وقدم عمر بن ابي ربيعة المدينة فاقبل اليه الاحوص ونصيب فجعلوا يتحدثون . ثم سالهما عمر عن كثير عزة فقالوا هو هنا قريب . قال فلو أرسلنا اليه قالا هو اشد مأذى من ذلك قال فاذهبا بنا اليه فقاموا نحوه . فالقوه جالسا في خيمة له فوالله ما قام للقرشي ولا وسع له فجعلوا يتحدثون ساعة فالتفت الى عمر بن ابي ربيعة . فقال له انك لشاعر لولا انك تشبب بالمراة ثم تدعها وتشبب بنفسك . اخـبرني عن قولك : ثم استطيرت تشتد في أثري * تسال اهل الطواف عن عمر

والله لو وصفت بهذا هرة اهلك لـكان كثيرا ألا قلت كما قال هذا يعني الاحوص :

ادور ولولا ان ارى ام جعفر * بابياتـكم مادرت حيث ادور

وما كنت زوارا ولـكن ذا الهوى * وان لم يزر لا بد ان سيزور

قال فانكسرت نخوة عمر بن ابي ربيعة ودخلت الاحوص زهوة . ثم التفت الى الاحوص فقال اخبرني عن قولك :

فان تصلى أصلك وان تبينى * بهجر بعد وصلك ماابالى

اماوالله لو كنت حرا لباليت ولو كسرا نفك الاقلت كما قال هذا الاسودواشار الى نصيب :

بزينب الم قبل ان يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

قال فانكسر الاخوص ودخلت نصيبا زهوة . ثم التفت الى نصيب فقال له اخبرنى عن قولك :

اهيم بدعد ماحييت فان امت * فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى

همك ويحك من يفعل بها بعدك . فقال القوم الله اكبر استوت الفرقة قوموا بنامن عند هذا . ودخل كثير عزة على سكينة بنت الحسين . فقالت له ياابن ابى جمعة اخبرنى عن قولك فى عزة :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

ويحك وهل على الارض زنجية منتنة الابطين توقد بالمندل الرطب نارها الاطاب ريحها ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس :

ألم ترياْنى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

سمر عبد الملك بن مروان ذات ليلة وعنده كثير عزة . فقال له انشدنى بعض ماقلت فى عزة فانشده الى هذا البيت : هممت وهمت ثم هابت وهبتها * حياء ومثلى بالحياء حقيق

فقال له عبد الملك أما والله لولا بيت انشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك . قال ولم يا أمير المؤمنين قال لانك شركتها معك فى الهيبة . ثم استاثرت بالحياء دونها . قال فاى بيت عفوت عنى به يا أمير المؤمنين . قال قولك :

دعونى لاأريد بها سواها * دعونى هائما فمن يهيم

ومما أدرك على الحسن بن هانئ قوله فى وصف الاسد حيث يقول :

كانما عينه اذا التفتت * بارزة الجفن عين مخنوق

وانما يوصف الاسد بغئور العينين كما قال العجاج :

كان عينيه من الغؤور * قلبان اوحوجلتاقارور

وقال ابو زبيد : * كان عينيه نقباوان فى حجر *

ومن قولنا فى وصف الاسد ماهواشبه به من هذا :

ولرب خافقة الذوائب قد غدت * معـــقودة بلوائه المنصـور
يرمى بها الآفاق كل شرنبث * كفاه غـــير مقـــلم الاظفور
ليث تطير له القـــلوب مخافة * مـن بـين همهـمة له و زئير
وكأنمـا يومى اليـــك بطرفـه * عـن جمـرتين بجلمد منقـور

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد ويليه ان شاء الله تعالى الجزء الرابع
وأوله باب من أخبار الشعراء الخ





﴿ الجزء الثالث ﴾

(من كتاب العقد الفريد)

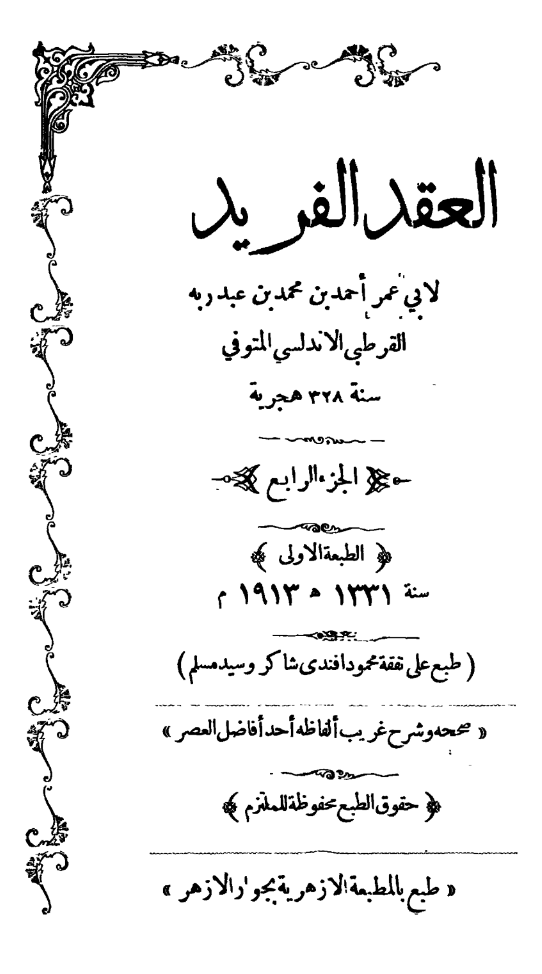
(ذكر ما فيه من الكتب)

كتاب الجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة .
كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة
كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعها
كتاب الزمرذة الثانية فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه

صحيفة

صحيفه

﴿ تم الفهرس ﴾



العقد الفريد

لابي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه
القرطبي الاندلسي المتوفي
سنة ٣٢٨ هجرية

الجزء الرابع

الطبعة الاولى
سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م

(طبع على نفقة محمود افندى شاكر وسيد مسلم)

« صححه وشرح غريب ألفاظه أحد أفاضل العصر »

« طبع بالمطبعة الازهرية بجوار الازهر »



١٨

باب من اخبار الشعراء

حدث دعبل الشاعر انه اجتمع هو ومسلم وأبو الشيص وأبو نواس فى مجلس فقال لهم أبو نواس ان مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده فليأت كل واحد منكم بأحسن ماقال فلينشده . فأنشده أبو الشيص فقال :

وقف الهوى بى حيث انت فليس لى * متأخر عنـه ولا متـقدم
أجـد الملامـة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمـنى اللوم
واهنتنى فاهنت نفسى صاغرا * مامن يهون عليك ممن يكرم
أشبهت اعـدائى فصرت أحبهـم * اذ كان حظى منك حظى منهم

قال فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضى عجبه . ثم أنشد مسلم أبياتا من شعره الذى يقول فيه :

فأقسم انسى الداعيات الى الصبا * يمينا وقد فاجأت والستر واقع
فغطت بايديها ثمار نحورها * كايدى الاسارى أثقلتها الجوامع

قال دعبل فقال لى أبو نواس هات أبا على وكانى بك قد جئتنا بام القلادة فانشدته :

أين الشـباب وأية سلكا * أم أين يطلب ضل أم هلكا
لا تعجبى ياسلم من رجـل * ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعرى كيف صبركما * ياصاحبى اذا دمى سفكا
لا تطلبا بظلامتى احـدا * قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

(ثم سألناه ان ينشد فأنشد أبو نواس)

لا تبك هندا ولا تطرب الى دعد * واشرب على الورد من حمراء كالورد
كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أخذت بحمرتها فى العين والخد
فالخمر ياقوتة والكاس لؤلؤة * فى كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها خمرا ومن يدها * خمرا فما لك من سكرين من بد
لى نشوتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى

فقاموا كلهم فسجدوا له فقال افعلتموها أعجمية لا كلمتكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا ثم قال تسعة ايام فى هجر الاخوان كثير وفى هجر بعض يوم استصلاح للفساد وعقوبة على الهفوة ثم التفت فقال أعلمتم ان حكيما عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه الى العاتب يا أخى ان أيام العمر أقل من ان تحتمل الهجر (محمد بن الحسن المكى) قال أخبرنى الزبير بن أبى بكر قال دخلت على المعتز بالله أمير المؤمنين فسلمت عليه فقال يا أباعبد الله انى قد قلت فى ليلتى هذه أبياتا وقد أعيا على اجازة بعضها قلت أنشدنى فانشدنى وكان نحو ما يقول

انى عرفت علاج القلب من وجع * وما عرفت علاج الحب والجزع
جزعت للحب والحمى صبرت لها * انى لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن حبه وجع * فليس يشغلنى عن حبكم وجعى

(قال أبو عبد الله فقلت)

وما أمل حديثى ليلة ابدا * مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى

فامر لى على البيت بالف دينار (اجتمع) الحسن بن هانئ وصريع الغوانى وأبو العتاهية فى مجلس بالكوفة فقيل لابى العتاهية انشدنا فانشد

اسيدتى هاتى فديتك ماجرمى * فأنزل فيما تشتهين من الحكم
كفاك بحق الله ماقد ظلمتنى * فهذا مقام المستجير من الظلم

(وقيل لصريع الغوانى أنشدنا فانشأ يقول)

قد اطلعت على سرى واعلانى * فاذهب لشأنك ليس الجهل من شانى
ان التى كنت ارجو قصد سيرتها * اعطت رضا وأطاعت بعد عصيان

(ثم قيل للحسن بن هانئ أنشدنا فأنشد)

يا ابنة الشيخ أصبحينا * ما الذى تنتظرينا قد جرى فى عوده الما * ءفأجرى الخمر فينا

(قيل هذا الهزل فهات الجد فانشأ)

لمن طلل عارى المحل دفين * عفا عهده الارواح وهو جرون

كما افترقت عند المبيت حمائم * غريبات ممسى مالهن ركون

ديار التى اما جنى رشفاتها * فحلو واما مسها فيلين

وما انصفت اما الشجون فظاهر * بوجهى واما وجهها فمصون

فقام صريع الغوانى يجر ذيله وخرج وهو يقول ان هذا مجلس ماجلسته ابدا (هشام بن عبد الملك الخزاعى) قال كنا بالرقة مع هرون الرشيد فكتب اليه صاحب الخبر بموت الكسائى وابراهيم الموصلى والعباس بن الاحنف فى وقت واحد فقال لابنه المأمون أخرج فصل عليهم فخرج المأمون فى وجوه قواده وأهل خاصته وقد صفوا له فقالوا له من ترى ان يقدم قال الذى يقول

يابعيد الدار عن وطنه * هائما يبكى على شجنه

كلما جد البكاء به * زادت الاسقام فى بدنه

قيل له هذا واشاروا الى العباس بن الاحنف فقال قدموه فقدم عليهم (أبو عمرو بن العلاء) قال نزل جرير وهو مقبل من عند هشام بن عبد الملك فبات عندى الى الصبح فلما أصبح شخص وخرجت معه أشيعه فلما خرجنا من اطناب البيوت التفت الى فقال انشدنى من قول مجنون بنى الملوح فأنشدته

وأدنيتنى حتى اذا ماسبيتنى * بقول يحل العصم سهل الاباطح

تجافيت عنى حين لالى حيلة * وغادرت ماغادرت بين الجوانح

فقال والله لولا انه لايحسن لشيخ مثلى الصراخ لصرخت صرخة سمعها هشام على سريره وهذا من ارق الشعر كله والطفه لولا التضمين الذى فيه والتضمين ان يكون البيت معلقا بالبيت الثانى لايتم معناه الابه وانما يحمد البيت اذا كان قائما بنفسه (وقال) العباس بن الاحنف نظير قول المجنون بلا تضمين وهو قوله

اشكو الذين اذاقونى مودتهم * حتى اذا ايقظونى بالهوى رقدوا

(وقال الاصمعى) دخلت على هرون الرشيد فوجدته منغمسا فى الفراش فقال ما ابطأ بك يا أصمعى قلت احتجمت يا أمير المؤمنين قال فما أكلت عليها قلت سكباجة وطهباجة قال رميتها بحجرها اتشرب فقلت نعم وقلت

اسقنی حتی ترانی مائلا * وتری عمران دینی قد خرب

قال یامسرور أی شیء معك قال ألف درهم قال ادفعها للاصمعی (كان) یصحب علی بن داود الهاشمی یهودی ظریف مؤنس أدیب شاعر اریب فلما أراد الحج أراد ان یستصحبه فكتب الیه الیهودی یقول

انی أعوذ بداود وحفرته * من ان احج بكره یاابن داود

تبینت ان طریق الحج مصردة * عن النبیذ وماعیشی بتصرید

والله مالی من أجر فتطلبه * فیما علمت ولادینی بمحمود

أما أبوك فذاك الجود یعرفه * وأنت أشبه خلق الله الجود

كأن دیباجتی خدیه من ذهب * اذا تعصب فی أثوابه السود

(حدث) أبو اسحق یحیی بن محمد الحواری قال سمعت شیخا من أهل البصرة یقول قال ابراهیم السویقی مولی المهالبة تتابعت علی سنون ضیقة وألح علی العسر وكثرة العیال وقلة ذات الید وكنت مشتهرا بالشعر أقصد به الاخوان وأهل الاقدار وغیرهم حتی جفانی كل صدیق وملنی من كنت أقصده فأضرنی ذلك جدا فبینما أنا ذات یوم جالس مع امرأتی فی یوم شدید البرد اذ قالت یاهذا قد طال علینا الفقر وأضر بنا الجهد وقد بقیت فی بیتی كانك زمن هذا مع كثرة الولد فاخرج عنی واكفنی نفسك ودعنی مع هؤلاء الصبیان أقوم بهم مرة وأقعد بهم أخری وألحت علی فی الخصومة وقالت لی یامشؤم تعلمت صناعة لاتجدی علیك شیأ فضجرت منها ومن قولها وخرجت علی وجهی فی ذلك البرد والریح ولیس علیّ الا فرو خلق لیس فوقه دثار ولا تحته شعار الا علی عنقی ازار ثم جاءت ریح شدیدة فذهبت به عن یدی وتفرقت أجزاؤه عنی من بلاه وكثرة رقاعه وعلی عنقی ازار لیس علی منه الا رسمه فخرجت والله متحیرا لا أدری أین أقصد ولا حیث أذهب فبینما أنا أجیل الفكرة اذ أخذتنی سماء بقطر متدارك فدفعت علی دار علی بابها روشن مطل ودكان لطیف ولیس علیه أحد فقلت استتر بالروشن الی ان یسكن المطر فقصدت قصد الدار فاذا الجاریة قاعدة قد اجافت باب الدار كالحافظة علیه فقالت لی الیك یاشیخ عن بابنا فقلت أناو یحك لست بسائل ولا أنا ممن تخوف ناحیته فجلست علی الدكان فلما سكنت نفسی سمعت نغمة رخیمة من وراء الباب تدل علی نغمة امرأة فاصغیت فاذا بكلام یدل علی عتاب ثم سمعت نغمة أخری مثل ذلك وهی تقول فعلت وفعلت والاخری تقول بل انت فعلت وفعلت الی ان

قالت احـداهما أناجعلت فداك ان كنت أسأت فاغفري واحفظي في بيتين لمولانا ابراهيم السوبقي فقالت الاخرى وماقال فانه يبلغني عنه اشعار ظريفة فأنشدتها تقول

هبيني يامعـذبتي أسـأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسي * علي اذا أسأت كما أسـأت

فقالت ظرف والله وأحسن فلما سمعت ذكري وذكر مولاتا علمت انها من بعض نسـاء المهالبة فلم أتمالك ان دفعت الباب وهجمت عليهما فصاحتا وراءك ياشيخ عنا حتى نستتر وتوهمتا انني من أهل الدار فقلت لهما جعلت فداكما لاتحتشما مني فاني أنا ابراهيم السوبقي فبالله وبحق حرمتي منكن الا شفعتني فيها ووهبت لي ذنبها واسمعي مني فأنا الذي أقول

خذي بيـدي من الحزن الطويل * فقد يعفو الخليل عن الخليـل
أسـأت فاجمـلي تفـديك نفسي * فما يأتي الجميـل سوى الجميـل

فقالت قد فعلت وصفحت عن ذنبها ثم قالت يا أبا اسحق مالي أراك بهـذه الهيئة الرثة والبزة الخلقة فقلت يامولاتي تعدى علي الدهر ولم ينصفني الزمان وجفاني الاخوان وكسدت بضاعتي فقالت عز علي ذلك وأومأت الى الاخرى فضربت بيدها على كمها فسلت دملجا من ساعدها ثم ثنت باليـد الاخرى فسلت منها دملجا آخر فقالت يا أبا اسحق خذ هـذا واقعد على الباب مكانك وانتظر الجـارية تأتيك ثم قالت ياجارية سكن المطر قالت نعم فقامتا وخرجت وقعـدت مكاني فما شعرت الا والجارية قد وافت بمنـديل فيه خمسة أثواب وصرة فيها ألف درهم وقالت تقول لك مولاتي انفق هذه فاذا احتجت فصر الينا حتى نزيدك ان شاء الله فأخذت ذلك وقمت وقلت في نفسي ان ذهبت بالدملجين الى امرأتي قالت هـذا لبناتي وكابرتني عليهما فدخلت السوق فبعتهما بخمسين دينارا وأقبلت فلما فتحت الباب صاحت امرأتي وقالت قد جئت أيضا بشؤمك فطرحت الدنانير والدراهم بين يديها والثياب فقالت من أين هـذا قلت من الذي تشاءمت به وزعمت انه بضاعتي التي لاتجدي فقالت قد كانت عندي في غاية الشؤم وهي اليوم في غاية البركة

١ — نوادر من الشعر — قال المأمون لمحمد بن الجهم انشدني بيتا أوله ذم وآخره مدح أولك به كورة فأنشده

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم * حسنت مناظرهم لحسن المخبر

فقال له زرنى فأنشده

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

فولاه الدينور (وقال) هرون الرشيد للمفضل الضبي أنشدنا بيتا أوله اعرابى فى شملته هب من نومته وآخره مدنى رقيق غذى بماء العقيق قال المفضل هولت على يا أمير المؤمنين فليت شعرى بأى مهر تفتض عروس هذا الخدر قال هرون هو بيت جميل حيث يقول

ألا أيها النوام ويحكمو هبوا * اسائلكم هل يقتل الرجل الحب

قال له المفضل فاخبرنى يا أمير المؤمنين عن بيت أوله اكثم بن صيفى فى اصابة الرأى وآخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء قال له هرون ماهو قال هو بيت الحسن بن هانىء حيث يقول

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

قال صدقت (قال الربيع) خرجنا مع المنصور منصرفنا من الحج فنزلنا الرضم ثم راح المنصور ورحنا معه فى يوم شديد الحر وقد قابلته الشمس وعليه جبة وشى فالتفت الينا وقال انى أقول بيتا من الشعر فمن أجازه منكم فله جبتى هذه قلنا يقول أمير المؤمنين فقال

وهاجرة نصبت لها جبينى * يقطع حرها ظهر العصابه

فبدر بشار الاعمى فقال

وقفت بها القلوص ففاض دمعى * على خدى واسعدنى عصابه

فخرج له من الجبة فلقيته بعد ذلك فقلت له مافعلت بالجبة قال بعتها بار بعة آلاف درهم (خرج) رسول عائشة بنت المهدى وكانت شاعرة الى الشعراء وفيهم صريع الغوانى فقال تقريكم سيدتى السلام وتقول لكم من أجاز هذا البيت فله مائة دينار فقالوا هاته فأنشدهم

انيلى نوالا وجودى لنا * فقد بلغت نفسى الترقوه

فقال صريع وانى كالدلو فى حبكم * هويت اذا انقطعت عرقوة

فأخذ المائة دينار (وكان) الفرزدق يجلس الى الحسن البصرى وجرير يجلس الى ابن سيرين لتباعد ما بين الرجلين وكان موتهما فى عام واحد وذلك سنة عشر ومائة فبينما الفرزدق جالس عند الحسن اذ جاءه رجل فقال يا أبا سعيد انا نكون فى هذه البعوث والسرايا فنصيب المرأة من العدو وهى ذات زوج أفتحل لنا من غير ان يطلقها زوجها قال الفرزدق قد كنت أنا مثل هذا فى شعرى قال له الحسن وما قلت قال قلت

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلالا لمن يبني بها لم تطلق

قال الحسن صدقت ثم اقبل اليه رجل آخر فقال يا أبا سعيد ما تقول في الرجل يشك في الشخص يبدو له فيقول والله هذا فلان ثم لا يكون هو ما ترى في يمينه فقال الفرزدق وقد قلت أنا مثل هذا قال الحسن وما قلت قال قلت

ولست بمأخوذ بقول تقوله * اذا لم تعمد قائلات العزائم

قال الحسن صدقت (استعدت) امرأة على زوجها عباد بن منصور و زعمت انه لا ينفق عليها فقال لرؤبة احكم بينهما فقال

فطلق اذا ما كنت لست بمنفق * فما الناس الا منفق او مطلق

(كان) رجل يدعي الشعر و يستبرده قومه فقال لهم انما تستبردوني من طريق الحسد قالوا فبيننا و بينك بشار العقيلي فارتفعوا اليه فقال له انشدني فانشده فلما فرغ قال له بشار اني لاظنك من أهل بيت النبوة قال له ر ماذلك قال ان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له فضحك القوم وخرجوا عنه (وقال ابو دلف)

أتى ابو دلف المهدي بقافية * جوابها يهلك الداهي من الغيظ

من زاد فيها له رحلي و راحلتي * وخاتمي والمدى فيها الى الغبط

(فاجابه ابن عبد ربه)

قد زدت فيها وان اضحى أبو دلف * والنفس قد أشرفت منه على الغيظ

(سمر) الفرزدق والاخطل وجرير عند سليمان بن عبد الملك ليلة فبينما هم حوله اذ خفق فقالوا نعس أمير المؤمنين وهموا بالقيام فقال لهم سليمان لا تقوموا حتى تقولوا في هذا شعرا فقال الاخطل رماه الكرى في رأسه فكأنه * صريع سقى ما بين اصحابه خمرا

فقال له ويحك سكران جعلتني ثم قال جرير بن الخطفى

رماه الكرى في رأسه فكأنما * يرى في سواد الليل قنبرة حمرا

فقال له ويحك اجعلتني أعمى ثم قال الفرزدق بعد هذا

رماه الكرى في رأسه فكأنما * أميم جلاميد تركن به وقرا

قال له ويحك جعلتني مشجوجا ثم اذن لهم فانقلبوا الخباهم واعطاهم (كان) عمر بن أبي ربيعة القرشي غزلا مشببا بالنساء الحراج رقيق الغزل وكان الاصمعي يقول في شعره الفستق المقشر

الذي لا يشبع منه وكان جرير يستبرده ويقول شعر حجازي لو اتخذ في تموز لوجد البرد فيه فلما انشد له

فلما تلاقينا عرفت الذي بها * كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

فقال مازال يهذي حتى قال الشعر (وقالت) العلماء ماعصي الله بشعر ماعصي بشعر عمر ابن أبي ربيعة وولد عمر بن أبي ربيعة يوم مات عمر بن الخطاب فسمي باسمه فقالت العلماء أي خير رفع وأي شر وضع ثم انه تاب في آخر أيامه وتنسك ونذر لله ان يعتق لله رقبة لكل بيت يقوله وانه حج فبينما هو يطوف بالبيت اذ نظر الى فتى من نمير يلاحظ جارية في الطواف فلما رأى ذلك منه مرارا أتاه فقال له يافتى اما رأيت ما تصنع فقال له الفتى يا أبا الخطاب لا تعجل علي فان هذه ابنة عمي وقد سميت لي ولست اقدر على صداقها ولا اظفر منها باكثر مما ترى وانا فلان ابن فلان وهذه فلانة ابنة فلان فعرفهما عمر فقال له اقعد يا ابن أخي عند هذه السارية حتى يأتيك رسولي ثم ركب دابته حتى أتى منزل عم الفتى فقرع الباب فخرج اليه الرجل فقال ما جاء بك يا أبا الخطاب في مثل هذه الساعة قال حاجة عرضت قبلك في هذه الساعة قال هي مقضية قال عمر كائنة ما كانت قال نعم قال فاني قد زوجت ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان قال فاني قد أجزت ذلك فنزل عمر عن دابته ثم ارسل غلاما الى داره فأتاه بألف درهم فساقها عن الفتى ثم ارسل الى الفتى فأتاه فقال لابي الجارية أقسمت عليك الا ما ابتني بها هذه الليلة قال له نعم فلما ادخلت على الفتى انصرف عمر الى داره مسرورا بما صنع فرمى بنفسه على فراشه وجعل يتململ وليدة له عند رأسه فقالت له ياسيدي ارقت هذه الليلة أرقا لا أدري ما دهمك فأنشأ يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أقصرت حينا
اراك اليوم قد أحدثت شوقا * وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت انك ذا عزاء * اذا ما شئت فارقت القرينا
بعينك هل رأيت لها رسولا * فشاقك ام لقيت لها خدينا
فقلت شكا الي اخ محب * ببعض زماننا اذ تعلمينا
فقص علي ما يلقى بهند * فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو القلب المصاب وان تعزى * مشوق حين يلقى العاشقينا

ثم ذكر يمينه فاستغفر الله واعتق رقبة لكل بيت

٢ — باب من الشعر يخرج معناه فى المدح والهجاء — قال الشاعر فى خياط اعور يسمى عمرا

خاط لى عمرو قباء * ليت عينيه سواء فاسأل الناس جميعا * أمديح أم هجاء

(ومثله قول حبيب فى مرثية بنى حميد حيث يقول)

لو خر سيف من العيوق منصلتا * ما كان الا على هاماتهم يقع

فلو هجوا بهذا رجلا على انه أنحس خلق الله لجاز فيه ولو مدح به على مذهب قول الشاعر

وانا لتستحلى المنايا نفوسنا * ونترك أخرى مرة ماتذوقها

(وقال الآخر)

ونحن اناس مانرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد فى فراشه * ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد السيوف دماؤنا * وليس على غير السيوف تسيل

(ومثله لحبيب)

انظر فحيث ترى السيوف لوامعا * أبدا فقوق رؤسهم تتألق

﴿ ومن أخبار الشعراء ﴾ دعا الاعور بن بنان التغلبي الاخطل الشاعر الى منزله فأدخله بيتا قد نجد بالفرش الشريفة والوطاء العجيب وله امرأة تسمى برة فى غاية الحسن والجمال فقال له أبا مالك انك رجل تدخل على الملوك فى مجالسهم فهل ترى فى بيتى عيبا فقال له ما ارى فى بيتك عيبا غيرك فقال له انما أعجب من نفسى اذ كنت ادخل مثلك بيتى اخرج عليك لعنة الله فخرج الاخطل وهو يقول

وكيف يداوينى الطبيب من الجوى * وبرة عند الاعور بن بنان

ويلصق بطنا منتن الريح مجرزا * الى بطن خود دائم الخفقان

٣ — ماقالوه فى تثنية الواحد وجمع الاثنين والواحد وافراد الجمع والاثنين — (قال) الفرزدق فى تثنية الواحد * وعندى حساماسيفه وحمائله * وقال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقنى * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

وانما هو دير الوليد معروف بالشام واراد بالدجاج الديكة (وقال قيس بن الحطيم فى الدرع)

مضاعفة يعي الانامل رفعها * كأن قتير بها عيون الجنادب

يريد قتيرها (وقال آخر)

وقال لبوابيه لاتدخلنه * وسد خصاص الباب عن كل منظر

وقال أهل التفسير فى قول الله عز وجل ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد انه انما اراد واحدا فثناه وكذلك قول معاوية للجلواز الذى كان وكله بروح بن زنباع لما اعتذر اليه روح واستعطفه خليا عنه ﴿ وقولهم فى جمع الاثنين والواحد ﴾ قال الله تبارك وتعالى فان كان له اخوة فلامه السدس يريد أخوين فصاعدا وقوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وانما ناداه رجل من بنى تميم وقوله والقى الالواح وانما هى لوحان

(وقال الشاعر)

لولا الرجاء لامر ليس يعلمه * خلق سواك لما ذلت لكم عنقى

ومثل هذا فى الشعر القديم والمحدث * واما قولهم فى افراد الجمع فهو اقل من هذا الذى ذكرناه وكذلك فى افراد الاثنين (فمن ذلك) قول الله تعالى ثم يخرجكم طفلا وقوله فأتياه فقولا انا رسولا رب العالمين وقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين وقال جرير

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

(وقال آخر)

وكأن بالعينين حب قرنفل * او فلفل كحلت به فانهلت

ولم يقل فانهلتا وقال مسلم بن الوليد

ألا أنف الكواعب عن وصالى * غداة بدا لها شيب القذال

(وقال) جرير * وقلنا للنساء به اقيمى *

٤ — وقولهم فى تذكير المؤنث وتأنيث المذكر — قال مالك بن اسماء بن خارجة الفزارى فى شعره الذى اوله * حبذا ليلنا بتل بوانا *

ومررنا بنسوة عطرات * وسماع وقرقف ونزلنا

مالهم لايبارك الله فيهم * حين يسألن قبحنا مافعلنا

(وقال آخر) وقد استشهد سيبويه فى كتابه

فلا دية ودقت ودقها * ولا ارض ابقل ابقالها

فذكر الارض (وقال نصيب)

ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح

(وقالت اعرابية)

قامت تبكيه على قبره * من لى من بعدك ياعامر

تركتنى فى الدار وحشية * قد ذل من ليس له ناصر

(وقال ابو نواس)

كمن الشنآن فيه لنا * ككمون النار فى حجره

وانما ذكرت هذا الباب فى كتاب الشعر لاحتياج الشاعر اليه فى شعره واتساعه فيه

٥ — باب ماغلط فيه على الشعراء — وأكثر ما ادرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن ولكن أصحاب اللغة لا ينصفونهم وربما غلطوا عليهم وتأولوا غير معانيهم التى ذهبوا اليها (فمن ذلك) قول سيبويه واستشهد ببيت فى كتابه فى اعراب الشىء على المعنى لا على اللفظ وأخطأ فيه

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

كذا رواه سيبويه على النصب وزعم ان اعرابه على معنى الخبر الذى فى ليس وانما قاله الشاعر على الخفض والشعر كله مخفوض فما كان يضطره ان ينصب هذا البيت ويحتال على اعرابه بهذه الحيلة الضعيفة وانما الشعر

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد * أكلتم ارضنا فجردتموها

فهل من قائم او من حصيد * أتطمع بالخلود اذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود

فهبنا أمة هلكت ضياعا * يزيد اميرها وابو يزيد

(ونظير هذا البيت) ماذكره فى كتابه ايضا واحتج به فى باب النون الخفيفة

ثبتم ثبات الخيزرانى فى الثرى * حديثا متى ما يأتك الخير ينفعا

وهذا البيت للنجاشى وقد ذكره عمرو بن بحر الجاحظ فى فخر قحطان على عدنان فى شعر كله مخفوض وهو

أيا راكبا أما عرضت فبلغن * بنى عامر عنى يزيد بن صعصع

ثبتم ثبات الخيزرانى فى الثرى * حديثا متى ما يأتك الخير ينفع

ومثله قول محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد فى كتاب الروضة وادرك على الحسن

ابن هانيء قوله

وما لبكر بن وائل عصم * الا لحمقاتها وكاذبها

فزعم انه أراد بحمقاتها هبنقة القيسي ولا يقال فى الرجل حمقاء وانما اراد دغة العجلية وعجل فى بكر وبها يضرب المثل فى الحمق

٦ — باب من مقاطع الشعر ومخارجه — اعلم بانك متى مانظرت بعين الانصاف وقطعت بحجة العقل علمت ان لكل ذى فضل فضله ولا ينفع المتقدم تقدمه ولا يضر المتأخر تأخره فأما من أساء النظم ولم يحسن التأليف فكثير كقول القائل

شر يوميها واغواه لها * ركبت هند بخرج جملا

شر يوميها نصب على الحال وانما معناه ركبت هند جملا بخرج فى شر يوميها وكقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى ابوه يقاربه

معناه مامثل هذا الممدوح فى الناس الا الخليفة الذى هو خاله فقال ابو امه حى أبوه يقاربه فبعد المعنى القريب ووعر الطريق السهل وليس المعنى بتوعر اللفظ وقبح البنية حتى مايكاد يفهم * ومثل هذا الا انه أقرب منه الى الفهم قول القائل

بينما ظل ظليل ناعم * طلعت شمس عليه فاضمحل

يريد حتى طلعت شمس عليه ومثله قول الآخر

ان الكريم وابيك يعتمل * ان لم يجد يوما على من يتكل

يريد على من يتكل عليه (ولله در الاعشى حيث قال)

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

(وأبين منه قول النابغة)

ليست من السود اعقابا اذا انصرفت * ولا تبيع باعلى مكة البرما

(وقد) حذا على مثال قول النابغة بعض المبردين من أهل العصر فقال

ليست من الرمص اشفارا اذا نظرت * ولا تبيع بفوق الصخرة الزعفا

فقيل له مامعناك فى هذا قال هو مثل قول النابغة وانشد البيت وقال ما الفرق بين ان تبيع البرم أو تبيع الزعف وبين ان تكون رمصاء العينين اوسوداء العقبين * وانظر الى سهولة معنى الحسن بن هانيء وعذوبة الفاظه فى قوله

حذر امرأ ضربت يداه على العدا * كالدهر فيه شراسة وليان

والى خشونة الفاظ حبيب الطائى فى هذا المعنى حيث يقول

شرست بل لنت بل قابلت ذاك بذا * فأنت لاشك فيه السهل والجبل

(وقد) يأتى من الشعر مالا فائدة له ولا معنى كقول القائل

الليل ليل والنهار نهار * والارض فيها الماء والاشجار

(وقال الاعشى)

ان محلا وان مرتحلا * وان فى السفر اذ مضوا مثلا

(وقال) ابراهيم الشيبانى الكاتب قد تكون الكلمة اذا كانت مفردة حوشية بشعة حتى اذا وضعت فى موضعها وقرنت مع اخواتها حسنت كقول الحسن بن هانىء

ذو خصر أفلت من كر العيل * والكر كلمة خسيسة ولا سيما فى الرقيق والغزل والنسيب غير انها لما وضعت فى موضعها حسنت وكذلك الكلمة الرقيقة العذبة ربما قبحت ونفرت اذا لم توضع فى موضعها مثل قول الشاعر

رأت رائحا جونا فقامت غريرة * بمسحاتها جنح الظلام تبادره

فأوقع الجافى الجلف هذه اللفظة غير موقعها وبخسها حقها حين جعلها فى غير مكانها حقا لان المساحى لا تصلح الغرائر * واعلم انه لا يصلح لك شىء من المنثور والمنظوم الا ان يجرى منه على عرف وان يتمسك منه بسبب فأما ان كان غير مناسب لطبيعتك وغير ملائم لقريحتك فلا تمض مطيتك فى التماسه ولا تتعب نفسك الى انبعاثه باستعارتك الفاظ الناس وكلامهم فان ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك مالم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملتحمة بطبعك * واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه واستضاءته بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم تكن معه أداة تولد له من بنات ذهنه ونتائج فكره الكلام الحزم والمعنى الجزل لم يكن من الصناعة فى عير ولا نفير ولا ورد ولا صدر على ان سماع كلام الفصحاء المطبوعين ودرس رسائل الشعر من المتقدمين هو على كل حال مما يفتق اللسان و يقوى البيان ويحد الذهن و يستحد الطبع ان كانت فيه بقية وهناك خبية (واعلم) ان العلماء شبهت المعانى والالفاظ بالاجساد والنبات فاذا كتب الكاتب البليغ المعنى الجزل وكساه لفظا حسنا وأعاره مخرجا سهلا ومنحه دلا مونقا كان فى القلب أحلى

وللصدر أملى ولكنه بقى عليه ان يؤلفه مع شقائقه وقرائنه ويجمع بينه وبين أشباهه ونظائره وينظمه فى سلكه كالجوهر المنثور الذى اذا تولى نظمه الناظم الحاذق وتعاطى تاليفه الجوهرى العالم اظهر له باحكام الصنعة ولطيف الحكمة حسنا هو فيه وكساه ومنحه بهجة هى له وكذلك كلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل ولوجا فى الاسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه لاسيما اذا كان المعنى البديع مترجما بلفظ مونق شريف لم يسمه التكليف بميسمه ولم يفسده التعقيد باستهلاكه كقول ابن أبى كريمة

قفاه وجه والذى وجهه * مثل قفاه يشبه الشمسا

فهجر المعنى بتعقد مخارج الالفاظ (واخذه الحسن بن هانىء فأوضحه وسهله حيث قال)

بأبى أنت من غزال غرير * بز حسن الوجوه حسن قفاكا

(وكلاهما اخذه من حسان بن ثابت حيث يقول)

قفاؤك احسن من وجهه * وامك خير من المنذر

(وقد يأتى) من الشعر فى طريق المدح ما الذم اولى به من المدح ولكنه يحل محل ماقبله ومابعده (ومثله قول حبيب)

لوخر سيف من العيوق منصلتا * ما كان الا على هاماتهم يقع

وهذا لايجوز ظاهره فى شىء من المدح وانما يجوز فى الذم والنحس لانك لو وصفت رجلا بأنه انحس الخلق لم تصفه باكثر من هذا وليس للشجاعة فيه وجه لان قولهم لوخر سيف من السماء لم يقع الا على رأسه هذا رأس رأس كل نحس

٧ — قولهم فى رقة التشبيب — ومن الشعر المطبوع الذى يجرى مع النفس رقة ويؤدى عن الضمير ابانة مثل قول العباس ابن الاخنف

وليلة ما مثلها ليلة * صاحبها بالسعد منجوع
ليلة جئناها على موعد * نسرى وداعى الشوق متبوع
لما خبت نيرانها وانكفى السامر عنها وهو مصروع
قامت تثنى وهى مرعوبة * تود أن الشمل مجموع
حتى اذا ماحاولت خطوة * والصدر بالارداف مدفوع
بكى وشاحاها على متنها * وانما ابكاهما الجوع

فانتبه الهادون من أهلها * وصار للموعد مرجوع
ياذا الذى نم علينا لقد * قلت ومنك القول مسموع
لاتشغليني ابدا بعدها * الا وغامك منزوع
مابال خلخالك ذا خرسة * لسان خلخالك مقطوع
عاذلتى فى حبها اقصرى * هذا العمرى عنك موضوع

(الاصمعى) قال سمع كثير عزة منشدا ينشد شعر جميل بن معمر الذى يقول فيه

ماأنت والوعد الذى تعدينني * الاكبرق سحابة لم تمطر
تقضى الديون ولست تقضى عاجلا * هذا الغريم ولست فيه بمعسر
ياليتنى ألقى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر
يهواك ماعشت الفؤاد وان أمت * يتبع هواى صداك بين الاقبر

فقال كثير هذا والله الشعر المطبوع ماقال أحد مثل قول جميل وما كنت الا راوية لجميل ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليها (وسمع الفرزدق) رجلا ينشد شعر عمر بن أبى ربيعة الذى يقول فيه

فقالت وأرخت جانب الستر انما * معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها مالى بهم من ترقب * ولكن سرى ليس يحمله مثلى

حتى انتهى الى قوله

فلما توافقنا عرفت الذى بها * كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل

فقال الفرزدق هذا والله الذى ارادت الشعراء ان تقوله فأخطأته وبكت على الطلول وانما عارض بهذا الشعر جميلا فى شعره الذى يقول فيه:

خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

فلم يصنع عمر مع جميل شيأ (ومن قولنا فى رقة التشبيب والشعر المطبوع الذى ليس بدون ماتقدم ذكره)

صحا القلب الا خطرة تبعث الاسا * لها زفرة موصولة بحنين
بلى ربما حلت عرى عزماته * سوالف آرام واعين عين
لواقط حبات القلوب اذا رنت * بسحر عيون وانكسار جفون
وريط متين الوشى أينع تحته * ثمار صدور لا ثمار غصون

بر ود كانوار الربيع لبسنها * ثياب قصاب لا ثياب مجون
فرين اديم الليل عن نور أوجه * تجن بها الالباب كل جنون
وجوه جرى فيها النعيم فكللت * بورد خدود يجتنى وعيون
سألبس للايام درعا من الاسى * وان لم يكن عند اللقا بحصين
فكيف ولى قلب اذا هبت الصبا * أهب بشوق فى الضلوع دفين
ويهتاج منه كل ما كان ساكنا * دعاء حمام لم يبت بوكون
وان ارتياحى من بكاء حمامة * كذى شجن داويته بشجون
كان حمام الايك حين تجاوبت * حزين بكى من رحمة لحزين

(ومما عارضت به صريع الغوانى فى قوله)

أديرا على الراح لا تشربا قبلى * ولا تطلبا من عند قاتلتى ذحلى
فيا حزنى انى أموت صبابة * ولكن على من لا يحل له قتلى
فديت التى صدت وقالت لتربها * دعيه الثريا منه أقرب من وصلى

(فقلت على رويه)

أتقتلنى ظلما وتجحدنى قتلى * وقد قام من عينيك لى شاهدا عدل
اطلاب ذحلى ليس بى غير شادن * بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلى
أغار على قلبي فلما أتيته * أطالبه فيه أغار على عقلى
بنفسى التى ضنت برد سلامها * ولو سألت قتلى وهبت لها قتلى
اذا جئتها صدت حياء بوجهها * فتهجرنى هجرا ألذ من الوصل
وان حكمت جارت على بحكمها * ولكن ذاك الجور أشهى من العدل
كتمت الهوى جهدى فجرده الاسى * بماء البكا هذا يخط وذا يملى
وأحببت فيها العذل حبا لذكرها * فلا شىء أشهى فى فؤادى من العذل
أقول لقلبي كلما ضامه الاسى * اذا ما أبيت العز فاصبر على الذل
برأيك لا رأيى تعرضت للهوى * وامرك لا أمرى وفعلك لا فعلى
وجدت الهوى نصلا من الموت مغمدا * فجردته ثم اتكيت على النصل

فان تك مقتولا على غير ريبة * فانت الذى عرضت نفسك للقتل

فمن نظر الى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه لم يفضل شعر صريع عنده الا بفضل التقدم ولا سيما اذا قرن قوله فى هذا الشعر

كتمت الذى ألقى من الحب عاذلى * فلم يدر ما بى فاسترحت من العذل

(يقول فى هذا الشعر)

واحببت فيها العذل حبا لذكرها * فلا شىء اشهى فى فؤادى من العذل

(ومن قولنا فى رقة التشبيب وحسن التشبيه)

كم سوسن لطف الحياء بلونه * فأصاره وردا على وجناته

(ومثله) يالؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ماان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا

(ونظير هذا من قولنا فى رقة التشبيب وحسن التشبيه والبديع الذى لا نظير له والغريب الذى لم يسبق اليه)

حوراء راعها النوى فى حور * حكمت لواحظها على المقدور

نظرت الىّ بمقلة ادمانة * وتلفتت بسوالف اليعفور

فكأنما غلط الاسا بجفونها * حتى أتاك بلؤلؤ منثور

(ونظير هذا من قولنا)

أدعو عليك فلا دعاء يسمع * يامن يضر بناظريه وينفع

للورد حين ليس يطلع دونه * والورد عندك كل حين يطلع

لم تنصدع كبدى عليك لضعفها * لكنها ذابت فما تنصدع

من لى باجرد مايبين لسانه * خجلا وسيف جفونه ما يقلع

منع الكلام سوى اشارة مقلة * فبها يكلمنى وعنها يسمع

(ومثله) جمال يفوت الوهم فى غاية الفكر * وطرف اذا ما فاه ينطق بالسحر

ووجه أعار البدر ذلة حاسد * فمن ذا الذى يسود فى صفحة البدر

٨ — قولهم فى النحول — قال عمر بن أبى ربيعة القرشى يصف نحول جسمه وشحوب لونه فى شعره الذى يقول فيه :

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأيما بالعشي فيخصر
أخا سفر جواب ارض تقاذفت * به فلوات فهو أشعث أغبر
قليلا على ظهر المطية شخصه * خلا ما نفى منه الرداء المحبر

(وفيه يقول)

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وانور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
ونفضت عني النوم أقبلت مشية الحباب وركني خيفة القوم أزور
فحييت اذ فاجأتها فتلهفت * وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني * وأنت امرؤ ميسور أمرك اعسر
أريتك اذ هنا عليك ألم تخف * رقيبا وحولى من عدوك حضر
فوالله ماأدرى أتعجيل حاجة * سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والاسى * اليك وما عين من الناس تنظر
فيالك من ليل تقاصر طوله * وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويالك من ليل هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكي المسك منها مفلج * رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر
وترنو بعينيها الى كما رنا * الى ربرب وسط الخميلة جؤذر
بروق اذا تفترعنه كأنه * حصى برد أو أقحوان منور
فلما تقضى الليل الا أقله * وكادت توالى نجمه تتغور
أشارت بأن الحي قد حان منهم * هبوب ولكن موعد لك عزور
فما راعني الامناد برحلة * وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فاما أفوتهم * واما ينال السيف ثأرا فيثأر
فقالت أتحقيقا لما قال كاشح * علينا وتصديقا لما كان يؤثر
فان كان مالا بد منه فغيره * من الامر أوفى للخفاء وأستر
أقص على أختي بدأ حديثنا * ومالي من ان يعلما متاخر

لعلهما ان يبغيا لك مخرجا * وان يرحبا صدرا بمن كنت أحضر
فقالت لاختيها أعينا على فتى * أتى زائرا والامر للامر أقدر
فأقبلتنا فارتاعتا ثم قالتا * أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر
يقوم فيمشى بيننا متنكرا * فلا سرنا يفشو ولاهو يبصر
فكان مجنى دون ما كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما اجزنا ساحة الحى قلن لى * ألم تتق الاعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا * اما تستحى أم ترعوى أم تفكر

(و يروى) ان يزيد بن معاوية لما اراد توجيه مسلم بن عقبة الى المدينة اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح فقال يا أخا أهل الشام مجن ابن أبى ربيعة كان أحسن من مجنك هذا (يريد قول عمر بن أبى ربيعة)

فكان مجنى دون ما كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

(وقال اعرابى فى النحول)

ولو ان ما ابقيت منى معلق * بعود ثمام ما تأود عودها

(وقال آخر)

ان تسألونى عن تباريح الهوى * فأنا الهوى وأبو الهوى وأخوه
فانظر الى رجل أضر به الاسى * لولا تقلب طرفه دفنوه

(وقال مجنون بنى عامر فى النحول)

ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

(وقال خالد الكاتب)

هذا محبك حبا لاحياة به * لم يبق من جسمه الا توهمه

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

سبيل الحب أوله اغترار * وآخره هموم وادكار
وتلقى العاشقين لهم جسوم * براها الشوق لو نفخوا لطاروا

(ومثله من قولنا)

لم يبق من جثمانه * الا حشاشة مبتئس

قـدرق حتى ما يرى * بل ذاب حتى ما يحس

(وقال الحسن بن هانئ في هذا المعنى فأربى على الاولين والآخرين)

يامن تموّت عمدا * فكان للعين أملى وفي الشعوبة اربى * فكان اشهى واحلى

أردت ان تزدريك الـعين هيهات كلا ياعاقر القلب منى * هلا تذكرت خلا

تركت منى قليلا * من القليل أقلا يكاد لا يتجزى * أقل في اللفظ من لا

٩ — قولهم في التوديع — قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج بالرقة ودعت جارية لى تسمى شفيعا وأنا اضحك وهي تبكي وأقول لها انما هي أيام قلائل قالت ان كنت تقدر ان تخلق مثل شفيع فنم فلما طال بى السفر واتصلت بى الايام كتبت اليها كتابا وفي اسفله

ودعتها والدمـع يقطر بيننا * وكذاك كل مـودع بفراق

شغلت بتفييض الدموع شمالها * ويمينها مشـغولة بعناق

قال فـكتبت الىّ في طـومار كبير ليس فيـه الا بسم الله الرحمن الرحيم وفي آخره يا كذاب وسائر الكتاب ابيض قال فوجهت الكتاب الى ذى الرياسـتين الفضل بن سهل وكتبت اليها كتابا على نحو ما كتبت ليس فيه الا بسم الله الرحمن الرحيم في اوله وفي آخره أقول

فـودعتها يوم التفـرق ضاحكا * اليها ولم اعـلم بان لا تـلاقيا

فلو كنت ادرى انه آخـر اللقا * بكيت وابكيت الحبيب المصافيا

قال فـكتبت الىّ كتابا آخر ليس فيه الا بسم الله الرحمن الرحيم في اوله وفي آخره أعيذك بالله ان يكون ذلك فوجهته الى ذى الرياستين الفضل بن سهل فأشخصنى الى بغداد وصيرنى الى ديوان الضياع (محمد بن يزيد) القرشي عن الزبير عن عبد الله بن يحيي بن خاقان وزير المتوكل قال انه لما نفاه المتوكل الى جزيرة اقريطش فطال مقامـه بها تمتع بجارية رائعـة الجمال بارعـة الكمال فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتدبيرها وكان قبل ذلك متيما بجارية خلفها بالعراق فسلا عنها فبينما هو مع الاقريطشية في سرور وحبور يحلف لها انه لا يفارق البلد ما عاش اذ قدم عليه كتاب جاريته من العراق وفيه مكتوب

كيف بعدى لا ذقتم النوم أنتم * خـبرونى مذ بنت عنكم و بنتم

بمراض الجفون من خرد العــين و رد الخدود بعدى فتنتم

يا أخلاى ان قلبي وان با * ن من الشوق عندكم حيث كنتم

فاذا ما أبى الاله اجتماعا * فالمنايا على وجدى وعشم

(أخذت هذا المعنى من قول حاتم)

اذاما اتى يوم يفرق بيننا * بموت فكن أنت الذى تتأخر

فلم يباشر لذة بعد كتابها حتى رضى عنه المتوكل وصرفه الى أحسن حالاته (الزبيرى) قال حدثنى ابن رجاء الكاتب قال أخذمنى الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبنى فشربا معا فى بعض الليالى فسكر قبلها و بقيت وحدها ولم تبرح من المجلس هيبة له فذكرت ما كنا فيه من ايامنا فاخذت العود فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح وهى تقول

لا كان يوم الفراق يوما * لم يبق للمقلتين نوما

شتت منى ومنك شملا * فسر قوما وساء قوما

ياقوم من لى بوجد قلب * يسومنى فى العذاب سوما

مالامنى الناس فيه الا * بكيت كما ازاد لوما

فلما فرغت من صوتها رفع المعتز رأسه اليها والدمع يجرى على خديها كالفريد انقطع سلكه فقصها عن الخبر وحلف لها ان يبلغها أملها فاعلمته القصة فردها الىّ وأحسن اليها والحقنى فى ندمائه وخاصته (وكان) لابى احمد صاحب حرب المعتمد جارية فكتبت اليه وهو مقيم على العلوى بالبصرة تقول

لنا عبرات بعدكم تبعث الاسى * وأنفاس حزن جمة وزفير

ألا ليت شعرى بعد ناهل بكيتم * فأما بكائى بعدكم فكثير

قال أبو احمد فلم يكن لى هم غيرها حتى قفلت من غزاتى (وكتب) مروان بن محمد وهو منهزم نحو مصر الى جارية له خلفها بالرملة

ومازال يدعونى الى الصد ما أرى * فأنأى ويثنينى الذى لك فى صدرى

وكان عزيزا ان بينى و بينها * حجابا فقد أمسيت منك على عشر

وانكاهما والله للقلب فاعلمى * اذا ازددت مثليها فصرت على شهر

وأعظم من هذين والله اننى * أخاف بأن لا نلتقى آخر الدهر

سأبكيك لا مستبقيا فيض عبرتى * ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

(الزبير بن بكار) قال رأيت رجلا بالثغر وعليه ذلة واستكانة وخضوع وكان يكثر

التنفس ويخفى الشكوى وحركات الحب لا تخفى فسألته وقد خلوت به فقال وقد تحدر دمعه :

أنا فى أمرى رشاد * بين غزو وجهاد * بدنى يغزو الاعادى
والهوى يغزو فؤادى * ياعليما بالعباد * رد إلفى ورقادى

(وقال اعرابى يصف البين)

أدمت أناملها عضا على البين * لما انثنت فرأتنى دامع العين
وودعتنى ايماء وما نطقت * الا بسبابة منها وعينين
وجدى كوجدك بل اضعافه فاذا * عنى توار يت قاب الرمح واحينى
وان سمعتى بموتى فاطلبى بدمى * هواك والبين واستعدى على البين

(وقال آخر)

مالت تودعنى والدمع يغلبها * كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهى باكية * ياليت معرفتى اياك لم تكن

(وقال)

أنين فاقد الف ان فى الغلس * حتى تضايق منه مخرج النفس
فكلما أن من شوق اجال يدا * على فؤاد له بالبين مختلس

(وقال آخر)

أمبتكر للبين أم أنت رائح * وقلبك ملهوف ودمعك سافح
الآن تبكى والنوى مطمئنة * فكيف اذا بارحت من لا تبارح
فانك لم تبرح ولا شطت النوى * ولكن صبرى عن فؤادى نازح

(وقال آخر)

اذا انفتحت قيود البين عنى * وقيل أتيح للنائى سراح
أبت حلقاته الا انفعالا * ويأبى الله والقدر المتاح
ومن لى بالبقاء وكل يوم * لسهم البين فى كبدى جراح

(وقال محمد بن أبى أمية الكاتب)

ياغريبا يبكى لكل غريب * لم يذق قبلها فراق حبيب
عزه البين فاستراح الى الدمع وفى الدمع راحة للقلوب

ختلتـه حوادث الدهر حتى * اقصدته منها بسهم مصيب
أى يوم أراك فيـه كما كنـت قريبا فأشتكى من قريب

(وقال ابو العتاهية)

أبيت مسهدا قلقا وسادى * أروح بالدموع عن الفؤاد
فراقـك كان آخر عهد نومى * وأول عهد عيني بالسهاد
فلم ار مثل ماسلبتـه نفسى * ومارجعت به من سوء زادى

(وقال محمد بن يزيد التسترى)

رفعت جانبا اليك من الكلـة قد قابلتـه طرفا كحيلا
نظرت نظرة الصبابة لا تمـلك أنفاس دمعها أن يجـولا
ثم ولت وقد تغير ذاك الصبـح من خدها فعاد أصيلا

(وقال يزيد بن عثمان)

دمعـه كاللؤلؤ الرطـب على الخد الاسيل
وجفون تنفث السحـر من الطرف الكحيل
انمـا يفتضـح العا * شـق فى يوم الرحيل

(وقال على بن الجهم)

ياوحشة للغريب فى البلد النـازح ماذا بنفسـه صـنعا
فارق احبابه فـا انتفعوا * بالعيش من بعد وما انتفعا
يقـول فى نأيه وغربتـه * عـدل من الله كل ماصـنعا

(وقال آخر)

بانوا واضحى الجسم من بعدهم * ماتبصر العـين له فيا
يا أسفى منهم ومن قولهم * ماضرك الفـقد لنا شـيا
باى وجه اتلقاهـم * ان وجـدونى بعدهم حيا

(وقال آخر)

أترحل عن حبيبك ثم تبكى * عليه فمن دعاك الى الفراق

(وقال هدبة العدوى)

ألا ليت الرياح مسخرات * بحاجتنا تبـاكر أو تؤب
فتخبرنا الشمال اذا أتتنا * وتخـبر اهلنا عنا الجنوب
عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فـرج قـريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغـريب

(وقال آخر)

لابارك الله فى الفراق ولا * بارك فى الهجر ما امرّهما
لو ذبح الهجر والفراق كما * يذبح ظبـي لما رحمتهما
شربت كاس الفراق مترعة * فطار عن مقـلتى نومهما
ياسـيدى والذى أؤمله * ناشدتك الله أن تذوقهما

(وقال حبيب الطائى)

الموت عندى والفراق * كلاهما مالا يطاق
يتعاونان على النفـو * س فذا الحمام وذا السياق
لولم يكن هـذا كذا * ماقيل موت أو فراق

(وقال آخر)

شتان ماقبلة التلاق * وقبـلة ساعة الفراق
هذى حياة وتلك موت * بينهما راحـة العناق

(وقال سعيد بن حميـد)

موقف البين مأتم العاشقينا * لاترى العين فيه الاحزينا
ان فى البين فرحتين فاما * فرحتى بالوداع للظاعنينا
فاعتناق لمن أحب وتقبيل * ولمس بحضرة الكاشحينا
ثم لى فرحة اذا قدم النا * س لتسليمهم على القادمينا

(وقال اعرابى)

ليل الشجى على الخلى قصير * و بلا المحب على المحب يسير
بان الذين احبهم فتحملوا * وفراق من تهوى عليك عسير
فلابعثن نياحيـة لفراقهـم * فيها تلطم أوجه وصدور

ولا لبسن مدارعا مسودة * لبس الثواكل اذ دهاك مسير
ولاذ كرنك بعد موتى خاليا * فى القبر عندى منكر ونكير
ولاطلبنك فى القيامة جاهدا * بين الخلائق والعباد نشور
فبجنة ان صرت صرت بجنة * وائن حواك سعيرها فسعير
والمستهام بكل ذاك جدير * والذنب يغفر والاله شكور

(ومن قولنا فى البين)

هيج البين دواعى سقمى * وكسا جسمى ثوب الالم
أيها البين أقلنى مرة * فاذا عدت فقد حل دمى
ياخلى الذرع نم فى غبطة * ان من فارقته لم ينم
ولقد هاج لقلبى سقما * ذكر من لوشاء داوى سقمى

(ومن قولنا فى المعنى)

ودعتنى بزفرة واعتناق * ثم نادت متى يكون التلاق
وتصدت فأشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق
ياسقيم الجفون من غير سقم * بين عينك مصرع العشاق
ان يوم الفراق أفظع يوم * ليتنى مت قبل يوم الفراق

(ومن قولنا فيه)

فررت من اللقاء الى الفراق * فحسبى مالقيت وما ألاقى
سقانى البين كأس الموت صرفا * وماظنى اموت بكف ساقى
فيابرد اللقاء على فؤادى * أجرنى اليوم من حر الفراق

(وقال مجنون بنى عامر)

وانى لمفن دمع عينى بالبكا * حذارا لامر لم يكن وهو كائن
وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكفى الا ان ماحان حائن

(وقال ابو هشام الباهلى)

خليلى غدا لاشك فيه مودع * فوالله ماأدرى به كيف أصنع

فواحزنا ان لم أودعه غدوة * ويا أسفا ان كنت فيمن يودع
فان لم أودعه غدا مت بعده * سريعا وان ودعت فالموت اسرع
أنا اليوم أبكيه فكيف به غدا * أنا فى غد والله أبكى واجزع
لقد سخنت عينى وجلت مصيبتى * غداة غد ان كان ما اتوقع
فيا يوم لا ادبرت هل لك محبس * ويا غد لا اقبلت هل لك مدفع

(وقال المعتصم لما دخل مصر وذكر جارية له)

غريب فى قرى مصر * يقاسى الهم والسقما
لليلك كان بالميدا * ن اقصر منه بالفرما

(وقال آخر)

وداعك مثل وداع الربيع * وفقدك مثل افتقاد الديم
عليك سلام فكم من ندى * فقدناه منك وكم من كرم

١٠ — قولهم فى الحمام — قال ابو الحسن الاخفش قال جعفر العكلى وكان لصا،

وقد ماهاجنى فازددت شوقا * بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحن اعجمى * على عودين من غرب وبان
فكان البان ان بانت سليمى * وفى الغرب اغتراب غير دان

(وقال آخر)

وتفرقوا بعد الجميع لانه * لا بد ان يتفرق الجيران
لا تصبر الابل الجياد تفرقت * بعد الجميع ويصبر الانسان

(وقال آخر)

فهل ريبة فى ان تحن نجيبه * الى الفها او أن يحن نجيب

واذا رجعت الابل الحنين كان ذلك احسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام (وقال عوف بن محلم)

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

وكل مطوقة عند العرب حمامة كالدبسى والقمرى والورشان وما اشبه ذلك وجمعها حمام ويقال حمامة للذكر والانثى كما يقال بطة للذكر والانثى ولا يقال حمام الا فى الجمع والحمامة تبكى

وتغني وتنوح وتغرد وتسجع وتقرقر وتترنم وانما لها أصوات سجع لاتفهم فيجعله الحزين بكاء ويجعله الطرب غناء (قال حميد بن ثور)

مطوقة خضباء تسجع كلما * دنا الصيف وانزاح الربيع فانجما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة في نوحها متلوما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

(وقال مجنون بني عامر)

ألا ياحمامات اللوى عدن عودة * فاني الى اصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتنني * وكدت باشجاني لهن أبين
فلم تر عيني مثلهن بواكيا * بكين ولم تذرف لهن عيون

(وقال حبيب في المعنى)

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

(وقال) كما كاد ينسى عهد ظبيان باللوى * ولكن أملته على الحمائم
بعثن الهوى في قلب من ليس هائما * فقل في فؤادي رعنه وهو هائم
لها نغم ليست دموعا فان علت * مضت حيث لاتمضي الدموع السواجم

(ومن قولنا في الحمام)

فكيف ولي قلب اذا هبت الصبا * أهاب بشوق في الضلوع دفين
ويهتاج منه كلما كان ساكنا * دعاء حمام لم تبت بوكون
وكان ارتياحي من بكاء حمامة * كذي شجن داويته بشجون
كأن حمام الايك لما تجاوبت * حزين بكى من رحمة لحزين

(ومن قولنا في المعنى)

ونائي في غصون الايك أرقني * وماعنيت بشيء ظل يعنيه
مطوق بخضاب مايزايله * حتى تزاوله احدى تراقيه
قدبات يشكو بشجو مادريت به * وبت اشكو بشجو ليس يدريه

(ومن قولنا فيه)

أناحت حمامات اللوى أم تغنت * فأبدت دواعي قلبه ماأجنت

فديت التي كانت ولاشيء غيرها * منى النفس لوتقضى لها ماتمنت

(ومن قولنا)

لقد سجعت فى جنح ليل حمامة * فاى أسى هاجت على الهائم الصب
لك الويل كم هيجت شجوا بلاجوى * وشكوى بلاشكوى وكربا بلا كرب
واسكبت دمعا من جفون مسهدا * ومارقرقت منك المدامع بالسكب

(وقال ذوالرمة)

رأيت غرابا ناعيافوق بانة * من القضب لم ينبت لها ورق نضر
فقلت غراب لاغتراب وبانة * لبين النوى هذا العيافة والزجر

١١ — قولهم فى طيب الحديث — (قال عدى بن زيد)

فى سماع يأذن الشيخ له * وحديث مثل ماذىّ مشار

(وقال القطامى)

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

(وقال جران العود)

فنلنا سقاطا من حديث كانه * جنى النحل أو أبكار كرم تقطف

(وقال بشار)

وانا ليجرى بيننا حين نلتقى * حديث له وشى كوشى المطارف

(وقال أيضا)

و بكر كنوار الربيع حديثها * يروق بوجه واضح وقوام

(وقال آخر)

كانما عسل رجعان منطقها * ان كان رجع كلام يشبه العسلا

(وقال أيضا)

وحديث كانه زهر الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

١٢ — قولهم فى الرياض — أنشد أحمد بن جدار للمعلى الطائى

كان عيون الروض يذرفن بالندى * عيون يراسلن الدموع على عذل

(وقال البحترى)

شقائق يحملن الندى فكأنه * دموع التصابى فى خدود الخرائد
ومن لؤلؤ كالاقحوان منضد * على نكت مصفرة كالفرائد

(وقال أيضا)

وقد نبه النيروز فى غلس الدجى * أوائل ورد كن بالامس نوما
يفتقه برد الندى فكأنه * يبث حديثا كان قبل مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه * عليها كما نشرت وشيا منمنما

(وقال أعشى بكر)

ما روضة فى رياض الحسن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها نشر رائحة * ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

(وانشد ابن أبى الطاهر لنفسه)

فتقت جيوب الروض منها ديمة * حلت عزاليها صبا وقبول
ولها عيون كالعيون نواظر * تبدو ومنها أزرق وكحيل

(وقال الاخطل الصغير)

خلع الربيع على الثرى من وشيه * حللا يظل بها الثرى يتخيل
نور اذا مرت الصبا فيه الندا * خلت الزبرجد بالفريد يفصل
فكأنها طورا عيون ضواحك * وكأنها طورا عيون همل

(وقال أبو نواس)

يوم تقاصر واستبث نعيمه * فى ظل ملتف الحدائق أخضرا
واذا الرياح تنسمت فى روضة * نثرت به مسكا عليك وعنبرا

(وانشد ابن مسهر لابن أبى زرعة الدمشقى يقول)

وقد لبست زهر الرياض حليها * وجالت الارض الفضا بالزخارف
لجين وعقيان ودر وجوهر * تؤلفه ايدى الربيع اللطائف

(وانشد البحترى)

قطرات من السحاب وروض * نثرت وردها عليه الخدود

وكان الجوزان والاقحوان الـغض نظمان لؤلؤ وفريد

(وأنشد ابن حدار للمعلى)

ترى للندى فيه مجالا كانما * نثرت عليه لؤلؤا فتبددا

(وأنشد ابن الحارثى لنفسه)

وما روضة علوية اسدية * منمنمة زهراء ذات ثرى جعد
سقاها الندى فى عقب جنح من الدجى * فنوارها يهتز بالكوكب السعد
باحسن من حر تضمن حاجة * لحر فأوفى بالنجاح مع الوعد

(وأنشد محمد بن عمار للحسن بن وهب يقول)

طلع الربيع على الرياض فبشرت * نوء الربيع بجدة وشباب
وغدا السحاب مكللاجو الثرى * أذيال اسحم حالك الجلباب
فترى السماء اذا أحد ربابها * فكانما التحفت جناح غراب
وترى الغصون اذا الرياح تناوحت * ملتفة كتعانق الاحباب

(وقال حبيب الطائى)

الروض ما بين مغبوق ومصطبح * من ريق مكتفات فى الثرى دلح
وطف اذا وكفت فى روضة طفقت * عيون نوارها تبكى من الفرح

(وأنشد البحترى فى دمشق)

اذا اردت ملأت العين من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسى السحاب على اجبالها فرقا * ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * او يانعا خضرا او طائرا غردا
كانما القيظ ولى بعد جيانه * او الربيع دنا من بعد ما بعدا

(وأنشد ابن أبى الطاهر الاشجع)

من الكنائس والارواح مطرد * للعين يلعب فيه الطرف والبصر
فى رقعة من رقاع الارض يعمرها * قوم على ابويهم أجمعت مضر

(وأنشد على بن الجهم لعلى بن الخليل)

وروضة فى ظلال دسكرة * جداول الماء فى جوانبها

تسـتن فى خضرة منورة * يغرد الطير فى مشاربها
كان فيها الحلى والحلل السـيمنة تهدى الى مرازبها

(وقال ابراهيم بن العباس الكاتب)

تأمل سماء أظلت عليـك فيها مصابيحها تزهر
وارضا تقابلها بالعـرو * س والمرج بينهما جعفر
ومسحب نور غداة الربيـع اقاسها المسـك والعنبر
خـلال شقائقه اصفر * واضـعاف اصفره أحمر
وللماء مطـرد بينـة * يصـفق باديه المصـدر
يشارفـه الـبر من جانب * ومن جانب بحره الاخضر
مجال وحوش ومرقى سفين * فياعـرف لهو ويا منظر
وياحسن دنيا وياعز ملك * يسوسهما السائس الاكبر

(وقال بلال بن أبى عتيبة فى بستانه)

يذكرنى الفردوس طورا فانثنى * وطورا يواتينى على النسك والفتك
بغرس كابكار العذارى وتربة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الارض ينظرن حوله * الى ملك اوفى على منـبر الملك
يدل عليها مسـتطيلا بحسـنة * ويضحك منها وهى مطرقة تبكى

(وقال فيه)

ياجنة فاقت الجنان فما * تبلغها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخـذتها وطنا * لان قلبى لاهلها وطن
زوج حيتانها الضباب بها * فهذه كنسة وذا ختن
فانظر وفـكر فيما تمر به * ان الاريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة * ومن نعام كأنها سـفن

(وقال الخليل بن أحمد)

يا صاحب القصر نعم القصر والوادى * بمنزل حاضر ان شئت اوبادى
ترقى به السـفن والظلمان واقفـة * والنون والضب والملاح والحادى

(وقال اسمعيل بن ابراهيم الحمدونى)

وروضة صبغت أيدى الربيع لها * برودها وكستها وشيها عدن
عاجت عليها مطايا الغيث مهملة * لهن فى ضحكات أدمع هتن
كأنما البين يبكيها و يضحكها * وصل حباها به من بعده سكن
فولدت صفرا أثوابها خضرا * احشاؤهن لاحشاء الندى وطن
من كل عسجدة فى خدرها اكتتمت * عذراء فى بطنها الياقوت مكتمن

(وأنشد عمرو بن بحر الجاحظ)

أين اخواننا على السراء * أين أهل القباء والدهناء
جاورتنا فى الارض نور الاقاحى * من ربيع تجاد بالانواء
كل يوم باقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

وروضة عقدت أيدى الربيع بها * نورا بنور وتزويجا بتزويج
بملقح من سواريها وملقحة * وناتج من غواديها ومنتوج
توشحت بملاة غير ملحمة * من نورها ورداء غير منسوج
فالبست حلل الموشى زهرتها * وجللتها بانماط الديابيج

(ومن قولنا)

وموشية يهدى اليك نسيمها * على مفرق الارواح مسكا وعنبرا
سداوتها من ناصع اللون أبيض * ولحمتها من فاقع اللون أصفرا
يلاحظ لحظا من عيون كأنها * فصوص من الياقوت كلّلن جوهرا

(ومثله قولنا)

وما روضة بالحزن حاك لها الندى * برودا من الموشى حمر الشقائق
يقيم الدجا أعناقها و يميلها * شعاع الدجا المتزى فى كل شارق
اذا ضاحكتها الشمس تبكى بأعين * مكللة الاجفان صفر الحمالق
حكت أرضها لون السماء وزانها * نجوم كأمثال النجوم الخوافق
باطيب نشرا من خلائقه التى * لها خضعت فى الحسن زهر الخلائق

١٩

فرش كتاب الجوهرة الثانية

في أعاريض الشعر وعلل القوافي

(قال أبو عمر) احمد بن محمد بن عبد ربه قد مضى قولنا في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في أعاريضه وعلله وما يحسن ويقبح من زحافه وما ينفك من الدوائر الخمس من الشطور التي قالت عليها العرب والتي لم تقل وتلخيص جميع ذلك بمنثور من الكلام يقرب معناه من الفهم ومنظوم من الشعر يسهل حفظه على الرواة فأكملت جميع هذه العروض في هذا الكتاب الذي هو جزآن فجزء للفرش وجزء للمثال مختصرا مبينا مفسرا فاختصرت للفرش ارجوزة وجمعت فيها كل ما يدخل العروض ويجوز في حشو الشعر من الزحاف وبينت الاسباب والاوتاد والتعاقب والتراقب والخروم والزيادة على الاجزاء وفك الدوائر في هذا الجزء واختصرت المثال في الجزء الثاني في ثلاث وستين قطعة على ثلاثة وستين ضربا من ضروب العروض وجعلت المقطعات رقيقة غزلة ليسهل حفظها على ألسنة الرواة وضمنت في آخر كل مقطعة منها بيتا قديما متصلا بها وداخلا في معناها من الابيات التي استشهد بها الخليل في عروضه لتقوم به الحجة لمن روى هذه المقطعات واحتج بها

مختصر الفرش

اعلم ان أول ما ينبغي لصاحب العروض أن يبتدأ به معرفة الساكن والمتحرك فان الكلام كله لا يعدو ان يكون ساكنا أو متحركا واعلم ان كل ألف خفيفة أو ألف ولام خفيفتين لا يظهران على اللسان ويثبتان في الكتابة فانهما يسقطان في العروض وفي تقطيع الشعر نحو ألف قال ابنك أو ألف ولام نحو قال الرجل وانما يعد في العروض ما ظهر على اللسان واعلم ان كل حرف مشدد فانه يعد في العروض حرفين أولهما ساكن والثاني متحرك نحو ميم محمد ولام سلام واعلم ان التنوين كله يعد في العروض نونا ساكنة ليست من أصل الكلمة

١ — باب الاسباب والاوتاد — اعلم ان مدار الشعر وفواصل العروض على ثمانية أجزاء وهى فاعلن مفعولن مفاعيلن فاعلاتن مستفعلن مفاعلتن متفاعلن مفعولات وانما ألفت هذه الاجزاء من الاسباب والاوتاد فالسبب سببان خفيف وثقيل فالسبب الخفيف حرفان متحرك وساكن مثل من وعن وما أشبههما والسبب الثقيل حرفان متحركان مثل بك ولك وما أشبههما والوتد وتدان مفروق ومجموع فالوتد المجموع ثلاثة أحرف متحركان وساكن مثل على والى وما أشبههما والوتد المفروق ثلاثة أحرف ساكن بين متحركين مثل أين وكيف وما أشبههما وانما قيل للسبب سبب لانه يضطرب فيثبت مرة و يسقط أخرى وانما قيل للوتد وتد لانه يثبت فلا يزول

٢ — باب الزحاف — اعلم ان الزحاف زحافان فزحاف يسقط ثانى السبب الخفيف وزحاف يسكن ثانى السبب الثقيل وربما اسقطه ولا يدخل الزحاف فى شىء من الاوتاد وانما يدخل فى الاسباب خاصة وانما يدخل فى الجزء فى ثانى الجزء ورابعه وخامسه وسابعه فاذا أردت أن تعرف موضع الزحاف من الجزء فانظر الى جزء من الاجزاء الثمانية التى سميت لك فان رأيت الوتد فى أول الجزء فانما يزحف خامسه وسابعه وان كان الوتد فى آخر الجزء فانما يزحف ثانيه ورابعه وان كان الوتد فى وسط الجزء فانما يزحف ثانيه وسابعه فالزحاف الذى يدخل فى ثانى الجزء ثلاثة أسماء الخبن والاضمار والوقص فالمخبون ماذهب ثانيه والمضمر ماسكن ثانيه المتحرك والموقوص ماذهب ثانيه المتحرك والزحاف الذى يدخل فى رابع الجزء اسم واحد المطوى وهو ماذهب رابعه الساكن وللخامس منها ثلاثة أسماء القبض والعصب والعقل فالمقبوض ماذهب خامسه الساكن والمعصوب ماسكن خامسه المتحرك والمعقول ماذهب خامسه المتحرك وللسابع اسم واحد المكفوف وهو ماذهب سابعه الساكن

٣ — باب الزحاف المزدوج — المخبول هو ماذهب ثانيه ورابعه الساكنان والمخزول هو ماسكن ثانيه وذهب رابعه الساكن والمنقوص هو ماسكن خامسه وذهب سابعه الساكن والمشكول هو ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان

﴿ علل الاعاريض والضروب ﴾

المحذوف هو ماذهب من آخر الجزء سبب خفيف والمقطوف هو ماذهب من آخر الجزء سبب خفيف وسكن آخر ما بقى والمقصور ماذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من

الجزء الذى فى آخره سبب والمقطوع ماذهب أواخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الجزء الذى فى آخره وتد والابتر ماحذف ثم قطع فكان فاعل من فاعلاتن وقع من فعولن والاحذم ماذهب من آخر الجزء وتد مجموع والاصلم ماذهب من آخر الجزء وتد مفروق والموقوف ماسكن سابعه المتحرك والمكسوف ماذهب سابعه المتحرك والمجزوء ماذهب من آخر الصدر جزء ومن آخر العجز جزء والمشطور ماذهب شطره والمنهوك ماذهب منه أربعة أجزاء وبقى جزآن والزيادة على الاجزاء ثلاثة أشياء المذال وهو مازاد على اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون فى آخره وتد والمسبغ مازاد على اعتداله حرف ساكن مما يكون فى آخره سبب والمرفل مازاد على اعتداله حرفان متحرك وساكن مما يكون فى آخره وتد

(واعلم) ان كل جزء من أجزاء العروض يكون مخالفا الاجزاء حشوه بزحاف أوسلامة فهو المعتل وما كان معتلا فانما هو ثلاثة أشياء ابتداء وفصل وغاية وان الاعتماد ليس علة لانه غير مخالف لاجزاء الحشو كلها وانما خالفها فى الحسن والقبح وليس اختلاف الحسن والقبح علة ونحن نجد الاعتماد فى الشعر كثيرا من ذلك البيت الذى جاء به الخليل

أقيموا بنى النعمان عنا صدوركم * والا تقيموا صاغرين الرؤسا

﴿ ومنه قول امرىء القيس ﴾

أعنى على برق أراه وميض * يضىء حبيا فى شماريخ بيض

ويخرج منه لامعات كأنها * أكف تلقى الفوز عند المفيض

وانما زعم الخليل ان المعتل ما كان مخالفا الاجزاء حشوه بزحاف أوسلامة ولم يقل بحسن أوقبح ألا ترى ان القبض فى مفاعيلن فى الطويل حسن والكف فيه قبيح والقبض فى مفاعلن فى الهزل قبيح والكف فيه حسن والاعتماد فى المتقارب على ضد ماهو فى الطويل السالم فيه حسن والقبض فيه قبيح فاذا اعتل أول البيت سمى ابتداء واذا اعتل وسطه وهو العروض سمى فصلا واذا اعتل الطرف وهو فى القافية سمى غاية واذا لم يعتل أوله ولا وسطه ولا آخره سمى حشوا كله وما كان من الانصاف مستوفيا الدائرته وآخر جزء منه بمنزلة الحشو من الآخر فهو التام وما كان من الانصاف لم يذهب به الانتقاص فهو مجزوء وما كان من الانصاف مقفى فهو مصرع فان كانت الكلمة كلها كذلك فهو مشطور فاذا لم يبق منه الاجزآن فهو المنهوك واذا اختلفت القوافى واختلطت وكانت حيزا حيزا من كلمة واحدة فهو المخمس واذا كانت انصاف

على قواف يجمعها قافية واحدة ثم تمادى لمثل ذلك حتى تنقضي القصيدة فهو المسمط

٤ — باب الخرم — اعلم ان الخرم لا يدخل الا في كل جزء أوله وتد وذلك ثلاثة أجزاء فعولن مفاعلتن مفاعيلن وهو سقوط حركة من أول الجزء وانما منعه أن يدخل في السبب انك لو اسقطت من السبب حركة بقي ساكن ولا يبدأ بساكن أبدا ولا يدخل الخرم الا في أول البيت فان دخل الخرم فعولن قيل له أثلم فاذا دخل القبض مع الخرم قيل له اثرم فاذا دخل الخرم مفاعلتن قيل له اعضب فاذا دخله العصب مع الخرم قيل له اقصم فاذا دخل الخرم مفاعيلن قيل له اخرم فاذا دخله الكف والقبض مع الخرم قيل له اخرب فاذا دخله القبض مع الخرم قيل له أشتر وكل ما لم يدخله الخرم فهو تام

٥ — باب التعاقب والتراقب — اعلم ان التعاقب يدخل بين السببين المتقابلين في حشو الشعر حيثما كانا ولا يكونان من جميع العروض الا في أربعة أشطار في المديد والرمل والخفيف والمجتث وقد بينا جميع ذلك في موضعه فما عاقبه ما قبله فهو صدر وما عاقبه ما بعده فهو عجز وما عاقبه ما قبله وما بعده فهو طرفان وما لم يعاقبه ما قبله ولا ما بعده فهو برئ والتراقب بين السببين المتقابلين من فاصلة واحدة ولا يدخل التراقب من جميع العروض الا في المضارع والمقتضب وقد فسرناه هنالك وقد نظمنا جميع ما ذكرناه من هذه الابواب في ارجوزة ليسهل حفظها على المتعلم اذ كان حفظ المنظوم أسهل من حفظ المنثور وذكرنا فيها كل الدوائر الخمس وما ينفك من كل دائرة من عدد الشطور التي قالت عليها العرب والتي لم تقل عليها وموضع الزحاف منها واعلم ان الدائرة الاولى مؤلفة من أربعة أجزاء سباعيين مع خماسيين وهي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن والدائرة الثانية من ثلاثة أجزاء سباعية وهي مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن والدائرة الثالثة مؤلفة من ثلاثة أجزاء سباعية وهي مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن والدائرة الرابعة مؤلفة من ثلاثة أشياء سباعية وهي مستفعلن مفعولات مستفعلن والدائرة الخامسة مؤلفة من أربعة أجزاء خماسية وهي فعولن فعولن فعولن فعولن واعلم ان كل دائرة من هذه الدوائر ينفك من رأس كل سبب وكل وتد فيها شطر وقد بينا جميع ذلك في الدوائر وأسماء الشطور التي تنفك عنها

﴿ وهذه أرجوزة العروض ﴾

بالله نبدأ وبه التمام * وباسمه يفتتح الكلام

ياطالب العلم هو المنهاج * قد كثرت من دونه الفجاج

وكل علم فله فنون * وكل فن فله عيون

* أولها جوامع البيان * وأصلها معرفة اللسان *

فان في المجاز والتأويل * ضلت أساطير ذوي العقول

حتى اذا عرفت تلك الابنية * واحدها وجمعها والتثنية

طلبت ما شئت من العلوم * ما بين منثور الى منظوم

فداو بالاعراب والعروض * داءك في الاملاك والقريض

* كلاهما طب لداء الشعر * واللفظ من لحن به وكسر

ما فلسف البطليس جالينوس * وصاحب القانون بطليموس

ولا الذي يدعونه بهرمس * وصاحب الاركند والاقليدس

فلسفة الخليل في العروض * وفي صحيح الشعر والمريض

وقد نظرت فيه فاختصرت * الى نظام منه قد أحكمت

* ملخص مختصر بديع * والبعض قد يكفي عن الجميع

﴿ اختصار الفرش ﴾

هذا اختصار الفرش من مقال * وبعده أقول في المثال

* أوله والله أستعين * أن يعرف التحريك والسكون

من كل ما يبدو على اللسان * لا كل ما تخطه اليدان

ويظهر التضعيف في الثقيل * بعده حرفين في التفعيل

مسكنا وبعده محركا * كنون كنا وكراء ىركا

٦ — باب الاسباب والاوتاد —

وبعد ذا الاسباب والاوتاد * فانها لقولنا عماد *

فالسبب الخفيف اذ يعد * محرك وساكن لا يعد

والسبب الثقيل في التبيين * حركتان غير ذي تنوين

والوتد المفروق والمجموع * كلاهما في حشوه ممنوع

وانما اعتل من الاجزاء * في الفصل والعائي والابتداء

فالوتد المجموع منها فافهمن * حركتان قبل حرف قد سكن

والوتد المفروق من هذين * مسكن بين محركين
فهذه الاوتاد والاسباب * لها ثبات ولها ذهاب
وانما عروض كل قافيه * جار على اجزائه الثمانيه
وها كها بينة مصوره * لكل من عاينها مفسره

﴿ الفواصل ﴾

فاعلن فعولن مستفعلن فاعلاتن مفاعيلن مفاعلتن متفاعلن مفعولات

هذى التى بها يقول المنشد * فى كل مايرجوه أومايقصد
كل عروض يعتزى اليها * وانما مداره عليها
منها خماسيان فى الهجاء * وغيرها مسبع البناء
يدخلها النقصان بالزحاف * فى الحشو والعروض والقوافى
وانما يدخل فى الاسباب * لانها تعرف باضطراب

٧ — باب الزحاف —

فكل جزء زال منه الثانى * من كل مايبدو على اللسان
وكان حرفا شأنه السكون * فانه عندى اسمه مخبون
وان وجدت الثانى المنقوصا * محركا سميته الموقوصا
وان يكن محركا فسكنا * فذلك المضمر حقا بينا
والرابع الساكن اذ يزول * فذلك المطوى لا يحول
وان يزل خامسه المسكن * فذلك المقبوض وهو حسن
وان يكن محركا سكنته * فسمه المعصوب ان سميته
وان أزلت سابع الحروف * سميته اذذاك بالمكفوف

٨ — باب تسمية الزحاف الذى يكون فى موضعين من الجزء —

كل زحاف كان فى حرفين * حل من الجزء بموضعين
فانه يجحف بالاجزاء * وهو يسمى أقبح الاسماء
فكل ماسكن منه الثانى * وأسقط الرابع فى اللسان
فذلك المخزول وهو يقبح * فحيثما كان فليس يصلح

وان يزل رابعه والثانى * ذاك وذا فى الجزء سا كنان
فانه عندى اسمه المخبول * قصرالجزء الذى يطول
وكل جزءفى الكتاب يدرك * يسكن منه الخامس المحرك
واسقط السابع وهو يسكن * فذلك المنقوص ليس يحسن
وسابع الجزء وثانيه اذا * كان يعدسا كناذاك وذا
فاسقطا بأقبح الزحاف * سمى مشكولا بلااختلاف
هذا الزحاف لاسواه فاسمع * يطلق فى الاجزاء لم يمتنع

٩ — باب العلل —

والعلل التى تجوز أجمع * وليس فى الحشو لهن موضع
ثلاثة تدعى بالابتداء * والفصل والغاية فى الاجزاء
والاعتماد خارج عن شكلها * وفعله مخالف لفعلها
لانهم قد تركوا التزامه * وجازفيه القبض والسلامه
ومثل ذاك جائز فى الحشو * فنحوهذا غيرذاك النحو
وكل معتل فغير جائز * فى الحشو والقصيد والاراجز
وانما أجازه الخليل * مجازفا اذ خانه الدليل
وكل حى من بنى حواء * فغير معصوم من الخطاء
فأول البيت اذا مااعتلا * سميته بالابتداء كلا
وغاية الضرب تسمى غايه * وليس فى الحشو بلاحكايه
وكل مايدخل فى العروض * من علة تجوز فى القريض
فهى تسمى الفصل عندذا كا * وقل من يعرفه هنا كا

١٠ — باب الخرم —

والخرم فى أوائل الابيات * تعرف بالاسماء والصفات
نقصان حرف من أوائل العدد * فى كل ماشطريفك من وتد
خمسة أشطار من الشطور * يخرم منها أول الصدور
منها الطويل أول الدوائر * واطول البناء عند الشاعر

يدخله الخرم فيدعى أثلما * فان تلاه القبض سمى أثرما
والوافر الذى مدار الثانيه * عليه قد تعيه أذن واعيه
يدخله الخرم فى الابتداء * فى أول الجزء من الاجزاء
وهو يسمى أعضبا فكل ما * ضم اليه العصب سمى أقصما
وان يكن أعصب ثم يعقل * فذلك الاجم ليس يجهل
والهزج الذى هو السوار * عليه للثالثة المدار
يدخله الخرم فيدعى أخرما * وهو قبيح فاعلمن وافهما
حتى اذا ما كف بعد الخرم * سميته اجزم اذ تسمى
والاشتر المهجن العروضا * ما كان منه آخر مقبوضا
هذا وفى الرابعة المضارع * يدخل فيه الخرم لا يدافع
كمثل ما يدخل فى شطر الهزج * وهو يسمى باسمه بلا حرج
ولا يجوز الخرم فيه وحده * الا بقبض او يكف بعده
لعلة التراقب المذكور * خص به من اجمع الشطور
والمتقارب الذى فى الآخر * تحلو به خامسة الدوائر
يدخله مايدخل الطويلا * من خرمه وليس مستحيلا
هذا جميع الخرم لاسواه * وهو قبيح عند من سماه
يدخل فى اوائل الاشعار * ماقيل فى ذى الخمسة الاشطار
لان فى أول كل شطر * حركتين فى ابتداء الصدر
وانما ينفك فى أوتاد * فلم يضرها الخرم فى الكاد
لقوة الاوتاد فى اجزائها * وانها تبرأ من أدوائها
سالمة من اجمع الزحاف * فى كل مجزوء وكل واف
والجزء مالم ترفيه خرما * فانه الموفور قد يسمى

١١ — باب علل الاعاريض والضروب —

والعلل المسميات اللاتى * تعرف بالفصول والغايات
تدخل فى الضرب وفى العروض * وليس فى الحشو من القريض

منها الذى يعرف بالمحذوف * وهو سقوط السبب الخفيف
فى آخر الجزء الذى فى الضرب * او فى العروض غير قول كذب
ومثله المعروف بالمقطوف * لو بسكون آخر الحروف
وكل جزء فى الضروب كائن * اسقط منه آخر السواكن
وسكن الآخر من باقيه * مما يجيزون الزحاف فيه
فذلك المقصور حين يوصف * وان يكن آخره لا يزحف
من وتد يكون حين لا سبب * فذلك المقطوع حين ينتسب
وكل ما يحذف ثم يقطع * فذلك الابتر وهو أشنع
وان يزل من آخر الجزء وتد * ان كان مجموعا فذلك الاحذ
أو كان مفروقا فذاك الاصلم * كلاهما للجزء حقا صيلم
وان يسكن سابع الحروف * فانه يعرف بالموقوف
وان يكن محركا فاذهبا * فذلك المكشوف حقا يوجبا
وبعده التشعيث فى الخفيف * فى ضربة السالم لا المحذوف
يقطع منه الوتد الموسط * وكل شىء بعده لا يسقط

١٢ — باب التعاقب والتراقب —

وبعد ذا تعاقب الجزأين * فى السببين المتقابلين
لا يسقطان جملة فى الشعر * فان ذاك من اشد الكسر
ويثبتان أيما ثبات * وذاك من سلامة الابيات
وان ينل بعضهما ازالة * عاقبة الآخرة لا محاله
فكل ما عاقبه ما قبله * سمى صدرا فافهمن اصله
وكل ما عاقبه ما بعده * فهو يسمى عجزا فعده
وان يكن هذا وذا معاقبا * فهو يسمى طرفين واجبا
يدخل فى المديد والخفيف * والرمل المجزوء والمحذوف
ويدخل المجتث ايضا اجمعه * ولا يكون فى سوى ذى الاربعه
والجزء اذ يخلو من التعاقب * فهو برىء غير قول الكاذب

وهكذا ان قسته التعاقب * وليس مثل ذلك التراقب
لانه لم يأت من جزأين * فى السببين المتجاورين
لكنه جاء بجزء واحد * فى اول الصدر من القصائد
والسببان غير مزحوفين * فى جزئه وغير سالمين
ان زال هذا كان ذا مكانه * فاسمع مقالى وافهمن بيانه
فهكذا التراقب الموصوف * وكله فى شطره معروف
يدخل اول المضارع السبب * وبعده يدخل صدر المقتضب

﴿ الزيادات على الاجزاء ﴾

ثم الزيادات على الاجزاء * موجودة تعرف بالاسماء
وانما تكون فى الغايات * تزاد فى أواخر الابيات
وكلها فى شطره موجود * منها المرفل الذى يزيد
حرفين فى الجزء على اعتداله * محركا وساكنا فى حاله
وذاك فيما لا يجوز الزحف * فيه ولا يعزى اليه الضعف
وفيه أيضا يدخل المذال * مقيدا فى كل ما يقال
وهو الذى يزيد حرفا ساكنا * على اعتدال جزئه مباينا
ومثله المسبغ من هذى العلل * حرف يزيده على شطر الامل

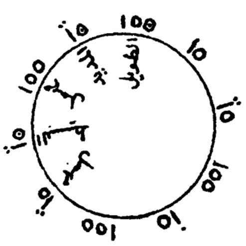
١٣ — باب نقصان الاجزاء —

فان رأيت الجزء لم يذهب معا * بالانتقاص فهو واف فاسمعا
وان يكن اذهبه النقصان * فافهم ففى قولى لك البيان
فذلك المجزوء فى النصفين * اذا انتقصت منهما جزأين
والبيت ان نقصت منه شطره * فذلك المشطور فافهم أمره
وان نقصت منه بعد الشطر * جزأ صحيحا من اخير الصدر
وكان ما يبقى على جزأين * فذلك المنهوك غير مين

﴿ صفة الدوائر ﴾

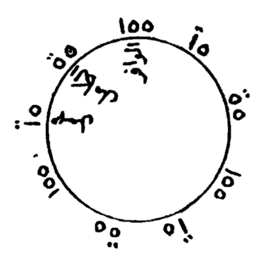
فاسمع فهذى صفة الدوائر * وصف عليم بالعروض خابر

دوائر تعيا على ذهن الحذق * خمس عليهن الخطوط والحلق
فالها من الخطوط البائنه * دلائل على الحروف الساكنه
والحلقات المتجوفات * علامة للمتحركات *
والنقط التي على الخطوط * علامة تعد للسقوط
والحلق التي عليها تنقط * تسكن أحيانا وحينا تسقط
والنقط التي بأجواف الحلق * لمبتدا الشطور منها يخترق
فانظر تجد من تحتها اسماءها * مكتوبة قد وضعت ازاءها
والنقطتان موضع التعاقب * ومثل ذاك موضع التراقب
وهذه صورة كل واحده * منها ومعنى فسرها على حده
أولها دائرة الطويل * وهى ثمانى لذى التفصيل
مقسم الشطر على ارباع * بين خماسى الى سباعى
حروفه عشرون بعد أربعه * قد بينوا لكل حرف موضعه
ينقل منها خمسة شطور * يفصلها التفعيل والتقدير
منها الطويل والمديد بعده * ثم البسيط يحكمون سرده
ثلاثة قالت عليها العرب * واثنان صدوا عنهما ونكبوا
وهذه صورتها كما ترى * وذكرها مبينا مفسرا

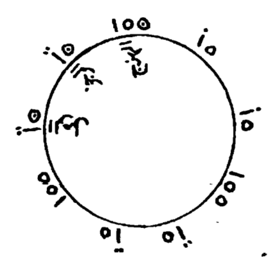


وبعدها الثانية المخصوصه * بالسبب الثقيل والمنقوصه
اجزاؤها مثلثة مسبعه * قد كرهوا ان يجعلوها اربعه
لانها تخرج عن مقدارهم * فى جملة الموزون من اشعارهم

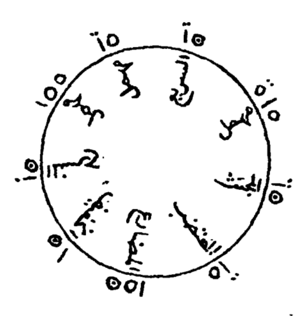
فهو على عشرين بعد واحد * من الحروف مابها من زائد
ينفك منها وافر وكامل * وثالث قد حار فيه الجاهل



والدائرة الثالثة التى حكت * فى قدرها الثانية التى مضت
فى عدة الاجزاء والحروف * وليس فى الثقيل والخفيف
ينفك منها مثل ماينفك * من تلك حقا ليس فيه شك
ترفل من ديباجها فى حلل * من هزج أو رجز أو رمل
وهذه صورتها مبينه * بحليها ووشيها مزينه

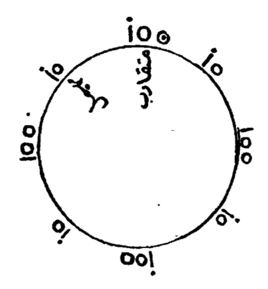


واربع الدوائر المسروده * اجزاؤها ثـلاثة معـدوده
عجيبة قد حار فيها الوصف * عشرون حرفاعدها وحرف
مثل التى تقدمت من قبلها * وشـكلها مخالف لشـكلها
بديعـة احـكم فى تدبيرها * بالوتد المفروق فى شطورها
ينفـك منها سـتة مقـوله * مـن بينها ثـلاثة مجهـوله
وكل هذى الستة المشطوره * معـروفة لاهلها مخبـوره
اولها السريع ثم المنسرح * ثم الخفيف بعـده ثم وضح
وبعده مضارع ومقتضب * شطران مجزوآن فى قول العرب
وبعدها المجتث أحلى شطر * يوجـد مجزوأ لاهـل الشعر



وبعـدها خامسة الدوائر * للمتقارب الذى فى الآخر
ينفك منها شـطره وشـطر * لم يأت فى الاشعار منه الذكر
من اقصر الاجزاء والشطور * حروفه عشرون فى التقدير
مؤلف الشـطر على دوائر * مجسمات اربـع متـواتر
هذا الذى جربه المجـرب * من كل ماقالت عليه العرب
فـكل شىء لم يقـل عليـه * فاننا لم نلتفت اليـــه *
ولا نقـول مثـل ماقد قالوا * لانه من قولنـا محـال

وانه لو جاز فى الابيات * خلافها لجاز فى اللغات
وقد اجاز ذلك الخليل * ولا اقول فيه ما يقول
* لانه ناقض فى معناه * والسيف قد ينبو وفيه ماه
اذ جعل القول القديم اصله * ثم اجاز ذا وليس مثله *
وقد يزل العالم النحرير * والحبر قد يخونه التحبير
وليس للخليل من نظير * فى كل ما يأتى من الامور
لكنه فيه نسيج وحده * ما مثله من قبله و بعده
* فالحمد لله على نعمائه * حمدا كثيرا وعلى آلائه
يا ملكا ذلت له الملوك * ليس له فى ملكه شريك
ثبت لعبد الله حسن نيته * واعطفه بالفضل على رعيته



{ ابتداء الامثال }

{ شطر الطويل } الطويل له عروض واحد مقبوض وثلاثة ضروب ضرب سالم وضرب مقبوض وضرب محذوف معتمد

{ العروض المقبوض والضرب السالم }

وروضة ورد حف بالسوسن الغض * تحلت بلون السام والذهب المحض
رأيت بها بدرا على الارض ماشيا * ولم أر بدرا قط يمشي على الارض

الى مثله فلتصب ان كنت صابيا * فقد كاد منه البعض يصبو الى البعض
وكل ورد خديه ورمان صدره * بعص على مص وعض على عض
وقل للذى أفنى الفؤاد بحبه * على أنه يجزى المحبة بالبعض
أيا منذرا أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

﴿ الضرب المقبوض ﴾

وحاملة راحا على راحة اليد * موردة تسقى بلون مورد
متى ماترى الابريق للكاس راكعا * تصلى له من غير طهر وتسجد
على ياسمين كاللجين ونرجس * كاقراط در فى قضيب زبرجد
بتلك وهذى قاله ليلك كله * وعنها فسل لا تسأل الناس عن غد
ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار مالم تزود

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

﴿ الضرب المحذوف المعتمد ﴾

أيقتلنى دائى وأنت طبيبي * قريب وهل من لا يرى بقريب
لئن خنت عهدى اننى غير خائن * وأى محب خان عهد حبيب
وساحبة فضل الذيول كانها * قضيب من الريحان فوق كثيب
اذا ما بدت من خدرها قال صاحبي * أطعنى وخذ من وصلها بنصيب
وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فعولن مفاعيلن فعولن فعولن

يجوز فى حشو الطويل القبض والكف فالقبض فيه حسن والكف فيه قبيح ويدخله الخرم فى الابتداء فيقال له أثلم فاذا دخله القبض مع الخرم قيل له أثرم والخرم سقوط حركة من أول البيت ولا يكون الا فى وتد والقبض ماذهب خامسه الساكن والكف ماذهب سابعه

الساكن والاعتماد سقوط الخامس من فعولن التى قبل القافية اعتمد به فقبض ولم تجر فيه السلامة الا على قبح ولم يأت فى الشعر الا شاذا قليلا والاعتماد فى المتقارب سلامة الجزء الذى قبل القافية والمحذوف ماذهب من آخره سبب خفيف:

﴿ شطر المديد ﴾

هو مجزوء كله له ثلاثة اعاريض وستة ضروب فالعروض الاول منها مجزوء وله ضرب مثله والعروض الثانى محذوف لازم الثانى له ثلاثة ضروب لازمة الثانى ضرب مقصور لازم الثانى وضرب محذوف لازم الثانى وضرب أبتر لازم الثانى والعروض الثالث محذوف مخبون له ضربان ضرب مثله وضرب أبتر لازم الثانى

﴿ العروض المجزوء والضرب المجزوء ﴾

ياطويل الهجر لا تنس وصلى * واشتغالى بك عن كل شغل
ياهلالا فوق جيد غزال * وقضيبا تحته دعص رمل
لا سلت عاذلتى عنه نفسى * اكثرى فى حبه أو أقلى
شادن يزهى بخد وجيد * مائس فاتن حسن ودل
ومتى مايع منك كلاما * فتكلم فيجبك بعقل

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

﴿ العروض المحذوف اللازم الثانى والضرب المقصور اللازم الثانى ﴾

ياوميض البرق بين الغمام * لا عليها بل عليك السلام
ان فى الاحداج مقصورة * وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالا لها * وترى الوصل عليها حرام
* ماتأسيك لدار خلت * ولشعب شت بعد التئام
انما ذكرك ماقد مضى * ضلة مثل حديث المنام

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فاعلن * فاعلاتن فاعلن فاعلان

﴿ الضرب المحذوف اللازم الثانى ﴾

عاتب ظلت له عاتبا * رب مطلوب غدا طالبا
من يتب عن حب معشوقه * لست عن حبى له تائبا
فالهوى لى قدر غالب * كيف أعصى القدر الغالبا
ساكن القصر ومن حله * أصبح القلب بكم ذاهبا
اعلموا انى لكم حافظ * شاهدا ماعشت أو غائبا

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فاعلن * فاعلاتن فاعلن فاعلن

﴿ الضرب الابتر ﴾

أى تفاح ورمان * يجتنى من خوط ريحان
أى ورد فوق خد بدا * مستنيرا بين سوسان
وثن يعبد فى روضة * صيغ من در ومرجان
من رأى الذلفاء فى خلوة * لم ير الحد على الزانى
انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فاعلن * فاعلاتن فاعلن فعلن

﴿ العروض المجزوء المحذوف والمخبون ضربه ﴾

من محب شفه سقمه * وتلاشى لحمه ودمه
كاتب حنت صحيفته * وبكى من رحمة قلمه
يرفع الشكوى الى قمر * ينجلى عن وجهه ظلمه
من لقرن الشمس جبهته * وللمع البرق مبتسمه
خل عقلى يامسفهه * ان عقلى لست اتهمه
للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فعلن * فاعلاتن فاعلن فعلن

﴿ الضرب الابتر اللازم الثانی ﴾

زادنی لومك اضرارا * ان لی فی الحب انصارا
طار قلبی من هوی رشا * لودنا للقلب ما طارا
خذ بكفی لاامت غرقا * ان بحر الحب قد فارا
انضجت نار الهوی كبدی * ودموعی تطفیٔ النارا
رب نار بت ارمقها * تقضم الهندی والغارا

﴿ تقطیعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فعلن * فاعلاتن فاعلن فعلن

یجوز فی حشو المدید الخبن والكف والشكل فالمخبون ماذهب ثانیه الساكن والمكفوف ماذهب سابعه الساكن والمشكول ماذهب ثانیه وسابعه الساكنان وهو اجتماع الخبن والكف فی فاعلاتن ویدخله التعاقب فی السببین المتقابلین بین النون من فاعلاتن والالف من فاعلن لایسقطان جمیعا وقد یثبتان فما عاقبه ماقبله فهو صدر وما عاقبه مابعده فهو عجز وما عاقبه ماقبله ومابعده فهو طرفان ومالم یعاقبه شیء فهو بریٔ والمقصور ماذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من السبب والابتر ماحذف ثم قطع

﴿ شطر البسیط ﴾

البسیط له ثلاثة اعاریض وستة اضرب فالعروض الاول مخبون تام له ضربان ضرب مثله وضرب مقطوع لازم الثانی والعروض الثانی مجزوء له ثلاثة اضرب ضرب مذال وضرب مجزوء وضرب مقطوع ممنوع من الطی والعروض الثالث مقطوع ممنوع من الطی له ضرب مثله

﴿ العروض المخبون الضرب المخبون ﴾

بین الاهلة بدر ماله فلك * قلبی له سلم والوجه مشترك
اذا بدا انتهبت عینی محاسنه * وذل قلبی لعینیه فینتهك
ابتعت بالدین والدنیا مودته * فخاننی فعلی من یرجع الدرك
كفوا بنی حارث ألحاظ ریمكم * فكلها لفؤادی كله شرك
یاحار لاأرمین منكم بداهیة * لم یلقها سوقة قبلی ولاملك

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

﴿ الضرب المقطوع اللازم ﴾

ياليلة ليس فى ظلمائها نور * الاوجوها تضاهيها الدنانير
حور سقتنى كاس الموت اعينها * ماذا سقتنيه تلك الاعين الحور
اذا ابتسمن فدر الثغر منتظم * وان نطقن فدر اللفظ منثور
خل الصبا عنك واختم بالنهى عملا * فان خاتمة الاعمال تكفير
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المجزوء والضرب المذال ﴾

ياطالبا فى الهوى مالاينال * وسائلا لم يعف ذل السؤال
ولت ليالى الصبا محمودة * لوانها رجعت تلك الليال
واعقبتها التى واصلتها * بالهجر لما رأت شيب القذال
لاتلتمس وصلة من مخلف * ولاتكن طالبا مالاينال
ياصاح قد اخلقت اسماءما * كانت تمنيك من حسن الوصال

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلان

﴿ الضرب المجزوء ﴾

ظالمتى فى الهوى لاتظلمى * وتصرمى حبل من لم يصرم
أهكذا باطلا عاقبتنى * لايرحم الله من لم يرحم
قتلت نفسا بلانفس وما * ذنب باعظم من سفك الدم
لمثل هذا بكت عينى ولا * للمنزل القفر لا للارسم
ماذاوقوفى على رسم عفا * مخلولق دارس مستعجم

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع من الطى ﴾

ماأقرب اليأس من رجائى * وأبعد الصبر من بكائى
يامذكى النار فى جوانحى * أنت دوائى وأنت دائى
من لى بمخلفة فى وعدها * تخلط لى اليأس بالرجاء
سألتها حاجة فلم تفه * فيها بنعم ولا بلاء
قلت استجيبى فلما لم تجب * سالت دموعى على ردائى

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن * مستفعلن فاعلن فعولن

﴿ العروض المقطوع الممنوع من الطى ضربه مثله ﴾

كآبة الذل فى كتابى * ونخوة العز فى جوابى
قتلت نفسا بغير نفس * فكيف تنجو من العذاب
خلقت من بهجة وطيب * اذ خلق الناس من تراب
ولت حميا الشباب عنى * فلهف نفسى على الشباب
أصبحت والشيب قد علانى * يدعو حثيثا الى الخضاب

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن فاعلن فعولن * مستفعلن فاعلن فعولن

يجوز فى حشو البسيط الخبن والطى والخبل فالخبن ماذكرناه فى المديد والطى ماذهب رابعه الساكن والمخبول ماذهب ثانيه ورابعه الساكنان وهو اجتماع الخبن والطى فى مستفعلن والخبن فيه حسن والطى فيه صالح والخبن فيه قبيح والمقطوع ماذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الوتد والمذال مازاد على اعتداله حرف ساكن تمت الدائرة الاولى

﴿ شطر الوافر له عروضان وثلاثة ضروب ﴾

فالعروض الاول مقطوف له ضرب مثله والعروض الثانى مجزوء ممنوع من العقل له ضربان ضرب سالم وضرب معصوب

﴿ العروض المقطوف الضرب المقطوف ﴾

تجافى النوم بعدك عن جفونى * ولكن ليس يجفوها الدموع
يذكرنى تبسمك الاقاحى * ويحكى لى توردك الربيع
يطير اليك من شوق فؤادى * ولكن ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبت غابت * فليس لها على الدنيا طلوع
فمالى عن تذكرك امتناع * ودون لقائك الحصن المنيع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ماتستطيع

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعلتن مفاعلتن فعولن * مفاعلتن مفاعلتن فعولن

﴿ العروض المجزوء الممنوع من العقل الضرب السالم ﴾

غزال زانه الحور * وساعد طرفه القدر
يريك اذا بدا وجها * حكاه الشمس والقمر
براه الله من نور * فلا جن ولا بشر
فذاك الهم لا طلل * وقفت عليه تعتبر
اهاجك منزل أقوى * وغير آية الغير

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعلتن مفاعلتن * مفاعلتن مفاعلتن

﴿ الضرب المعصوب ﴾

وبدر غير ممحوق * من العقيان مخلوق
اذا أسقيت فضلته * مزجت بريقه ريق
فيالك عاشقا يسقى * بقية كاس معشوق
بكيت لنأيه عنى * ولا أبكى بتشهيق
لمنزلة بها الا فلا * ك أمثال المهاريق

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعلتن مفاعلتن * مفاعلتن مفاعيلن

يجوز فى حشو الوافر العصب والعقل والنقص فالعصب فيه حسن والنقص فيه صالح

والعقل فيه قبيح ويدخله الخرم فى الابتداء فيسقط حركة من أول البيت فيسمى اعصب فاذا دخله العصب مع الخرم قيل له اقصم فاذا دخله النقص مع الخرم قيل له اعقص فاذا دخله العقل مع الخرم قيل له اجم والمعصوب ماسكن خامسه المتحرك والمنقوص ماسكن خامسه المتحرك وذهب سابعه الساكن والمقطوف ماذهب من آخره سبب خفيف وسكن آخر مابقى ولايدخل القطف الافى العروض والضرب من تام الوافر

﴿ شطر الكامل ﴾

الكامل له ثلاثة اعاريض وتسعة ضروب فالعروض الاول تام له ثلاثة ضروب ضرب تام مثله وضرب مقطوع ممنوع الامن سلامة الثانى واضماره وضرب أحذ مضمر والعروض الثانى أحذ له ضربان ضرب مثله وضرب مضمر والعروض الثالث مجزوء له اربعة ضروب ضرب مرفل وضرب مذال وضرب مجزوء وضرب مقطوع ممنوع الا من سلامة الثانى واضماره

﴿ العروض التام الضرب التام ﴾

ياوجه معتذر ومقلة ظالم * كم من دم ظلما سفكت بلا دم
اوجدت وصلى فى الكتاب محرما * ووجدت قتلى فيه غير محرم
كم جنة لك قد سكنت ظلالها * متفكها فى لذة وتنعم
وشربت من خمر العيون تعللا * فاذا انتشيت أجود جود المرزم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

(تقطيعه)

متفاعلن متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن متفاعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع الا من الاضمار والسلامة ﴾

حال الزمان فبدل الآمالا * وكمى المشيب مفارقا وقذالا
غنيت غوانى الحى عنك وربما * طلعت اليك اهلة وجمالا
أضحى عليك حلالهن محرما * ولقد يكون حرامهن حلالا
ان الكواعب ان رأينك طاويا * وصل الشباب طوين عنك وصالا
واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا

(تقطيعه)

متفاعلن متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن فعلاتن

﴿الضرب الاحذ المضمر﴾

يوم المحب لطوله شهر * والشهر يحسب انه دهر
بأبى وأمى غادة فى خدها * سحر و بين جفونها سحر
الشمس تحسب انها شمس الضحى * والبدر يحسب انها البدر
فسل الهوى عنها يجبك وان نأت * فسل القفار يجيبك القفر
لمن الديار برامتين فعاقل * درست وغير آيها القطر

(تقطيعه)

متفاعلن متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿العروض الاحذ الثالث ضربه مثله﴾

اما الخليط فشد ماذهبوا * بانوا ولم يقضوا الذى يجب
فالدار بعدهم كوشم يد * يادار فيك وفيهم العجب
أين التى صيغت محاسنها * من فضة شيبت بها ذهب
ولى الشباب فقلت اندبه * لامثل ماقالوا ولا ندبوا
دمن عفت ومحا معالمها * هطل اجش وبارح ترب

(تقطيعه)

متفاعلن متفاعلن فعلن * متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿الضرب الاحذ المضمر﴾

عينى كيف غررتما قلبى * وأبحتماه لوعة الحب *
يانظرة أذكت على كبدى * نارا قضيت بحرها نحبى
خلوا جوى قلبي أكابده * حسبي مكابدة الجوى حسبي
عينى جنت من شؤم نظرتها * مالا دواء له على قلبي
جانيك من يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

﴿تقطيعه﴾

متفاعلن متفاعلن فعلن * متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿ العروض المجزو الضرب المجزو المرفل ﴾

هتك الحجاب عن الضمائر * طرف به تبلى السرائر
يرنو فيمتحن القلو * ب كانه فى القلب ناظر
* ياساحرا ما كنت أعرف قبله فى الناس ساحر *
اقصيتنى من بعد ما * ادنيتنى فالقلب طائر *
* وغررتنى وزعمت أنك لابن بالصيف تامر *

﴿ تقطيعه ﴾

متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلاتن

﴿ الضرب المذال ﴾

يامقلة الرشا الغر * ير وشقة القمر المنير
مارنقت عيناك لى * بين الاكلة والستور
الاوضعت يدى على * قلبى مخافة ان يطير
هبنى كبعض حمام مكة واستمع قول النذير
أبنى لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

﴿ تقطيعه ﴾

متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلان

﴿ الضرب المجزو ﴾

قل ما بدالك وافعل * واقطع حبالك أو صل
هذا الربيع فحيه * وانزل باكرم منزل
وصل الذى هو واصل * فاذا كرهت فبدل
واذا نبا بك منزل * أو مسكن فتحول
واذا افتقرت فلا تكن * متجشعا وتجمل

﴿ تقطيعه ﴾

متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع الامن سلامة الثانى واضماره ﴾

يادهر مالى أطيبا * لك وأنت غير موات
جرعتنى غصصا بها * كدرت صفو حياتى
أين الذين تسابقوا * فى المجد للغايات
قوم بهم روح الحيا * ة ترد فى الاموات
واذا هموا ذكروا الاسا * ءة أكثروا الحسنات

﴿ تقطيعه ﴾

متفاعلن متفاعلن * متفاعلن فعلاتن

يجوز فى الكامل من زحاف الاضمار والوقص والخزل فالاضمار فيه حسن والوقص فيه صالح والخزل فيه قبيح فالمضمر ماسكن ثانيه المتحرك والموقوص ماذهب ثانيه المتحرك والمخزول ماسكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن ويدخله من العلل القطع والحذذ فالمقطوع ماتقدم ذكره والاحذ ماذهب من آخر الجزء وتد مجموع

﴿ شطر الهزج ﴾

الهزج له عروض واحد مجزوء ممنوع من القبض وضربان ضرب سالم وضرب محذوف

﴿ العروض المجزوء الممنوع من القبض ضربه مثله ﴾

أيا من لام فى الحب * ولم يعلم جوى قلبى
ملام الصب يغويه * ولا أغوى من القلب
فانى لمت فى هند * محبا صادق الحب
وما يلقى لها شبه * بشرق لا ولا غرب
الى هند صبا قلبى * وهند مثلها يصبى

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعيلن مفاعيلن * مفاعيلن مفاعيلن

﴿ الضرب المجزو المحذوف ﴾

متى أشفى غليلى * بنيل من بخيل
غزال ليس لى منه * سوى الحزن الطويل

جميل الوجه أخلانى * من الصبر الجميل
حملت الضيم فيه من * حسود أو عذول
وماظهرى لباغى الضيم بالظهر الذلول

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعيلن مفاعيلن * مفاعيلن فعولن

يجوز فى الهزج من الزحاف القبض والكف فالكف فيه حسن والقبض فيه قبيح وقد فسرنا المقبوض والمكفوف فى الطويل أيضا ويدخله الخرم فى الابتداء فيكون اخرم فاذا دخله الكف مع الخرم قيل له اخرب فاذا دخله القبض مع الخرم قيل له اشتر والخرم كله قبيح

﴿ شطر الرجز ﴾

الرجز له اربعة اعاريض وخمسة ضروب فالعروض الاول تام له ضربان ضرب تام مثل عروضه وضرب مقطوع ممنوع من الطى والعروض الثانى مجزوء له ضرب مثله مجزوو العروض الثالث مشطور له ضرب مثله والعروض الرابع منهوك له ضرب مثله

﴿ العروض التام الضرب التام ﴾

لم أدر جنى سبانى أم بشر * أم شمس ظهر أشرقت لى ام قمر
أم ناظر يهدى المنايا طرفه * حتى كأن الموت منه فى النظر
يحيي قتيلا ماله من قاتل * الاسهام الطرف ريشت بالحور
مابال رسم الوصل اضحى دائرا * حتى لقد اذ كرتنى مما دثر
دار لسلمى اذ سلمى جارة * قفرى ترى آياتها مثل الزبر

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع من الطى ﴾

قلب بلوعات الهوى معمود * حتى سقتنيه الظباء الغيد
من ذا يداوى القلب من داء الهوى * اذ لادواء للهوى موجود
أم كيف اسلو غادة ماحبها * الاقضاء ماله مردود *
القلب منها مستريح سالم * والقلب منى جاهد مجهود

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعل

﴿ العروض المجزوء الضرب المجزوء ﴾

أعطيته ما سألا * حكمته لو عدلا

وهبته روحى فما * اردى به ما فعلا

أسلمته فى يده * عيشه أم قتلا

قلبى به فى شغل * لا مل ذاك الشغلا

قيده الحب كما * قيد راع جملا

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن

﴿ العروض المشطور الضرب المشطور ﴾

باأيها المشغوف بالحب التعب * كم انت فى تقريب مالا يقترب

دع ودمن لا يرعوى اذا غضب * ومن اذا عاتبته يوما عتب

انك لا تجنى من الشوك العنب

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

﴿ العروض المنهوك الضرب المنهوك ﴾

بياض شيب قد نصع * رقعته فما ارتفع *

اذا رأى البيض انقمع * من بين ياس وطمع

لله أيام النخع

ياليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع

(تقطيعه)

مستفعلن مستفعلن

ويجوز فى حشو الرجز الخبن والطى والخبل فالخبن فيه حسن والطى فيه صالح والخبل فيه قبيح وقد مضى تفسير الطى والخبن والخبل فى البسيط ويدخله من العلل القطع وقد

ذكرناه ويكون مجزوأ والمجزوء ماذهب من آخر الصدر جزء ومن آخر العجز جزء ويأتى مشطورا والمشطور ماذهب شطره ويأتى منهوكا والمنهوك ماذهب من شطره جزآن وبقى على جزء

﴿ شطر الرمل ﴾

الرمل له عروضان وستة ضروب فالعروض الاول محذوف جائز فيه الخبن له ثلاثة ضروب ضرب متمم وضرب مقصور جائز فيه الخبن وضرب محذوف مثل عروضه والعروض الثانى مجزوء له ثلاثة ضروب ضرب مسبغ وضرب مجزوء مثل عروضه الجائز فيه الخبن وضرب محذوف جائز فيه الخبن

﴿ العروض المحذوف الجائز فيه الخبن الضرب المتمم ﴾

أنا فى اللذات مخلوع العذار * هائم فى حب ظبي ذى احورار
صفرة فى حمرة فى خده * جمعت روضة ورد وبهار
بابى طاقة آس اقبلت * تنثنى بين حجل وسوار
قادنى طرفى وقلبى للهوى * كيف من طرفى ومن قلبى حذار
لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن * فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

﴿ الضرب المقصور ﴾

يامدير الصدغ فى الخد الاسيل * ومحيل السحر بالطرف الكحيل
هل لمحزون كئيب قبلة * منك يشفى بردها حر الغليل
وقليل ذاك الا انه * ليس من مثلك عندى بالقليل
بابى أحور غنى موهنا * بغناء قصر الليل الطويل
يابنى الصيداء ردوا فرسى * انما يفعل هذا بالذليل

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن * فاعلاتن فاعلاتن فاعلان

﴿ الضرب المحذوف ﴾

شادن يسحب اذيال الطرب * يتثنى بين لهو ولعب
بجبين مفرغ من فضة * فوق خد مشرب لون الذهب
كتب الدمع بخدى عهده * للهوى والشوق يملى ما كتب
مالجهلى ما أراه ذاهبا * وسواد الرأس منى قدذهب
قالت الخنساء لما جئتها * شاب بعدى رأس هذا واشتهب

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن * فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

﴿ العروض المجزوء الضرب المسبغ ﴾

ياهلالا فى تجنيه * وقضيبا فى تثنيه
والذى لست اسميه * ولكنى اكنيه
شادن ماتقدرالعين * تراه من تلاليه
كلما قابله شخص رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذ * رعليه كاد يرميه

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتان

﴿ الضرب المجزوء ﴾

ياهلالا قد تجلى * فى ثياب من حرير
واميرا بهواه * قاهر كل امير
مالخديك استعارا * حمرة الورد النضير
ورسوم الوصل قد * البستها ثوب دثور
مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتن

﴿ الضرب المجزوء المحذوف الجائز فيه الخبن ﴾

ياقتيلا من يده * ميتا من كمده

قدحت للشوق نارا * عينه فى كبده
هائم يبكى عليه * رحمة ذو حسده
كل يوم هو فيه * مستعيذ من غده
قلبه عند الثريا * بائن عن جسده

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلن

يجوز فى الرمل من الزحاف الخبن والكف والشكل فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح والشكل قبيح وقد فسرنا المكفوف والمخبون فاما المشكول فهو ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان ويدخله التعاقب فى السببين المتقابلين على حسب مايدخل فى المديد ويدخله من العلل الحذف والقصر والاسباغ وقد فسرنا المحذوف والمقصور وأما المسبغ فهو مازاد على اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون فى آخره سبب خفيف وذلك فاعلاتن يزاد عليها حرف ساكن فيكون فاعلاتان

﴿ شطر السريع ﴾

السريع له أربعة أعاريض وسبعة اضرب فالعروض الاول مكشوف مطوى لازم الثانى له ثلاثة ضروب ضرب موقوف مطوى لازم الثانى وضرب مكشوف مطوى لازم الثانى مثل عروضه وضرب أصلم سالم والعروض الثانى مخبون مكشوف له ضربان ضرب مثل عروضه وضرب أصلم سالم والعروض الثالث مشطور موقوف ممنوع من الطى ضربه مثله والعروض الرابع مشطور مكشوف ممنوع من الطى ضربه مثله

﴿ العروض المكشوف المطوى اللازم الثانى الضرب الموقوف المطوى اللازم الثانى ﴾

بكيت حتى لم أدع عبرة * اذ حملوا الهودج فوق القلوص
بكاء يعقوب على يوسف * حتى شفى غلته بالقميص
لا تأسف الدهر على مامضى * واتق الذى مادونه من محيص
قد يدرك المبطىء من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن مستفعلن فاعلات

﴿ الضرب المكشوف المطوى اللازم الثانى ﴾

لله در البين مايفعل * يقتل من شاء ولا يقتل
بانوا بمن أهواه فى ليلة * رد على آخرها الاول
ياطول ليلى المبتلى بالهوى * وصبحه من ليله اطول
فالدار قد ذكرنى رسمها * ما كدت عن تذكاره اذهل
هاج الهوى رسم بذات الغضى * مخلولق مستعجم محول

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن مستفعلن فاعلن

﴿ الضرب الاصلم السالم ﴾

قلبى رهين بين اضلاعى * من بين ايئاس واطماع
من حيث يدعوه داعى الهوى * اجابه لبيك من داعى
من لى سقيم ماله عائد * وميت ليس له ناعى
لما رأت عاذلتى مارأت * وكان لى من سمعها واعى
قالت ولم تقصد لقيل الخنى * مهلا لقد أبلغت اسماعى

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المخبول المكشوف الضرب المخبول المكشوف ﴾

شمس تجلت تحت ثوب ظلم * سقيمة الطرف بغير سقم
ضاقت على الارض مذ صرمت * حبلى فما فيها مكان قدم
شمس وأقمار يطوف بها * طوف النصارى حول بيت صنم
النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الاكف عنم

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿ الضرب الاصلم السالم ﴾

أنت بما فى نفسه اعلم * فاحكم بما احببت ان تحكم

الحاظه فى الحب قدهتكت * مكتومه والحب لايكتم
يامقـــلة وحشـية قتلت * نفسا بلا نفس ولم تظـلم
قالت تسليت فقلت لها * مابال قلـبي هائم مغـرم
ياأيها الزارى على عمـر * قد قلت فيـه غـير ماتعـلم

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطى ضربه مثله ﴾

خليت قلبي فى يدى ذات الخال * مصـفدا مقيدا فى الاغـلال
قدقلت للباكى رسوم الاطلال * ياصاح ماهاجك عن ربع خال

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مفعولات

﴿ العروض المشطور المكشوف الممنوع من الطى ضربه مثله ﴾

ويحيي قتيلا ماله من عقل * بشادن يهتز مثل النصل
مكحل مامسه من كحل * لاتعذلانى اننى فى شغل
ياصاحبي رحلى اقلاعذلى

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مفعولن

يجوز فى السريع من الزحاف الخبن والطى والخبل فالخبن فيه حسن والطى صالح والخبل فيه قبيح ويدخله من العلل الكشف والوقف والصلم فالمكشوف ماذهب سابعه المتحرك والموقوف ماسكن سابعه والاصلم ماذهب من آخره وتد مفروق والمشطور ماذهب شطره

﴿ شطر المنسرح ﴾

المنسرح له ثلاثة اعاريض وثلاثة ضروب فالعروض الاول ممنـوع من الخبل له ضرب مطوى والعروض الثانى منهوك موقوف ممنوع من الطى له ضرب مثـله والعروض الثالث منهوك مكشوف ممنوع من الطى له ضرب مثله

﴿العروض الممنوع من الخبل الضرب المطوى﴾

بيضاء مضمومة مقرطقة * ينقد عن نهدها قراطقها
كانما بات ناعما جذلا * فى جنة الخلد من يعانقها
وأى شىء ألذ من أمل * نالته معشوقة وعاشقها
دعنى أمت من هوى مخدرة * تعلق نفسى بها علائقها
من لم يمت غبطة يمت هرما * الموت كاس والمرء ذائقها

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن مفعولات مستفعلن * مستفعلن مفعولات مفتعلن

﴿العروض المنهوك الموقوف الممنوع من الطى ضربه مثله﴾

اقصرت بعض الاقصار * عن شادن نائى الدار
* صبرنى لما صار * ولم أكن بالصبار *
* وقال لى باستعبار * صبرا بنى عبد الدار *

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن مفعولات

﴿العروض المنهوك المكشوف الممنوع من الطى ضربه مثله﴾

عاضت بوصل صدا * تريد قتلى عمدا
لما رأتنى فردا * أبكى وألقى جهدا
قالت وابدت درا * ويلم سعد سعدا

(تقطيعه)

مستفعلن مفعولن

يجوز فى المنسرح من الزحاف الخبن والطى والخبل فالخبن فيه حسن والطى فيه صالح والخبل قبيح ويدخله من العلل الوقف والكشف وقد فسرناهما فى السريع * والمنهوك ما ذهب شطره ثم ذهب منه شطر بعد الشطر

﴿شطر الخفيف﴾

الخفيف له ثلاثة اعاريض وخمسة ضروب فالعروض الاول منه تام له ضربان ضرب

يجو زفيه التشعيث وضرب محذوف يجو زفيه الخبن له ضرب مثله مجزو يجو زفيه الخبن
والعروض الثالث مجزو له ضربان ضرب مثله مجزو وضرب مجزو مقصور مخبون

﴿ العروض التام * الضرب التام الجائز فيه التشعيث ﴾

انت دائى وفى يديك دوائى * ياشفائى من الجوى و بلائى
ان قلبى يحب من لا اسمى * فى عناء اعظم به من عنائى
كيف لا كيف ان ألذ بعيش * مات صبرى به ومات عزائى
أيها اللائمون ماذا عليكم * ان تعيشوا وان اموت بدائى
ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

(تقطيعه)

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن * فاعلاتن مستفعلن مفعولن

﴿ الضرب المحذوف يجوز فيه الخبن ﴾

ذات دل وشاحها قلق * من ضمور وحجلها شرق
بزت الشمس نورها وحباها * لحظ عينيه شادن خرق
ذهب خدها يذوب حياء * وسوى ذاك كله ورق
ان امت ميتة المحبين وجدا * وفؤادى من الهوى حرق
فالمنايا من بين غاد وسار * كل حى برهنها غلق

(تقطيعه)

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن * فاعلاتن مستفعلن فعلن

﴿ الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن عروضه مثله محذوفة يجوز فيها الخبن ﴾

ياغليلا كالنار فى كبدى * واغتراب الفؤاد عن جسدى
وجفونا تذرى الدموع أسى * وتبيع الرقاد بالسهدى
ليت من شفنى هواه رأى * زفرات الهوى على كبدى
* غادة نازح محلتها * وكلتنى بلوعة الكمدى
رب خرق من دونها قذق * مابه غير الجن من احدى

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن مستفعلن فعلن * فاعلاتن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المجزو الضرب ﴾

ماالليالى تبدلت * بعدنا ودغيرنا
أرهقتنا ملامة * بعدا يصاح عذرنا
فسلوناعن ذكرها * وتسلت عن ذكرنا
لم تقل اذ تحرمت * واستهانت بهجرنا
ليت شعرى ماذاترى * أم عمرو فى أمرنا

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن مستفعلن * فاعلاتن مستفعلن

﴿ الضرب المجزو المقصور ﴾

أشرقت لى بدور * فى ظلام تنير
طار قلبى بحبها * من لقلب يطير
يابدورا أنا بها * الدهر عان أسير
ان رضيتم بان أمو * ت فوتى حقير
كل خطب ان لم تكو * نوا غضبتم يسير

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن مستفعلن * فاعلاتن فعولن

يجوز فى الخفيف من الزحاف الخبن والكف والشكل فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح والشكل فيه قبيح و يدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفعلن وفاعلاتن لا يسقطان معا وقد يثبتان وذلك از وتد مستفع لن فى الخفيف والمجتث كله مفروق فى وسط الجزء وقد بينا التعاقب فى المديد و يدخله من العلل التشعيث والحذف والقصر وقد بينا المحذوف والمقصور وأما التشعيث فهو دخول القطع فى الوتد من فاعلاتن التى من الضرب الاول من الخفيف فيعود مفعولن

﴿ شطر المضارع ﴾

المضارع له عروض واحد مجزو ممنوع من القبض وضرب مجزو ممنوع من القبض مثل عروضه وهو

أرى للصبا وداعا * وما يذكر اجتماعا
كان لم يكن جديرا * بحفظ الذى أضاعا
ولم يصبنا سرورا * ولم يلهنا سماعا
فجدد وصال صب * متى تعصه أطاعا
وان تدنو منه شبرا * يقربك منه باعا

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعيلن فاع لاتن * مفاعيلن فاعلاتن

يجوز فى حشو المضارع من الزحاف القبض والكف فى مفاعيلن ولا يجتمعان فيه لعلة التراقب ولا يخلو من واحد منهما وقد فسرنا التراقب مع التعاقب ويدخله فى فاعلاتن الكف فأما القبض فهو ممنوع منه وتد فاع لاتن فى المضارع لانه مفروق وهو فاع والتراقب فى المضارع بين السببين فى مفاعيلن فى الياء والنون لا يثبتان معا ولا يسقطان معا وهو فى المقتضب بين الفاء والواو من مفعولات

﴿ شطر المقتضب ﴾

المقتضب له عروض واحد مجز ومطوى وضرب مثل عروضه وهو

يامليحة الدعج * هل لديك من فرج
أم تراك قاتلتى * بالدلال والغنج
من لحسن وجهك من * سوء فعلك السمج
عاذلى حسبكما * قد غرقت فى لجج
هل على ويحكما * ان لهوت من حرج

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن مفتعلن * فاعلاتن مفتعلن

يدخل التراقب فى أول البيت فى السببين المتقابلين على حسب ما ذكرناه فى المضارع

﴿ شطر المجتث له عروض واحد مجزو ضربه مثله ﴾

وشادن ذى دلال * معصب بالجمال
يضن أن يحتويه * معى ظلام الليالى

او يلتـقى فى منامى * خيـاله مع خيـالى
غصن نما فوق دعص * يختـال كل اختيـال
البطن منهـا خميص * والوجه مثل الهـلال

﴿ تقطيعه ﴾

مستفع لن فاعـلاتن * مستفع لن فاعـلاتن

يجوز فى المجتث من الزحاف الخبن والكف والشكل فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح والشكل فيه قبيح و يدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفع لن وفاعلاتن على حسب ما يدخل الخفيف وذلك لان وتد مستفع لن فى المجتث مفروق كما هو فى الخفيف مفروق وذلك تقع

﴿ شطر المتقارب ﴾

المتقارب له عروضان وخمسة اضرب فالعروض الاول منها تام يجوز فيه الحذف والقصر له اربعة ضروب ضرب تام مثل عروضه وضرب مقصور وضرب محذوف معتمد وضرب ابتر والعروض الثانى مجزو محذوف معتمد له ضرب مثله معتمد

﴿ العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر ﴾

﴿ الضرب التام ﴾

لحال عن العهـد لما احالا * وزال الاحبـة عنه فزالا
محل تحل عراها السحاب * وتحكى الجنوب عليه الشمالا
فياصاح هـذا مقام المحب * وربع الحبيب فحط الرحالا
سل الربع عن ساكنيه فانى * خرست فما استطيع السؤالا
ولا تعجلنى هداك المليك * فان لكل مقـام مقالا

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن فعولن فعولن فعولن * فعولن فعولن فعولن فعولن

﴿ الضرب المقصور ﴾

فؤادى رميت وعقلى سبيت * ودمعى مريت ونومى نفيت
يصد اصطبارى اذا ما صددت * وينأى عزائى اذا ما نأيت
عزمت عليك بمجرى الوشاح * وما تحت ذلك مما كنيت

وتفاح خد ورمان صدر * وجناهما خير شيء جنيت
تجدد وصلا عفا رسمه * فشاك لما بدا لى بنيت
على رسم دار قفار وقفت * ومن ذكر عهد الحبيب بكيت

(تقطيعه)

فعولن فعولن فعولن فعولن * فعولن فعولن فعولن فعول

﴿ الضرب المحذوف المعتمد ﴾

أباوع نفسي وءيل أمها * لما لقيت من جوى همها
فديت التي قتلت مهجتى * ولم تتق الله فى دمها
أغض الجفون اذا مابدت * ولكنى اذا قيل لى سمها
اداري العيون واخشي الرقيب * وارصد غفلة قيمها
سبتنى بجيد وخد ونحر * غداة رمتنى بأسهمها

(تقطيعه)

فعولن فعولن فعولن فعل * فعولن فعولن فعولن فعل

﴿ الضرب الابتر ﴾

لاتبك ليلى ولاميه * ولا تندبن راكبانيه
وأبك الصبا اذ طوى ثوبه * فلا أحدنا شرطيه
ولا القلب ناس لما قد مضى * ولا تارك أبدا غيه
ودع عنك يأسا على ارسم * فليس الرسوم تبكيه
خليلى عوجا على رسم دار * خلت من سليمى ومن ميه

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن فعولن فعولن فعولن * فعولن فعولن فعولن فع

﴿ العروض المجزوء المحذوف المعتمد ضربه مثله ﴾

أأحرم منك الرضا * وتذكر ماقد مضى
وتعرض عن هائم * أبى عنك ان يعرضا
قضنى الله بالحب لى * فصبرا على ماقضى

رميت فـؤادى فما * تركت به منهضا
فقوسك شريانه * ونبلك جمر الغضا

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن فعولن فعل * فعولن فعولن فعل

يجوز فى المتقارب من الزحاف القبض وهو فيه حسن و يدخله الخرم فى الابتداء على حسب مايدخل الطويل

١٤ — علل القوافى — القافية حرف الروى الذى يبنى عليه الشعر ولا بد من تكريره فيكون فى كل بيت والحروف التى تلزم حرف الروى أربعة التأسيس والردف والوصل والخروج فأما التأسيس فألف يكون بينها و بين حرف الروى حرف متحرك باى الحركات كان وبعض العرب يسميه الدخيل وذلك نحو قول الشاعر * كلينى لهم يا أميمة ناصب * فالالف من ناصب تأسيس والصاد دخيل والباء روى والياء المتولدة من كسرة الباء وصل واما الردف فانه احد حروف المد واللين وهى الياء والواو والالف يدخل قبل حرف الروى وحركة ماقبل الردف بالفتح اذا كان الردف ألفا وبالضم اذا كان واوا بالكسر اذا كان ياء مكسورا ماقبلها وقد تجتمع الياء والواو فى شعر واحد لان الضمة والكسرة اختان كما قال الشاعر

اجارة بيتينا ابوك غيور * وميسور مايرجى لديك عسير

فجاء بغيور مع عسير ولا يجوز مع الالف غيرها كما قال الشاعر * بان الخليط ولو طوعت مابان * وجنس ثالث من الردف وهو ان يكون الحرف مفتوحا و يكون الردف ياء او واوا نحو قول الشاعر

كنت اذا ماجئته من غيب * يشم رأسى و يشم ثوبى

واما الوصل فهو اعراب القافية واطلاقها ولا تكون القافية مطلقة الا باربعة احرف الف ساكنة مفتوح ماقبلها من الروى و ياء ساكنة مكسور ماقبلها من الروى وهاء متحركة او ساكنة مكنية ولا يكون شيء من حروف المعجم وصلا غير هذه الاربعة الاحرف الالف والواو والياء والهاء المكنية وانما جاز لهذه ان تكون وصلا ولم يجز لغيرها من حروف المعجم لان الالف والياء والواو حروف اعراب ليست أصليات وانما تتولد مع الاعراب وتشبهت الهاء بهن لانها زائدة مثلهن ووجودها يكون خلفا منهن فى قولهم

أرقت الماء وهرقت الماء وأيا زيد وهيا زيد ونحو قول الشاعر

قد جمعت من أمكن وأمكنه * من ههنا وههنا ومن هنه

وهو يريدهنا فجعل الهاء خلفا من الالف واما الخروج فان هاء الوصل اذا كانت متحركة بالفتح تبعتها ألف ساكنة واذا كانت متحركة بالكسر تبعتها ياء ساكنة واذا كانت متحركة بالضم تبعتها واو ساكنة فهذه الالف والياء والواو يقال لها الخروج واذا كانت هاء الوصل ساكنة لم يكن لها خروج نحو قول الشاعر * ثار عجاج مستطيل قسطله * واما الحركات اللوازم للقوافى فخمس وهى الرس والحذو والتوجيه والمجرى والنفاد فاما الرس ففتحة الحرف الثانى قبل التأسيس واما الحذو ففتحة الحرف الذى قبل الردف اوضمته او كسرته واما التوجيه فهو ماوجه الشاعر عليه قافيته من الفتح والضم والكسر يكون مع الروى المطلق او المقيد اذا لم يكن فى القافية ردف ولا تأسيس واما المجرى ففتح حرف الروى المطلق اوضمته اوكسرته واما النفاد فانه فتحة هاء الوصل او كسرتها او ضمتها ولا تجوز الفتحة مع الكسرة ولا الكسرة مع الضمة ولكن تنفرد كل حركة منها على حالها وقد يجتمع فى القافية الواحدة الرس والتأسيس والدخيل والروى والمجرى والوصل والنفاد والخروج كما قال الشاعر

يوشك من فر من منيتـه * فى بعض غراته يوافقهـا

فحركة الواو الرس والالف تأسيس والفاء دخيل والقاف روى وحركته المجرى والهاء هاء الوصل وحركتها النفاد والالف الخروج ونحو قول الشاعر

*عفت الديار محلها فمقامها * فحركة القاف الحذو والالف الردف والميم الروى وحركتها المجرى والهاء وصل وحركتها النفاد والالف الخروج وهل هذه الحروف والحركات لازمة للقافيـة

١٥ — باب مايجوز أن يكون تأسيسا ومالا يجوز — اذا كان حرف الالف التأسيس فى كلمة وكان حرف الروى فى كلمة أخرى منفصلة عنهـا فليس بحرف تأسيس لانفصاله من حرف الروى وتباعده منه لان بين حرف الروى والتأسيس حـرفا متحـركا وليس كذلك الردف لان الردف قريب من الروى ليس بينهما شىء فهو يجوز أن يكون فى كلمة ويكون الروى فى كلمة أخرى منفصلة منها نحو قول الشاعر

أتته الخـلافة منقادة * اليـه تجـرر اذيالها

فـلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الالها

فالف الاردف واللام حرف الروى وهى فى كلمة منفصلة من الردف فجاز ذلك لقرب مابين الردف والروى ولم يجز فى التأسيس لتباعده من الروى نحو قول الشاعر

فهن يعكفن به اذا حجا * عكف النبيط يلعبون الفنزجا

فلم يجعلها تأسيسا لتباعدها عن الروى وانفصالها منه ومثله

وطالما وطالما وطالما * غلبت عادا وغلبت الاعجما

فلم يجعل الالف تأسيسا وقد يجوز أن تكون تأسيسا اذا كان حرف الروى مضمرا كما قال زهير

ألاليت شعرى هل يرى الناس ماأرى * من الامر أو يبدولهم مابدا ليا

فجعل ألف بدا ليا تأسيسا وهى كلمة منفصلة من القافية لما كانت القافية فى مضمر وكذلك قول الشاعر

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

واما غلامك وسلامك فى قافية فلا تكون الالف الا تأسيسا لان الكاف التى هى حرف لا تنفصل من الغلام

١٦ — باب ما يجوز أن يكون حرف روى ومالا يجوز أن يكونه — اعلم ان حروف الوصل كلها لا يجوز أن تكون رويا لانها دخلت على القوافى بعد تمامها فهى زوائد عليها ولانها تسقط فى بعض الكلام فاذا كان ماقبل حرف الوصل ساكنا فهو حرف الروى لانها لا تكون مماقبل حرف الروى ساكنا نحو قول الشاعر

أصبحت الدنيا لاربابها * ملهى وأصبحت لها ملهى

كاننى احـزم منها على * قـدر الذى نال أبى منها

واذا حركت ياء الوصل او واو الوصل جاز لها ان تكون رويا كما قال زهير

ألاليت شعرى هل يرى الناس ما أرى * من الامر أو يبدولهم مابداليا

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

ان الحوادث بالمدينة قد * شيبتنى وقرعن مروتيه

وكذلك الهاء من طلحة وحمزة وما اشبههما أن يكون رويا ان يطلق فتعود ياء فاذا

كان ذلك فانت فيها بالخيار ان شئت جعلتها رويا أو وصلا لما قبلها وجعلها ابو النجم رويا فقال

أقول اذ جئن مدبجات * ما أقرب الموت من الحياة

وكذلك التاء نحو اقشعرت واستهلت والكاف نحو مالكا وفعالكا قد يجوز ان تكون رويا وقد يجوز ان تكون وصلا وانما جاز ان تكون رويا لانها أقوى من حروف الوصل وجاز أن تكون وصلا لانها دخلت على القوافى بعد تمامها وقد جعلت الخنساء التاء وصلا ولزمت ماقبلها فقالت

اعينى هلا تبكيان اخا كما * اذا الخيل من طول الوجيف اقشعرت

فلزمت الراء فى الشعر كله وجعلت التاء صلة وقال آخر فجعل التاء رويا

الحمد لله الذى استقلت * باذنه السماء واطمأنت

وقال حسان فجعل الكاف رويا

دعوا فلجات الشام قد حيل بينها * بطعن كافواه المخاض الاوارك

بايدى رجال هاجروا نحو ربهم * باسيافهم حقا وايدى الملائك

(وقال)

اذا سلكت بالرمل من بطن عالج * فقولا لها ليس الطريق هنالك

وهنالك كافها زائدة تقول للرجل هنالك وللمرأة هنالك وقال غيره

أيا خالدا ياخير أهل زمانكا * لقد شغل الافواه حسن فعالكا

فجعل الكاف رويا وقد يجوز أن تكون وصلا ويلزم ماقبلها وكذلك فعالكم وسلامكم الميم الآخرة حرف الروى كما قال الشاعر

بنو أمية قوم من عجيبهم * أن المنون عليهم والمنون هم

الميم حرف الروى وقد جعلها بعض الشعراء وصلا مع الهاء والكاف التى قبلها لانهما حرفا اضمار كالهاء والكاف ولحقت الاسم بعد تمامه كما لحقت الهاء والكاف فى نحو قوله

زر والديك وقف على قبريهما * فكاننى بك قد نقلت اليهما

ومثله لامية بن ابى الصلت

لبيكما لبيكما * ها أنا ذا لديكما

واما النسبة مثل ياء قرشي وثقفي وما أشبه ذلك اذا كانت خفيفة فأنت فيها بالخيار ان شئت جعلتها رويا وان شئت وصلا نحو قول الشاعر

انى لمن انكرنى ابن اليثربى * قتلت علباء وهند الجملى

فجعل الياء الخفيفة رويا واذا كانت النسبة مثقلة مثل قرشي وثقفي لم تكن الا رويا واذا قال شعرا على حصاها ورماها لم تكن الهاء الا حرف الروى ومن بنى شعرا على اهتدى فجعل الدال رويا جاز له ان يجعل مع ذلك احمدا وان جعل الياء من اهتدى حرف الروى لم يجز معها احمدا وجاز له معها بشرى وحبلى وعصا وأفعى ومن ذلك قول الشاعر

داينت أروى والديون تقضى * فمطلت بعضا وادت بعضا

فلزم الضاد من تقض وجعل الياء وصلا فشبهها بحرف المد الذى فى القافية

﴿ ومثله ﴾

ولانت تفرى ماخلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

﴿ ومثله ﴾

هجرتك بعد تواصل دعد * وبدا لدعد بعض ما يبدو

ويرمى مع يقضى جائز اذا كان الياء حرف الروى لانها من اصل الكلمة * ومما لا يجوز أن يكون رويا الحروف المضمرة كلها لدخولها على القوافى بعد تمامها مثل اضرب واضربوا واضربى لان ألف اضربا لحقت اضرب وواو اضربوا لحقت اضرب وياء اضربى لحقت اضرب بعد تمامها فلذلك كانت وصلا ولانها زائدة مع هذا فى نحو قول الشاعر

لا يبعد الله جيرانا تركتهم * لم أدر بعد غداة البين ماصنع

يريد ماصنعوا

﴿ ومثله ﴾

يادار عبلة بالجواء تكلمى * وعمى صباحا دار عبلة واسلم

يريد واسلمى فجعل الياء وصلا وبعضهم جعلها رويا على قبح وأما ياء غلامى فهى اضعف من ياء اسلمى لانها قد تحذف فى بعض المواضع تقول هذا غلام تريد غلامى وقالوا يا غلام أقبل فى النداء وواغلاماه فحذفوا الياء وبعضهم يجعلها رويا على ضعفها كما قال

انى امرؤ أحمى ذمار اخوتى * اذا رأوا كريهة يرمون بى

﴿ ومثله ﴾

اذا تغديت وطابت نفسى * فليس فى الحى غلام مثلى

(قال) الاخفش وقد كان الخليل يجيز اخوانى مع اصحابى و بأبى عليه العلماء ويحتج بقول الشاعر بازل عامين حديث سنى * لمثل هذا ولدتنى أمى

وحرف الاضمار اذا كان ساكنا كان ضعيفا فاذا تحرك قوى وجاز ان يكون رويا كقول الشاعر

ألاليت شعرى هل يرى الناس ماأرى * من الامر أو يبدولهم مابدا ليا

وانما جاز الكاف ان يكون رويا و لم يجز ذلك للهاء وكلاهما حرف اضمار لان الكاف اقوى عندهم من الهاء واثبت فى الكلام واذا خاطبت المذكر والمؤنث لا تبدل صورتها كما تبدل الهاء فى غلامه وغلامها واذا قلت مررت بغلامك و رأيت غلامك فالكاف فى حال واحدة والهاء مضطربة فى قولك رأيت غلامه ومررت بغلامه وانما جاز فيها ان تكون وصلا أيضا كما تكون الهاء لانها تشبهت بالهاء اذا كانت حرف اضمار كالهاء ودخلت على الاسم كدخول الهاء وكانت اسما للحرف كما تكون الهاء وانما خالفتها بالشيء اليسير واما قولك ارمه واغزه فلا تكون الهاء ههنا رويا لانها لحقت الاسم بعد تمامه ولانها زائدة فيه وانها دخلت لتبين الحركة من اغزه والميم من ارمه وقد تكون تدخل للوقف أيضا واذا كانت الهاء اصلية لم تكن الا رويا مثل قول الشاعر

قالت ابنالى والا اسفه * ماالسوء الا عقله المدله

ومن بنى شعرا على حى جازله فيه طى و رمى لان الياء الاولى من حى ليست بردف لانها من حرف مثقل قد ذهب مده ولينه قال سيبويه واذا قال الشاعر تعالى او تمالوا لم تكن الياء والواو الا رويا لان ماقبلها انفتح فلما صارت الحركة التى قبلها غير حركتهما ذهبت قوتهما فى المد وأكثريتهما وكذلك اخشى واخشوا وكل ياء او واو انفتح ماقبلها وكذلك هذه الياء والواو اذا تحركتا لم تكونا الا حرف روى لذهاب اللين والمد وكذلك قوله رأيت قاضيا و راميا وأريد ان يغزو وتدعو فى قافيتين من قصيدة واما الميم من غلامهم وسلامهم فقد تكون رويا وقد تكون وصلا و يلزم ماقبلها كما قال الشاعر

يا قاتل الله عصبة شهدوا * خيف منى لى ما كان اسرعهم

ان نزلوا لم يكن لهم لبث * او رحلوا اعجلوا مودعهم
لا غفر الله للحجيج اذا * كان حبيبي اذا نأوا معهم

فالعين هنا حرف الروى والهاء والميم صلة لحروف الاضمار كلها التى تقدم ذكرها ولا يحسن ان يكون رويا الاما كان منها محركا لان المتحرك اقوى من الساكن وذلك مثل ياء الاضافة التى ذكرنا وما كان منها حرفا قويا مثل الكاف والميم والنون فانها تكون رويا ساكنة كانت او متحركة وذلك مثل قول الشاعر

فتى لا يكن هذا تعلة وصلنا * لبين ولا اذا احظنا من نوالك

(ثم قال)

أبر وأوفى ذمة بعهوده * اذا وازنت شم الذرا بالحوارك

(وقال آخر)

قل لمن يملك الملو * ك وان كان قد ملك
قد شريناك مرة * و بعثنا اليك بك

(وقال آخر فى الهاء)

رمونى وقالوا يا خويلد لا ترع * فقلت وانكرت الوجوه هم هم

(ولآخر)

نمت فى الكرام بنو عامر * فرعى واصلى قريش العجم
فهم لى فخر اذا عددوا * كما أنا فى الناس فخر لهم

(وقال آخر فى النون)

طرحتم من الترحال أمرا فعمنا * فلو قد رحلتم صبح الموت بعضنا

(وقال آخر)

فهل يمنعنى ارتيادى البلا * د من حذر الموت ان يأتين
أليس أخو الموت مستوثقا * على فان قلت قد انسان

وأما الهاء فقد أجمعوا أن لا تكون رويا لضعفها الا ان يكون ماقبلها ساكنا كما قد ذكرنا ومن بنى شعرا على اخشوا جازله معها طغوا و بغوا وعصوا فتكون الواو رويا لانفتاح ماقبلها وظهورها مع القبح لانها مع الضمة صلة ولا تكون هذه الارويا

١٧ — باب عيوب القوافى — السناد والايطاء والاقواء والاكفاء والاجازة والتضمين والاصراف * السناد على ثلاثة أوجه فالوجه الاول منها اختلاف الحرف الذى قبل الردف بالفتح والكسر نحو قول الشاعر

ألم تر ان تغلب اهل عز * جبال معاقل ماير تقينا
شربنا من دماء بنى تميم * باطراف القنا حتى روينا

والوجه الثانى اختلاف التوجيه فى الروى المقيد وهو اجتماع الفتحة التى قبل الروى مع الكسرة والضمة كهيئتها فى الحذو (وذلك كقوله)

وقاتم الاعماق خاوى المخترق * ألف شتى ليس بالراعى الحمق

﴿ ومثله ﴾

تميم بن مر وأشياعه * وكندة حولى جميعا صبر
اذا ركبوا الخيل واستلأموا * تحرقت الارض واليوم قر

والوجه الثالث من السناد ان يدخل حرف الردف ثم يدعه نحو قول الشاعر

وبالطوف بالاخيار مااصطحبابه * وما المرء الابالتقلب والطوف
فراق حبيب وانتهاء عن الهوى * فلا تعذلينى قد بدالك ماا خفى

(وأما القافية المطلقة) فليس اختلاف التوجيه فيها سنادا * وأما الاقواء والاكفاء فهما عند بعض العلماء شيء واحد وبعضهم يجعل الاقواء فى العروض خاصة دون الضرب ويجعلون الاكفاء والايطاء فى الضروب دون العروض فالاقواء عندهم ان ينتقص قوة العروض فيكون مفعولن فى الكامل ويكون فى الضرب متفاعلن فيزيد العجز على الصدر زيادة قبيحة فيقال أقوى فى العروض أى اذهب قوته نحو قول الشاعر

لما رأت ماء السلى مشروبا * والفرث يعصر فى الاناء اريث

﴿ وبعده ﴾

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الاطهار

والخليل يسمى هذا المقعر وزعم يونس ان الاكفاء عند العرب هو الاقواء وبعضهم يجعله بديل القوافى مثل ان يأتى بالعين مع الغين لشبههما فى الهجاء وبالدال مع الطاء لتقارب مخرجهما يحتج بقول الشاعر

جارية من ضبة بن اد * كأنها فى درعها المنعط

والخليل يسمى هذا الاجازة وأبو عمرو يقول الاقواء اختلاف اعراب القوافى بالكسر والضم والفتح وكذلك هو عند يونس وسيبويه والاجارة عند بعضهم اجتماع الفتح مع الضم أو الكسر فى القافية ولا تجوز الاجازة الا فيما كان فيه الوصل هاء ساكنة نحو قول الشاعر

الحمد لله الذى * يعفو ويشتد انتقامه

ورينا ربهم * لا يستطيعون اهتضامه

﴿ ومثله ﴾

فديت من انصفنى فى الهوى * حتى اذا احكمه مله

أين ما كنت ومن ذا الذى * قبلى صفا العيش له كله

والاكفاء اختلاف القوافى بالكسر والضم عند جميع العلماء بالشعر الا ماذكر يونس وأما المضمن فهو ان لا تكون القافية مستغنية عن البيت الذى يليها نحو قول الشاعر

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم اصحاب يوم عكاظ انى

شهدت لهم مواطن صالحات * تنبيهم بود الصدر منى

هذا قبيح لان البيت الاول متعلق بالبيت الثانى لا يستغنى عنه وهو كثير فى الشعر وأما الايطاء وهو أحسن ما يعاب به الشعر فهو تكرير القوافى وكلما تباعد الايطاء كان أحسن وليست المعرفة مع النكرة ايطاء وكان الخليل يزعم ان كل ما اتفق لفظه من الاسماء والافعال وان اختلف معناه فهو ايطاء لان الايطاء عنده انما هو ترديد اللفظتين المتفقتين من الجنس الواحد اذا قلت للرجل تخاطبه أنت تضرب وفى الحكاية عن المرأة هى تضرب فهو ايطاء وكذلك فى قافية أمر جلل وأنت تريد تعظيمه وهو فى قافية أخرى جلل وأنت تريد تهوينه فهو ايطاء حتى اذا كان اسم مع فعل وان اتفقا فى الظاهر فليس بايطاء مثل اسم يزيد وهو اسم ويزيد وهو فعل

١٨ — باب ما يجوز فى القافية من حرف اللين — اعلم ان القوافى التى يدخلها حروف المد وهى حروف اللين فهى كل قافية حذف منها حرف ساكن وحركة فتقوم المدة مقام ما حذف وهو من الطويل فعولن المحذوف ومن المديد فاعلان المقصور وفعلان الابتر ومن البسيط فعلن المقطوع ومفعولن المقطوع فاما مستفعلان المذال فاختلف فيه فاجازه قوم بغير حرف

مد لانه قد تم و زيد عليه حرف بعد تمامه والزمه قوم المد لالتقاء الساكنين وقالوا المدة بين الساكنين تقوم مقام الحركة وا. ازته بغير حرف مد احسن لتمامه وأما الوافر فلا يلزم شىء منه حرف مد وأما الكامل فيدخل منه حرف اللين فى فعلاتن المقطوع وفى متفاعلان المذال واما الهزج فلا يلزمه حرف مد واما الرجز فيلزم مفعولن منه المقطوع حرف المد واما الرمل فيلزم فاعلان وحدها لالتقاء الساكنين وأما السريع فيلزم فاعلان الموقوف لالتقاء الساكنين وكذلك مفعولان واما المنسرح فيلزم مفعولات كما يلزم السريع وأما الخفيف فانه يلزم فعولن المقصور وان كان قد نقص منه حرفان وليس فى المدخلف من حرفين ولكن لما نقص من اول الجزء حرف وهو سين مستفعلن قام ما اخلف بالمدة مقام ما نقص من آخر الجزء لانه بعد المدة وأما المضارع والمقتضب والمجتث فليس فيها حرف مد لتمام اواخرها واما المتقارب فالزموا فعول المقصور حرف المد لالتقاء الساكنين (قال سيبويه) وكل هذه القوافى قد يجوز أن تكون بغير حرف المد لان رويها تام صحيح على مثل حاله بحرف المد وقد جاء مثل ذلك فى اشعارهم ولكنه شاذ قليل وان تكون بحرف المد أحسن لكثرته ولزوم الشعراء اياه (ومما قيل بغير حرف مد)

ولقد رحلت العيس ثم زجرتها * قدما وقلت عليك خير معد

(وقال آخر)

ان تمنع النوم النساء يمنعن

(ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض الاول من الطويل سالم)

وأزهر كالعيوق يسعى بزهراء * لنا منهما داء وبرء من الداء
ألا بأبى صدغ حكى العين عطفه * وشارب مسك قد حكى عطفه الراء
فما السحر ما يعزى الى ارض بابل * ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء
وكف أدارت مذهب اللون اصفرا * بمذهبة فى راحة الكف صفراء

﴿ الضرب الثانى من الطويل مقبوض ﴾

معذبتى رفقا بقلب معذب * وان كان يرضيك العذاب فعذبى
لعمرى لقد باعدت غير مباعد * كما انى قربت غير مقرب

بنفسي بدر أخمد البدر نوره * وشمس متى تبدو الى الشمس تغرب
لوان امرأ القيس بن حجر بدت له * لما قال مرا بى على ام جندب

﴿ الضرب الثالث من الطويل المحذوف المعتمد ﴾

محب طوى كشحا على الزفرات * وانسان عين خاض فى غمرات
فيامن بعينيه سقامى وصحتى * ومن فى يديه ميتتى وحياتى
بحبك عاشرت الهموم صبابة * كأنى لها ترب وهن لداتى
فخدى ارض للدموع ومقلتى * سماء لها تنهل بالعبرات

﴿ الضرب الاول من المديد وهو السالم ﴾

طلق اللهو فؤادى ثلاثا * لا ارتجاع لى بعد الثلاث
وبياض فى سواد عذارى * بدل التشبيب لى بالمراثى
غير انى لااطيق اصطبارا * واراني صابر الانتكاث
باناس فى صفات ذكور * وذكور فى صفات اناث

﴿ الضرب الثانى من المديد وهو المقصور اللازم اللين ﴾

صدعت قلبى صدع الزجاج * ماله من حيلة او علاج
مزجت روحى ألحاظها * بالهوى فهو لروحى مزاج
ياقضيبا فوق دعص نقا * وكثيبا تحت تمثال عاج
أنت نورى فى ظلام الدجى * وسراجى عند فقد السراج

﴿ الضرب الثالث من المديد وهو المحذوف اللازم اللين ﴾

مستهام دمعه سائح * بين جنبيه هوى فادح
كلما ام سبيل الهدى * عاقه السانح والبارح
حل فيما بين اعدائه * وهو عن احبابه نازح
أيها القادح نار الهوى * اصلها يا أيها القادح

﴿ الضرب الرابع من المديد وهو المقطوع المحذوف ﴾

عاد منها كل مطبوخ * غير ذاذى ومفضوخ
واعتقد من أهل ود الحمى * كل ود غير مشدوخ

وانتشق رياك من ملتقى * شارب بالمسك ملطوخ
ان فى العلم وآثاره * ناسخا من بعد منسوخ

﴿ الضرب الخامس من المديد وهو المحذوف المخبون ﴾

ياجمال الروح فى جسدى * والذى يفترعن برد
وفريد الحسن واحده * منتهاه منتهى العدد
خذ بكفى اننى غرق * فى بحار جمة المدد
ورياح الهجر قد هدمت * ما اقام الوصل من أود

﴿ الضرب السادس من المديد وهو الابتر ﴾

اذكرتنى طيرنا ناذ * قرى الكرخ ببغداذ
قهوة ليست بيارقة * لا ولا تبع ولا ذاذى
مرة يهذى الحليم بها * يأبى ذلك من هاذى
فهى أستاذ الشراب بنا * والمغانى دأب أستاذى

﴿ الضرب الاول من البسيط وهو المخبون ﴾

نور تولد من شمس ومن قمر * فى طرفه قدر امضى من القدر
أصلى فؤادى بلاذنب جوى حرق * لم يبق من مهجتى شيا ولم يذر
لاوالرحيق المصفى من مراشفه * ومابخديه من وردومن طرر
ما أنصف الحب قلبى فى حكومته * ولاعنا الشوق عنى عفومقتدر

﴿ الضرب الثانى من البسيط وهوالمقطوع ﴾

خرجت اجتاز قفرا غير مجتاز * فصادنى اشهل العينين كالبازى
صقر على كفه صقر يؤلفه * ذافوق بغل وذاك فوق قفازى
كم موعدلى من ألحاظ مقلته * لو انه موعد يقضى بانجاز
أبكى و يضحك منى طرفه هزوا * نفسى الفداء لذاك الضاحك الهازى

﴿ الضرب الثالث من البسيط وهوالمجزو المذال ﴾

ياغصنا مائسا بين الرياط * مالى بعدك بالعيش اغتباط
يامن اذا ما بدالى ماشيا * وددت ان له خدى بساط

تترك عيناه من أبصره * مختلطا عقله كل اختلاط
قلت متى نلتقى ياسيدى * قال غدا نلتقى عند الصراط

﴿ الضرب الرابع من البسيط وهو المجزو السالم ﴾

ياساحرا طرفه اذ يلحظ * وفاتنا لفظه اذ يلفظ
ياغصنا ينثنى من لينه * وجهك من كل عين يحفظ
أيقظ طرفى اذا ماقد بدا * من طرفه ناعس مستيقظ
ظبى له وجنة من رقة * تجرحها مقلتى اذ تلحظ

﴿ الضرب الخامس من البسيط وهو المقطوع ﴾

يامن دمى دونه مسفوك * وكل حر له مملوك
كأنه فضة مسبوكة * أوذهب خالص مسبوك
ماأطيب العيش الا انه * عن عاذل كله متروك
والخير مسدودة أبوابه * ولا طريق له مسلوك

﴿ العروض المجزو المقطوع ضربه مثله ﴾

اليك ياغرة الهلال * وبدعة الحسن والجمال
مددت كفا بها انقباض * فأين كفى من الهلال
شكوت مابى اليك وجدا * فلم ترق ولم تبال
اعاضك الله عن قريب * حالا من السقم مثل حالى

﴿ العروض الاول من الوافر ضربه مثله ﴾

بنفسى من مراشفه مدام * ومن لحظات مقلته سهام
ومن هو ان بدا والبدر تم * خفى من حسنه البدر التمام
أقول له وقد أبدى صدودا * فلا لفظ الى ولا ابتسام
تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يمحو محاسنك السلام

﴿ العروض الثانى من الوافر مجزو سالم ضربه مثله ﴾

سلبت الروح من بدنى * ورعت القلب بالحزن
فلى بدن بلا روح * ولى روح بلا بدن

قرنت مع الردى نفسى * فنفسى وهو فى قرن
فليت السحر من عينيك لم أره ولم يرنى

﴿ العروض الثالث من الوافر المجزو المعصوب ﴾

غزال من بنى العاص * أحس من بيت قناص
فأتلع جيده ذعرا * واشخص أى أشخاص
أيا من أخلصت نفسى * هواه كل اخلاص
أطاعك من صميم القلب عفوا كل معتاص

﴿ العروض الاول من الكامل التام ضربه مثله ﴾

فى الكلة الصفراء ريم أبيض * يشفى القلوب بمقلتيه ويمرض
لما غدا بين الحمول مقوضا * كاد الفؤاد عن الحياة يقوض
صدالكرى عن جفن عينك معرضا * لما رآه يصد عنك ويعرض
أديت من حبى اليك فريضة * ان كان حب الخلق مما يفرض

﴿ الضرب الثانى المقطوع ﴾

أومت اليك جفونها بوداع * خود بدت لك من وراء قناع
بيضاء أنعاها النعيم بصفرة * فكأنها شمس بغير شعاع
أما الشباب فودعت أيامه * ووداعهن مو كل بوداع
لله أيام الصبا لو انها * كرت على بلذة وسماع

﴿ الضرب الثالث الاحذ المضمر ﴾

اصغى اليك بكاسه مصغ * صلت الجبين معقرب الصدغ
كأس تؤلف بالمحبة بيننا * طورا وتنزغ أيما نزغ
فى روضة درجت بزهرتها الصبا * والشمس فى درج من الفرغ
فاشرب بكف أغن عقرب صدغه * للقلب منك منية اللدغ

﴿ الضرب الرابع الاحذ المنوع من الاضمار العروض الثانى ﴾

يادمية نصبت لمعتكف * بل ظبية أوفت على شرف
بل درة زهراء ماسكنت * بحرا ولا اكتنفت وراصدف

اسرفت في قتــلي بلا ترة * وسمعت قول الله في السرف
اني أتوب اليـك معـترفا * ان كنت تقبل توب معترف

﴿الضرب الخامس الاحذ المضمر﴾

يافتنـة بعثت على الخلق * مابينها والموت من فرق
شمس بدت لك من مغاربها * يفـتر مبسمها عن البرق
ما كنت احسب قبل رؤيتها * للشمس مطلعا سوى الشرق
يا من يضن بفضـل نائله * لو في يديه مفاتح الرزق

﴿العروض الثالث لها اربعة ضروب الضرب السادس المجزو المرفل﴾

طلعت له والليل دامس * شمس تجلت في حنادس
تختـال في لـين الجـا * سد بين حارسة وحارس
يا من لبهجـة وجهـــه * يستأسر البطـل الممارس
لم يبق من قبلي سـوى * رسم تغـير فهو دارس

﴿الضرب السابع المجزو المذيل﴾

دع قول واشية وواش * واجعلهما كلبي هراش
واشرب معتقـة تسلـــسل في العظام وفي المشاش

﴿الضرب الثامن المجزو الصحيح﴾

ألحاظ عيني تلتهي * في روض ورد يزدهي
رتعت بها وتنزهت * فيها ألذ تـنزه *
يا أيها الخنث الجفو * ن بنخوة وتكره *
والمكتسي غنجا أما * ترثى لا شعث امره

﴿الضرب التاسع المجزو المقطوع بسلامة الثاني﴾

اطفت شرارة لهوى * ولوت بشدة عدوى
شـعل علون مفارقي * ومضت ببهجة سروى
لما سلكت عروضها * ذهب الزحاف بجزوى
أيها الشادي صه * ليست بساعة شدو

﴿ الهزج له عروض واحد وضربان ﴾

ألا يا دين قلبي للشــــباب الغض اذولى
جعلت الغى سربالى * وكان الرشد بى اولى
بنفسى جائر فى الحكــــم يلقى جوره عدلا
وليس الشهد فى فيه * باحلى عنده من لا

﴿ الضرب الثانى المحذوف ﴾

هنا تهنى قوافى الشعـــر فى هـذا الروى
قواف أبدست حليا * من الحسن البدى
تعالت عن جرير بل * زهـير بل عدى



٢٠

كتاب الياقوتة الثانية

في الالحان واختلاف الناس فيه

قال ابو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه قد مضى قولنا في اعاريض الشعر وعلل القوافي وفسرنا جميع ذلك بالمنظوم والمنثور ونحن قائلون بعون الله واذنه في علم الالحان واختلاف الناس فيه ومن كرهه ولاي وجه كره ومن استحسنه ولاي وجه استحسن وكرهنا ان يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والامثال عطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجاز الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس (قال) أبو سعيد بن مسلم قلت لابن دأب قد أخذت من كل شيء بطرف غير شيء واحد فلا ادري ما صنعت فيه فقال لعلك تريد الغناء قلت اجل قال أما انك لو شهدتني وانا اترنم بشعر كثير عزة حيث يقول

وما مر من يوم علي كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلت

لاسترخت تكتك قال قلت أتقول لي هذا قال أي والله وللمهدي أمير المؤمنين كنت أقوله

١ — فضل الصوت الحسن — قال بعض أهل التفسير في قول الله يزيد في الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لما اعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود (وزعم) اهل الطب ان الصوت الحسن يسري في الجسم ويجري في العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز الجوارح وتخف الحركات ومن ذلك كرهوا للطفل ان ينوم على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب (وقالت) ليلى الاخيلية للحجاج حين سألها عن ولدها واعجبه ما رأى من شبابه اني والله ما حملته سهوا ولا وضعته يتنا ولا أرضعته غيلا ولا أنمته تيقا يعني لم انومه مستوحشا باكيا وقولها ما حملته سهوا تعني في بقايا الحيض ويقال حملت

المرأة وضعا و بضعا اذا حملت فى استقبال الحيض وقولها ولا وضعته يتنا يعنى منكسا وقولها ولا ارضعته غيلا يعنى لبنا فاسدا (و زعمت) الفلاسفة ان النغم فضل بقى من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه الروح ولذلك قال افلاطون لا ينبغى ان تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضا ألا ترى ان اهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنموا بالالحان فاستراحت لها انفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه و يعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الا انه ليس فى الارض لذة تكتسب من مأكل او ملبس او مشرب او نكاح او صيد الا وفيه معاناة على البدن وتعب على الجوارح غيره لكفى وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته و يرق القلب من قسوته و يتذكر نعيم الملكوت و يمثله فى ضميره (وكان) أبو يوسف القاضى ربما حضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كانه يتذكر به نعيم الآخرة (وقال) احمد بن أبى داود ان كنت لاسمع الغناء من مخارق عند المعتصم فيقع على البكاء حتى ان البهائم لتحن الى الصوت الحسن وتعرف فضله (وقال) العتابى وذكر رجلا فقال والله ان جليسه لطيب عشرته لاطرب من الابل على الحداء والنحل على الغناء (وكان) صاحب الفلاحات يقول بان النحل أطرب الحيوان كله الى الغناء وان افراخها لتستنزل بمثل الزجل والصوت الحسن (قال الراجز)

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

و بعد فهل خلق الله شيأ اوقع بالقلوب واشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدنى

وهل على الارض رعديد مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير بن الخطفى

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الاثاب اليه روحه وقوى قلبه أم هل على الارض بخيل قد تقعقعت اطرافه لؤما ثم غنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت اطرافه أم هل على الارض غريب نازح الدار بعيد المحل يغنى بشعر على ابن الجهم

ياوحشة للغريب فى البلد النازح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا * بالعيش من بعده ولا انتفعا

يقول فى نأيه وغربته * عدلا من الله كل ماصنعا

الا انقطعت كبده حنينا الى وطنه وتشوقا الى سكنه

﴿ اختلاف الناس فى الغناء ﴾

اختلف الناس فى الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق *فمن حجة من أجازه ان اصله الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم به وحض عليه وندب اصحابه اليه وتجند به على المشركين فقال لحسان شن الغارة على بنى عبدمناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام وهو ديوان العرب ومفيد أحكامها والشاهد على مكارمها وأكثر شعر حسان بن ثابت يغنى به (قال) فرج بن سلام حدثنى الرياشى عن الاصمعى قال شهد حسان بن ثابت مأدبة لرجل من الانصار وقد كف بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فكلما قدم شىء من الطعام قال حسان لابنه عبد الرحمن أطعام يد أم طعام يدين فيقول له طعام يد حتى قدم الشواء فقال له هذا طعام يدين فقبض الشيخ يده فلما رفع الطعام اندفعت قينة تغنى لهم بشعر حسان

انظر خليلى بباب جلق هل * تبصر دون البلقاء من أحد

جمال شعثاء اذ هبطن من المحبس دون الكثبان فالسند

قال فجعل حسان يبكى وجعل عبد الرحمن يومىء الى القينة ان ترده قال الاصمعى فلا أدرى ما الذى اعجب عبد الرحمن من بكاء أبيه (وقالت) عائشة رضى الله عنها علموا اولادكم الشعر تعذب ألسنتهم (وأردف) النبى صلى الله عليه وسلم الشريد

فاستنشده من شعر امية فانشده مائة قافية وهو يقول هيه استحسانا لها فلما أعياهم القدح في الشعر والقول فيه قالوا الشعر حسن ولا نرى ان يؤخذ بلحن حسن واجازوا ذلك في القرآن وفي الاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقرآن والاذان احق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن واخراجه عن حد الخبر وماالفرق بين ان ينشد الرجل * أتعرف رسما كاطراد المذانب * مرسلا أو يرفع بها صوته مرتجلا وانما جعلت العرب الشعر موزونا لمد الصوت فيه والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور (واحتجوا) في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لا قال أوما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

اتيناكم اتيناكم * فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا * ء لم نحلل بواديكم

(واحتجوا) بحديث عبدالله بن اويس ابن عم مالك وكان من أفضل رجال الزهرى قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل فارع وهى تغنى

هل علي ويحكم * ان لهوت من حرج

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حرج ان شاء الله (والذى) لا ينكره أكثر الناس غناء النصب وهو غناء الركبان (حدث) عبدالله بن المبارك عن اسامة بن زيد عن زيد ابن اسلم عن أبيه عن عبدالله بن عمر عن أبيه قال مر بنا عمر بن الخطاب وأنا وعاصم ابن عمر نغنى غناء النصب فقال أعيدا علىّ فأعدنا عليه فقال أنتما كحمارى العبادى وقيل له أى حماريك شر قال ذا ثم ذا (وسمع) انس بن مالك أخاه البراء بن مالك يغنى فقال ماهذا قال أبيات عربية انصبها نصبا (ومن حديث) الجمانى عن حماد بن زيد عن سليمان بن يسار قال رأيت سعد بن أبي وقاص في منزل بين مكة والمدينة قد ألقى له مصلى فاستلقى عليه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يتغنى فقلت سبحان الله أبا اسحق أتفعل مثل هذا وأنت محرم فقال يا ابن أخى وهل تسمعنى أقول هجرا (ومن حديث) المفضل عن قرة بن خالد بن عبدالله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدى اسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك فاسمعه كلمة له قال وانك

لقائلها قال نعم قال لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب (عاصم) عن ابن جريج قال سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء قال وما بأس ذلك يا ابن أخى (قال) وحدث عبيد بن عمير الليثى ان داود النبى عليه السلام كانت له معزفة يضرب بها اذا قرأ الزبور لتجتمع عليه الجن والانس والطير فيبكى ويبكى من حوله وأهل الكتاب يجدون هذا فى كتبهم (ومن حجة من كره الغناء) ان قال انه يسعر القلوب ويستفز العقول ويستخف الحليم ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهو باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قول الله عز وجل ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ فى التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا واعدل الوجوه فى هذا ان يكون سبيله سبيل الشعر فحسنه حسن وقبيحه قبيح (وقد حدث) ابراهيم بن المنذر الخزاعى ان ابن جامع السهمى قدم مكة بمال كثير ففرقه فى ضعفاء أهلها فقال سفيان بن عيينة بلغنى ان هذا السهمى قدم بمال كثير قالوا نعم قال فعلام يعطى قالوا يغنى الملوك فيعطونه قال وبأى شئ يغنيهم قالوا بالشعر قال فكيف يقول فقال له فتى من تلامذته يقول

أطوف بالبيت مع من يطوف * وأرفع من مئزرى المسبل

قال بارك الله عليه ما أحسن ماقال قال ثم ماذا قال

وأسجد بالليل حتى الصباح * وأتلو من المحكم المنزل

قال واحسن ايضا احسن الله اليه ثم ماذا قال

عسى فارج الهم عن يوسف * يسخرلى ربة المحمل

قال أمسك أمسك افسد آخرا ما اصلح اولا ألا ترى سفيان بن عيينة رحمه الله حسن الحسن من قوله وقبح القبيح وكره الغناء قوم على طريق الزهد فى الدنيا ولذاتها كما كره بعضهم الملاذ ولبس العباء وكره الحوارى واكل الكشكار وترك البر واكل الشعير لا على طريق التحريم فان ذلك وجه حسن ومذهب جميل فانما الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله يقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وقد يكون الرجل أيضا جاهلا بالغناء او متجاهلا به

فلا يأمر به ولا ينكره (قال رجل) للحسن البصرى ما تقول فى الغناء يا أباسعيد قال نعم العون الغناء على طاعة الله يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال الرجل ليس عن هذا اسألك قال وعم سألتنى قال ان يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه وينفخ منخريه قال الحسن والله يا ابن اخى ماظننت ان عاقلا يفعل هذا بنفسه ابدا وانما انكر عليه الحسن تشويه وجهه وتعويج فمه وان كان أنكر الغناء فانما هو من طريق أهل العراق وقد ذكرنا انهم يكرهونه (قال) اسحق بن عمار حدثنى ابو المغلس عن ابى الحرث قال اختلف فى الغناء عند محمد بن ابراهيم والى مكة فارسل الى ابن جريج والى عمرو بن عبيد فأتياه فسألهما فقال ابن جريج لا بأس به شهدت عطاء بن ابى رباح فى ختان ولده وعنده ابن سريج المغنى فكان اذا غنى لم يقل له اسكت واذا سكت لم يقل له غن واذا لحن رد عليه وقال عمرو بن عبيد أليس الله يقول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فايهما يكتب الغناء الذى عن اليمين أو الذى عن الشمال فقال ابن جريج لا يكتبه واحد منهما لانه لغو كحديث الناس فيما بينهم من اخبار جاهليتهم وتناشد أشعارهم (قال اسحق) وحدثنى ابراهيم بن سعد الزهرى قال قال لى ابو يوسف القاضى ما أعجب أمركم يا أهل المدينة فى هذه الاغانى مامنكم شريف ولا دنىء يتحاشى عنها قال فغضبت وقلت قاتلكم الله يا أهل العراق ما أوضح جهلكم وأبعد من السداد رأيكم متى رأيت احدا سمع الغناء فظهر منه ما يظهر من سفهائكم هؤلاء الذين يشربون المسكر فيترك احدهم صلاته ويطلق امرأته ويقذف المحصنة من جاراته ويكفر بربه فأين هذا من هذا من اختار شعرا جيدا ثم اختار جرما حسنا فردده عليه فأطربه وابهجه فعفا عن الجرائم واعطى الرغائب فقال ابو يوسف قطعتنى ولم يحر جوابا (قال اسحق) وحدثنى ابراهيم بن سعد الزهرى قال لى الرشيد من بالمدينة ممن يحرم الغناء قال قلت من امتعه الله خزيته قال بلغنى ان مالك بن انس يحرمه قلت يا أمير المؤمنين أو لمالك ان يحرم ويحلل والله ما كان ذلك لابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم الا بوحى من ربه فمن جعل هذا لمالك فشهادتى على ابى انه سمع مالكا فى عرس ابن حنظلة الغسيل يتغنى

سليمى ازمعت بينا * فاين بوصلها اينا

ولو سمعت مالكا يحرمه ويدى تناله لاحسنت أدبه قال فتبسم الرشيد (وعن ابى شعيب) الحرانى عن جعفر بن صالح بن كيسان عن ابيه قال كان عبد الله بن عمر يحب عبد الله بن جعفر

(٢)قال وما تظن به ياأباعبد الرحمن فان اصاب ظنك فلك الجارية قال ما أرانى الا قد اخذتها هذا ميزان رومى فضحك ابن جعفر وقال صدقت هذا ميزان يوزن به الكلام والجارية لك ثم قال هات فغنت

أيا شوقا الى البلد الامين * وحى بين زمزم والحجون

ثم قال هل ترى بأسا قال غير هذا قال لا قال فما أرى بهذا بأسا (وسمع) عبد الله بن عمر بن محرز يغنى

لو بدلت اعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

لعرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لاهلها قبل

فقال عبد الله بن عمر قل ان شاء الله قال يفسد المعنى قال لا خير فى كل معنى يفسده ان شاء الله (حدث) محمد بن زكريا العلاقى بالبصرة قال حدثنى ابن الشرفى عن الاصمعى قال سمع عمر بن عبد العزيز راكبا يغنى فى سفره

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى

فمنهن سبق العازلات بشربة * كميت متى ماتعل بالماء تزيد

وكرى اذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضا فى الطخية المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الطراف الممدد

فقال عمر بن عبد العزيز وانا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عودى لولا ان أنفر فى السرية واقسم بالسوية واعدل فى القضية (وقال) جرير المدنى مررت بالاسلمى العابد وهو فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فأومأ الىّ وأشار بالجلوس فجلست فلما سلم أخذ بيدى وأشار الى حلقى وقال كيف هو قلت احسن ما كان قط قال أما والله لوددت أنه خلالى وجهك وانك اسمعتنى

يالنومى بحبلك المصروم * يوم شطوا وأنت غير ملوم

اصبح الربع من امامة قفرا * غير مغنى معازف ورسوم

(٢) قوله كان عبد الله بن عمر يحب عبد الله بن جعفر الخ هكذا فى جميع النسخ التى بأيدينا ولعله سقط منها فدخل عليه فوجد عنده جارية معها عود فقال ماهذا فقال ابن جعفر ماتظن به الخ أو نحو ذلك اه

قلت اذا شئت قال فى غير هذا الوقت ان شاء الله (وحدث) ابو عبد الله المروزى بمكة فى المسجد الحرام قال حدثنا حسان وسويد صاحبا ابن المبارك قالا لما خرج ابن المبارك الى الشام مرابطا خرجنا معه فلما نظر القوم الى ما فيه من النفير والغزو والسرايا فى كل يوم التفت الينا فقال انا لله وانا اليه راجعون على اعمار أفنيناها وأيام وليال قد قطعناها فى علم الشعر وتركنا ههنا ابواب الجنة مفتوحة قال فبينا هو يمشي ونحن معه فى ازقة المصيصة اذا نحن بسكران قد رفع صوته يغنى

أذلنى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذى اهوى سبيل

فأخرج برنامجا من كمه فكتب البيت فقلنا له اتكتب بيت شعر سمعته من سكران قال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة (قال) وولى الاوقص المخزومى قضاء مكة فما رؤى مثله فى العفاف والنبل فبينما هو نائم ذات ليلة فى علية له اذمر به سكران يتغنى ويلحن فى غنائه فأشرف المخزومى عليه فقال ياهذا شربت حراما وأيقظت نياما وغنيت خطأ خذه عنى فاصلحه عليه (قال) الاوقص المخزومى قالت لى امى اى بنى انك خلقت فى صورة لا تصلح معها المجامعة الفتيان فى بيوت القيان فعليك بالدين فان الله يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعنى الله بقولها (وحدث) عباس بن المفضل قاضى المدينة قال حدثنى الزبير بن بكار قاضى مكة عن مصعب بن عبد الله قال دخل الشعبي على بشر بن مروان وهو والى العراق لاخيه عبد الملك بن مروان وعنده جارية فى حجرها عود فلما دخل الشعبي أمرها فوضعت العود فقال له الشعبي لا ينبغى للامير ان يستحى من عبده قال صدقت ثم قال للجارية هاتى ما عندك فأخذت العود وغنت

ومما شجانى انها يوم ودعت * تولت وماء العين فى الجفن حائر

فلما اعادت من بعيد بنظرة * الىّ التفاتا أسلمته المحاجر

فقال الشعبي الصغير أكيسهما يريد الزير ثم قال ياهذه ارخى من بمك وشدى من زيرك فقال له بشر وما علمك قال أظن العمل فيهما قال صدقت ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه (وحدث) عن ابى عبد الله البصرى قال غنى رجل فى المسجد الحرام وهو مستلق على قفاه صوتا ورجل من قريش يصلى فى جواره فسمعه خدام المسجد فقال ياعدو الله تغنى فى المسجد الحرام ورفعوه الى صاحب الشرطة فتجوز القرشي فى صلاته ثم سلم واتبعه فقال لصاحب الشرطة كذبوا

عليه اصلحك الله انما كان يقرأ فقال يافساق اتأتونى برجل قرأ القرآن تزعمون انه غنى خلوا سبيله فلما خلوه قال له القرشى والله لولا انك أحسنت وأجدت ماشهدت لك اذهب راشدا (وكان) لابى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان أبو حنيفة يحيي الليل بالقيام ويحييه جاره الكيال بالشراب ويغنى على شرابه

اضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذه العسس ليلة فوقع فى الحبس وفقد ابو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس فهو فى الحبس فلما اصبح أبو حنيفة وضع الطويلة على رأسه وخرج حتى أتى باب عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع فى اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى الملوك فأقبل عليه عيسى بوجهه وقال أمر ماجاء بك أباحنيفة قال نعم أصلح الله الامير جار لى من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسك فامر عيسى باطلاق كل من أخذ فى تلك الليلة اكراما لابى حنيفة فاقبل الكيال على أبى حنيفة متشكرا له فلما رآه ابو حنيفة قال أضعناك يافتى يعرض له بقصيدته قال لا والله ولكنك بررت وحفظت (الاصمعى) قال قدم عراقى بعدل من خمر العراق الى المدينة فباعها كلها الا السود فشكا ذلك الى الدارمى وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد فقال ماتجعل لى على ان احتال لك بحيلة حتى تبيعها كلها على حكمك قال ماشئت قال فعمد الدارمى الى ثياب نسكه فألقاها عنه وعاد الى مثل شأنه الاول وقال شعرا ورفعه الى صديق له من المغنين فغنى به وكان الشعر

قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه * حتى خطرت له بباب المسجد

ردى عليه صلاته وصيامه * لاتقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء فى المدينة وقالوا قد رجع الدارمى وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق مليحة بالمدينة الا اشترت خمارا أسود وباع التاجر جميع ما كان معه فجعل اخوان الدارمى من النساك يلقون الدارمى فيقولون ماذا صنعت فيقول ستعلمون نبأه بعد حين فلما انفذ العراقى ما كان معه رجع الدارمى الى نسكه ولبس ثيابه (وحدث) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ببغداد قال حدثنى سهل عن الاصمعى قال كان عروة بن اذينة يعد ثقة ثبتا فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا لبقا فى شعره غزلا وكان يصوغ الالحان والغناء على شعره فى حداثته وينحلها

المغنيين فمن ذلك قوله وغنى به الحجازيون

يا ديار الحي بالاجمه * لم يبين رسمها كلمه

وهو موضع صوته ومنه قوله

قالت وأبثثتها وجدي وبحت به * قد كنت عندي تحت الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

قال فوقفت عليه امرأة وحوله التلامذة فقالت أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل

اذا وجدت أوار الحب في كبدي * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

لا والله ماقال هذا رجل صالح قط (قال) وكان عبد الله الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة وانه مر يوما بسلامة وهي تغني فقام يستمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل فتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فقال له أوقفك في موضع بحيث تراها ولا تراك فغنته فأعجبته فقال له مولاها هل لك في أن أحولها اليك فأبى ذلك عليه فلم يزل به حتى أجابه فلم يزل يسمعها و يلاحظها النظر حتى شغف بها ولما شعرت للحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن يبرحا

لم يعملا خفا ولا حافرا * ولا لسانا بالهوى مفصحا

حتى استقلا بجوابيهما * بالطائر الميمون قد انجحا

الطرف والطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد أن يهلك فقالت له يوما والله انى أحبك قال لها وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني و بينك عداوة يوم القيامة أما سمعت الله تعالى يقول الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقه التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتى به الايام
فاليوم اعـذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

﴿ وله فيها ﴾

ان سلامة التى * أفقدتنى تجلدى
لو تراها وعودها * حين يبدو وتبتدى
للجريرين والغريض وللقرم معبد
خلتهم بين عودها * والدساتين واليد

١ — أخبار عبدالله بن جعفر — حدث سعيد بن محمد العجلى بعمان قال حدثنى نصر بن على عن الاصمعى قال كان معاوية يعيب على عبدالله بن جعفر سماع الغناء فأقبل معاوية عاما من ذلك حاجا فنزل المدينة فمر ليلة بدار عبد الله بن جعفر فسمع عنده غناء على أوتار فوقف ساعة يستمع ثم مضى وهو يقول استغفر الله استغفر الله فلما انصرف من آخر الليل مر بداره أيضا فاذا عبدالله قائم يصلى فوقف ليستمع قراءته فقال الحمدلله ثم نهض وهو يقول خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعد له طعاما ودعاه الى منزله وأحضر ابن صياد المغنى ثم تقدم اليه يقول اذا رأيت معاوية واضعا يده فى الطعام فحرك اوتارك وغن فلما وضع معاوية يده فى الطعام حرك ابن صياد أوتاره وغنى بشعر عدى بن زيد وكان معاوية يعجب به

ياللبينى أوقدى النارا * ان من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها * تقضم الهندى والغارا
ولها ظبى يؤججها * عاقد فى الخصر زنارا

قال فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام وجعل يضرب برجله الارض طربا فقال له عبدالله بن جعفر ياأمير المؤمنين انما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الالحان فهل ترى به بأسا قال لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الالحان (قال) وقدم عبدالله بن جعفر على معاوية بالشام فانزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه وبره ما كان يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوجة معاوية فسمعت ذات ليلة

غناء عند عبدالله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع مافى منزل هذا الذى جعلته بين لحمك ودمك وأنزلته فى دار حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه وقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال تخر له وماأظنه الا من تلقية الجن ثم انصرف فلما كان من آخر الليل سمع معاوية قراءة عبدالله وهوقائم يصلى فأنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان مااسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار رهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه خديج اذهب فانظر من عند عبدالله واخبره بخروجى اليه فذهب فأخبره فاقام كل من كان عنده ثم جاء معاوية فلم ير فى المجلس غير عبدالله فقال مجلس من هذا قال مجلس فلان قال معاوية مره يرجع الى مجلسه ثم قال مجلس من هذا قال مجلس فلان قال مره يرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل فقال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان ياأمير المؤمنين قال له معاوية فان أذنى عليلة فمره فليرجع الى موضعه وكان موضع بديح المغنى فأمره ابن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود ثم غنى

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم

فحرك عبدالله بن جعفر رأسه فقال معاوية لم حركت رأسك ياابن جعفر قال اريحية أجدها ياأمير المؤمنين لولاقيت عندها لا بليت ولئن سئلت عندها لاعطيت وكان معاوية قد خضب فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكانت عند معاوية جارية أعز جواريه عنده كانت متولية خضابه فغناه بديح

أليس عندك شكر للتى جعلت * ماابيض من قادمات الشعر كالحمم
وجددت منك ماقد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال ابن جعفر ياأمير المؤمنين سألتنى عن تحريك رأسى فأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال معاوية كل كريم طروب ثم قام وقال لايبرح أحد منكم حتى يأتيه اذنى فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاص ثيابه والى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب (وعن ابن الكلبى) والهيثم بن عدى قالا بينا عبدالله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا بصوت شجى رقيق لقينة تغنى

قل للكرام ببابنا يلجوا * مافى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبدالله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اليه اجلالا ورفعوا مجلسه ثم أقبل عليه صاحب المنزل فقال يا ابن عم رسول الله دخلت منزلنا بلا اذن وما كنت لهذا بخليق فقال عبدالله لم ادخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام ببابنا يلجوا فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فضحك صاحب المنزل وقال صدقت جعلت فداك ماأنت الا من اكرم الاكرمين ثم بعث عبدالله الى جارية من جواريه فقال لها غنى فغنت فطرب القوم وطرب عبدالله فدعا بثياب وطيب فكسا القوم وصاحب المنزل وطيبهم ووهب له الجارية وقال له هذه أحذق بالغناء من جاريتك

٢ — أخبار ابن أبى عتيق — ذكر رجل من أهل المدينة ان ابن أبى عتيق وهو عبدالله ابن محمد بن عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق دخل على عائشة ام المؤمنين وهى عمته فوضع رأسه فى حجرها أوعلى ركبتها ثم رفع عقيرته يتغنى

ومقير حجل جررت برجله * بعد الهدو له قوائم أربع

فاطرب زمان اللهو من زمن الصبا * وانزع اذا قالوا أبى لاينزع

فليأتين عليك يوما مرة * يبكى عليك مقنعا لاتسمع

قالت له عائشة يابنى فاتق ذلك اليوم (حدث) ابو عبدالله محمد بن عرفة بواسط قال حدثنى احمد بن يحيى عن الزبير بن بكار عن سليمان بن عباس السعدى عن السائب رواية كثير قال قال لى كثير يوما قم بنا الى ابن أبى عتيق نحدث عنده قال فجئناه فوجدنا عنده ابن معاذ المغنى فلما رأى كثيرا قال لابن أبى عتيق ألا أغنيك بشعر كثير فاندفع يغنى بشعره حيث يقول

أبائنة سعدى نعم ستبين * كما أنبت من حبل القرين قرين

أأن ذم اجمال وفارق جيرة * وصاح غراب البين أنت حزين

فاخلفن ميعادى وخن أمانتى * وليس لمن خان الامانة دين

فالتفت ابن أبى عتيق الى كثير وللذين صحبتهن يا ابن أبى جمعة ذاك والله أشبه بهن وأدعى للقلوب اليهن وانما يوصفن بالبخل والامتناع وليس بالامانة والوفاء

وابن قيس الرقيات اشعر منك حيث يقول

حبذا الادلال والغنج * والتى فى طرفها دعج
والتى ان حدثت كذبت * والتى فى ثغرها فلج
خبرونى هل على رجل * عاشق فى قبلة حرج

قال كثير قم بنا من عند هذا ثم نهض (وقال) عبدالله بن جعفر لابن أبى عتيق لو غنتك فلانة جاريتى صوتا ماأدركتك ذكاتك قال ابن أبى عتيق قل لها تفعل وليس عليك ان مت ضمان فأخذ بيده عبدالله بن جعفر وأدخله منزله ثم أمر الجارية فخرجت وقال لها هات فغنت

بهواك صيرنى العزول نكالا * وجد السبيل الى المقال فقالا
ونهيت نومى عن جفونى فانتهى * وأمرت ليلى ان يطول فطالا

قال فرمى بنفسه ابن أبى عتيق الى الارض وقال فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر (أبو القاسم) جعفر بن محمد قال لما وصف عبدالله بن جعفر لعبد الملك بن مروان ابن أبى عتيق وحدثه عن اقلاله وكثرة عياله فأمره عبد الملك بن مروان أن يبعث به اليه فأتاه ابن جعفر فأعلمه ابن جعفر بما دار بينه و بين عبد الملك و بعثه اليه فدخل ابن أبى عتيق على عبد الملك فوجده جالسا بين جاريتين قائمتين عليه يميسان كغصنى بان بيد كل جارية مروحة تروح بها عليه مكتوب بالذهب فى المروحة الواحدة

اننى أجلب الريا * ح و بى يلعب الحجل
وحجاب اذا الحبيب * ثنى الرأس للقبل
وغياث اذا النديـ * ـم تغنى أو ارتجل

﴿ وفى المروحة الاخرى ﴾

أنا فى الكف لطيفه * مسكنى قصر الخليفه
أنا لا أصلح الا * لظريف أو ظريفه
أو وصيف حسن القد * شبيه بالوصيفه

قال ابن أبى عتيق فلما نظرت الى الجاريتين هونتا الدنيا علىّ وأنسانى سوءحالى

قلت ان كانتا من الانس فما نساؤنا الا من البهائم فكلما كررت بصرى فيهما تذكرت الجنة فاذا تذكرت امرأتى وكنت لها محبا تذكرت النار قال فبدأ عبد الملك يتوجع الىّ بما حكى له ابن جعفر عنى ويخبرنى بما لى عنده من جميل الرأى فأكذبت له كل ما حكاه له ابن جعفر عنى ووصفت له نفسى بغاية الملا والجدة فامتلأ عبد الملك سرورا بما ذكرت له وغما بتكذيب ابن جعفر فلما عاد اليه ابن جعفر عاتبه عبد الملك على ما حكاه عنى وأخبره بما حليت به نفسى فقال كذب والله يا أمير المؤمنين وانه أحوج اهل الحجاز الى قليل فضالك فضلا عن كثيره ثم خرج عبد الله فلقينى فقال ما حملك ان كذبتنى عند أمير المؤمنين قلت أفكنت ترانى يجلسنى بين شمس وقمر ثم أتفاقر عنده لا والله ما رأيت ذلك لنفسى وان رأيته لى فلما اعلم بذلك عبد الله بن جعفر عبد الملك بن مروان قال فالجاريتان له قال فلما صارتا الىّ زرت عبد الله بن جعفر فوجدته قد امتلأ فرحا وهو يشرب و بين يديه عس فيه عسل ممزوج بمسك وكافور فقال مهيم قلت قد والله قبضت الجاريتين قال فاشرب فتناولت العس فجرعت منه جرعة فقال لى زد فأبيت عليه فقال لجارية له عنده تغنيه ان هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين نخذى فى نعتهما فانهما كما فلكت صدورهما فحركت الجارية العود ثم غنت

عهدى بها فى الحى قد جردت * صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الثدى على نحرها * فى مشرق ذى بهجة ناضر
لو أسندت ميتا الى صدرها * قام ولم ينقل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا * ياعجبا للميت الناشر

قال فلما سمعت الابيات طربت ثم تناولت العس فشربت عللا بعد نهل ورفعت عقيرتى أغنى

سقونى وقالوا لا تغنى ولو سقوا * جبال حنين ما سقونى لغنت

(قال) وخرج ابو السائب وابن ابى عتيق يوما يتنزهان فى بعض نواحى مكة فقال ابو السائب ليبول وعليه طويلته فانصرف دونها فقال له ابن ابى عتيق ما فعلت طويلتك قال ذكرت قول كثير

أرى الازار على لبنى فاحسده * ان الازار على ماضم محسود

فتصدقت بها على الشيطان الذى اجرى هـذا البيت على لسانه فاخذ ابن ابى عتيق طويلته فرمى بها وقال أتسبقنى انت الى برالشيطان (سمع) سليمان بن عبد الملك مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤابه فقال أعد على ماتغنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كانها والله جرجرة الفحل فى الشول وما احسب أنثى تسمع هذا الاصبت وأمر به فخصى * وقالواان الفرزدق قدم المدينة فنزل على الاحوص ابن محمدبن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الافلح صاحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى حمت لحمه الدبر فقال الاحوص ألا اسمعك غناء قال تغن فغناه

أتنسى اذ تودعنا سليمى * بعود بشامة سقى البشام
بنفسى من تجنبه عزيز * علىّ ومن زيارته لمام
ومن امسى وأصبح لا أراه * ويطرقنى اذا هجع النيام

فقال للفرزدق لمن هذا الشعر قال لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك مايزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال لمن ذا الشعر فقال لجرير ثم غناه

أسرى لخالدة الخيال ولا ارى * شيأ ألذ من الخيال الطارق
ان البلية من يمل حديثه * فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال لمن هذا الشعر فقال لجرير فقال ما احوجه مع عفافه الى خنوثة شعرى وما احوجنى مع فسوقى الى رقة شعره (وقال) جرير والله لولا ماشغلت به من هذه الكلاب لشببت تشبيبا تحن منه العجوز الى أيام شبابها حنين الجمل الى عطنه (وقال) الاحوص يوما لمعبد امض بنا الى عقيلة حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فألفيا على بابها معاذا الانصارى وابن صياد فاستأذنوا عليها فأذنت لهم الا الاحوص فانها قالت نحن على الاحوص غضاب فانصرف الاحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم بها وقال

ضنت عقيلة عنك اليوم بالزاد * وآثرت حاجة الثاوى على الغادى
قولا لمنزلها حييت من طلل * وللعقيق ألا حييت من واد

اذا وهبت نصيبي من مودتها * لمعبد ومعاذ وابن صياد

(وجعل) رجل يترنم فى مسجد المدينة ورجل من قريش يسمع فاخذه بعض القومة فقالوا ياعدو الله أتغنى فى المسجد الحرام وذهبوا به الى صاحب الحكم واتبعهم القرشى فقال لصاحب الحكم اصلحك الله انما كان يقرأ فأطلق سبيله فقال له القرشى والله لولا انك أحسنت فى غنائك وأقمت دارات معبد لكنت عليك اشد من الاعوان والصوت المنسوب الى دارات معبد قول اعشى بكر

هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم انت للبين واجم

ويروى ان معبدا دخل على قتيبة بن مسلم والى خراسان وقد فتح خمس مدائن فجعل يفخر بها عند جلسائه فقال له معبد والله لقد صغت بعدك خمسة اصوات انها لاكثر من الخمس مدائن التى فتحت والاصوات

﴿ الاول ﴾

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا ايها الرجل

﴿ والثانى ﴾

هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم أنت للبين واجم

﴿ والثالث ﴾

ودع لبانة قبل ان تترحلا * واسبل فان سبيله ان يسبلا

﴿ والرابع ﴾

لعمرى لئن شطت بعمنة دارها * لقد كدت من وشك الفراق أبيح

﴿ والخامس ﴾

تفدى الشهباء نحو ابن جعفر * سواء عليها ليلها ونهارها

٣ — اصل الغناء ومعدنه — قال ابو المنذر بن هشام بن الكلبى الغناء على ثلاثة اوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب فغناء الركبان والقينات واما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات واما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يثير القلوب ويهيج الحليم وانما كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى من بلاد العرب ظاهرا فاشيا وهى المدينة والطائف وخيبر ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع اسواق العرب (وقيل)

ان اول من صنع العود لامك بن قابيل بن آدم وبكى به على ولده (ويقال) ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية وكان أول من غنى فى العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان (ومن غنائهما)

ألا يا قيـل ويحك قم فهينم * لعـل الله يصبحنا غماما

وانما غنتا بهذا حين حبس عنهما المطر وكانت العرب تسمى القينة الكرينة والعود الكران والمزهر أيضا هو العود وهو البربط وكان أول من غنى فى الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو علم ابن سريج والدلال ونؤمة الضحى وكان يكنى ابا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام

قـد برانى الشوق حـتى * كدت من شوقى اذوب

٤ — أخبار المغنين — أولهم طويس وكان فى أيام عثمان رضى الله عنه (حدثنا) جعفر بن محمد قال لما ولى ابان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية بن أبى سفيان قعـد فى بهو له عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغنى وقد خضب يديه غمسا واشتمل على دف له وعليـه ملاءة مصقولة فسلم ثم قال بابى وأمى يا ابان الحمد لله الذى أرانيك أميرا على المدينة انى نذرت لله فيـك نذرا ان رأيتك ان أخضب يدى غمسا وأشتمل على دفى وآتى مجلس امارتك واغنيك صوتا قال فقال ياطويس ليس هذا موضع ذاك قال بابى أنت وأمى يا ابن الطيب أبحنى قال هات ياطويس فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السماطين وغنى

مابال اهـلك يا رباب * حـذرا كأنهم غضاب

قال فصفق ابان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبل بين عينيه وقال يلومونني على طويس ثم قال له من أسن انا أو أنت قال وعيشك لقد شهدت زفاف أمك المباركة الى أبيك الطيب انظر الى حـذقه ورقة أدبه كيف لم يقل أمك الطيبة الى أبيك المبـارك (وعن الكلبى) قال خرج عمر بن عبد العزيز الى الحج وهو والى المدينة وخرج الناس معه وكان فيمن خرج بكر بن اسمعيل الانصارى وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فلما انصرفا راجعين مرا بطويس المغنى فدعاهما الى النزول عنـده فقال بكر بن اسمعيل قد البعير الى منزلك فقال له سعيد بن عبد الرحمن أتنزل على هذا المخنث فقال انما

هو منزل ساعة ثم نذهب فاحتمل طويس الكلام عن سعيد فأتيا منزله فاذا هو قد نظفه ونجده فاتاها بفاكهة الشام فوضعها بين أيديهما فقال له بكر بن اسمعيل مابقى منك ياطويس قال بقى كلى ياابا عمر وقال أفلا تسمعنا من بقاياك قال نعم ثم دخل خيمته فاخرج خريطة واخرج منها دفا ثم نقر وغنى

ياخليلى نابنى سهدى * لم تنم عينى ولم تكد

كيف تلحونى على رجل * مؤنس تلتذه كبدى

مثل ضوء البدر صورته * ليس بالزميلة النكد

من بنى آل المغيرة لا * خامل نكس ولا جحد

نظرت عينى فلا نظرت * بعده عينى الى أحد

ثم ضرب بالدف الارض والتفت الى سعيد بن عبد الرحمن فقال يا اباعثمان أتدرى من قائل هذا الشعر قال لا قال قالته خولة ابنة ثابت عمتك فى عمارة بن الوليد بن المغيرة ونهض فقال له بكر لو لم تقل له ماقلته لم يسمعك ما اسمعك وبلغت القصة عمر بن عبد العزيز فارسل اليهما فسألهما فأخبراه فقال واحدة باخرى والبادى أظلم (الاصمعى) قال حدثنى رجل من أهل المدينة قال كان طويس يتغنى فى عرس رجل من الانصار فدخل النعمان بن بشير العرس وطويس يتغنى

أجد بعمرة عتبانها * فتهجر أم شأننا شأنها

وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

فقيل له اسكت اسكت لان عمرة ام النعمان بن بشير فقال النعمان انه لم يقل بأسا انما قال

وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

وكان مع طويس بالمدينة ابن سريج والدلال ونؤمة الضحى ومنه تعلموا ثم نجم بعد هؤلاء سلم الخاسر وكان فى صحبة عبد الله بن عبد الله بن جعفر وعنه أخذ معبد الغناء ثم كان ابن أبى السمح الطائى وكان يتيما فى حجر عبد الله بن جعفر وأخذ الغناء عن معبد وكان لايضرب بعود انما يغنى مرتجلا فاذا غنى لمعبد صوتا حققه ويقول قال الشاعر فلان ومطه معبد وخففته أنا ومن غنائه

نام صحبى ولم أنم * بنا لخيال ألم

ان فى القصر غادة * كحلت مقلتى بدم

وكان معبد والغريض بمكة ولمعبد أكثر الصناعة الثقيلة (ولما) قدمت سكينة ابنة الحسين عليهما السلام مكة أتاها الغريض ومعبد فغنياها

عوجى علينا ربة الهودج * انك ألا تفعلى تحرجى

قالت والله مالكما مثل الا الجدى الحار والبارد لاندرى أيهما أطيب (قال) اسحق ابن ابراهيم شهد الغريض ختانا لبعض أهله فقال له بعض القوم غن فقال هو ابن الزانية ان غنى قال له مولاه فأنت والله ابن الزانية فغن قال أكذلك ابا عبدل قال أنت اعلم فغنى

وماأنس م الاشياء لاأنس شادنا * بمكة مكحولا اسيلا مدامعه

تشرب لون الرازقى بياضه * وبالزعفران خالط المسك رادعه

فلوت الجن عنقه فمات (وقال غير اسحق بل غنى)

أمن مكتومة الطلل * يلوح كأنه خلل

لقد نزلوا قريبا منـــك لو نفعوك اذ نزلوا

تحاولنى لتقتلنى * وليس بعينها حول

ثم نجم ابن طنبورة وأصله من اليمن وكان اهزج الناس واخفهم غناء (ومن غنائه)

وفتيان على شرف جميعا * دلفت لهم بباطية هدور

كأنى لم اصدفهم ببازى * ولم أطعم بعرصتهم صقورى

فلا تشرب بلا لهو فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

(ويقال) انه حضر مجلسا لرجل من الاشراف الى ان دخل عليهم صاحب المدينة فقيل له غن فغنى

ويلى من الحبيبه * ويل ليه ويل ليه

قد عشش الحية فى * بيثيه بيثيه

فضحك صاحب المنزل ووصله (ومنهم) حكم الوادى وكان فى صحبة الوليد بن يزيد ويغنى بشعره ومن غنائه

خف من دار جيرتى * يا ابن داود انسها

قـد دنا الصبح أو بدا * وهي لم تقض لبسها

فـتى تخـرج العـرو * س لقـد طال حبسها

خـرجت بين نسـوة * أكرم الجنس جنسها

(وكان) بالشام أيام الوليدبن يزيد مغن يقال له العزيز و يكنى أبا كاهل وفيـه يقول الوليد بن يزيد

من مبلغ عنى أبا كاهـل * انى اذا ماغاب كالها بل

(ومن غنائه)

امدح الكاس ومن أعملها * وأهج قوما قتلونا بالعطش

انما الكاس ربيع باكر * فاذا مالم نذقها لم نعش

(وكان) لهرون الرشيد جماعة من المغنيين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي ومخارق وطبقة أخرى دونهم منهم زلزل وعمرو الغـزال وعلوية وكان له زامر يقال له برصـوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع احلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول فى ابن جامع فقال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلي قال هو بستان فيـه جميع الثمار والرياحين قال فعمرو الغزال قال هو حسن الوجه يا أمير المؤمنين (قال) اسحق قلت ليوسف من أحسن الناس غناء قال ابن محرز قلت وكيف ذلك قال ان شئت اجملت وان شئت فصلت قلت اجمل قال كان يغنى كل انسان بما يشتهى كأنه خلق من قلب كل انسان (وكان) ابراهيم أول من وقع الايقاع بالقضيب (وحـدث) يحيي ابن محمد قال بينا نحن على باب الرشيد ننتظر الاذن اذ خرج الآذن فقال لنا أمير المؤمنين يقرئكم السلام قال فانصرفنا فقال لنا ابراهيم تصيرون الى منزلى قال فانصرفنا معه قال فدخلت دارا لم أر أشرف منها ولا اوسع واذا أنا بافرشـة خز مظهرة بالسنجاب قال فقـعدنا ثم دعا بقدح كبير فيه نبيذ وقال

اسقنى بالـكبير انى كبير * انما يشرب الصغير صغير

(ثم قال)

اسقنى قهوة بكوب كبير * ودع الماء كله للحمير

ثم شرب به وأمر به فملىء وقال لنا ان الخيـل لا تشرب الا بالصـفير ثم أمر بجوار فاحطن

بالدارفما شبهت اصواتهن الا باصوات طير فى أجمة يتجاوبن (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى لما أفضت الخلافة الى المأمون أقام عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء ثم كان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى ثم واظب على السماع وسأل عنى فجرحنى عنده بعض من حسدنى فقال ذلك رجل يتيه على الخلافة فقال المأمون ما أبقى هذا من التيه شيأ وأمسك عن ذكرى وجفانى كل من كان يصلنى لما ظهر من سوء رأيه فاضر ذلك بى حتى جاءنى يوما علوية فقال لى أتأذن لى اليوم فى ذكرك فانى اليوم عنده فقلت لا ولكن غنه بهذا الشعر فانه سيبعثه على ان يسألك من أين هذا فينفتح لك ما تريد ويكون الجواب اسهل عليك من الابتداء فمضى علوية فلما استقر به المجلس غناه الشعر الذى امرته به (وهو)

يامشرع الماء قد سدت مسالكه * أما اليك سبيل غير مسدود
لحائم حار حتى لاحياة به * مشرد عن طريق الماء مطرود

فلما اسمعه المأمون قال ويلك لمن هذا قال ياسيدى لعبد من عبيدك جفوته واطرحته قال اسحق قلت نعم قال ليحضر الساعة قال اسحق فجاءنى الرسول فسرت اليه فلما دخلت قال ادن فدنوت فرفع يديه مادهما فاتكأت عليه فاحتضننى بيديه وأظهر من اكرامى وبرى ما لو اظهره صديق لى مواس لسرنى (قال) وحدثنى يوسف بن عمر المدنى قال حدثنى الحرث ابن عبيد الله قال سمعت اسحق الموصلى يقول حضر مسامرة الرشيد ليلة عبثر المغنى وكان فصيحا متأدبا وكان مع ذلك على الشعر بصوت حسن فتذاكروا رقة شعر المدنيين فأنشد بعض جلسائه أبياتا لابن الدمنية حيث يقول

واذكر أيام الحمى ثم انثنى * على كبدى من خشية ان تصدعا
وليس عشيات الحمى براجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

فاعجب الرشيد برقة الابيات فقال له عبثر ياأمير المؤمنين ان هذا الشعر مدنى رقيق قد غذى بماء العقيق حتى رق وصفا فصار أصفى من الهوا ولكن ان شاء أمير المؤمنين انشدته ماهو أرق من هذا واحلى وأصلب وأقوى لرجل من أهل البادية قال فانى اشاء قال وأترنم به ياأمير المؤمنين قال وذلك لك فغنى لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لايزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا
راحوا العشية روحة منكورة * ان حرن حرنا أو هدين هدينا
فرموا بهن سواهما عرض الفلا * ان متن متنا اوحيين حيينا

قال صدقت ياعبثر وخلع عليه وأجازه (وكان) لابراهيم الموصلى عبد أسود يقال له زرياب وكان مطبوعا على الغناء علمه ابراهيم وكان ربما حضر به مجلس الرشيد يغنى فيه ثم انه انتقل الى القيروان الى بنى الاغلب فدخل على زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب فغناه بأبيات عنترة الفوارس حيث يقول

فان تك أمى غرابيـة * من أبناء حام بها عبتنى
فانى لطيف ببيض الظبا * وسمر العوالى اذا جئتنى
ولولا فرارك يوم الوغى * لقدتك فى الحرب أوقدتنى

فغضب زيادة الله فامر بصفع قفاه واخراجه وقال له ان وجدتك فى شىء من بلدى بعد ثلاثة أيام ضربت عنقك فجاز البحر الى الاندلس فكان عند الامير عبد الرحمن بن الحكم (وكان) فى المـدينة فى الصدر الاول مغن يقال له قنـد وهو مولى سـعد بن أبى وقاص وكانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تستظرفه فضربه سـعد فحلفت عائشـة لا تكلمه حتى يرضى عنه قنـد فدخل عليه سعد وهو وجع من ضربه فاسترضاه فرضى عنه وكلمته عائشة (وكان) معاوية يعقب بين مروان بن الحكم وسعيد بن العاص على المـدينة يستعمل هـذا سنة وهذا سـنة وكانت فى مروان شدة وغلظة وفى سعيد لين عريكة وحلم وصفح فلقى مروان بن الحـكم قندا المغنى وهو معزول عن المدينة وبيده عكازة فلما رآه قال

قل لقند يشيع الاظعانا * ربما سر عيننا وكفانا

قال له قند لا اله الا الله ما أسمجك واليا ومعزولا (روى) ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه واضيقهم خلقا اذا قيل له غن يقول اولمثلى يقال هـذا على عتق رقبة ان غنيت يومى هـذا فان غنى وقيل له أحسنت قال لمثلى يقال احسنت على عتق رقبة ان غنيت سائر يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فجاء بالعجب فلم يبق بالمـدينة مخبأة ولا شابة ولا شاب ولا كهل الا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشـة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام

وكان فيمن خرج الى العقيق و بين يديه اسودان كانهما ساريتان يمشيان بين يديه امام دابته قال لهما أنتما حران لوجه الله ان لم تفعلا ما آمركما به ان لم اقطعكما اربا اربا اذهبا الى ذلك الرجل المتجر بفضل ردائه فخذا بضبعيه فان فعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بضبعيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة قال لبيك وسعديك و بابى أنت وأمى قال اسمع منى ما أقول واعلم انك مأسور فى أيديهما وهما حران ان لم تغن مائة صوت ان لم يطرحاك فى العقيق وهما حران وان لم يفعلا ذلك لاقطعن أيديهما فصاح ابن عائشة ياويلاه واعظم مصيبتاه قال دع من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصى واقبل يغنى فترك الناس العقيق واقبلوا عليه فلما تمت اصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة واحدة ارتجت لها اقطار المدينة وقالوا للحسن صلى الله على روحك حيا وميتا فما اجتمع لاهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن انما فعلت هذا بك يا ابن عائشة لاخلاقك الشكسة قال له ابن عائشة والله ما مرت على مصيبة أعظم منها لقد بلغت اطراف اعضائى فكان بعد ذلك اذا قيل له ما اشد ما مر عليك قال يوم العقيق (وكان) ابراهيم بن المهدى وهو الذى يقال له ابن شكلة داهيا عاقلا عالما بايام الناس شاعرا مفلقا وكان يصوغ فيجيد ويروى عن ابراهيم انه قد كان خالف على المأمون ودعا الى نفسه فظفر به المأمون فعفا عنه وقال لما ظفر به المأمون

ذهبت من الدنيا كما ذهبت منى * هوى الدهر بى عنها وأهوى بها عنى
فان أبك نفسى أبك نفسا عزيزة * وان احتبسها احتبسها على ضنى

فلما فتحت له أبواب الرضا من المأمون غنى بهما بين يديه فقال له المأمون احسنت والله يا أمير المؤمنين فقام ابراهيم رهبة من ذلك وقال قتلتنى والله يا أمير المؤمنين لا والله ان جلست حتى تسمينى باسمى قال اجلس يا ابراهيم فكان بعد ذلك آثر الناس عند المأمون ينادمه و يسامره و يغنيه فحدثه يوما فقال بينا انا مع أبيك يوما يا أمير المؤمنين بطريق مكة اذ تخلفت عن الرفقة وانفردت وحدى وعطشت وجعلت اطلب الرفقة فأتيت الى بئر فاذا حبشى نائم عندها فقلت له يانائم قم فاسقنى فقال ان كنت عطشان فانزل واستق لنفسك فخطر صوت ببالى فترنمت به وهو

كفنانى ان مت فى درع اروى * واسقيانى من بئر عروة ماء

فلماسمع قام نشيطا مسرورا وقال والله هذه بئرعروة وهذا قبره فعجبت يا أمير المؤمنين لما خطر ببالى فى ذلك الموضع ثم قال اسقيك على ان تغنينى قلت نعم فلم أزل أغنيه وهو يجيد الحبل حتى سقانى وارو ى دابتى ثم قال ادلك على موضع العسكر على أن تغنينى قلت نعم فلم يزل يعدو بين يدى وانا أغنيه حتى اشرفنا على العسكر فانصرف وأتيت الرشيد فحدثته بذلك فضحك ثم رجعنا من حجنا فاذا هو قد تلقانى وانا عديل الرشيد فلما رآنى قال مغن والله قيل له اتقول هذا لاخى أمير المؤمنين قال أى لعمر الله لقد غنانى واهدى الى اقطا وتمرا فأمرت له بصلة وكسوة وأمر له الرشيد بكسوة أيضا فضحك المأمون وقال غنى الصوت فغنيته فافتتن به فكان لا يقترح على غيره (وكان) مخارق وعلوية قد حرفا القديم كله وصيرافيه نغما فارسية فاذا أتاهما الحجازى بالغناء الاول الثقيل قال يحتاج غناؤك الى فصادة واسم علوية يوسف مولى لبنى أمية (وكان) زلزل اضرب الناس للوتر لم يكن قبله ولا بعده مثله ولم يكن يغنى وانما كان يضرب على ابراهيم وابن جامع و برصوما

(ومن غنائه فى المأمون)

ألا انما المأمون للناس عصمة * مميزة بين الضلالة والرشد

رأى الله عبد الله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعبد

(حدث) سعيد بن محمد العجلى عن الاصمعى قال كان أبو الطمحان القينى وهو حنظلة بن الشرقى شاعرا مجيدا وكان مع ذلك فاسقا وكان قد انتجع يزيد بن عبد الملك فطلب الاذن عليه أياما فلم يصل فقال لبعض المغنين ألا اعطيك بيتين من شعرى تغنى بهما أمير المؤمنين فان سألك من قائلهما فأخبره انى بالباب وما رزقنى الله منه فهو بينى و بينك قال هات فأعطاه هذين البيتين

يكاد الغمام الغر يرعد ان رأى * محيا ابن مروان وينهل بارقه

يظل فتيت المسك فى رونق الضحى * تسيل به اصداغه ومفارقه

قال فغنى بهما فى وقت أريحيته فطرب لهما طربا شديدا وقال لله در قائلهما من هو قال أبو الطمحان القينى وهو بالباب يا أمير المؤمنين قال ما أعرفه قال له بعض جلسائه هو صاحب الدير يا أمير المؤمنين قال وما قصة الدير قال قيل لابى الطمحان ما أيسر

ذنو بك قال ليلة الدير قيل له وما ليلة الدير قال نزلت ذات ليلة بدير نصرانية فأكلت عندها طفشيلا بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت فضحك يزيد وأمر له بألفي درهم وقال لا يدخل علينا فأخذها أبو الطمحان وانسل بها وخيب المغني (أبو جعفر البغدادي) قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغا عن أبي عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع ومعي قرطاس لا كتب فيه بعض ما استفيده من العلماء فررت بباب ابي عيسى بن المتوكل فاذا ببابه المشدود وكان من أحذق الناس بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت الى المسجد الجامع لعلي استفيد فيه حكمة اكتبها فقال ادخل بنا على أبي عيسى قال فقلت مثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بغير اذن قال فقال للحاجب اعلم الامير بمكان ابي عكرمة قال فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان فحملوني حملا فدخلت الى دار لا والله ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف فرشا ولا اصباحة وجوه فحين دخلنا نظرت الى أبي عيسى فلما أبصرني قال لي يا بغيض متى تحتشم اجلس فجلست فقال ما هذا القرطاس بيدك قلت ياسيدي حملته لاستفيد فيه شيأ وأرجو ان ادرك حاجتي في هذا المجلس فمكثنا حينا ثم أتينا بطعام ما رأيت أكثر منه ولا أحسن فأكلنا وحانت مني التفاتة فاذا أنا بزنين ودبيس وهما من أحذق الناس بالغناء قال فقلت هذا مجلس قد جمع الله فيه كل شيء مليح قال ورفع الطعام وجيء بالشراب وقامت جارية تسقينا شرابا ما رأيت أحسن منه في كل كاس لا اقدر على وصفها فقلت اعزك الله ما أشبه هذا بقول ابراهيم بن المهدي يصف جارية بيدها خمر

حمراء صافية في جوف صافية * يسعى بها نحونا خود من الحور
حسناء تحمل حسناوين في يدها * صاف من الراح في صافي القوارير

وقد جلس المشدود وزنين ودبيس ولم يكن في ذلك الزمان احذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود فغنى

لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق حجاب الدر شاربه
وتم في الحسن والتأمت محاسنه * وما زجت بدعائها غرائبه

وأشرق الورد في نسرين وجنته * واهتز اعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ماقال حاجبه

﴿ ثم سكت فغنى زنين ﴾

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
استودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

﴿ وقال ﴾

وعاتبته دهرا فلما رأيته * اذا ازداد لاجاني عزجانبه
عقدت له في الصدر مني مودة * وخليت عنه مهما لا أعاتبه

﴿ ثم سكت فغنى دبيس ﴾

بدر من الانس حفته كواكبه * قدلاح عارضه واخضر شاربه
ان يعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

قال أبو عكرمة فعجبت انهم غنوا بلحن واحد وقافية واحدة قال أبو عيسى يعجبك من هذا شيء ياأبا عكرمة فقلت ياسيدي المنى دون هذا ثم ان القوم غنوا على هذا الى انقضاء المجلس اذا ابتدأ المشدود تبعه الرجلان بمثل ماغنى

﴿ فكان مماغنى المشدود ﴾

يادير حمنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي
يعتاده كل محني مفارقه * من الدهان عليه سحق امساح
مايدلفون الى ماء بآنية * الا اغترافا من الغدران بالراح

﴿ ثم سكت فغنى زنين ﴾

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى ذات الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو سياح
وخمرة عتقت في دنها حقبا * كأنها دمعة في جفن سباح

﴿ ثم سكت فغني دبيس ﴾

لاتحفلن بقول اللائم اللاحى * واشرب على الوردمن مشمولة الراح
كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * اغناك لألاؤها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب سياح
فقام يشدو وقدمالت سوالفه * يادير حمنة من ذات الاكيراح

﴿ ثم ابتدأ المشدزد فغنى ﴾

باحورار العين والدعج * واحمرار الخدفى الضرج
و بتفاح الخدود وما * ضم من مسك ومن ارج
كن رقيق القلب انك من * قتل من يهواك فى حرج

﴿ ثم سكت وغنى زنين ﴾

كسروى التيه معتدل * هاشمى الدل والغنج
وله صدغان قد عطفا * ببياض الخد كالسبج
واذا ماافتر مبتسما * اطلق الاسرى من المهج
ما لمابى منك من فرج * لا ابتلانى الله بالفرج

﴿ ثم سكت وغنى دبيس ﴾

تعمل الاجفان بالدعج * عمل الصهباء بالمهج
بابى ظبى كلفت به * واضح الخدين والفلج
مر بى فى زى ذى خنث * بين ذات الضال من امج
قلت قلبى قد فتكت به * قال مافى الدين من حرج

﴿ ثم سكت وغنى المشدود ﴾

مابالى اليوم من صنعا * من بقلبى يبدع البدعا
كنت ذا نسك وذا ورع * فتركت النسك والورع
كم زجرت القلب عنك فلم * يصغ لى يوما ولا نزعا
لاتدعنى للهوى غرضا * ان ورد الموت قد شرعا

﴿ ثم سكت وغنى دبيس ﴾

اسقنى كاسا مصردة * ان نجم الليل قد طلعا

قدشربت الحب شرب فتى * لم يدع فى كاسه جرعا

﴿ثم ابتدأ ايضا دبيس فغنى﴾

يقولون فى البستان للعين لذة * وفى الخمر والماء الذى غير آسن

اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

فغضب المشدود لما قطع عليه دبيس وقال غن على غير هذه القافية واللحن ثم نرجع الى حالنا الاولى فقال أبو عكرمة قد اصبت

﴿فابتدأ المشدود فغنى﴾

ادعوك من قلبى اذا لم ارك * ياغاية الطرف اذا ابصرك

قصى لك الله فسبحان من * احلك القلب ومن قدرك

لست بناسيك على حالة * ياليت ما تذكرنى أذكرك

صيرنى الله على ماأرى * منك فى الهجر كما صيرك

قال فقال زنين وأنا فلابد ان اسلك سبيلكما قال ابو عكرمة ثم التفت الى فقال ماترى فقلت احسنت والله فابتدأ يغنى

ياهائم القلب عاص من عذلك * ما نلت ممن هويته املك

دعاك داعى الهوى بخدعته * حتى اذا ما اجبته خذلك

فاحتل لداء الهوى وسطوته * انك ان لم تداوه قتلك

﴿ثم ابتدأ المشدود يغنى﴾

شققت جيبي عليك شقا * وما لجيبي اردت شقا

اردت قلبي فصادفته * يداى بالجيب قد توقى

مالك رقى ابت عتقى * لولاك ما كنت مسترقا

﴿ثم سكت وغنى زنين﴾

قدذبت شوقا ومت عشقا * يازفرات الحب رفقا

ثكلت نفسى وزرت رمسى * ان كنت للهجر مستحقا

﴿ثم سكت وغنى دبيس﴾

ظمئت شوقا وبحر عشقي * يفيض عذبا ولست اسقي

انا الذى صرت من غرامى * على فراش السقام ملقى
فمن زفير ومن شهيق * ومن دموع تجود سبقا

{ ثم ابتدأ المشدود فغنى }

ماذا على نجل العيون لوأنهم * أومؤا اليك فسلموا أوعرجوا
أمنوا مقاساة الهموم وايقنوا * ان المحب الى الاحبة يدلج

{ ثم سكت وغنى دبيس }

هيا فقد بدا الصباح الابلج * قد ضم مشبهة الغزال الهودج
بانوا ولم اقض اللبانة منهم * وكذا الكريم اذا تصابى يلهج

{ ثم سكت وغنى زنين }

السحر والغنج فى عينيك والدعج * والشمس والبدر فى خديك والضرج
الدر ثغرك لولا ان ذا برد * والحبر صدغك لولا ان ذا سبج
انضجت قلبي ولو أن الورى لقيت * قلوبهم منك مالا قيت ماهجوا

{ ثم سكت وابتدأ المشدود فغنى }

ياصاحب المقل المراض * انظر الىّ بعين راض
ان تجفنى متعمدا * اذقتنى جرع الحياض
فلطالما امكنتنى * منك المراشف عن تراض

{ ثم سكت وغنى زنين }

هائم مدنف من الاعراض * لاسبيل له الى الاغماض
مؤتق النوم مطلق الدمع مايعرف ملجا من الحتوف القواضى
مابرى جسمه سوى لحظات * أمرضته من العيون المراض

{ ثم سكت وغنى دبيس }

كن ساخطا واظهر بانك راض * لاتبدين تكره الاعراض
وانظر الى بمقلة غضبانة * ان كنت لم تنظر بمقلة راض
وارحم جفونا ماتجف من البكا * فى ليلة مسلوبة الاغماض
واحكم فديتك بين جسمى والهوى * فالحكم منك على الجوارح ماض

﴿ ثم ابتدأ المشدود فغنى ﴾

ياذا الذى حال عن العهد * ومن برانى منه بالصد
بسمرة الخال وما قد حوى * من حمرة فى سالف الخد
ألا تعطفت على عاشق * منفرد بالبث والوجد

﴿ ثم سكت وغنى زنين ﴾

أظل بكتمان الهوى وكأنما * ألاقى الذى لاقاه غيرى من الوجد
وعيب على الشوق والوجد والبكا * ولا انا بالشكوى أنفس من جهدى

﴿ ثم سكت وغنى دبيس ﴾

تهزأت بى لما خلوت من الوجد * ولم ترث لى لا كان عندك ما عندى
وعيب على الشوق والوجد والبكا * وأنت الذى اجريت دمعى على خدى
صددت بلا جرم اليك اتيته * أكان عجيبا لو صددت عن الضد
ألا اننى عبد لطرفك خاضع * وطرفك مولى لا يرق على عبد

﴿ ثم غنى المشدود ﴾

اقمت ببلدة ورحلت عنها * كلانا عند صاحبه غريب
اقل الناس فى الدنيا نصيبا * محب قد نأى عنه الحبيب

﴿ ثم سكت وغنى زنين ﴾

ويقنعنى ممن أحب كتابه * ويمنعنيه انه لبخيل
كفى حزنا ان لا أطيق وداعكم * وقد حان منى يا ظلوع رحيل

﴿ ثم سكت وغنى دبيس ﴾

ياواحد الحسن الذى لحظاته * تدعو النفوس الى الهوى فتجيب
من وجهه القمر المنير وحسنه * غصن نضير مشرق وكثيب
ألناظريك على العيون رقيبة * أم هل لطرفك فى القلوب نصيب

﴿ ثم ابتدأ المشدود فغنى ﴾

قلق لم يزل وصبر يزول * ورضا لم يطل وسخط يطول
لم تسل دمعتى على من الرحمة حتى رأيت نفسى تسيل

جال فى جسمي السقام فجسمي * مدنف ليس فيه روح تجول
ينقضي للغتيل حول فينسى * وانا فيك كل يوم قتيل

﴿ ثم سكت وغنى زنين ﴾

ليس الى تركك من حيلة * ولا الى الصبر لقلبي سبيل
فكيف ماشئت فكن سيدى * فان وجدى بك وجد طويل
ان كنت ازمعت على هجرنا * فحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال) ابو عكرمة فأقبل ابو عيسى على المشدود فقال له غن صوتا فغنى

يالجة الدمع هل للدمع مرجوع * ام الكرى من جفون العين ممنوع
ماحيلتى وفؤادى هائم ابدا * بعقرب مصدغ من مولاى ملسوع
لا والذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من حرق الهجران مصدوع
مارق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

(قال) ابو عكرمة فوالله الذى لا اله الا هو لقد حضرت من المجالس مالا احصى ما رأيت مثل ذلك الى اليوم ثم ان اباعيسى امر لكل واحد بجائزة وانصرفنا ولولا ان اباعيسى قطعهم ما انقطعوا

٥ — من سمع صوتا فوافق معناه فاستخفه الطرب — حكى عن اسحق بن ابراهيم الموصلى عن ابيه قال دخلت على هارون الرشيد فلما رأيته قد أخذ فى حديث الجوارى وغلبتهن على الرجال غنيته بابياته التى يقول فيها

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبي بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعزمن سلطانى

فارتاح وطرب وامر لى بعشرة آلاف درهم (وغنى) ابراهيم الموصلى محمدا ابن زبيدة الامين بقول الحسن بن هانىء فيه

رشأ لولا ملاحته * خلت الدنيا من الفتن
كل يوم يسترق له * حسنه عبدا بلاثمن
ياأمين الله عش ابدا * دم على الايام والزمن

انت تبقى والفناء لنا * فاذا أفنيتنا فـكن
سن للناس القرى فقروا * فكان البخل لم يكن

قال فاستخفه الطرب حتى قام من مجلسه واكب على ابراهيم يقبل رأسه فقام ابراهيم من مجلسه يقبل اسفل رجليه وما وطئتا من البساط فأمر له بثلاثة آلاف درهم فقال ابراهيم ياسيدي قد أجزتني الى هذه الغاية بعشرين الف الف درهم فقال الامين وهل ذلك الاخراج بعض الكور (الرياشي) عن الاصمعي قال قدم جرير المدينة فاتاه الشعراء وغيرهم وأتاه اشعب فيهم فسلموا عليه وحادثوه ساعة وخرجوا وبقى اشعب فقال له جرير أراك قبيحا وأراك لئيم الحسب ففيم قعودك وقد خرج الناس فقال له أصلحك الله انه لم يدخل عليك اليوم أحد أنفع لك مني قال وكيف ذلك قال لانى آخذ رقيق شعرك فازينه بحسن صوتى فقال له جرير قل فاندفع يغنيه

يا أخت ناجية السلام عليكم * قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت اعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

قال فاستخف جرير الطرب لغنائه بشعره حتى زحف اليه واعتنقه وقبل بين عينيه وسأله عن حوائجه فقضاها له (الزبير بن بكار) قال كان المسور بن مخرمة ذا مال كثير فأسرع فيه على اخوانه فذهب فسأل امرأته وكانت موسرة فمنعته وبخلت عليه فخرج يريد بعض خلفاء بني أمية منتجعا فلما كان ببعض الطريق نزل ماء يقال له بلاكث فقال له غلامه كيف يقال لهذا الماء قال يقال له بلاكث فقال

بينما نحن من بلاكث بالقا * ع سراعا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذ * كراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك اذ دعانى لك الشو * ق وللحادين كر المطيا

فقال هن بدن ان لم تكرها رواجع قال له قد اشرفن على أمير المؤمنين قال هن بدن ان لم تكرها رواجع فانصرف ودخل المصلى ليلا فوجد رجال قريش حلقا يتحدثون فقالوا له زاد خير فقال زاد خير حتى انتهى الى داره فقالت له امرأته زاد خير فانشدها الابيات قالت كل ما املك فى سبيل الله ان لم اشاطرك مالى فشاطرته مالها (وروى) ابو العباس قال حدثت ان عمر الوادي قال اقبلت من مكة أريد المدينة

فجعلت اسير فى صمد من الارض فسمعت غناء من الهواء لم اسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد ماسمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقريك مافعلت ولكن اجعله قراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ثم ابتدأ فغنى

وكنت متى مازرت سعدى بأرضها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو يعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصف فاذا هو كما ذكره (وتحدث) الزبيريون عن خالد صامه بانه كان من أحسن الناس ضربا بعود قال قدمت على الوليد بن يزيد فى مجلس ناهيك به مجلسا فألفيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبى السمح وابن عائشة وأبو كميل وغزيل الدمشقى وكانوا يغنون حتى بلغت النوبة الىّ فغنيته

سرى همى وهم المرء يسرى * وغاب النجم الاقيد فتر
لهم ما زال له قرينا * كان القلب أودع حر جمر
على بكر أخى فارقت بكرا * وأى العيش يصلح بعد بكر

فقال أعد ياصام ففعلت فقال لى من يقول هذا الشعر قلت يقوله عروة بن اذينة يرثى أخاه بكرا فقال الوليد وأى عيش يصلح بعد بكر والله لقد حجر واسعا هذا والله العيش الذى نحن فيه يصلح على رغم انفه (وقد قيل) ان سكينة بنت الحسين غنيت بهذا الشعر فقالت ومن بكر هذا هو ذاك الاشتر الذى كان يأتينا لقد طاب كل شىء بعده حتى الخبز والزيت (وعن عبد الصمد بن المعدل) قال سمعت اسحق الموصلى يتحدث قال حججت مع الرشيد فلما نزلت المدينة آخيت بها رجلا كانت له مروأة ومعرفة وأدب وكان يغنى فأتى ذات ليلة فى منزلى اذا أنا بصوته يستأذن علىّ فظننت أمرا قد حدث ففزع فيه الىّ فأسرعت نحو الباب فقلت ماجاء بك قال دعانى صديق الى طعام عتيد ومجلس شراب قد التقى طرفاه وشواء رشراش وحديث ممتع وغناء مشبع فأجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فأخذت منى حميا الكاس مأخذها ثم غنيت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل ان يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

فكدت أطير طربا ثم وجدت فى الطرب تنغيصا اذ لم يكن معى من يفهم هذا كما فهمته

فقزعت اليك لا صف لك هذه الحال ثم ارجع الى صاحبي وضرب بغلته موليا فقلت قف أكلمك فقال مابى الى الوقوف اليك من حاجة (وحدث) ان معاوية بن أبى سفيان استمع على يزيد ذات ليلة فسمع عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال له من كان ملهيك البارحة قال سائب خاثر قال فاكثر له من العطاء (وكان) ابن أبى عتيق من نبلاء قريش وظرفائهم (فمن) ظريف أخباره ان عثمان بن حيان المرى لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع اليه الاشراف من قريش والانصار فقالوا له انك لا تعمل عملا أحرى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء ففعل وأجلهم ثلاثا فقدم ابن أبى عتيق فى الليلة الثالثة وكان غائبا فحط رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل ان أصير الى منزلى قالت أوما تدرى ماحدث بعدك وأخبرته الخبر فقال اقيمى الى السحر حتى ألقاه فلقيه فأخبره انه انما اقدمه حب التسليم عليه وقال له ان أفضل ما عملت تحريم الغناء والرثاء فقالوا ان أهلك أشاروا على بذلك فقال انهم وفقوا ووفقت ولكنى رسول امرأة اليك تقول قد كانت هذه صناعتى فتبت الى الله منها وأنا اسألك أيها الامير ان لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذا أدعها فقال اذا لا ندعك الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها فان كان يجوز تركها تركتها قال فادع بها فأمر بها ابن ابى عتيق فتنقبت وأخذت سبحة فى يدها وصارت اليه فحدثته عن مآثر آبائه ففكه بها فقال ابن أبى عتيق أريد ان أسمع الامير قراءتها ففعلت فحركه حداؤها ثم قال له ابن أبى عتيق فكيف لو سمعتها فى صناعتها التى تركتها فقال له قل لها فلتغن فغنت

سددت خصاص البيت لما دخلته * بكل بنان واضح وجبين

فنزل عثمان عن سريره ثم جلس بين يديها وقال لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة فقال ابن أبى عتيق يقول الناس اذن لسلامة ومنع غيرها فقال له قد أذنت لهم جميعا (وذكر) لابن أبى عتيق ان المخنثين خصوا وانه خصى فلان فيهم لواحد منهم كان يعرفه فقال ابن أبى عتيق انا لله لان خصى لقد كان يحسن

لمن ربع بذات الجيش أمسى دارسا خلقا

ثم استقبل ابن أبى عتيق القبلة فلما كبر سلم ثم قال لاصحابه اما انه كان يحسن خفيفه فاما ثقيله فلا ثم كبر (وكان) سليمان بن عبد الملك مفرط الغيرة فسمع مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال له أعد ما تغنيت به فأعاد واحتفل فقال لاصحابه

والله لكأنها جرجرة الفحل فى الشول وما أحسب أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصى (وقال ابو العباس) محمد بن يزيد النحوى روى لنا ان رجلا من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فأنشده ابراهيم قول الشاعر

اذا أنت لم تنفعك عاصيه * واذا جر اليكم سادرا رسنى

فقام الرجل فرمى بشق ردائه واقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ثم رجع الى موضعه فجلس فقال له ابراهيم ما بالك قال انى كنت سمعت هذا الشعر فاستحسنته فآليت ان لا اسمعه الا جررت ردائى كما جر هذا الرجل رسنه (و وقف) رجل من الشعراء على رجل من المغنين فانشده

انى اتيت اليك من اهلى * فى حاجة يسعى لها مثلى

لا ابتغى شيأ لديك سوى * حى الحمول بجانب الرمل

قال له انزل (م) دكان المغنى بتوم وعليه رداء عدنى يثربى فقالوا له بكم اخذت الرداء قال بالا ان جيراننا ودعوا (وحدثنى) ابو العباس أحمد بن بكر ببغداد قال حدثنى اسحق بن ابراهيم الموصلى قال كان يقال قديما اذا قسا عليك قلب القرشى من تهامة فغنه بشعر عمر بن أبى ربيعة وغناء ابن سريج وكذا فعل اشعب برجل من اهل مكة من بنى هاشم وكان اشعب قد انتجع اهل مكة من المدينة قال اشعب فلما دخلت عليه غنيته بغناء اهل المدينة واهل العقيق فلم ينجع ذلك فيه ولم يحرك من طيبه ولا اريحيته فلما عيل صبرى غنيته بغناء ابن سريج المكى وقول ابن ابى ربيعة القرشى

نظرت اليها بالمحصب من منى * ولى نظر لولا التحرج عازم

فقلت اشمس أم مصابيح راهب * بدت لك تحت السجف ام انت حالم

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * ابوها واما عبد شمس وهاشم

قال فحركت والله من طربه وكان الذى اردت ثم غنيته لابن ابى ربيعة القرشى أيضا

ولولا ان يقول لنا قريش * مقال الناصح الادنى الشفيق

لقلت اذا التقينا قبلينى * وان كنا بقارعة الطريق

فقال احسن والله هكذا يطيب التلقى لا بالخوف والتوقى قال فلما رأيته قد طرب للصوتين ولم يندلى بشىء قلت هو الثالث والا فعليه السلام قال فغنيته الثالث من غناء ابن سريج قول

عمر بن ابى ربيعة ويقال انها لجميل

مازلت امتحن الدسا كردونها * حتى ولجت على خفى المولج

فوضعت كفى عند مقطع خصرها * فتنفست نفسا و لم تتلهج

قالت وحق أخى وحرمة والدى * لانبهن الحى ان لم تخرج

فخرجت خيفة قولها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تحرج

فرشفت فاها آخذا بقرونها * رشف النزيف ببرد ماء الحشرج

فصاح الهاشمى اواه احسن والله واحسنت وامر لى بألف درهم وثلاثين حلة وخلعة كانت عليه (وغنى) ابن سريج رجلا من بنى هاشم بقول جرير

بعث الهوى ثم ارتمين قلوبنا * بأسهم اعداء وهن صديق

وما ذقت طعم العيش منذ نأيتم * وماساغ لى بين الجوانح ريق

قال فخطف من ثوبه ذراعا وقال هذا والله العقيان فى نحور القيان (قال) وصحب شيخ من اهل المدينة شابا فى سفينة ومعهم جارية تغنى فقال له ان معنا جارية تغنى ونحن نجلك فاذا اذنت لنا فعلنا قال فانا اعتزل وافعلوا ماشئتم فتنحى وغنت الجارية

حتى اذا الصبح بدا ضوءه * وغابت الجوزاء والمرزم

اقبلت والوطء خفى كما * ينساب من مكمنه الارقم

فرمى الناسك بنفسه فى الفرات وجعل يخبط بيديه طربا ويقول انا الارقم فاخرجوه وقالوا ما صنعت فقال والله انى اعلم من تأويله مالا تعلمون (وقال) احمد بن جعفر حضر قاضى مكة مأدبة لرجل من الاشراف فلما انقضى الطعام اندفعت جارية تغنى

الى خالد حتى انخنا بخالد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

فلم يدر القاضى مايصنع من الطرب حتى اخذ نعليه فعلقهما فى اذنيه ثم جثى على ركبتيه وقال اهدونى فانى بدنة (كان) رجل من الهاشميين يحب السماع فبعث الى رجل من المغنيين فاقترح عليه صوتا كان كلفا به فغناه اياه فطرب الهاشمى فشق ثوبا كان عليه ثم قال للمغنى افعل بنفسك مثل مافعلت بنفسى قال اصلحك الله انك تجد خلفا من ثوبك وانى لاأجد خلفا من ثوبى قال انا اخلف لك قال فافعل وتفعل قال اخرجتنا من حد الطيب الى حد السوم

٦ — من قرع قلبه صوت قينات منه او اشرف — حدث ابو القاسم اسمعيل بن عبد الله المأمون فى طريق الحج من العراق الى مكة قال حدثنى ابى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وا كملهم عقلا وافضلهم أدبا قرأت القرآن و روت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فاخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة اواحد يحسن ان اصطنعه أو اسدى اليه معروفا قالت ياأمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا اصدقاء لمولاى كنت أحب ان ينالهم من خير ماصرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة فى اشخاصهم وان يعطى كل رجل منهم عشرة آلاف درهم وان يعجل بسراحهم اليه ففعل عامل المدينة ذلك فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فاذن لهم وأكرمهم وسألهم حوائجهم فاما الاثنان فذكرا حوائجهما فقضاها لهما وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال ياأمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك ولم ألست أقدر على حوائجك قال بلى ياأمير المؤمنين ولكن حاجتى لااحسبك تقضيها قال ويحك فسلنى فانك لاتسألنى حاجة أقدر عليها الاقضيتها قال ولى الامان ياأمير المؤمنين قال نعم وكرامة قال ان رأيت أن تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتنا لها ان تغنينى ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد وقام من مجلسه فدخل على الجارية فاعلمها قالت وما عليك ياأمير المؤمنين افعل ذلك فلما كان من الغد أمر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فالقيت فقعد يزيد على أحدها وقعدت الجارية على الآخر وقعد الفتى على الثالث ثم دعا بطعام فتغدوا جميعا ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى قل مابدالك وسل حاجتك قال تأمرها تغنى

لااستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
أدعو الى هجرها قلبي فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت فشرب يزيد وشرب الفتى ثم شربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها تغنى

تخيرت من نعمان عود اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجا بى بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

قال فغنت بهما وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال ياأمير المؤمنين مرها تغنى

منا الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله ماأسلوكم أبدا * مالاح نجم أو بدا فجرا

قال فلم تأت على آخر الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية انظرى ماحاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها ابكيه قالت لا أبكيه ياأمير المؤمنين وأنت حى قال لها ابكيه فوالله لوعاش ماانصرف الابك فبكته وأمر بالفتى فاحسن جهازه ودفنه (قال) وحدث أبو يوسف بالمدينة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر الجذامى عن أبيه ان عبدالله بن جعفر وفد على عبدالملك بن مروان فاقام عنده حينا فبينا هو ذات ليلة فى سمره اذ تذاكروا الغناء فقال عبد الملك قبح الله الغناء ماأوضعه للمروءة واجرحه للعرض واهدمه للشرف واذهبه للبهاء وعبد الله ساكت وانما عرض لعبدالله وأعانه عليه من حضر من أصحابه فقال عبد الملك مالك أباجعفر لاتتكلم قال ماأقول ولحى يتمزع وعرضى يتمزق قال أما انى نبئت انك تغنى قال أجل ياأمير المؤمنين قال أف لك وتف قال لاأف ولاتف فقد تأتى أنت بما هو أعظم من ذلك قال وما هو قال يأتيك الاعرابى الجافى يقول الزور ويقذف المحصنات فتأمر له بالف دينار واشترى أنا الجارية الحسناء من مالى فاختار لها من الشعر اجوده ومن الكلام أحسنه ثم ترده علىّ بصوت حسن فهل بذلك بأس قال لا بأس ولكن اخبرنى عن هذه الاغانى ماتصنع قال نعم اشتريت جارية باثنى عشر الف درهم مطبوعة فكان بديح وطويس يأتيانها فيطرحان عليها اغانيهما نعمتمت منهما حتى غلبت عليهما فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الىّ اما هبتها الىّ واما بعتها بحكمك فكتبت اليه انها لاتخرج عن ملكى ببيع ولا هبة فبذل لى فيها ماكنت أحسب ان نفسه لاتسخو به فأبيت عليه فبينا هى عندى على تلك الحال اذ ذكرت لى عجوز من عجائزنا ان فتى من أهل المدينة يسمع غناءها فعلقها وشغف بها وانه يجىء فى كل ليلة مستترا يقف بالباب حتى يسمع غناءها ثم ينصرف فراعيت مجيئه فاذا الفتى قد أقبل مقنع الرأس فاشرفت عليه وقد قعد مستخفيا فلم أدع بها تلك الليلة

وجعلت أتأمل موضعه فبات مكانه الذى هو فيه فلما انشق الفجر اطلعت عليه فاذا هو فى موضعه فدعوت قيمة الجوارى فقلت لها انطلقى الساعة فزينى هذه الجارية واعجلى بها الى فلما جاءت بها نزلت وفتحت الباب وحركته فانتبه مذعورا فقلت له لا بأس عليك خذ بيد هذه الجارية فهى لك وان هممت ببيعها فردها الى فدهش وأخذه الخبل ولبط به فدنوت من اذنه فقلت ويحك قد اظفرك الله ببغيتك فقم فانطلق بها الى منزلك فاذا الفتى قد فارق الدنيا فلم أر شيأ قط أعجب منه قال عبد الملك وأنا والله ماسمعت شيأ قط أعجب من هذا ولولا انك عاينته ماصدقت به فما صنعت بالجارية قال تركتها عندى وكنت اذا ذكرت الفتى لم أجد لها مكانا من قلبى وكرهت ان أوجه بها الى يزيد فيبلغه حالها فيجد على فما زالت تلك حالها حتى ماتت (ووقف) رجل يقال له طريفة على أيوب المغنى فقال

انى قصدت اليك من أهلى * فى حاجة يسعى لها مثلى

لا أبتغى شيأ لديك سوى * حى الحمول بجانب الرمل

فقال له انزل فلك ماطلبت فنزل فأخرج عوده ثم غناه بقول امرىء القيس

حى الحمول بجانب الرمل * اذ لا يلائم شكلها شكلى

فلبط طريفة فاذا هو فى الارض منجدل فلما أفاق قام يمسح التراب عن وجهه فقيل له ويحك ما كانت قصتك قال ارتفع والله من رجلى شىء حار وهبط من رأسى شىء بارد فالتقيا وتصادما فوقعت بينهما لا أدرى ما كانت حالى

٧ — أخبار عنان وغيرها من القيان — (حدث) محمد بن زكريا العلائى بالبصرة قال حدثنا ابراهيم بن عمر قال كان الرشيد قد استعرض عنان جارية الناطفى ليشتريها وقال لها أنا والله أحبك ثم أمسك عن شرائها فجلس ليلة معه سماره فغناه بعض من حضر من المغنيين بابيات جرير حيث يقول

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا

قال فطرب الرشيد لها طربا شديدا وأعجب بالابيات وقال لجلسائه هل منكم أحد يجيز هذه الابيات بمثلهن وله هذه البدرة و بين يديه بدرة من دنانير فقالوا فلم يصنعوا شيأ فقال خادم على رأسه أنا بها لك يا أمير المؤمنين قال شأنك فاحتمل البدرة ثم أتى

الناطقى فقال له استأذن لى على عنان فأذنت له فدخل وأخبرها الخبر فقالت ويحك وما الابيات فأنشدها اياها فقالت له أكتب

هيجت بالقول الذى قد قلته * داء بقلبى مايزال كمينا
قد اينعت ثمراته فى طينها * وسقين من ماء الهوى فروينا
كذب الذين تقولوا ياسيدى * ان القلوب اذا هوين هوينا

فقالت له دونك الابيات واذا كان غدانجز الكار فدفع اليها البدرة ورجع الى هرون فقال ويحك منْ قالها قال عنان جارية الناطفى فقال خلعت الخلافة من عنقى ان باتت الا عندى قال فبعث الى مولاها فاشتراها منه بثلاثين الفا وباتت بقية تلك الليلة عنده وقال الاصمعى مارأيت الرشيد مبتذلا قط الا مرة كتبت اليه عنان جارية الناطفى رقعة فيها

كنت فى ظل نعمة بهواكا * آمنا منك لا أخاف جفاكا
فسعى بيننا الوشاة فاقرر * ت عيون الوشاة بى فهناكا
ولعمرى لغير ذاكان أولى * بك فى الحق ياجعلت فداكا

قال فأخذ الرقعة بيده وعنده أبو جعفر الشطرنجى فقال أيكم يشير الى المعنى الذى فى نفسى فيقول فيه شعرا وله عشرة آلاف درهم فظننت انه وقع بقلبه أمر عنان فبدر أبو جعفر

مجلس ينسب السرور اليه * لمحب ريحانه ذكراكا

فقال ياغلام بدرة قال الاصمعى وقلت

لم ينلك الرجاء ان تحضرينى * وتجافت أمنيتى عن سواكا

قال أحسنت والله يا أصمعى لها ولك بهذا البيت عشرون ألفا (قال جرير)

كلما دارت الزجاجة والكا * س اعارته صبوة فبكاكا

فقال أنا أشعركم حيث أقول

قد تمنيت ان يغشينى الله نعاسا لعل عينى تراكا

قلنا له صدقت والله يا أمير المؤمنين (وقال) بكر بن حماد الباهلى لما انتهى الى خبر عنان وانها ذكرت لهرون وقيل انها أشعر الناس خرجت معترضا لها فما راعنى الا

الناطفى مولاها قد ضرب على عضدى فقال لى هلك فيما سنح من طعام وشراب ومجالسة عنان فقلت مابعد عنان مطلب ومضينا حتى أتينا منزله فعقل دابته ثم دخل فقال هذا بكر شاعر باهلة يريد مجالستك اليوم فقالت لا والله انى كسلانة فحمل عليها بالسوط ثم قال لى ادخل فدخلت ودمعها يتحدر كالجمان فى خدها فطمعت بها فقلت

هذى عنان اسبلت دمعها * كالدر اذ ينسل من خيطه

ثم قلت أجيزى فقالت

فليت من يضربها ظالما * تجف كفاه على سوطه

قلت لها ان لى حاجة فقالت هاتها فن سببك أو ذينا قلت لها بيت وجدته على ظهر كتابى لم أقرضه ولم أقدر على اجازته قالت قل فأنشدتها

فمازال يشكو الحب حتى حسبته * تنفس فى أحشائه فتكلما

قال فأطرقت ساعة ثم أنشدت

ويبكى فأبكى رحمة لبكائه * اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

قلت لها فما عندك فى اجازة هذا البيت

بديع حسن بديع صد * جعلت خدى له ملاذا

فاطرقت ساعة ثم قالت

فعاتبوه فعنفوه * فأوعدوه فكان ماذا

(وجلس) أبو نواس الى عنان فقالت كيف علمك بالعروض وتقطيع الشعر ياحسن قال جيد قالت تقطع هذا البيت

أكلت الخردل الشامى فى صحفة خباز

فلما ذهب يقطعه ضحكت به وأضحكت فأمسك عنها وأخذ فى ضروب من الاحاديث ثم عاد سائلا لها فقال كيف علمك بالعروض قالت حسن ياحسن فقال قطعى هذا البيت

حولوا عنا كنيستكم * يابنى حمالة الحطب

فلما ذهبت تقطعه ضحك أبو نواس فقالت قبحك الله مابرحت حتى أخذت بثارك

(حدث) أبو عبد الله بن عبد البر المدنى قال حدثنى اسحق بن ابراهيم الموصلى قال كان للمأمون

جماعة من المغنين وفيهم مغن يسمى سوسنا عليه وسم جمال قال فبينما هو عنده يغني اذ تطلعت جارية من جواريه فنظرت اليه فعلقته فكانت اذا احضر سوسن تسوى عودها وتغنى

ما مر رتي بالسوسن الغض الا * كان دمعي لمقلتي نديما
حبذا أنت والمسمى به أنـت وان كنت منه أذكى نسيما

فاذا غاب سوسن امسكت عن هذا الصوت وأخذت في غيره فلم تزل تفعل ذلك حتى فطن المأمون فدعا بها ودعا بالسيف والنطع ثم قال اصدقيني أمرك قالت يا أمير المؤمنين ينفعني عندك الصدق قال لها ان شاء الله قالت يا أمير المؤمنين اطلعت من وراء الستارة فرأيته فعلقته فامسك المأمون عن عتو بتها وأرسل الى المغنى فوهبها له وقال لا يقربنا (قال أبو الحسن) وكان الواثق اذا شرب وسكر رقد في موضعه الذي سكر فيه من سكر من ندمائه ترك ولم يخرج فشرب يوما فسكر ورقدوا نقلب أصحابه الا مغن أظهر التراقد وبقيت معه مغنية للواثق فلما خلا المجلس وقع المغني في سحاة ودفعها اليها

انى رأيتك في المنام كانني * مترشف من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأنما * بتنا جميعا في فراش واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * في راحتي وتحت خدك ساعدي

﴿ فأجابته ﴾

خير ارأيت وكل ما أبصرته * ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي * وتجول بين مراسلي ومجاسدي
فنكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالسحاة رفع الواثق رأسه فأخذ السحاة من يدها وقال لهما ما هذه خلقا الله انه لم يجر بينهما قبل هذا كلام ولا كتاب ولا رسول غير اللحظ الا ان العشق قد خامرهما فاعتقها وزوجها منه فلما أشهد له وتم النكاح أقامها الواثق الى بيت من بعض البيوت فوقع بها ثم خرج فقال له أردت ان تكشحني فيها وهي خادمتي فقد كشحتك فيها وهي زوجتك (قال) ولما كلف يزيد بحبابة واشتغل بها وأضاع الرعية دخل عليه مسلمة أخوه فقال يا أمير المؤمنين تركت الظهور للعامة والشهود للجمعة واحتجبت مع هذه الأمة فارعوى قليلا وظهر للناس فأوصت حبابة الى الاحوص ان يقول أبياتا يهون فيها على يزيد ما قال مسلمة فقال

وغنت بها حبابة

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا * فقد منع المحزون ان يتجلدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
هل العيش الا ما تلذ وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

فلما سمعها ضرب بجرابه الارض وقال صدقت صدقت على مسلمة لعنة الله ثم عاد الى سيرته الاولى (وحدث) ابن الغار قال حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال حدثنا الهيثم بن أبي بكر قال كان يزيد بن عبد الملك كلفا بحبابة كلفا شديدا فلما توفيت أكب عليها أياما يترشفها ويتشممها ثم انتنت فنام عنها وأمر بجهازها ثم خرج بين يدى نعشها حتى اذا بلغ القبر نزل فيه حتى اذا فرغ من دفنها وانصرف لصق اليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤنسه فلما أكثر عليه قال قاتل الله ابن أبي جمعة حيث يقول

فان تسل عنك النفس اوتدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارنى فهو قائل * من أجلك هذا هامة اليوم أوغد

قال وطعن في جنازتها فدفناه الى سبعة عشر يوما (وذكر) المعتصم جارية كانت غلبت عليه وهو بمصر ولم يكن يخرج بها معه فدعا مغنيا له فقال له ويحك انى ذكرت جارية فأقلقنى الشوق اليها فهات صوتا يشبه ما ذكرت لك فأطرق مليا ثم غنى

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحى طائر فأطير
فما لنعيم لست فيه بشاشة * وما لسرور لست فيه سرور
وان امرأ فى بلدة نصف قلبه * ونصف باخرى غيرها لصبور

فقال والله ماعدوت ما فى نفسي وأمر له بجائزة ورحل من ساعته فلما بلغ الفرما قال

غريب فى قرى مصر * يقاسى الهم والسدما
لليلك كان بالميدا * ن اقصر منه بالفرما

﴿ وقال المأمون فى قينة له ﴾

لها فى لحظها لحظات حتف * تميت بها وتحيي من تريد
فان غضبت رأيت الناس قتلى * وان ضحكت فأرواح تعود
وتسبي العالمين بمقلتيها * كأن العالمين لها عبيد

(وأنشد البحترى فى قينة له)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * وفعل جمالها حسن جميل

فان تغضب فأحسن ذات دل * وان ترضى فليس لها عديل

(وقال المعتز فى قينة له)

فامسيت فى ليلين للشعر والدجا * وشمسين من كاس ووجه حبيب

(وقال هرون الرشيد رحمه الله فى قينة له)

تبدى صدودا وتخفى تحته مقة * فالنفس راضية والطرف غضبان

يامن وضعت له خدى فذلله * وليس فوقى سوى الرحمن سلطان

(وقال) ابراهيم الشيبانى القينة لاتخلص محبة لأحد ولا تؤتى الامن باب طمع وقال على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

فقالت تأتى من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

(وكان) أشعب يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناولينى خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف ان تذهب ولكن خذ هذا العود ولعلك تعود وناولته عودا من الارض * وكان أشعب يختلف الى قينة بالمدينة يكلف بها وينقطع اذا نظرها فطلبت منه ان يسلفها دراهم فانقطع عنها وتجنب دارها فعملت له دواء ولقيته به فقال لها ماهذا قالت دواء عملته لك تشربه لهذا الفزع الذى بك قال اشربيه أنت للطمع فان انقطع طمعك انقطع فزعى وأنشأ يقول

أنا والله أهواك * ولكن ليس لى نفقه

فاما كنت تهوينى * فقد حلت لى الصدقه

(وقعد) أبو الحرث حمير الى قينة بالمدينة صدر نهاره فجعلت تحدثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال مالى لا أسمع للطعام ذكرا قالت سبحان الله أما تستحى أمافى وجهى مايشغلك عن هذا فقال لها جعلت فداك لوان جميلا وبثينة قعدا ساعة واحدة لا يأكلان لبصق كل واحد منهما فى وجه صاحبه وافترقا (وقال) الشيبانى كانت بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها

فتظهر له انها لا تحب غيره وكان كلما ب اعها وجد عندها فتى بمجلس عندها و يتحدث اليها فقال فيها

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو اليه * فلم اخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها صديق * ولا خمسون الفا كل عام
اراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال الشيباني حضر أبو نواس مجلسا فيه قيان فقلن له ليتنا بناتك قال نعم ونحن على المجوسية (وقال العتبي) حضرت قينة مجلسا فتغنت فاجادت فقام اليها شيخ من القوم فجلس بين يديها وقال كل مملوك لى حر وكل امرأة لى طالق لو كانت الدنيا كلها صر رافى كمى لقطعتها لك فاما اذا لم يكن فجعل الله كل حسنة لى لك وكل سيئة عليك على قالت جزاك الله خيرا فوالله ما يقوم الوالد لولده بما قمت به لنا فقام شيخ آخر وقعد بين يديها وقال لها كل مملوك لى حر وكل امرأة لى طالق ان كان وهب لك شيأ ولا حمل عنك ثقلا لانه ماله حسنة يهبها لك ولا عليك سيئة يحملها عنك فلاى شيء تحمدينه

٨ — خبر الذلفاء — (قال ابو سويد) حدثني ابو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو جالس على دكان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد اثمر واينع واذا بازاء كل شق من البستان ميدان ينبت الربيع قد أزهر وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس فنضرت الخضرة واضعفت فى حسنها الزهرة وغنت الاطيار فتجاوبت وسفت الرياح على الاشجار فمايلت بانهار فيه قد شققت ومياه قد تدفقت فقلت السلام عليك أيها الامير و رحمة الله و بركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال اباز يد فى مثل هذا الحين يصاب أحد حيا قلت اصلح الله الامير أو قد قامت القيامة بعد قال نعم على اهل المحبة سرا والمراسلة بينهم خفية ثم اطرق مليا ثم رفع رأسه فقال اباز يد ما يطيب فى يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة صفراء فى زجاجة بيضاء تناولها مقدودة هيفاء مضمومة لفاء دعجاء اشربها من كفها وامسح فمى بفمها فاطرق سليمان مليا لا يحير جوابا ينحدر من عينه عبرات بلا شهيق فلما رأين الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه

فقال ابا زيد حلفت فى يوم فيه انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك اوتخبرنى ماأثارهذه الصفة من قلبك قلت نعم اصلح الله الامير كنت جالسا عندباب أخيك سعيد بن عبدالملك فاذا انا بجارية قد خرجت الى باب القصر كالغزال انفلت من شبكة الصياد عليها قميص اسكندرانى يتبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجلها نعلان صراران قد اشرق بياض قدمها على حمرة نعليها مضمومة بفرد ذؤابة تضرب الى حقويها وتسيل كالعثاكيل على منكبيها وطرة قد اسبلت على مثنى جبينها وصدغان قد زينا كانهما نونان على وجنتيها وحاجبان قد قوسا على محجرى عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كانه قصبة در وفم كانه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء من لا يشتكى وعلاج من لا ينتمى طال الحجاب وأبطأ الجواب فالفؤاد طائر والقلب عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا تبلدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان أمرا جميلا ثم اطرقت طويلا ثم رفعت رأسها فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سمائية ام ارضية فقد أعجبنى ذكاء عقلك واذهلنى حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترنى ثم قالت اعذر أيها المتكلم الاريب فما أوحش الساعة بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله اصلح الله الامير ماأكلت طيبا الاغصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج فى عينى لحسنها قال سليمان أبازيد كاد الجهل ان يستفزنى والصبا ان يعاودنى والحلم أن يعزب عنى لحسن مارأيت وشجوما سمعت تلك هى الذلفاء التى يقول فيها الشاعر

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخى ألف ألف درهم وهى عاشقة لمن باعها والله ابى من لا يموت الا بحزنها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت نهبة قم ابازيد فاكتم المفاوضة ياغلام ثقله بدرة فأخذتها وانصرفت قال ابو زيد فلما أفضت الخلافة الى سليمان صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر الغض من بين اصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع فهى كالثوب الحرمى وحواشى البرد الايتحمى يثيرمنها مرالرياح نسيما يربى

على رائحة العنبر وفتيت المسك الاذفر وكان له مغن ونديم وسمير يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وقد كانت الذلفاء خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان فى أكل وسرور وأتم حبور الى ان انصرف مع الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له قرانا اصلحك الله قال وماقرا كم قالوا أكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه اياى عنه الا ما كان من مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختار واصوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا قال فرفع عقيرته يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتى فأرقها * فى آخر الليل لما ظلها السحر
تثنى على الخد منها من معصفرة * والحلى باد على لباتها خضر
فى ليلة التم لا يدرى مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو خليت لمشت نحوى على قدم * يكاد من لينه للمشى ينفطر

فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى وسط الفسطاط تستمع فجعلت لا تسمع شيأ من خلق ولطافة قد الا الذى وافق المعنى ومن نعت الليل واستماع الصوت الارأت ذلك كله فى نفسها ومهبها فحرك ذلك ساكنا فى قلبها فهملت عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال فقال لها ماهذا ياذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعينى من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ماخامر ياغلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذره ولك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله فخرج الرسول فسبق رسول سليمان فلما أتى به قال ياسنان ألم انهك عن مثل هذا قال ياأمير المؤمنين حملنى الثمل وانا عبد أمير المؤمنين وغذى نعمته فان رأى أمير المؤمنين ان لا يضيع حظه من عبده

فليفعل قال اما حظى منك فلن اضيعه ولكن ويلك اما علمت ان الرجل اذا تغنى اصغت المرأة اليه وان الفرس اذا صهل تودقت له الحصان وان الفحل اذا هدر صغت له الناقة وان التيس اذا نب استحرمت له الشاة اياك والعود الى ما كان منك يطول غمك (قال اسحق) حدثنى ابو السمراء قال حججت فبدأت بالمدينة فانى لمنصرف من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بامرأة بفناء المسجد تبيع من طرائف المدينة واذا هى فى ناحية وحدها وعليها ثوبان خلقان واذا هى ترجع بصوت خفى شجى فالتفت فرأيتها فوقفت فقالت هى من حاجة قلت تزيدين فى السماع قالت وانت قائم لوقعدت فقعدت كالحجل فقالت كيف علمك بالغناء قلت علم لا أحمده قالت فعلام أنفخ بغير نار ما منعك من معرفته فوالله انه لسحورى وفطورى قلت وكيف وضعته بهذا الموضع العافى قالت ياهذا وهل له موضع يوضع به وهو فى علوه فى السماء الشاهقة قلت فكل هؤلاء النسوة اللاتى ارى على مثل رأيك وفى مثل حالك قالت فيهن وفيهن ولى بينهن قصة قلت وماهى قالت كنت ايام شبابى وانا فى مثل هذه الخلقة التى ترى من القبح والدمامة وكنت اشتهى الجماع شهوة شديدة وكان زوجى شابا وضيأ وكان لا ينتشر علىّ حتى اتحفه واطيبه واسكره فأضر ذلك بى وكانت قد علقته امرأة فصار تحاورنى فزاد ذلك فى غمى فشكوت الى جارة لى ماانافيه وغلبة امرأة القصار على زوجى فقالت ادلك على ما ينهضه عليك ويرد قلبه اليك قلت وابأبى انت اذا تكونين اعظم الخلق منة علىّ قالت اختلفى الى مجمع مولى الزبير فانه حسن الغناء فاعلقى من غنائه اصواتا عشرة ثم غنى بهازوجك فانه سيجامعك بجوارحه كلها قالت فالتطت بمجمع فلم افارقه حتى رضينى حذاقة ومعرفة فكنت اذا أقبل زوجى اضطجعت ورفعت عقيرتى ثم تغنيت فاذا غنيت صوتا بت على نيف وان غنيت صوتين بت على اثنين وان ثلاثة فثلاثة

فكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

قال فضحكت والله حتى أمسكت على بطنى وقلت ياهذه ما أظن انه خلق مثلك قالت اخفض من صوتك قلت ما كان اعظم منة من المشورة قالت حسبك بها منة وحسبك بى شاكرة قلت ففى قلبك من تلك الشهوة شئ قالت لذع فى الفؤاد وأما تلك الغلمة التى كانت تنسينى الفريضة وتقطعنى

عن النافلة فقد ذهب تسعة اعشارها فوقفت عليها وقلت ألك حاجة ان ارم حالك قالت لا انا فى فائت من العيش فلما نهضت لاقوم قالت على رسلك لاتنصرف خائبا ثم ترنمت بصوت تخفيه من جاراتها

ولى كبـد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح
أبى الناس كل الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

(ابو بكر بن جامع عن الحسين بن موسى) قال كتب على بن الجهم الى قينة كان يتعشقها

خفى الله فيمن قد تبلت فؤاده * وتيمته دهرا كأن به سحـرا
دعى الهجر لا اسمع به منك انما * سألتك أمرا ليس يعرى لكم ظهرا

فكتبت اليه صدقت جعلت فداك ليس يعرى لناظهرا ولكنه يملأ لنا بطنا وكان ابو بكر الكاتب مفتتنا بقينة محمد بن حماد فأهدى اليها ممسكة فقال فيها بعض الكتاب

أهـدى اليها قميصا * ينيكها فيه غـيره
فللسعـادة حـرها * وللشقـاوة ايره

(حدث) ابو عبد الله بن عبد البر بعصر قال حدثنى اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان بالمدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشأ وللاخرى جؤذر وكان يحب الغناء وكان بالمدينة مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس أحد فأرسل الهاشمى اليه ذات يوم ليضحك به فلما أتاه قال ما الفائدة فيك وفى لذتك ولا لذة لى قال له وما لذتك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فأمر الهاشمى باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحركت عليـه بطنه وتناوم الهاشمى وغمز جواريه عليه فلما ضاق عليه الأمر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الايمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف المراحيض فقال لهما ياحبيبتى اين المرحاض قالت احداهما لصاحبتها مايقول قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادى نخليتى * أهيم من الحب فى كل واد

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه ما أراهما فهمتا عنى اظنهما مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج قال ياحبيبتى أين المخرج قالت احداهما للاخرى مايقول قالت يقول غنيانى

خرجت بها من بطن مكة بعدما * أصات المنادى للصلاة فاعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه لم يفهما والله عنى أظنهما شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال لهما ياحبيبتى اين المذهب قالت احداهما لصاحبتها مايقول قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى غير مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنياه الصوت فقال فى نفسه لم يفهما عنى وما أظنهما الامدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال لهما ياحبيبتى أين بيت الخلاء قالت احداهما لصاحبتها مايقول قالت يسأل أن نغنى

خلى على جوى الاحزان اذ ظعنا * من بطن مكة والتسهيد والحزنا

قال فغنياه فقال انا لله وانا اليــه راجعون ما أحسب الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال لهما أين الحش فقالت احداهما لصاحبتها مايقول قالت يسأل أن نغنيه

فلقد أوحش الجهيدان منها * فقناها فالمنزل المعمــور

فاندفعتا يغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفــة يسمونها الكنف قال ياحبيبتى أين الكنيف قالت احداهما لصاحبتها يعيش سيدنا هل رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل مايقول قالت يسأل أن نغنى

تكنفنى الهوى طفــلا * فشيبنى وما اكتهلا

قال فغلبه بطنه وعلم انهما يولعان به والهاشمى يتقطع ضحكا فقال لهما كذبتما يازانيتان ولكنى اعلمكما ماهو فرفع ثيابه فسلح عليهما وانتبه الهاشمى فقال له سبحان الله أتسلح على وطائى قال والذى خرج من بطنى أعز علىّ من وطائك ان هاتين الزانيتين انما حسبتا انى أسأل عن الحش للضراط فاعلمتهما ماهو

٩ — قولهم فى العود — قال يزيد بن عبد الملك يوما وذكر عنده البربط فقال ليت شعرى ماهو فقال له عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود انا أخبرك ماهو هو محدودب الظهر ارسح البطن له أربعــة أوتار اذا حركت لم يسمعها أحد الا حرك أعطافه وهز رأسه * مر اسحق بن ابراهيم الموصلى برجل ينحت عودا فقال لمن تردف هذا السيف

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

يامجلسا أينعت منه ازاهره * ينسيك أوله فى الحسن آخره

لم يدر هل بات فيه ناعما جذلا * أو بات فى جنة الفردوس سامره

فالعود يخفق مثناه ومثلثه * والصبح قدغردت فيه عصافره
وللحجارة اهزاج اذا نطقت * احيا بها الكبر المحنى ناقره
وحن بينهما الكثبان عن نغم * تبدى عن الصب ماتخفى ضمائره
كأنما العود فيما بيننا ملك * يمشى الهوينا وتتلوه عساكره
كأنه اذ تمطى وهى تتبعه * كسرى بن هرمز تقفوه اساوره
ذاك المصون الذى لوكان مبتذلا * ما كان يكسر بيت الشعر كاسره
صوت رشيق وضرب لو يراجعه * سجع القريض اذا ضلت أساطره
لوكان زرياب حيا ثم اسمعه * لمات من حسد اذ لا يناظره

(وقال بعض الكتاب فى العود)

وناطق بلسان لاضمير له * كأنه فخذ نيطت الى قدم
يبدى ضمير سواه فى الكلام كما * يبدى ضمير سواه منطق الكلم

(وقال الحمدونى فيه)

وسجعت رجع صوت بين أربعة * سر الضمائر فيما بينها علن
فولدت للندامى بين نغمتها * وكفها فرحا تفصيله حزن
فما تلعثم عنها لفظ مزهرها * ولا تحير فى ألحانها لحن
تهدى الى كل حر من طبائعها * بنانها نغم أثمارها فنن
وترتقى العين منها روض وجنتها * طوراوتسرح فى الفاظها الاذن

(وقال عكاشة بن الحصين)

من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طرفت عنابا
وكأن يمناها اذا ضربت بها * تلقى على يدها الشمال حسابا

(ومن قولنا فى العود)

يارب صوت يصوغه عصب * نيطت بساق من فوقها قدم
جوفاء مضمومة أصابعها * مسكنات تحريكها نغم
أربعة جزئت لاربعة * اجزاؤها بالنفوس تلتحم
اصغرها فى القلوب أكبرها * يبعث منها الشفاء والسقم

اذا أرنت بغمز لافظها * قلت حمام يجبهن حم
لها لسان بكف ضاربها * يعرب عنها وما لهن فم

١٠ — قولهم فى المبردين فى الغناء — قال أبو نواس

قل لزهير اذا شد اوحدا * أقلل أو اكثر فأنت مهذار
سخنت من شدة البرودة حتى * صرت عندى كانك النار

(وقال أيضا)

لايعجب السامعون من صفتى * كذلك الثلج بارد حار

(وقال أيضا)

قد نضجنا ونحن فى الجيش طرا * انضجتنا كواكب الجوزاء
فأصيبوا لنا حسينا فقيه * عوض من جليد برد الشتاء
لو يغنى وفوه ملآن خمرا * لم يضره من برد ذاك الغناء

(وله)

كان أبا المفلس اذ يغنى * يحاكى غاطسا فى عين شمس
يميل بشدقه طورا وطورا * كان يشدقه ضربان ضرس

(وقال دعبل)

ومغن ان تغنى * او رث الندمان هما
أحسن الاقوام حالا * فيه من كان اصما

(وقال الحمدونى)

بينا نحن سالمون جميعا * اذ أتانا ابن سالم مختالا
فتغنى صوتا فكان خطاء * ثم ثنى أيضا فكان محالا
سألنا حاجة على ماتغنى * فخلعنا على قفاه النعال

(ولعباس الخياط)

رأيت نصرا شاديا يضرب * فقمت من مجلسنا اهرب
لانه ينبح من عوده * عليك من أوتاره أكلب
كأنما تسمع فى حلقه * دجاجة يخنقها ثعلب

ماعجبي منـه ولكنني * من الذى يسمعه أعجب

﴿ وقال آخر ﴾

ومغن يخرى على جلسائه * ضرب الله شـدقه بغنائه

وقال مؤمن فى ربيع المغنى وكان يتغنى وينقر فى الدواة

غناؤك يا ربيع أشـد بردا * اذا حمى الهجير من الصقيع

ونقرك فى الدواة أشدمنه * فما يصبو اليك سوى رقيع

أغثنا فى المصيف اذا تلظى * ودعنا فى الشتاء وفى الربيع

١١ — باب من الرقائق — وقد جبـل أكثر الناس على سوء الاختيار وقلة التحصيل والنظر مع لؤم الغرائز وضعف الهمم وقل من يختار من الصنائع أرفعها ويطلب من العلوم أنفعها ولذلك كان أثقل الاشـياء عليهم وأبغضها اليهم مؤنة التحفظ وأخفها عنـدهم وأسهلها عليهم اسقاط المروأة (وقيـل) لبعضهم ماأحـلى الاشـياء كلهـا قال الارتكاس (وقيل) لعبد الله بن جعفر ماأطيب العيش قال هتك الحياة واتبـاع الهوى (وقيل) لعمرو بن العاص ماأطيب العيش قال ليقم من هنـا من الاحداث قال فلما قاموا قال العيش كله اسقاط المروأة وأى شىء أثقل على النفس من مجاهـدة الهوى ومكابدة الشهوة ومن ذلك كان سوء الاختيار أغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار ألا ترى ان محمـد بن يزيد النحوى على علمـه باللغة ومعرفته باللسان وضع كتابا سماه بالروضـة وقصـد فيه الى أخبار الشعراء المحـدثين فلم يختـر لكل شاعر الا ابرد ماوجـد له حتى انتهى الى الحسن بن هانئ وقلما يأتى له بيت ضعيف لرقة فطنته وسبوطة بنيته وعـذوبة ألفاظه فاستخرج له من البرد أبيـاتا ماسمعناها ولا رويناها ولا ندرى من أين وقع عليها وهى

ألا لا يلمنى فى العقار جليسى * ولا يلحنى فى شربها بعبوس

تعشقها قلبى فبغض عشقها * الىّ من الاشـياء كل نفيس

وأين هـذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكره فى كتاب الموالى فقال ومن الموالى الحسن بن هانئ وهو من أقدر الناس على الشعر وأطبعهم فيه

﴿ ومن قوله ﴾

فجاء بها صفراء بكرا يزفها * الىّ عروسا ذات دل معتق
فلما جلتها الكاس أبدت لناظرى * محاسن ليث بالجمال مطوق

﴿ ومن قوله ﴾

ساع بكاس الى ناس على طرب * كلاهما عجب فى منظر عجب
قامت تريك وشمل الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء والعنب
كان صغرى وكبرى من فقاقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وجل اشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها نخطر بها كلها وتخطاها الى التى جانسته فى برده فما احسبه لحقه هذا الاسم المبرد الا لبرده (وقد تخير) لابى العتاهية اشعارا تقتل من بردها وشنقها وقرظها بكلامه فقال ومن شعر أبى العتاهية المستظرف عند الظرفاء المخير عند الخلفاء قوله

ياقرة العين كيف أمسيت * اعزز علينا بما تشكيت

﴿ وقوله ﴾

آه من وجدى وكربى * آه من لوعة حبى
ما أشد الحب ياسبحانك اللهم ربى

﴿ ونظير هذا ﴾

من سوء الاختيار ما تخيره أهل الحذق بالغناء والصانعون للالحان من الشعر القديم والحديث فانهم تركوا منه الذى هو أرق من الماء وأصفى من رقة الهواء وكل مدنى رقيق قد غذى بماء العقيق وغنوا بقول الشاعر

فلا انسى حياتى ما * عبدت الله لى ربا
وقلت لها انيلينى * فقالت تعرف الذنبا
ولو تعلم ما بى لم * تر الذنب ولا العتبا

وأقل ما كان يجب فى هذا الشعر أن يضرب قائله خمسمائة وصانعه أربعمائة والمغنى به ثلثمائة والمصغى اليه مائتين

﴿ ومثله ﴾

كأنها الشمس اذا مابدت * تلك التى قلبى لها يضرب

تلك سليماى اذا مابدت * وما أنا فى ودها أرغب
كأن فى النفس لها ساحرا * ذاك الذى علمه المذهب

يعنى المذهب الحبى

﴿ ومثله ﴾

ياخليلى أنتما عللانى * بين كرم مزهر وجنان
خبرانى أين حلت منايا * ياعباد الله لاتكتمانى
اذا حلت بواد خصيب * ينبت الورس مع الزعفران
حلفا بالله لو وجدانى * غرقا فى البحر ما انقذانى

﴿ ومثله ﴾

أبصرت سلمى من منى * يوما فراجعت الصبا
يادرة البحر متى * تشهد سوقا يشترى

﴿ ومثله ﴾

يامعشر الناس هذا * أمر و ربى شديد
لاتعنفى يافلانه * فاننى لا أريد

﴿ ومثله ﴾

أرقت فأمسيت لا أرقد * وقد شفنى البيض والخود
فصرت لظبى بنى هاشم * كانى مكتحل أرمد
أقلب أمرى لدى فكرتى * وأهبط طورا فما أصعد
وأصعد طورا ولاعلم لى * على اننى قبلكم أرشد

﴿ ومثله ﴾

ماأرجى من حبيب * ضن عنى بالمداد
لو بكفيه سحاب * ماارتوت منه بلادى
انا فى واد وعيسى * هولى فى غير واد
ليته اذ لم يجد لى * بالهوى رد فؤادى

﴿ ومثله ﴾

مالسلمى تجنبت * مالها اليوم مالها
ان تكن قد تغضبت * اصلح الله حالها

١٢ — باب من رقائق الغناء — (قال الزبير بن بكار) سألت اسحق هل تغنى من شعر الراعى شيأ قال وأين أنت من قوله

فلم أر مظلوما على حال عزة * أقل انتصارا باللسان وباليد
سوى ناظر ساج بعين مريضة * جرت عبرة منها افاضت باثمد

(ومن شعر) ابن الدمنية وهو عبيد الله بن عبد الله والدمنية أمه وهو من أرق شعراء المدينة بعد كثير عزة وقيس بن الحطيم

بنفسي وأهلي من اذا اعرضوا له * ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرى ولم تزل * له بهتة حتى يقال مريب
جرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى غروب
وما ذاك الا ان تيقنت انه * يمر بواد انت منه قريب
يكون اجاجا قبلكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
أيا ساكنى شرقى دجلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب

(ومن قول يزيد بن الطثرية) وغنى به ابن صياد المدنى وغيره

بنفسي من لو مر برد بنانه * على كبدى كانت شفاء انامله
ومن هابنى فى كل شيء وهبته * فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

﴿ومما يغنى به من قول جرير﴾

أتذكر اذ تودعنا سليمى * بعود بشامة سقى البشام
بنفسي من تجنبه عزيز * علىّ ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لا أراه * ويطرقنى اذا هجع النيام
متى كان الخيام بذى طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

(ومما غنى به نومة الضحى)

ياموقد النار قد اعيت قوادحه * اقبس اذا شئت من قلبي بمقباس
ما اوحش الناس فى عيني وأقبحهم * اذا نظرت فلم ابصرك فى الناس

(ومما) يغنى به من شعر ذى الرمة وهو من أرق شعر يغنى به قوله

لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من ذكراك فالموت أروح

وأكثر ما كان يغنى معبد بشعر الاخوص (ومن جيد ما غنى به له قوله)

كأنى من تذكر أم حفص * وحبل وصالها خلق رمام

صريع مدامة غلبت عليه * تموت لها المفاصل والعظام

سلام الله يا مطر عليها * وليس عليك يا مطر السلام

فان يكن النكاح أحل شىء * فان نكاحها مطرا حرام

(ومن شعر) المتوكل بن عبد الله بن نهشل وكان كوفيا فى عصر معاوية (وهو القائل)

* لا تنه عن خلق وتأتى مثله *

قفى قبل التفرق يا أماما * وردى قبل بينكم السلاما

ترجيها وقد شطت نواها * ومنتك المنى عاما فعاما

فلا وأبيك لا أنساك حتى * تجاوب هامتى فى القبر هاما

(ومما يغنى به من شعر عدى بن الرقاع)

تزجى أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

ولقد أصبت من المعيشة لذة * ولقيت من شظف الخطوب شدادها

وعلمت حتى ما أسائل عالما * عن حرف واحدة لكى أزدادها

٢١

﴿ كتاب المرجانة الثانية ﴾

﴿ فى النساء وصفاتهن ﴾

(قال أبو عمر) أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله قد مضى قولنا فى الغناء واختلاف الناس فيه ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن اذ كان كله مقصورا على الحليلة الصالحة والزوجة الموافقة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى كريم عشرتها ولا تقر العين برؤيتها (قال) الاصمعى حدثنى ابن أبى الزناد عن عروة بن الزبير قال ما رفع أحد نفسه بعد الايمان بالله بمثل منكح صدق ولا وضع أحد نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء ثم قال لعن الله فلانة ألفت بنى فلان بيضا طوالا فقلبتهم سودا قصارا (وفى حكمة) سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تبنى بيتها والسفيهة تهدمه (وقال) الجمال كاذب والحسن مخلف وانما تستحق المدح المرأة الموافقة (وعن) عكاف بن وداعة الهلالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا عكاف ألك امرأة قال لا قال فأنت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فانكح فان من سنتنا النكاح (وقالت) عائشة النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته (وقال) صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالنساء فانهن عندكم عوان يعنى أسيرات

١ — قولهم فى المناكح — خطب صعصعة بن معاوية الى عامر بن الظرب حكيم العرب ابنته عمرة وهى أم عامر بن صعصعة فقال يا صعصعة انك أتيتنى تشترى منى كبدى فارحم ولدى قبلتك أو رددتك والحسيب كفء الحسيب والزوج الصالح أب بعد أب وقد أنكحتك خشية ان لا أجد مثلك أفر من السر الى العلانية يا معشر عدوان خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة ولا رهبة أقسم لولا قسم الحظوظ على الجدود ما ترك الاول للآخر ما يعيش به (العباس بن خالد السهمى) قال خطب عمرو بن حجر الى عوف بن محلم الشيبانى

ابنته أم اياس فقال نعم أزوجكها على ان اسمي بنيها وأزوج بناتها فقال عمرو بن حجر اما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا وأما بناتنا فننكحهن أكفاءهن من الملوك ولكني أصدقها عقارا في كندة وأمنحها حاجات قومها لا ترد لاحد منهم حاجة فقبل ذلك منه أبوها وأنكحه اياها فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت أي بنية انك فارقت بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي فيه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكن لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا (أما) الاولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة (وأما) الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وانفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح (وأما) الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه فان تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة (وأما) السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله وملاك الامر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير (وأما) التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمرا ولا تفشين له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمني غدره ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة بين يديه اذا كان فرحا فولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الشاعر (الشيباني) قال حدثنا بعض أصحابنا ان زرارة بن عدس نظر الى ابنه لقيط فقال مالي أراك مختالا كانك جئتني بابنة ذي الجدين أو مائة من هجائن النعمان فقال والله لا يمس رأسي دهن حتى آتيك بهما أو أبلي عذرا فانطلق حتى أتى ذا الجدين وهو قيس بن مسعود الشيباني فوجده جالسا في نادي قومه من شيبان فخطب اليه ابنته علانية فقال له هلا ناجيتني قال علمت اني ان ناجيتك لم أخدعك وان عالنتك لم أفضحك قال ومن أنت قال لقيط بن زرارة قال لاجرم لا تبيتن فينا عزبا ولا محرو ما فزوجه وساق عنه المهر وبنى بها من ليلته تلك ثم خرج الى النعمان فجاء بمائتين من هجائنه وأقبل الى أبيه وقد وفى نذره الذي نذره فبعث اليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس فخرج لقيط يتلقاها في الطريق ومعه ابن عم له يقال له قراد فقال لقيط .

هاجت عليك ديار الحي أشجانا * واستقبلوا من نوى الجيران قربانا
نامت فؤادك لم تقض الذي وعدت * احدى نساء بني ذهل بن شيبانا
فانظر قراد وهل في نظرة جزع * عرض الشقائق هل تبنت أجفانا

فيهن جارية نضح العبير بها * تكسى ترائبها درا ومرجانا
كيف اهتديت ولا نجم ولا علم * وكنت عندى نؤوم الليل وسنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت مروا بى على أبى أودعه فلما ودعته قال لها يا بنية كونى له أمة يكن لك عبدا وليكن أطيب طيبك الماء ثم لا أذكرت ولا أبسرت فانك تلدين الاعداء وتقربين البعداء ان زوجك فارس من فرسان مضر فاذا كان ذلك فلا تخمشى وجها ولا تحلقى شعرا فلما اقتتل لقيط تحملت الى أهلها ثم مالت الى مجلس عبد الله بن دارم فقالت نعم الاحماء كنتم يا بنى دارم وأنا أوصيكم بالقرائب خيرا فلم أر مثل لقيط ثم لحقت بقومها فتزوجها ابن عم لها فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط فقال لها زوجها أى يوم رأيت فيه لقيطا أحسن فى عينك قالت خرج يوما يصطاد فطرد البقر فصرع منها ثم أتانى متضمخا بالدماء فضمنى ضمة ولثمنى لثمة فليتنى مت ثمة فخرج زوجها ففعل مثل ذلك ثم أتاها فضمها ولثمها ثم قال لها من أحسن أنا أو لقيط عندك قالت مرعى ولا كالسعدان (أبو الفضل) عن بعض رجاله قال قدم قيس بن زهير بعد ما اقتتل أهل الهباءة على النمر بن قاسط فقال يا معشر النمر نزعت اليكم غريبا حزينا فانظروا لى امرأة أتزوجها قد أذلها الفقر وأدبها الغنى لها حسب وجمال فزوجوه على هيئة ما طلب فقال انى لا أقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقى انى غيور فخور ضجور ولكنى لا أغار حتى أرى ولا أفخر حتى أفعل ولا آنف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له غلام سماه خليفة ثم بدا له ان يرتحل عنهم فجمعهم ثم قال يا معشر النمر ان لكم على حقا وأنا أريد ان أوصيكم فآمركم بخصال وانهاكم عن خصال عليكم بالابل فان بها تنال الفرصة وسودوا من لا تعابون بسودده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء ما تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع ما تريدون منعه قبل القسم واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل وانهاكم عن الرهان فانى بها ثكلت مالكا وانهاكم عن البغى فانه صرع زهيرا وعن السرف فى الدماء فان يوم الهباءة أورثنى الذل ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ولا تردوا الاكفاء عن النساء فتحوجوهن الى البلاء فان لم تجدوا الاكفاء فخير أزواجهن القبور واعلموا انى اصبحت ظالما مظلوما ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا وظلمت بقتلى من لاذنب له (كان) الفاكه بن المغيرة المخزومى احد فتيان قريش وكان قد تزوج هند ابنة عتبة وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا اذن فقال يوما فى ذلك البيت وهند معه ثم

خرج عنها وتركها نائمة فجاء بعض من كان يغشى البيت فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها فاستقبله الفاكه بن المغيرة فدخل على هند وانبهها وقال من هذا الخارج من عندك قالت والله ما انتبهت حتى انبهتني ومارأيت احدا قط قال الحقي بابيك وخاض الناس في امرهم فقال لها ابوها يابنية العار وان كان كذبا انبيني شانك فان كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن قالت والله ياابتاه انه لكاذب فخرج عتبة فقال انك رميت ابنتي بشيء عظيم فاما ان تبين ماقلت والا فحاكمني الى بعض كهان اليمن قال ذلك لك فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ونسوة من بني مخزوم وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف فلما اشارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند وكسف بالها فقال لها ابوها أي بنية ألا كان هذا قبل ان يشتهر في الناس خروجنا قالت ياابت والله ماذلك لمكروه قبلي ولكنكم تأتون بشر ايخطئ ويصيب ولعله ان يسمني بسمة تبقى على ألسنة العرب فقال لها ابوها صدقت ولكني سأخبره لك فصفر بفرسه فلما أدلى عمد الى حبة بر فادخلها في احليله ثم اوكأ عليها وسار فلما نزلوا على الكاهن اكرمهم ونحرلهم فقال له عتبة انا اتيناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة فما هي قال برة في كمرة قال اريد أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال صدقت فانظر في امر هؤلاء النسوة فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ويقول قومي لشأنك حتى اذا بلغ الى هند مسح يده على رأسها وقال قومي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا يسمى معاوية فلما خرجت اخذ الفاكه بيدها فنثرت يده من يدها وقالت والله لاحرصن ان يكون ذلك الولد من غيرك فتزوجها ابو سفيان فولدت له معاوية (وذكروا) ان هند ابنة عتبة بن ربيعة قالت لابيها ياابت انك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني في نفسي فعرض لي معه ماعرض فلا تزوجني من احد حتى تعرض على امره وتبين لي خصاله فخطبها سهيل بن عمرو وابو سفيان بن حرب فدخل عليها ابوها وهو يقول

اتاك سهيل وابن حرب وفيهما * رضا لك يا هند الهنود ومقنع
وما منهما الا يعاش بفضله * وما منهما الا يضر وينفع
ومامنهما الا كريم مرزأ * وما منهما الا اغر سميدع
فدونك فاختاري فانت بصيرة * ولا تخدعي ان المخادع يخدع

قالت يا ابت والله ما اصنع بهذا شيأ ولكن فسر لى امرهما و بين لى خصالهما حتى اختار لنفسى اشدهما موافقة لى فبدأ بذكر سهيل بن عمرو فقال اما احدهما ففى ثروة وسعة من العيش ان تابعتيه تابعك وان ملت عنه حط اليك تحكمين عليه فى اهله وماله واما الآخر فوسع عليه منظور اليه فى الحسب الحسيب والرأى الاريب مدره أرومته وعز عشيرته شديد الغيرة كبير الطهرة لا ينام على ضعة ولا يرفع عصاه عن اهله فقالت يا ابت الاول سيد مضياع للحرة فما عست ان تلين بعد ابائها وتضيع تحت جناحه اذا تابعها بعلها فأشرت وخافها اهلها فامنت فساء عند ذلك حالها وقبح عند ذلك دلالها فان جاءت بولد احمقت وان أنجبت فعن خطا ما أنجبت فاطو ذكر هذا عنى ولا تسمه على بعد واما الآخر فبعل الفتاة الخريدة الحرة العفيفة وانى للتى لا اريب له عشيرة فتغيره ولا تصيره بذعر فتضيره وانى لاخلاق مثل هذا الموافقة فزوجنيه فزوجها من ابى سفيان فولدت له معاوية وقبله يزيد فقال فى ذلك سهيل بن عمرو

نبئت هندا تبر الله سعيها * تأبت وقالت وصف اهوج مائق
وماهو حى ياهند الاسجية * لجرلها ذيلى بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولاطمت بالبطحاء فى كل شارق
ولكننى اكرمت نفسى تكرما * ورافعت عنها الذم عند الخلائق
وانى اذا ما حرة ساء خلقها * صبرت عليها صبر آخر عاشق
فان هى قالت خل عنها تركتها * واقلل بترك من حبيب مفارق
فان ساحونى قلت امرى اليكم * وان ابعدونى كنت فى رأس حالق
فلم تنكحى يا هند مثلى واننى * لمن لم يقنى فاعلمى غير وامق

فبلغ أباسفيان فقال والله لو اعلم شيأ يرضى اباز يد سوى طلاق هند لفعلته وألح سهيل فى تنقيص ابى سفيان فقال ابوسفيان

رأيت سهيلا قد تفاوت شأوه * وفرط فى العلياء كل عنان
واصبح يسمو للمعالى وانه * لذو جفنة مغشية وقيان
وشرب كرام من لؤى بن غالب * عراض المساعى عرضة الحدثان
ولكنه يوما اذا الحرب شمرت * وابرز فيها وجه كل حصان

فطأطأ فيها مااستطاع بنفسه * وقنع فيها رأسه ودعاني
فا كفيه مالا يستطاع دفاعه * والقيت فيها كلكلي وجراني

قال وتزوج سهيل بن عمرو امرأة فولدت له ولدا فبيناهو سائر معه اذ نظر الى رجل يركب ناقة ويقود شاة فقال لابيه ياابت هذه ابنة هذه يريد الشاة ابنة الناقة فقال ابوه يرحم الله هندا يعني ما كان من فراستها فيه (وعن علي بن ابي طالب) رضي الله عنه انه قال يارسول الله لو تزوجت ام هانئ بنت ابي طالب فقد جعل الله لها قرابة فتكون صهرا أيضا فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لهو احب الي من سمعي وبصري ولكن حقه عظيم وأنا مؤتمة فان قمت بحقه خفت ان اضيع ايتامي وان قمت بامرهم قصرت عن حقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناها على ولد في صغره وارعاها على بعل في ذات يده ولو علمت ان مريم ابنة عمران ركبت جملا لاستثنيتها (ولما) توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان عرض عليه عمر ابنته حفصة فسكت عنه عثمان وقد كان بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يزوجه ابنته الاخرى فشكا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سكوت عثمان عنه فقال له سيزوج الله ابنتك خيرا من عثمان ويزوج عثمان خيرا من ابنتك فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج عثمان ابنته صلى الله عليه وسلم (ولما) خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ذكرت ذلك لورقة بن نوفل وهو ابن عمها قال هو الفحل لا يقدع أنفه تزوجيه (وخطب) عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت ابي بكر وهي صغيرة فأرسل الى عائشة فقالت الامر اليك فلما ذكرت ذلك عائشة لام كلثوم قالت لا حاجة لي فيه فقالت عائشة أترغبين عن امير المؤمنين قالت نعم انه خشن العيش شديد على النساء فأرسلت عائشة الى المغيرة بن شعبة فأخبرته فقال لها انا اكفيك فأتى عمر فقال يا امير المؤمنين بلغني عنك امر أعيذك بالله منه قال ماهو قال بلغني انك خطبت ام كلثوم بنت ابي بكر قال نعم أفرغبت بها عني ام رغبت بي عنها قال لا واحدة منهما ولكنها حدثة نشأت تحت كنف خليفة رسول الله في لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر ان نردك عن خلق من اخلاقك فكيف بها ان خالفتك في شيء فسطوت بها كنت قد

خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك فقال كيف لى بعائشة وقد كلمتها قال أنا لك بها وأدلك على خير لك منها أم كلثوم بنت على من فاطمة بنت رسول الله تتعلق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على قد عزل بناته لولد جعفر بن ابى طالب فلقيه عمر فقال يا أبا الحسن انكحنى ابنتك ام كلثوم ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد حبستها لابن جعفر قال انه والله ما على الارض احد يرضيك من حسن صحبتها بما ارضيك به فأنكحنى يا أبا الحسن قال قد انكحتكها يا أمير المؤمنين فأقبل عمر فجلس فى الروضة بين القبر والمنبر واجتمع اليه المهاجرون والانصار فقال زفونى قالوا بمن يا أمير المؤمنين قال بأم كلثوم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وقد تقدمت لى صحبة فأحببت ان يكون لى معها سبب فولدت له ام كلثوم زيد بن عمر ورقية بنت عمر وزيد بن عمر هو الذى لطم سمرة بن جندب عند معاوية اذ تنقص عليا فيما يقال (وخطب) سلمان الفارسى الى عمر ابنته فوعده بها فشق ذلك على عبد الله بن عمر فلقى عمرو بن العاص فشكا ذلك اليه فقال له سأكفيكه فلقى سلمان فقال له هنيأ لك يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل فى تزويجك ابنته فغضب سلمان وقال لا والله لا تزوجت اليه ابدا (وخرج) بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخيه الى قوم من بنى ليث يخطب اليهم لنفسه ولاخيه فقال انا بلال وهذا أخى كنا ضالين فهدانا الله وكنا عبدين فاعتقنا الله وكنا فقيرين فأغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فالمستعان الله قالوا نعم وكرامة فزوجوهما (قالت تماضر) امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان هل لك فى ابنة عم لى بكر جميلة ممتلئة الخلق أسيلة الخد اصيلة الرأى تتزوجها قال نعم فذكرت له نائلة بنت القرافصة الكلبية فتزوجها وهى نصرانية فتحنفت وحملت اليه من بلاد كلب فلما دخلت عليه قال لها لعلك تكرهين ما ترين من شيبى قالت والله يا أمير المؤمنين انى من نسوة احب ازواجهن اليهن الكهل قال انى قد جزت الكهول وانا شيخ قالت أذهبت شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خير ما ذهبت فيه الاعمار قال أتقومين الينا أم نقوم اليك قالت ماقطعت اليك أرض السماوة وأريد أن اثنى الى عرض البيت وقامت اليه فقال لها انزعى ثيابك فنزعتها فقال حلى مرطك قالت أنت وذاك قال أبو الحسن فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل فلما دخل اليه وقته

بيدها فجذمت أناملها فأرسل اليها معاوية بعد ذلك يخطبها فأرسلت اليه ماترجو من امرأة جذماء وقيل انها قالت لما قتل عثمان انى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيت ان يبلى حزن عثمان من قلبي فدعت بفهر فهتمت فاها وقالت والله لاقعد أحد منى مقعد عثمان أبدا (وكانت) فاطمة بنت الحسين بن على عند حسن بن حسن بن على فلما احتضر قال لبعض أهله كانى بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان اذا سمع بموتى قد جاء يتهادى فى ازار له مورد قد أسبله فيقول جئت اشهد ابن عمى وليس يريد الا النظر الى فاطمة فاذا جاء فلا يدخلن قال فوالله ماهو الا أن غمضوه فجاء عبد الله بن عمرو فى تلك الصفة التى وصفها فمنع ساعة فقال بعض القوم لايدخل وقال بعضهم افتحوا له فان مثله لا يرد ففتحوا له ودخل فلما صرنا الى القبر قامت عليه فاطمة تبكى ثم اطلعت الى القبر فجعلت تصك وجهها بيديها حاسرة قال فدعا عبد الله بن عمرو وصيفا له فقال انطلق الى هذه المرأة وقل لها يقرئك ابن عمك السلام ويقول لك كفى عن وجهك فان لنا به حاجة فلما بلغها الرسالة أرسلت يديها فأدخلتهما فى كميها حتى انصرف الناس فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك فولدت له محمد بن عبد الله وكان يسمى المذهب لجماله وكانت ولدت من حسن بن حسن عبد الله بن حسن الذى حارب ابو جعفر ولديه ابراهيم ومحمدا ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى قتلهما (وعن سلمة ابن محارب) قال مارأيت قرشيا قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذى ولدته فاطمة بنت الحسين وكانت له ابنة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروة أسماء بنت أبى بكر الصديق وأم محمد فاطمة بنت الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم فاطمة بنت الحسين أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان سودة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب (وعن الهيثم بن عدى) الطائى قال حدثنا مجالد عن الشعبي قال قال لى شريح ياشعبي عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا قال وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهم فاذا أنا بعجوز على باب دار والى جنبها جارية كاحسن مارأيت من الجوارى فعدلت فاستسقيت ومابى عطش فقالت أى الشراب أحب اليك فقلت

ماتيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل عربيا قلت من هـذه الجارية قالت هذه زينب ابنة جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت فارغة هى أم مشغولة قالت بلى فارغة قلت زوجينيها قالت ان كنت لها كفأ ولم تقل كفوا وهى لغة تميم فمضيت الى المنزل فذهبت لاقيل فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بأيدى اخوانى من القراء الاشراف علقمة والاسود والمسيب وموسى بن عرفطة ومضيت أريد عمها فاستقبل فقال يا أبا أمية حاجتك قلت زينب بنت أخيك قال مابها رغبة عنك فانكحنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أى شيء صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أضمها الى فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو رأيتنى ياشعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى ادخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين فيسأل الله من خيرها و يعوذ به من شرها فصليت وسلمت فاذا هى من خلفى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فاخذن ثيابى وألبستنى ملحفة قد صبغت فى عكر العصفر فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناحيتها فقالت على رسلك أبا أمية كما أنت ثم قالت الحمد لله احمده واستعينه وأصلى على محمد وآله انى امرأة غريبة لاعلم لى باخلاقك فبين لى ماتحب فآتيه وما تكره فازدجر عنه وقالت انه قد كان لك فى قومك منكح وفى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولى هـذا واستغفر الله لى ولك قال فاحوجتنى والله ياشعبي الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله احمده واستعينه وأصلى على النبي وآله وأسلم و بعد فانك قد قلت كلاما ان تثبتى عليه يكن ذلك حظك وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا ونحن جميع فلا تفرقى وما رأيت من حسنة فانشريها وما رأيت من سيئة فاستريها وقالت شيأ لم اذكره كيف محبتك لزيارة الأهل قلت ما أحب أن يملنى أصهارى قالت فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت ياشعبي بانعم ليلة ومكثت معى حولا لا أرى الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء فاذا بعجوز تأمر وتنهي فى الدار فقلت من هذه قالوا فلانة ختنك فسرى عني ما كنت

أجد فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك أبا أمية قلت وعليك السلام من أنت قالت انا فلانة ختنك قلت قربك الله قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة قالت لى ابا أمية ان المرأة لاتكون اسوأ حالا منها فى حالتين اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك ريب فعليك بالسوط فوالله ماحاز الرجال فى بيوتها شرا من المرأة المدللة قلت أما والله لقد أدبت فأحسنت الادب ورضت فاحسنت الرياضة قالت تحب أن يزورك اختانك قلت متى شاؤا قال فكانت تأتينى فى رأس كل حول توصينى تلك الوصية فمكثت معى عشرين سنة لم أعتب عليها فى شىء الا مرة واحدة وكنت لها ظالما أخذ المؤذن فى الاقامة بعد ماصليت ركعتى الفجر وكنت امام الحى فاذا بعقرب تدب فأخذت الاناء فأكفأته عليها ثم قلت يازينب لاتحركى حتى آتى فلو شهدتنى ياشعبى وقد صليت ورجعت فاذا أنا بالعقرب قد ضربتها فدعوت بالكست والملح فجعلت امعث أصبعها واقرأ عليها بالحمد والمعوذتين وكان لى جار من كندة يفزع امرأته ويضربها (فقلت فى ذلك)

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يمينى حين اضرب زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس مذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم تبد منهن كوكبا

(وقال) أبو عبيدة نكح الفرزدق أمة له زنجية فولدت له بنتا فسماها مكية وكان يكنى بها ويقول أنا أبو مكية فكتبت النوار يوما الى الفرزدق تشكو مكية (فكتب اليها)

كنتم زعمتم انها ظلمتكم * كذبتم وبيت الله بل تظلمونها
فان لاتعدوا أمها من نساءكم * فان أباها والد لن يشينها
وان لها اعمام صدق واخوة * وشيخا اذا شئتم تأيم دونها

قالت النوار فاذا لانشاء (وقال) الفرزدق فى أمته الزنجية

يارب خود من بنات الزنج * تنقل تنورا شديد الوهج
أغبر مثل القدح الخلنج * يزداد طيبا بعد طول الهزج

(وعن الهيثم بن عدى) عن ابن عياش قال حدثنا يعلى الهذلى قال كنت بسجستان مع طلحة الطلحات فلم أر أحدا كان أسخى منه ولا أشرف نفسا فكتب الى عمى من البصرة انى قد كبرت

ومالى كثير وأكره ان أوكله غيرك فاقدم ازوجك ابنتى وأصنع بك ما أنت أهله قال فخرجت على بغلة تركية فأتيت البصرة فى ثلاثين يوما ووافيته فى صلاة العصر فوجدته قاعدا على دكانه فسلمت عليه فقال لى من أنت قلت له ابن أخيك يعلى قال وأين ثقلك قلت تعجلت اليك حين أتانى كتابك وطربت نحوكم قال يا ابن أخى أتدرى ماقالت العرب قلت لا قال قالت العرب شر الفتيان المفلس الطروب قال فقمت الى بغلتى فاعدت سرجى عليها فما قال لى شيأ ثم قال الى أين قلت الى سجستان قال فى كنف الله قال فخرجت فبت فى الجسر ثم ذكرت أم طلحة فانصرفت اسأل عنها حتى أتيت منزلها وكان طلحة أبر الناس بها فقلت رسول طلحة فقالت ائذنوا له فدخلت فقالت ويحك كيف ابنى قلت على أحسن حال قالت فلله الحمد واذا بعجوز قد تحدرت قالت فما جاء بك قلت كيت وكيت قالت ياجارية ائتينى باربعة آلاف درهم ثم قالت ائت عمك فابتن بابنته ولك عندنا ماتحب قلت لا والله لا أعود اليه أبدا قالت ياجارية ائتينى ببغلة رحالتى ثم قالت روح بين هذه وبغلتك حتى تأتى سجستان قلت أكتبى بالوصاة بى والحالة التى استقبلتها فكتبت بوجهها التى كانت فيه وبعافية الله اياها وبالوصاة بى فلم تدع شيأ ثم دفعت حتى أتيت سجستان فاتيت باب طلحة وقلت للحاجب رسول صفية بنت الحرث وانا عابس باسر فدخل فخرج طلحة متوشحا وخلفه وصيف يسعى بكرسى فقمت بين يديه فقال ويلك وكيف أمى قلت بأحسن حالة قال انظر كيف تقول قلت هذا كتابها قال فعرف الشواهد والعلامات قلت اقرأ كتاب وصيتها قال ويحك ألم تأتنى بسلامتها حسبك فأمر لى بخمسين ألف درهم وقال لحاجبه أكتبه فى خاصة أهلى قال فوالله ما أتى على الحول حتى أتم لى مائة الف قال ابن عياش فقلت له هل لقيت عمك بعد ذلك قال لا والله ولا القاه أبدا (وعن الهيثم) ابن عدى عن ابن عياش قال اخبرنى موسى السلامانى مولى الحضرمى وكان أيسر تاجر بالبصرة قال بينا أنا جالس اذ دخل على غلام لى فقال هذا رجل من أهل أمك يستأذن عليك وكانت أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف فقلت ائذن له فدخل شاب حلو الوجه يعرف فى هيئته انه قرشى فى طمرين فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فى الرحب والقرب ثم قلت ياغلام بره وأكرمه وألطفه وأدخله الحمام وأكسه قميصا رقيقا ومبطنا قوهيا ورداء عمريا وحذونا له نعلين حضرميين فلما نظر

الشاب فى عطفيه وأعجبته نفسه قال ياهـذا ابغنى أشرف أيم بالبصرة أو أشرف بكر بها قلت ياابن أخى معك مال قال أنا مال كما أنا قلت ياابن أخى كف عن هـذا قال انظر ما أقول لك قلت فان أشرف أيم بالبصرة هند ابنـة أبى صفرة اخت عشرة وعمـة عشرة وحالها فى قومها حالها وأشرف بكر بالبصرة الملاة بنت زرارة ابن اوفى الجرشى قاضى البصرة قال اخطبها علىّ قلت ياهـذا ان أباها قاضى البصرة قال انطلق بنا اليـه فانطلقنا الى المسجد فتقـدم فجلس الى القاضى فقال له من أنت ياابن أخى قال له عبـد الحميـد بن سهيل بن عبـد الرحمن بن عوف خال رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال مرحبـا بك ماحاجتك قال جئت خاطبـا قال ومن ذكرت قال الملاة ابنتك قال ياابن أخى مابها عنك رغبـة ولكنها امرأة لايفتات عليها أمرها فاخطبها الى نفسها فقام الىّ فقلت ماصنعت قال قال كذا وكذا قلت ارجع بنـا ولا تخطبها قال اذهب بنـا اليها فدخلنا دار زرارة فاذا دار فيها مقاصير فاستأذنا على أمها فلقيتنا بمثـل كلام الشيخ ثم قالت وها هى فى تلك الحجرة قلت له لاتأتها قال أليست بكرا قلت بلى قال ادخل بنـا اليها فاستأذنا فاذنت لنا فوجـدناها جالسة وعليها ثوب قوهى رقيق معصفر تحتـه سراويل يرى منه بياض جسدها ومرط قد جمعته على فخـذيها ومصحف على كرسى بين يديها فاشرجت المصحف ثم نحتـه فسلمنـا فردت ثم رحبت بنـا ثم قالت من أنت قال أنا عبـد الحميـد بن سهيل بن عبـد الرحمن بن عوف الزهرى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومد بها صوته قالت ياهـذا انما عد هـذا الصوت للساسانيين قال موسى فدخل بعضى فى بعض ثم قالت ماحاجتك قال جئت خاطبـا قالت ومن ذكرت قال ذكرتك قالت مرحبا بك ياأخا أهل الحجاز ما الذى يسـدك قال لنـا سهمان بخيـبر أعطاناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومد بها صوته وعين بمصر وعين باليمامة ومال باليمن قالت ياهذا كل هـذا عنـا غائب ولكن ماالذى يحصل بايدينا منك فانى أظنك تريد أن تجعلنى كشاة عكرمـة أتدرى من عكرمة قال لاقالت عكرمـة بن ربعى فانه كان نشأ بالسواد ثم انتقل الى البصرة وقد تغذى باللبن فقال لزوجتـه اشترى لنـا شاة تحتلبها وتصنعين لنـا من لبنها شرابا وكامخا ففعلت وكانت عنـدهم الشاة الى ان استحرمت فقالت ياجارية خـذى باذن الشاة وانطلقى بها الى التياس فانزى عليها ففعلت فقال التياس آخـذ منك على النزوة درهما فانصرفت

الى سيدتها فاعلمتها فقالت انما رأينا من يرحم و يعطى وأما من يرحم و يأخذ فلم نره ولكن ياأخا أهل المدينه أردت أن تجعلنى كشاة عكرمة فلما خرجنا قلت له ماكان أغناك عن هذا قال ماكنت أظن ان امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام (وعن الاصمعى) قال كان عقيل بن علقة المرى غيورا فخورا وكان يصهر اليه خلفاء بنى أمية فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته لبعض ولده فقال جنبنى هجاء ولدك وكان اذا خرج يمتار خرج بابنته الجرباء معه فخرج مرة فنزلوا ديرا من ديرة الشام يقال له دير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه اجز ياعميس فقال

فأصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته ياجرباء أجيزى فقالت

كان الكرى أسقاهم صرخديه * عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال لها وماندريك أنت مانعت الخمر ثم سل السيف ونهض اليها فاستغاثت بأخيها عميس فانتزعه بسهم فأصاب فخذه فبرك ومضوا وتركوه حتى اذا بلغوا ادانى المياه منهم قالوا اللهم انا أسقطنا جزورا لنا فادركوه وخذوا معكم الماء ففعلوا واذا عقيل بارك وهو يقول

ان بنى زملونى بالدم * من يلق ابطال الرجال يكلم

ومن يكن درء به يقوم * شنشنة اعرفها من اخزم

الشنشنة الطبيعة وأخزم فحل كريم وهذا مثل للعرب (الشيبانى) عن عوانة قال خطب عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فأبت أن تتزوجه وقالت والله لاتزوجنى أبو الذباب فتزوجها يحيى بن عبد الحكم فقال عبد الملك والله لقد تزوجت أفوه أشوه فقال يحيى أما انها أحبت منى ما كرهت منك وكان عبد الملك ردىء الفم يدمى فيقع عليه الذباب فسمى أبا الذباب (وعن العتبى) قال خطب قريبة ابنة حرب أخت أبى سفيان بن حرب أربعة عشر رجلا من أهل بدر فأبتهم وتزوجت عقيل بن أبى طالب قالت ان عقيلا كان مع الاحبة يوم قتلوا

وان هؤلاء كانوا عليهم (ولاحبه) يوما فقالت ياعقيل أين اخوالى أين أعمامى كان أعناقهم أباريق الفضة قال لها اذا دخلت النار فخذى على يسارك (وكتب) زياد الى سعيد بن العاص يخطب اليه ابنته وبعث اليه بمال كثير وهدايا فلما قرأ الكتاب أمر حاجبه بقبض المال والهدايا وان يقسمها بين جلسائه فقال الحاجب انها أكثر من ظنك قال سعيد أنا أكثر منها ثم وقع الى زياد فى أسفل كتابه كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (وقال رجل) للحسن ان لى بنية فمن ترى أن أزوجها قال زوجها ممن يتقى الله فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها (وقال عبد الملك بن مروان) لعمر بن عبد العزيز قد زوجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة قال عمر وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد كفيت المسئلة واجزلت فى العطية (وقيل) للحسن فلان خطب الينا فلانة قال أهو موسر من عقل ودين قال نعم قال فزوجوه (وقال رجل) لحيوة بن شريح انى أريد أن أتزوج فماذا ترى قال كم المهر قال مائة قال فلا تفعل تزوج بعشرة وأبق تسعين فان وافقتك ربحت التسعين وان لم توافقك تزوجت عشرا فلا بد فى عشر نسوة من واحدة توافقك (وقال رجل) أردت النكاح فقلت لاستشيرن أول من يطلع على ثم أعمل برأيه فكان أول من طلع هبنقة القيسى وتحته قصبة فقلت له أريد النكاح فما تشير على. قال البكر لك والثيب عليك وذات الولد لاتقربها واحذر جوادى لاينفحك (وعن الاصمعى) قال أخبرنى رجل من بنى العنبر عن رجل من أصحابه وكان مقلا فخطب اليه مكثر من مال مقل من عقل فشاور فيه رجلا يقال له أبو يزيد فقال لاتفعل ولا تزوج الاعاقلا دينا فانه ان لم يكرمها لم يظلمها ثم شاور رجلا آخر يقال له أبو العلاء فقال له زوجه فان ماله لها وحمقه على نفسه فزوجه فرأى منه مايكره فى نفسه وابنته وأنشده فقال

ألهفى اذ عصيت أبا يزيد * ولهفى ان أطعت أبا العلاء
وكانت هفوة من غير ريح * وكانت زلقة من غير ماء

(الفضل بن محمد الضبى) قال أخبرنى بشر بن كدام عن معبد بن خالد الجدلى قال خطبت امرأة من بنى أسد فى زمن زياد وكان النساء يجلسن لخطابهن قال فجئت لانظر اليها وكان بينى و بينها رواق فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم

فأتت على آخرها وألقت العظام نقيــة ثم دعت بشن عظيم مملوء لبـنا فشربتــه حتى أكفاته على وجهها وقالت ياجارية ارفعى السجف فاذا هى جالسة على جلد أسـد واذا شابة جميـلة فقالت ياعبـد الله أنا أســدة من بنى أسد وعلى جلد أسد وهذا طعامى وشرابى فمـلا م ترى فان أحببت ان تتـقدم فتقدم وان أحببت ان تتأخر فتأخر فقلت استخير الله فى أمرى وانظر قال فخـرجت ولم أعـد (قال) وحـدثنـا بعض أصحابنـا ان جارية لاميــة بن عبـد الله بن خالد بن أسيد ذات ظرف وجمال مرت برجل من بنى سعد وكان شجاعا فارسا فلمـا رآها قال طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ثم انه أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكــره لهـا فقـالت للرسول ماحرفتــه فابلغه الرسول قولهـا فقال ارجع اليها فقل لهـا

وسائلة ماحرفتى قلت حرفتى * مقارعــة الابطال فى كل شارق
اذا عرضت لى الخيل يومارأيتنى * امام رعيل الخيل أحمى حقائقى
واصبر نفسى حين لاحر صابر * على ألم البيض الرقاق البوارق

فأنشدها الرسول ماقال فقالت له ارجع اليــه وقل له أنت أســد فاطلب لنفسك لبوة فلست من نسائك وأنشدت هذه الابيات

ألا انمـا أبغى جوادا بمـاله * كريمـا محياه قليل الصدائق
فتى همــه مذ كان خود كريمة * يعانقها بالليل فوق النمـارق
ويشربها صرفا كميتا مدامة * نداماه فيها كل خرق موافق

(يحيى بن عبد العزيز) عن محمد بن الحكم عن الشافعى قال تزوج رجل امرأة حديثة على امرأة له قديمــة فكانت جارية الحديثة تمر على باب القديمة فتقول

وما يستوى الرجلان رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود فتقول

ومايستوى الثوبان ثوب به البـلى * وثوب بايدى البـائعين جــديد

فمرت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما القلب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينــه أبدا لاول مـنزل

(وعن الشعبي) قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول ماغلبني أحد قط الا غلام من بني الحرث بن كعب وذلك انى خطبت امرأة من بنى الحرث وعندى شاب منهم فاصغى الىّ فقال أيها الامير لا خير لك فيها قلت ياابن أخى ومالها قال انى رأيت رجلا يقبلها قال فبرئت منها فبلغنى ان الفتى تزوجها قلت ألم تخبرنى انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها (أبوسعيد) قال صحبت ابن سيرين عشرين سنة فقال لى يوما ياأباسعيد ان تزوجت فلا تتزوج امرأة تنظر فى يدها ولكن تزوج امرأة تنظر فى يدك

٢ — صفات النساء وأخلاقهن — قال أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالنساء عبدة بن الطبيب حيث يقول

فان تسألونى بالنساء فاننى * عليم بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

(وهذه) الابيات لعبدة بن علقمة المعروف بالفحل وأول القصيدة

* طحا بك قلب فى الشباب طروب *

(وعن رجاء) بن حيوة عن معاذ بن جبل قال انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وانى أخاف عليكم فتنة السراء وهى النساء اذا تحلين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغنى وكلفن الفقير مالا يطاق (وقال) عبد الملك بن مروان من أراد ان يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد للولد فليتخذها فارسية ومن أراد للخدمة فليتخذها رومية (وعن أبى الحسن المدائنى) قال قال يزيد بن عمر بن هبيرة اشتر والى جارية شقاء مقاء رسحاء بعيدة ما بين المنكبين ممسوحة الفخذين قوله شقاء يريد كانها شقة جبل مقاء طويلة رسحاء صغيرة العجيزة أرادها للولد لان الارسح أفرس من العظيم العجيزة (وقال) عمر بن هبيرة لرجل ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا (وقال) الاصمعى وذكر النساء بنات العم أصبر والغرائب أنجب وماضرب رؤس الابطال كابن الاعجمية (أبوحاتم) عن الاصمعى عن يونس ابن مصعب عن عثمان بن ابراهيم بن محمد قال أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت ياابن أخى أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عنى فقلت ياابن أخى انى أعرف فى العين اذا

عرفت وأنكر فيها اذا أنكرت وأعرف فيها اذا لم تعرف ولم تنكر اما اذا عرفت فتحاوص واما اذا أنكرت فتجحظ واما اذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو وقد رأيت عيناك ساجية فالقصيرة النسب التي اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب التي لا تعرف حتى تطيل في نسبتها فاياك ان تقع في قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نفسك فيهم (وعن العتبي) قال كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل لبابة بنت عبد الله بن عباس وفاطمة بنت يزيد بن معاوية وزينب بنت سعيد بن العاص وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحرث فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن فاجتمعن يوما فقالت لبابة أما والله انك لتسوي بهن وانك تعرف فضلي عليهن وقالت بنت سعيد ما كنت أرى ان للفخر على مجازا وأنا ابنة ذي العمامة اذ لا عمامة غيرها وقالت بنت عبد الرحمن بن الحرث ما أحب بابي بدلا ولو شئت لقلت فصدقت وصدقت وكانت بنت يزيد بن معاوية جارية حديثة السن فلم تتكلم فتكلم عنها الوليد فقال نطق من احتاج الى نفسه وسكت من اكتفى بغيره أما والله لو شاءت لقالت أنا ابنة قادتكم في الجاهلية وخلفائكم في الاسلام فظهر الحديث حتى تحدث به في مجلس ابن عباس فقال الله أعلم حيث يجعل رسالته (الشيباني) عن عوانة قال ذكرت النساء عند الحجاج فقال عندي أربع نسوة هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة وأم الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد وأمة الرحمن بنت جرير بن عبد الله البجلي فاما الليلة التي عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتيان يلعب ويلعبون واما الليلة التي عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك واما الليلة التي عند أم الجلاس فليلة اعرابي مع اعراب في حديثهم وأشعارهم واما الليلة التي عند أمة الرحمن بنت جرير فليلة عالم بين العلماء والفقهاء (وعن العتبي) قال حدثني رجل من أهل المدينة قال كان بالمدينة مخنث يدل على النساء يقال له أبو الحر وكان منقطعا الي فدلني على غير ما امرأة أتزوجها فلم أرض عن واحدة منهن فاستقصرته يوما فقال والله يامولاي لادلنك على امرأة لم تر مثلها قط فان لم ترها كما وصفت فاحلق لحيتي فدلني على امرأة فتزوجتها فلما زفت الي وجدتها أكثر مما وصف فلما كان في السحر اذا انسان يدق الباب فقلت من هذا قال أبو الحر وهذا الحجام معه فقلت قد وفر الله لحيتك أبا الحر الامر كما قلت (وعن مالك) بن هشام بن عروة عن أبيه ان مخنثا كان عند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن أبي أمية ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع أبا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف غدا فأنا أدلك على بنت غيلان انها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا يدخل عليكم هؤلاء * قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان يريد عكن البطن انها اذا أقبلت أربع واذا أدبرت ثمان (وضرب) البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج الى اذربيجان فاقتاد جارية وفرسا وكان مملكا بابنة عمه فكتب اليها ليغيرها

ألا بلغوا أم البنين بأننا * غنينا واغنتنا الغطارفة المرد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه قرأته وقالت ياغلام هات الدواة فكتبت اليه تجيبه

ألا أقره منا السلام وقل له * غنينا فقيقوا بالغطارفة المرد
بحمد أمير المؤمنين أقرهم * شبابا وأغزاكم خوالف فى الجند
اذا شئت غنانى غلام مرجل * ونازعته من ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشىء مد كفه * الى كبد ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون من حاج أهلكم * شهود اقضيناها على النأى والبعد
فعجل علينا بالسراح فانه * مناانا ولا ندعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذى انت فيهم * وزادك رب الناس بعدا الى بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على ان ركب فرسه وأردف الجارية ولحق بها فكان أول شىء بدأها به بعد السلام ان قال بالله هل كنت فاعلة قالت الله أجل فى قلبى وأعظم وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى بعثه (وقال معاوية) لصعصعة بن صوحان أى النساء أشهى اليك قال المواتية لك فيما تهوى قال فأيهن أبغض قال أبعدهن مما ترضى قال هذا النقد العاجل فقال صعصعة بالميزان العادل (وقال صعصعة) لمعاوية يا أمير المؤمنين كيف ننسبك الى العقل وقد غلب عليك نصف انسان يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرطة عليه فقال معاوية انهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام (وعن سفيان بن عيينة) قال شكا جرير بن عبد الله البجلى الى عمر بن الخطاب ما يلقى من النساء فقال لا عليك فان التى عندى ربما خرجت من عندها فتقول انما تريد ان تتصنع لفتيان بنى عدى فسمع كلامهما ابن مسعود فقال لا عليكما فان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام شكا الى ربه رداءة فى خلق سارة فأوحى الله اليه أن البسها على لباسها مالم ترفى دينها وصمة فقال

عمران بين جوانحك لعاما (وكتب) الحجاج الى أيوب بن القرية ان أخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مواتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع (وقال) أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان يا خالد ان الناس قد أكثروا فى النساء فأيهن أعجب اليك قال أعجبهن يا أمير المؤمنين التى ليست بالضرع الصغيرة ولا الفانية الكبيرة وحسبك من جمالها ان تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب أعلاها قضيب وأسفلها كثيب كانت فى نعمة ثم أصابتها حاجة فعها أدب النعمة وذل الحاجة فاذا اجتمعنا كنا أهل دنيا واذا افترقنا كنا أهل آخرة قال قد أصبتها لك قال وأين هى قال فى الرفيق الاعلى من الجنة فاعمل لها (وسئل) اعرابى عن النساء وكان ذا تجربة وعلم بهن فقال أفضل النساء أطولهن اذا قامت وأعظمهن اذا قعدت وأصدقهن اذا قالت التى اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيأ جودت التى تطيع زوجها وتلزم بيتها العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها الودود الولود وكل أمرها محمود (وقال) عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء فقال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين مملوءة الساقين جماء الركبتين لفاء الفخذين مقرمدة الرفغين ناعمة الاليتين منيفة المأكمتين فعمة العضين فخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر حالكة الشعر غيداء العنق عيناء العينين مكسرة البطن ناتئة الركب فقال ويحك وأنى توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب أوفى خالص الفرس (وقال) رجل لخاطب ابغنى امرأة لا تؤنس جارا ولا توهن دارا ولا تثقب نارا يريد لا تدخل على الجيران ولا يدخل عليها الجيران ولا تغرى بينهم بالشر (وفى نحو هذا يقول الشاعر)

من الاوانس مثل الشمس لم يرها * فى ساحة الدار لا بعل ولا جار

﴿ وقال الاعشى ﴾

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولا ترى الشمس الا دونها الكلل

﴿ وقال آخر ﴾

ابغى امرأة بيضاء عمدبدة فرعاء جمدة تقوم فلا يصيب قميصها منها الا مشاشة منكبيها

وحلمتي ثديها وراتقي اليتيها وقال الشاعر

أبت الروادف والثدى لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشي تناوحت * نبهن حاسدة وهجن غيورا

﴿ ولآخر ﴾

اذا انبطحت فوق الاثافي رفعنها * بثديين في نحر عريض وكعثب

(ونظر) عمران بن حطان الى امرأته وكانت من اجمل النساء وكان من اقبح الرجال فقال اني واياك في الجنة ان شاء الله قالت له كيف ذاك قال اني اعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت (ونظر) أبوهريرة الى عائشة بنت طلحة فقال سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك والله ما رأيت وجها أحسن منك الاوجه معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معاوية من أحسن الناس (ونظر) ابن أبي ذئب الى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت فقال لها من أنت فقالت

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة * ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقال لها صان الله ذلك الوجه عن النار فقيل له افتنتك أباعبد الله قال لا ولكن الحسن مرحوم (وقال يونس) أخبرني محمد أبو اسحق قال دخلت على عائشة بنت طلحة فوجدتها متكئة ولوان بختية توخت خلفها ماظهرت (السري بن اسمعيل) عن الشعبي قال اني لفي المسجد نصف النهار اذ سمعت باب القصر يفتح فاذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة فقال ياشعبي اتبعني فأتبعته فأتى دار موسى بن طلحة فدخل مقصورة ثم دخل أخرى ثم قال ياشعبي اتبعني فأتبعته فاذا امرأة جالسة عليها من الحلي والجواهر مالم أرمثله ولهي أحسن من الحلي الذي عليها فقال ياشعبي هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر

ومازلت في ليلى لدن طرشاربي * الى اليوم أخفي حبها وأداجن
واحمل في ليلى لقوم ضغينة * وتحمل في ليلى على الضغائن

هذه عائشة ابنة طلحة فقالت له اما اذ جلوتني عليه فأحسن اليه فقال ياشعبي رح العشية فرحت فقال ياشعبي ماينبغي لمن جليت عليه عائشة بنت طلحة ان ينقص عن عشرة آلاف فامر لي بها وبكسوة وقار ورة غالية فقيل للشعبي في ذلك اليوم كيف الحال قال وكيف حال من صدر عن الامير ببدرة وكسوة وقارورة غالية ورؤية وجه عائشة بنت

طلحة (وكان) عمرو بن حجر ملك كندة وهو جد امرىء القيس أراد ان يتزوج ابنة عوف بن محلم الشيبانى الذى يقال فيه لاحر بوادى عوف لافراط عزه وهى أم اياس وكانت ذات جمال وكمال فوجه اليها امرأة يقال لها عصام لتنظر اليها وتمتحن ما بلغه عنها فدخلت على أمها أمامة ابنة الحرث فأعلمتها ما قدمت له فأرسلت الى بنتها أى بنية هذه خالتك أتت اليك لتنظر الى بعض شأنك فلا تسترى عنها شيأ أرادت النظر اليه من وجه وخلق وناطقيها فيما استنطقتك فيه فدخلت عصام عليها فنظرت الى مالم ترعينها مثله قط بهجة وحسنا وجمالا فاذا هى أكمل الناس عقلا وأفصحهم لسانا فخرجت من عندها وهى تقول ترك الخداع من كشف القناع فذهبت مثلا ثم أقبلت الى الحرث فقال لها ماوراءك ياعصام فارسلها مثلا قالت صرح المخض عن الزبدة فذهبت مثلا قال أخبرينى قالت أخبرك صدقا وحقا رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزينها شعر حالك كاذناب الخيل المقصورة ان أرسلته خلته السلاسل وان مشطته قلت عناقيد كرم جلاه الوابل ومع ذلك حاجبان كانهما خطا بقلم أوسودا بحمم قد تقوسا على مثل عين العبهرة التى لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة بينهما أنف كحد السيف المصقول لم يخنس به قصر ولم يمض به طول حفت به وجنتان كالارجوان فى بياض محض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غر ذوات أشر وأسنان تعد كالدر وريق كالخمر له نشر الروض بالسحر يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان يزينه عقل وافر وجواب حاضر يلتقى بينهما شفتان حمراوان كالورد يجلبان ريقا كالشهد تحت ذاك عنق كابريق الفضة ركب فى صدر تمثال دمية يتصل به عضدان ممتلئان لحما مكتنزان شحما وذراعان ليس فيهما عظم يحس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان ريق قصبهما لين عصبهما تعقدان شئت بينهما الانامل وتركت الفصوص فى حفر المفاصل وقد تربع فى صدرها حقان كانهما رمانتان من تحت ذلك بطن طوى كطى القباطى المدمجة كسى عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهى الى خصر لولا رحمة الله لانخزل تحته كفل يقعدها اذا نهضت وينهضها اذا قعدت كانه دعص رمل لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفاوان كانهما نضيد الجمان تحملهما ساقان خدلجتان كالبردى وشيتا بشعر أسود كانه حلق الزرد ويحمل ذلك قدمان كحذو اللسان تبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما فاما ماسوى ذلك فتركت ان أصفه غير

انه أحسن ماوصفه واصف بنظم أونثر قال فأرسل الى أبيها يخطبها فكان من أمرهما ما تقدم ذكره فى صدر هذا الكتاب

﴿ صفة المرأة السوء ﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن يريد الجارية الحسناء فى المنبت السوء (وفى حكمة داود) المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله عنه (الاصمعى) عن أبى عمرو بن العلاء قال النساء ثلاثة هنية عفيفة مسلمة وأخرى للولد وثالثة غل قمل يلقيه الله فى عنق من يشاء من عباده (وقيل) لاعرابى عالم بالنساء صف لنا شر النساء قال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم الطويلة السقم المحياض الممراض الصفراء المشؤمة العسراء السليطة الذفراء النفرة السريعة الوثبة كان لسانها حربة تضحك من غير عجب وتقول الكذب وتدعوا على زوجها بالحرب أنف فى السماء وأست فى الماء (وفى رواية) محمد بن عبد السلام الخشنى قال اياك وكل امرأة مذكرة منكرة حديدة العرقوب بادية الظنبوب منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشى السيات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس فى قلبها له رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت وان طلقها كانت حرفته وان أمسكها كانت مصيبته سفعاء ورهاء كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما صخوب غضوب بذية دنية ليس تطفأ نارها ولا يهدأ أعصارها ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى فى المجامع بادية من حجابها نباحة على بابها تبكى وهى ظالمة تشهد وهى غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور (نافرت) امرأة فضالة زوجها الى مسلم بن قتيبة وهو والى خراسان فقالت ابغضه والله لخلال فيه قال وماهى قالت قليل الغيرة سريع الطيرة شديد العتاب كثير الحساب قد أقبل نخيره وقل زفيره وسجمت عيناه واضطربت رجلاه يفيق سريعا وينطق رجيعا يصبح حلسا ويمسى رجسا ان جاع جزع وان شبع خشع ومن صفة المرأة السوء يقال امرأة سمعنة نظرنة وهى التى اذا تسمعت أو تبصرت فلم ترشيأ تظننت تظننا

﴿قال اعرابى﴾

ان لنا لكنه * سمعنة نظرنه

معبـة مغنـه * كالريح حول القنه

* الاتره تظنه *

(وقال يزيد) بن عمـر بن هبـيرة لا تنكحن برشاء و لا عمشاء و لا وقصاء ولا لثغاء فيجيئك ولد الثغ فوالله لولد أعمى أحب الى من ولد الثغ (وقال) آخر عمر الرجـل خير من أوله يثوب حلمه وتثقل حصاته وتحمـد سريرته وتـكمل تجارته وآخر عمر المرأة شر من أوله يذهب جمالها ويذرب لسانها ويعقم رحمها ويسوء خلقها (وعن جعفر بن محمد) عليهما السلام اذا قال لك أحد تزوجت نصفا فاعلم ان شر النصفين ما بقى فى يده وأنشد

وان أنوك وقالوا انها نصف * فان أطيب نصفيها الذى ذهبا

﴿ وقال الحطيئة فى امرأته ﴾

أطوف ما أطوف ثم آوى * الى بيت قعيدته لـكاع

﴿ وقال فى أمه ﴾

تنحى فأجلسى مـنى بعيدا * أراح الله منـك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا عـلى المتحـدثينا
حياتك ماعلمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

﴿ وقال زيد بن عمير فى أمه ﴾

أعاتبها حـتى اذا قلت أقلـعت * أبى الله الاخزيها فتعـود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهى أبدا يزنى بها وتقـود

(ويقـال) ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فعلامة ذلك أن تـكون عند قربه منها مرتدة الطرف عنه كانها تنظر الى انسان غيره واذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه * وقال آخر يصف امرأة لثغاء

أول ما اسمع منها فى السحر * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر
* والسوأة السوآء فى ذكر القمر *

﴿ ولآخر فى زوجته ﴾

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى * ولكن قرين السوء باق معمر
فياليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وكان) روح بن زنباع أثيرا عند عبد الملك فقال له يوما أرأيت امرأتي العبشمية قال نعم قال بماذا شبهتها قال بمشجب بال قد أسيء صنعته قال صدقت وما وضعت يدي عليها قط الا كأني وضعتها على الشكاعى وأنا أحب ان تقول ذلك الى ابنيها الوليد وسليمان فقام اليه فزعا فقبل يده ورجله وقال انشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تعرضني لهما قال مامن ذلك بد وبعث من يدعوهما فاعتزل روح وجلس ناحية من البيت وجاء الوليد وسليمان قال لهما أتدريان لم بعثت اليكما انما بعثت لتعرفا لهذا الشيخ حقه وحرمته ثم سكت (ابو الحسن) المدائني كان عند روح بن زنباع هند بنت النعمان بن بشير وكان شديد الغيرة فاشرفت يوما تنظر الى وفد جذام كانوا عنده فزجرها فقالت والله انى لابغض الحلال من جذام فكيف تخافني على الحرام فيهم (وقالت) له يوما عجبا منك كيف يسوّدك قومك وفيك ثلاث خلال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال لها اما جذام فانى فى أرومتها وحسب الرجل أن يكون فى أرومة قومه وأما الجبن فان مالى الا نفس واحدة فأنا أحوطها فلو كانت لى نفس أخرى جدت بها وأما الغيرة فأمر لا أريد أن أشارك فيه وحقيق بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه فى حجره فقالت

وهل هند الا مهرة عربية * سليلة افراس تحللها بغل
فان انجبت مهرا عريقا فبالحرى * وان يك اقراف فما انجب الفحل

(وعن) الاصمعي قال قال ابو موسى جاءت امرأة الى رجل تدله على امرأة يتزوجها فقال

أقول لها لما اتتنى تدلنى * على امرأة موصوفة بجمال
أصبت لها والله زوجا كما اشتهت * ان احتملت منه ثلاث خصال
فنهن عجز لاينادى وليده * ورقة اسلام وقلة مال

(صفة الحسن) عن أبى الحسن المدائنى قال الحسن احمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب كما تضرب بيضة الادحى واللؤلؤة المكنونة وقد شبه الله عز وجل فى كتابه فقال كأنهن بيض مكنون وقال الشاعر

* كأن بيض نعام فى ملاحفها *

﴿ وقال آخر ﴾

من وزى الاديم تغمره الصفـــرة حينا لا يستحق اصفرارا
وجرى من دم الطبيعة فيه * لون ورد كسى البياض احمرارا

(وقالت) امرأة خالد بن صفوان له لقد أصبحت جميلا فقال لها وما رأيت من جمالي وما فى رداء الحسن ولا عموده ولا برنسه قالت وكيف ذلك قال عمود الحسن الشطاط ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر (وقالوا) ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر (ومنه) قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه (وقال عدى بن زيد يصف لون الوجه)

حمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ماحاك حائك ديباجا

(وقالوا) ان الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء (وقال الشاعر)

بيضاء ضحوتها وصفـــراء العشية كالعراره

﴿ وقال ذو الرمـة ﴾

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

﴿ ومن قولنـا ﴾

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

﴿ ومن قولنـا ﴾

ما ان رأيت ولا سمعت بمثـله * درا يعود من الحيـاء عقيقا

﴿ ومن قولنـا ﴾

كم شادن لطف الحيـاء بوجهه * فأصاره وردا على وجـناته

﴿ ومن قولنا ﴾

عقائل كالآرام اما وجوهها * فدر ولكنّ الخدود عقيق

(وقولهم) فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة على بعد فاذا دنت لم تكن كذلك والمليحة التى كلما كررت فيها بصرك زادتك حسنا (وقال بعضهم) السمينة الجميلة من الجمل وهو الشحم والمليحة أيضا من الملحة وهو البياض والصبيحة مثل ذلك يشبهونها بالصبح فى بياضه

﴿المنجبات من النساء﴾ قالوا أنجب النساء الفروك وذلك ان الرجل يغلبها على الشبق لزهدها فى الرجل (أبو حاتم) عن الاصمعى قال النجيبة التى تنزع بالولد الى أكرم العرقين (وقال) عمر بن الخطاب يابنى السائب انكم قداضويتم فانكحوافى النزاع (وقالت) العرب بنات العم أصبر والغرائب انجب والعرب تقول اغتربوا لاتضووا أى انكحوا فى الغرائب فان القـرائب يضوين البنين (وقالوا) اذا أردت أن يصلب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها وكذلك الفزعة وقال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقـد * حبك النطاق فشب غير مهبل
حملت به فى ليلة مزءودة * كرها وعقـد نطاقها لم يحلل

(قالت أم تأبط شرا) والله ماحملته تضعا ولا وضعا ولا وضعته يتنا ولا أرضعته غيلا ولا أبته ميقا حملتـه وضعا وتضعا وهى أن تحمله فى قبل الحيض ووضعتـه يتنا وضعته منكسا تخرج رجلاه قبل رأسه وأرضعته غيلا أرضعته لبنا فاسدا وذلك ان ترضعه وهى حامل وأبتـه ميقا أى مغضبا مغتاظا (ومن أمثال العرب) قولهم أنامئق وأنت تئق فلا نتفق المئق المغضب المغتاظ والتئق الذى لايحتمل شيأ

﴿من أخبار النساء﴾ لما قتل مصعب بن الزبير ابنة النعمان بن بشير الانصارية زوجة المختار بن أبى عبيد انكر الناس ذلك عليه وأعظموه لانه أتى بما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فى نساء المشركين فقال عمر بن أبى ربيعة

ان من أعظم الكبائر عندى * قتل حسنـاء غادة عطبول
قتلت باطـلا على غير ذنب * ان لله درهـا من قتيـل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغـانيات جر الذيول

ولما خرجت الخوارج بالاهواز أخذوا امرأة فهموا بقتلها فقالت لهم أتقتـلون من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فأمسكوا عنها

٣ — باب الطلاق — (محمد بن القاسم) قال حدثنى عبد الرحمن بن محمـد ابن أخى الاصمعى قال سمعت عمى يقول توصلت بالملح وادركت بالغريب وقال عمى للرشيـد فى بعض حديثه بلغنى يا أمير المؤمنين ان رجلا من العرب طلق فى يوم خمس نسوة قال انما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة فكيف طلق خمسا قال كان لرجل أربع نسوة فدخـل عليهن يوما

فوجدهن متلاحيات متنازعات وكان شنظيرا فقال الى متى هـذا التنازع ما أخال هذا الامر الا من قبلك يقول ذلك لامرأة منهن اذهبي فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقا فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقـد كانتا اليك محسنتين وعليك مفضلتين فقال وأنت أيتها المعددة اياديهما طالق أيضا فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها اناة شديدة ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك الا بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضاوكان ذلك بمسمع جارة له فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه فقالت والله ماشهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الاطلاق نسائك فى ساعة واحـدة قال وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق ان اجاز زوجك فأجابه من داخل بيته قد أجزت قد أجزت (ودخل) المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية وهى تتخلل حين انفلتت من صلاة الغداة فقال لها ان كنت تتخللين من طعام اليوم انك لجشعة وان كنت تتخللين من طعام البارحـة انك لشبعة كنت فبنت فقالت والله ما اغتبطنا اذ كنا ولا أسفنا اذ بنا وماهو لشىء مما ذكرت ولكنى استكت فتخللت للسواك فخرج المغيرة نادما على ماكان منه فلقيه يوسف بن أبى عقيل فقال له انى نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف فتزوجها فانها ستنجب فتزوجها فولدت له الحجاج (وقال) الحسن بن على بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة أمرك بيدك فقالت قد كان عشرين سنة بيدك فاحسنت حفظه فلم أضيعه اذ صار بيدى ساعة واحدة وقد صرفته اليك فاعجبه ذلك منها وأمسكها (وقال) ابو عبيدة طلق رجل امرأته وقال

لقـد طلقت أخت بنى غلاب * طلاقا ما أظن له ارتدادا
ولم أك كالمعـدل أو أويس * اذا ماطلقا ندما فعادا

قال ابو عبيدة وطلاق المعدل وأويس يضرب به المثل (ونكح) رجل امرأة من العرب فلما اهتداها رأت ربع داره أحسن ربع وشمل عياله أجمع شمل فقالت أما والله لئن بقيت لهم لاشتتن أمرهم وقالت فى ذلك

أرى نارا سأجعلها أرينـا * واترك أهلها شتى عزينا

فلما انتهى ذلك الى زوجها طلقها وقال فى ذلك

ألا قالت هـدى بنى عدى * أرى نارا سأجعلها أرينا
فبينى قبل أن تلحى عصانا * ويصبح أهلنـا شتى عزينا

(وقيل) لابن عباس ماتقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء (وقيل لاعرابى) هل لك فى النكاح قال لو قدرت أن أطلق نفسى لطلقتها (وعن الزهرى) قال قال ابو الدرداء لامرأته اذا رأيتنى غضبت فرضينى وان رأيتك غضبت ترضيتك والالم نصطحب قال الزهرى وهكذا تكون الاخوان قال الاصمعى كنت اختلف الى اعرابى اقتبس منـه الغريب فكنت اذا استأذنت عليـه يقول ياامامـة ائذنى له فتقول ادخل فاستأذنت عليـه مرارا فلم أسمعه يذكر امامة فقلت يرحمك الله ماأسمعك تذكر امامـة قال فوجم وجمـة فندمت على ماكان منى ثم أنشأ يقول

ظعنت امامـة بالطلاق * ونجوت من غل الوثاق
بانت فلم يألم لهـا * قلبى ولم تبك المـآقى
ودواء ما لا تشتهيـــه النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب من * الفين من غـير اتفاق

(وعن الشيبانى) قال طلق أبوموسى امرأته وقال فيها

تجهزى للطلاق وارتحـلى * فذا دواء المجانب الشرس
ما انت بالحبـة الولود ولا * عنـدك نفع يرجى لملتمس
لليلتى حـين بنت طالقـة * ألذ عندى من ليلة العرس
بت لديها بشر منزلة * لا أنا فى لذة ولا أنس
تلك على الخسف لانظير لها * وهـذه مايسوغ لى نفسى

أقبـل منظور بن ريان بن سيار الفزارى الى الزبـير فقال انما زوجناك ولم نزوج عبـد الله قال مالك قال انها تشكوه قال ياعبـدالله طلقها قال عبـدالله هى طالق قال ابن منظور أنا ابن قهـدم قال الزبير أنا ابن صفيـة أتريد ان يطلق المنـذر اختها قال لاتلك راضيـة بموضعهـا (وتزوج) محمـد بن عبـدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجـة بنت عروة بن الزبير فذكر لهـا جماله وكان يقال له المذهب من حسنه وكان رجلا مطلاقا فقالت محمد هو الدنيـا لايدوم نعيمها فلمـا طلقها خطبها ابراهيم بن هشام بن اسمعيل

المخزومى فكتب اليها

أعيذك بالرحمن من عيش شقوة * وان تطمعى يوما الى غير مطمع

اذاما ابن مظعون تحدر رشحه * عليك فبوئى بعد ذلك اودع

فردته ولم تتزوجه (وعن العتبى) عن أبيه قال أمهر الحجاج ابنة عبد الله ابن جعفر تسعين ألف دينار فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية فأمهل عبد الملك حتى اذا أطبق عليه الليل دق عليه الباب فأذن له عبد الملك ودخل عليه فقال له ماهذا الطروق أبا يزيد قال أمر والله لم ينتظر له الصبح هل علمت ان أحدا كان بينه و بين من عادى ما كان بين آل أبى سفيان وآل الزبير بن العوام فانى تزوجت اليهم فما فى الارض قبيلة من قريش أحب الىّ منهم فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج الى بنى هاشم وقد علمت مايقال فيهم فى آخر الزمان قال وصلتك رحم وكتب الى الحجاج يأمره بطلاقها ولا يراجعه فى ذلك فطلقها فأتاه الناس يعزونه وفيهم عمرو بن عتبة فجعل الحجاج يقع بخالد و ينتقصه و يقول انه صير الامر الى من هو أولى به منه وانه لم يكن لذلك أهلا فقال له عمرو بن عتبة ان خالدا أدرك من قبله وأتعب من بعده وعلم علما فسلم الامر الى أهله ولو طلب بقديم لم يغلب عليه أو بحديث لم يسبق اليه فلما سمعه الحجاج استحى فقال ياابن عتبة انا نسترضيكم بان نعتب عليكم ونستعطفكم بأن ننال منكم وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به وعلمنا انكم تحبون أن تحلموا فتعرضنا للذى تحبون

﴿ من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه ﴾ الهيثم بن عدى قال كانت تحت العريان ابن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذى ضيعت مشغول

﴿ فكتب اليها ﴾

من كان ذا شغل فالله يكلؤه * وقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه طرفا * وفى الليالى وفى أيامها طول

(وطلق) الوليد بن يزيد امرأته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه

وندم على ما كان منه فدخل عليه اشعب فقال له أبلغ سعدى عنى رسالة ولك منى خمسة آلاف درهم فقال عجلها فأمر له بها فلما قبضها قال هات رسالتك فأنشدها

أسعدى ما اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرا أن يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

فأتاها فاستأذن فدخل عليها فقالت له مابدا لك فى زيارتنا يا أشعب فقال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة وأنشدها الشعر فقالت لجوار بها خذن هذا الخبيث فقال ياسيدتى انه جعل لى خمسة آلاف درهم قالت والله لاعاقبنك أو لتبلغن اليه ما أقول لك قال سيدتى اجعلى شيأ قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت عنه وألقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت أنشده

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه وأنشده الشعر سقط فى يده وأخذته كظمة ثم سرى عنه فقال اختر واحدة من ثلاث اما أن نقتلك واما أن نطرحك من هذا القصر واما أن نلقيك الى هذه السباع فتحير أشعب وأطرق حينا ثم رفع رأسه فقال ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى فتبسم وخلى سبيله

﴿ وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه ﴾ عبد الرحمن بن أبى بكر أمره أبوه بطلاقها ثم دخل عليه فسمعه يتمثل

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شىء تطلق

فأمره بمراجعتها

﴿ وممن طلق امرأته فبعتها نفسه ﴾ الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم فى طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
فأصبحت الغداة ألوم نفسى * بأمر ليس لى فيه خيار

وكانت النوار ابنة عبد الله قد خطبها رجل رضيته وكان وليها غائبا وكان الفرزدق وليها الا انه كان أبعد من الغائب فجعلت أمرها الى الفرزدق وأشهدت له بالتفويض

اليـه فلما توثق منها بالشهود أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه فابت منـه ونافرته الى عبـدالله بن الزبير فنزل الفرزدق على حمزة بن عبـدالله ونزلت النوار على زوجة عبدالله ابن الزبير وهى بنت منظور بن زيان فكان كلما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهارا أفسدته المرأة ليـلا حتى غلبت المرأة وقضى ابن الزبير على الفرزدق فقال

أما البنون فلم تقبـل شـفاعتهم * وشفعت بنت منـظور بن زيانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

﴿ وقال الفرزدق فى مجلس ابن الزبير ﴾

وماخاصم الاقوام من ذى خصومة * كورهاء مدنوا اليها خليلها
فدونكها ياابن الزبير فانهـا * ملعنـة يوهى الحجـارة ميلهـا

فقـال ابن الزبير ان هـذا شاعر وسيهجونى فان شئت ضربت عنقه وان كرهت ذلك فاختـارى نكاحـه وقرى فقرت واختـارت نكاحـه ومكثت عنـده زمانا ثم طلقها وندم فى طلاقها (وعن الاصمعى) عن المعتمر بن سـليمان عن أبى مخزوم عن راوية الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امض بنـا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت له انى أخاف أن تتبعها نفسك و يشـهد عليك الحسن وأصحابه قال انهض بنـا فجئنـا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت أباسـعيد قال بخير قال كيف أصبحت ياأبا فراس فقال تعلمن انى طلقت النوار ثلاثا قال الحسن وأصحابه قد سمعنـا فانطلقنا فقال لى الفرزدق ياهـذا ان فى نفسى من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامـة الكسعى لما * غـدت منى مطلقـة نوار
وكانت جنتى فخـرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
ولو انى ملكـت بها يمينى * لكان علىّ للقـدر الخيـار

﴿ وممن طلق امرأته وتبعتها نفســه ﴾ قيس بن الذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم فقال فى ذلك

فوا كبـدى على تسريح لبنى * فكان فراق لبنى كالخـداع
تكنفنى الوشـاة فأزعجونى * فياللنـاس للواشى المطاع
فاصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع

كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه بعد البياع

(وطلق) رجل امرأته فقالت أبعد صحبة خمسين سنة فقال مالك عندنا ذنب غيره (العتبى) قال جاء رجل بامرأة كأنها برج فضة الى عبدالرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتى هذه شجتنى فقال لها أنت فعلت به قالت نعم غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى عقل ولا تقوى يدى على القصاص فقال عبدالرحمن للرجل ياهذا علام تحبسها وقد فعلت بك ما أرى قال أصدقتها أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسى بفراقها قال فان أعطيتها لك أتفارقها قال نعم قال فهى لك قال هى طالق اذا فقال عبدالرحمن احبسى علينا نفسك ثم أنشأ يقول

ياشيخ ويحك من دلاك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو الجلة الذلل

﴿ فى مكر النساء وغدرهن ﴾ فى حكمة داود عليه السلام وجدت من الرجال واحدا فى العدد ولم أجد واحدة فى النساء جميعا * وقال الهيثم بن عدى غزا الغسانى الحرث بن عمرو آكل المرار الكندى فلم يصبه فى منزله فأخذ ما وجد له واستاق امرأته فلما أصابها أعجبت به فقالت له انج فوالله لكانى أنظر اليه يتبعك فاغرا فاه كانه بعير آكل مرار وبلغ الحرث فاقبل يتبعه حتى لحقه فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته فقال لها هل أصابك قالت نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط فأمر بها فأوقفت بين فرسين ثم استحضرهما حتى تقطعت ثم قال

كل أنثى وان بدالك منها * آية الود حبها خيثعور
ان من غره النساء بود * بعد هند لجاهل مغرور

(وقالت) الحكماء لاتثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر (وقالوا) النساء حبائل الشيطان (وقال الشاعر)

تمتع بها ماساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وصنها وان كانت تفى لك انها * على مدد الايام سوف تخون

وان هي أعطتك الليان فانها * لآخر من طلابها ستلين
وان حلفت لا ينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان أسبلت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

(وقالت الحكماء) لم تنه امرأة قط عن شيء الا فعلته (وقال طفيل الغنوى)

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

(وعن الهيثم بن عدى) عن ابن عياش قال أرسل عبد الله بن همام السلولى شابا الى امرأة ليخطبها عليه فقالت له فما يمنعك أنت فقال لها ولى طمع فيك قالت ما عنك رغبة فتزوجها ثم انصرف الى ابن همام فقال له ما صنعت فقال والله ما تزوجتني الا بعد شرط قال أولهذا بعثتك فقال ابن همام فى ذلك

رأت غلاما على شرط الطلابة لا * يعيا بارقاص بردىّ الخلاخيل
مبطنا بدحيس اللحم تحسبه * مما يصور فى تلك التماثيل
اكفى من الكفء فى عقد النكاح وما * يعيا به حل هميان السراويل
تركتها والايامى غير واحدة * فاحبسه عن بيتها ياحابس الفيل

(وعن الهيثم بن عدى) عن ابن عياش قال كان النساء يجلسن لخطابهن فكانت امرأة من بنى سلول تخطب وكان عبد الله بن عاصم السلولى يخطبها فاذا دخل عليها تقول له فداك أبى وأمى وتقبل عليه تحدثه وكان شاب من بنى سلول يخطبها فاذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن هند قالت للشاب قم الى النار وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ثم ان الشاب تزوجها فلما بلغ ذلك عبد الله بن هند قال

أودى بحب سلمى فاتك لقن * كحية برزت من بين أحجار
اذا رأتنى تفدينى وتجعله * فى النار ياليتنى المجعول فى النار

﴿ وله فيها ﴾

ماذا تظن سلمى ان ألم بها * مرجل الرأس ذو بردين مزاح
حلو فكاهته خز عمامته * فى كفه من رقى الشيطان مفتاح

﴿ فى السرارى ﴾ تسرى الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام وتسرى النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية فولدت له ابراهيم ولما

صارت اليه صفية بنت حيي كان أزواجه يعيرنها باليهودية فشكت ذلك اليه فقال لها أما انك لو شئت لقلت فصدقت وصدقت أبي اسحق وجدي ابراهيم وعمي اسمعيل وأخي يوسف (ودخل) زيد بن علي على هشام بن عبد الملك فقال له بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها الا انك ابن أمة فقال له أما قولك انى أحدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله وأما قولك انى ابن أمة فاسمعيل ابن أمة أخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير (قال الاصمعى) وكان أكثر أهل أهل المدينة يكرهون الاماء حتى نشأ منهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ففاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس فى السرارى * وتزوج على بن الحسين جارية له وأعتقها فبلغ ذلك عبد الملك فكتب اليه يؤنبه فكتب اليه على ان الله رفع بالاسلام الخسيسة وأتم به النقيصة وأكرم به من اللؤم فلا عار على مسلم وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أمته وامرأة عبده فقال عبد الملك ان على بن الحسين يشرف من حيث يتضع الناس (وقال الشاعر)

لا تشتمن امرأ من ان تكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللاحساب آباء

(وقال بعضهم) عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ولمن أحفى شعره كيف أعفاه وعجبا لمن عرف الاماء كيف يقدم على الحرائر (وقالوا) الامة تشترى بالعين وترد بالعيب والحرة غل فى عنق من صارت اليه ﴿الهجناء﴾ العرب تسمى العجمى اذا أسلم المسلمانى ومنه يقال مسلمة السواد والهجين عندهم الذى أبوه عربى وأمه أعجمية والمدرع الذى أمه عربية وأبوه أعجمى (وقال الفرزدق)

اذا باهلى أنجبت حنظلية * له ولدا منها فذاك المدرع

والعجمى النصرانى ونحوه وان كان فصيحا والاعجمى الاخرس اللسان وان كان مسلما ومنه قيل زياد الاعجم وكان فى لسانه لكنة والفرس تسمى الهجين دوشن والعبد واش ونجاش ومن تزوج أمة نقاش وهو الذى يكون العهد دونه وسمى أيضا بوركان والعرب تسمى العبد الذى لا يخدم الا مادامت عليه عين مولاه عبد العين وكانت العرب فى الجاهلية لا تورث الهجين وكانت الفرس تطرح الهجين ولا تعده ولو وجدوا اما أمة على رأس ثلاثين اماما أفلح

عندهم ولا كان آزادولا كان بيده مزاد والا زادعندهم الحر والمزاد الريحان (وقال ابن الزبير) لعبد الرحمن بن أم الحكم

تباعت لما ان أتيت بلادهم * وفى أرضنا أنت الهمام القلمس
ألست ببغل أمه عربية * أبوه حمار ادبر الظهر ينخس

وشبه المدرع بالبغل اذا قيل له من أبوك قال أمي الفرس (ومما احتجت به الهجناء) أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الاسود وزوج خالدة بنت أبى لهب من عثمان بن أبى العاص الثقفى وبذلك احتج عبد الله بن جعفر اذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف فعيره الوليد بن عبد الملك فقال عبد الله بن جعفر سيف أبيك زوجه والله مافديت بها الاخبط رقبتى وأخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج ضباعة من المقداد وخالدة من عثمان بن أبى العاص ففيه قدوة وأسوة وزوج أبو سفيان ابنته أم الحكم بالطائف فى ثقيف (وقال لهذم الكاتب) فى عبد الله بن الاهتم وسأله فحرمه

وما بنو الاهتم الا كالرخم * لاشيء الا انهم لحم ودم
جاءت به جذام من أرض العجم * اهتم سلاح على ظهر القدم
* مقابل فى اللؤم من خال وعم *

(وكانت) بنو أمية لا تستخلف بنى الاماء وقالوا لا تصلح لهم العرب (زياد بن يحيى) قال حدثنا جبلة بن عبد الملك قالوا سابق عبد الملك سليمان ومسلمة فسبق سليمان مسلمة فقال عبد الملك

ألم انهكم ان تحملوا هجناءكم * على خيلكم يوم الرهان فتدرك
ومايستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك
وتضعف عضداه ويقصر سوطه * وتقصر رجلاه فلا يتحرك
وأدركنه خالاته فنزعنه * ألا ان عرق السوء لابد يدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيبانى فقال أتدرى من يقول هذا قال لا أدرى قال يقوله أخوك قال مسلمة ياأمير المؤمنين ماهكذا قال حاتم الطائى قال عبد الملك وماذا قال حاتم فقال مسلمة قال حاتم

وما انكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناها باسيافنا قسرا
فما زادها فينا السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
ولكن خلطناها بخير نسائنا * فجاءت بهم بيضا وجوههم زهرا
وكائن ترى فينا من ابن سبية * اذا لقى الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا
كريم اذا اعتز اللئيم تخاله * اذا ماسرى ليل الدجى قمرا بدرا

﴿ فقال عبد الملك كالمستحى ﴾

وماشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصحبينا

(قال الاصمعى) كانت بنو أمية لا تبايع لبنى أمهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك لاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ابن أم ولد فلما ولى الناقص ظن الناس انه الذى يذهب ملك بنى أمية على يديه وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى فلم يلبث الا سبعة أشهر حتى مات ووثب مكانه مروان بن محمد وأمه كردية فكانت الرواية عليه ولم يكن لعبد الملك بن أسد رأيا ولا أذكى عقلا ولا اشجع قلبا ولا أسمح نفسا ولا أسخى كفا من مسلمة وانما تركوه لهذا المعنى (وكان) يحيى بن أبى حفصة أخو مروان بن أبى حفصة يهوديا أسلم على يد عثمان بن عفان فكثر ماله فتزوج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ونقدها خمسين ألفا

﴿ وفيه يقول القلاخ ﴾

رأيت مقاتل الطلبات حلى * نحور بناته كمر الموالى
فلا تفخر بقيس ان قيسا * خريتم فوق أعظمه البوالى

﴿ وله فيه ﴾

نبئت خولة قالت حين انكحها * لطالما كنت منك العار انتظر
أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما * فى فيك مما رجوت الترب والحجر
لله در جياد أنت سائسها * برذنتها وبها التحجيل والغرر

﴿ فقال مقاتل يرد عليه ﴾

وما تركت خمسون ألفا لقائل * عليك فلا تحفل مقالة لائم

فان قلتم زوجت مولى فقد مضت * به سنة قبلى وحب الدراهم

و يقال ان غيره قال ذلك

٤ — باب فى الادعياء — (أول) دعى كان فى الاسلام واشتهر زياد بن عبيد دعى معاوية وكان من قصته انه وجهه بعض عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق الى عمر بفتح كان فلما قدم وأخبر عمر بالفتح فى أحسن بيان وأفصح لسان قال له عمر أتقدر على مثل هذا الكلام فى جماعة الناس على المنبر قال نعم وعلى أحسن منه وأنا لك أهيب فامر عمر بالصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لزياد قم فاخطب وقص على الناس ما فتح الله على اخوانهم المسلمين ففعل وأحسن وجود وعند أصل المنبر على بن أبى طالب وأبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان لعلى أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى قال نعم قال اما انه ابن عمك قال فكيف ذلك قال أنا قذفته فى رحم أمه سمية قال فما يمنعك ان تدعيه قال أخاف هذا الجالس على المنبر يعنى عمر أن يفسد على اهابى فلما ولى معاوية استلحقه بهذا الحديث وأقام له شهودا عليه فلما شهد الشهود قام زياد على أعقابهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هذا أمر لم أشهد أوله ولا علم لى بآخره وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم وشهد الشهود بما قد سمعتم والحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس وحفظ منا ما ضيعوا فاما عبيد فانما هو والد مبرور أو ربيب مشكور ثم جلس

﴿ فقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ﴾

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فقد ضاقت بما يأتى اليدان

أتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى ان يقال أبوك زان

وأشهد ان قربك من زياد * كقرب الفيل من ولد الاتان

(وقال) زياد ما هجيت ببيت قط أشد على من قول يزيد بن مفرغ الحميرى

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتأمير

عاشت سمية ما عاشت وما علمت * ان ابنها من قريش فى الجماهير

سبحان من ملك عباد بقدرته * لا يدفع الناس محتوم المقادير

وكان ولد سمية زيادا وأبا بكرة ونافعا فكان زياد ينسب فى قريش وأبو بكرة فى العرب ونافع فى الموالى

﴿ فقال فيهم يزيد بن مفرغ ﴾

ان زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندى من أعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا * من رحم أنثى مخالفى النسب
ذا قرشى فيما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربى

﴿ وقال بعض العراقيين فى أبى مسهر الكاتب ﴾

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها * ولو غرقت ثوبك بالمداد

﴿ وقال آخر فى دعى ﴾

لعين يورث الابناء لعنا * ويلطخ كل ذى نسب صحيح

(ولما) طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ونصر بن حجاج عند معاوية فى عبد الله بن حجاج مولى خالد بن الوليد أمر معاوية حاجبه ان يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف خز أخضر وأمر بحجر فأدنى منه وألقى عليه طرف المطرف ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس فقال نصر بن حجاج أخى وابن أبى عهد الى انه منه وقال عبد الرحمن مولاى وابن عبد أبى وأمته ولد على فراشه فقال معاوية يا حرسى خذ هذا الحجر وا كشف عنه فادفعه الى نصر بن حجاج وقال يا نصر هذا مالك فى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال الولد للفراش وللعاهر الحجر فقال نصر أفلا أجريت هذا الحكم فى زياد يا أمير المؤمنين قال ذاك حكم معاوية وهذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وليس فى الارض أسخى فى العرب من الادعياء لتستحق بذلك العربية

﴿ قال الشاعر ﴾

دعى واحد أجدى عليهم * من ألفى عالم مثل ابن داب
ككلب السوء يحرس جانبيه * وليس عدوه غير الكلاب

﴿ وقال الاصمعى ﴾ استمشى رجل من الادعياء فدخل عليه رجل من أصحابه فوجد عنده شيحا وقيصوما فقال له ماهذا فقال ورفع صوته الطبيعة تتوق اليه يريد ان طبيعته من طباع العرب فقال فيه الشاعر

يشم الشيح والقيصو * م كى يستوجب النسبا
وليس ضميره فى الصد * ر الا التين والعنبا

﴿ وعن اسمعيل بن أحمد ﴾ قال رأيت على أبى سعيد الشاعر المخزومى كردوانيا مصبوغا بتوريد فقلت أبا سعيد هذا خز قال لا ولكنه دعى على دعى وكان أبو سعيد دعيا فى بنى مخزوم

﴿ وفيه قال الشاعر ﴾

فتى تاه على الناس * شريف يا أبا سعد
فته ما شئت اذ كنت * بلا أب ولا جد
واذ حظك فى النسبة بين الحر والعبد
وان فارقك الفحش * ففى أمن من الحد

(وعن أحمد بن عبد العزيز) قال نزلت فى دار رجل من بنى عبد القيس بالبحرين فقال لى بلغنى انك خاطب قلت نعم قال فأنا أزوجك قلت له انى مولى قال اسكت وأنا أفعل

﴿ فقال أبو يحيى فيهم ﴾

أمن قلة صرتم الى ان قبلتم * دعارة زراع وآخر تاجر
وأصهب رومى وأسود فاحم * وأبيض جعد من سراة أحامر
شكولهم شتى وكل نسيبكم * لقد جئتم فى الناس احدى المناكر
متى قال انى منكم فصدق * وان كان زنجيا غليظ المشافر
أكلهم وافى النساء جدوده * وكلهم أوفى بصدق المعاذر
وكلهم قد كان فى أولية * له نسبة معروفة فى العشائر
على علمكم ان سوف ينكح فيكم * فجدعا ورغما للانوف الصواغر
فهلا أبيتم عفة وتكرما * وهلا وجلتم من مقالة شاعر
تعيبون أمرا ظاهرا فى بناتكم * وفخركم قد جاز كل مفاخر
متى شاء منكم مغرم كان جده * عمارة عبس خير تلك العمائر
وحصن بن بدر أو زرارة دارم * وزبان زبان الرئيس بن جابر
قد صرت لا أدرى وان كنت ناسيا * لعل نجارا من هلال بن عامر
وعل رجال الترك من آل مذحج * وعل تميما عصبة من يحامر
وعل رجال العجم من آل عالج * وعل البوادى بدلت بالحواضر

زعمتم بان الهند أولاد خندف * وبينكم قربى و بين البرابر
وديلم من نسل ابن ضبة باسل * وبرجان من أولاد عمرو بن عامر
بنو الاصفر الاملاك أكرم منكم * وأولى بقربانا ملوك الاكاسر
أأطمع فى صهرى دعيا مجاهرا * ولم نر شرا فى دعى مجاهر
ويشتم لؤما عرضه وعشيره * ويمدح جهلا طاهرا وابن طاهر

(وقال زرارة بن نزوان أحد بنى عامر بن ربيعة بن عامر)

قد اختلط الاسافل بالاعالى * وباح الناس واختلط النجار
وصار العبد مثل أبى قبيس * وسيق مع المعلهجة العشار
وانك لن يضيرك بعد حول * أطرف كان أمك أم حمار

﴿ وقال عقيل بن علقمة ﴾

وكنا بنى غبط رجالا فأصبحت * بنو مالك غبطا وصرنا لمالك
لحا الله دهرا زعزع المال كله * وسود أستاه الاماء الفوارك

(وذكر) جعفر بن سليمان بن على يوما ولده وانهم ليسوا كما يحب فقال له ولده احمد بن جعفر عمدت الى فاسقات المدينة ومكة واماء الحجاز فأوعيت فيهم نطفك ثم تريد أن ينجبن ألا فعلت فى ولدك مافعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها (ودخل) الاشعث بن قيس على على بن أبى طالب فوجد بين يديه صبية تدرج فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه زينب بنت أمير المؤمنين قال زوجنيها يا أمير المؤمنين قال أعزب بفيك الكثكث ولك الاثلب أغرك ابن أبى قحافة حين زوجك أم فروة انها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم فقال قد زوجتم أخمل منى حسبا وأوضع منى نسبا المقداد بن عمرو وان شئت فالمقداد بن الاسود قال على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله وهو أعلم بما فعل ولئن عدت الى مثلها لاسوأنك وفى هذا المعنى قال الكميت بن زيد

وما ضربت فحول بنى نزار * فوالح من فحول الاعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق * مطهمة فيلقوا مبغلينا
بنى الاعمام انكحنا الايامى * وبالآباء سمينا البنينا

أراد تزويج أبرهة الحبشي فى كندة (عن العتبي) قال انشدني أبو اسحق ابراهيم بن خراش لخالد النجار

اليوم من هاشم بخ وأنت غدا * مولى و بعد غد حلف من العرب
ان صح هذا فأنت الناس كلهم * ياهاشمي ويامولى وياعربي

قال وكان الهيثم بن عدى فيما زعموا دعيا فقال فيه الشاعر

الهيثم بن عدى من تنقله * فى كل يوم له رحل على قتب
اذا اجتدى معشرا من فضل نسبتهم * فلم ينيلوه عداهم الى نسب
فما يزال له حل ومرتحل * الى النصارى وأحيانا الى العرب
اذا نسبت عديا فى بنى ثعل * فقدم الدال قبل العين فى النسب

﴿ وقال سيار العقيلي ﴾

ان عمرا فاعرفوه * عربى من زجاج
مظلم النسبة لايعرف الا بالسراج

﴿ وقال فيه ﴾

ارفق بنسبة عمرو حين تنسبه * فانه عربى من قوارير
مازال فى كير حداد يردده * حتى بدا عربيا مظلم النور

﴿ وقال أيضا فى أدعياء ﴾

هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا * يدخل بعد العشاء فى العرب
حتى اذا ما الصباح لاح لهم * بين ستوقهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفة * اعلم شيء بزائف الذهب

﴿ وقال ابو نواس فى أشجع بن عمرو ﴾

قل لمن يدعى سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

﴿ وقال فيه ﴾

أيا متحيرا فيه * لمن يتعجب العجب
لاسماء تعلمهن * أشجع حين ينتسب

﴿ ولاحمد بن أبي الحرث الخراز في نصيب الطائي ﴾

لو انك اذجعلت اباك أوسا * جعلت الجد حارثة بن لام
وسميت التي ولدتك سعدى * فكنت مقابلا بين الكرام

﴿ وله فيه ﴾

أنت عندي عربي * ليس في ذاك كلام
شعر فخذيك وساقيك خزامى وثمام
وضلوع الصدر من * جسمك نبع و بشام
وقذى عينيك صمغ * ونواصيك ثغام
لو تحركت كذا لانجفلت منك نعام
وظباء سانحات * ويرابيع عظام
وحمام يتغنى * حبذا ذاك الحمام
أنا ما ذنبي ان كذ * بني فيك الكرام
القفا يشهد اذ ما * عرفت فيك الانام
كذبوا ما أنت الا * عربي والسلام

﴿ وقال في المعلى الطائي ﴾

معلى لست من طي * فان قبلتك فارهنها
أبيك فارم في أخ * فلا ترغب به عنها
كان دماملا جمعت * فصور وجهه منها

﴿ ولآخر ﴾

نعلمها واخوته * فكلهم بها ذرب
لقد ربوا عجوزهم * ولو زبنتها غضبوا
فيالك عصبة ان حد * ثوا عن أصلهم كذبوا
لهم في بيتهم نسب * وفي وسط الملا نسب
كما لم تخف سافرة * وتخفى حين تنتقب

﴿ وقال خلف بن خليفة في الادعياء ﴾

فقل للاكرمين بنى نزار * وعند كرائم العرب الشفاء
أآخر مرتين سبيتمونا * وفى الاسلام ما كره السباء
اذا استحللتم هذا وهذا * فليس لنا على ذا كم بقاء
فلا تأمن على حال دعيا * فليس له على حال وفاء

٥ — فى الباه وماقيل فيه — ذكر عند مالك بن أنس الباه فقال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقل منه أو أكثر (وقال) معاوية مارأيتهما فى النساء الاعرفت ذلك فى وجهه (وقال) الحجاج لابن شماخ العكلى ماعندك للنساء قال أطيل الظماء وأرد فلا أشرب (وقيل) للمداينى ماعندك يا أبا الحجاف قال يمتد ولا يشتد ويرد ولا يشرب (وقيل) لآخر ماعندك لهن قال ماقطع حجتها ويشفى غلمتها (وقال) كسرى كنت أرانى انى اذا كبرت انهن لايحببنى فاذا أنا لا أحبهن (وانشد) الرياشى لاعرابى من بنى أسد

تمنيت لو عاد شرخ الشباب * فلا شىء عندى لها ممكنا
فأما الحسان فيأبيننى * وأما القباح فآبى أنا

(ودخل عيسى بن موسى على جارية فلم يقدر على شىء فقال)

النفس تطمع والاسباب عاجزة * والنفس تهلك بين اليأس والطمع

(وخلا ثمامة بن أشرس) بجارية له فعجز فقال ويحك ما أوسع حرك فقالت

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * و يشتكى الضيق منه حين يلقاه

﴿ وقال آخر لجاريته ﴾

و يعجبنى منك عند الجماع * حياة الكلام وموت النظر

﴿ وقال آخر ﴾

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسبح بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالذوائب والقرون

(وقالت) امرأة كوفية دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون فسمعت زفيرا ونخيرا لم يسمع قط مثله ثم خرجت وجبينها يتفصد عرقا فقلت لها ماظننت ان حرة تفعل مثل هذا فقالت ان الخيل العتاق تشرب بالصفير (وقيل) لاعرابى ماعندك للنساء فأشار الى متاعه وقال

وتراه بعد ثلاث عشر قائما * نظر المؤذن شك يوم سحاب

﴿وقال الفرزدق﴾

أنا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على مالا يجوز
وقال رق ايرك مذ كبرنا * فقلت لها بل اتسع القفيز

﴿ وقال الراجز ﴾

لايعقب التقبيل الازب * ينزع منه الاير نزع الصب
ولا يداوى من صميم الحب * الا احتضان الركب الازب

(وروى) زياد عن مالك عن محمد بن يحيي بن حسان ان جدته عاتبت جده فى قلة اتيانه اياها فقال لها ماأنا وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالت وماقضاء عمر قال قضى ان الرجل اذا أتى امرأته عند كل طهر فقد أدى حقها قالت أفترك الناس كلهم قضاء عمر وأقمت أنا وأنت عليه (وقال اعرابى حين كبر وعجز)

عجبت من ايرى كيف يصنع * أدفعه باصبعى ويرجع
يقوم بعد النشر ثم يصرع

(ودخلت) عزة صاحبة كثير على أم البنين زوج عبد الملك بن مروان فقالت لها اخبرينى عن قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

ماهذا الدين الذى طلبك به قالت وعدته بقبلة فخرجت منها قالت انجزيها وعلى اثمها
(أهديت) جارية الى حماد عجرد وهو جالس مع أصحابه على لذة فتركهم وقام بها الى مجلس له فافتضها وكتب اليهم

قد فتحت الحصن بعد امتناع * بسنان فاتح للقلاع
ظفرت كفى بتفريق جمع * جاءنا تفريقه باجتماع
واذا شملى وشمل خليلى * انما يلتام بعد انصداع

﴿آخر﴾

لم يوافق طباع هذا طباعى * فأنا وهى دهرنا فى صراع
وتحريت ان أنال رضاها * فأبت غير جفوة وامتناع

فتفكرت لم بليت بهذا * فاذا ان ذا لضعف المتاع

(وقع) بين رجل وامرأته شر فجعل يحيل عليها بالجماع فقالت فعل الله بك كلما وقع بيننا شيء جئتني بشفيع لا أقدر على رده (وأقبل) رجل الى على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني قتلتني قال اقتلها وعلىّ اثمها (وقال) هشام ابن عبد الملك للابرش الكلبي زوجني امرأة من كلب ففعل وصارت عنده فقال له هشام ودخل عليه لقد وجدنا في نساء كلب سعة فقال له الابرش ان نساء كلب خلقن لرجال كلب (وقالوا) من ناك لنفسه لم يضعف أبدا ولم ينقطع ومن فعل ذلك لغيره فذاك الذى يضنى و ينقطع يعنون من فعل ذلك ليبلغ أقصى شهوة المرأة و يطلب الذكر عندها

﴿ وقال الشاعر ﴾

من ناك للذكر أضنى قبل مدته * لا يقطع النيك الا كل منهوم

(وقالوا) من قل جماعه فهو أصح بدنا وأطول عمرا و يعتبرون ذلك بذكر الحيوان وذلك انه ليس في الحيوان أطول عمرا من البغل ولا أقصر عمرا من العصافير وهي أكثر سفادا والله أعلم



٢٢

كتاب الجمانة الثانية

﴿ فى المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ﴾

﴿ قال الفقيه أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه ﴾ قد مضى قولنا فى النساء والادعياء وما قيل فى ذلك من الشعر ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى كتابنا هذا ذكر المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين فان أخبارهم حدائق مونقة ورياض زاهرة لما فيها من طرفة ونادرة فكأنها أنوار مزخرفة أوحلل منشرة دانية القطوف من جانى ثمرتها قريبة المسافة لمن طابها فاذا تأملها الناظر وأصغى اليها السامع وجدها ملهى للسمع ومرتعا للنظر وسكنا للروح ولقاحا للعقل وسميرا فى الوحدة وأنيسا فى الوحشة وصاحبا فى السفر وأنيسا فى الحضر (قال أبو الطيب الربذى) أخذ رجل ادعى النبوة أيام المهدى فأدخل عليه فقال له أنت نبى قال نعم قال والى من بعثت قال أوتركتمونى أذهب الى أحد ساعة بعثت وضعتمونى فى الحبس فضحك منه المهدى وخلى سبيله (ادعى) رجل النبوة بالبصرة فأتى به سليمان بن على مقيدا فقال له أنت نبى مرسل قال أما الساعة فانى مقيد قال ويحك من بعثك قال أبهذا يخاطب الانبياء ياضعيف والله لولا انى مقيد لأمرت جبريل يدمدمها عليكم قال فالمقيد لاتجاب له دعوة قال نعم الانبياء خاصة اذا قيدت لم يرتفع دعاؤها فضحك سليمان فقال له أنا أطلقك وأمر جبريل فان أطاعك آمنا بك وصدقناك قال صدق الله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فضحك سليمان وسأل عنه فشهد عنده انه ممرور فخلى سبيله (قال) ثمامة بن اشرس شهدت المأمون أتى برجل ادعى النبوة

وانه ابراهيم الخليل فقال المأمون ماسمعت أجرأ على الله من هذا قلت أكلمه قال شانك به فقلت له ياهذا ان ابراهيم كانت له براهين قال وما براهينه قلت أضرمت له نار وألقى فيها فصارت بردا وسلاما فنحن نضرم لك ناراو نطرحك فيها فان كانت عليك بردا كما كانت على ابراهيم آمنا بك وصدقناك قال هات ماهو ألين على من هذا قال براهين موسى قال وما كانت براهين موسى قال عصاه التى ألقاها فصارت حية تسعى تلقف مايأفكون وضرب بها البحر فانفلق و بياض يده من غير سوء قال هذا أصعب هات ماهو ألين من هذا قلت براهين عيسى قال وما براهين عيسى قلت كان يحيي الموتى و يمشي على الماء و يبرىء الاكمه والابرص فقال فى براهين عيسى جئت بالطامة الكبرى قلت لابد من برهان فقال مامعي شيء من هذا قد قلت لجبريل انكم توجهونى الى شياطين فاعطونى حجة أذهب بها اليهم واحتج عليهم فغضب وقال بدأت أنت بالشر قبل كل شيء اذهب الآن فانظر مايقول لك القوم وقال هذا من الانبياء لايصلح الا للتخمر فقلت ياأمير المؤمنين هذا هاج به مرارا واعلام ذلك فيه قال صدقت دعه (ادعى) رجل النبوة فى أيام المهدى فأدخل عليه فقال له أنت نبي قال نعم قال ومتى نبئت قال وماتصنع بالتاريخ قال ففى أى المواضع جاءتك النبوة قال وقعنا والله فى شغل ليس هذا من مسائل الانبياء ان كان رأيك أن تصدقنى فى كل ماقلت لك فاعمل بقولى وان كنت عزمت على تكذيبي فدعنى أذهب عنك فقال المهدى هذا مالايجوز اذا كان فيه فساد الدين قال واعجبالك تغضب لدينك لفساده ولا أغضب أنا لفساد نبوتى أنت والله ماقويت على الابعن بن زائدة والحسن بن قحطبة وماشبههما من قوادك وعلى يمين المهدى شريك القاضي قال ماتقول فى هذا النبي ياشريك قال شاورت هذا فى أمرى وتركت أن تشاورنى قال هات ماعندك قال أحاكمك فيما جاء به من قبلي من الرسل قال رضيت قال أكافر أنا عندك أم مؤمن قال كافر قال فان الله يقول ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم فلاتطعنى ولاتؤذنى ودعنى أذهب الى الضعفاء والمساكين فانهم أتباع الانبياء وأدع الملوك والجبابرة فانهم حطب جهنم فضحك المهدى وخلى سبيله (قال) خلف بن خليفة ادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به خالد فقال له ماتقول قال عارضت

فى القرآن ما يقول الله تعالى انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر قلت أناما هو أحسن من هذا انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر وكافر فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب على خشبة فمر به خلف بن خليفة الشاعر وقال انا أعطيناك العمود فصل لربك على عود وأنا ضامن ان لا تعود (قال) وانى لقاعد على مجلس عبد الله بن حازم وهو على الجسر ببغداد فاذا بجماعة قد أحاطت برجل ادعى النبوة فقدم الى عبد الله فقال له أنت نبى قال نعم قال والى من بعثت قال وما عليك بعثت الى الشيطان فضحك عبد الله بن حازم وقال دعوه يذهب الى الشيطان الرجيم (وقال) ثمامة بن أشرس كنت فى الحبس فأدخل علينا رجل ذو هيئة وبزة ومنظر فقلت له من أنت جعلت فداك وماذنبك وفى يدى كاس دعوت بها لاشربها قال جاؤا بى هؤلاء السفهاء لانى جئت بالحق من عند ربى أنا نبى مرسل قلت جعلت فداك معك دليل قال نعم معى أكبر الادلة ادفعوا الىّ امرأة أحبلها لكم فتأتى بمولود يشهد بصدقى قال ثمامة فناولته الكاس وقلت له اشرب صلى الله عليك (محمد بن عتاب) قال رأيت بالرقة أيام الرشيد جماعة أحاطت برجل فأشرفت عليه فاذا رجل له جهارة وبنية قلت ماقصة هذا قالوا ادعى النبوة قلت كذبتم عليه مثل هذا لا يدعى الباطل فرفع رأسه الىّ فقال وما علمك انهم قالوا علىّ الباطل قلت له وأنت نبى قال نعم قلت له مادليلك قال دليلى انك زلد زنا قلت نبى يقذف المحصنات قال بهذا بعثت قلت أنا كافر بما بعثت به قال ومن كفر فعليه كفره فاذا حصاة عابرة جاءت حتى صكت صلعته قال مارماها الا ابن الزانية ثم رفع رأسه الى السماء فقال ما أردتم بى خيرا حيث طرحتمونى فى يدى هؤلاء الجهال (ادعى) رجل النبوة فى أيام المأمون فقال ليحيى بن أكثم امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبى والى دعواه فركبنا متنكرين ومعنا خادم حتى وصلنا اليه وكان مستترا بمذهبه فخرج اذنه وقال من أنتما فقلنا رجلان يريدان ان يسلما على يديه فأذن لهما ودخلا فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فالتفت اليه المأمون فقال له الى من بعثت قال الى الناس كافة قال فيوحى اليك أم ترى فى المنام أم ينفث فى قلبك أم تناجى أم تكلم قال بل أناجى وأكلم قال ومن يأتيك بذلك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال قبل ان تأتينى بساعة قال فما أوحى اليك قال أوحى الى انه سيدخل علىّ رجلان فيجلس

أحدهما عن يميني والآخر عن يساري فالذي عن يساري الوط خلق الله قال المأمون أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وخر جا يتضاحكان (تنبأ) رجل بالكوفة وأحل الخمر ولقي ابن عياش وكان مغرما بالشراب فقال له أشعرت انه بعث نبي يحل الخمر قال اذا لا يقبل منه حتى يبرئ الاكمه والابرص وأتى به عامل الكوفة فاستتابه فأبى ان يتوب ويرجع فأتته أمه تبكي فقال لها تنحي ربط الله على قلبك كما ربط على قلب أم موسى وأتاه أبوه يطلب اليه فقال له تنح يا آزر فأمر به العامل فقتل وصلب (وذكر) بعض الكوفيين قال بينا أنا جالس بالكوفة في منزلي اذ جاءني صديق لي فقال لي انه ظهر بالكوفة رجل يدعي النبوة فقم بنا اليه نكلمه ونعرف ما عنده فقمت معه فصرنا الى باب داره فقرعنا الباب وسألنا الدخول عليه فأخذ علينا العهود والمواثيق اذا دخلنا عليه وكلمناه وسألناه ان كان على حق اتبعناه وان كان على غير ذلك كتمنا عليه ولم نؤذه فدخلنا فاذا شيخ خراساني أخبث من رأيت على وجه الارض واذا هو أصلع فقال صاحبي وكان أعور دعني حتى أسائله قلت دونك قال جعلت فداك ما أنت قال نبي قال وما دليلك قال أنت أعور عينك اليمنى فاقلع عينك اليسرى تصير أعمى ثم ادعو الله فيرد عليك بصرك فقلت لصاحبي انصفك الرجل قال فاقلع أنت عينيك جميعا وخرجنا نضحك (وأتي) المأمون بانسان متنبي فقال له ألك علامة قال نعم علامتي اني أعلم ما في نفسك قال قربت علي ما في نفسي قال له في نفسك اني كذاب قال صدقت وأمر به الى الحبس فأقام به أياما ثم أخرجه فقال أوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبس فضحك المأمون وأطلقه (وتنبأ) انسان وسمى نفسه نوحا صاحب الفلك وذكر انه سيكون طوفان على يديه الا من اتبعه ومعه صاحب له قد آمن به وصدقه فأتي به الوالي فاستتابه فلم يتب فأمر به فصلب واستتاب صاحبه فتاب فناداه من الخشبة يا فلان أتسلمني الآن في مثل هذه الحالة فقال يا نوح قد علمت انه لا يصحبك من السفينة الا الصاري (قال) وحمل الى المأمون من اذربيجان رجل قد تنبأ فقال يا ثمامة ناظره فقال ما أكثر الانبياء في دولتك يا أمير المؤمنين ثم التفت الى المتنبي فقال له ما شاهدك على النبوة قال تحضر لي يا ثمامة امرأتك أنكحها بين يديك فتلد غلاما ينطق في المهد يخبرك اني نبي فقال ثمامة أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال المأمون ما أسرع ما آمنت به قال وأنت يا أمير المؤمنين ما أهون عليك ان تتناول امرأتي على فراشك فضحك المأمون وأطلقه

١ — أخبار الممرورين والمجانين — قال أبو الحسن كان بالبصرة ممرور يقال له عليان بن أبي مالك وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه وكان راوية للشعر بصيرا بجيده فذكر عن عبد الله بن ادريس صاحب الحديث قال أخرجه الصبيان مرة حتى هجم علينا في الدار فقال لي الخادم هذا عليان قد هجم علينا والصبيان في طلبه فقلت ادفع الباب في وجوه الصبيان واخرج اليه طعاما وطبقا عليه رطب مشان وملتفات وأرغفة فلما وضعه بين يديه حمد الله وأثنى عليه وقال هذا رحمة الله وأشار الى الطعام كان أولئك من عذاب الله وأشار الى الصبيان ثم جعل يأكل والصبيان يرجمون الباب وهو يقول فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال ادريس فلما انقضى طعامه قلت له يا عليان مالك تروي الشعر ولا تقوله قال أني كالمسن أشحذ ولا أقطع وكان بصيرا بالشعر فقلت أي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي لا يحجب عن القلب قلت مثل ماذا قال مثل قول جميل

ألا أيها النوام ويحكم هبوا * أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

قال فأنشد النصف الاول بصوت ضعيف وأنشد النصف الآخر بصوت رفيع ثم قال ألا ترى النصف الاول كيف استأذن على القلب فلم يأذن له والنصف الثاني استأذن على القلب فأذن له قلت وماذا قال مثل قول الشاعر

ندمت على ما كان مني فقدتني * كما ندم المغبون حين يبيع

ثم قال أتستطيب قوله فقدتني بالله يا ابن ادريس قلت بلى فضرب بيده على فخذي وقال قم يشيب الله قرنك وابن ادريس يومئذ ابن ثمانين سنة (وحكى) عن ابن ادريس قال مررت به في مربعة كندة وهو جالس على رماد وبيده قطعة من جص وهو يخبط بها في الرماد فقلت له ما تصنع ههنا يا ابن أبي مالك قال ما كان يصنع صاحبنا قلت ومن صاحبك قال مجنون بني عامر قلت وما كان يصنع قال أما سمعته يقول

عشية مالي حيلة غير انني * بلقط الحصى والجص في الدار مولع

قلت ما سمعته فرفع رأسه الي متضاحكا فقال ما يقول الله عز وجل ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا قلت سمعته أو رأيته هذا كلام من كلام العرب

ولا علم لى به قلت يا ابن أبى مالك متى تقوم القيامة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل غير انه من مات قامت قيامته قلت فالمصلوب يعذب عذاب القبر قال ان حقت عليه كلمة العذاب يعذب وما يدريك لعل جسده فى عذاب من عذاب الله لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا فان لله لطفا لا يدرك قلت ما تقول فى النبيذ حلال أم حرام قال حلال قلت أتشربه قال ان شربته فقد شربه وكيع وهو قدوة قلت أتقتدى بوكيع فى تحليله ولا تقتدى بى فى تحريمه وأنا أسن منه قال ان قول وكيع مع اتفاق أهل البلد عليه أحب الى من قولك مع اختلاف أهل البلدة عليك قلت فما تقول فى الغناء قال قد غنى البراء بن عازب وعبد الله بن رواحة وسمع الغناء عبد الله بن عمر وكان عبد الله بن جعفر قلت ايش كان عبد الله بن جعفر قال انما سألتنى عن الغناء ولم تسألنى عن ضرب العيدان (وكان) بالبصرة مجنون يأوى الى دكان خياط وبيده قصبة قد جعل فى رأسها أكرة ولف عليها خرقة لئلا يؤذى بها الناس فكان اذا أحرده الصبيان التفت الى الخياط وقال له قد حمى الوطيس وطاب اللقاء فما ترى فيقول شأنك بهم فيشد عليهم ويقول

أشد على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

فاذا أدرك منهم صبيا رمى بنفسه الى الارض وأبدى له عورته فيتركه وينصرف ويقول عورة المؤمن حمى ولولا ذلك لتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صفين ثم يقول وينادى

أنا الرجل الضرب الذى يعرفوننى * خشاش كرأس الحية المتوقد

ثم يرجع الى دكان الخياط ويلقى العصا من يده ويقول

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

(وكان) بالبصرة رجل من التجار يكنى أبا سعيد وكانت له جارية تدعى جيرين وكان بها كلفا فمر يوما بعليان وقد أحاط به الناس فقالوا له هذا أبو سعيد صاحب جيرين فناداه أبا سعيد قال نعم قال أتحب جيرين قال نعم قال وتحبك قال نعم فأنشأ يقول

نبئتها عشقت حشاشة قلت لهم * ما يعشق الحش الا كل كناس

فضحك الناس من أبى سعيد ومضى (ومر ابن أبى الزرقاء) صاحب شرطة ابن هبيرة بصياح

الموسوس فقال له يا ابن أبي الزرقاء أسمنت برذونك وأهزلت دينك أما والله ان أمامك عقبة لا يجاوزها الا المخف فوقف ابن أبي الزرقاء فقيل له هو صياح الموسوس قال ما هذا بموسوس * وقال ابراهيم الشيباني مررت ببهلول المجنون وهو يأكل خبيصا فقلت أطعمني قال ليس هو لي انما هو لعاتكة بنت الخليفة بعثته الى لآكله لها وكان البهلول هذا يتشيع فقيل له اشتم فاطمة وأعطيك درهما فقال بل اشتم عائشة وأعطني نصف درهم (وقال) ابن عبد الملك يعرف حمق الرجل في أربع لحيته وشناعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه فدخل عليه شيخ طويل العثنون فقال أما هذا فقد أتاكم بواحدة فانظروا أين هو من الثلاث فقيل له ما كنيتك قال أبو الياقوت قيل فنقش خاتمك قال وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد قيل أي الطعام تشتهي قال خلنجبين (وسمع) عمر بن عبد العزيز رجلا ينادي يا أبا العمرين فقال لو كان عاقلا لكفاه أحدهما (وقيل) لداود المصاب في مصيبة نزلت به لا تتهم الله في قضائه قال أقول لك شيا على الامانة قال قل قال والله ما بي غيره (ودخل) أبو عتاب على عمر ابن هداب وقد كف بصره والناس يعزونه فقال له أبا يزيد لا يسوءك فقدهما فانك لو دريت بثوابهما تمنيت ان الله قطع يديك ورجليك ودق عنقك (ودخل) على قوم يعودمريضا لهم فبدأ يعزيهم قالوا انه لم يمت فخرج وهو يقول يموت ان شاء الله يموت ان شاء الله (ووقع) بين أبي عباد وبين ابنه كلام قال لو لا انك أبي وانك أسن مني لعرفت (أبو حاتم) عن الاصمعي عن نافع قال كان العناصري من أحمق الناس فقيل له ما رأيت من حمقه فسكت فلما أكثر عليه قال قال لي مرة البحر من حفرة وأين ترابه الذي خرج منه وهل يقدر الامير ان يحفر مثله في ثلاثة أيام (ودخل) رجل من النوكى على الشعبي وهو جالس مع امرأته فقال أيكم الشعبي فقال هذه فقال ما تقول أصلحك الله في رجل شتمني أول يوم من رمضان هل يؤجر قال ان كان قال لك يا أحمق فاني أرجو له (وسأل) رجل آخر الشعبي فقال ما تقول في رجل في الصلاة أدخل أصبعه في أنفه فخرج عليها دم أترى له ان يحتجم فقال الشعبي الحمد لله الذي نقلنا من الفقه الى الحجامة (وقال) له آخر كيف تسمى امرأة ابليس قال ذاك نكاح ماشهدناه (العتبي) قال سمعت أبا عبد الرحمن بشرا يقول كان في زمن المهدي رجل

صوفى وكان عاقلا عالما فيجد ليجد السبيل الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكان يركب قصبة فى كل جمعة يومين الاثنين والخميس فاذا ركب فى هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان فيصعد تلا وينادى باعلى صوته مافعل النبيون والمرسلون أليسوا فى أعلى عليين فيقولون ثم قال هاتوا أبابكر الصديق فأخذ غلام فأجلس بين يديه فيقول جزاك الله خيرا أبابكر عن الرعية فقد عدلت وقمت بالقسط وخلفت محمدا عليه الصلاة والسلام فى حسن الخلافة ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع وفرغت منه الى أوثق عروة وأحسن ثقة اذهبوا به الى أعلى عليين ثم ينادى هاتوا عمر فأجلس بين يديه غلام فقال جزاك الله خيرا أباحفص عن الاسلام قد فتحت الفتوح ووسعت الفىء وسلكت سبيل الصالحين وعدلت فى الرعية اذهبوا به الى أعلى عليين بحذاء أبى بكر ثم يقول هاتوا عثمان فأتى بغلام فأجلس بين يديه فيقول له خلطت فى تلك السنين ولكن الله تعالى يقول خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه فى أعلى عليين ثم يقول هاتوا على بن أبى طالب فأجلس غلام بين يديه فيقول جزاك الله عن الامة خيرا أباالحسن فأنت الوصى وولى النبى بسطت العدل وزهدت فى الدنيا واعتزلت الفىء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر وأنت أبو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة اذهبوا به الى أعلى عليين الفردوس ثم يقول هاتوا معاوية فأجلس بين يديه صبى فقال له أنت القاتل عمار بن ياسر وخزيمة ابن ثابت ذا الشهادتين وحجر بن الادبر الكندى الذى أخلقت وجهه العبادة وأنت الذى جعل الخلافة ملكا واستأثر بالفىء وحكم بالهوى واستبطر بالنعمة وأنت أول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض أحكامه وقام بالبغى اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة ثم قال هاتوا يزيد فأجلس بين يديه غلام فقال له ياقواد أنت الذى قتلت أهل الحرة وأبحت المدينة ثلاثة أيام وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآويت الملحدين وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمثلت بشعر الجاهلية

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

وقتلت حسينا وحملت بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الابل

اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار ولا يزال يذكر واليا بعد وال حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال هاتوا عمر فأتى بغلام فأجلس بين يديه فقال جزاك الله خيرا عن الاسلام فقد أحييت العدل بعد موته وألنت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق اذهبوا به فألحقوه بالصديقين ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى ان بلغ دولة بنى العباس فسكت فقيل له هذا أبو العباس أمير المؤمنين قال فبلغ أمرنا الى بنى هاشم ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم فى النار جميعا (ومن مجانين) الكوفة عنباوة وطاق البصل قيل لعنباوة من أحسن أنت أو طاق البصل قال أنا شىء وطاق البصل شىء وكان طاق البصل يغنى بقيراط و يسكت بدانق وكان عنباوة وعبد الغفار يأمر به من يعبث فيصفعه فحشى قفاه خراء وقعد على قارعة الطريق فاذا صفعه أحد قال شم يدك يافتى فلم يصفعه أحد بعد ذلك (ووعد) رجل رجلا من الحمقى ان يهدى له نعلا حضرمية فطال عليه انتظارها فبال فى قارورة وأتى الطبيب وقال انظر فى هذا الماء ان كان يهدى الى بعض اخوانى نعلا حضرمية (وكان) بالكوفة امرأة حمقاء يقال لها محبية فقعد عنباوة فتى كانت ارضعته محبية فقال له لما وجده كيف لا تكون أرعن ومحبية ارضعتك فوالله لقد زفت لى فرخا فما زلت أرى الرعونة فى طيرانه (ومن المجانين) هبنقة القيسى وجرنفس السدوسى واسم هبنقة يزيد بن نزوان وكنيته أبو نافع وكان يحسن من ابله الى السمان و يسىء الى المهازيل فسئل عن ذلك فقال أما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهان الله (وشرد) بعير له فجعل بعيرين لمن دل عليه فقيل له أتجعل بعيرين فى بعير قال انكم لا تعرفون فرحة من وجد ضالته (وافترس) الذئب له شاة فقال لرجل خلصها من الذئب وخذها فان فعلت فأنت والذئب واحد (وسام) رجل هبنقة بشاة فقال اشتريتها بستة وهى خير من سبعة وأعطيت فيها ثمانية وان أردتها بتسعة والا فزن عشرة (وكان) باقل الذى يضرب به المثل فى العى اشترى شاة بأحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت الشاة ففتح يديه جميعا وأشار باصابعه وأخرج لسانه ليتم العدد أحد عشر (ولما) قرب الفرزدق رأس بغلته من الماء قال له الجرنفس نح رأس بغلتك خلق الله شأفتك قال لماذا عافاك الله قال له لانك كذوب الحجرة وأبى الكمرة فصاح الفرزدق يا بنى سدوس فاجتمعوا اليه فقال سودوا الجرنفس عليكم فما رأيت فيكم أعقل منه (قال) الاصمعى سوبق بين الجرنفس وهبنقة أيهما أجن وأحمق فجاء جرنفس بحجارة

خفاف من جص وجاء هبنقة بحجارة فقال وترس فبدأ الجرنفس فقبض على حجر ثم قال درى عقاب بلبن وأشخاب ثم رفع صوته وقال الترس فرمى الترس فأصابه فانهزم هبنقة فقيل لم انهزمت فقال انه قال الترس ورمى الترس فلم يخطئه فلوانه قال العين ورماها أما كان يصيب عيني (وتبع) داود بن المعتمر امرأة ظنها من الفواسد فقال لها لولا ما رأيت عليك من سيما الخير ما تبعتك فضحكت المرأة وقالت انما يعتصم مثلي من مثلك بسيما الخير فأما اذا صارت سيما الخير من سيما الشر فالله المستعان (ووقع) داود هذا بجارية فلما أمعن في الفعل قال لها أثيب أم بكر فقالت له سل المجرب (قالت) أم عدوان الرياشي لابنها وهو يقرأ في المصحف يا عدوان لعلك تجد في هذا المصحف حمارا كان أبوك في الجاهلية فقده فقال يا أماه بل أجد فيه وعدا حسنا ووعيدا شديدا (ونظر) رجل من النوكى الى شيخ في الحمام وعليه سرة كأنها مدهن عاج فقال له يا شيخ دعني أجعل ذكري في سرتك فقال له يا ابن أخي وأين يكون استك حينئذ

﴿ مجانين القصاص ﴾ قال أبو دحية القاص ليس فيّ خير ولا فيكم فتبلغوا بي حتى تجدوا خيرا مني (وقال) في قصصه يوما كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا قالوا ان يوسف لم يأكله الذئب قال فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف (وقال) ثمامة بن اشرس سمعت قاصا ببغداد يقول اللهم ارزقني الشهادة أنا وجميع المسلمين (ووقع) الذباب على وجهه فقال مالكم كثر الله بكم القبور (قال) ورأيت قاصا يحدث الناس بقتل حمزة فقال ولما بقرت هند عن كبد حمزة استخرجتها فعضتها ولاكتها ولم تزدردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ازدردتها مامسها النار ثم رفع القاص يديه الى السماء وقال اللهم اطعمنا من كبد حمزة

٢ — باب نوكى الاشراف — من النوكى المتقدمين مالك بن زيدمناة بن تميم لما دخل على امرأته ناجية مغضبا فلما رأت مابه من الجهل والجفاء قالت له ضع شملتك قال جسدي أحفظ لها قالت اخلع نعليك قال رجلاي أحق بهما فلما رأت ذلك قامت وجلست اليه فلما شم رائحة الطيب وثب عليها (ومن النوكى) عجل بن لجيم قال أبو عبيدة أرسل ابن لعجل بن لجيم فرسا في حلبة فجاء سابقا فقال لأبيه كيف ترى أن أسميه يا أبت قال افقأ احدى عينيه وسمه الأعور قال الشاعر

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ✽ وأي عباد الله أنوك من عجل

أليس أبوهم عار عتين جواده * فاضحت به الامثال تضرب فى الجهل

(ومن بنى عجل) دعد التى يضرب بها المثل فى الحمق وقد ذكرنا نسبها وخبرها فى كتاب الامثال (ومن نوكى الاشراف) عبيد الله بن مروان عم الوليد بن عبد الملك بعث الى الوليد قطيفة حمراء وكتب اليه انى قد بعثت اليك قطيفة حمراء فكتب اليه قد وصلت القطيفة وأنت والله ياعم أحمق أحمر (ومنهم) معاوية بن مروان وقف على باب طحان فرأى حمارا يدور بالرحا فى عنقه جلجل فقال للطحان لم جعلت الجلجل فى عنق الحمار قال ربما أدركتنى سآمة أو نعاس فاذا لم اسمع صوت الجلجل علمت انه واقف فصحت به فانبعث قال أفرأيت ان وقف وحرك رأسه بالجلجل وقال هكذا وهكذا وحرك رأسه فقال له ومن لى بحمار يكون عقله مثل عقل الامير وهو القائل وضاع له بازى اغلقوا أبواب المدينة لايخرج البازى (وأقبل) اليه قوم من جيرانه فقالوا مات جارك أبو فلان فرله بكفن فقال ماعندنا اليوم شيء ولكن عودوا الينا اذا نبش (وأقبل) اليه رجل أحمق منه فقال له تعيرنا أصلحك الله ثوبا نكفن فيه ميتا قال أخشى انه ينجسه فلا نلبسه اياه حتى يغسل و يطهر (ومن النوكى الاشراف) عيينة بن حصن دخل على عثمان بغير اذن وكانت عنده ابنته فقال له عثمان ألا استأذنت قال ماظننت أن هنا من احتاج ان استأذن عليه قال ادن فتعش فقال أنا صائم قال تصوم الليل وتفطر النهار وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسميه السفيه المطاع (ومن حمقى قريش) أبان بن عثمان بن عفان قال الشعبى قدم ابان على معاوية فقال أمير المؤمنين زوجنى ابنتك قال يا ابن أخى هما اثنتان احداهما عند ابن عامر والاخرى عند أخيك عمر وقال كنت أظن أن لك ثالثة قال يا ابن أخى تخطب الى ولا تدرى لى بنت أم لارحم الله أباك (ومن) معاوية بن مروان بحقل له فلم يرفها مايعجبه فقال ما كذب من قال كل حقل لاترى است صاحبها لاتفلح أبدا ثم نزل عن دابته وأحدث فيها ثم ركب وهو الذى يقول لابى امرأته ملأتنى البارحة ابنتك دما قال انها من نسوة يخبأن ذلك لازواجهن فلو كنت خصيا مازوجناك وعلى الذى غرنا بك لعنة الله (وكان) أبو العاج واليا بواسط فأتاه صاحب شرطته بقوادة فقال ماهذه قال قوادة قال وما تصنع قال تجمع بين الرجال والنساء قال انما جئتنى بها لتعرفها بدارى خل عنها لعنك الله

ولعنها (وكان) الربيع العامرى واليا باليمامة فأتى بكلب قد عقر كلبا فأقاده فقال فيه الشاعر

شهدت بان الله حق لقاؤه * وان الربيع العامرى رقيع
أقاد لنا كلبا بكلب فلم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

(وقال) عوانة استعمل معاوية رجلا من كلب فذكر يوما المجوس وعنده الناس فقال لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم والله لو أعطيت مائة ألف درهم مانكحت أمى (وكان) بالبصرة ثلاثة اخوة من بنى عتاب بن أسيد كان أحدهم يحج عن حمزة ويقول استشهد قبل أن يحج وكان الآخر يضحى عن أبى بكر وعمر ويقول أخطآ السنة فى ترك الاضحية وكان الثالث يفطر أيام التشريق عن عائشة ويقول غلطت رحمها الله فى صومها أيام التشريق (ولعب) رجل من النوكى بين يدى الرشيد بالشطرنج فلما رآه وقد استجاد لعبه قال له يا أمير المؤمنين ولنى نهر بوق فقال له ويلك أوليك نصفه اكتبوا عهده على بوق قال فولنى أرمينية قال اذا يبطىء على أمير المؤمنين خبرك

﴿أهل العى والجهل المشبهون بالمجانين﴾ (خطب) وكيع بن أبى الاسود وهو والى خراسان فقال فى خطبته ان الله خلق السموات والارض فى ستة أشهر فقالوا له بل فى ستة أيام فقال والله لقد قلتها وأنا أستقلها (وخطب) على بن زياد الايادى فقال فى خطبته أقول لكم ماقال العبد الصالح لقومه ما أريكم الاما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد فقالوا له ان هذا ليس من قول العبد الصالح انما هو من قول فرعون فقال من قاله فقد أحسن (وخطب) عتاب بن ورقاء الرياحى فقال أقول لكم كما قال الله فى كتابه

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

(وخطب) وال باليمامة فقال فى خطبته ان الله تبارك وتعالى لايغادر عباده على المعاصى وقد أهلك أمة عظيمة على ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم فسمى مقوم الناقة (وبكى) حول ابن سنان أولاده وأهله حين ودعوه وهو يريد مكة حاجا فقال لاتبكوا فانى أرجو أن أضحى عندكم (ودخل) قوم دار كردم الدوسى فقالوا له أين القبلة فى دارك هذه فقال انما سكناها منذ ستة أشهر (ودخل) كردم الدوسى على رجل فدعاه الى الغداء فقال قد أكلت قال وما أكلت قال قليل أرز فأكثرت منه (وقيل)

لابى عبد الملك عناق بأى شىء تزعمون أن ابا على الاسوارى أفضل من سلام أبى المنذر قال لانه لما مات سلام أبى المنذر مشى أبو على فى جنازته فلما مات أبو على لم يمش سلام فى جنازته (ومرض) كردم فقال له عمه أى شىء تشتهى فقال رأس كبشين قال لا يكون قال فرأس كبش قال لا يكون فقال لست اشتهى شيأ (وقال) مسعدة بن طارق الذراع أنا لوقوف على حد رد دار نقسمها اذ أقبل عيص سيد بنى تميم والمصلى على جنائزهم ونحن فى خصومة لنصلح بينهم فقال خبرونى عن هذه الدار هل ضم بعضها الى بعض أحد فأنا منذ ستين سنة أفكر فى كلامه فما أدرك له معنى ولا مجازا (وأقبل) كردم الذراع الى قوم ليكسر لهم دورا فوجد دارا منها فيها رقعة فقال ليس هذه الدار لكم فقالوا بلى والله ما نازعنا أحد قط فيها قال فليست الرقعة لكم قالوا فكسر ما صح عندك انه لنا ودع الرقعة فكسر صحن الدار فقال عشرون فى عشرين مائتان قالوا من هذا المعنى لم تكن الرقعة عندك لنا عشرون فى عشرين مائتان (وسئل آخر) كان ينظر فى الفرائض عن فريضة لم يعرفها فالتمسها فى كتابه فلم يجدها فقال لم يمت هذا الرجل بعد ولو مات لوجدت فريضته فى كتابى (وعزى) قوما فقال أجركم الله وأعظم أجوركم وأجركم فقيل له فى ذلك فقال مثل قول مروان بن الحكم بارك الله فيكم وبارك لكم وبارك عليكم (وكان) أبو ادريس السمان يكتب فلا صحبك الله الا بالعافية ولا حيا وجهك الا بالكرامة (العتبى) قال بعث رجل وكيله الى رجل من الوجوه يقتضيه ماعليه فرجع اليه مضروبا فقال مالك ويلك قال سبك فسببته فضربنى قال وبأى شىء سبنى قال هن الحمار فى حر أم الذى أرسلك قال له دعنى من افترائه علىّ اخبرنى أنت كيف جعلت لاير الحمار من الحرمة مالم تجعل لحر أمى هلا قلت اير الحمار فى هن أم من أرسلك (وقال أبو نواس) قلت لاحد الوراقين الذين يكتبون بباب البطونى أيما أسن أنت أم أخوك قال اذا جاء رمضان استوينا (قال ثمامة بن اشرس) للمأمون مررت فى غب مطر والارض ندية والسماء مغيمة والريح شمال واذا بشخص أصفر كانه جرادة وقد قعد على قارعة الطريق وحجام يحجمه على كاهله وأخدعيه بمحاجم كأنها قعاب وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه فقلت ياشيخ لم تحتجم فى هذا البرد قال لهذا الصفار الذى بى (وقيل) لابى عتاب كيف برك بأمك قال والله ماقرعتها بسوط

قط (النوكى من نساء الاشراف) دغة العجلية وجهيرة وشولة ودراعة وسارية الليل ورائطة بنت ثقب وهى التى نقضت غزلها انكاثا وفيها يقال فى المثل خرقاء وجدت صوفة (وقال) عمرو بن عثمان شيعت القاضى عبد العزيز بن عبد المطلب المخزومى قاضى مكة الى منزله و بباب المسجد حمقاء تصفق بيديها وتقول أرق عينى ضراط القاضى فقال لى يا أبا حفص أتراها تعنى قاضى مكة وقد يأتى لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لايسمع بمثله كما قالوا رب رمية من غير رام (قيل) لدغة أى بنيك أحب اليك قالت الصغير حتى يكبر والمريض حتى يفيق والغائب حتى يرجع (ومن أخبار أهل الحى المشبهين بالمجانين) دخل أبو طالب صاحب الخنظة على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد ليشترى طعاما من طعامهم فقال لها قد رأيت متاعك وقلبته قالت له هلا قلت طعامك يا أباطالب قال قد أدخلت يدى فيه فوجدته قد حمى وصار مثل الجيفة قالت يا أبا طالب ألست قد قلبت الشعير فاعطنا به ماشئت وان كان كاسدا

﴿قال الاصمعى﴾ كان بين رجلين من النوكى عبد فقام أحدهما يضربه فقال له شريكه ماتصنع قال أنا أضرب نصيبى منه قال وأنا أضرب حصتى فيه وقام فضربه فكان من رأى العبد أن سلح عليهما وقال أقسما هذه على قدر الحصص (ومر) بعضهم بامرأة قاعدة على قبر وهى تبكى فقال لها ماهذا الميت منك قالت زوجى قال وما كان عمله قالت كان يحفر القبور قال أبعده الله أما علم أنه من حفر حفرة وقع فيها (وطلب) رجل من النوكى من ثمامة بن أشرس أن يسلفه مالا و يؤخره به قال هاتان حاجتان وأنا أقضى لك احداهما قال رضيت قال أنا أؤخرك ماشئت ولا أسلفك (وكان) ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل أبى رافع من فضلاء أهل المدينة وخيارهم مع بله فيهم وعى شديد (فمن ذلك) ان امرأة أبى رافع رأته فى نومها بعد موته فقال لها أتعرفين فلانا الصيرفى قالت له نعم قال فان لى عليه مائتى دينار فلما انتبهت غدت الى الصيرفى فاخبرته الخبر وسألته عن المائتى دينار فقال رحم الله أبا رافع والله ماجرت بينى و بينه معاملة قط فأقبلت الى مسجد المدينة فوجدت مشايخ من آل أبى رافع كلهم مقبول القول جائز الشهادة فقصت عليهم الرؤيا وأخبرتهم خبرها مع الصيرفى وانكاره لما ادعاه أبو رافع قالوا ما كان أبو رافع ليكذب فى نوم ولا يقظة قربى صاحبك الى السلطان

ونحن نشهدلك عليه فلما علم الصيرفي عزم القوم على الشهادة لها وعلم انهم ان شهدوا عليه لم يبرح حتى يؤديها قال لهم ان رأيتم أن تصلحوا بيني و بين هذه المرأة على ماترونه فافعلوا قالوا نعم والصلح خير ونعم الصلح الشطر فأد اليها مائة دينار من المائتين فقال لهم أفعل ولكن اكتبوا بيني و بينها كتابا يكون وثيقة لي قالوا وكيف تكون هذه الوثيقة قال تكتبوا لي عليها انها قبضت مني مائة دينار صلحا عن المائتي دينار التي ادعاها أبو رافع عليّ في نومها وانها قد أبرأتني منها وشرطت على نفسها أن لاترى أبا رافع في نومها مرة أخرى فيدعى عليّ بغير هذه المائتي دينار فتجيء بفلان وفلان يشهدان عليّ لها فلما سمعوا الوثيقة انتبه القوم لانفسهم وقالوا قبحك الله وقبح ماجئت به (ومنهم) عامر بن عبد الله بن الزبير أتى بعطائه وهو في المسجد فقام ونسيه في موضعه فلما أتى البيت ذكره فقال ياغلام ائتني بعطائي الذي نسيت في المسجد قال وأين يوجد وقد دخل المسجد بعدك جماعة قال و بقي أحد يأخذ ماليس له (وسرقت) نعله مرة فلم يلبس نعلا بعدها حتى مات وقال أكره أن أتخذ نعلا يجيء من يسرقها فيأثم (وفي هذا) الضرب يقول أبو أيوب السجستاني في أصحابي من أرجو بركته ودعاء ولا أقبل شهادته (قال الاصمعي) كان الشعبي يحدث انه كان في بني اسرائيل عابد جاهل قد ترهب في صومعته وله حمار يرعى حول الصومعة فاطلع عليه من الصومعة فرآه يرعى فرفع يده الى السماء فقال يارب لو كان لك حمار كنت أرعاه مع حماري وما كان يشق علي فهم به نبي كان فيهم في ذلك الزمان فأوحى الله اليه دعه فانما أثيب كل انسان على قدر عقله (هشام بن حسان) قال أقبل رجل الى محمد بن سيرين فقال ماتقول في رؤيا رأيتها قال وما رأيت قال كنت أرى ان لي غنما فكنت أعطى بها ثمانية دراهم فأبيت من البيع ففتحت عيني فلم أر شيأ فأغلقتها ومددت يدي وقلت هاتوا أربعة فلم اعط شيأ فقال ابن سيرين لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها قال يمكن الذي ذكرت

﴿ شعر المجانين ﴾ منهم أبو ياسين الحاسب وجعيفران وحرنفش وأبو حية النميري وسيموس وصالح بن مهران الكاتب (وكان) أبو حية أحسن الناس وأشعر الناس وهو القائل

ألا حي اطلال الرسوم البواليا * لبسن البلى مما لبسن اللياليا

اذا ماتقاضى المرء يوم وليلة * تقاضاه أمر لايمل التقاضيا

﴿ وهو القائل أيضا ﴾

فلا بعثن مع الرياح قصيدة * منى مغلغلة الى القعقاع

ترد المنازل لاتزال غريبة * فى القوم بعد تمتع وسماع

﴿ وهو القائل أيضا ﴾

فابدت قناعا دونه الشمس واتقت * باحسن موصولين كف ومعصم

﴿ وأما جعيفران الموسوس الشاعر ﴾ وهو من مجانين الكوفة فانه لقى رجلا فأعطاه درهما وقال له قل شعرا على الجيم فقال

عادنى الهم فاعتلج * كل هم الى فرج

سل عنك الهموم بالكاس والراح تنفرج

﴿ وهو القائل ﴾

ماجعفر لابيه * ولا له بشبيه

أضحى لقوم كثير * فكلهم يدعيه

هذا يقول بنى * وذا يخاصم فيه

والام تضحك منهم * لعلمها بأبيه

(قال أبوالحسن) استأذن جعيفران على بعض الملوك فأذن له وحضر غداؤه فتغدى معه فلما كان من الغد استأذن فحجبه ثم أتاه فى الثالثة فحجبه فنادى بأعلى صوته

عليك اذن فانا قد تغدينا * لسنا نعود وان عدنا تعدينا

ياأكلة ذهبت أبقت حرارتها * داء بقلبك ماصمنا وصلينا

(العتبى) قال قال أبو وائل لابى ان فى حماقة ولكن ان طلبت الشعر وجدت عندى منه علما قال وهل تقول منه شيأ قال نعم أقول أجود من قولك وأنا الذى أقول

لو ان جومل كلمتنى بعد ما * نسيت جوانحى البكاء وأقبر

لحسبت ميت اعظمى سيجيبها * أو ان باليها الرميم سينشر

قال له أبى أما الشعر فحسن الا ان اسم المرأة قبيح قال الآن اسم المرأة جمل ولكننى ملحته بجومل فقال له ان هذا من الحماقة التى برىء الينا منها (قال) العتبى قال أبى

وأنشدني أبو وائل

ماأوجع البين من غريب * فكيف ان كان من حبيب
يكادمن شوقه فؤادي * اذا تذكرته يموت

فقال له أبي ان هذا باء وهذا تاء قال لاتنقط انت شيأ قلت ياهذا ان البيت الاول مخفوض وهذا مرفوع قال أنا أقول له لاتنقط وهو يشكل (ولما توفيت) أم سليمان ابن وهب الكاتب أخي الحسن بن وهب دخل عليه رجل من نوكى الكتاب يسمى صالح ابن شهريار بشعر يرثيها فيه فأنشده

لام سليمان علينا مصيبة * مغلغلة مثل الحسام البواتر
وكنت سراج البيت ياأم سالم * فأمسى سراج البيت وسط المقابر

فقال سليمان مانزل بأحد مانزل بي ماتت أمي ورثيت بمثل هذا الشعر ونقل اسمي من سليمان الى سالم

﴿ ومن قوله صالح بن شهريار هذا ﴾

لاتعدلن دواء بالنساء فان * كان الصراط فذاك النارر يطوس

(ودخل) بعض شعراء المجانين على أبي الواسع وحوله بنوه فاستأذنه في الانشاد فاستعفى فلم يزل به حتى أذن له فأنشده شعرا فلما انتهى فيه الى قوله

وكيف يبني وأنت اليوم رأسهم * وحولك الغر من أبنائك الصيد

قال له لبيك تركتنا رأسا برأس (وقيل) وفد اعرابي من شعراء المجانين الى نصر ابن سيار بشعر تغزل فيه بمائة بيت ومدحه ببيتين فقال له والله ماتركت قافية لطيفة ولا معنى الاشغلت به نسيبك دون مدحك قال سأقول غير هذا فغدا عليه بشعر يقول فيه

هل تعرف الدار لام العمر * دع ذا وحبر مدحة في نصر

فقال له نصر لاذا ولاذاك (وقال) بعض العلماء ماسمعت تأويل رافضة في قبح مذهبهم الاتأويل رجل من مجانين أهل مكة للشعراء فانه قال ماسمعت بأكذب من بني تميم زعموا ان قول القائل

بيت زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فزعموا ان هذه أسماء رجال منهم قال بعض أهل الادب قلت له وماعندك أنت فيه

قال البيت بيت الله وزرارة الحجر ومجاشع زمزم تجشعت بالماء وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة قلت له فنشهل قال نهشل وفكر فيه ساعة ثم قال قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل اسود فذلك النهشل (قال) ابو محمد بن يزيد النحوى خرجنا من بغداد نريد واسطا فملنا الى دير هرقل ننظر الى المجانين فاذا بالمجانين كلهم قد رأونا ونظرنا الى فتى منهم قد غسل ثوبه ونظفه وجلس ناحية عنهم فقلنا ان كان فهذا فوقفنا به فسلمنا عليه فلم يرد السلام فقلنا له ماتجد فقال

الله يعلم انني كمد * لاأستطيع أبث ماأجد
نفسان لى نفس تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
وأرى القيامة ليس ينفعها * صبر وليس يفوقها جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى * فكانها تجد الذى أجد

فقلت له أحسنت والله فأومأ الى شيء ليرمينا به وقال أمثلى يقال له أحسنت قال فولينا عنه هاربين فقال أسألكم بالله الا مارجعتم حتى أنشدكم فان أحسنت قلتم لى أحسنت وان أساءت قلتم لى أساءت فرجعنا ووقفنا وقلنا له قل فأنشأ يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنوا الى ودمع العين منهمل
وودعت ببنان عقده عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ويلى من البين ماذا حل بى وبها * من نازل البين حل البين وارتحلوا
ياراحل العيس عرج كى أودعهم * ياراحل العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى بطول العهد مافعلوا

قال فقلت له ماتوا فصاح وقال وأنا والله أموت وتربع وتمدد فمات فمابرحنا حتى دفناه (وقال) محمد بن يزيد المبرد دخلنا دير هرقل فاذا بمجنون بيده حجر وقد تفرق الناس عنه وهو يقول يامعشر اخوانى اسمعوا منى ثم أنشأ يقول

وذى نفس صاعد * يئن بلا عائد
يكر على جحفل * ويضعف عن واحد

﴿وأنشد أبو العباس المانى الموسوس﴾

له وجنات فى بياض وحمرة * فحافاتها بيض وأوساطها حمر
رقاق يجول الماء فيها كأنها * زجاج اريقت فى جوانبها الخمر

(وقال) محمد بن يزيد أصابتنا سحابة جود ثم أقلعت سريعا فمر بى مانى الموسوس فقال

لا تظن الذى جرى * مطرا كان ممطرا
انما ذاك كله * دمع عينى تحدرا
وتوالت غيومها * من همومى تفكرا
هكذا حال من يرى * من حبيب تغيرا

(وقف) مانى الموسوس على أبى دلف فأنشده

كرات عينك فى العدا * تغنيك عن سل السيوف

فقال أبو دلف والله ما مدحت قط بمثل هذا البيت وأمر له بعشرة آلاف درهم فابى ان يقبضها وقال تقنع من هذا بنصف درهم فى هريسة (ولمانى الموسوس)

من الظباء ظباء همها السخب * وحليها الدر والياقوت والذهب
ياحسن ماسرقت عينى وما انتهبت * والعين تسرق أحيانا وتنتهب
اذا يد سرقت فالحد يقطعها * والحد فى سرقة العينين لا يجب

(ومر على بن الجهم) ببرسم قد اجتمع الناس عليه وحوله تحلقوا فلما رآه المبرسم قصد نحوه وأخذ بعنانه ثم أنشأ يقول

لا تحفلن بمعشر الــــهمج الذين أراهم
فوحق من أبلى بهم * نفسى ومن عافاهم
لوقيس موتاهم بهم * كانوا هم موتاهم

ثم نظر حوله فرأى غلاما جميل الهيئة حسن الوجه فشق ثيابه وقال

هذا السعيد لديهم * قد صار بى أشقاهم

(قال) أبو البحترى الشاعر كان يبلغنى ان ببغداد مجنونا يكنى أبا الخمة له بديهة حسنة فتعرضت له فأتيح لى لقاؤه فى بعض سكك بغداد فقلت له كيف أصبحت أبا الخمة فانشا يقول

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف

وأرك نحوى غير ملتفت * منحرفا عن غير منحرف
يامن أطال بهجره كلفى * أسفى عليك أشد من كلفى

(قال) أبو البحترى فأخرجت له قبضة نرجس كانت فى كمى فحييته بها فجعل يشمها مليا ثم أنشأ يقول

لما تزوجت الجنوب بهاطل * جون هتون زبرج دلاح
أضحى يلقحها بوسمى الصبا * فاستثقلت حملا بغير نكاح
حتى اذا حان المخاض تفجرت * فأتت بولدان بلا أرواح
حاك الربيع لها ثيابا وشيت * بيد الندى وأنامل الارواح
من أصفر فى أزهر قدزانه * تبر على ورق من الاوضاح
ركبن فى عمد الزبرجد فاغتدى * نحو الغزالة ناظرا ملاحى

(قال) الحسن بن هانى لقيت مانى الموسوس فأنشدنى

شعرى أتاك من لفظ ميت * صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى * كاد عن أعين البرية يخفى
لو تأملتنى لتبصر شخصى * لم تبين من المحاسن حرفا

ثم مضيت فأتيت جعيفران الموسوس وهو شيخ من بنى هاشم أرت اللسان وعليه قيد من فضة وفى عنقه غل من ذهب فقال لى من أين أتيت ياحسن قلت من بيت مانوية فدعا بدواة وقرطاس وقال لى اكتب

ماغرد الديك ليلا فى دجنته * الا حثثت اليك السير مجهودا
ولا هدت كل عين لذراقدها * بنومة فى لذيذ العيش ممهودا
الا امتطيت الدجا شوقا اليك ولو * اصبحت فى حلق الاقياد مصفودا
أسعى مخاطرة بالنفس ياأملى * والليل مدرع أثوابه السودا
فلم ترق ولم ترثى لمكتئب * زودته حرقات القلب تزويدا
هيهات لاغدر فى جن ولا بشر * من الخلائق الا فيك موجودا

ثم قال خرق رقعة مانوية فخرقتها ثم مضيت فلقيت عرود المصاب وحوله الصبيان وهو يلطم وجهه ويبكى وينادى أيها الناس الفراق مر المذاق فقلت له أبا محمد من أين أقبلت قال

شيعت الحاج قلت وما الذى حملك على تشييعهم فقال لى فيهم سكن قلت فهل قلت فيهم شيا قال نعم وأنشدنى

هم رحلوا يوم الخميس عشية * فودعتهم لما استقلوا و ودعوا
فلما تولوا ولت النفس معهم * فقلت ارجعى قالت الى أين أرجع
الى جسد مافيه لحم ولادم * وما هو الا أعظم تتقعقع
وعينان قد أعياهما كثرة البكا * وأذن عصت عذالها ليس تسمع

(أبو بكر الوراق) قال حدثنى صديق لى قال رأيت رجلا من أهل الادب قد ذهب عقله بالمحبة وخلفه دابة له تدور معه فاستوقفته وقلت له يافلان ماحالك وأين النعمة قال تغير قلبى فتغيرت النعمة قلت بم تغير قال بالحب ثم بكى وأنشأ يقول

أرى التحمل شيأ لست أحسنه * وكيف أخفى الهوى والدمع يعلنه
أم كيف صبر محب قلبه دنف * الهجر ينحله والشوق يحزنه
وانه حين لا وصل يساعفه * يهوى السلو ولكن ليس يمكنه
وكيف ينسى الهوى من أنت همته * وفترة اللحظ من عينيك تفتنه

فقلت أحسنت والله فقال قف قليلا فوالله لاطرحن فى أذنيك أثقل من الرصاص وأخف على الفؤاد من ريش الحواصل وأنشد

للحب نار على عينى مضرمة * لم تبلغ النار منها عشر معشار
الماء ينبع منها من محاجرها * ياللرجال لماء فاض من نار

﴿ ثم وقف وأنشد ﴾

أعاد الصدود فاحيا العليلا * وأبدى الجفاء فصبرا جميلا
ورد الكتاب ولم يقره * لئلا أرد اليه الرسولا
وأحسب نفسى على ماأرى * ستلقى من الهم هجرا طويلا
وأحسب قلبى على ماأرى * سيذهب منى قليلا قليلا

ثم ترك يدى ومضى (وحكى) أبو العباس المبرد قال دخل عمرو بن مسعدة على المأمون و بين يديه جام زجاج فيه سكر طبرزد وملح جريش قال فسلمت فرد وعرض على الاكل فقلت ماأريد شيا هناك الله ياأمير المؤمنين فلقد باكرت بالغداء فانى بت جائعا ثم أطرق و رفع

رأسه وهو يقول

أعرض طعامك وابذله لمن دخلا * واحلف على من أبى واشكر لمن أكلا
فلا تكن سابرى العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ودعا برطل ودخل رجل من أجلة الفقهاء فمديده اليه فقال والله يا أمير المؤمنين ماشربتها ناشئا فلا تسقنيها شيخا فرديده الى عمرو بن مسعدة فاخذها منه وقال يا أمير المؤمنين الله انى عاهدت الله فى الكعبة ان لا أشربها أبدا فقكر طويلا والكاس فى يد عمرو بن مسعدة حتى لقد ظن انه سيامر فيها ثم قال

ردا على الكاس انكما * لا تعلمان الكاس ماتجدى
لوذقتما ماذقت ماامتزجت * الا بدمعكما من الوجد
خوفتمانى الله ربكما * وكخيفتيه رجاؤه عندى
ان كنتما لا تشربان معى * خوف العقاب شربتها وحدى

(محمد بن يزيد اللبيدى) قال حدثنى حبيب بن أوس قال كنت فى غرفة لى على شاطىء دجلة فى وقت الخريف فاذا بغلام كنت أعرفه بجمال قد تجرد من ثيابه وألقى نفسه فى الدجلة يسبح فيها وقد احمر جلده من برد الماء واذا مانى الموسوس يرمقه ببصره فلما خرج من الماء قال

خمش الماء جلده الرطب حتى * خلته لابسا غلالة خمر

قلت له لعنك الله يامانى ابعد الجهاد والغزو تحسن غلاما قد بات مؤاجرا فى الحانات فقال لى ليس مثلك يخاطب يا أحمق وانما يخاطب هذا وأشار الى السماء وقال

يكفيك تقليب القلوب واننى * لفى ترح مما ألاقى فما ذنبى
خلقت وجوها كالمصابيح فتنة * وقلت اهجروها عز ذلك من خطب
فاما أبحت الصب ماقد خلقته * واما زجرت القلب عن لوعة الحب

﴿ أخذ هذا المعنى يزيد بن عثمان فقال ﴾

أيارب تخلق ما تخلق * وتنهى عبادك ان يعشقوا
الهى خلقت حسان الوجوه * فأى عبادك لا يعشق

﴿ وقال أبو بكر الموسوس فى نصرانى ﴾

أبصرت شخصك فى نومى تعانقنى * كما تعانق لام الكاتب الالفا
يامن اذا درس الانجيل ظل له * قلب الحنيف عن الاسلام منصرفا

﴿ وله فيه ﴾

زناره فى خصره معقود * كأنه من كبدى مقدود

٣ — أخبار البخلاء — أجمع الناس على بخل أهل مرو ثم أهل خراسان (قال ثمامة ابن أشرس) ما رأيت الديك قط فى بلدة الا وهو يدعو الدجاج و يثير الحب اليها و يلطف بها الا فى مرو فانى رأيته يأكل وحده فعلمت ان لؤمهم فى الماء كل (ورأيت) فى مرو طفلا صغيرا فى يده بيضة فقلت له اعطنى هذه البيضة فقال ليس تسع يدك فعلمت ان اللؤم والمنع فيهم بالطبع المركب والجبلة المنطورة (واشتكى) رجل مروى ضرارا من سعال فدلوه على سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه فلم يزل يماطل الايام و يدافع الاوقات حتى اتيح له بعض الموفقين فدله على ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب ماءها فجلا صدره (ووجده) بعضهم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لام عياله اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم و يجلى فقالت له زوجته قد جمع الله لك فى هذا الدواء دواء وغذاء (وقال خاقان بن صبيح) دخلت على رجل ليلا من أهل خراسان فاذا هو قد أتى بمسرجة فيها فتيل رقيق وقد ألقى فى دهن المسرجة شيأ من ملح وقد علق فيها عودا بخيط معقودا الى المسرجة فاذا عشا المصباح أخرج به رأس الفتيل فقلت ما بال هذا العود مربوطا فقال هذا عود قد شرب الدهن فاذا لم نحفظه وضاع احتجنا الى غيره فلا نجده الا عطشانا فاذا كان هذا ضاع دائبا من دهننا فى الشهر بقدر كفايتنا ليلة قال فبينا أنا أتعجب واسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو ونظر الى العود فقال أبا فلان فررت من شىء و وقعت فيما هو شر منه أما علمت ان الشمس والريح يأخذان من سائر الاشياء أوليس كان البارحة هذا العود عند اطفاء السراج أروى وهو عند اسراجك الليلة أعطش قد كنت أنا جاهلا مثلك زمانا حتى وفقنى الله الى ما أرشد اربط عافاك الله مكان العود ابرة كبيرة أو مسلة صغيرة فان الحديد أبقى وهو مع ذلك غير نشاف والعود والقصبة ربما تعلقت بهما الشعرة من قطن الفتيلة فتشخص لها وربما كان ذلك سببا لاطفائها قال الخراسانى ألا وانك لا تعلم انك من المسرفين حتى تعمل باعمال المصلحين

(قال الاصمعى) قال لى أبو محمد الخزامى واسمه عبد الله بن حاسب ونحن فى العسكر ان للشعر شهدا و بياض الشعر الاسود هو موته كما أن سواده حياته ألا ترى ان موضع دبرة الحمار الاسود لا يثبت فيها الا شعر أبيض والناس لا يرضون منا فى هذا العسكر الا بالعناق والمشامة والطيب غال ممتنع الجانب فلست أرى شيأ هو أحسن بنا من اتخاذ مشط صندل فان ريحه طيبة والشعر سريع القبول وأقل ما يصنع ان ما يبقى ينهك الشيب حتى يكون حاله لا لنا و لا علينا (وكان ثمامة بن أشرس) يقول اياكم وأعداء الخبز ان تأدموا بها وأعلموا ان اعدى عدوله المملوح فلولا ان الله أعان عليه بالماء لاهلك الحرث والنسل (وكان) يقول كلوا الباقلا بقشره فان الباقلا تقول من أكلنى بقشرى فقد أكلنى ومن أكلنى بغير قشرى فقد أكلته (ومن البخلاء) هشام بن عبد الملك قال خالد بن صفوان دخلت على هشام فأطرفته وحدثته فقال سل حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تزيد فى عطائى عشرة دنانير فأطرق حينا وقال فيم ولم وبم العبادة احدثتها أم لبلاء حسن ابليته فى أمير المؤمنين ألا لا يا ابن صفوان ولو كان لكثر السؤال ولم يحتمله بيت المال فقلت وفقك الله يا أمير المؤمنين وسددك فأنت والله كما قال أخو خزاعة

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه * صنيعة قربى أو صديق توافقه
منعت و بعض المنع حزم وقوة * ولم يستلبك المال الا حقائقه

(قيل) لخالد بن صفوان ما حملك على تزيين البخل له قلت أحببت ان يمنع غيرى فيكثر من يلومه (وخرج) هشام بن عبد الملك متنزها ومعه الابرش الكلبي فمر براهب فى دير فعدل اليه فأدخله الراهب بستانا له وجعل يجتنى له أطايب الفاكهة فقال له هشام يا راهب يعنى بستانك فسكت عنه الراهب ثم أعاد عليه فسكت عنه فقال له مالك لا تجيبنى فقال وددت ان الناس كلهم ماتوا غيرك قال لماذا ويحك قال لعلك أن تشبع فالتفت هشام الى الابرش قال أما سمعت ما قال هذا قال والله ان لقيك حر غيره (ومن البخلاء) عبد الله بن الزبير وكانت تكفيه أكلة لايام ويقول انما بطنى شبر فى شبر فما عسى أن يكفيه أكلة

﴿ وقال فيه أبو وجرة مولى الزبير ﴾

لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد * أبقيت فضلا كثيرا للمساكين
فان تصبك من الايام جائحة * لم نبك منك على دنيا ولا دين

مازلت فى سورة الاعراف تدرسها * حتى فؤادى كمثل الخز فى اللين
ان امرأ كنت مولاه فضيعنى * يرجو الفلاح لعبد غير مغبون

وابن الزبير هو الذى قال أكلتم تمرى وعصيتم أمرى فقال فيه الشاعر

رأيت أبا بكر وربك غالب * على أمره يبغى الخلافة بالتمر

وأقبل اليه اعرابى فقال اعطنى وأقاتل عنك أهل الشام فقال له اذهب فقاتل فان اغنيت أعطيناك قال أراك تجعل روحى نقدا ودراهمك نسيئة (وأتاه اعرابى) يسأله حملا ويذكر ان ناقته نقبت فقال انعلها من النعال السبتية واخصفها بها قال له الاعرابى انما اتيتك مستوصلا ولم آتك مستوصفا فلا حملت ناقة حملتنى اليك قال ان وصاحبها

(ومن رؤساء أهل البخل) محمد بن الجهم وهو الذى قال وددت ان عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمى واستهلوا بشتمى حتى ينشر ذلك عنهم فى الآفاق حتى لا يمتد الى أمل آمل ولا ينبسط نحوى رجاء راج (وقال) له أصحابه انما نخشى ان نقعد عندك فرق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا قال علامة ذلك ان أقول يا غلام هات الغداء (وذكر) ثمامة بن أشرس محمد بن الجهم فقال لم يطمع أحد قط فى ماله الا شغله عن الطمع فى غيره ولا شفع فى صديق ولا تكلم فى حاجة محرم الا ليلقن المسؤل حاجة المنع ويفتح على السائل باب الحرمان

(ومن البخلاء اللئام) مروان بن أبى حفصة الشاعر * قال أبو عبيد عن ابن الجهم قال أتيت اليمامة فنزلت على مروان بن أبى حفصة فقدم الى تمرا وأرسل غلامه بفلس وسكرجة يشترى زيتا فأتى الغلام بالزيت فقال له خنتنى وسرقتنى قال وفيم كنت أخونك واسرقك فى فلس قال أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت (ومن البخلاء) زبيدة ابن حميد الصيرفى استلف من بقال على بابه درهمين وقيراطا فمطله بهما ستة أشهر ثم قضاه درهمين وثلاث حبات فاغتاظ البقال وقال سبحان الله أنت صاحب مائة ألف دينار وأنا بقال لا أملك مائة فلس وانما أعيش بكدى واستقضى الحبة على بابك والحبتين صاح على بابك جمال ولا يحضر تلك الساعة وكيلك فاعنتك وأسلفتك درهمين وأربع شعيرات فتقضينى بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات فقال زبيدة يا مجنون أسلفتنى فى الصيف وقضيتك فى الشتاء وثلاث شعيرات شتوية أوزن من أربعة صيفية لان هذى ندية وتلك يابسة وما أشك

ان معك بعد هذا كله فضلا (قال الاصمعى) كنت عند رجل من ألأم الناس وأبخلهم وكان عنده لبن كثير فسمع به رجل ظريف فقال الموت أو أشرب من لبنه فأقبل مع صاحب له حتى اذا كان بباب صاحب اللبن تغاشى وتماوت فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع فخرج اليه صاحب اللبن فقال ماباله ياسيدى قال هذا سيد بنى تميم أتاه أمر الله ههنا وكان قال لى اسقنى لبنا قال صاحب اللبن هذا هين موجود ائتنى ياغلام بعلبة من لبن فأتاه به فاسنده صاحبه الى صدره وسقاه حتى أتى عليها ثم تجشأ فقال صاحبه لصاحب اللبن أترى هذه الجشأة راحة الموت قال أماتك الله واياه (ومن أمثال العرب فى البخل) قولهم ماهو الا ابنة عصا أو عقدة رشا لان عقدة الرشاء المبلول لا تكاد تنحل (قيل) لمدنية ما الجرح الذى لا يندمل قالت حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده قيل لها فما الذل قالت وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يؤذن له قيل لها فما الشرف قالت اتخاذ المنن فى رقاب الرجال والعرب تقول لمن لم يظفر بحاجته وجاء خائبا جاء فلان على غبيراء الظهر وجاء على حاجبه صوفة وجاء بخفى حنين (وقال أبو عطاء) السندى فى يزيد بن عمرو بن هبيرة

ثلاث خلتهن لقوم قيس * طلبت بها الاخوة والسناء
رجعن على حواجبهن صوف * وعند الله يحتسب الجزاء

﴿ طعام البخلاء ﴾ قال الاصمعى كان يقول المروزى لزواره اذا أتوه هل تغديتم اليوم فان قالوا نعم قال والله لو لا انكم تغديتم لاطعمتكم لونا ما أكلتم مثله ولكن ذهب أول الطعام بشهوتكم وان قالوا لا قال والله لو لا انكم لم تتغدوا لسقيتكم أقداحا من نبيذ الزبيب ماشربتم مثله فلا يصير فى أيديهم منه شىء (وكان) ثمامة اذا دخل عليه أصحابه وقد تعشوا عنده قال لهم كيف كان مبيتكم ومنامكم فان قال أحدهم انه نام ليلته فى هدوء وسكون قال النفس اذا أخذت قوتها اطمأنت واذا قال أحدهم انه لم يتم ليلته قال انه من افراط الكظة والاسراف من البطنة ثم يقول كيف كان شربكم للماء فان قال أحدهم كثيرا قال التراب الكثير لا يبله الا الماء الكثير وان قال قليلا قال ماتركت للماء مدخلا (وكان) اذا أطعم أصحابه استلقى على قفاه ثم يتلو قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا (ودخل) عليه رجل وبين يديه طبق فراريج فغطى الطبق بذيله وأدخل رأسه فى جيبه وقال للرجل الداخل ادخل فى البيت الآخر حتى أفرغ من بخورى (وشوى) لابى

جعفر الهاشمي دجاج ففقد فخذا من دجاجة فأمر فنودى فى منزله من هذا الذى تعاطى فعقر والله لا أخبز فى التنور شهرا أو ترد فقال ابنه الأكبر يا أبت لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا (وقال دعبل الشاعر) كنا يوما عند سهل بن هرون فأطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغدائه فاذا بصحفة عدلية فيها مرق لحم ديك قد هرم لا تحز فيه السكين ولا يؤثر فيه الضرس فأخذ قطعة خبز فغاربها جميع مافى الصحفة ففقد الرأس فاطرق ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام وقال أين الرأس قال رميت به قال لم قال لم أظنك تأكله ولا تسأل عنه قال ولاى شيء ظننت ذاك فوالله انى لابغض من يرمى برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس الاعضاء وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه العين التى يضرب بها المثل فى الصفاء فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم ير قط عظم أهش من عظم رأسه فان كان بلغ من جهلك أن لا نأكله فعندنا من يأكله انظر أين هو قال والله ما أدرى أين رميته قال لكنى والله أدرى رميت به فى بطنك (وأهدى) رجل من قريش لزياد بن عبد الله وهو على المدينة طعاما فثقل عليه ذلك فقال اجمعوا المساكين وأطعموهم اياه فجمعوا وكشف عن الطعام فاذا طعام له بال فندم على الارسال للمساكين وقال للغلام انطلق الى هؤلاء المساكين وقل لهم انكم تجتمعون فى المسجد فتفسون فيه فتؤذون الناس لا أعلم انه اجتمع فيه منكم اثنان (وقال) دخلت على عبد الله بن يحيي بن خالد بن أمية وقوم يأكلون عنده فمد يده الى رغيف من الخوان فرفعه وجعل يرطله بيده و يقول يزعمون ان خبزى صغير فمن هذا الزانى ابن الزانية الذى يأكل نصف رغيف منه (قال) ودخلت عليه يوما والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدى لآكل فقال اجهز على الجرحى ولا تتعرض للاصحاء يقول تعرض للدجاجة التى قد نيل منها والفرخ المأخوذ منه فاما الصحيح فلا تتعرض له هذا معناه فى الجرحى (وسئل) يحيي بن خالد عن طعام رجل فقال أما مائدته فمغيبة وأما صحافه فمخروطة من حب الخردل وبين الرغيف والرغيف فترة نبى قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فمن يأكل معه قال الذباب قال له يحيي وأرى ثوبك مخرقا فلا يكسوك ثوبا وأنت فى صحبته قال جعلت فداك والله لو ملك بيتا من بغداد الى الكوفة مملوأ ابرا وفى كل ابرة منه خيط وجاءه يعقوب يسأله

ابرة منها يخيط بها قميص يوسف ابنه الذى قدّ من دبر ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل (أخذ) هذا المعنى محمد بن مسلمة فقال يهجو الاغلب

لو أن قصرك يا ابن أغلب كله * ابر يضيق بهن رحب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قدّ قميصه لم تفعل

(وقيل) لحصين أتغديت عند فلان قال لا ولكنى مررت به يتغدى قيل فكيف علمت انه يتغدى قال رأيت غلمانه ببابه فى أيديهم قسى البندق يرمون الذباب فى الهواء (وقال ابو الحرث) حصين دخلت على فلان فوضع بين أيدينا مائدة كنا أشوق الى الطعام اذ رفعت منا اليه اذ وضعت (وحضر) اعرابى سفرة هشام بن الملك فبينا هو يا كل اذ تعلقت شعرة فى لقمة الاعرابى فقال له هشام عندك شعرة فى لقمتك يااعرابى قال وانك لتلاحظنى ملاحظة من يرى الشعرة فى لقمتى والله لا أكلت عندك أبدا وخرج وهو يقول

وللموت خير من زيارة باخل * يلاحظ أطراف الاكيل على عمد

(وقال آخر)

ولو عليك اتكالى فى الغداء اذا * لكنت أول مقتول من الجوع
يقول عند دعاء الضيف مبتدئا * صوت ضعيف وداع غير مسموع

(قال المدائنى) كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو والى الكوفة جدى يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسه هو ولا أحد ممن يحضر فحضر مائدته اعرابى فبسط يده وأسرع فى الاكل فقال يا اعرابى انك لتأكل الجدى بحرد كأن أمه نطحتك فقال له الاعرابى أصلحك الله وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك ثم بسط الاعرابى يده الى بيضة بين يده فقال خذها فانها بيضة العقر فلم يحضر طعامه بعد ذلك (ودخل) أشعب على والى المدينة فحضر طعامه وكان له جدى على مائدته يتحاماه كل من حضر فبدر اليه أشعب فزقه فقال له يا أشعب ان أهل السجن ليس لهم امام يصلى بهم فان رأيت أن تكون لهم اماما تصلى بهم فان فى ذلك أجرا فقال والله ما أحب هذا الاجر ولكن زوجتى طالق ان أكلت لحم جدى عندك حتى ألقى الله (قال) عمر بن ميمون تغديت يوما عند الكندى فدخل عليه رجل كان جارا وصديقا لى فلم يعرض عليه الطعام ونحن

نا كل فاستحيت انا منه فقلت سبحان الله لو دنوت فاصبت معنا قال قد والله فعلت قال الكندى مابعد الله شيء قلت فكيف قال والله لو بسط يده ليأكل لكان كافيا (قال) ومررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت مابالكما فقال أحدهما ان صديقا لى زارنى واشتهى علىّ رأسا فاشتريته له وتغدينا فاخذت عظامه فوضعتها عندباب دارى أتجمل بها عند جيرانى فجاءهذا وأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هوالذى أكل الرأس (قال) رجل من البخلاء لولده اشتروا لى لحما فاشتروا له وأمر بطبخه حتى تهرا فاكل منه حتى انتهت نفسه وشرعت اليه عيون ولده فقال ما أنا مطعمه أحدا منكم الا من أحسن صفة أكله فقال الأكبر أتعرفه يا أبت حتى لا ادع للذرة فيه مقيلا قال لست بصاحبه فقال الاوسط أتعرفه يا أبت حتى لايدرى لعامه هو أم لعام أول قال لست بصاحبه فقال الأصغر أتعرفه يا أبت ثم أدقه دقا وأسفه سفا قال أنت صاحبه وهو لك دونهم (وقال عمرو بن بحر الجاحظ) كان ابو عبد الرحمن الثورى يعجبه الرؤس ويصفها ويسميها العرس لما فيها من الالوان الطيبة وربما سماه الكامل والجامع ويقول الرأس شيء واحد وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة والرأس فيه الدماغ وطعمه مفرد وفيه العينان وطعمهما مفرد والشحمة التى بين أصل الاذن ومؤخر العين وطعمها مفرد على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ وأرطب من الزبد وأدسم من الكلى وفى الرأس اللسان وطعمه مفرد والخيشوم والغضروف ولحم الخدين وكل شيء من هذه طعمه مفرد والرأس سيد البدن والدماغ هو معدن العقل وحاسة الحواس وبه قوام البدن وفيه يقول الشاعر

اذا نزعوا رأسي وفى الرأس اكثرى * وغودر عند الملتقى ثم سائرى

(وقيل) لاعرابى أتحسن ان تأكل الرأس قال نعم اعض العينين وافك لحييه واتقى خديه وأرمى بالدماغ الى من هو أحق به منى وكانوا يكرهون أكل الدماغ ولذا يقول قائلهم * ولا ابتغى المخ الذى فى الجماجم * (وكان) ابو عبد الرحمن يجلس مع ابنه يوم الرأس ويقول له اياك ونهم الصبيان وبغر السباع واخلاق النوائح ونهش الاعراب وكل ما بين يديك فانما حظك منه ماقابلك واعلم انه اذا كان فى الطعام شيء ظريف من لقمة كريمة أو مضغة شهية فانما ذلك للشيخ المعظم والصبي المدلل ولست بواحد منهما وقد قالوا مدمن اللحم كمدمن

الخمر أى بنى لاتخضم خضم البراذين ولا تدمن الأكل ادمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال ولا تنهش نهش السباع وعود نفسك الأثرة ومجاهدة الهوى والشهوة فان الله جعلك انسانا فلا تجعل نفسك بهيمة واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة فقد قال بعض الحكماء اذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى واعلم ان الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة جاهلية لانه قاتل نفسه وقاتل نفسه ألأم من غيره أى بنى والله ما أدى حق الركوع والسجود ذو كظة ولا خشع لله ذو بطنة والصوم صحة والوصال عيش الصالحين أى بنى لأمر ماطالت أعمار الرهبان وصحت أبدان الاعراب ولله در الحرث بن كلدة حيث زعم أن الدواء هو الازم وان الداء كله هو من فضول الطعام فكيف لا يرغب فى شىء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة أى بنى ماصار الضب أطول شىء عمرا الا انه يبتلع النسيم ومازعم الرسول ان الصوم وجاء الا انه جعله حاجزا دون الشهوات فافهم تأديب الله وتأديب الرسول أى بنى قد بلغت تسعين عاما انقض لى سن ولا انتشر لى عصب ولا عرفت وكف انف ولا سيلان عين ولا سلس بول وما ذلك علة الا التخفف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وان كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك (ومن البخلاء) أبو الاسود الدؤلى وقفت عليه امرأة وهو فى فسطاط وبين يديه طبق تمر فقالت السلام عليك قال أبو الاسود كلمة مقبولة * ووقف عليه اعرابى وهو يأكل فقال الاعرابى ادخل قال وراءك أوسع لك قال الرمضاء أحرقت رجلى قال بل عليهما يبردان وقال أتأذن لى أن آكل معك قال سيأتيك ماقدر لك قال تالله مارأيت رجلا ألأم منك قال بلى قد رأيت الا انك نسيت ثم أقبل أبو الاسود يأكل حتى لم يبق فى الطبق الاتميرات يسيرة نبذها له فوقعت تمرة منها فأخذها الاعرابى ومسحها بكسائه فقال أبو الاسود ياهذا ان الذى تمسحها به أقذر من الذى تمسحها له قال كرهت أن أدعها للشيطان قال لا والله ولا لجبريل وميكائيل ما كنت لتدعها (الاصمعى) قال مر رجل بأبى الاسود الدؤلى وهو يقول من يعشى الجائع فقال أبو الاسود علىّ به فأتاه بعشاء كثير وقال كل حتى تشبع فلما أكل ذهب ليخرج قال أين تريد قال أريد أهلى قال لا أدعك تؤذى المسلمين الليلة بسؤالك اطرحوه فى الادهم فبات عنده مكبولا حتى أصبح (قال الهيثم بن عدى) نزل بابن أبى حفصة ضيف باليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب عنه مخافة ان

يلزمه قراه تلك الليلة فخرج الضيف فاشترى مايحتاجه ثم رجع وكتب اليه

ياأيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع تكن ضيفا على الضيف

{ وقال آخر }

بت ضيفا لهشام * فى شرابى وطعامى
وسراجى الكوكب الدرى فى داج الظلام
لاحراما أجد الخبز ولا غير الحرام

{ وله }

بت ضيفا لهشام * فشكا الجوع عدمته
وبكى لاصنع الله له حتى رحمته

(وكان) شيخ من البخلاء يأتى ابن المقفع فألح عليه أن يتغدى عنده فى منزله فيمطله ابن المقفع فيقول أترانى أتكلف لك شيأ لا والله لا أقدم لك الا ماعندى فلا تتثاقل على فلم يزل به حتى أجابه وأتى به الى منزله فاذا ليس عنده الا كسر يابسة وملح جريش فقدمه له ووقف سائل بالباب فقال له بورك فيك فألح فى السؤال فقال والله لئن خرجت اليك لادقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل أرح نفسك وانج والله لوعلمت من صدق وعيده ماعلمت أنا من صدق وعده ماوقفت ساعة ولا راجعته كلمة (وانتقل) رجل من البخلاء الى دار فابتاعها فلما حلها وقف سائل فقال له صنع الله لك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك فقال لابنته ماأكثر السؤال فى هذا المكان فقالت له ياأبت ماتمسكت لهم بهذا القول فما تبالى كثروا أم قلوا (الاصمعى) تقول العرب ماعلمتك الا برما قرونا البرم الذى يأكل مع أصحابه ولا يجعل شيأ والقرون الذى يأكل تمرتين تمرتين (وألأم اللئام وأبخل البخلاء) حميد الارقط الذى يقال له هجاء الاضياف وهو القائل فى ضيف نزل به وآكله

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * و بين أخرى تليها قيد اظفور

{ وله }

يجهز كفاه و يحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل

أتانا وماسواه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما ان تكلم باقل

﴿ وله فى الاضياف ﴾

لامرحبا بوجوه القوم اذ دخلوا * دسم العمائم تحكيها الشياطين
بانوا وجلة تمر حل بينهم * كأن أيديهم فيها السكاكين
فأصبحوا والنوى عالى معرسهم * وليس كل النوى تلقى المساكين

﴿ ماقالت الشعراء فى طعام البخلاء ﴾ (فمن أهجى) ماقيل فى طعام البخلاء قول جرير فى بنى تغلب

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

﴿ وقوله فيهم ﴾

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا نبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

﴿ وقال الراعى ﴾

اللاقطين النوى تحت الشياه كما * تحت كرادم دهم فى مخالبها

﴿ فأين هؤلاء من قول الآخر ﴾

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

﴿ ولآخر ﴾

أبو نوح أتيت اليه يوما * فغدانى برائحة الطعام
وقدم بيننا لحما سمينا * أكلناه على طبق الكلام
فلما ان رفعت يدى سقانى * كؤسا حشوها ريح المدام
فكنت كمن سقى ظمآن ماء * وكنت كمن تغدى فى المنام

﴿ ولآخر ﴾

تراهم خشية الاضياف خرسا * يصلون الصلاة بلا أذان

﴿ ولحماد بن جعفر ﴾

حديث أبى الصلت ذو خبرة * بما يصلح المعدة الفاسده

تخوف تخمة اخوانه * فعودهم أكلة واحدة

﴿ولآخر﴾

أتانا بخبز له حامض * كمثل الدراهم فى رقته
اذا ماتنفس حول الخوان * تطاير فى البيت من خفته
فنحن كظوم له كلنا * يرد التنفس من خشيته
فيكلمه اللحظ من رقة * ويأكله الوهم من قلته

(نزل) رجل من العرب بخيل فقدم اليه جرادا فعافه وأمر برفعه وقال

لحا الله بيتا ضمنى بعد هجعة * اليه دجوجى من الليل مظلم
فأبصرت شيخا قاعدا بفنائه * هو العير الا انه يتكلم
أتانا بقان الدبى فى انائه * ولم يك برقان الدبى لى مطعم
فقلت له غيب اناءك واعتزل * فهذا وهذا لا اباللك مسلم

(ضاف القطامى) الشاعر فى ليلة ريح ممطرة عجوزا من محارب فلم تقره شيأ فرحل عنها وقال

تضيفت فى برد وريح تلفنى * وفى طرمساء غير ذات كواكب
الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلى بها برد العشاء ولم تكن * تخال وميض النار يبدى لراكب
فما راعها الا بغام مطيتى * تريح بمحصور من الصدر لاغب
فجنت جنونا من أولات مناحة * ومن رجل عادى الاشاجع شاحب
سرى فى جليد الليل حتى كانما * يخزم بالاطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كورى وناقتى * اليك فلا تذعر على ركائبى
فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جائب
فردت سلاما كارها ثم أعرضت * كما انحاشت الافعى مخافة ضارب
فلما تنازعنا الحديث سألتها * من الحى قالت معلنا من محارب
من المشتوين القد فى كل شتوة * وان كان عام الناس ليس بناصب
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * على مبيت السوء ضربة لازب
وقمت الى مهرية قد تعودت * يداها ورجلاها حثيث المواكب

الا انها نيران قيس اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

﴿ وقال الخليل بن أحمد ﴾

كفاه لم يخلقا للندى * ولم يك خلقهما بدعه
فكف عن الخير مقبوضة * كما نقصت مائة سبعه
وكف ثلاثة آلافها * وتسع مياه لها سرعه

﴿ وقال غيره ﴾

وجيرة لا ترى فى الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ما تنضج النار

﴿ وقال احمد بن نعيم السلمى فى بنى حسان ﴾

اذا اختلفوا للضيف لهوج قدرهم * جراديم أشباه النخاعة تبلع
تبل جيار الضيف حتى ترده * وتصبح من عين استه تتطلع
و يقريك من أكرهته من سوادهم * قرى الحى أو أدنى تجوع و يشبع
عظاما وأرواثا و بعرا وان يكن * لدى القوم نار يشتوى لك ضفدع

﴿ ولآخر ﴾

فبتنا كأنا بيتهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعض بعضنا بمصابه * و يأمر بعض بعضنا بالتجلد

﴿ ولآخر ﴾

ذهب الكرام فلا كرام * و بقى الغطاريف اللئام
من لا يقيل ولا ينيل ولا يشم له طعام

﴿ ولآخر ﴾

صدّق أليته ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافتك بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبنى لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

﴿ ولآخر ﴾

ان هذا الفتى يصون رغيفا * ما اليه لناظر من سبيل

هو فى سفرتين من [redacted] ف فى سلتين فى منديل
فى جراب فى جوف تابوت موسى [redacted] لفاتيح عند ميكائيل

﴿ وقال أبو نواس فى فضل الرقاشى ﴾

رأيت قدور الناس سودا من الطلا * وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر
يضيق بحيزوم البعوضة صدرها * ويخرج ما فيها على قلم الظفر
اذا ما تنادوا للرحيل سعى بها * امامهم الحولى من ولد الذر

﴿ وقال فى اسمعيل الكاتب ﴾

خبز اسمعيل كالوشى اذا ما انشق يرفى
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
ان رفاءك هذا * الطف الامة كفا
فاذا قابل بالنصف من الجردق نصفا
احكم الصنعة حتى * ما يرى مغرزا شفا

﴿ ولآخر ﴾

ارفع يمينك من طعامه * ان كنت ترغب فى كلامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه

﴿ ولآخر ﴾

رأيت الخبز عز لديك حتى * حبست الخبز فى جوف السحاب
وما روحتنا لتذب عنا * ولكن خفت من دب الذباب

﴿ ولآخر ﴾

يحذران تتخم اخوانه * ان أذى التخمة محذور
ويشتهى ان يؤجر واعنده * بالصوم والصائم مأجور

﴿ ومن قولنا فى نحوه ﴾

لا يفطر الصائم من أكله * لكنه صوم لمن أفطرا
فى وجهه من لؤمه شاهد * يكفى به الشاهد ان يخبرا

لم يعرف المعروف أفعاله * قط كما لم ينكر المنكرا

﴿ وقال آخر ﴾

خليلى من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن فرعة انه * مخافة ان يرجى نداه حزين
كأن عبيد الله لم يلق ماجدا * ولم يدر ان المكرمات تكون
فقل لابى يحيى متى تدرك العلا * وفى كل معروف عليك يمين
اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

— باب من أخبار البخلاء — ٤

(الرياشى) قال صاحب رجل رجلا من البخلاء فقال له احملنى فقال ما كنت لانزل واحملك قال ما أنت بحاتمى حتى تقول

أنخها فاردفها فان حملتكما * فذاك وان كان العقاب فعاقب

قال مافيها محمل ولا بى طاقة على المشى وقد قال شاعرهم حاتم

اماوى اما مانع فمبين * واما عطاء لا ينهنهه الزجر

﴿ وقال كثير عزة ﴾

مهين تلاد المال فيما ينوبه * منوع اذا ما نعته كان احزما

(سأل) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت من بعض الولاة حاجة فلم يقضها فتشفع اليه برجل فقضاها فقال

ذممت ولم تحمد وادركت حاجتى * تولى سواكم أجرها واصطناعها
أبى لك كسب الحمد رأى مقصر * ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة * عصاها وان همت بشر أطاعها

(احتاج) أبو الاسود الدؤلى مرة فبعث الى جار له موسر يستسلفه وكان حسن الظن به فاعتل عليه ورده فقال

لا تشعرن النفس بأسا فانما * يعيش بجد حازم وبليد
ولا تطمعن فى مال جار لقربه * فكل قريب لا ينال بعيد

(وكتب) الى آخر يستسلفه فكتب اليه المؤنة كثيرة والفائدة قليلة والمال مكذوب عليه

فكتب اليه أبو الاسود ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله كاذبا

(وقال بعض الشعراء في بخيل)

ميت مات وهو في كنف العيـــش مقيم في ظل عيش ظليل
في عداد الموتى وفي عامر الدنيـــا أبو عامر أخي وخليـلي
لم يمت ميتة الحياة ولكن * مات عن كل صالح وجميل

﴿ ولآخر ﴾

فاماقراه كله فلنفسه * ومال يزيد كله لـيزيد

﴿ ولآخر ﴾

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فاما جوده فعلى النصارى * واما باسه فعلى الـكلاب

﴿ ولآخر ﴾

قدحت باظفاري واعملت معولي * فصادفت جاميدا من الصخر أملسا
تجلهم لما قمت في وجه حاجتي * واطرق حتى قلت قدمات أوعسى
فاجمعت ان أنعاه لما رأيته * يفوق فواق الموت حتى تنفسا

﴿ وقال أبو جعفر البغدادي ﴾

جاء بدينارين لي صالح * أصـلحه الله وأخزاها
أدناهما تحـمله ذرة * وتلعب الريح باقـواها
بـل لو وزنالك كلاهما * ثم عمـدنا فـوزناهما
لكان لا كانا ولا أفلحا * عليهـما يرجح ظـلاهما

﴿ والحماد عجرد ﴾

أورق بخيرك تؤمل للجزيل فـا * ترجى الثمـار اذا لم يورق العـود
وللبخيـل عـلى أمـواله علـل * زرق العيـون عليها أوجـه سود
ان الكريم ترى في الناس عفته * حـتى يقال غـني وهو مجهود

﴿ وأنشد ﴾

جاد ابن موسى من دنانيره * لنـا بدينـارين اسرارا

كلاهما فى الكف من خفة * لو نفخا من فرسخ طارا
قلت وقلبي لهما منكر * أيهما للخير قسطارا
فكان هذا عنده بهرجا * وكان هذا عنده بارا
ثم وزنا واحدا منهما * كان له القسطار مختارا
فكان فى كفة ميزانه * ينقص قيراطا ودينارا

﴿ سمع رجل ابن المناذر ينشد ﴾

فأرمى بطرفك حيث شئت فلن ترى الا بخيلا

فقال له بخلت الناس كلهم قال فأرنى واحدا اسمحا (وقال ابن أبى حازم)

وقالوا لو مدحت فتى كريما * فقلت وأين لى بفتى كريم
بلوت ومر بى خمسون عاما * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يعود على عديم

﴿ ولآخر ﴾

لما رآنا فر بوابه * واستد من غير يد بابه
كلب له من بعضه حاجب * يحجبه ان غاب حجابه

﴿ ومن قولنا ﴾

جعل الله رزق كل عدو * لى بكف لبعض من لا أسمى
كف من لا يهز عطفيه يوما * لمديح ولا ينال بذم
يتلقى الرجاء منه بوجه * رائح الخد والجبين بسم
جئته زائرا فما زال يشكو * لى حتى حسبته سيدمى
الف اللؤم فيه من كل طرف * معرقا فيه بين خال وعم
قد نهانى النصيح عنه مرارا * بأبى أنت من نصيح وأمى

﴿ ومن قولنا ﴾

براعة غرنى منها وميض سنا * حتى مددت اليه الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من بخل ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

كلب يهر اذا ماجاء زائره * حتى اذا جاء مهدى تحفة نبسا

﴿ومن قولنا﴾

صحيفة طابعها اللوم * عنوانها بالبخل مختوم
اهدى كهام الخلف فى طيها * والمطل والتسويف واللوم
من وجهه نحس ومن قربه * رجس ومن عرفانه شوم
لا تهتضم ان كنت ضيفا له * فخبزه فى الجوف هاضوم
تكلمه الالحاظ من رقة * فهو بلحظ العين مكلوم
لا تأتدم شيأ على أكله * فانه بالجوع مأدوم

﴿ احتجاج البخلاء ﴾ الاصمعى قال أبو الاسود الدؤلى لو اطعمنا المساكين أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم (وقال) لبنيه لا تطيعوا المساكين فى أموالكم فانهم لا يقنعون منكم حتى يرونكم مثلهم (وقال) لهم أيضا لا تجاودوا الله فانه لو شاء ان يغنى الناس كلهم لفعل ولكنه علم ان قوما لا يصلحهم الغنى ولا يصلح لهم الا الفقر وقوما لا يصلحهم الفقر ولا يصلح لهم الا الغنى (وقال) سهل بن هرون لو قسمت فى الناس مائة ألف لكان الا كثر لائمى ونحوه قول ابن الجهم منع الجميع أرضى للجميع (وقال) رجل من تغلب أتيت رجلا من كندة أسأله فقال يا أخا بنى تغلب انى لن أصلك حتى أحرم من هو أقرب الىّ منك وانى والله لو مكنت من دارى لنقضوها طوبة طوبة والله يا أخا بنى تغلب ما بقى بيدى من مالى وأهلى وعرضى الا ما منعته من الناس (وقال) آخر من أعطى فى الفضول قصر عن الحقوق (وقال) رجل لسهل بن هرون هبنى مالا مرزئة عليك فيه قال وماذاك يا ابن أخى قال درهم واحد قال يا ابن أخى لقد هونت الدرهم وهو طابع الله فى أرضه الذى لا يعصى والدرهم ويحك عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف دية المسلم ألا ترى يا ابن أخى الى أين انتهاء الدرهم الذى هونته وهل بيوت المال الا درهم على درهم (وروى) عن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بنى أوصيك باثنتين ما تزال بخير ما تمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك (وقال) أبو الاسود امساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك وأنشد فى المعنى

يلوموننى فى البخل جهلا وضلة * وللبخل خير من سؤال بخيل

﴿ونظيره قول المتلمس﴾

وحبس المال خير من نفاد * وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقيل لخالد بن صفوان) مالك لا تنفق فان مالك عريض قال الدهر اعرض منه قيل له كانك تؤمل ان تعيش الدهر كله قال لا ولكن أخاف ان لا أموت فى أوله (وقال الجاحظ) للخزامى أترضى ان يقال لك بخيل قال لا أعدمنى الله هذا الاسم لانه لا يقال لى بخيل الا وأنا ذو مال فسلم لى المال وسمنى بأى اسم شئت فقال جمع الله لاسم السخاء المال والحمد وجمع لاسم البخل المال والذم قال بينهما فرق عجيب وبون بعيد ان فى قولهم بخيل سببا لمكث المال وفى قولهم سخى سببا لخروج المال عن ملكى واسم البخيل فيه حزم واسم السخى فيه تضييع وحمد والمال ناض نافع ومكرم لاهله والحمد ريح وسخرية ومسمعة وطرمذة وما أقل غنى الحمد عنه اذا جاع بطنه وعرى ظهره وضاع عياله وشمت به عدوه (وقال محمد بن الجهم) من شأن من استغنى عنك ان لا يقيم عليك ومن احتاج اليك ان لا يزول عنك فمن حبك لصديقك وضنك بمودته ان لا تبذل له ما يغنيه عنك وان تتلطف له فيما يحوجه اليك وقد قيل فى مثل هذا أجع كلبك يتبعك وسمنه يأكلك فمن أغنى صديقه فقد أعانه على الغدر وقطع أسبابه من الشكر والمعين على الغدر شريك الغادر كما ان مزين الفجور شريك الفاجر (وقال يزيد بن عمر الاسدى) لبنيه يا بنى تعلموا الرد فانه أسد من العطاء ولأن تعلم بنو تميم ان عند أحدكم مائة ألف درهم أعظم له فى أعينهم من ان يقسمها عليهم ولان يقال لاحدكم بخيل وهو غنى خير له من ان يقال له سخى وهو فقير (وقال) الخزامى يقولون ثوبك على صاحبك أحسن منه عليك فما ظنك ان كان أقصر منى أليس يتخيل فى قميصى وان كان أطول منى أليس يصير آية للسائلين فمن اسوأ أثرا على صديقه ممن جعله ضحكة فما ينبغى لى ان أكسوه حتى اعلم انه فيه مثلى فتى يتفق هذا (وقال) أبو نواس كان معنا فى السفينة ونحن نريد بغداد رجل من أهل خراسان وكان من فقهائهم وعقلائهم وكان يأكل وحده فقلت له لم تأكل وحدك فقال ليس على فى هذا مسئلة انما المسئلة على من أكل مع الجماعة لانه يتكلف وأكلى وحدى هو الاصل وأكلى مع الجماعة تكلف ماليس على (ووقع) درهم بيد سليمان ابن مزاحم فجعل يقلبه ويقول فى شق لا إله الا الله محمد رسول الله وفى شق آخر قل هو

الله أحد ما ينبغى لهذا أن يكون الا تعويذا او رقية ورمى به فى الصندوق (وكان) أبو عيسى بخيلا وكان اذا وقع الدرهم بيده طنه بظفره وقال يادرهم كم من مدينة دخلتها وأيد درختها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم رمى به فى الصندوق (وقال) رجل لثمامة بن أشرس ان لى اليك حاجة قال وأنا لى اليك حاجة قال وما حاجتك الىّ قال لا أذكرها حتى تضمن قضاءها قال قد فعلت قال فان حاجتى اليك ان لا تسألنى حاجة فانصرف الرجل عنه (وكان) ثمامة يقول مابال أحدكم اذا قال له الرجل اسقنى أتى باناء على قدر اليد أو اصغر واذا قال أطعمنى أتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة والطعام والشراب اخوان اما انه لو لا رخص الماء وغلاء الخبز ما كلبوا على الخبز وزهدوا فى الماء الناس أرغب شىء فى المأكول اذا كثر عنه أو كان قليلا فى منبته ألا ترى الباقلا الاخضر أطيب من الكمثرى والباذنجان أطيب من الكماة ولكن أهل التحصيل والنظر قليل وانما يشتهون على قدر الثمن (وكان) يقول اياكم وأعداء الخبز ما تأدمون به وأعدى عدوله المالح فلو لا ان الله أعان عليه بالماء لاهلك الحرث والنسل (وكان) يقول كلوا الباقلا بقشره فان الباقلا يقول من أكلنى بقشرى فقد أكلنى ومن أكلنى بغير قشرى فقد أكلته فما حاجتكم ان تصيروا طعاما الى طعامكم (الاصمعى) قال جاء رجل من بنى عقيل الى عمرو بن هبيرة فمت اليه بقرابة وسأله ان يعطيه فلم يعطه شيأ ثم عاد اليه بعد أيام فقال أنا العقيلى الذى سألتك منذ أيام فقال له ابن هبيرة وأنا الفزارى الذى منعتك منذ أيام فقال معذرة اليك انى سألتك وأنا أظنك يزيد بن هبيرة المحاربى قال ذلك ألام لك عندى وأهون بك على ثمان قومك مثلى فلم تعرفه ومات مثل يزيد ولم تعلم به ياحرسى اسفع بيده ﴿ومن أشعار البخلاء﴾ الذين يتمثلون بها

وزهدنى فى كل خير صنعته * الى الناس ماجربت من قلة الشكر

﴿ولآخر﴾

ارقع قميصك ما اهتديت لجيبه * فاذا أضلك جيبه فاستبدل

﴿ولابن هرمة﴾

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

﴿ومن أمثالهم﴾ فى البخل وخلف الوعد قولهم تختلف الاقوال اذا اختلفت

الاخوان وقولهم

كلام الليل يمحوه النهار

﴿ وقولهم ﴾

بروق السيف كاذبة الرعود

٥ — رسالة سهل بن هرون فى البخل — بسم الله الرحمن الرحيم أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله قال الاحنف بن قيس يامعشر بنى تميم لا تسرعوا الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون اذا أردت ان ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فانه انما يعيب الناس بفضل مافيه من العيب ومن أعيب العيب ان تعيب ماليس بعيب وقبيح ان تنهى مرشدا وان تغرى بمشفق وما أردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاح فاسدكم وابقاء النعمة عليكم ولئن أخطأنا سبيل ارشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم وقد تعلمون انا ما أوصينا كم الا بما اخترناه لكم ولانفسنا قبلكم وشهرنا به فى الآفاق دونكم ثم نقول فى ذلك ماقال العبد الصالح لقومه وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح مااستطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت فما كان أحقنا بكم فى حرمتنا بكم ان ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على مارعيناه من واجب حقكم فلا العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم ولو كان ذكر العيوب يراد به فخرا لرأينا فى أنفسنا من ذلك شغلا عبتمونى بقولى لخادمى أجيدى العجين فهو أطيب لطعمه وأزيد فى ريعه وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه املكوا العجين فانه أحد الريعين وعبتمونى حين ختمت على شىء عظيم وفيه شىء ثمين من فاكهة رطبة نقية ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبى جشع وأمة لكعاء وزوجة مضيعة وليس من أصل الادب ولا فى ترتيب الحكم ولا فى عدالة العادة ولا فى تدبير السادة ان يستوى فى نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب التابع والمتبوع والسيد والمسود كما لا تستوى مواضعهم فى المجالس ومواقع أسمائهم فى العنوان ومن شاء أطعم كلبه الدجاج السمين وعلف حماره السمسم المقشر وعبتمونى بالختم وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وعلى كيس فارغ وقال طينة خير من ظنة فامسكتم عمن ختم على لاشىء وعبتم من ختم على شىء وعبتمونى ان قلت للغلام اذا زدت فى المرق فزد فى الانضاج ليجتمع

مع التأدم باللحم طيب المرق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طبخ أحدكم لحما فليزد من الماء فمن لم يصب لحما أصاب مرقا وعبتمونى بخصف النعل و بتصدير القميص وحين زعمت ان المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشد وان الترقيع من الحزم والتفريط من التضييع والاجماع مع الحفظ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه و يلعق أصابعه و يقول لو اهدى الى ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وقال عليه الصلاة والسلام من لم يشبع من الحلال خفت مؤنته وقل كبره وقالت الحكماء لا جديد لمن لم يلبس الخلق وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه به موافقا فقال له أكنت به ذا معرفة قال لا ولكنى رأيته فى يوم قائظ يلبس خلقا و يلبس الناس جديدا فتفرست فيه العقل والأدب وقد علمت أن الخلق فى موضعه مثل الجديد فى موضعه وقد جعل الله لكل شىء قدرا وسما به موضعا كما جعل لكل زمان رجالا ولكل مقام مقالا وقد أحيا الله بالسم وأمات بالدواء واغص بالماء وقد زعموا أن الاصلاح أحد الكاسبين كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين وقد جبر الأحنف بن قيس يدعنز وأمر مالك بن أنس بفرك النعل وقال عمر بن الخطاب من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية وقال رجل لبعض الحكماء أريد ان أهدى اليك دجاجة فقال ان كان لابد فاجعلها بيوضا وعبتمونى حين قلت من لم يعرف مواضع السرف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية فلما صرت الى تفريق أجزائه على الاعضاء والى التوفير عليها من وضيعة الماء وجدت فى الاعضاء فضلا عن الماء فعلمت ان لو كنت سلكت الاقتصاد فى أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر فعبتمونى بذاك وشنعتم علىّ وقد قال الحسن وذكر السرف اما انه ليكون فى الماء والكلا فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلأ وعبتمونى ان قلت لا يغترن أحدكم بطول عمره وتقويس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته وان يرى نحوه أكثر ذريته فيدعوه ذلك الى اخراج ماله من يده وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله أن يكون معمرا وهو لا يدرى وممدودا له فى السن وهو لا يشعر ولعله أن يرزق

الولد على الياس ويحدث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولا يدركه عقل فيستردهممن لا يرده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه أصعب ما كان عليه الطلب وأقبح ما كان به أن يطلب فعبتمونى بذلك وقد قال عمرو بن العاصى اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتمونى بأن قلت بأن السرف والتبذير الى مال المواريث وأموال الملوك وان الحفظ للمال المكتسب والغنى المجتلب والى من لا يعرض فيه بذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتمام القلب أسرع ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الاصل ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر وطاب نفسا بالذل وعبتمونى بأن قلت أن كسب الحلال يضمن الانفاق فى الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الانفاق فى الهوى حجاب دون الهوى فعبتم على هذا القول وقد قال معاوية لم أر تبذيرا قط الا والى جنبه تضييع وقد قال الحسن ان أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيما ذا ينفقه فان الخبيث انما ينفق فى السرف وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر منى لكم وأنتم فى دار الآفات والجوائح غير مأمونات فان أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع الى نفسه فاحذروا النقم واختلاف الأمكنة فان البلية لاتجرى فى الجميع الا بموت الجميع وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأمة والشاة والبعير فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين وقال ابن سيرين كيف تصنعون بأموالكم قالوا نفرقها فى السفن فان عطب بعض سلم بعض ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا فى البحر قال ابن سيرين يحسبها حذقاء وهى ضياع وعبتمونى بأن قلت لكم عند اشفاقى عليكم ان للغنى لسكرا وللمال لتروة فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله فعبتمونى بذلك وقد قال زيد بن جبلة ليس أحد أقصر عقلا من غنى أمن الفقر وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر وقال الشاعر فى يحيى بن خالد بن برمك

وهوب تلاد المال فيما ينوبه * منوع اذا ما منعه كان احزما

وعبتمونى حين زعمتم أنى أقدم المال على العلم لان المال به يفاد العلم وبه تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم فهو أصل والاصل أحق بالتفضيل من الفرع فقلتم

كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء الاغنياء أفضل أم العلماء قال العلماء قيل له فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر ما يأتى الاغنياء أبواب العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الاغنياء بحق العلم فقلت حالهما هى القاضية بينهما وكيف يستوى شيء حاجة العامة اليه وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج وقال أبو بكر رضى الله عنه انى لابغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام فى اليوم الواحد وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده اذا بسط الله لك الرزق فابسط واذا قبض فاقبض وعبتمونى حين قلت فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون فى البيت ان احتيج اليها استعملت وان استغنى عنها كانت عدة وقد قال الحصين بن المنذر وددت ان لى مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء قيل له فما كنت تصنع به قال لكثرة من كان يخدمنى عليه لان المال مخدوم وقد قال بعض الحكماء عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه الا انه عز فى قلبك وذل فى قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو ولستم على تردون ولا رأيى تفندون فقدموا النظر قبل العزم وادركوا مالكم قبل أن تدركوا مالكم والسلام عليكم ﴿ومن اللؤم التطفيل﴾ وهو التعرض للطعام من غير أن يدعى اليه

٦ — أخبار الطفيليين — أولهم طفيل العرائس واليه نسب الطفيليون وقال لاصحابه اذا دخل أحدكم عرسا فلا يلتفت تلفت المريب ويتخير المجالس وان كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر فى عيون الناس ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة فان كان البواب غليظا وقاحا فتبدأ به وتأمره وتنهاه من غير أن تعنف عليه ولكن بين النصيحة والادلال (قال) يقول الطفيليون ليس فى الارض عود أكرم من ثلاثة أعواد عصا موسى وخشب منبر الخليفة وخوان الطعام (وكان أبو العرنين الطفيلى) قد نقش فى خاتمه اللؤم شؤم فقيل له هذا رأس التطفيل (احمد بن على الحاسب) قال مر طفيلى بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعى فانكره صاحب المجلس فقالوا له لو تأنيت أو وقفت حتى يؤذن لك أو يبعث اليك قال انما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت

الموائد ليؤكل عليها وما وجهت بهدية فاتوقع الدعوة والحشمة قطيعة وطرحها صلة وقد جاء فى الاثر صل من قطعك واعط من حرمك وأنشد

كل يوم أدور فى عرصة الدا * ر أشم القتار شم الذباب
فاذا ما رأيت آثار عرس * أودخان أودعوة الاصحاب
لم أعرج دون التقحم لا أر * هب طعنا أو لكزة البواب
مستهينا بمن دخلت عليهم * غير مستأذن ولا هياب
فترانى ألف بالرغم منهم * كل ماقدموه لف العقاب

(ومنهم أشعب الطماع) قيل له مابلغ من طمعك قال لم أنظر الى اثنين يتساران الا ظننتهما يأمران لى بشىء وفيه يقال اطمع من أشعب (وقف) أشعب الى رجل يعمل طبقا فقال له أسألك بالله الا مازدت فى سعته طوقا أوطوقين فقال له وما معناك فى ذلك قال لعل يهدى الى فيه شىء (سلوم) أشعب رجلا فى قوس عربية فسأله دينارا فقال له والله لو أرمى بها طائر فى جو السماء وقع مشويا بين رغيفين ما أعطيتك بها دينارا (وبينا) قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا اذا استأذن عليهم أشعب فقال أحدهم ان من شأن أشعب البسط الى أجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قصعة بناحية ويأكل معنا الصغار ففعلوا وأذن له فقالوا له كيف رأيك فى الحيتان فقال والله ان لى عليها لحردا شديدا وحنقا لان أبى مات فى البحر وأكلته الحيتان قالوا له فدونك خذ بثار أبيك فجلس ومد يده الى حوت منها صغير ثم وضعه عند أذنه وقد نظر الى القصعة التى فيها الحيتان فى زاوية المجلس فقال اتدرون مايقول لى هذا الحوت قالوا لا قال انه يقول انه لم يحضر موت أبى ولا أدركه لان سنه يصغر عن ذلك ولكن قال لى عليك بتلك الكبار التى فى زاوية البيت فهى أدركت أباك وأكلته (وكان) رجل من الامراء يستظرف طفيليا يحضر طعامه وشرابه وكان الطفيلى أكولا شروبا فلما رأى الامير كثرة أكله وشربه اطرحه وجفاه فكتب اليه الطفيلى

قد قل أكلى وقل شربى * وصرت من بغية الامير
فليدع بى وهو فى أمان * ان أشرب الراح بالكبير

(وأقبل) طفيلى الى صنيع فوجد باباقدارتج ولا سبيل الى الوصول فسأل عن صاحب

الصنيع ان كان له ولد غائب أو شريك فى سفر فأخبرعنه أن لهولدا ببلد كذا فأخذ رقا أبيض وطواه وطبع عليه ثم أقبل متدللا فقعقع الباب قعقعة شديدة واستفتح وذكر أنه رسول من عند ولد الرجل ففتح له الباب وتلقاه الرجل فرحا فقال كيف فارقت ولدى قال له بأحسن حال وما أقدر أن أكلمك من الجوع فأمر بالطعام فقدم اليه وجعل يأكل ثم قال له الرجل ما كتب كتابا معك قال نعم ودفع اليه الكتاب فوجد الطين طريا فقال له أرى الطين طريا قال نعم وازيدك انه من الكد ما كتب فيه شيأ فقال أطفيلى أنت قال نعم أصلحك الله قال كل لاهناك الله (وقيل) لاشعب ماتقول فى ثردة مغمورة بالزبدة مشققة باللحم قال فاضرب كم قيل له بل تأكلها من غير ضرب قال هذا مالا يكون ولكن كم الضرب فأتقدم على بصيرة (وقيل) لمزيد المدينى وقد أكل طعاما كثله قىء قال أقىء خبز نقى ولحم جدى امرأتى طالق لو وجدتهما قيألأكلنهما (وقيل) لطفيلى ماأبغض الطعام اليك قال القريض قيل له ولم ذا قال لانه يؤخر الى يوم آخر (ومر) طفيلى بقوم من الكتبة فى مشربة له فسلم ثم وضع يده يأكل معهم قالوا له أعرفت منا أحدا قال نعم عرفت هذا وأشار الى الطعام فقالوا قولوا بنا فيه شعرا فقال الاول * لم أرمثل سرطه ومطه * وقال الثانى * ولفه دجاجة بيطه * وقال الثالث * كان جالينوس تحت ابطه * فقال الاثنان للثالث أما الذى وصفناه من فعله فمفهوم فما يصنع جالينوس تحت ابطه قال يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمة يهضم بها طعامه (ومر طفيلى) على الجماز فقال له ماتأكل قال كلب فى قحف خنزير (ودخل طفيلى) على قوم يأكلون فقال ماتأكلون فقالوا من بغضه سما فأدخل يده وقال الحياة حرام بعدكم (ومر طفيلى) على قوم كانوا يأكلون وقد أغلقوا الباب دونه فتسور عليهم من الجدار وقال منعتمونى من الارض فجئتكم من السماء (وقيل لطفيلى) كم اثنان فى اثنين قال أربعة أرغفة (وقيل) لآخر كم كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر درهما ﴿قال محمد بن احمد الكوفى﴾ حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أبيه قال أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة من الزنادقة سموا له بالبصرة فجمعوا وأبصرهم طفيلى فقال مااجتمع هؤلاء الالصنيع فانسل فدخل وسطهم ومضى بهم المتوكلون حتى انتهوا بهم الى زورق قد أعد لهم فدخلوا الزورق فقال الطفيلى هى نزهة فدخل معهم فلم يكن باسرع من ان قيدوا وقيد معهم الطفيلى ثم سير بهم

الى بغداد فأدخلوا على المأمون فجعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا فيأمر بضرب رقابهم حتى وصل الى الطفيلي وقد استوفى العدة فقال للموكلين ماهذا قالوا والله ماندرى غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المامون ماقصتك ويلك قال ياأمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من أحوالهم شيا ولا مما يدينون الله به انما أنا رجل طفيلي رأيتهم مجتمعين فظننتهم ذاهبين لدعوة فضحك المأمون وقال يؤدب وكان ابراهيم بن المهدى قائما على رأس المأمون فقال ياأمير المؤمنين هب لى ذنبه وأحدثك عن حديث عجيب عن نفسي قال قل ياابراهيم قال خرجت ياأمير المؤمنين من عندك يوما فطفت فى سكك بغداد متطربا فانتهيت الى موضع فشممت روائح أبازير قدور قد فاح طيبها فتاقت نفسي اليها والى طيب ريحها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار قال لرجل من التجار من البزازين قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فنظرت الى الدار فاذا بشباك فيها مطل فنظرت الى كف قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم فشغلني ياأمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور وبقيت باهتا ساعة ثم أدركني ذهني فقلت للخياط أهو ممن يشرب قال نعم وأحسب ان عنده اليوم دعوة وليس ينادمه الا تجار مثله مستورون فبينا أنا كذلك اذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال الخياط هؤلاء منادموه فقلت ما اسماهما وما كناهما قال فلان وفلان فحركت دابتى وداخلتهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى بلغا الباب فادخلانى وقدمانى فدخلنا فلما رآنى صاحب المنزل لم يشك انى منهما بسبيل أو قادم قدمت عليهما من موضع فرحب بى وأجلست فى أفضل المواضع فجيء بالمائدة وعليها خبز نظيف وأتينا بتلك الالوان فكان طعمها أطيب من ريحها فقلت فى نفسى هذه الالوان قد أكلتها وبقى الكف والمعصم كيف أصل الى صاحبتهما ثم رفع الطعام وجاؤنا بوضوء فتوضأنا وصرنا الى بيت المنادمة فاذا اشكل بيت ياأمير المؤمنين وجعل صاحب المنزل يلطف بى ويميل علىّ بالحديث وجعلوا لا يشكون ان ذلك منه على معرفة متقدمة حتى اذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية كانها بان تنثنى كالخيزران فأقبلت فسلمت غير خجلة وثنيت لها وسادة فجلست وأتى بالعود فوضع فى حجرها فجسته فاستبنت فى جسها حذقها ثم اندفعت تغنى

توهمها طرفي فاصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها كفى فآلم كفها * فمن مس كفى من أناملها عقر

فجعلت يا أمير المؤمنين بلا بلى تطرب لحسن شعرها ثم اندفعت تغنى

أشرت اليها هل عرفت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد

فحدت عن الاظهار عمدا السرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت ياسلام وجاءنى من الطرب مالا أملك نفسى ثم اندفعت فغنت الثالث

أليس عجيبا ان بيتا يضمنى * واياك لانخلو ولا نتكلم

سوى أعين تشكو الهوى بجفونها * وتقطيع أنفاس على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف يسلم

فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء واصابتها لمعنى الشعر وانها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت به فقلت بقى عليك ياجارية فضربت بعودها الارض وقالت متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان منى ورأيت القوم كانهم تغيروا الى فقلت اما عندكم عود غير هذا قالوا بلى فأتيت بعود فأصلحت من شأنه ثم غنيت

ماللمنازل لايجبن حزينا * أصممن أم قدم المدى فبلينا

راحوا العشية روحة منكورة * ان متن متنا أو حيين حيينا

فما أتممته حتى قامت الجارية فأكبت على رجلى تقبلها وقالت معذرة اليك فوالله ماسمعت أحدا يغنى هذا الصوت غناءك وقام مولاها وأهل المجلس ففعلوا كفعلها وطرب القوم والله واستحثوا الشراب فشربوا بالكاسات والطاسات ثم اندفعت أغنى

أبى الله ان تمشى ولا تذكرينى * وقد سفحت عيناى من ذكرك الدما

فودى مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما

الى الله أشكو انها أجنبية * وانى لها بالود ماعشت مكرما

فطرب القوم حتى خرجوا من عقولهم فامسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا ثم اندفعت أغنى الثالث

هذا محبك مطوى على كمده * حرامدامعه تجرى على جسده

له يد تسأل الرحمن راحته * مماجنى ويد أخرى على كبده

فجعلت الجارية تصيح هـذا الغناء والله ياسيدى لا ماكنا فيـه وسكر القوم وكان صاحب المنزل حسن الشرب صحيح العقل فأمر غلمـانه أن يخرجوهم ويحفظوهم الى منازلهم وخلوت معه فلمـا شربنـا أقداحا قال ياهـذا ذهب مامضى من أيامى ضياعا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت يامولاى ولم يزل يلح حتى أخبرته الخبر فقام وقبل رأسى وقال وأنا أعجب ياسـيدى أن يكون هـذا الادب الا لمثلك وأنى لى أجالس الخلفاء ولا أشعر ثم سألنى عن قصتى فأخـبرته حتى بلغت خبر الكف والمعصم فقال للجارية قومى فقولى لفلانة تنزل ثم لم يزل ينزل جواريه واحدة بعد أخرى وانظر الى كفها ومعصمها وأقول ليست هى حتى قال والله ما بقى غـير زوجتى واختى ووالله لانزلنهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداءك ابدأ بالاخت قبـل الزوجـة فعساها هى فبرزت فلمـا رأيت كفها ومعصمها قلت هى هـذه فأمر غلمـانه فمضوا الى عشرة مشايخ من جلة جـيرانه فأقبلوا بهم وأمر ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم فقال للمشايخ هذه اختى فلانة اشهدكم انى قدزوجتها من سيدى ابراهيم ابن المهـدى وأمهرتها عنـه عشرين ألفا فرضيت النكاح فدفع اليها البدرة وفرق الاخرى على المشايخ وقال لهم انصرفوا ثم قال ياسيدى أمهد لك بعض البيوت فتنام مع أهلك فاحتشمنى مارأيت من كرمه فقلت بل احضر عمارية واحملها الى منزلى قال ماشئت فأحضرت عمارية وحملتها الى منزلى فوالله ياأمير المؤمنين لقد اتبعها من الجهاز ماضاق عنـه بعض بيوتنـا فاولدتها هـذا القائم على رأس أمـير المؤمنين فعجب المـأمون من كرم الرجل وأطلق الطفيـلى وأجازه وألحق الرجل فى أهل خاصته (ومر طفيلى) بقوم يتغدون فقال سلام عليكم معشر اللئام فقالوا لا والله بل كرام فثنى رجله وجلس وقال اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلنى من الكاذبين (ودخل طفيلى) من أهل المدينـة على الفضل بن يحيى و بيـده تفاحـة فألقاها اليـه وقال حياك الله يامدنى فلزمها وأكلها فقال له شؤم عليك يامدنى أتأكل التحيات قال أى والله والزاكيات الطيبات كنت آكلها (وقال) ابراهيم الموصلى فى طفيلى كان يصحبه

نعم النـــديم نديم لايكلفنى * ذبح الدجاج ولا ذبح الفراريج
يكفيه لونان من كشك ومن عدس * وان يشاء فزيتون بطسوج

﴿ وقال طفيلى فى نفسه ﴾

نحن قوم اذا دعينا أجبنا * ومتى ننس يدعنا التطفيل
ونقل علنا دعينا فغبنا * وأتانا فلم يجدنا الرسول

(وقال) آخر وأتى طعاما لم يدع اليه فقيل له من دعاك فأنشأ

دعوت نفسى حين لم تدعنى * فالحمد لى لا لك فى الدعوة
وكان ذا أحسن من موعد * مخلفه يدعو الى الجفوة

(ودخل طفيلى) فى صنيع رجل من القبط فقال له من أرسل اليك فأنشأ

أزوركم لا اكافيكم بجفوتكم * ان المحب اذا مالم يزر زارا

فقال له القبطى زر زارا ليس ندرى من هو أخرج من بيتى (ونظر) رجل من الطفيليين الى قوم من الزنادقة يشار بهم الى القتل فرأى لهم هيئة حسنة وثيابا نقية فظنهم يدعون الى وليمة فتلطف حتى دخل فى لفيفهم وصار واحدا منهم فلما بلغ صاحب الشرطة قال أصلحك الله لست والله منهم وانما أنا طفيلى ظننتهم يدعون الى صنيع فدخلت فى جملتهم فقال ليس هذا مما ينجيك منى اضربوا عنقه فقال أصلحك الله ان كنت ولا بد فاعلا فأمر السياف ان يضرب بطنى بالسيف فانه هو الذى ورطنى هذه الورطة فضحك صاحب الشرطة وكشف عنه فاخبروه انه طفيلى معروف فخلى سبيله (وقال طفيلى)

ألا ليت لى خبزا تسربل رائبا * وخيلا من البرنى فرسانها الزبد
فأطلب فيما بينهن شهادة * بموت كريم لا يشق له لحد

(وكان) أشعب يختلف الى قينة بالمدينة يطارحها الغناء فلما أراد الخروج الى مكة قال لها ناولينى هذا الخاتم الذى فى أصبعك لأذكرك به فقالت انه ذهب وأخاف ان تذهب ولكن خذ هذا العود لعلك تعود (اصطحب) شيخ وحدث من الاعراب فكان لهما قرص فى كل يوم وكان الشيخ متخلع الاضراس بطىء الاكل فكان الحدث يبطش بالقرص ثم يقعد يشتكى العشق و يتضور الشيخ جوعا وكان اسم الحدث جعفرا فقال الشيخ فيه

لقد رابنى من جعفر ان جعفرا * يطيش بقرصى ثم يبكى على جمل
فقلت له لو مسك الحب لم تبت * سمينا وانساك الهوى شدة الاكل

﴿ وقال الحدث ﴾

اذا كان فى بطنى طعام ذكرتها * وان جعت يوما لم تكن لى على ذكر
و يزداد حبي ان شبعت تجددا * وان جعت غابت عن فؤادي وعن فكرى

(وكان) أشعب يختلف الى جارية فى المدينة و يظهر لها التعاشق الى ان سألته سلفة نصف درهم فانقطع عنها وكان اذا لقيها فى طريق سلك طريقا أخرى فصنعت له نشوقا وأقبلت به اليه فقال لها ماهذا قالت نشوق عملته لك لهذا الفزع الذى بك فقال اشربيه انت للطمع فلو انقطع طمعك انقطع فزعى وأنشأ يقول

اخانى ماشئت وعدى * وامنحينى كل صد
قد سلا بعدك قلبي * فاعشقى من شئت بعدى
انني آليت لا أعشق من يعشق نقدى

(وقيل) لاشعب ما أحسن الغناء قال نشيش المقلى قيل له فما أطيب الزمان قال اذا كان عندك ماتنفق (وكان أشعب يغنى)

ألا أخبرت اخبارا * أتت فى زمن الشده
وكان الحب فى القلب * فصار الحب فى المعده

﴿ وقال آخر فى طفيلى من أهل الكوفة ﴾

زرعنا فلما تم الله زرعنا * وأوفى عليه منجل بحصاد
بلينا بكوفى حليف مجاعة * أضر بزرع من دبى وجراد

(وقال) هشام أخو ذى الرمة لرجل أراد سفرا ان لكل رفقة كلبا يشركهم فى فضلة الزاد فان استطعت ان لا تكون كلب الرفاق فافعل (وخرج) أبو نواس متنزها مع شطار من أصحابه فنزلوا روضة و وضعوا اشرابا فمر بهم طفيلى فطارح عليهم فقال له أبو نواس ما اسمك قال أبو الخير فرحب به وقعد معهم ثم مرت بهم جارية فسلمت فردعليها وقال لها ما اسمك قالت زانة قال أبو نواس لاصحابه اسرقوا الياء من أبى الخير فاعطوها زانة فتكون زانية و يكون أبو الخير أبا الخر كما هو ففعلوا (الجاحظ قال) دعا أبو عبد الله الواسطى الى صنيع فدعانى فدعوت أبا الفلوسكى فلما كان من الغد صبح الفلوسكى الجاحظ فقال له أما تذهب بنا هناك يا أبا عثمان قال نعم قال فذهبنا حتى أتينا دار صاحب الصنيع فلم يكن علينا كسوة رائعة ولا تحتنا دواب فتدخل تجاهنا فوجدنا البواب ذا غلظ و جفاء فمنعنا فانحدرنا فى جانب الايوان ننتظر أحدا يعلم أبا عبد الله

الواسطى بحالنا فمكثنا حينا حتى أتى من نعرفه فسألناه أن يعلم أباعبدالله الواسطى بنا فلما أخبر خرج الينا يتلقانا فتقدمنى الفلوسكى وتقدمه حتى أتى صدر المجلس فقعد فيه ثم قال لى ههنا عندنا ياأباعثمان فلما خلونا ثلاثتنا قلت للفلوسكى كيف تسمى العرب من أمالت الى أنفسها قال الفلوسكى تسميه ضيفا فقال له الجاحظ وكيف تسمى من أماله الضيف قال تسميه ضيفنا قال الجاحظ وكيف تسمى من أماله الضيفن قال ما لمثل هذا عند العرب تسمية قال الجاحظ فقلت قد رضيت أن تكون فى منزلة من التطفيل لم تجد لها العرب اسما ثم تتحكم تحكم صاحب البيت

٧ — باب من أخبار المحارفين الظرفاء — (منهم أبو الشمقمق الشاعر) وكان أديبا ظريفا محارفا وكان صعلوكا متبرما بالناس وقد لزم بيته فى أطمار مسحوقة وكان اذا استفتح عليه أحد بابه خرج فينظر من فروج الباب فان أعجبه الواقف فتح له والا سكت عنه فاقبل اليه يوما بعض اخوانه الملطفين له فدخل عليه فلما رأى سوء حاله قال له أبشر أبا الشمقمق فانا روينا فى بعض الحديث ان العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فقال ان صح والله هذا الحديث كنت أنا فى ذلك اليوم بزازا ثم أنشأ يقول

أنا فى حال تعالى الله ربى أى حال
ليس لى شىء اذا قيـل لمن ذا قلت ذا لى
ولقد أفلست حتى * محت الشمس خيالى
ولقد أفلست حتى * حل أكلى لعيالى

﴿ وله ﴾

أترانى أرى من الدهر يوما * لى فيه مطية غير رجلى
كلما كنت فى جميع فقالوا * قربوا للرحيل قربت نعلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

﴿ وقال أبو الشمقمق أيضا ﴾

لو قد رأيت سريرى كنت ترحمنى * الله يعلم مالى فيه تلبيس
والله يعلم مالى فيه شابئة * الا الحصيرة والاطمار والديس

﴿ وقال أيضا ﴾

برزت من المنازل والقباب * فلم يعسر على أحد حجابى
فمنزلى الفضاء وسقف بيتى * سماء الله أوقطع السحاب
فأنت اذا أردت دخلت بيتى * علىّ مسلما من غير باب
لانى لم أجد مصراع باب * يكون من السحاب الى التراب
ولا انشق الثرى عن عود تخت * أؤمل أن أشاريه ببابى
ولا خفت الاباق على عبيدى * ولا خفت الهلاك على دوابى
ولا حاسبت يوما قهرمانى * محاسبة فاغلط فى حسابى
وفى ذا راحة وفراغ بال * فدأب الدهرذا أبدا ودابى

﴿ وقال أيضا ﴾

لوركبت البحار صارت فجاجا * لا ترى فى متونها أمواجا
فلوأنى وضعت ياقوتة حمراء فى راحتى لصارت زجاجا
ولوانى وردت عذبا فراتا * عاد لاشك فيه ملحا اجاجا
فالى الله أشتكى والى الفضل فقد أصبحت بزاتى دجاجا

﴿ وقال عمرو بن المنذر ﴾

وقفت فلا أدرى الى أين أذهب * وأى أمورى بالعزيمة أركب
عجبت لاقدار علىّ تتابعت * بنحس فأفنى طول دهرى التعجب
ولما التمست الرزق فانحل حبله * ولم يصف لى من بحره العذب مشرب
خطبت الى الاعدام احدى بناته * لدفع الغنى اياى اذ جئت أخطب
فزوجنيها ثم جاء جهازها * وفيه من الحرمان تخت ومسحب
فاولدتها الحزن النقى فماله * على الارض غيرى والدحين ينسب
فلو تهت فى البيداء والليل مسبل * على دياجيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلمة * لاقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جادَ انسان على بدرهم * لرحت الى رحلى وفى الكف عقرب
ولو مطر الناس الدنانير لم يكن * بشىء سوى الحصباء رأسى يحصب
ولو لمست كفاي عقدا منظما * من الدهر أضحى وهو ودع مثقب

وان يقترف ذنبا بيرقة مذنب * فان برأسى ذلك الذنب يعصب
وان أرخ يرافى المنام فنازح * وان أر شرا فهو منى مقرب
ولم أغد فى أمر أريد نجاحه * فقابلنى الا غراب وارنب
امامى من الحرمان جيش عرمرم * ومنه ورائى جحفل حين اركب

﴿ وقال آخر ﴾

ليس اغلاقى لبابى ان لى * فيه ما أخشى عليه السرقا
انما اغلقته كى لا يرى * سوء حالى من يمر الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلو * يدخل السارق فيه سرقا

﴿وقال الحسن بن هانىء فى هذا المعنى﴾

الحمد لله ليس لى نشب * نخف ظهرى وقل زوارى
من نظرت عينه الى فقد * احاط علما بما حوت دارى
جرى فى البيت كامن وعلى * مدرجة الرائحين اسرارى

﴿ وقال بعض المحارفين ﴾

لزمتنى حرفة ما تنقضى * أبدا حتى أوارى فى الجدث
كلزوم الطرق الا انها * تستجد الدهر والطوق يرث



٢٣

﴿ فرش كتاب الزبرجدة الثانية ﴾

﴿ فى بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان ﴾

﴿ قال أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله ﴾ قد مضى قولنا فى المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان والنعمة والسرور اذ لم يكن مدار الدنيا الا عليها ولا قوام الابدان الا بها واذ هى نمو الفراسة وتركيب الغريزة واختلاف الهمم وطيب الشيم وتفاضل الطعوم وقد تكلم الناس فى النعمة والسرور وعلى تباين أحوالهم واختلاف هممهم وتفاوت عقولهم وما يجانس كل رجل منهم فى طبعه ويؤالفه فى نفسه ويميل اليه فى وهمه وانما اختلف الناس فى هذا المذهب لاختلاف أنفسهم فنهم من نفسه عصبية فانما همه منافسة الاكفاء ومغالبة الاقران ومكابرة العشيرة ومنهم من نفسه ملكية فانما همه اليقين فى العلوم وادراك الحقائق والنظر فى العواقب ومنهم من نفسه بهيمية فانما همه طلب الراحة واهتبال النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفرس دهرها كله فقالوا يوم المطر للشرب ويوم الريح للنوم ويوم الدجن للصيد ويوم الصحو للجلوس وهى أغلب الطبائع على الانسان لاخذها بمجامع هواه وايثار الراحة وقلة العمل فنه قولهم الرأى نائم والهوى يقظان وقولهم الهوى إله معبود وقولهم ربيع القلب ما اشتهى وقولهم لاعيش كطيب النفس ﴿ النفس الملكية ﴾ قيل لضرار بن عمرو ما السرور قال اقامة الحجة وادحاض الشبهة (وقيل) لآخر ما السرور قال احياء السنة واماتة البدعة (وقيل) لآخر ما السرور قال ادراك الحقيقة واستنباط الدفينة (وقال) الحجاج ابن يوسف لخريم الناعم ما النعمة قال الامن فانى رأيت الخائف لاينتفع بعيش قال له

زدنى قال فالصحة فانى رأيت المريض لاينتفع بعيش قال له زدنى قال له الغنى فانى رأيت الفقير لاينتفع قال له زدنى قال فالشباب فانى رأيت الشيخ لاينتفع بعيش قال له زدنى قال ما أجد مزيدا (وقيل) لاعرابى ما السرور قال الامن والعافية ﴿ النفس العصبية ﴾ قيل لحصين بن المنذر ما السرور قال لواء منشور والجلوس على السرير والسلام عليك أيها الامير (وقيل) للحسن بن سهل ما السرور قال توقيع جائز وأمر نافذ (وقيل) لعبدالله بن الاهتم ما السرور قال رفع الاولياء ووضع الاعداء وطول البقاء مع الصحة والنماء (وقيل) لزياد ما السرور قال من طال عمره ورأى فى عدوه مايسره (وقيل) لابى مسلم صاحب الدعوة ما السرور قال ركوب الهماجة وقتل الجبابرة (وقيل) له ما اللذة قال اقبال الزمان وعز السلطان ﴿ النفس البهيمية ﴾ قيل لامرئ القيس ما السرور قال بيضاء رعبوبة بالطيب مشوبة باللحم مكبوبة وكان مفتونا بالنساء (وقيل) لاعشى بكر ما السرور قال صهباء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية وكان مغرما بالشراب (وقيل) لطرفة ما السرور فقال مطعم هنى ومشرب روى وملبس دفىء ومركب وطىء وكان يؤثر الخفض والدعة (وقال طرفة)

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وربك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ماتعل بالماء تزبد
وكرّى اذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضى فى الطخية المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء الممدد

(وسمع) بهذه الابيات عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه فقال وانا والله لولا ثلاث لم احفل متى قام عودى لولا ان اعدل فى الرعية واقسم بالسوية وانفر فى السرية (وقال عبدالله بن نهيك)

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وربك لم احفل متى قام رامس
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كان أخاها مطلع الشمس ناعس
ومنهن تقريط الجواد عنانه * اذا ابتدر الشخص الكمى الفوارس
ومنهن تجريد الكواكب كالدمى * اذا انتزعت اكفالهن الملابس

(وقيل) ليزيد بن مزيد ماالسرور قال قبلة على غفلة وكان صاحب وصائف
(وقيل) لحرقة بنت النعمان ما كانت لذة أبيك قالت شرب الجريال ومحادثة الرجال
(وقيل) لحصين بن المنذر ماالسرور قال دارقوراء وجارية حوراء وفرس مرتبط
بالفناء (وقيل) للحسن بن هانيء ماالسرور قال مجالسة الفتيان فى بيوت القيان ومنادمة
الاخوان على قضب الريحان وانشأ يقول

قلت بالعين لموسى * ونداماى نيام
يارضيعى ثدى أم * ليس لى عنه فطام
انما العيش سماع * ومدام وندام
فاذا فاتك هذا * فعلى الدنيا السلام

(وقال) معاوية لعبدالله بن جعفر ماأطيب العيش قال ليس هذه من مسائلك
ياأمير المؤمنين قال عزمت عليك لتقولن قال هتك الحيا واتباع الهوى (وقال) معاوية
لعمرو بن العاص ماالعيش قال ليخرج من ههنا من الاحداث فخرجوا فقال العيش
كله فى اسقاط المروأة (وقال) هشام بن عبد الملك ألذ الاشياء كلها جليس مساعد
يسقط عنى مؤنة التحفظ (وقيل) لاعرابى ماالسرور قال لبس البالى فى الصيف
والجديد فى الشتاء (وقيل) لآخر ماالنعيم قال الماء الحار فى الشتاء والبارد فى الصيف
﴿ البنيان ﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم من بنى بنيانا فليتقنه (وقالت) الحكماء
لذة الطعام والشراب ساعة ولذة الثوب يوم ولذة المرأة شهر ولذة البنيان دهر كلما نظرت
اليه تجددت لذته فى قلبك وحسنه فى عينك (وقالوا) دار الرجل جنته فى الدنيا (وقالوا)
ينبغى للدار ان تكون أول ماتبتاع وآخر ماتباع (وقال) يحيى بن خالد لابنه جعفر بن يحيى
حين اختط داره ليبنيها هى قميصك ان شئت فضيق وان شئت فوسع (وقال) هرون الرشيد
لعبد الملك بن صالح كيف منزلك بمنبج قال دون منازل أهلى وفوق منازل أهلها قال
وكيف ذلك وقدرك فوق اقدارهم قال ذلك خلق أمير المؤمنين احتذى مثاله (ولما) دخل
هرون منبجا قال لعبد الملك بن صالح هذا منزلك قال هو لامير المؤمنين ولى به قال كيف ماؤه
قال أطيب ماء قال كيف هواؤه قال أفسح هواء (وذكر) عند جعفر بن يحيى الدار الفسيحة
الجو الطيبة النسيم فقال رجل عنده لقد دخلت الطائف فكأنى كنت أبشر وكان قلبى ينضح

بالسرور ولا أجد لذلك علة الا طيب نسيمها وانفساح هوائها (وقيل) للحسن بن سهل كيف نزلت الاطراف قال لانها منازل الاشراف ينالون فيها ما أرادوا بالقدرة وينالهم فيها من أرادهم بالحاجة ﴿ قولهم في الدار الضيقة ﴾ ماهى الاقرار حافر وماهى الا وجار ضبع وماهى الا فترة قانص وماهى الا مفحص قطاة وقالوا ماهى الا محلة يعسوب برأس سنان ومن مات في دار ضيقة قيل فيه خرج من قبر الى قبر ﴿ من كره البنيان ﴾ كتب سعد بن أبى وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه فى بناء بيته فقال ابن ما يكنك عن الهواجر وأذى المطر (وكتب) عامل لعمر بن عبد العزيز يستأذنه فى بناء مدينة فكتب اليه ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم (ومر) عمر بن الخطاب ببناء يبنى بآجر وجص فقال لمن هذا فقيل لعامل من عمالك فقال أبت الدراهم الا أن تخرج أعناقها وأرسل اليه من يشاطره ماله (وقيل) ليزيد بن مزيد بن المهلب مالك لا تبنى قال منزلى دار الامارة أو الحبس (ومر) رجل من الخوارج بدار تبنى فقال من هذا الذى يقيم كفيلا والخوارج تقول كل مال لا يخرج بخروجك ويرجع برجوعك فانما هو كفيل بك (ولما) بنى أبو جعفر داره بالانبار دخلها مع عبد الله ابن الحسن فجعل يريه بنيانه فيها وما شيد من المصانع والقصور فتمثل عبد الله بن الحسن بهذه الابيات

ألم تر حوشبا أضحى يبنى * قصورا نفعها لبنى نفيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليله

(وقالوا) فى الحجاج بن يوسف اذ بنى مدينته واسطا بناها فى غير بلده وأورثها غير ولده ﴿ اللباس ﴾ اسمعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران رداء وعمامة (على بن عاصم) عن أبى اسحق الشيبانى قال مررت بمحمد بن الحنفية واقفا بعرفات وعليه برد عليه مطرف خز أصفر (الشيبانى) عن ابن جريج أن ابن عباس كان يرتدى رداء بألف (أبو حاتم) عن الاصمعى أن ابن عون اشترى برنسا فمر على معاذة العدوية فقالت مثلك يلبس هذا قال فذكرت ذلك لابن سيرين فقال ألا أخبرتها أن تميما الدارى اشترى حلة بألف يصلى فيها (وقال) معمر رأيت قميص أيوب السختيانى كاد يمس الارض فسألته عن ذلك فقال ان الشهرة كانت فيما مضى فى تذييل القميص وانها اليوم فى تشميره (وفى موطا) مالك بن أنس رضى الله عنه ان جابر بن عبد الله قال

خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أنمار فبينا أنا نازل تحت شجرة اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هلم يارسول الله الى الظل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر وعندنا صاحب له نجهزه يذهب يرعى ظهرنا قال فجهزته ثم أدبر يذهب الى الظهر وعليه ثوبان قد أخلقا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أله ثوبان غير هذين قلت بلى يارسول الله له ثوبان فى العيد كسوته اياهما قال فادعه فمره فليلبسهما قال فدعوته فلبسهما ثم ولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله ضرب الله عنقه أليس هذا خيرا له قال فسمعه الرجل فقال فى سبيل الله يارسول الله فقتل الرجل فى سبيل الله (العتبى) قال أصابت الربيع بن زياد الحارثى نشابة على جبينه فكانت تنتقض عليه فى كل عام فأتاه على بن أبى طالب عائدا فقال كيف تجدك ياأباعبد الرحمن قال أجدنى لو كان لايذهب مابى الاذهاب بصرى لتمنيت ذهابه قال له وماقيمة بصرك عندك قال لو كانت لى الدنيا فديته بها قال لاجرم ليعطينك الله على قدر ذلك ان شاء الله ان الله يعطى على قدر الالم والمصيبة وعنده بعد تضعيف كثير قال له الربيع ياأمير المؤمنين ألا أشكو اليك عاصم بن زياد قال وماله قال لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وأحزن ولده فقال على عاصما فلما أتاه عبس فى وجهه وقال ويلك ياعاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره أخذك منها لانت أهون على الله من ذلك أوماسمعته يقول مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها أما والله ان ابتذال نعم الله بالفعال أحب اليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعته عز وجل يقول وأما بنعمة ربك فحدث ويقول قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وأن الله عز وجل خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم وقال ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم فقال عاصم فعلام اقتصرت أنت ياأمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الخبيث قال ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا لانفسهم بالقوام لئلا يتسع على الفقير فقره قال فما برح حتى لبس الملاء ونبذ العباء ﴿ لباس الصوف ﴾ قدم حماد بن سلمة البصرة فجاء فرقد السبخى وعليه ثياب صوف فقال له حماد ضع عنك نصرانيتك هذه فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم فخرج علينا وعليه معصفرة ونحن نرى ان الميتة قد حلت له (قال) أبو الحسن

المدايني دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والى خراسان وعليه مدرعة صوف فقال له قتيبة أكلمك فلا تجيبني قال أكره أن أقول زهدا فازكى نفسي أو أقول فقرا فأشكو ربي (وقال) ابن السماك لاصحاب الصوف والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم لقد أحببتم ان يطلع الناس عليها وائن كان مخالفا لها لقد هلكتم (وكان) القاسم بن محمد يلبس الخز وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ومقعدهما واحد في مسجد المدينة فلا ينكر بعضهما على بعض شيأ (وقال) محمود الوراق في أصحاب الصوف

تصوف كي يقال له أمين * ومامعنى التصوف والامانه
ولم يرد الاله به ولكن * أراد به الطريق الى الخيانه

﴿التزين والتطيب﴾ دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والتطيب فوجده قاعدا على حشايا مصبغة وجارية تغلفه بالغالية فقال له يرحمك الله جئت اسألك عن شيء فوجدتك فيه قال على هذا ادركت الناس (وفي حديث) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشعث حتى لو لم يجد أحدكم الا زيتونة فليعصرها وليدهن بها (وقال) عليه الصلاة والسلام لعائشة مالي أراك شعثاء مرهاء سلتاء قالت يارسول الله أو لسنا من العرب قال بلى ربما انسيت العرب الكلمة فيعلمنيها جبريل الشعثاء التي لاتدهن والمرهاء التي لاتكتحل والسلتاء التي لاتختضب (وقال) صلى الله عليه وسلم مانلت من دنياكم الا النساء والطيب (وروى) مالك عن يحيي بن سعيد ان أبا قتادة الانصاري قال يارسول الله ان لي جمة افأرجلها يارسول الله قال نعم واكرمها قال فكان أبو قتادة ربما دهنها في اليوم مرتين (وروى) مالك عن زيد بن اسلم ان عطاء بن يسار اخبره قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج فأصلح رأسك ولحيتك ففعل ثم رجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كانه شيطان (وقد) تمادحت العرب بحسن الهيئة وطيب الرائحة قال النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب
يحييهم بيض الولائد بينهم * واكسية الاضريج بين المساحب
يصونون أجسادا قديما نعيمها * بخالصة الاردان خضر المناكب

(وقال الفرزدق)

بنو دارم قومى ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها
يجرون هداب اليمانى كانهم * سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

(وقال طرفة)

اسد غيل فاذا ماشربوا * وهبوا كل امون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

(وقال كثير عزة)

اشم من الغادين فى كل حلة * يميسون فى صبغ من العصب متقن
لهم ازر حمر الحواشى يطونها * باقدامهم فى الحضرمى الملسن

(وقال آخر)

من النفر الشم الذين اذا اعتزوا * وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه * وطيب الدهان رأسه فهو اترع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا * له حول برديه أزفوا وأوسعوا

(وقال آخر)

يشبهون ملوكا فى تجلتهم * وطول انضية الاعناق واللمم
اذا بدا المسك يجرى فى مفارقهم * راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(وقال آخر فى على بن داود الهاشمى)

أما أبوك فذاك الجود نعرفه * وأنت أشبه خلق الله بالجود
كان ديباجتى خديه من ذهب * اذا تعصب فى أثوابه السود

﴿الرحلة والركوب﴾ سمع عمرو بن العاص رجلا يقول الرحلة قطعة من العذاب فقال له لم تحسن بل العذاب قطعة من الرحلة (ولما) مشى هرون الى مكة ومشت معه زبيدة كانت تبسط الدرانك امامهم وتطوى خلفهم فلما اعيا دعا بخادم له فألقى ذراعه عليه وتأوه وقال والله لركوب حمار مشوس خير من المشى على الدرانك قال الشاعر

وما عن رضى صار الحمار مطيتى * ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

﴿وقال اعرابى﴾

يا ليت لى نعلين من جلد الضبع * كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

﴿ الخيل ﴾ قد مضى من قولنا فى وصف الخيل وفضائلها فى كتاب الحروب ما كفى من اعادتها ههنا

﴿ البغال ﴾ قال مسلمة بن عبد الملك ماركب الناس مثل بغلة طويلة العنان قصيرة العذار سفواء العرف حصاء الذنب سوطها عنانها وهمها امامها (وعاتب) الفضل ابن الربيع بعض الهاشميين فى ركوب بغلة فقال هذا مركب تظاهر عن خيلاء الفرس وارتفع عن ذلة الحمار وخير الامور أوسطها

﴿ الحمير ﴾ قيل للفضل الرقاشى انك لتؤثر الحمير على سائر الدواب قال لانها أرفق وأوفق قلت ولم ذلك قال لا يستدل بالمكان على طول الزمان ثم هى أقل داء وأيسر دواء وأخفض مهوى وأسلم صريعا وأقل جماحا وأشهر فارها وأقل تطيرا يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ويعد مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه (وقال جرير بن عبد الله) لا تركب حمارا ان كان حديدا أتعب يديك وان كان بليدا أتعب رجليك

﴿ طباع الانسان وسائر الحيوان ﴾ زعم علماء الطب ان فى الجسد من الطبائع الاربع اثنى عشر رطلا فللدم منها ستة أرطال وللمرة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال فان غلب الدم الثلاث طبائع تغير منه الوجه وورم ويخرج ذلك الى الجذام وان غلب الثلاث طبائع الدم أنبت المد فاذا خاف الانسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضا فليعدل جسده بالاقتصاد وينقيه بالمشى فان لم يفعل اعتراه ماوصفنا اما جذام واما مد أسأل الله العافية ولا بأس بعلاج الجسد فى جميع الازمان الامن النصف من تموز الى النصف من آب فذلك ثلاثون يوما لا يصلح فيها علاج الا أن ينزل مرض لابد من مداواته (جعفر) بن محمد بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم قال الغلام يشب كل سنة أربع أصابع (حدثنى) عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه انه قرأ فى التوراة ان الله عز وجل حين خلق آدم ركب جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثة فى ولده تنمو فى أجسادهم وينمون عليها الى يوم القيامة رطب ويابس وسخن وبارد قال وذلك انى خلقته من تراب وماء وجعلت فيه يبسا فيبوسة كل جسد من قبل التراب ورطوبته من قبل الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته من

قبل الروح ثم خلقت للجسد بعد هـذا الخلق الاول أربعة أنواع أخر وهي ملاك الجسد وقوامه فاذا لايقوم الجسد الابهن ولاتقوم واحـدة الا بالاخرى المرة السوداء والمرة الصفراء والدم الرطب الحار والبلغم البارد ثم اسكنت بعض هذا الخلق فى بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء ومسكن الرطوبة فى الدم ومسكن البرودة فى البلغم ومسكن الحرارة فى المرة الصفراء فايما جسد اعتدلت فيه هـذه الفطر الاربع وكانت كل واحـدة فيـه وفقا لاتزيد ولاتنقص كملت صحتـه واعتـدلت بنيته وان زادت واحـدة منهن غلبتهن وقهرتهن ومالت بهن ودخل على اخواتها السقم من ناحيتها بقـدر مازادت وان كانت ناقصة عنهن ملن بها وعلونها وأدخل عليها السقم من نواحيهن لقلتها عنهن حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاومتهن (قال) وهب بن منبه وجعل عقله فى دماغه وشرهه فى كليته وغضبه فى كبـده وصرامته فى قلبه ورعبـه فى رئتـه وضحكه فى طحاله وحزنه وفرحـه فى وجهه وجعل فيه ثلثمائة وستين مفصلا (الاصمعى) من لم يخف شعره قبل الثلاثين لم يصلع أبدا ومن لم يحمل اللحم قبل الثلاثين لم يحمله أبدا (حدث) زيد بن احزم قال حـدثني بشر بن عمر عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ابن آدم تأكله الارض الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب (وقالت) الحكماء الخنث يعترى الاعراب والاكراد والزنج والمجانين وكل صنف الا الخصيان فانه لايكون خصى مخنثا (وقالوا) كل ذى ريح منتنة وزفير كالتيس وماأشبهه اذا خصى نقص ريحـه وذهب صنانه غير الانسان فانه اذا خصى زاد نتنه واشـتد صنانه وخبث عرقه وريحـه (قالوا) وكل شيء من الحيوان يخصى فان عظمه يرق واذا رق عظمه استرخى لحمـه الا الانسان فانه اذا خصى طال عظمه وعرض وقالوا الخصى والمرأة لايصلعان أبدا والخصى تطول قدمـه وتعظم (وبلغنى) انه كان لمحمـد بن الجهم برذون رقيق الحافر فخصاه فجاد حافره وحسن (قالوا) والخصى تلين معاقد عصبه وتسترخى ويعتريه الاعوجاج والفدع فى أصابعه وتسرع دمعته ويجود جلده ويسرع غضبه ورغاؤه ويضيق صدره عن كتمان السر (وزعم) قوم ان أعمارهم تطول لترك الجماع كما تطول أعمار البغال وقالوا ان قلة أعمار العصافير من كثرة الجمـاع (وقالوا) فى الغلمان من لايحتلم أبدا وفي النساء من لاتحيض أبدا وذلك عيب ومن النـاس من لايسقط شعره ولايتبـدل سنه

(فنهم) عبد الصمد بن على ذكروا انه دخل قبره برواضعه وقالوا الضب والخنزير لا يلقيان سنا من أسنانهما أبدا (وقالت الحكماء) انه ليس شىء من الحيوان يستطيع أن ينظر الى أديم السماء غير الانسان كرمه الله بذلك وقالوا ان الجنين يغتذى بدم الحيض يقبل اليه من قبل السرة ولذلك لا تحيض الحوامل الا القليل وقد رأينا من الحوامل من تحيض وذلك لكثرة الدم وتقول العرب حملت المرأة شهرا اذا حاضت عليه وقال الهذلى

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

يعنى انها لم ترد عليه دم حيض فى حملها به قالوا فاذا خرج الولد من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذى كان الجنين يغتذيه الى الثديين وهما عضوان باردان عصبيان يصيرانه لبنا خالصا سائغا للشاربين (وقالوا) يعيش الانسان حيث تعيش النار ويتلف حيث لا تبقى النار وأصحاب المعادن والحفائر اذا هجموا على فتق فى بطن الارض أو مغارة قدموا شمعة فى طرف قناة فان عاشت بالنار وثبتت دخلوا فى طلبها والا أمسكوا والعرب تتشاءم بيكر ولد الرجل اذا كان ذكرا (وكان) قيس بن زهير ازرق بكرا ابن بكرين (وحدث) محمد بن عائشه عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن حارث بن نوفل قال بكر البكر بن شيطان مخلد لا يموت الى يوم القيامة يعنى من الشياطين قالوا وابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون لانه يأخذ خبث خصال أبيه وخصال أمه والعرب تذكر ان الغير لا تخبث وقال عمرو بن معديكرب

ألست تصير اذا ما نسبت بين المغارة والاحمق

(وقالت) الحكماء كل امرأة أو دابة تبطىء عن الحمل ان واقعها الفحل فى الايام التى يجرى فيها الماء فى العود فانها تحمل باذن الله (وقالت) الحكماء الزنج شرار الخلق وأردؤهم تركيبا لان بلادهم سخنت جدا فأحرقتهم فى الارحام وكذلك من بردت بلاده فلم تنضجه الرحم وانما فضل أهل بابل لعلة الاعتدال والشمس هى التى شمطت شعور الزنج فقبضته والشعر ان ادنيته من النار تقبض فاذا زدته شيأ تفلفل فان زدته احترق (وقالوا) أطيب الامم أفواها الزنج وان لم تستن وذلك لرطوبة أفواهها وكثرة الريق فيها وكذلك الكلاب من سائر الحيوان أطيبها أفواها لكثرة الماء فيها وخلوف فم الصائم يكون لقلة الريق وكذلك الخلوف فى آخر الليل (وقالت) الحكماء أيضا كل حيوان

اذا ألقى فى الماء سبح الا الانسان والقرد والفرس الاعسر فان هذه تغرق ولا تسبح قالوا وليس فى الارض هارب من حرب اوغيرها يستعمل الخطر الا اذا أخذ على يساره ولذلك قالوا فال على وحشيه وانحنى على شؤم بدنه (وقالوا) كل ذى عين من ذوات الاربع السباع والبهائم الوحشية والانسية فانما الاشفار منها بجفنها الاعلى الا الانسان فان الاشفار يعنى الهدب بجفنيه معا الاعلى والاسفل (وقالوا) كل جلد ينسلخ الا الانسان فان جلده لاينسلخ (وحدث) أبوحاتم عن الاصمعى قال اختصم رجلان الى عمر رضى الله عنه فى غلام كلاهما يدعيه فسأل عمر أمه فقالت غشينى أحدهما ثم أهرقت دما ثم غشينى الآخر فدعا عمر بالرجلين فسألهما فقال أحدهما أعلن أم اسر قال اسر قال اشتركنا فيه فضربه عمر حتى اضطجع ثم سأل الآخر فقال مثل ذلك فقال عمر ما كنت أرى مثل هذا يكون ولقد علمت ان الكلبة يسفدها الكلاب تؤدى الى كل كلب نجله وركب الناس فى أرجلهم وركب ذوات الاربع فى أيديها وكل طائر كفه رجله (الليث بن سعد) عن ابن عجلان عن امرأة حملت فأقامت حاملا خمس سنين ثم ولدت وحملت له مرة أخرى فأقامت حاملا ثلاث سنين ثم ولدت (وولد) الضحاك بن مزاحم وهو ابن ثلاثة عشر شهرا (وقال) جرير ولد الضحاك لسنين وشعبة لسنتين ﴿ما نقص من خلقة الحيوان﴾ حدث أبوحاتم عن أبى عبيدة والاصمعى وأبى زيد قالوا الفرس لاطحال له والبعير لامرارة له والظليم لامخ له (وقال زهير) * من الظلمان جؤجؤه هواء * وكذلك طير الماء والحيتان لا ألسنة لها ولا أدمغة لها وصفن البعير لا بيضة فيه والسمكة لارئة لها ولاتتنفس وكل ذى رئة يتنفس ﴿المشتركات من الحيوان﴾ الراعى بين الورشان والحمامة والجوامز من الابل بين العراب والفوالج والحمير الاخدرية من الاخدر فرس كان لازدشير كسرى توحش واجتمع بعانات حمير فضرب فيها وأعمارها كأعمار الخيل والزرافة بين الناقة من نوق الحبش و بين البقرة الوحشية و بين الضبعان وأنها اشتركا اولئك وذلك ان الضبعان ببلاد الحبشة يسفد الناقة فتجىء بولد خلقه بين خلق الناقة والضبعان فان كانت ولدت لك الناقة ذكرا عرض المهاة فألقحتها زرافة وسميت زرافة لانها جماعة وهى واحدة كأنها جمل و بقرة وضبع والزرافة فى كلام العرب الجماعة (وقال) صاحب المنطق الكلاب تسفدها الذئاب فى أرض سلوقة فتكون منها الكلاب السلوقية

﴿ الانعام ﴾ حدث يزيد عن عمر وعن عبد العزيز الباهلى عن الاسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله دابة أكرم من النعجة وذلك انه ستر حياها دون حيا غيرها (وحدث) أبو حاتم عن الاصمعى عن ابان بن عمر قال كان لنا جمل يعرف فشح الحامل من غيران يشمها (وقيل) لابنة الحسين ما تقولين فى مائة من المعز قالت قنى قيل فمائة من الضأن قالت غنى قيل فمائة من الابل قالت منى والعرب تضرب المثل فى الصرد بالمعز فتقول اصرد من عنز جرباء (سئل) دغفل العلامة عن بنى مخزوم فقال معزى مطيرة عليها قشعريرة الا بنى المغيرة فان فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام (ومما) تقوله الاعراب على السنة البهائم تقول المعزى الاست جهوى والذنب ألوى والجلد رقاق والشعر رقاق والضأن تضع مرة فى السنة وتفرد ولا تتئم والمعز قد تلد مرتين فى السنة وتضع الثلاثة وأكثر وأقل والنماء والعدد والبركة فى الضأن ونحو هذا الخنازير ربما تضع الانثى عشرين خنزيرا ولا نماء فيها ولا بركة ويقال الجواميس ضأن البقر والبخت ضأن الابل والبراذين ضأن الخيل والجرذان ضأن الفار والدلدل ضأن القنافذ والنمل ضأن الذر (وتقول) الاطباء فى لحم المعز انه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويخبل الاولاد ويفسد الدم ولحم الضأن يضر بمن يصرع من المرة ضرارا شديدا حتى يصرعهم فى غير أوان الصرع الاهلة وانصاف الشهور وهذان الوقتان هما وقت مد البحر وزيادة الماء ولزيادة القمر الى ان يصير بدرا أثر بين فى زيادة الدماغ والدم وجميع الرطوبات (قال الشاعر)

كأن القوم عشوا لحم ضأن * فهم يجون قد مالت طلاهم

وفى الماعز أيضا انها ترضع من خلفها وهى محفلة حتى تأتى على كل ما فى ضرعها (وقال ابن أحمر)

انى وجدت بنى اعناء حائلهم * كالعنز تعطف روقيها فتحتفل

واذا رعت الماعزة فى فضل نبت ما تأكله الضائنة لم ينبت ما تأكله الماعزة لان الضائنة تقرض بأسنانها والماعزة تقلعه وتجذبه من أصله واذا حملت الماعزة أنزلت اللبن فى أول الحمل الى الضرع والضائنة لا تنزل اللبن الا عند الولادة ولذلك تقول العرب رمدت المعزى فرنق رنق ورمدت الضأن فربق ربق وذكور كل شىء أحسن من اناثه الا التيوس فان الصفايا أحسن

منها وأصوات ذكور كل شيء أجهر وأغلظ الا اناث البقر فانها أجهر أصواتا من ذكورها (وقرأت) في كتاب للروم اذا أردت أن تعرف مالون جنين النعجة فانظر الى لسانها فان الجنين يكون على لونه (وقرأت) فيه ان الابل تتحامى أمهاتها فلا تسفدها (وقالوا) كل ثور أفطس وكل بعير أعلم وكل ذباب أقرح (وقالوا) البعير اذا صعب وخافوه استعانوا عليه حتى يبرك و يعقل ثم يكرمه فحل آخر فيذل وقد يفعل ذلك بالثور (وقال) بعض القصاص مما فضل الله به الكبش ان جعله مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس ان جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر وفي مناجاة عزير اللهم انك اخترت من الانعام الضائنة ومن الطير الحمامة ومن النبات الحبة ومن البيوت مكة وايلياء ومن ايلياء بيت المقدس وفي الحديث ان الغنم اذا أقبلت أقبلت واذا أدبرت أقبلت والابل اذا أدبرت أدبرت واذا أقبلت أدبرت ولا يأتي نفعها الا من جانبها الامام والاقط قد يكون من المعزى (قال امرؤ القيس)

لنا غنم نسوقها غزار * كأن قرون جلتها عصي
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا * وحسبك من غنى شبع وري

﴿النعام﴾ قالوا في الظليم ان الصيف اذا أقبل وابتدأ البسر بالحمرة ابتدأ لون قطيفته الى ان تنتهي حمرة البسرة ولذلك قيل له خاضب وللنعام خواضب وفي الظليم ان كل ذي رجلين اذا انكسرت احدى رجليه نهض على الاخرى والظليم اذا انكسرت احدى رجليه جثم ولذا قال الشاعر في نفسه وأخيه

اذا انكسرت رجل النعامة لم تجد * على أختها نهضا ولا دونها صبرا

قالوا وعلة ذلك انه لا مخ في عظمه وكل عظم كسر يجبر الا عظما لا مخ فيه والظليم يغتذي المدر والصخر فتذيبه قانصتها بطبعها حتى يصير كالماء وفي النعامة انها أخذت من البعير المنسم والوظيف والعنق والخدامة ومن الطير الريش والجناحين والمنقار فهي لا بعير ولا طائر (وقال الاحيمر السعدي) كنت ممن خلعني قومي وأطل السلطان دمي وهربت وترددت في البوادي حتى ظننت اني قد جزت نخل وبار أو قريبا من ذلك واني كنت أرى النوى في رجيع الذئاب وكنت أغشى الذئاب وغيرها من بهائم الوحش ولا تنفر مني لانها لم تر أحدا قبلي وكنت أمشي الى الظبي السمين فآخذه الا النعام فاني لم أره قط الا نافرا فزعا ﴿الطير﴾ بلغني عن

مكحول انه قال كان من دعاء داود النبي عليه السلام يارازق النعاب في عشه وذلك ان الغراب اذا فقس عن فراخه خرجت بيضاء فاذا رآها كذلك نفر عنها وتفتح أفواهها فيرسل الله ذبابا يدخل في أفواهها فيكون ذلك غذاءها حتى تسود فاذا اسودت عاد الغراب اليها فغذاها ورفع الله الذباب عنها (قال الرياشي) ليس شيء تغيب أذناه من جميع الحيوان الا وهو يبيض وليس شيء تظهر أذناه الا وهو يلد قال وهذا يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (وقد نهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الطير الصرد والهدهد والذرة والنحلة (وقالوا) الطير ثلاثة أضرب بهائم الطير وهو ماالتقط الحب من البزور وسباع الطير وهي التي تتغذى باللحم ومشترك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير فانه ليس بذي مخلب ولا منسر واذا سقط الطير على عود قدم أصابعه الثلاثة وأخر الدائرة وسباع الطير تقدم أصبعين وتؤخر أصبعين ويشارك سباع الطير فانه يلقم فراخه ولا يزقها وانه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل وقالوا العصفور شديد الوطء والفيل خفيف الوطء (وقال صاحب الفلاحة) العقاب والحدأة يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا والارانب تتبدل فتصير الانثى ذكرا والذكر أنثى وذكر الغربان لا يحضن وكذلك ذكر الاوز وذكر الدجاج (وقال كعب الاحبار) ماذهب طائر في السماء قط أكثر من اثني عشر ميلا ومن حديث سفيان الثوري عن أنس بن مالك قال عمر الذباب أربعون يوما والبعوضة ثلاثة أيام والبرغوث خمسة أيام قال والحمام تعجب بالكون وتألف الموضع الذي يكون فيه وكذلك العدس ولا سيما اذا نقع في عصير حلو ومما يصلحن عليه ويكثرن ان تدخن بيوتهن بالعلك وأعن مواضعها وأصلحها ان يبنى لها بيت على أساطين خشب ويجعل فيه ثلاث كوى كوة في سمك البيت وكوة من قبل المغرب وباب من قبل الجنوب قال والسذاب اذا ألقى في اللبن تحامته السنانير البرية (هشام بن محمد) قال حدثني ابن الكلبي قال أسماء نساء بني نوح صلى الله عليه وسلم اذا كتبن في زوايا بيت البرج سلمت الفراخ ونمت وسلمت من الآفات قال هشام فجربته أنا وغيري فوجدناه كما قال واسم امرأة سام بن نوح محلت محم واسم امرأة حام نف نسا واسم امرأة يافث فالر والطير الذي يخرج من وكره بالليل البومة والصدا والهامة والضوع والوطواط والخفاش وغراب الليل قالوا واذا خرج فرخ الحمامة نفخ أبواه في حلقه لتتسع الحوصلة بعد التحامها وتنفتق فاذا اتسعت زقاه عند ذلك اللعاب ثم زقاه بعد ذلك الحب (قال المثنى بن زهير) لم أر

شيأقط فى رجل أو امرأة الا رأيته فى الحمام رأيت حمامة لا تريد الا ذكرها وذكرا لا يريد الا أنثاه الا أن يهلك أحدهما أو يفقد ورأيت حمامة لا تمنع شيأ من الذكور ورأيت حمامة لا تقمط الا بعد شدة الطلب ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعة يريدها ورأيت حمامة تقمط الذكر ورأيت ذكرا يقمط كل ما لقى ولا يزاوج ورأيت ذكرا له اثنيان يحضن مع هذه وهذه (قالوا) ومن عجائب الخفاش انه لا يبصر فى الضوء الشديد ولا فى الظلمة الشديدة وتحبل وتلد وتحيض وترضع وتطير بلا ريش وتحمل ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه بفيها وربما ولدت وهى تطير ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها قالوا والخطاف يتبع الربيع حيث كان وتقلع احدى عينيه وترجع ﴿البيض﴾ قالوا والبيض يكون من أربعة أشياء منه ما يتكون من السفاد ومنه ما يتكون من التراب ومنه ما يتكون من نسيم ريح يصل الى أرحامها وهو شىء يعترى الحجل وما شا كلها فى الطبيعة فربما كانت الانثى على قبالة الريح التى تهب فى بعض الزمان فتحتشى لذلك بيضا وكذلك النخلة التى تكون الفحال هى تحت ريحه فتلقم تلك الرائحة وتكتفى بذلك والدجاجة اذا هرمت لم يكن لبيضها مخ واذا لم يكن لها مخ لم يكن لبيضها فرخ لان الفرخ يخلق من بياض البيض وغذاؤه الصفرة ﴿السباع﴾ يقال انه ليس فى السباع أطيب أفواها من الكلاب ولا فى الوحش أطيب أفواها من الظباء ويقال ليس أشد بخرا من الاسد والصقر ولا فى السباع أسبح من كلب وليس فى الارض فحل من سائر الحيوان لذكره حجم الا الانسان والكلب والاسد لا يأكل الحار ولا الحامض ولا يدنو من النار وكذلك أكثر السباع (وتقول) الروم الاسد يذعر لصوت الذئب ولا يدنو من المرأة الطامث والاسد اذا بال شغر كما يشغر الكلب وهو قليل الشرب ونجوه كنجو الكلب ودواء عضته كدواء عضة الكلب (قالوا) والعيون التى تضىء بالليل عيون الاسد والنمور والافاعى والسنانير * وقالوا ثلاثة من الحيوان ترجع فى قيئها الاسد والكلب والسنور وقالوا أيام حمل الكلبة ستون يوما فان وضعت قبل ذلك لم تكد أولادها تعيش واناث الكلاب تحيض كل سبعة أيام يوما وعلامة ذلك ان يدمى شفر الكلبة ولا تريد السفاد فى ذلك الوقت وذكور السلوقية تعيش عشرين سنة وتعيش اناثها اثنتى عشرة سنة وليس يلقى الكلب من أسنانه الا النابين والذئاب تسفد الكلاب فى أرض سلوقة فتكون منها الكلاب السلوقية والكلب من الحيوان يحتلم كما يحتلم الانسان (وقالوا) فى طبع الذئب محبة الدم ويبلغ بطبعه ان

يرى ذئبا مثله قد دمي فيثب عليه فيمزقه (قال الشاعر)

وكنت كذئب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم

ويقولون ربما ينام الذئب باحدى عينيه ويفتح الاخرى (قال حميد بن ثور)

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * باخرى الاعادي فهو يقظان نائم

(قالوا) والذئب أشد السباع مطالبة واذا عجز عوى عواء استغاثة فتسامعت به الذئاب فاقبلت حتى تجتمع على الانسان أوغيره فتأ كله وليس في السباع من يفعل ذلك غيرها وقضيب الذكر من الارانب من عظم وكذلك قضيب الثعلب والارنب تنام مفتوحة العين وتحيض وليس لشيء من ذكر الحيوان ثدي في صدره الا الانسان والفيل ولسان الفيل مقلوب على طرفه داخل * وزعمت الهند أن نابي الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك ويخرجان منكسين (وقال صاحب المنطق) ظهر فيل عاش أربعمائة سنة (وحدثني) شيخ لنا عن الزيادي قال رأيت فيلا أيام أبي جعفر قيل انه سجد لسابور ذي الاكتاف ولابي جعفر والفيلة تضع في سبع سنين ﴿ الحيوان الذي لا يصلح الا بأمير ﴾ الناس والفار والغرانيق والكراكي والنحل والحشرات (قتادة) عن ابن عمر قال الفأرة يهودية ولو سقيتها ألبان الابل ماشربته والفأرة أصناف منها الذباب وهو أصم لا يسمع والخلد وهو أعمى وتقول العرب هو أسود من زبابة وفارة البيش والبيش سم قاتل يقال هو قرون السنبل وله فارة تغتذيه لا تأكل غيره وفارة المسك من غير هذا وفارة الابل أرواحها اذا عرقت قالوا والافعى اذا نفثت في فيها حماض الاترج وأطبقت لحيها الاعلى على الاسفل لم تقتل بعضتها أياما (قالوا) الثوم والملح وبعر الغنم نافع جدا اذا وضع على موضع لسعة الحية والحيات تقتل بريح السذاب والشيح وتعجن باللفاح والبسباس والبطيخ والخردل والحرف واللبن والخمر وليس في الارض حيوان أصبر على الجوع من الحية ثم الضب بعدها واذا هرمت الحية صغر بدنها وقنعت بالنسيم * قالوا وكل شيء يأكل فهو يحرك فكه الاسفل ماعدا التمساح فانه يحرك فكه الأعلى وبمصر سمكة يقال لها الرعاد من اصطادها لم تزل يده ترعد مادامت في شبكته والجعل اذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى تحسبه ميتا فاذا دفنته في الروث تحرك ورجعت نفسه والبعير اذا ابتلع خنفساء قتلته اذا وصلت جوفه حية والضب يذبح ثم يمكث ليلة ثم يقرب من النار فيتحرك والافعى تذبح فتبقى أياما تتحرك

واذا وطئها أحد نهشته ويقطع ثلثها الاسفل فتعيش و يثبت ذلك المقطوع (قالوا) وللضب ذكران وللضبة حران حكاه أبوحاتم عن الاصمعى و يقال لذلك النزك (وأنشد)

سجل له نزكان كانا فضيلة * على كل حاف فى البلاد وناعل

وسام أبرص لا يدخل بيتا فيه زعفران ومن عضه كلب كلب احتاج ان يستر وجهه من الذباب لئلا تسقط عليه وخرطوم الذباب يده ومنه يفنى وفيه يجرى الصوت كما يجرى الزامر الصوت فى القصبة بالنفخ والسلحفاء اذا أكلت أفعى أكلت صعترا جبليا وابن عرس اذا قاتل الحية أكل السذاب والكلاب اذا كان فى أجوافها داء أكلت سنبل القمح والابل اذا نهشته الحية أكل السراطين (قال) ابن ماسويه فلذلك يظن أن السراطين صالحة لمن نهشته الحية (قال) صاحب المنطق الحية اذا اشتكت كبدها من وقع الارانب والثعالب تعالجت بأكل الا كماء حتى تبرأ و بعض الناس يعملون من الاوزاغ سما أنفذ من البيش ومن ريق الافاعى واذا زرع فى نواحى الزرع خردل يجتنبه دبى الجراد واذا أخذ المرداسنج وخلط بعجين الدقيق ثم طرح للفار وأكل منه مات وكذلك برادة الحديد واذا أخذ الافيون والشونيز والفار وقرون الابل وبابونج وظلف من أظلاف المعز فخلط ذلك جميعا ثم يدق وينخل نخلا جيدا ويعجن بخل عتيق ثم يقطع قطعا فيدخن قطعة منه هربت الحيات والهوام والنمل والعقارب من ريحه والبعوض يهرب من دخان الكبريت والعلك (وقالت) الحكماء لحم ابن عرس نافع من الصرع ولحم القنفذ نافع من الجذام والسل والشنج ووجع الكلى يجفف ويشوى ويطعمه العليل مطبوخا ويضمد به الشنج وعين الافعى وعين الجرد لا تدوران وانما ينسج من العنا كب الانثى من ساعة تولد والقمل يخلق فى الرؤس على لون الشعران كان أسود أو أبيض أو مصبوغا وأم حبين لا تقيم بمكان تكون فيه السدفة وهى دويبة يضرب بها المثل فى الصنعة فيقال أصنع من سدفة (أبوحاتم) عن الاصمعى قال قال أبو بكر المهجرى ما من شىء يضر الا وفيه منفعة (وقيل) لبعض الأطباء إن فلانا يقول انما أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع فقال ما أقل علمه بها انها لتنفع اذا شق بطنها ووضعت على مكان اللدغة (وقد) تجعل فى جوف فخار مسدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار فى تنور فاذا صارت العقرب رمادا سقى من ذلك الرماد مثل نصف دانق من به حصاة فتتها من غير ان يضر سائر الاعضاء (وقد) تلسع من به حمى

عتيقة فتقلع عنه وقد تلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج (وقد) تلقى العقرب فى الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها و يجتذب قواها فيكون ذلك الدهن مفرقا للاورام الغليظة (وقال) المأمون قال لى بختيشوع وسلمويه وابن ماسويه ان الذباب اذا دلك على لسعة الزنبور سكن ألمها فاسعنى زنبور فحككت على موضع لسعته عشرين ذبابة فما سكن الا فى قدر الحين الذى يسكن فيه من غير علاج فلم يبق فى يدى منهم الا أن قالوا كان هذا الزنبور حنقا ولولا هذا العلاج له لقتلك (وقال) محمد بن الجهم لا تتهاونوا بكثير مما ترون من علاج العجائز فان كثيرا منه وقع اليهن من قدماء الاطباء كالذباب يلقى فى الاثمد فيسحق معه يزيد فى نور البصر و يشد مرا كز شعر الاجفان فى حافات الجفون (قالوا) وللسع الافاعى والحيات ينفع ورق الآس الرطب يعصر و يسقى من مائه قدر نصف رطل ﴿مصايد الطير﴾ قال صاحب الفلاحة من أراد أن يحتال للطير والدجاج حتى يتحيرن و يغشى عليهن فيصيدهن فاعمد الى الحلتيت أذبه بالماء ثم اجعل فيه شيأ من عسل وانقع فيه برا يوما وليلة ثم ألقه الى الطير فاذا لقطه تحير وغشى عليه فلا يقدر على الطيران الا أن يسقى لبنا خالطه سمن (قال) وان عمد الى طحين بر غير منخول فعجن بحير ثم طرح للطير والحجل فأكل منه تحيرت وأخذت (ومما يصاد) به الكراكى وغيرها من الطيران يوضع لهن فى مواقعهن اناء فيه خمر و يجعل فيه خربق أسود و ينقع فيه شعير ثم يلقى لهن فاذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء (وقال) غيره تصاد العصافير بايسر حيلة تؤخذ شبكة فى صورة المحبرة و يجعل فى جوفها عصفور فينقض عليه العصافير وتدخل عليه فاذا دخل لم يقدر على الخروج فيصيد الرجل منها من يومه ماشاء وهو وادع (وقال) و يصاد طير الماء الساكن بالقرعة وذلك ان تأخذ قرعة يابسة صحيحة فترمى بها فى الماء فانها تتحرك ذلك الماء فاذا أبصرها الطير تحرك وفزع فاذا كثر ذلك عليه أنس حتى ربما سقط عليها ثم تأخذ قرعة مثلها فتقطع رأسها و ينقب فيها موضع عينين ثم يدخل الصائد رأسه فيها و يدخل الماء و يمشى رويدا وكلما دنا من الطائر مد يده تحت الماء حتى يقبض عليه و يغمس يده به تحت الماء و يكسر جناحيه و يخليه فيبقى طافيا على الماء يسبح برجليه ولا يطيق الطيران ولا يمكن انغماسه فى الماء فاذا فرغ من صيد ما يريد رمى بالقرعة ثم التقطه وحمله ﴿مصايد السباع﴾ السباع العادية تصاد بالزبا والمغارات وهى آبار تحفر فى انشاز الارض ولذلك

يقال قد بلغ السيل الزبا (قال) صاحب الفلاحة ومما تصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الكبار السمان فيقطع قطعا ثم يشرح و يكتل كتلا ثم تؤجج نار فى غائط من الارض تقرب منه السباع ثم تقذف تلك الكتل فيها واحدة بعد أخرى حتى ينتشر دخان تلك النار وقتار تلك الكتل فى تلك الارض ثم يطرح حول تلك النار قطع من لحم قد جعل فيه الخربق الاسود والافيون وتكون تلك النار فى موضع لا ترى فيه حتى تقبل تلك السباع لريح القتار وهى آمنة فتأ كل من قطع ذلك اللحم و يخرج عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاؤا (تفاضل البلدان) الاصمعى يرفعه الى قتادة قال الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فبلد السودان منها اثناعشر ألف فرسخ و بلد الروم ثمانية آلاف فرسخ و بلد الفرس ثلاثة آلاف فرسخ و بلد العرب ألف (الاصمعى) قال جزيرة العرب ما بين نجران الى العذيب (وقال) غيره أرض العرب ما بين بحر القلزم و بحر الهند قالوا وسواد البصرة الاهواز وفارس وسواد الكوفة كسكر الى الزاب الى عمل حلوان الى القادسية وهذه كلها من عمل العراق وعمل العراق من هيت الى الصين والهند والسند ثم كذلك الى الرى وخراسان كلها الى الديلم والجبال وأصفهان سرة العراق وافتتحها أبو موسى الاشعرى والجزيرة ليست من عمل العراق وهى ما بين الدجلة والفرات والموصل من الجزيرة ومكة والمدينة ومصر ليست من عمل العراق (الاصمعى) قال البصرة كلها عثمانية والكوفة كلها علوية والشام كلها أموية والجزيرة خارجية والحجاز سنية وانما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل اذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير فقتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه (وقيل) لرجل من أهل البصرة أتحب عليا قال كيف أحب رجلا قتل من قومى من لدن كانت الشمس هكذا الى ان صارت هكذا ثلاثين ألفا والكوفة علوية لانها وطن على رضى الله عنه وداره والشام أموية لانها مركز ملك بنى أمية و بيضتهم والجزيرة خارجية لانها مسكن ربيعة وهى رأس كل فتنة وأكثرها نصارى وخوارج ومنازلهم الخابور وهو واد بالجزيرة (قال) على بن أبى طالب رضى الله عنه لبنى تغلب ياخنازير العرب والله لئن صار هذا الامر الى لأضعن عليكم الجزية وقال هرون الرشيد ليزيد بن مزيد ما أكثر الخلفاء فى ربيعة قال بلى ولكن منابرهم الجذوع (الاعمش) عن سليم قال ذكر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الكوفة فقال جمجمة العرب وكنز الايمان و رمح الله فى الارض ومادة

الامصار (علي بن محمد المديني) قال الكوفة جارية حسناء تصنع لزوجها فكلما رآها سرته (وقال) حميد بن عمير الكوفة سفلت عن الشام ووباها وارتفعت عن البصرة وعمقها فهي مريئة مريعة عذبة ندية * واذا انتهى الشمال هبت على مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور واذا هبت الجنوب جاءت بريح السواد وورده وياسمينه وأترجه فماؤها عذب وعيشها خصب (قال) ابن عياش الهمداني لابي بكر الهذلي عن أبي العباس وذكرت عنده الكوفة والبصرة فقال انما مثل الكوفة مثل اللهات من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته ومثل البصرة مثل المثانة يأتيها الماء بعد تغير وفساد (وقال) الحجاج الكوفة بكر حسناء والبصرة عجوز بخراء أوتيت من كل حلي وزينة (وقال) جعفر بن سليمان العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ودارى عين المربد (وقال) الاصمعي تذاكروا عند زياد الكوفة والبصرة فقال زياد لو أضللت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلني عليها (وقال) حذيفة أهل البصرة لا يفتحون باب هدى ولا يغلقون باب ضلالة وقد رفع الطاعون عن جميع أهل الارض الا عن أهل البصرة (ومما) نقم على أهل الكوفة أنهم أغدر الناس طعنوا الحسن ابن علي وانتهبوا عسكره وخذلوا الحسين بن علي بعد ان استدعوه حتى قتل وشكوا اسعد ابن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب وزعموا أنه لا يحسن أن يصلي فدعا عليهم أن لا يرضيهم الله عن وال ولا يرضي واليا عنهم وقد دعا عليهم عليّ بن أبي طالب فقال اللهم ارمهم بالغلام الثقفي يعني الحجاج بن يوسف وشكوا عمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وطردوا سعيد بن العاص وخذلوا زيد بن عليّ وادعى النبوة منهم غير واحد منهم المختار بن أبي عبيد وكتب الى الاحنف بلغني انكم تكذبوني وتكذبوا رسلي وقد كذبت الانبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم (وقيل) لعبد الله بن عمر ان المختار يزعم أنه يوحى اليه قال صدق الشياطين يوحون الى أوليائهم (ولما) أرادت سكينة بنت الحسين بن عليّ رضي الله عنهم الرحيل من الكوفة الى المدينة بعد قتل زوجها المصعب حف بها أهل الكوفة وقالوا أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا جزاكم الله خيرا من قوم ولا أحسن الخلافة عليكم قتلتم أبي وجدي وأخي وعمي وزوجي أيتمتموني صغيرة وأيمتموني كبيرة (ولما) دخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل المصعب أقبل اليه جماعة فقال من هؤلاء قالوا أمراؤك أهل الكوفة قال قتلة عثمان قالوا نعم وقتلة عليّ قال هذه بهذه (قدم) عبد الله بن الكواء على معاوية فقال أخبرني عن أهل

البصرة قال يقبلون معاو يدبرون شئ قال فاخبرنى عن أهل الكوفة قال انظر الناس فى صغيرة وأوقفهم فى كبيرة قال فاخبرنى عن أهل المدينة قال أحرص الناس على الفتنة وأعجزهم عنها قال فاخبرنى عن أهل مصر قال لقمة آكل قال فاخبرنى عن أهل الجزيرة قال كناسة بين حشين قال فاخبرنى عن أهل الشام قال جند أمير المؤمنين ولا أقول فيهم شيأ قال لتقولن قال أطوع خلق الله لمخلوق وأعصاهم للخالق ولا يخشون فى السماء ساكنا (قتادة) قال قيست البصرة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى فوجدوا طولها فرسخين وعرضها فرسخين (الاصمعى) قال قال ابن شهاب الزهرى من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله فى مائها ثم شربه عوفى من وبائها (الاصمعى) قال دخلت الطائف فكأنى كنت أبشر وكان قلبي ينضح بالسرور وما أجد لذلك علة الا انفساح جوها وطيب نسيمها (ودخل) سليمان ابن عبد الملك الطائف فنظر الى بيادر الزبيب فقال ما تلك الجرار السود قيل له ليست بجرار يا أمير المؤمنين ولكنها بيادر الزبيب قال لله رقيس فى أى عش أودع فراخه يريد بقيس ثقيفا كذلك كان اسمه (الاصمعى) قال من أمثال العامة يقولون حمى خيبر وطحال البحرين ودماميل الجزيرة وطواعين الشام (الاصمعى) قال ذكروا ان على باب سمرقند مكتوب بين هذه المدينة و بين صنعاء الف فرسخ (قال) الاصمعى و بين بغداد وافريقية الف فرسخ و بين البصرة والكوفة ثمانون فرسخا و واسط بينهما متوسطة فلذلك سميت واسط ﴿الشامات﴾ أول حد الشام من طريق مصر امج ثم غزة ثم الرملة رملة فلسطين ومدينتها العظمى فلسطين وعسقلان و بها بيت المقدس وفلسطين هى الشام الاولى ثم الشام الثانية وهى الاردن ومدينتها العظمى طبرية وهى التى على شاطئ البحيرة والغور واليرموك و بيسان فيما بين فلسطين والاردن ثم الشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ومن سواحلها طرابلس ثم الشام الرابعة وهى أرض حمص ثم الشام الخامسة وهى قنسرين ومدينتها العظمى حيث السلطان حلب ومن قنسرين وحلب أربعة فراسخ وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على شاطىء البحر فى داخلها البساتين والانهار والمزارع وهى مدينة حبيب النجار الذى جاء من أقصى المدينة يسعى و بها مسجد ينسب الى حبيب النجار (ومن ثغور) الشام الخامسة المصيصة وطرسوس ونهرا جيحان وسيحان الجزيرة ثم الجزيرة وهى ما بين دجلة والفرات و بهما نهران يقال لهما الخابور والبلخ ومخرجهما من رأس

العين مدينة عظيمة بالجزيرة فى داخلها عين هى عنصر الخابور والبليخ وعلى الخابور منازل ربيعة وأكثرها نصارى وخوارج ونصيبين من الجزيرة وهى مدينة عظيمة مظلة على جبل الجودى والموصل من الجزيرة أيضا والرقة وحران من الجزيرة أيضا ومن ثغور الجزيرة فى جهة عمورية من أرض الروم بطرة وملطية وفى جوف الفرات جزائر فيها مدن يقال لها غانة وغانات وعلى شط الفرات مما يلى الجزيرة ترسيا ومما يلى الشام الرحبة رحبة مالك بن طوق (العراقان) هما البصرة والكوفة وقد تقدم ذكرها واختلاف الناس فيهما وفيما أحدثت خلفاء بنى هاشم بالعراق الانبار وهى مدينة أبى العباس أول من ولى الخلافة من بنى هاشم ابتناها واتخذها دار خلافة ثم ولى اخوه ابو جعفر المنصور فانتقل الى بغداد وابتنى بها الكرخ وهى مدينة السلام فى جوف بغداد وهى دار خلافة بنى هاشم حتى قام المعتصم محمد بن هرون فانتقل منها الى سامرا وتفسير سامرا ان سام بن نوح عليه السلام بناها وانما هو بالسريانية وهى دار الخلافة الى الآن (فارس) منها الاهواز مدينة عظيمة وبلدها واسع جدا وهى من سواد البصرة وتستر مدينة يعمل فيها التسترى وهى ملاحف ومدينة يقال لها جور واليها ينسب ماء الورد الجورى ومدينة يقال لها اصطخر بها تعمل الأكسية الاصطخرية الجياد السود ومدينة يقال لها السوس بها تعمل الثياب السوسية من الخز وغيره ومدينة يقال لها العسكر واليها تنسب الثياب العسكرية ومدينة يقال لها الاقساسادو بها تعمل الأكسية الاقساسادية الجياد ومدينة يقال لها دستوا وبها تعمل الثياب الدستوائية ومدينة يقال لها ميسان وبها يعمل الميسانى ومدينة يقال لها الدسكرة دسكرة الملك كانت لكسرى ومدينة يقال لها حلوان وهى أول الجبال من خراسان وآخر العراق (خراسان) أول مدنها الرى وهى آخر الجبال من خراسان واليها ينسب من الرجال الرازى ومن خراسان مرو وهى دار خلافة المأمون ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ومن ينسب اليها من الرجال يقال له مروزى ومن الثياب مروى ومدينة يقال لها قومس واليها تنسب الطبقات القومسية ومدينة يقال لها سابور بها ملك بنى طاهر ومدينة يقال لها هراة اليها ينسب الهروى من الرجال والمتاع ومدينة يقال لها بلخ واليها ينسب البلخى وبها معادن البجادى العتيق وهو جنس من الفصوص تسميه

العامة البزادي ومدينة يقال لها خوارزم واليها ينسب الخوارزمي وهي على شط البحر المحيط ويلغ على شط النهر العظيم الذي يقال له جيحان بخراسان ثم جرجان وهي مدينة عظيمة على شط البحر المحيط واليها ينسب الوشي الجرجاني والمتاع ثم قوهي وهي مدينة عظيمة اليها ينسب القوهي من الثياب ثم كابل وهي مدينة يؤتى منها بالهليج الكابلي ثم سمرقند وهي مدينة عظيمة اليها ينسب السمرقندي من الثياب وبين بغداد وبينها مسيرة ستة أشهر وهي مما يلي كرمان وهي على بطائح السند وبلاد السند من آخر خراسان ما بين المغرب والمشرق من جهة القبلة وآخر مدن خراسان مدينة يقال لها تبت وهي من أرض الترك وبها مجمع المسك ومدينة يقال لها فرغانة وأهلها جنس من العجم يقال لهم الصغد وهم الذين يقطعون آذانهم من الحزن اذا مات لهم كبير ومن المدن التي في صدر خراسان مع الجبال مدينة يقال لها قرميسين ثم الدينوري واليها ينسب الدينوري ومدينة همذان مدينة عظيمة وطبرستان مدينة عظيمة فيها تعمل الأكسية الطبرية ثم قم وهي مدينة عظيمة منها يؤتى بالزعفران ثم اصبهان وهي مدينة عظيمة ثم طوس وهي من ثغور الجبال (مصر) من ناحية الشام الفسطاط وهي مدينة بها منبران ومسجدان يجمع فيهما العسكر حيث السلطان وعين الشمس بها منبر وكانت مدينة فرعون وفيها بنيانه قائم والفرما لها منبر والعريش الذي يقال له عريش مصر له منبر وهي آخر مصر وأول الشام ومن أسفل الارض بوصير لها منبر وتنيس لها منبر واليها تنسب الثياب التنيسية وبها طراز للخليفة وشطا لها منبر واليها ينسب الشطوى ودبيق لها منبر واليها ينسب الدبيقي من الثياب والاسكندرية لها منبر ومن ناحية الحجاز القلزم لها منبر وايلة لها منبر ومن ناحية الصعيد القيس واليها ينسب القيسي من الثياب والصفن واليها تنسب الأكسية الصفنية الحمر ودلاص لها منبر وهي مجمع سحرة مصر والفيوم مدينة لها منبر تؤدى كل يوم الف دينار وخلف ذلك فرق وبها تكون معادن الذهب والجوهر والزبرجد (صفة المسجد الحرام) صحنه كبير واسع ذرعه طولا من باب بني جمح الى باب بني هاشم الذي يقابل دار العباس بن عبد المطلب اربعمائة ذراع وأربعة اذرع وذرعه عرضا من باب الصفا الى دار الندوة لاصقا بوجه الكعبة الشرقي ثلثمائة ذراع وأربعة اذرع وله ثلاث بلاطات به محدقة من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض وهي داخلة في الذرع الذي ذكرت فوقها سماوتها مذهبة وحافاتها على عمد

رخام بيض عددها فى طوله من الشرق الى الغرب مع وجه الصحن خمسون عمودا وفى عرضه ثلاثون عمودا بين كل عمودين مثل عشرة اذرع وجملة عمد المسجد اربعمائة وأربعة وثلاثون عمودا طول كل عمود منها عشرة أذرع ودوره ثلاثة أذرع والمذهبة من رؤس العمد ثلثمائة وعشرون رأسا وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء وأبوابه على عمد رخام ما بين الاربعة الى الثلاثة الى الاثنين وهى ثلاثة وعشرون بابا لا غلق عليها يصعد عليها فى عدة من درج ﴿صفة الكعبة﴾ وبيت الله الحرام بوسط المسجد كان ارتفاعه فى عهد ابراهيم عليه السلام فيما يقال والله أعلم تسعة أذرع وطوله فى الارض ثلاثون ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وكان له ثلاثة سقوف ثم بنته قريش فى الجاهلية فاقتصرت على قواعد ابراهيم ورفعته ثمانية عشر ذراعا ونقصت من طوله فى الارض ستة أذرع وشبر تركته فى الحجر فلما هدمه ابن الزبير رده على قواعد ابراهيم ورفعه سبعا وعشرين ذراعا وفتح له بابين بابا الى الشرق وبابا الى الغرب يدخل على الشرقى ويخرج على الغربى فكان كذلك حتى قتل فلما تغلب الحجاج على مكة استأذن عبد الملك بن مروان فى هدم ما كان ابن الزبير زاده من الحجر فى الكعبة فأذن له فرده على قواعد قريش وسد الباب الغربى ولم ينقص من ارتفاعه شيأ فذرع وجهه القبلى اليوم من الركن الاسود الى الركن اليمانى عشرون ذراعا ووجهه الجنوبى من الركن العراقى الى الركن الشامى وهو الذى يلى الحجر أحد وعشرون ذراعا ووجهه الشرقى من الركن العراقى الى الركن الذى فيه الحجر الاسود خمسة وعشرون ذراعا ووجهه الغربى من الركن اليمانى الى الركن الشامى خمسة وعشرون ذراعا وحول البيت كله الا موضع الركن الاسود درجة مخصصة يكون ارتفاعها عظم الذراع فى عرض مثله وقاية للبيت من السيل وباب البيت فى وجهه الشرقى على قدر القامة من الارض طوله ستة أذرع وعشرة أصابع وعرضه ثلاثة أذرع وثمان عشرة أصبعا والباب من ساج غلظ كل باب ثلاث أصابع ظاهرها ملبس بالذهب وباطنها بالفضة فى كل باب ستة عوارض ولها عروتان يضرب فيهما قفل من ذهب وحواجبه كلها مذهبة ما عدا الحاجب الايمن فان العلوى الثائر لما تغلب على مكة قلع ذهبه فترك على حاله وتحت العتبة العليا عتبة مذهبة والبابان من ورائهما والعتبة السفلى مستورة بالديباج الى الارض وبين الركن الاسود والباب خمسة أذرع أو نحوها وهو الملتزم فيما يذكر عن ابن عباس والحجر الاسود على رأس صخرتين من وجهه

الارض قد نحت من الصخر مقدار ما ادخل فيه الحجر واشفت الصخرة الثالثة عليهما مثل اصبعين والحجر أملس مجزع حالك السواد في قدر الكف المحنية قد لزمن جوانبه بمسامير الفضة وفيه صدوع وفي جانب منه صفيحة فضة حسبتها شظية منه شظيت فجبرت بها وصخر الركن الاسود أحرش أكبر من صخرنا قليلا وللبيت سقفان سقف دون سقف وفيهما أربع روازن ينفذ بعضها الى بعض للضوء وللسقف الاسفل ثلاث جوائز من ساج منقشة مذهبة وفي داخل البيت في الحائط الغربي قبالة الباب الجزعة على ستة أذرع من قاع البيت وهي سوداء مخططة ببياض طولها اثنى عشر أصبعا في مثل ذلك وحولها طوق من ذهب عرضه ثلاثة أصابع ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم جعلها على حاجبه الايمن حين صلى في البيت والحجر بجوفي البيت محجورا من الركن العراقي الى الركن الشامي تحجيرا محنيا غير مرتفع قدا تقطع طرفاه دون الركنين اللذين يليانه بمثل ذراعين الدخول والخروج يكون ما بين موسطه على التحجير والبيت كما بين الركنين وارتفاع التحجير نصف قامة وهو ملبس بالرخام من داخله وخارجه وأعلاه وجعل بين كل رخامتين عمود من رصاص وقاع الحجر كله مفروش بالرخام ومصب الميزاب فيه وقبلتها اليه والميزاب موسط على جدار الكعبة خارجا عنها مثل أربعة أذرع في سعته وارتفاع حيطانه ثمان أصابع ملبس ظاهره وباطنه بصفائح الذهب والصفائح مسمرة بمسامير مروسة من ذهب والبيت كله مستور الا الركن الاسود فان الاستار تفرج عنه مثل القامة ونصف واذا دنا وقت الموسم كسي القباطي وهو ديباج أبيض خراساني فيكون بتلك الكسوة ما كان الناس محرمين فاذا حل الناس وذلك يوم النحر حل البيت فكسي الديباج الاحمر الخراساني وفيه دارات مكتوب فيها حمد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه فيكون كذلك الى العام القابل ثم يكسى أيضا على حال ما وصفت فاذا كثرت الكسوة يخشى على البيت من ثقلها خففت منها فأخذ ذلك سدنة البيت وهم بنو شيبة

وذكر بعض المصريين انه حضر كشف البيت سنة خمس وستين فرأى ملاطه الزعفران واللوبان

وذكر أيضا عن بعض المكيين حديث يرفعونه الى مشايخهم انهم نظروا الى الحجر الاسود اذ هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه فقدروا طوله ثلاثة أذرع وهو ناصع البياض

فيما ذكروا الا الوجه الظاهر واسوداده فيما ذكر والله أعلم لاستلام الجاهلية
اياه ولطخه بالدم والمقام بشرقي البيت على سبعة وعشرون ذراعا منه وجه المصلي خلفه
مستقبل البيت الى الغرب والركن العراقي على يمينه والباب والركن الاسود على يساره وهو
فيما ذكر من رآه حجر غير مربوع يكون ذراعا في ذراع وفيه أثر قدم ابراهيم عليه
السلام وطول القدم مثل عظم الذراع والحجر موضوع على منبر لئلا يعم به السيل فاذا
كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقب لئلا تناله الايدي وحول البيت
كله سوارست غلاظ مربعة من حديد مذهبة ورؤسها مذهبة أيضا يوقد عليها بالليل
للطائفين بين كل عمود منها والبيت نحو ما بين المقام والبيت وزمزم بشرقي الركن الاسود
بينهما مثل الثلاثين ذراعا وهي بئر واسعة قتورها من حجر مطوق أعلاه بالخشب وسقفها
قبو مزخرف بالفسيفساء على أربعة أركان تحت كل ركن منها عمودان من رخام متلاصقان
قد سد ما بين كل ركنين منها بشرحب خشب ورد الى باب من جهة المشرق وحول القبو
كله مثل البرطلة وبشرقي زمزم بيت مقدر سقفه قبو مزخرف بالفسيفساء أيضا مقفل
عليه وشرقي هذا البيت بيت كبير مربع له ثلاثة اقباء وفي كل وجه منه باب وحمام
المسجد كثير أنيس يكاد الانسان أن يطأه بقدمه لانسه بالناس وهو في لون حمام الابرجة
عندنا الا انه أقدر منه وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه ولقد همني
ذلك فرأيتها حين تكاد أن تحاذي البيت وهي مستعلية في طيرانها ذلك غطست حتى تصير
دونه وأخذت عن يمينه أو يساره وزرقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد الا بيت الله
الحرام فانه نقي ليس فيه ولا عليه أثر فسبحان معظمه ومقدسه ومطهره وتعالى علوا
كبيرا وبين باب الصفا وهو بقبلي البيت والصفا الشارع وهو يطن الوادي وبعد الشارع
فناء كبير فيه الباعة ثم الصفا في أصل جبل أبي قبيس قد أحدق به البناء الا من الوجه
الذي يرقى اليها منه والرقي اليها على ثلاث درج مبنية بالصخر والواقف على الصفا مستقبل
الجوف ينظر الى البيت من باب الصفا والمروة بشرقي المسجد وهي من الصفا بين المشرق
والمغرب قد أحدق بها البناء أيضا الا من وجه المصعد اليها وهدم من أعلى القصور
بينها وبين المسجد الحرام الزقاق الضيق فالواقف على المروة مستقبل البيت تجاه الفرجة
يرى الميزاب وما اتصل به من البيت وبين الصفا والمروة ما بين باب الضاعة والمسجد الجامع

الساعى بينهما اذا هبط من الصفا يريد المروة سلك فى الشارع وهو بطن الوادى عن يمينه القصور وعن يساره المسجد و يعترضه بطن واد اذا انصب فيه أو غسل حتى يخرج عن آخره وله علمان أخضران فى جانبي الوادى أحدهما وهو الاول خلف باب الصفا لاصقا بالسور والثانى امامه بائن عن السور جعلا ليفهم بهما حد الوادى الذى يرمل فيه (ومنى) قرية بشرق مكة تحو الى القبلة قليلا خارجة عن الحرم على نحو الفرسخ منها وفيها بنيان وسقايات وأول مايلتقى منها الخارج من مكة اليها جمرة العقبة بعد يوم النحر أيام التشريق و بها مسجد أكبر من جامع قرطبة وهو مسجد الخيف له مما يلى المحراب أربع بلاطات معترضة سقفها من جرائد النخل وعمدها مجصصة والمنبر على يسار المحراب والباب الذى يخرج منه الامام عن يمينه وفى وسط صحن المسجد منارة وفى كل جانب منه سقيفة (والمزدلفة) وهى المشعر الحرام بين منى وعرفة وهى من منى على نحو الفرسخين مسجد مجصص لا بناء فيه الا الحائط الذى فيه المحراب والباب الذى يخرج منه الامام عن يمينه وفى وسط صحن المسجد وليس فيها ساكن (وعرفة) بشرقى منى على نحو الفرسخين منها ليس بها ساكن ولا بناء الاسقايات وقنوات يجرى فيها الماء وليس بمسجدها بنيان الا الحائط الذى فيه المحراب وموقف الناس يوم عرفة بعرفة فى الجبل ومايليه مما تحته والجبل بين المشرق والجوف من مسجدها وفى الموضع الذى يقف فيه الامام ماء جار ومحراب منى وعرفة والمزدلفة الى نحو المغرب

﴿ صفة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ بلاطاته فى قبلته معترضة من الشرق الى الغرب فى كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عمودا مابين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة والعمد التى فى البلاطات القبلية بيض مجصصة شاطة جدا وسائر عمد المسجد رخام والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤسها مذهبة عليها نجف منقشة مذهبة ثم السموات على النجف وهى أيضا منقشة مذهبة وقبالة المحراب مواسطة البلاطات بلاط مذهب كله شقت به البلاطات من الصحن الى ان ينتهى الى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه وفى البلاط الذى يلى المحراب تذهيب كثير وفى وسطه سماء كالترس المقدر مجوف كالمحار مذهب وقد أخذ وجه السور القبلى من داخل المسجد بإزار رخام من أساسه الى قدر القامة منه ولف على الازار بطوق رخام فى غلظ الاصبع

ثم من فوقه ازار دونه فى العرض مخلق بالخلوق ثم فوقه ازار مثـل الاول فيـه أربعة عشر بابا فى صف من الشرق الى الغرب فى تقـدير كوى المسجد الجـامع بقرطبـة منقشة مذهبـة ثم فوقه ازار رخام أيضا فيه صفة سباوية فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين غليظ قدر أصبع من سور قصار المفصل ثم فوقه ازار رخام مثل الاول الاسفل الذى فيـه ترسة من ذهب منقشة وبين كل ترسين منها عمود أخضر فى حافاته قضيبان من ذهب ثم فوقه ازار رخام ضيقة منقشة عرضها مثل عظم الذراع لها قضبان وأوراق من ذهب ناتئة غليظـة فى وسطها مرآة مربعـة ذكر انها كانت لعائشـة رضى الله عنها ﴿قبو المحراب﴾ مقـدر جدا وفيه دارات بعضها مذهبة وبعضها خمرية وسود وتحت القبو صفة ذهب منقشة تحتها صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ثم تحتها الى الارض ازار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليـه فى المحراب الاول عنـد قيامه من السجود فيما ذكر والله أعلم وعن يمين المحراب باب يدخل منـه الامام ويخرج وعن يساره باب صغير مشطرج قد سد بعوارض من حديد وبين هـذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف ﴿والمقصورة﴾ من السور الغربى لاصقة بالباب الى الفصل اللاصق بالسور الشرقى ومن هذا الفصل يصعد الى ظهر المسجد وهى قديمة مختصرة العمل لها شرافات وأربعـة أبواب وخارج المقصورة قريب منها عن يسار المحراب سرب فى الارض يهبط فيـه على درج يفضى منها الى دار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿والمنبر﴾ عن يمين المحراب فى أول البـلاط الثالث من المحراب فى روضه مفروشة من الرخام محجوز حولها به وله درج وسمر فى أعلاه لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم يجلس عليها وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما فى منابر زماننا الآن والجذع امام المنبر وشرقى المنـبر تابوت يستر به مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وقبره﴾ صلوات الله عليه وسلامـه بشرقى المسجد فى آخر مسقفه القبلى مما يلى الصحن بينه وبين السور الشرقى مثل عشرة أذرع قـد حظر حوله بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاثة أذرع وله ستة أركان ولبس بازار رخام أكثر من قامة وما فوق القامة مخلق بالخلوق (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين قـبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة من ترع الجنة وعلى ظهر المسجد حذاء القـبر حجر محجور لئلا

يمشى عليه والبلاطات الجنوبية والغربية أربع منتظم بعضها فوق بعض فى طولها مع وجه الصحن من القبلة الى الجوف ثمانية عشر عمودا وخبايا المسجد كلها مما يلى الصحن مشدودة من جهاتها الاربع الى مناكب العمد بخشب منقش وللمسجد ثلاث منارات اثنان للجنوب وواحدة للمشرق وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها وله ثمانية عشر بابا عتبتها مذهبة وهى أبواب عظيمة لا غلق عليها أربعة منها فى الجنوب وسبعة فى الشرق وسبعة فى الغرب وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر ووجه سور المسجد كله من خارج منقش بالكذان وكذلك الشرافات فينبغى للداخل فى المسجد أن يأتى الروضة التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انها روضة من رياض الجنة فيصلى فيها ركعتين ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولا يلصق بالقبر فانه من فعل الجهال وقد كره ذلك فاذا فعل ماذكر استقبل القبلة ودعا بما أمكنه بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعرفنا به ورزقنا شفاعته برحمته آمين

﴿ صفة مسجد بيت المقدس ومافيه من آثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾ طول المسجد سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعا وعرضه أربعمائة ذراع وخمس وخمسون ذراعا بذراع الامام ويسرج فى المسجد ألف وخمسمائة قنديل وعدة مافيه من الخشب ستة آلاف خشبة وتسعمائة خشبة وعدد مافيه من الابواب خمسون بابا وعدد مافيه من العمد ستمائة وأربعة وثمانون عمودا والعمد التى داخل الصخرة ثلاثون عمودا والعمد التى خارج الصخرة ثمانية عشر عمودا وفيه الصخرة الملبسة صفائح الرصاص عليها ثلاثة آلاف صفيحة وثلثمائة واثنان وتسعون صفيحة ومن فوق ذلك صفائح النحاس مطلية بالذهب يكون عليها عشرة آلاف صفيحة ومائتان وعشر صفائح وجميع مايسرج فى الصخرة من القناديل أربعمائة قنديل وأربعة وستون قنديلا بمعاليق النحاس وسلاسل النحاس وكان طول صخرة بيت المقدس فى السماء اثنى عشر ميلا وكان أهل اريحاء يستظلون بظلها وأهل عمواس مثل ذلك وكان عليها ياقوتة حمراء تضىء لاهل البلقاء وكان يغزل فى ضوئها أهل البلقاء وفى المسجد ثلاث مقاصير للنساء طول كل مقصورة ثمانون ذراعا فى عرض خمسين ذراعا وفيه من السلاسل لتعليق القناديل ستمائة سلسلة طول كل سلسلة ثمانى عشرة ذراعا وفيه من غرابيل النحاس سبعون غربالا .

وفيه من الصنوبر التى للقناديل سبع صنوبرات وفيه من المصاحف الجامعة سبعون مصحفا وفيه من الكبار التى فى الورقة منها جلد ستة مصاحف على كراسى تجعل فيها وفيه من المحاريب عشرة ومن القباب خمسة عشر قبة وفيه أربعة وعشرون جبا للماء وفيه أربعة مناور للمؤذنين وجميع سطوح المسجد والقباب والمنارات ملبسة صفائح مذهبه وله من الخدم بعيالاتهم مائة مملوك وثلاثون مملوكا يقبضون الرزق من بيت مال المسلمين ووظيفته فى كل شهر من الزيت سبعمائة قسط بالابراهيمى وزن القسط رطل ونصف بالكبير ووظيفته فى كل عام من الحصر ثمانية آلاف ووظيفته فى كل عام من السرافة لفتائل القناديل اثنا عشر دينارا ولزجاج القناديل ثلاثة وثلاثون دينارا ولصناع يعملون فى سطوح المسجد فى كل عام خمسة عشر دينارا

﴿ آثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس ﴾ مربط البراق الذى ركبه النبى صلى الله عليه وسلم تحت ركن المسجد وفى المسجد باب داود عليه الصلاة والسلام وباب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وباب حطة التى ذكرها الله تعالى فى قوله تعالى وقولوا حطة وهى قول لا اله الا الله فقالوا حنطة وهم يسخرون فلعنهم الله بكفرهم وباب محمد صلى الله عليه وسلم وباب التوبة الذى تاب الله فيه على داود وباب الرحمة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يعنى وادى جهنم الذى بشرقى بيت المقدس وأبواب الاسباط اسباط بنى اسرائيل وهى ستة أبواب وباب الوليد وباب الهاشمى وباب الخضر وباب السكينة وفيه محراب مريم ابنة عمران رضى الله عنها التى كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ومحراب زكريا الذى بشرته فيه الملائكة بيحيى وهو قائم يصلى فى المحراب ومحراب يعقوب وكرسى سليمان صلوات الله عليه الذى كان يدعو الله عليه ومنارة ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الذى كان يتخلى فيه للعبادة والقبة التى عرج النبى صلى الله عليه وسلم منها الى السماء والقبة التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بالنبيين والقبة التى كانت السلسلة تهبط فيها زمان بنى اسرائيل للقضاء بينهم ومصلى جبريل عليه السلام ومصلى الخضر عليه السلام فاذا دخلت الصخرة فصل فى ثلاثة أركانها وصل على البلاطة التى تسامى الصخرة فانها على باب من أبواب الجنة

ومولد عيسى بن مريم على ثلاثة أميال من المسجد ومسجد ابراهيم عليه السلام وقبره على ثمانية عشر ميلا من المدينة ومحراب المسجد بغربيه

﴿ فضائل بيت المقدس ﴾ ينصب الصراط ببيت المقدس ويؤتى بجهنم نعوذ بالله منها الى بيت المقدس وتزف الجنة يوم القيامة مثل العروس الى بيت المقدس وتزف الكعبة فيجاء بها الى بيت المقدس ويقال لها مرحبا بالزائرة والمزورة ويزف الحجر الاسود الى بيت المقدس والحجر يؤمئذ أعظم من جبل أبي قبيس ومن فضائل بيت المقدس ان الله رفع نبيه صلى الله عليه وسلم الى السماء من بيت المقدس ورفع عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء من بيت المقدس ويغلب المسيح الدجال على الارض كلها الا بيت المقدس وحرم الله على يأجوج ومأجوج ان يدخلوا بيت المقدس والانبياء كلهم من بيت المقدس والابدال كلهم من بيت المقدس واوصى آدم وموسى ويوسف وجميع أنبياء بني اسرائيل صلوات الله عليهم ان يدفنوا ببيت المقدس ﴿ نتف من الاخبار ﴾ فرج بن سلام قال حدثني سليمان ابن المغيرة قال كنت أجد من أبي أيوب المرزباني رائحة طيبة ليست برائحة شراب ولا رائحة طيب فقلت له اخبرني عن هذه الرائحة فقال عفص آمر به فيدق وينخل فألته بقطران شامي ثم آخذ منه كل غداة على أصبعي فادلك به أسناني وعمورها فتطيب نكهتها وتشتد لثتها وعمورها (الرياشي) قال كانوا اذا أرادوا جارية مضغت نصف جوزة وأكلتها فلا تزال طيبة النكهة سائر ليلتها (عبد الصمد بن همام) قال كتب عامل عمان الى عمر ابن عبد العزيز انا أتينا بساحرة فالقيناها في الماء فطفت على الماء فكتب اليه لسنا من الماء في شيء ان قامت عليها بينة والا خل عنها (وقال) رجل للحسن ابا سعيد الملائكة خير أم الانبياء فقال قال الله جل ثناؤه قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك وقال لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (العتبي) قال حدثني ابو النصر عن جرير عن الضحاك قال من سمع الاذان في بيته فقام فصلى فقد أجاب (ابو حاتم) عن العتبي قال سمي المحرم لانه جعل حراما وصفر لاصفار مكة من أهلها والربيعان للخصب فيهما والجمادان لجمود الماء فيهما من شدة البرد ورجب لترجيب العرب أسنتها وشعبان لانه شعب بين رجب ورمضان ورمضان لارماض الارض من الحر وشوال لان الابل شالت باذنابها فيه

لمها وذو القعدة لقعودهم فيه عن الغزو من أجل الحج وذو الحجة للحج (الرياشى) عن محمد بن سلام عن يونس النحوى قال قال لى رؤبة وأنا أسأله عن الغريب حتى متى تسألنى عن هذه الاباطيل واذوقها لك أما ترى الشيب قد أخذ فى عارضيك ولحيتك (وقال) الخليل بن أحمد انك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره (الرياشى) عن الاصمعى قال لا تكون حطمة حتى يكون قبلها ترفيق تأنى فتحطم (ومن حديث) أبى رافع عن أبى ذر قال قلت يارسول الله صلى الله عليك كم عدد النبيين قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا (أبو بكر بن عياش) عن العجلى عن قتادة قال طول الدنيا مائة ألف وأربعة وعشرون ألف فرسخ ومن حديث عبد الله بن عمر قال العرش مطوق بحية والوحى ينزل فى السلاسل ومن حديث ابن أبى شيبة ان العباس بن عبد المطلب كان أقرب شحمة أذن الى السماء وكان اذا طاف بالبيت يشبه القسطاط العظيم واذا مشى بين قوم تحسبه راكبا ومن حديث عروة بن الزبير عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الملائكة من نور والجان من نار وآدم من تراب (وسأل) اعرابى رسول الله صلى الله عليه وسلم متى القيامة قال له وما أعددت لها قال لا شىء والله غير انى أحب الله ورسوله قال المرء مع من أحب (زياد) عن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء (زياد) عن مالك قال اذا لم يكن فى الرجل خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره واذا رأيت الرجل يستحل مال عدوه فلا تأمنه على مال صديقه (وقال بعضهم) سمعت حذيفة يحلف لعثمان فى شىء بلغه عنه ماقاله ولقد سمعته يقوله فسألته عن ذلك فقال ياابن أخى اشترى دينى بعضه ببعض لئلا يذهب كله (أخذه الشاعر فقال)

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(زياد) عن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الغيرة من الايمان والمراء من النفاق (الاصمعى) قال سأل على بن أبى طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم كم بين الايمان واليقين قال أربع أصابع قال وكيف ذلك قال الايمان كل ماسمعته أذناك وصدقه قلبك واليقين مارأته عيناك فأيقن به قلبك وليس بين العين والاذنين الا أربع أصابع (الرياشى) قال ضرب على كرم الله وجهه بيده زانيا فأوجعه ايجاعا شديدا فقال له عم المضروب بعض هذا الضرب فقد قتلته فقال على رضى الله عنه انه وتر من ولدها من قبل أبيها وأمها من النبيين

والصالحين الى آدم قال الرياشي فكنت أعجب من شنعة حد الرجم فلما سمعت شنعة الذنب هان على الحد (الاصمعى) عن أبى عمرو قال دم الحيض غذاء المولود (أقبل) اعرابى الى النبي صلى الله عليه وسلم ينشد ضالة له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدتها انما المساجد لما بنيت له (الاصمعى) عن أبى عمرو قال أعرق الناس فى الخلافة عاتكة بنت يزيد بن معاوية أبوها خليفة وجدها خليفة وأخوها معاوية بن يزيد خليفة وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة وولدها يزيد بن عبد الملك خليفة وأرباؤها الوليد وسليمان وهشام خلفاء (قتادة) عن أنس بن مالك قال أمن النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة الا أربعة فانه قال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة وهم عبد العزى بن حنظلة ومقيس بن ضباب الكندى وعبد الله بن أبى سرح وأم سارة فأما عبد العزى فانه قتل وهو متعلق باستار الكعبة وأما عبد الله بن أبى سرح فانه كان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه وشفع له عنده وأما مقيس فانه كان له أخ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل خطأ فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى فهر ليأخذ له عقله من الانصار فلما اجتمع له العقل أخذه وانصرف مع الفهرى فنام الفهرى فى بعض الطريق فوثب عليه مقيس فقتله ثم أقبل وهو يقول

شفى النفس من قدمات بالقاع مسندا * يضرج ثوبيه دماء الاخادع
قتلت به فهرا وأغرمت عقله * سراة بنى النجار أرباب فارع
حللت به نذرى وأدركت ثؤرتى * وكنت الى الاوثان أول راجع

وأما سارة فانها كانت مولاة لقريش فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكت اليه الحاجة فأعطاها شيأ ثم أتاها رجل فبعث معها كتابا الى أهل مكة يتقرب به اليهم ليحفظ فى عياله وكان عياله بمكة فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب فلحقاها ففتشاها فلم يقدرا على شىء فاقبلا راجعين ثم قال أحدهما لصاحبه والله ما كذبنا ولا كذبنا ارجع بنا اليها فرجعا اليها فسلا سيفيهما ثم قالا لتدفعن الينا الكتاب أو لنذيقنك الموت فأنكرته ثم قالت ادفعه اليكما على ان لا تردانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلا منها ذلك فحلت عقاص رأسها وأخرجت الكتاب من قرن من قرونها فرجعا بالكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعاه اليه فدعا الرجل وقال له

ماهذا الكتاب فقال له أخبرك يارسول الله انه ليس ممن معك أحد الا وله بمكة من يحفظه في عياله غيري فكتبت بهذا الكتاب ليكافؤني في عيالي فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة (أمر) المصعب بن الزبير رجلا من بني أسد ابن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدي فقال مرة

بني اسد ان تقتلوني تحاربوا * تميما اذا الحرب العوان اشمعلت

ولست وان كانت الي حبيبة * بباك على الدنيا اذا ما تولت

(كان) ابن سعد الاسدي قد تولى صدقات الاعراب لعمر بن عبد العزيز واعطياتهم فقال فيه جرير يشكوه الى عمر

حرمت عيالا لافوا كه عندهم * وعند ابن سعد سكر وزبيب

وقد كان ظني بابن سعد سعادة * وما الظن الا مخطيء ومصيب

فان ترجعوا رزقي الي فانني * متاع ليال والاداء قريب

يحيي العظام الراجعات من البلى * وليس لداء الركبتين طبيب

(لما) توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان أبو خيثمة فيمن تخلف عنه فأقبل وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانها ومهدت له في ظل حائط فقال ظل ممدود وثمرة رطبة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ماهذا بخير ثم ركب ناقته ومضى في أثره فقالوا يارسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال كن أبا خيثمة فكانه * الضح الشمس تقول العرب في أمثالها جاء فلان بالضح والريح اذا اقبل بخير كثير

﴿نتف من الطب﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم يريد ما نزعتم عن القسي ونزوتم على ظهور الخيل وانما أراد الحركة والله أعلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا (وقال بعض الحكماء) لا ينبغي للعاقل ان يخلي نفسه من ثلاث في غير افراط الأكل والمشي والجماع فاما الاكل فان الامعاء تضيق لتركه واما المشي فان من لم يتعاهده أوشك ان يطلبه فلا يجده واما الجماع فانه كالبئر ان نزحت جمت وان تركت تغور ماؤها وحق هذا كله القصد فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم من استقل برأيه فلا يتداوى فرب دواء يورث الداء (وقالت الحكماء) اياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة (وقالوا)

مثل الدواء فى البدن مثل الصابون فى الثوب ينقيه ويخلقه (الاصمعى) عن رجل عن عمه قال لقيت طبيب كسرى شيخا كبيرا قد شد حاجبيه بخرقة فسألته عن دواء المشى فقال سهم يرمى به فى جوفك أصاب أم أخطأ (وفى كتاب) التفصيل للهند الدواء من فوق والدواء من تحت والدواء لا من فوق ولا من تحت تفسيره من كان داؤه فوق سرته سقى الدواء ومن كان داؤه تحت سرته حقن بالدواء ومن لم يكن له داء لا من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء ولم يحقن به وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس بم كنت تستمشين فى الجاهلية قالت بالشبرم قال حار حار ثم قالت استمشيت بالسنا قال لو أن شيأ يرد القدر لرده السنا ومن حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يتذاكرون الكمأة ويقولون فيها جدرى الارض فقال ان الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وهى شفاء من السم (واهدى) تميم الدارى الى النبى صلى الله عليه وسلم زبيبا فلما وضعه بين يديه قال لاصحابه كلوا فنعم الطعام الزبيب يذهب النصب ويشد العصب ويطفىء الغضب ويصفى اللون ويطيب النكهة ويرضى الرب (وقال طلحة بن عبيد الله) دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى جماعة من أصحابه وفى يده سفرجلة يقلبها فلما جلست اليه دحرج بها نحوى وقال دونكها أبا محمد فانها تشد القلب وتطيب النفس وتذهب بطخاء الصدر وقال النبى صلى الله عليه وسلم أربع من النشر شرب العسل نشرة والنظر الى الماء نشرة والنظر الى الخضرة نشرة والنظر الى الوجه الحسن نشرة (وقال عثمان بن عفان) سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ الخمسين أمن الادواء الثلاث الجنون والجذام والبرص (ومن حديث) زيد بن أسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من داء الا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله ومن حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنزل الدواء الذى أنزل الداء ومن حديث زيد بن أسلم ان رجلا أصابه جرح فى بعض مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له رجلين من بنى أنمار فقال أيكما أطب فقال له رجل من أصحابه فى الطب خير قال ان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة أشفية يسعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب يريد القسط الهندى وهو الذى تسميه العامة الكست وقال النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها دواء من كل داء الا السام يعنى الشونيز (وفى مسند) ابن أبى شيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالاثمد عند النوم فانه

يجد البصر و ينبت الشعر وفيه ان عبد الله بن مسعود قال عليكم بالشفاءين القرآن والعسل (الاصمعى) قال ثلاث ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم الجراد ولحوم الابل والقطر وهو الفقع (ويقول) أهل الطب ان أردأ القطر ما ينبت فى ظلال الشجر ولا سيما فى ظلال الزيتون فانه قتال (وقال) وهب بن منبه اذا صام الرجل زاغ بصره فاذا أفطر على الحلوى رجع اليه بصره (وأقبل) رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى كنت فى الجاهلية ذا فطنة وذا ذهن وانكرت نفسى فى الاسلام فقال له أكنت تنام فى القائلة قال نعم قال فعد الى ما كنت عليه من نوم القائلة وقال النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بالشجرة التى كلم الله منها موسى بن عمران زيت الزيتون فادهنوا به قال فيه شفاء من الباسور (وقال) فى الزيتونة يقول الله وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (وتقول الاطباء) اذا خرج الطعام من قبل ست ساعات فهو من ضرر واذا أقام فى الجوف أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو من ضرر (دخل) المغيرة بن شعبة على معاوية فقال له معاوية انكرت من نفسى خصلتين قل طعمى ورق عظمى فان تدثرت بالثقيل اثقلنى وان تدثرت بالخفيف أصابنى البرد قال نعم ياأمير المؤمنين بين جاريتين سمينتين يدفيانك بشحومهما ويحملان عنك ثقل الدثار بمناكبهما وأكثر من الالوان وكل من كل لون ولو لقمة فان ذلك اذا اجتمع كثيره نفع فدخل عليه بعد ذلك فقال له معاوية ياأعور قد جربنا ماقلت فوجدناه موافقا ﴿ التعويذ والرقى ﴾ أبو بكر ابن أبى شيبة عن عقبة عن شعبة عن أبى عصمة قال سألت سعيد بن المسيب عن تعليق التعويذ قال لا بأس به (وكان) مجاهد يكتب للصبيان التعويذ و يعلقه عليهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم من قال اذا أصبح أعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة لم يضره عين ولا حية ولا عقرب (وفى مسند) ابن أبى شيبة ان خالد بن الوليد كان يفزع فى نومه فشكا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أخبرنى جبريل ان عفريتا من الجن يكيدك فقل أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الارض وما يخرج منها ومن شر كل ذى شر فقالهن خالد فذهب ذلك عنه (وفى مسند) ابن أبى شيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم بينا هو يصلى ذات ليلة اذ وضع يده على الارض فلدغته عقرب فتناول نعله فقتلها فلما

انصرف قال لعن الله العقرب ماتدع نبيا ولا غيره ثم دعا بماء وملح فجعله فى اناء ثم صب على أصبعه منه ومسحها وعوذها بالمعوذتين (وفى مسند) ابن أبى شيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لارقية الا من عين أو حمة والحمة السم (سفيان بن عيينة) قال بينا عبد الله بن مسعود جالسا تعرض عليه المصاحف اذ أقبلت اعرابية فقالت أبا فلان لرجل جالس اليه لقد لدغ مهرك وتركته كأنه يدور فى فلك فقم فاسترق له فقال له ابن مسعود لا تسترق له واذهب فانفث فى منخره الايمن أربعا وفى الايسر ثلاثا وقل اذهب الباس رب الناس فانه لا يذهبه الا أنت ففعل فلم يبرح حتى أكل وشرب وبال وراث (دخل) أبو بكر على عائشة وهى تشكى ويهودية ترقيها فقال لها ارقيها بكتاب الله ﴿الحجامة والكى﴾ قال عبد الله بن عباس احتجم النبى صلى الله عليه وسلم فى رأسه من أذى كان به (وفى مسند) ابن أبى شيبة ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فى فأس رأسه فقال ما هذا قال هذا خير ماتداويتم به (وفى مسند) ابن أبى شيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خير ماتداويتم به الحجامة والقسط البحرى ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وفيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خير يوم تحتجمون فيه سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرون (وفيه) انه قال ان كان فى شىء مما تعالجون به خير ففى شرطة من محجم أو لذعة من نار توافق ألما أو شربة من عسل وما أحب ان اكتوى ﴿السم والسحر﴾ فى مسند ابن أبى شيبة ان يهود خيبر أهدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا لى من ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك السم (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم مازالت أكلة خيبر تعتادنى فهذا أوان قطعت ابهرى (الليث بن سعد) عن الزهرى قال اهدى لابى بكر طعام وعنده الحرث بن كلدة طبيب العرب فأكلا منه فقال الحرث لابى بكر لقد أكلنا والله فى هذا الطعام سم سنة وانى واياك لميتان عند رأس الحول فماتا جميعا عند انقضاء السنة (وفى مسند) ابن أبى شيبة ان رجلا من اليهود سحر النبى صلى الله عليه وسلم فاشتكى لذلك أياما فأتاه جبريل فقال له ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا وجعلها فى مكان كذا فأرسل عليا رضى الله عنه فاستخرجها وجاء بها فجعل يحلها فكلما حل عقدة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة ثم قام رسول الله صلى الله

عليه وسلم كأنما نشط من عقال (وفى مسند) ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى انه قال طب رسول الله صلى الله عليه وسلم والطب السحر فبعث الى رجل فرقاه ﴿العين﴾ تقول العرب رجل معين اذا أخذ بالعين (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم لو سبق القدر شىء لسبقته العين (وتقول) العرب ان العين تسرع بالابل الى أوصامها وبالرجال الى اسقامها (ونظر) عامر بن أبى ربيعة الى سهل بن حنيف يستحم فقال مارأيت كاليوم ولاجلد مخبأة قال فلبط به فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عامر بن أبى ربيعة ان يتوضأ له ثم يطهره بمائه ففعل فقام سهل بن حنيف كأنما نشط من عقال

﴿أبيات فى الطب﴾ وجدناها فى كتاب فرج بن سلام

القانخات بشيرج ملتوت * فيه شفاء للرياح مميت
يغلى اراك حلبة فى مائها * يسقيه مصطبحا وحين يبيت

﴿وقال﴾

ليس شىء أبقى على الجسم بالريـ ـح من الانجدان والمحروث

﴿وقال﴾

فى الحرف سبعون دواء وفى الـ ـكمون فيما قيل ستونا
قد قاله هرمس فى كتبه * فلا تدع حرفا ولا كونا

﴿وقال﴾

وسعتر بر نافع كل بلغم * وذو المرة الصفراء بالرازيانق
وذو المرة السوداء ذاك علاجه * تعاهد فصد العرق من كف حاذق
وذو الدم فليكثر لذاك حجامة * فما غيرها شىء له بموافق

﴿وقال﴾

لا تكن عندأ كل سخن وبهر * ودخول الحمام تشرب ماء
فاذا ما اجتنبت ذلك منه * لم تخف ما حييت فى الجوف داء

﴿وقال﴾

ان أردت الرقاد فى الليل فاجعل * قطنة عندها على الاذنين
فبه تظهر السلامة للاذ * نين مما يضر بالعينين

﴿ وقال ﴾

لاتشرب الماء بعد النوم من ظما * ولاتبت أبدا فى غير منقبض
فجوف من بات من ماء ومن ثقل * ومن رياح دعا كل الى مرض

﴿ وقال ﴾

احسن فى الحمام ماء مسخنا * وليكن ذلك فى البيت السخن
تسلم البطن من الداء ولا * يعتريه وجع طول الزمن

﴿ وقال ﴾

ان دخلت الحمام فأضرب على رأ * سك بالماء السخن سبع مرار
فبه تظهر السلامة من كل صداع بقدرة الجبار

﴿ وقال ﴾

لاتجامع ولاتمطى ولاتد * خل اذا ماشبعت فى الحمام
فهو دفع لكل ما يتقيه المرء من فالج وكل سقام

﴿ وقال ﴾

ما كان فى الرأس اخرجه بغرغرة * فالقىء يخرج مافى الصدر من عفن
وكل ما كان فى صلب فذلك لا * يسيل الا باخلاط من الحقن

﴿ وقال ﴾

على الريق فى البرد احسن ماء مسخنا * وفى الصيف ماء باردا حين تصبح
وذلك فيما قيل فيه مصحة * وذاك على ادمانه الجسم يصلح

﴿ وقال ﴾

ان من باكر الغداة و بعد العصر منه تعاهد للعشاء
فباذن الاله يبقى صحيحا * سالما فى الحياة من كل داء

﴿ وقال ﴾

ان رأس الطب ان تد * لك بالزئبق دلكا
باطن الرجلين عند النوم ينفى السقم عنكا

﴿ وقال ﴾

شجر البراغيث الكريه مشمه * يبرى باذن الله من داء الحبن

{ وقال }

ان السواك ليستحب لسنة * ولانه مما يطيب به الفم
لم تخش من حفر اذا أدمنته * وبه يسيل من اللهاة البلغم

{ وقال }

احتجم بين كل شهرين ولتلـف على أثره من الايام
سبعة منك للزبيب بلا عجـم تبديه قبل كل طعام
فهو للعين وللهاة وللحلـق امان له من الاسقام

{ وقال }

ولا تغط الرأس فى وقت ما * تخرج من الحمام واخش الضرر
ان بخار الرأس فى وقت ما * وصفته داء يصيب البصر

{ وقال }

ان الجماع على الحمام مصحة * ولذاذة تاهت على اللذات

{ وقال }

السمك المالح ان لم يكن * بد من الاكل له فانعم
بالطبخ واكثر زيته ثم كل * من قبل مأدوما من المطعم

{ وقال }

اطل منك الشعر فى كل أربعاء لاتدور
وليكن غسلك بالبا * رد منه والطهور
انه يرعن منه * شعر الجسم الكثير
انى طب بما يجهله الناس خبير

(وحدث) محمد بن ابراهيم الوراق قال حدثنى محمد بن عبيد الله بن الحرث بن اسحق بمصر قال حدثنا محمد بن داود بن ناجية قال حدثنا زياد بن يونس الحضرمى عن محمد ابن هلال المدنى عن أبيه عن أبى هريرة قال جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكى زوجها فقال انها تذكر كثرة الجماع قال يارسول الله أفأزنى قال لا ولكن

اذا جاءنا سبي فتعال حتى نعطيك جارية فقدم عليه سبي فجـاء اليـه فقال له يارسول الله وعدى فقال له اختر فقال له اختر لى فقال خذ هـذه فانى أراها زرقاء فلعلها قال فـما لبثنا ان جاءت المرأة فقالت يارسول الله مازاده الامر الا تحـددا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ماهـذا فقال يارسول الله أفأزنى قال لا ثم قال له رسول الله صلى الله عليـه وسلم لعلك تكثر الاطلاء قال نعم قال فأقل طلاءك يقل جماعك قال محمـد قال لى ابن ناجيـة وأنا كما ترانى شيخ كبير قدأتى علىّ ثمـانون سنة اذا أحببت الوطء أطليت فى كل خمس عشر ليلة

﴿ الهدايا ﴾ (كتب) سعيد بن حميـد الى بعض أهل السلطان فى يوم النير وز أيها السيد الشريف عشت أطول الاعمار بزيادة من العمر موصولة بفرائضها من الشكر لا ينقضى حق نعمة حتى يجـدد لك أخرى ولا يمر بك يوم الا كان مقصرا عما بعده موفيا عما قبله انى تصفحت أحوال الاتبـاع الذين يجب عليهم الهـدايا الى السادة فالتمست التأسى بهم فى الاهـداء وان قصرت بى الحال عن الواجب وانى وان أهـديت نفسى فهى ملك لك لاحظ فيها لغـيرك ورميت بطرفى الى كرائم مالى فوجـدتها منك فان كنت أهديت منها شيأ لمهـد مالك اليك ونزعت الى مودتى فوجـدتها خالصة لك قديمة غـير مستحدثة فرأيت ان جعلتها هديتى لم أجد لهـذا اليوم الجديد برا ولالطفا ولم أميز منزلة من شكرى بمنزلة من نعمتك الا كان الشكر مقصرا عن الحق والنعمة زائدا على ماتبلغه الطاقة فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هـدية اليك والاقرار عما يجب لك برا أتوصل به اليك وقلت فى ذلك

ان اهـد مالا فهو واهبـه ﴾ وهو الحقيق عليـه بالشكر
أو أهدى شكرى فهو مرتهن ﴾ بجميـل فعلك آخر الدهر
والشمس تستغنى اذا طلعت ﴾ ان تستضىء بسنة البـدر

(وكتب) بعض الكتاب الى بعض الملوك النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والامل مصروف نحوك فـاعسى ان أهدى اليك فى هذا اليوم وهو يوم سهلت فيه العادة سبيل الهـدايا للسادة وكرهت أن نخليـه من سنته فنكون من المقصرين أوان ندعى ان فى وسعنا مايفى بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقتصرنا على هـدية تقتضى بعض الحق وتنفي بعض الحقد وتقوم عنـدك مقام أجمل البر ولازالت أيها الامير دائم السرور

والغبطة فى أتم أحوال العافيـة وأعلى منازل الكرامة تمر بك الاعياد الصالحـة والايام المفرحـة فتخلقها وأنت جـديد تستقبل أمثالها فتلقاك ببهائها وجمالهـا وقد بعث الرسول بالسكر لطيبه وحلاوته وتركت السفرجل لفاله والدرهم لبغائه على كل من ملكه ولازلت حلو المزاق على أوليائك مرا على أعـدائك متقدما عنـد خلفاء الله الذين تليق بهم خدمتك وتحسن أفنيتهم بمثلك وقد جمعنا فى هـذه القصيدة ثناء ومشورة واعتـذارا وتهنئة وهى

عاط فى المهرجان كأسا شمولا * وأطعنى ولا تطيعن عـذولا
فهو يوم قد كان آباؤك الغر يحـلونه محـلا جليـلا
ان للصيف دولة قد تقضت * وأراك الشتاء وجها جميـلا
وتجلت لك الرياض عن النو * ر فكانت عن كل شيء بديلا
فتمتع باللهو لازلت جـذلا * ن وطرف الزمان عنك كليلا
لو أجـد لى هـدية حـين حصلـت كثيرا ملكته وقليـلا
يعـدل الشكر والثنـاء وان لم * يك شكرى لمـا أتيت عديلا
فجعلت الذى أطيـق من الشكـر علىّ ماعجزت عنـه دليـلا
يالهـا من هـدية تقنع المهـدى اليـه ولا تعنى الرسـولا

(وكتب) بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان فى المهرجان هـذه أيام جرت فيها العادة بالطاف العبيـد للسادة وان كانت الصناعـة تقصر عما تبلغه الهمة فكرهت ان أهدى فلا أبلغ مقدار الواجب فجعلت هديتى هذه الابيات وهى

ولما ان رأيت ذوى التصافى * تباروا فى هـدايا المهرجان
جعلت هـديتى ودا مقيما * على مر الحوادث والزمان
وعبـدا حين تكرمه ذليـلا * ولكن لا يعز على الهوان
يزيدك حين تعطيـه خضوعا * ويرضى من نوالك بالامانى

(أهدى أبو العتاهية الى بعض الملوك نعلا وكتب معها)

نعـلى بعثت بها لتلبسها * رجل بها تسعى الى المجـد
لو كان يصلح ان اشركها * خدي جعلت شراكها خدي

(وأهدى علي بن الجهم كلبا وكتب)

استوص خيرا به فان له * عندي يدا لا أزال أحمدها
يدل ضيفي عليّ في غسق الليل اذا النار نام موقدها

(أهدى) أحمد بن يوسف ملحا مطيبا الى ابراهيم بن المهدى وكتب اليه الثقة بك سهلت السبيل اليك فأهديت هدية من لا يحتشم الىّ من لا يغتنم (وأهدى) ابراهيم ابن المهدى الى اسحق بن ابراهيم الموصلي جراب ملح وجراب اشنان وكتب اليه لولا ان القلة قصرت عن بلوغ الهمة لاتعبت السابقين الى برك ولكن البضاعة قعدت بالهمة وكرهت أن تطوى صحيفة البر وليس لى فيها ذكر فبعثت بالمبتدا به ليمنه وبركته والمختوم به لطيبه ونظافته وأما ماسوى ذلك فالمعبر عنا فيه كتاب الله تعالى اذ يقول ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج الى آخر الآية (وكتب) ابراهيم بن المهدى الى صديق له لو كانت التحفة على حسب مايوجبه حقك لاجحف بنا أدنى حقوقك ولكنه على قدر مايخرج الوحشة ويوجب الانس وقد بعثت بكذا وكذا (وكتب) رجل الى المتوكل على الله وقد أهدى اليه قارورة من دهن الاترج ان الهدية يا أمير المؤمنين اذا كانت من الصغير الى الكبير كلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن وكلما كانت من الكبير الى الصغير كلما عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع وأرجو ان لا يكون قصرت بى همة أصارتنى اليك ولا أحرى ارشاد دلنى عليك وأقول

ماقصرت همة بلغت بها * بابك ياذا النداء والكرم
حسبي بودك ان ظفرت به * ذخرا وعزا ياواحد الامم

(أهدى) حبيب بن اوس الطائى الى الحسن بن وهب قلما وكتب معه اليه هذه الابيات

قد بعثنا اليك أكرمك الله بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه الى ندى كفك الغمر ولا نيلك الكثير الجزيل
فاستجز قلة الهدية منى * فقليل المقل غير قليل

(ومن قولنا فى هذا المعنى وقد أهديت سلة عنب ومعها).

أهديت بيضا وسودا فى تلونها * كانها من بنات الروم والحبش
عذراء تؤكل احيانا وتشرب احيانا فتعصم من جوع ومن عطش

﴿ وأهديت حوتين وكتبت معهما ﴾

أهديت أزرق متروناً بزرقاء * كالماء لم يغذها شيء سوى الماء
ذكانها الآخذ ما تنفك طاهرة * بالبر والبحر أمواتاً كأحياء

﴿ وأهديت طبق ورد ومعه ﴾

رياحين اهديها لريحانة المنى * جنتها يد التخجيل عن حمرة الخد
وورد به حييت غرة ماجد * شمائله أذكى نسيماً من الورد
ووشي ربيع مشرق اللون ناضر * يلوح عليه ثوب وشي من البرد
بعثت بها زهراء من فوق زهرة * كتركيب معشوقين خداً على خد

﴿ وكتبت على كاس ﴾

اشرب على منظر انيق * وامزج بريق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا * واحذر على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي * اليك خل عن الطريق

﴿ وأنشد أحمد بن أبي طاهر في هذا المعنى ﴾

ما ترى في هدية من فقير * حيل ما بينه و بين اليسار
ترك المال والهدايا الى النا * س واهدى غرائب الاشعار
محكمات كأنها قطع الرو * ض تحلت أنواره بالبهار

﴿ وأنشد ابن يزيد المهلبي في المعتمد ﴾

سيبقى فيك ما يهدى لساني * اذا فنيت هدايا المهرجان
قصائد تملأ الآفاق مما * أحل الله من سحر البيان

﴿ وقال آخر ﴾

جعلت فداك للنيروز حق * وأنت على أوجب منه حقا
ولو أهديت فيه جميع ملكي * لكان جميعه لك مسترقا
وأهديت الثناء بنظم شعر * وكنت لذاك مني مستحقا
لان هدية الالطاف تفنى * وان هدية الاشعار تبقى

﴿ وقال حبيب ﴾

فوالله لا انفك اهدى شواردا * اليك يحملن الثناء التجملا

ألذ من السلوى وأطيب نفحة * من المسك منتوقا وليس محملا

﴿ وقال مروان بن أبي حفصة ﴾

بدولة جعفر حمد الزمان * لبابك كل يوم مهرجان

جعلت هديتى لك فيه وشيا * وخير الوشى ما نسج اللسان

﴿ وقال أحمد بن أبي طاهر ﴾

من الاسنة الاملاك فيما مضى * من سالف الدهر واقباله

هدية العبد الى ربه * فى جدة الدهر واجلاله

فقلت ما أهدى الى سيدى * حالى وما خولت من حاله

ان أهد نفسى فهى من نفسه * أو أهد مالى فهو من ماله

فليس الا الحمد والشكر والـ * ـمدح الذى يبقى لامثاله

﴿ وقال الحمدونى وأهدى اليه سعيد بن حميد أضحية مهزولة ﴾

لسعيد شويهة * نالها الضر والعجف فتغنت وأبصرت * رجلا حاملا علف

بابى من بكفه * برء دائى من الدنف فأتاها مطعما * فأتته لتعتلف

ثم ولى فاقبلت * تتغنى من الاسف ليته لم يكن وقف * عذب القلب وانصرف

(وقال) الحمدونى كتبت الى الحسن بن ابراهيم وكان كل سنة يبعث الى باضحية فتأخرت عنى سنة فكتبت اليه

سيدى اعرض عنى * وتناسى الود منى

مربى أضحى وأضحى * أخلفانى فيه ظنى

لايرانى فيهما أهـ * ـلا لظلف ولقرن

فتعزيت بيأس * ثم ضحيت بجنى

واصطبحت الراح يوما * ثم أنشدت أغنى

لا لجرم صدعنى * صدعنى بالتجنى

(أهدت) جارية من جوارى المأمون تفاحة له وكتبت اليه انى يا أمير المؤمنين لما

رأيت تنافس الرعية فى الهدايا اليك وتواتر الطافهم عليك فكرت فى هدية تخف مؤنتها وتهون كلفتها و يعظم خطرها و يجل موقعها فلم اجد ما يجتمع فيه هذا النعت و يكمل فيه هذا الوصف الا التفاح فاهديت اليك منها واحدة فى العدد كثيرة فى التقرب وأحببت ياأمير المؤمنين ان أعرب لك عن فضلها وا كشف لك عن محاسنها واشرح لك لطيف معانيها وماقالت الاطباء فيها وتمن الشعراء فى أوصافها حتى ترمقها بعين الجلالة وتلحظها بمقلة الصيانة فقد قال أبوك الرشيد رضى الله عنه أحسن الفاكهة التفاح اجتمع فيه الصفرة الدرية والحمرة الخمريه والشقرة الذهبية و بياض الفضة ولون التبر يلذبها من الحواس العين ببهجتها والانف بريحها والفم بطعمها وقال ارسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة واجتمع اليه تلاميذه التمسوا الى تفاحة اعتصم بريحها واقضى وطرى من النظر اليها وقال ابراهيم بن هانئ ماعلل المريض المبتلى ولاسكنت حرارة الثكلى ولاردت شهوة الحبلى ولاجمعت فكرة الحيران ولاسكنت حنقة الغضبان ولاتحنث الفتيان فى بيوت القيان بمثل التفاح والتفاحة ياأمير المؤمنين ان حملتها لم تؤذك وان رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح من الخضرة والحمرة والصفرة وقال فيها الشاعر

حمرة التفاح مع خضرته * أقرب الاشياء من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح
ثم غنيني لكى تطربنى * طرفك الفتان قلبى قد جرح

فاذا وصلت اليك ياأمير المؤمنين فتناولها بيمينك واصرف اليها بغيتك وتأمل حسنها بطرفك ولاتخدشها بظفرك ولاتبعدها عن عينك ولاتبذلها لخدمك فاذا طال لبثها عندك ومقامها بين يديك وخفت أن يرميها الدهر بسهمه و يقصدها بصرفه فتذهب بهجتها وتحيل نضرتها فكلها * هنيئا مريئا غير داء مخامر * والسلام عليك ياأمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته ﴿ وكتب العباس الهمدانى الى المأمون فى يوم نيروز ﴾

أهدى لك الناس المرا * كب والوصائف والذهب
وهديتى حلو القصا * ئد والمدائح والخطب
فاسلم سلمت على الزما * ن من الحوادث والعطب

فقال المأمون احملوا اليه كل ما أهدى لنا فى هذا اليوم

٢٤

﴿ فرش كتاب الفريدة الثانية ﴾

﴿ فى الطعام والشراب ﴾

﴿ قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ﴾ قد مضى قولنا فى بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان والنتف ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الطعام والشراب اللذين بهما تنمو الفراسة وهما قوام الابدان وعليهما بقاء الارواح (قال المسيح) عليه الصلاة والسلام فى الماء هذا أبى وفى الخبز هذا أمى يريد انهما يغذيان الابدان كما يغذيها الابوان وهذا الكتاب جزآن جزء فى الطعام وجزء فى الشراب فالذى فى الطعام منهما متقص جميع ما يتم ويتصرف به أغذية الطعام من المنافع والمضار وتعاهد الابدان بما يصلحها من ذلك فى أوقاته وضروب حالاته واختلاف الاغذية مع اختلاف الازمنة بما لا يخلى المعدة وما لا يكظها فقد جعل الله لكل شئ قدرا والذى فى الشراب منهما مشتمل على صنوف الاشربة وما اختلف الناس فيه من الانبذة ومحمود ذلك ومذمومه فانا نجد النبيذ قد أجازه قوم صالحون وقد وضعنا لكل شئ من ذلك بابا فيحتاط كل رجل لنفسه بمبلغ تحصيله ومنتهى نظره فان الرائد لا يكذب أهله

١ — أطعمة العرب — الوشيقة من اللحم وهو ان يغلى اغلاءة ثم يرفع يقال منه وشقت أشق وشقا قال الحسن بن هانئ

حتى رفعنا قدرنا بضرامها * واللحم بين موزم وموشق

والصفيف مثله ويقال هو القديد يقال صففته اصفه صفا * والربيكة شئ يطبخ من بر وتمر ويقال منه ربكته اربكه ربكا * والبسيسة كل شئ خلطته بغيره مثل السويق بالاقط ثم تلته بالسمن أو بالزيت أو مثل الشعير بالنوى للابل يقال بسسته أبسه بسا * والعثيمة

بالعين غير معجمة طعام يطبخ ويجعل فيه جراد وهو الغثيمة أيضا * والبغيث والغليث الطعام المخلوط بالشعير فاذا كان فيه الزؤان فهو المغلوث * والبكيلة والبكالة جميعا وهى الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو سمن أو زيت يقال بكلته أبكله بكلا * والعريقة شىء يعمل من اللبن فاذا قطعت اللحم صغارا قلت كتفته تكتيفا (أبو زيد) قال اذا جعلت اللحم على الجمر قلت حسحسته وهو ان تنفض عنه الرماد بعد ان يخرج من الجمر فاذا ادخلته النار ولم تبالغ فى طبخه قلت ضهبته وهو مضهب * سميت المضيرة بذلك لانها طبخت باللبن الماضر وهو الحامض والهريسة لانها تهرس والعصيدة لانها تعصد واللفيتة لانها تلفت * والفالوذ وهو السرطراط ومن أسماء الفالوذ أيضا السريط لانه يسترط مثل يزدرد ولا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى يقال اعقى الشىء اشتدت مرارته * الرغيدة اللبن الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلعق لعقا * الحريرة الحساء من الدسم والدقيق * والسخينة حساء كانت تعمله قريش فى الجاهلية فسميت به قال حسان

زعمت سخينة ان ستغلب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

* والعكيس الدقيق يصب عليه الماء ثم يشرب قال منظور الاسدى

ولما سقيناها العكيس تمدحت * خواصرها وازداد رشحا وريدها

﴿أسماء الطعام﴾ الوليمة طعام العرس والنقيعة طعام الاملاك والاعذار طعام الختان والخرس طعام الولادة والعقيقة طعام سابع الولادة والنقيعة طعام يصنع عند قدوم الرجل من سفره يقال انقعت انقاعا والوكيرة طعام البناء يبنيه الرجل فى داره والمأدبة كل طعام يصنع لدعوة يقال آدبت أودب ايدابا وأدبت أدبا (قال طرفة)

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر

الآدب صاحب المأدبة والجفلى دعوة العامة والنقرى دعوة الخاصة * والسلفة طعام يتعلل به قبل الغداء * والتفى الطعام الذى يكرم به الرجل يقال منه قفوته فانا اقفوه قفوا والقفاوة مايرفع من المرق للانسان قال الشاعر

ونقفى وليد الحى ان كان جائعا * ونحسبه ان كان ليس بجائع

﴿صفة الطعام وفضله﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله سخر له

السموات والارض وكلوا سقطة المائدة (وقال) الحسن البصرى ليس فى الطعام سرف وتلا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا (وقال) الاصمعى الكبادات أربعة العصيدة والهريسة والحيس والسميذ (أبوحاتم) والسويق طعام المسافر والعجلان والحريقىء النفساء وطعام من لا يشتهى الطعام (أبوخالد) عن الاصمعى قال قال أبوصوارة الارز الابيض بالسمن المسلى والسكر الطبرزد ليس من طعام أهل الدنيا (وقال) مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أكل الخبيص يزيد فى الدماغ (وقال) الحسن لفرقد بلغنى انك لا تأكل الفالوذج قال يا أباسعيد أخاف ان لا أؤدى شكره قال يالكع وهل تؤدى شكر الماء البارد فى الصيف والحار فى الشتاء اما سمعت قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ماعاب هذا مسلم (وقال) رجل فى مجلس الاحنف ماشىء ابغض الىّ من الزيت والكمأة فقال الاحنف رب ملوم لاذنب له (وقيل) لشريح القاضى أيهما أطيب اللوزينق أوالجوزينق فقال لا احكم على غائب (ولد) لعبد الرحمن بن أبى ليلى مولود فصنع الاخبصة ودعا الناس وفيهم مساور الوراق فلما أكلوا قال مساور الوراق

من لم يدسم بالثريد سبالنا * بعد الخبيص فلا هناه الفارس

(الرقاشى) قال اخبرنا أبوهفان ان رقبة بن مصقلة طرح نفسه بقرب حماد الراوية فى المسجد فقال له حماد مالك قال صريع فالوذج قال له حماد عند من فطالما كنت صريع سمك مملوح خبيث قال عند من حكم فى الفرقة وفصل فى الجماعة قال وما أكلت عنده قال أتانا بالابيض المنضود والملوز المعقود والدليل الرعديد والماضى المردود (محمد) بن سلام الجمحى قال قال بلال بن أبى بردة وهو أمير على البصرة للجارود بن أبى بسرة الهذلى أتحضر طعام هذا الشيخ يعنى عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر قال نعم قال فصفه لى قال تأتيه فتجده مضطجعا يعنى نائما فتجلس حتى يستيقظ فيأذن لنا فنساقطه الحديث فان حدثناه احسن الاستماع وان حدثنا أحسن الحديث ثم يدعو بمائدته وقد تقدم الى جواريه وامهات أولاده ان لا يلطفه واحدة منهن الا اذا وضعت مائدته ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه فيقول ماعندك اليوم فيقول عندى كذا فيعدد كل ماعنده ويصفه يريد بذلك أن يحبس كل رجل

نفسه وشهوته على مايريد من الطعام وتقبل الالطاف من ههنا وههنا وتوضع على المائدة ثم يؤتى بثريدة شهباء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات جفافين من العراق فنأ كل معه حتى اذا ظن ان القوم قد كادوا يمتلئون جثا على ركبتيه ثم استأنف الاكل معهم فقال أبو بردة لله درعبد الاعلى ماأربط جاشه على قع الاضراس (وحضر) اعرابى طعام عبد الاعلى فلما وقف الخباز بين يديه ووصف ماعنده فقال أصلحك الله أتأمر غلامك يسقيني ماء فقد شبعت من وصف هذا الخباز قال له عبد الاعلى يوماما تقول يااعرابى لوامرت الطباخ فعمل لون كذا ولون كذا قال اصلحك الله لو كانت هذه الصفة فى القرآن لكانت موضع سجود (أبو عبيدة) قال مر الفرزدق بيحيي بن المنذر الرقاشي فقال له هل لك أبا فراس فى جدى رضيع ونبيذ من شراب الزبيب قال وهل يأبى هذا الا ابن المراغة (وقال) الاخوص لجرير لما قدم المدينة ماذا ترى ان نعد لك قال شواء وطلاء وغناء قال قد اعد لك * وقال مساور الوراق فى وصف الطعام

اسمع بنعتى للملوك ولا ترى * فيما سمعت كيت الاحياء
ان الملوك لهم طعام طيب * يستأثرون به على الفقراء
انى نعت لذيذ عيشى كله * والعيش ليس لذيذه بسواء
ثم اختصصت من اللذيذ وعيشه * صفة الطعام بشهوة الحلواء
فبدأت بالعسل الشديد بياضه * شهد تباكره بماء سماء
انى سمعت لقول ربك فيهما * فجمعت بين مبارك وشفاء
أيام انت هناك بين عصابة * حضر واليوم تنم الا كفاء
لا ينطقون اذا جلست اليهم * فيما يكون بلفظة عوراء
متنسمين رياح كل هبوبة * بين النخيل بغرفة فيحاء
فقعدت ثم دعوت لى بعبذرق * متشمر يسعى بغير رداء
قدلف كميه على عضلاته * قلص القميص مشمر سعاء
فاتى بخبز كالملاء منقط * فبناه فوق أخاون السيراء
حتى ملاها ثم ترجم عندها * بالفارسية داعيا بوجاء
فاذا القصاع من الخلنج لديهم * تبدو جوانبها مع الوصفاء
ارفع وضع وهنا وهاك وههنا * قصف الملوك ونهمة القراء

يأتون ثم بلون كل ظريفة * قد خالفته موائد الخلفاء
من كل ذي قرن وجدي راضع * ودجاجة مربوبة عشواء
ومصوص دراج كثير طيب * ونواهض يرثى له بهن شواء
وثريدة ملمومة قد صففت * من فوقها باطايب الاعضاء
وتزينت بتوابل معلومة * وخبيصات كالجمان نقاء
هذا الثريد وما سواه تعلل * ذهب الثريد بنهمتي وهوائي
ولقد كلفت بنعت جدي راضع * قد صنته شهرين بين رعاء
قد نال من لبن كثير طيب * حتى تفتق من رضاع الشاء
من كل أحمر لا يقر اذا ارتوى * من بين رقص دائم وثغاء
متمكن الجنبين صاف لونه * عبل القوائم من غذاء رخاء
فاذا مرضت فداوني بلحومها * اني وجدت لحومهن دوائي
ودع الطبيب ولا تثق بدوائه * ما خالفتك رواضع الاجداء
ان الطبيب اذا حباك بشربة * تركتك بين مخافة ورجاء
واذا تنطع في دواء صديقه * لم يعد ما في جونة الرقاء
نعت الطبيب هليلجا و بليلجا * ونعت غيرهما من الادواء
رطب المشاش مجزعا يؤتى به * والرازقي فماهما بسواء
وضأنيا زرقا كأن بطونها * قطع الثلوج بقبة الامعاء
ليست بآكلة الحشيش ولا التي * يبتاعها الختان في الظلماء

٢ — باب آداب الاكل والطعام — قال النبي صلى الله عليه وسلم الاكل في السوق دناءة وقال صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ويشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (وقال) صلى الله عليه وسلم سموا اذا أكلتم وأحمدوا اذا فرغتم (وكان) يلعق أصابعه بعد الطعام (وقال) صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعد الطعام ينفي اللمم (ومن) الادب في الوضوء ان يبدأ صاحب البيت فيغسل يده قبل الطعام ويتقدم أصحابه الى الطعام (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الاربعة

وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه ثم أذن للناس ووضعت المائدة وقعد فأكل مع الناس فما أنكرت من أكله شيأ (وقال الاصمعى) كنت يوما عند هرون الرشيد فقدمت اليه فالوذجة فقال ياأصمعى قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال حدثنى بحديث مزود أخى سماح قلت نعم ياأمير المؤمنين ان مزودا كان رجلا جشعا نهما وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد عليه وكان ذلك مما يضر به ويحفظه فذهبت يوما فى بعض حقوق أهلها وخلفت مزودا فى بيتها ورحلها فدخل الخيمة فأخذ صاعين من دقيق وصاعا من عجوة وصاعا من سمن فضرب بعضه ببعض فأكله ثم انشأ يقول

ولما مضت أمى تزور عيالها * اغرت على العكم الذى كان تمنع
خلطت بصاعى حنطة صاع عجوة * الى صاع سمن فوقه يتربع
وذيلت أمثال الأثافى كأنها * رؤس رجال قطعت لاتجمع
وقلت لبطنى أبشرى اليوم انه * حمى آمن مما تفيد وتجمع
فان كنت مصفورا فهذا دواؤه * وان كنت غرثانا فذا يوم تشبع

قال فاستضحك هرون حتى أمسك واستلقى على ظهره ثم قعد فمد يده وقال خذ فذا يوم تشبع ياأصمعى (وقال حميد) الارقط وهو الذى هجا الاضياف يصف أكل الضيف

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد أظفور

﴿ وقال أيضا ﴾

يجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل
اتانا وما سواه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما أن تكلم باقل

﴿ وقال ﴾

لا أبغض الضيف ما بى جل مأكله * الا بنفخته حولى اذا قعدا
مازال ينفخ جنبيه وحبوته * حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

﴿ وقال ﴾

لامرحبا بوجوه القوم اذ نزلوا * دسم العمائم تحكيها الشياطين
الفيت جلتنا شطرين بينهم * كأن أظفارهم فيها السكاكين

النبي صلى الله عليه وسلم عن القران (وكان) عبد الله بن الزبير اذا قدم التمر الى أصحابه قال عبد الله بن عمر اياكم والقران فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه (قيل) لبسرة الا حول كم تأكل كل يوم قال من مالى أو من مال غيرى قيل له من مالك قال مكوك قيل فمن مال غيرك قال اخبزوا واطرحوا (وقال) رجل من العراق فى قينة حفص الكاتب

قينة حفص ويلها * فيها خصال عشره
أولها ان لها * وجها قبيح المنظره
ودارها فى وهدة * أوسع منها القنطره
تأكل فى قعدتها * ثورا وتخرى بقره

(وقال أبو اليقظان) كان هلال بن سعد التميمى أكولا فيزعمون انه أكل جملا وأكلت امرأته فصيلا فلما أراد ان يجامعها لم يصل اليها فقالت له وكيف تصل الى وبينى وبينك بعيران (وكان) الواثق واسمه هرون بن محمد بن هرون أكولا وكان مفتونا بحب الباذنجان وكان يأكل فى أكلة واحدة أربعين باذنجانة فأوصى اليه أبوه وكان ولى عهده ويلك متى رأيت خليفة أعمى فقال للرسول اعلم أمير المؤمنين انى تصدقت بعينى جميعا على الباذنجان (وكان) سليمان بن عبد الملك من الأكلة حدث عنه العتبى عن أبيه عن الشمردل وكيل عمرو بن العاص قال لما قدم سليمان الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستانا لعمرو بن العاص فجال فيه ساعة ثم قال ناهيكم بما لكم هذا مالا ثم ألقى صدره على غصن وقال ويلك ياشمردل ماعندك شىء تطعمنى قال بلى ان عندى جديا كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى قال عجل فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله وما دعا عمر ولا ابنه حتى اذا بقى الفخذ قال هلم اباحفص قال انى صائم فأتى عليه ثم قال ويلك ياشمردل ماعندك شىء تطعمنى قال بلى والله عندى خمس دجاجات هنديات كأنهن رئلات النعام قال فأتيت بهن فكان يأخذ برجلى الدجاجة فيلقى عظامها بفيه حتى أتى عليهن ثم قال ياشمردل ماعندك شىء تطعمنى قلت بلى والله ان عندى حريرة كأنها قراضة الذهب فقال عجل بها فأتيته بعس تغيب فيه الرأس فجعل يلافيها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح فى جب ثم قال ياغلام أفرغت من غدائى قال نعم قال وما هو قال ثمانون قدرا قال ائتنى بها قدرا قدرا قال فأكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم

وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه ثم أذن للناس ووضعت المائدة وقعد فأكل مع الناس فما أنكرت من أكله شيأ (وقال الاصمعي) كنت يوما عند هرون الرشيد فقدمت اليه فالوذجة فقال يا أصمعي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال حدثني بحديث مزود أخي سماح قلت نعم يا أمير المؤمنين ان مزودا كان رجلا جشعا نهما وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد عليه وكان ذلك مما يضر به ويحفظه فذهبت يوما في بعض حقوق أهلها وخلفت مزودا في بيتها ورحلها فدخل الخيمة فأخذ صاعين من دقيق وصاعا من عجوة وصاعا من سمن فضرب بعضه ببعض فأكله ثم انشأ يقول

ولما مضت أمي تزور عيالها * اغرت على العكم الذي كان تمنع
خلطت بصاعي حنطة صاع عجوة * الى صاع سمن فوقه يتربع
وذيلت أمثال الأثافي كأنها * رؤس رجال قطعت لاتجمع
وقلت لبطني أبشري اليوم انه * حمى آمن مما تفيد وتجمع
فان كنت مصفورا فهذا دواؤه * وان كنت غرثانا فذا يوم تشبع

قال فاستضحك هرون حتى أمسك واستلقى على ظهره ثم قعد فمد يده وقال خذ فذا يوم تشبع يا أصمعي (وقال حميد) الارقط وهو الذي هجا الاضياف يصف أكل الضيف

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد أظفور

﴿ وقال أيضا ﴾

يجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل
اتانا وما سواه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذي هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العي لما أن تكلم باقل

﴿ وقال ﴾

لا أبغض الضيف ما بي جل مأكله * الا بنفخته حولي اذا قعدا
مازال ينفخ جنبيه وحبوته * حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

﴿ وقال ﴾

لا مرحبا بوجوه القوم اذ نزلوا * دسم العمائم تحكيها الشياطين
ألفيت جلتنا شطرين بينهم * كأن أظفارهم فيها السكاكين

فاصبحوا والنوى عالى معرسهم * وليس كل النوى تلقى المساكين

(ابو الحسن) المدائنى قال اقبل نصرانى الى سليمان بن عبد الملك وهو بدابق بسلين احدهما مملوء بيضا والآخر مملوء تينا فقال اقشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين ثم اتوه بقصعة مملوأة مخا بسكر فأكله فاتخم ومرض فمات (والآكلة) كلهم يعيبون الحمية ويقولون الحمية احدى العلتين (وقالوا) من احتمى فهو على يقين من المكروه وهو فى شك من العافية (وقالوا) الحمية للصحيح ضارة وللعليل نافعة

﴿ الحميــة وقولهم فيها ﴾ قيل لبقراط مالك تقل الاكل جدا قال انى انما آكل لاحيا وغيرى يحيا ليأكل (وأجمعت) الاطباء على ان رأس الداء كله ادخال الطعام على الطعام (وقالوا) احذروا ادخال اللحم على اللحم فانه ربما قتل السباع فى القفر وأكثر العلل كلها انما يتولد من فضول الطعام والحمية مأخوذة عن النبى صلى الله عليه وسلم رأى صهيبا يأكل تمرا وبه رمد فقال أتأكل تمرا وأنت أرمد (ودخل) على على رضى الله عنه وهو عليل وبيده عنقود عنب فنزعه من يده وقال عليه الصلاة والسلام لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم (وقيل) للحرث بن كلدة طبيب العرب ما أفضل الدواء قال الازم يريد قلة الأكل (ومنه) قيل للجماعة الازمة وللكثير ازمات (وقيل) لآخر ما أفضل الدواء قال ان ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه (ابو الاشهب) عن أبى الحسن قال قيل للمنذر بن جندب ان ابنك اذا أكل طعاما كظه حتى كاد ان يقتله قال لو مات ماصليت عليه (ودعا) عبد الملك بن مروان رجلا الى الغداء فقال مافى فضل يا أمير المؤمنين قال لا خير فى الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل (وقال الاحنف بن قيس) جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام فانى أبغض الرجل يكون وصافا لبطنه وفرجه (وقيل) لبعض الحكماء أى الادواء أطيب قال الجوع ما القيت عليه من شىء قبله (وقال) رجل من أهل الشام لرجل من أهل المدينة عجبت منكم ان فقهاءكم اظرف من فقهائنا ومجانينكم أظرف من مجانيننا قال أوتدرى من أين ذلك قال لا أدرى قال من الجوع ألا ترى ان العود انما صفا صوته لما خلا جوفه (وقال الجاحظ) كان أبو عثمان الثورى يجلس ابنه معه ويقول له اياك يا بنى ونهم الصبيان واخلاق النوائح ونهش الاعراب وكل مما يليك واعلم انه اذا كان فى الطعام لقمة كريمة أومضغة شهية اوشىء مستظرف فانما ذلك للشيخ المعظم أو للصبى المدلل ولست بواحد منهما وقد قالوا ادمن اللحم كمدمن الخمر أى بنى عود نفسك الاثرة ومجاهدة

الهـوى والشهوة ولا تنهش نهش السبـاع ولا تخضم خضم البراذين ولاتدمن الأكل ادمان النعاج ولا تلقم لقم الجمـال فان الله جعلك انسانا فلاتجعل نفسك بهيمة واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة فقد قال بعض الحكماء اذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى واعلم ان الشبع داعيـة الى البشم والبشم داعيـة الى السقم والسقم داعيـة الموت ومن مات هـذه الميتة فقـد مات ميتة لئيمة لانه قاتل نفسه وقاتل نفسه ألأم من قاتل غـيره أى بنى والله ماأدى حق الركوع والسجود ذو كظة ولاخشع لله ذو بطنة والصوم مصحة والوجبات عيش الصالحين أى بنى لامر ماطالت أعمار الهنـد وصحت أبدان العرب ولله در الحرث ابن كلدة اذ زعم ان الدواء هو الازم فالداء كله من فضول الطعام فكيف لاترغب فى شىء يجمع لك صحـة البـدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة أى بنى لم صار الضب أطول عمرا الا انه يبتلع النسيم ولم قال الرسول عليه الصلاة والسلام ان الصوم وجاء الا لانه جعله حجابا دون الشهوات فافهم تأديب الله عز وجل وتأديب رسوله عليـه الصلاة والسلام أى بنى قد بلغت تسعين عاما مانقص لى سن ولا انتشر لى عصب ولاعرفت دنين أنف ولاسيلان عين ولاسلس بول مالذلك علة الا التخفيف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهـذه سبيل الحياة وان كنت تحب الموت فلا أبعد الله غـيرك

﴿ سياسة الابدان بما يصلحها ﴾ قال الحجاج بن يوسف ليتنادون طبيبه صف لى صفة آخـذ بها فى نفسى ولا اعدوها قال له لاتتزوج من النساء الاشابة ولاتأكل من اللحم الافتيا ولاتأكله حتى تنعم طبخه ولاتشرب دواء الا من عـلة ولا تأكل من الفاكهة الانضيجها ولاتأكل طعاما الا أجـدت مضغه وكل ماأحببت من الطعام واشرب عليـه فاذا شربت فلاتأكل ولاتحبس الغائط ولاالبول واذا أكلت بالنهار فنم واذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة (وسئل) يهود خيبر بم صححتم على وباء خيبر قالوا باكل الثوم وشرب الخمر وسكون اليفاع وتجنب بطون الاودية والخروج من خيبر عنـد طلوع النجم وعنـد سقوطه (وقال قيصر) لقس بن ساعدة صف لى مقدار الاطعمة فقال الامساك عن غاية الاكثار والبقية على البـدن عنـد الشهوة قال فما أفضل الحكمـة قال معرفة الانسان قدره قال فما أفضل العقل قال وقوف الانسان عنـد علمه (وسأل) عبـد الملك بن مروان أبا المغور هل اتخمت قط قال لا قال وكيف ذلك قال لانا اذا طبخنا

أنضجنا واذا مضغنا دققنا ولا نكظ المعدة ولانخليها (وقيل) لبزرجمهر أى وقت فيه الطعام أصلح قال اما لمن قدر فاذا جاع ولمن لم يقدر فاذا وجد (وقال) أربع تهدم العمر وربما قتلن الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الحار وشرب الماء البارد على الريق (وقال ابراهيم النظام) ثلاثة أشياء تفسد العقل طول النظر فى المرآة والاستغراق فى الضحك ودوام النظر فى البحر (الاصمعى) قال جمع هرون من الاطباء أربعة عراقيا وروميا وهنديا ويونانيا فقال ليصف لى كل واحد منكم الدواء الذى لاداء معه فقال العراقى الدواء الذى لاداء معه حب الرشاد الابيض وقال الهندى الهليلج الاسود وقال الرومى الماء الحار وقال اليونانى وكان أطبهم حب الرشاد الابيض يولد الرطوبة والماء الحار يرخى المعدة والهليلج الاسود يرق المعدة لكن الدواء الذى لاداء معه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه

﴿ تدبير الصحة ﴾ ثم نذكر بعد هذا من وصف الطعام وحالاته ومايدخل على الناس من ضروب آفاته بابافى تدبير الصحة التى لاتقوم الابدان الابه ولاتنمى النفوس الاعليه وقد قال الشافعى العلم علمان علم الاديان وعلم الابدان ولم نجد بدا اذ كانت جملة هذه المطاعم التى بها نمو الفراسة وعليها مدار الاغذية تضر فى حالة وتنفع فى أخرى من ذكر ماينفع منها ومقدار نفعه ومايضر منها ومبلغ ضره وان نحكم على كل ضرب منها بالاغلب عليه من طبائعه وقلما نجد شيأ ينفع فى حالة الا وهو ضار فى الاخرى ألا ترى ان الغيث الذى جعله الله رحمة لخلقه وحياة لأرضه قد يكون منه السيول المهلكة والخراب المخيف وان الرياح التى سخرها الله مبشرات بين يدى رحمته قد أهلك بها قوما وانتقم من قوم (وفى هذا المعنى قال حبيب الطائى)

ولم تر نفعا عند من ليس ضائرا * ولم تر ضرا عند من ليس ينفع

(قال خالد بن صفوان) لخادمه اطعمنا جبنا فانه يشهى الطعام ويهيج المعدة وهو حمض العرب قال ماعندنا منه شىء فقال لا بأس عليك فانه يقدح الاسنان ويشد البطن (ولما) كانت أبدان الناس داعية التحلل لما فيها من الحرارة الغريزية من داخل وحرارة الهواء المحيط بها من خارج احتاجت الى ان يخلف عليها ماتحلل واضطرت لذلك الى الاطعمة والاشربة وجعلت فيها قوة الشهوة ليعلم بها وقت الحاجة منها اليها ومقدار

مايتناول منها والنوع الذى يحتاج اليه ولانه لايخلف الشيء الذى تحلل ولايقوم مقامه الامثله وليس تستطيع القوة التى تحيل الطعام والشراب فى بدن الانسان ان تحيل الاماشا كل البدن وقاربه فاذا كان هذا هكذا فلا بد لمن أراد حفظ الصحة ان يقصد لوجهين أحدهما أن يدخل على البدن الاغذية الموافقة لما تحلل منه والاخرى أن ينفى عنه مايتولد فيه من فضول الاغذية

﴿ مايصلح لكل طبيعة من الاغذية ﴾ وينبغى لك أن تعرف اختلاف طبائع الابدان وحالاتها لتعرف بذلك موافقة كل نوع من الاطعمة لكل صنف من الناس وذلك ان الاغذية مختلفة منها معتدلة كالتى يتولد منها الدم الخالص النقى ومنها غير معتدلة كالتى يتولد منها البلغم والمرة الصفراء والسوداء والرياح الغليظة ومنها لطيفة ومنها غليظة ومنها مايتولد عنه كيموس لزج وكيموس غير لزج ومنها ماله خاصة منفعة أومضرة فى بعض الاعضاء دون بعض وكذلك الابدان أيضا منها معتدل مستول عليه فى طبيعته الدم الخالص النقى ومنها غير معتدل يغلب عليه البلغم أواحدى المرتين ومنها متخاخل سريع التحلل ومنها مستحصف عسر التحلل ومنها مايكون فى بعض أعضائها دون بعض فقد يجب متى كان المستولى على البدن الدم النقى أن تكون أغذيته قصدا فى قدرها معتدلة فى طبائعها ومتى كان الغالب عليه البلغم فيجب أن تكون مسخنة وانما يغتذى بما يزيد فى الحرارة ويقمع فى الرطوبة ومن كان الغالب عليه المرة السوداء فينبغى له أن يغتذى بالاغذية الحارة الرطبة ومن كان الغالب عليه المرة الصفراء فيغتذى بالاغذية الباردة الرطبة ومن كان بدنه مستحصفا عسر التحلل فينبغى أن يغتذى باغذية يسيرة لطيفة جافة ومتى كان متخلخلا فينبغى له أن يغتذى باغذية لزجة لكثرة ماتحلل من البدن فهذا التدبير ينبغى أن يلتزم مالم يكن فى بعض أعضاء البدن فينبغى أن يستعمل النظر فى الاغذية الموافقة للعضو الالم لانا ربما اضطررنا الى استعمال مايوافق العضو الالم وان كان مخالفا لسائر البدن كما انه لو كانت الكبد باردة ضيقة المجارى احتجنا الى استعمال الاغذية اللطيفة وتجنب الاغذية الغليظة وان كان سائر البدن غير محتاج اليها لضعف أو نحافة لئلا تحدث الطبيعة فى الكبد سدادا وربما كانت الكبد حارة فتحذر الاغذية الحلوة وان احتاج اليها لسرعة استحالتها الى المرة الصفراء وربما كانت المعدة ضعيفة فتحتاج الى

مايقويها من الاغذية وربما كان يولد الطعام فيها بلغما فتحتاج الى مايجلوها ويقطعه وربما كان يتولد فيها المرة الصفراء سريعا فتحتاج الى مايقمع الصفراء والى تجنب الاشياء المولدة لها وربما كان الطعام يبقى على رأس المعدة طافيا فيستعمل الاغذية الغليظة الراسية لينتقل بثقلها الى أسفل المعدة وتأمره بحركة يسيرة بعد الطعام لينحط الطعام عن رأس المعدة وربما كان فضل الطعام بطيء الانحدار عن المعدة والامعاء فتحتاج الى مايحدره ويلين البطن وربما كان رأس المعدة حارا قابلا للحار فيتجنب الاغذية الحارة وان احتاج اليها سائر البطن

﴿ الحركة والنوم مع الطعام ﴾ وينبغى أن لانقتصر على ماذكرنا دون النظر فى مقدار الحركة قبل الطعام والنوم بعده فمتى كانت الحركة قبل الطعام كثيرة غذيناه باغذية غليظة لزجة الى اليبس ماهى بطيئة التحلل ولم نأمره بالحمية لقلة الحاجة اليها ومتى لم تكن قبل الطعام حركة أوكانت يسيرة فينبغى أن لايقتصر على الحمية بقلة الطعام ولطافته دون ان يستعين على تخفيف مايتولد فى البدن من الفضول باستفراغ الادوية المسهلة وبالحمام وباخراج الدم ومتى كانت الحركة كافية استعملنا الاغذية المعتدلة فى كثرتها وقدر لطافتها وغلظها ومتى كان النوم بعد الطعام كثيرا احتجنا الى استعمال أغذية كثيرة غزيرة بالغذاء لطول الليل وكثرة النوم ومتى كان النوم قليلا احتجنا الى الطعام القليل الخفيف اللطيف كالذى يغتذى به فى الصيف لقصر الليل وقلة النوم

﴿ تقدير الطعام ومايقدم منه ومايؤخر ﴾ ويجب فى الطعام أن يقدر فيه أربعة أنحاء أولها ملاءمة الطعام لبدن المغتذى به فى الوقت الذى يغتذى به فيه كما ذكرنا أيضا انه متى كان الغالب على البدن الحرارة احتاج الى الاغذية الباردة ومتى كان الغالب عليه البرد احتاج الى الاغذية الحارة ومتى كان معتدلا احتاج الى الاغذية المعتدلة المشاكلة له

والنحو الثانى تقدير الطعام بان يكون على مقدار قوة الهضم لانه وان كان فى نفسه محمودا وكان ملائما للبدن وكان أكثر من قدر احتمال قوة الهضم ولم يستحكم هضمه تولد منه غذاء ردىء

والنحو الثالث تقديم ماينبغى أن يقدم من الطعام وتأخير ماينبغى أن يؤخر منه ومثل ذلك انه ربما جمع الانسان فى أكلة واحدة طعاما يلين البطن وطعاما يحبسه فان هو قدم الملين واتبعه الاخر سهل انحدار الطعام منه ومتى قدم الطعام الحابس واتبعه الملين

لم تحدر وفسدا جميعا وذلك ان الملين حال فيما بينه و بين نزول الطعام الحابس فيبقى فى المعدة بعد انهضامه فيفسد به الطعام الآخر ومتى كان الطعام الملين قبل الحابس انحدر الملين بعد انهضامه وسهل الطريق لانحدار الحابس وكذلك أيضا لوجمع أحد فى أكلة واحدة طعاما سريع الانهضام وآخر بطىء الانهضام فينبغى له أن يقدم البطىء الانهضام ويتبعه السريع الانهضام ليصير البطىء الانهضام فى قعر المعدة لان قعر المعدة أسخن وهو أقوى على الهضم لكثرة ما فيه من أجزاء اللحم المخالطة له وأعلى المعدة عصبي بارد لطيف ضعيف الهضم ولذلك اذا طفا الطعام على رأس المعدة لم ينهضم

والنحو الرابع ان يتناول الطعام الثانى بعد انحدار الاول وقد قدم قبله حركة كافية واتبعه بنوم كاف استمراءه ومن أخذ الطعام وقد بقى فى معدته أو امعائه بقية من الطعام الاول غير منهضمة فسد الطعام الثانى ببقية الاول

٣ — باب الحركة والنوم مع الطعام — ومن أكل الطعام بعد حركة كافية وأخذه على حاجة من البدن اليه وافى الطعام الحركة الغريزية قد اشتعلت ومن تناول طعاما من غير حركة وأخذه مع غير حاجة من البدن اليه وافى الطعام الحركة الغريزية خامدة بمنزلة النار الكامنة فى الزناد ومن اتبع الطعام بنوم بطنت الحرارة الغريزية فيه فاجتمعت فى باطن البدن فهضمت طعامه ومن اتبع الطعام بحركة انحدر عن معدته غير منهضم وانبث فى العروق غير مستحكم فاحدث سددا وعللا فى الكبد والكلى وسائر الاعضاء وربما كانت الاطعمة تضعف المعدة تطفو فيها وتصير فى أعلاها فلا تأمره بالنوم حتى تحدر الطعام عن المعدة بعض الانحدار ويصير فى قعر المعدة وربما أمرنا بحركة يسيرة كما ذكرنا آنفا لانحدار الطعام عن المعدة بعض الانحدار وان أكثر الشراب منع الطعام من الانهضام لانه يحول فيما بين جرم المعدة و بين الطعام واذا لم تلق المعدة الطعام لم تحله الى مشاكلة البدن وموافقته فيبقى فيها غير منهضم فيجب لذلك على من أخذ الطعام أن يتناول معه من الشراب ما يسكن به حر العطش و يصبر على قدر احتماله من العطش و يصبر حتى ينهضم ثم يتناول بعد ذلك من الشراب ما أحب فانه بعد ذلك يعين على انحدار الطعام وترقيقه لتنفيذه فى المجارى الدقاق ويجب أيضا ان يكون أخذه فى وقت حركة الشهوة وذلك انه اذا تحركت الشهوة ولم يبادر بأخذ الطعام اجتذبت

المعدة من فضول البدن ما اذا صار فى المعدة أبطل الشهوة وأفسد الطعام اذا خالطه

﴿ الاوقات التى يصلح فيها الطعام ﴾ أجود الاوقات كلها للطعام الاوقات الباردة لجمعها الحرارة فى باطن البدن فاما الاوقات الحارة فينبغى أن يجتنب أخذ الطعام فيها لان حرارة الهواء تجذب الحرارة الباطنة الغريزية الى ظاهر البدن و يخلومنها باطنه فتضعف الحرارة فى باطنه عن هضمه فلذلك كانت القدماء تفضل العشاء على الغداء لما يلحق العشاء من اجتماع الحرارة فى باطن البدن لبرد الليل والنوم ولان الحراة فى النوم تبطئ وتسخن باطن البدن و يبرد ظاهره واليقظة على خلاف ذلك لان الحرارة تنتشر فى ظاهر البدن وتضعف فى باطنه والذى يحتاج الى كثرة الغذاء من الناس من كان الغالب على بدنه الحرارة وكانت معدته لحرارتها سريعة الانهضام وكانت كبده لحرارتها سريعة التوليد للمرة الصفراء فاذلك يحتاج الى الاطعمة الغليظة البطيئة الانهضام و يستمر بها و يستمرى لحم البقر ولا يستمرى لحم الدجاج وما أشبهه من الاطعمة الخفيفة ولا يصلح شيء من هذه الا فى وقت تحرك الشهوة فانه أفضل وقت يؤخذ فيه الطعام وللعادة فى هذا حظ عظيم ألا ترى انه من اعتاد الغداء فتركه واقتصر على العشاء عظم ضرر ذلك عليه ومن كانت عادته أكلة واحدة فجعلها أكلتين لم يستمر طعامه ومن كانت عادته ان يجعل طعامه فى وقت من الاوقات فنقله الى غير ذلك الوقت أضر ذلك به وان كان قد نقله الى وقت محمود فيجب لذلك ان يتبع العادة اذا تقادمت فطالت وان كانت ليست بصواب اذا لم يجد شيأ اضطره الى نقله لان العادة طبيعة ثانية كما ذكر الحكيم ابقراط فان حدث شيء يدعوه الى الانتقال عنها فاوفق الامور فى ذلك ان ينقل عنها قليلا قليلا وللشهوة أيضا فى استمراء الطعام أعظم الحظ لانها دليل على الموافقة والملاءمة فمتى كان طعامان متساويان فى الجودة وكانت شهوة المحتاج اليهما الى أحدهما أميل رأينا ايثار المشتهى على الآخر لانه أوفق للطبيعة وأسهل عليها فى الاستمراء ومتى كان أحدهما أجود من الآخر وكانت شهوة المحتاج اليهما أميل الى أردئهما اخترناه على الاجود اذا لم نخف منه ضرر الكثير ما ينال منه من المنفعة لقبول المعدة له واستمرائها اياه فقد بان انه يحتاج فى حال الاغذية وجودة تخير الاطعمة الى معرفة اختلاف الطبائع وحالاتها فقد بينت اختلاف طبائع الابدان وحالاتها وما يجب على كل واحدة منها من أنواع الاطعمة والاشربة و بقى أن نبين اختلاف قوى الاطعمة والاشربة وان أصف أنواع الاغذية واسمي ما فى كل صنف منها ان شاء الله تعالى

﴿ الاطعمة اللطيفة ﴾ هى التى يتولد منها دم لطيف فمنها لباب خبز الحنطة والحب المغسول ولحم الفراريج ولحم الدراج والطيهوج والحجل وفراخ الحجل وأجنحة الطيور وما لان لحمه من صغار السمك ولم تكن فيه لزوجة والقرع والماش وما أشبهه وهذا الجنس من الاطعمة نافع لمن ليست له حركة وكانت الحرارة الغريزية فى بدنه ضعيفة ولم يأمن ان يتولد فى بدنه كيموس غليظ أو يتولد فى كبده أو طحاله سدد أو فى كلاه أو فى صدره أو فى دماغه أو فى شىء من مفاصله من البلغم

﴿ الاطعمة اللطيفة فى نفسها الملطفة لغيرها ﴾ هى التى يكون ما يتولد منها لطيفاً و يلطف ما يلقاه من الكيموس اللزج الغليظ فى البدن وهذا الجنس من الاطعمة أربعة أصناف صنف منها حلو لطيف لما فيه من قوة الجلاء مثل ماء الشعير والبطيخ والتين اليابس والجوز والعسل والفستق وما يعمل منه من الناطف وهذا الجنس فى منفعته من جنس الاول من الاطعمة اللطيفة الا انه ابلغ فى تلطيف البدن والصنف الثانى حار حريف كالحرف والثوم والكراث والكرفس والكرنب والصعتر والنعنع والرازيانج والشراب الاصفر اللطيف العتيق الحار وهذا كله نافع لمن احتاج الى فتح السدد التى فى الكبد والطحال والصدر والدماغ وتقطيع البلغم وترقيقه ولا ينبغى لاحد ان يكثر استعماله لانه يرقق الدم أولا و يصيره مائيا فيقل لذلك غذاء البدن و يضعف ثم انه يسخن البدن سخونة مفرطة فيصير أكثره مرة صفراء ثم انه بعد ذلك اذا تمادى مستعمله فى استعماله حلل لطيف الدم وترك غليظه فصار أكثره مرة سوداء وربما تولد من ذلك حجارة فى الكلى ومضرة هذا الصنف أشد ما تكون على من كانت المرة الصفراء غالبة عليه والصنف الثالث يذهب و يلطف بملوحته كالمرى وما لان لحمه وقل شحمه من السمك اذا ملح والسلق وماء الجبن وكل ما جعل فيه من الاطعمة الملح والمرى والبورق ومنافع هذا الصنف ومضاره قريبة من منافع الاشياء الحريفة ومضارها الا ان هذا الصنف فى تنقية المعدة والامعاء وتليين الطبيعة أبلغ والصنف الرابع يقطع و يلطف بحموضته كالخل والسكنجبين وحماض الاترج وماء الرمان الحامض وكل ما يتخذ بها من الاطعمة وهذا الصنف نافع لمن كانت معدته وسائر بدنه حارا اذا تولد فيه بلغم من غلظ ما يتناول من الاغذية ومن كثرتها

﴿ الاطعمة الغليظة فى نفسها الملطفة لغيرها ﴾ منها البصل والجزر والفجل والسلجم وما أشبه ذلك فهذه الاطعمة فى نفسها غليظة وتلطف ما تلقى من الشىء الغليظ بما فيها

من الحدة والحرافة وهى تولد كيموسا غليظا ومتى ماطبخ شيء منها أو شوى ذهب عنه قوة الحرافة والتقطيع و بقى جرمه غليظا رديئا وقد يتناول للمنفعة بتقطيع هذه الاطعمة وتلطيفها و يسلم من غلظ جرمها على احدى ثلاث جهات اما ان تطبخ فتلطف كالذى يفعل بالبصل واما ان تعصر أو تطبخ ثم يستعمل ماؤها واما ان تؤكل نيئة فتقطع البلغم كالذى يفعل بهما جميعا

﴿ الاطعمة الغليظة ﴾ الغالب على الاطعمة الغليظة كلها اليبس واللزوجة ثم منها شيء يكون اليبس واللزوجة من طبعه ومنها ما يكتسب اليبس من غيره فالذى يكون اليبس من طبعه العدس ولحم الارانب والبلوط والشاه بلوط والكمأة والباقلا المقلو هذه كلها غليظة لان اليبس فى طبائعها واما الذى يكتسب اليبس من غيره فالكبود والبيض المصلوق والمشوى وماقلى واللبن المطبوخ طبخا كثيرا والضروع وعصير العنب المطبوخ لاسيما ان كان العصير غليظا فهذه كلها غليظة لان الحرارة بالطبخ احدثت لها يبسا وانعقادا وأما لحوم الابل ولحوم التيوس ولحوم البقر والكروش والامعاء فانها غليظة بصلابتها وكذلك الترمس وثمر الصنوبر والسلجم واللوبيا وماخبز على القرن فان ظاهره غليظ لما احدثت له النار من اليبس و باطنه غليظ لما فيه من اللزوجة وكذلك كل مالم يجد عجنه أو خبزه أو انضاجه من خبز التنور وكل ماخبز على الطابق بدهن أو غيره والفطير والشهد واللبن والادمغة فانها كلها غليظة اللزوجة فيها طبيعية وأما الفالوذج فانه غليظ للزوجته والانعقاد الحادث له من الطبخ وأما الباذنجان فانه غليظ لليبس وللزوجة فى طبعه واما الخبز فانه غليظ لاجتماع الحالات الثلاث فيه فاما السمك الصلب اللزج فانه غليظ لاجتماع الصلابة واللزوجة فيه وأما الآذان والشفاه واطراف العضو فانها تولد كيموسا لزجا ليس بالغليظ وقد تولد ما يعرض من الاغذية الباردة عن هضمها وتلطيفها كالذى يعرض من أكل الفاكهة قبل نضجها ومن أكل الخيار والقثاء وشحم الاترج واللبن الحامض فهذه الاطعمة الغليظة كلها ان صادفت بدنا حارا كثير التعب قليل الطعام كثير النوم بعيد الطعام انهضمت وغذت البدن غذاء كثيرا نافعا وقوته تقوية كثيرة واحمد ماتستعمل هذه الاغذية فى الشتاء لاجتماع الحرارة فى باطن البدن وطول النوم ومتى أحس أحد فى نومه نقصانا بينا وأكلها من يجد الحرارة فى بدنه قليلة ولاسيما فى معدته وتعبه قليل ونومه بعد الطعام قليل لم يستحكم انهضامها وتولد منها فى البدن كيموس غليظ حار يابس يتولد منه سدة فى الكبد والطحال فلذلك

ينبغى لمن أكل طعاما غليظا من غير حاجة اليه لعلة أو شهوة ان يقل منه ولا يعوده ولا يدمنه وما كان من الاطعمة الغليظة له مع غلظه لزوجة فهو اغذاها للبدن فان لم تنهضم فهو أكثرها توليدا للسدد

﴿ الاطعمة المتوسطة بين اللطيفة والغليظة ﴾ تصلح لمن كان بدنه معتدلا صحيحا ولم يكن تعبه كثيرا وأجود الاغذية له المتوسطة لانها لا تنهكه ولا تضعفه كاللطيفة ولا تولد خاما ولا سددا كالغليظة وهى كل ما احكم صنعه من الخبز ولحوم البقر والدجاج والجداء والحولية من المعز وأما لحوم الخرفان والضأن كلها فرطبة لزجة وأما لحم فراخ الحمام والقطا فهو يولد دما سخنا واغلظ من الدم المعتدل وأما فراخ الوراشين فانها مثل فراخ الحمام والقطا والاوز فاجنحتها معتدلة وسائر البدن كثير الفضول وكل ما كثرت حركته من الطير وكان مرعاه فى موضع جيد الغذاء صافى الهواء كان اجود غذاء والطف وكل ما كان على خلاف ذلك فهو أردأ غذاء وأوسخ وكل ما لم يستحكم نضجه من البيض وخاصة ما القى على الماء الحار وأخذ من قبل ان يشتد فهو معتدل وكل ما كان من لحم السمك ليس بصلب ولا كثير اللزوجة والزهومة وكان مرعاه ماء نقيا من الاوساخ والحمأة فهو معتدل جيد الغذاء ومن الفواكه التين والعنب اذا استحكم نضجهما على الشجر وأسرعت الانحدار الى الجوف كان ما يتولد منهما معتدلا فان لم تسرع الانحدار فلا خير فيها ومن البقول الهندبا والخس والهليون ومن الاشربة كلها ما كان لونه ياقوتيا صافيا ولم يكن عتيقا جدا

﴿ الاطعمة الحارة ﴾ يحتاج اليها من كان الغالب عليه البرودة والاوقات والبلاد الباردين وينبغى أن يتجنبها من كان حار البدن وفى الاوقات الحارة والبلاد الحارة منها الحنطة المطبوخة والخبز المتخذ من الحنطة والحمص والحلبة والسمسم والشهدانج والعنب الحلو والكرفس والجرجير والفجل والسلجم والخردل والثوم والبصل والكراث والخمر العتيق واسخن الاشربة الحارة العتيق الاصفر

﴿ الاطعمة الباردة ﴾ ينبغى ان يستعملها من كان حار البدن وفى الاوقات الحارة والبلد الحار وهى الشعير وما يتخذ منه والجاورس والدخن والقرع والبطيخ والخيار والقثاء والاجاص والخوخ والجمار وما بين الحموضة والعفوصة من العنب والزبيب والطلع والبلح والخس والهندبا والبقلة الحمقاء والخشخاش والتفاح والكمثرى والرمان فما كان من الرمان عفصا فهو

باردغليظ وما كان حامضا فهـو باردلطيف فاما الخـل فهو باردلطيف وهو ضار بالعصب وما كان أيضا من الشراب عفصا فهواقـل حـرارةوما كان من ذلك حديثا غليظا فهـو بارد

﴿ الاطعمة اليابسة ﴾ يحتاج الى الاطعمة اليابسةمن كان الغالب على بدنه الرطوبة و فى الاوقات الرطبةوللبـلد الرطب منها العدس والكرنب والسويق وكل ما يشوى و يطبخ و يقلى وكل ما اكثرفيـه السذاب والمرى والخـل والابزار والخردل ولحم المسن من جميع الحيوان

﴿ الاطعمة الرطبة ﴾ يحتاج الى الاطعمة الرطبةمن افرط عليه اليبس وفى الاوقات اليابسة والبلداليابسة وهى الشعير والقرع والبطيخ والقثاء والخيار والجوز الرطب والعنب والنبق والاجاص والتوت والجمار والخس والبقلة اليمانية والقطف والباقلا الرطب والحمص الرطب واللوبيا الرطبة وكل ما يطبخ بالماء و يسلق به و تقل فيه الابزار والخل والمرى والسذاب وجميع لحوم صغار الحيوان

﴿ الاطعمةالقليلة الفضول ﴾ اجنحةالطيور وأكارع المواشى و رقابها وما يربى فى البر من الحيوان فى المواضع الجافة

﴿ الاطعمة الكثيرة الفضول ﴾ منها لحم الاوز خلا الاجنحة والاكباد كلها من جميع الحيوان والنخاع والدماغ والطيور التى فى الفيافى والآجام والحمص الطرى والباقلا الطرى ولحم الضأن ولحم المراضع من كل الحيوان ولحم كل ساكن غير سريع النهوض وما كان من السمك على ماذكرنا صلبا لزجا

﴿ الاطعمةالتى غذاؤها كثير ﴾ كل ما غلظ من الاطعمة اذا انهضم غذى غذاء كثيرا وكل ما كان له فضول كان غذاؤه كثيرا وقد يحتاج الى الاطعمة الكثيرة الغذاء من احتاج الى ان يأخذ طعاما قليلا يغذى غذاء كثيرا كالناقه والمسافر وكالذى يثقل معدته الكثير من الطعام و بدنه يحتاج الى غذاء كثير فمن ذلك لحم البقر والادمغة والافئدة وحواصل الطير كلها والسمك الغليـظ اللزج والسميذ والباقـلا والحمص واللـوبيا والترمس والعـدس والتمر والبـلوط والشاهبلوط والسلجم تغـذو غذاء كثيرا اغلظها واللبن الحليب والشراب الاحمر وغـذاء اللبن كله أغلظه وأرقه أقل غذاء وأغلظ اللبن لبن البقر ولبن النعاج وأرقه لبن الاتن وألبان

اللقاح وألبان الماعز متوسطة بين ذلك وأغذى الاشربة النبيذ الاحمر الغليظ الحلو ثم الغليظ الاسود الحلو ثم الغليظ الابيض الحلو ثم من بعد هذه الاشربة العفصة الغليظة الحلوة وكل ما مال الى الحمرة والحلاوة كان أغذى والابيض اقلها غذاء

﴿ الاطعمة التى غذاؤها قليل ﴾ كل ما كان من الاطعمة لطيفا كان غذاؤه قليلا وكل ما افرط فيه اليبس أو الرطوبة أو كثرة الفضل قل غذاؤه كالاكارع والكروش والمصارين والشحم والآذان والرئة ولحم الطير كله وما ملح من الحيوان قليل الغذاء لليبس الذى فيه وكذلك الزيتون والفستق والجوز واللوز والبندق والغبيرا والزعرور والخروب والبطم والكمثرى العفص والزبيب العفص فانما قل غذاؤه للعفوصة وأما السمك والقرع والرمان والتوت والاجاص والمشمش فانما قل غذاؤها لكثرة رطوبتها وغذاؤها غير باق سريع التحلل وأما خبز الشعير والخشكار والباقلا الرطب وجميع البقول مثل الكرنب والسلق والحماض والبقلة الحمقاء والفجل والخردل والحرف والجزر فقليل الغذاء لكثرة الفضل فيها وأما البصل والثوم والكراث فانها اذا أكلت نيئة لم تغذ واذا طبخت غذت غذاء يسيرا وأما التين والعنب فانهما بين ما قل غذاؤه وما كثر غذاؤه

﴿ الاطعمة التى تولد كيموسا جيدا ﴾ كل ما كان معتدلا من الاطعمة لم تفرط فيه قوة ولا تجاوز القدر فيه ولد دما خالصا نقيا صحيحا وكل ما كان كذلك فهو موافق لجميع الابدان وفى جميع الاوقات وهو لجميع الابدان المعتدلة فى الاوقات وفى جميع الاوقات المعتدلة أوفق لان ما تجاوز الاعتدال من الابدان يحتاج من الاطعمة الى ما فيه قوة تجاوز الاعتدال وكذلك الابدان المعتدلة فى الاوقات التى ليست بمعتدلة وفى الاطعمة ما هو غليظ وما هو لطيف وما هو بين ذلك وأجودها لجميع الناس ما كان معتدلا منها بين الغليظ واللطيف وقد وصفنا الاطعمة الغليظة واللطيفة والمتوسطة ومتى يصلح كل صنف منها فبقى علينا ان نخبر بجملة الاطعمة المولدة الكيموس الجيد وقسمتها على ما قسمناها (فمن ذلك) خبز الحنطة النقى المحكم الصنعة ان كان من يومه ولحم الدجاج والجداء وحولية الماعز وما كان من السمك ليس بصلب ولا كثير اللزوجة ولم يكن له زهومة ولم يكن له سمن كثير وما كان مرعاه فيما ليس فيه أوساخ ولا حمأة ولم يكن سريع العفونة وكل ما اشتد واستحكم نضجه من البيض وكل شراب طيب الريح ياقوتى اللون ليست فيه حلاوة كل ذلك يولد كيموسا

معتدلا بين اللطيف والغليظ وأما الدراج والفراريج وأجنحة جميع الطير وما صغر من السمك وكان مرعاه على ماوصفنا وما ألقى عليه من السمك الملح فصار رخصا وذهبت لزوجته وماء كشك الشعير والشراب الطيب الرائحة الاحمر فكل ذلك جيد الكيموس لطيف وأما اللبن الحليب فانه جيد الكيموس الا ان فيه غلظا ولذلك ربما تجبن فى المعدة فلهذه العلة يخلط به العسل والملح ويرق بالماء وأجود اللبن وأعدله لبن الماعز لانه ألطف من لبن الضأن والبقر وأغلظ من لبن الاتن واللقاح وينبغى للبن أن يؤخذ من حيوان صحيح شاب جيد الغذاء ولا يحتلب فى وقت مايضع الحيوان ولا بعد ذلك بزمان طويل لان اللبن من الحيوان فى وقت مايضع غليظ ثم يرق بعد ذلك قليلا قليلا حتى يصير مائيا فلذلك كان أوله وآخره رديئا وأجود مايؤخذ اللبن ساعة يحلب قبل أن يغيره الهواء لانه سريع الاستحالة وأما الخشكار من الخبز الرطب وكل مالم تحكم صنعته من الخبز السميد وخبز الفرن ولحم العجل ومن أجزاء الغنم الضرع والكبد والفؤاد ومن الحبوب الباقلا ومن الشراب ما كان طيب الرائحة حلوا فكل ذلك يولد كيموسا غليظا جدا

﴿ الاطعمة التى تولد كيموسا رديئا ﴾ كل مالم يكن معتدلا من الاغذية لم يولد دما خالصا صافيا والاطعمة الرديئة الكيموس ثلاثة أصناف منها مايزيد فى البلغم ومنها مايزيد فى الصفراء ومنها مايزيد فى السوداء وينبغى لجميع الناس أن يجتنبوا الاكثار منها وادمان استعمالها وان كانوا لها مستمرئين لانها وان لم يتبين لها ضرر فى عاجل الامر يجتمع منها فى بدن مستدمن استعمالها مع طول الزمان كيموس ردىء وكذا أمراض رديئة وأولى الناس تجنب كل صنف من أصنافها من كان الغالب على بدنه مايزيد فيه ذلك الصنف فأقول ان كل مايتخذ من الخبز من دقيق كثير النخالة أوماعتق من الحنطة ردىء الكيموس يزيد فى السوداء ولحم الضأن كله يزيد فى البلغم ولحم الماعز المسن كله يزيد فى السوداء وأردؤه لحم التيوس ولحم البقر والجزور والارانب والظباء والايايل كل هذا يزيد فى السوداء وشر هذه اللحوم لحم الجزور وبعده لحم التيوس لاسيما مالم يخص منها وبعده لحم المسن من الضأن وبعده لحم البقر وكل ماخصى من هذه كان أجود غذاء وأما لحوم الارانب والظباء والايايل فهو دون جميع ماذكرنا فى الرداءة ومن أعضاء الحيوان الكلى رديئة الكيموس لزهومتها وما استفادت من رداءة البول والدماغ يزيد فى البلغم وكل البطون يزيد فى البلغم لكثرة الزلال فيها والبيض

المطجن يولد غـذاء غليظا فاسدا وكذا الجبن ولاسيما ماعتق منها والعدس يزيد فى السوداء والدخن والجاورس يولدان دما غليظا وماصلب لحمه من السمك وغلبت عليه اللزوجة يولد البلغم فان ملح وعتق يولد السوداء والتين اليابس ان أكثر أكله ولد فضلا عفنا يكثر منه القمل والكمثرى والتفاح ان أكلا غـير نضيجين ولدا كيموسا رديئـا وكذلك القثاء والخيار فأما البطيخ والقرع فربما انهضما ولم يحـدثا فى البدن حدثا رديئا وربما فسدا فى المعدة فولدا كيموسا رديئا ولاسيما ان صادفا فى المعدة فضلا رديئا فلذلك تعرض الهيضة كثيرا من أكل البطيخ والبقول كلها رديئـة الكيموس لكثرة الفضل فيها وقلة الغـذاء وأما البصل والثوم والكراث والفجل والجوز والسلجم فرديئة لما فيها من الحرارة والحرافة وربما زادت فى الصفراء وربما زادت فى السوداء أيضا كما ذكرت آنفا الا انها ان طبخت وصب ماؤها وطبخت بماء ثان ذهبت الحرافة والرداءة عنها والباذروج يسخن الدم ويجففه شـديدا والكرنب يولد السوداء وكذلك جميع البقول الرديئة

﴿ الاطعمة المتوسطة الكيموس ﴾ وهى بين ما يولد الكيموس الجيد وما يولد الكيموس الردىء فمنها خـبز الخشكار ولحم الخصيان من المعز والضأن ومن الاعضاء اللسان والامعاء والذنب ومن الفاكـهة العنب والبطيخ والمعلق من العنب أجود والتين واليابس من الجوز والشاهبلوط ومن البقول الخس وبعده الهندبا وبعده الخبازى وبعده القطف والبقلة الحمقاء اليمـانية والحامض وما لم يكن فيه حدة كثيرة من الاصول

﴿ الاطعمة السريعة الانهضام ﴾ انما يسرع الانهضام لاحـد وجهين فالوجه الاول منها اذا كانت الاطعمة غـير يابسة كالعدس ولا صلبة كالترمس ولا لزجة كالحنطة ولا خشنة كالسمسم ولا كريهة كالسذاب ولا كثيرة الفضول كالارز ولا يغلب عليها برد شديد كاللبن الحامض ولا حر شديد كالعسل والوجـه الثانى لطبيعة البطن المستمرىء لهـا وذلك لاحد وجهين الاول موافقة الاغذية ومشاكلة الابدان الطبيعية كالاطعمة التى يشتهيها ويلذها الانسان فقد تجـد الناس يختلفون فى شهواتهم ويستمرىء كل واحد منهم ماشهوته اليه أميل وان كان الذى لا يشتهيه أحـمد من الذى يشتهيه والوجه الثـانى لمزاج عارض يصادف من الاطعمة مضادة كالذى ترى ان من غلب عليه الحر لعلة من العلل كان للاطعمة الباردة أشد استمراء لما يطفىء من حرارة البدن ويعدل البدن ومن عليه البرد استمرأ الحار ولم يستمرىء

البارد ومن رطب بدنه كله أو معدته استمرأ الاطعمة الجافة ولم يستمرىء الرطبة ومن عرض له اليبس خلاف ذلك فقد بان بما ذكرناه ان الاطعمة اللطيفة والمتوسطة فى نفسها سريعة الانهضام وقد يجوز أن تكون الاطعمة الغليظة أسرع انهضاما فى بعض الابدان أيضا فقشر الخبز المحكم ولحم الدجاج والفراريج والدراج والحجل وكبود الاوز وأجنحتها سريعة الهضم وفى الجملة الجناح من كل طائر أسرع انهضاما من سائره وليس فى الطير كلها أسرع انهضاما من المواشى وكل ما كان من الحيوان يابسا فصغيره أسرع انهضاما وكذلك لحم العجاجيل أسرع من لحم البقر ولحم الجدى الحولى أسرع انهضاما من لحم المسن من الماعز وكل ما كان من الحيوان أرطب فكبيره من قبل أن يسن أسرع انهضاما من صغيره ألا ترى ان الحولى من الضأن أسرع انهضاما من الخروف وكل ما كان مرعاه فى المواضع اليابسة كان أسرع انهضاما مما مرعاه فى المواضع الرطبة وكل ما كان جرمه متخلخلا فهو أسرع انهضاما مما كان جرمه متلززا ولذلك كان الجوز أسرع انهضاما من البندق والبيض الحار من البيض البارد والشراب الحلو أمرأ من العفص

﴿ الاطعمة البطيئة الانهضام ﴾ انما يعسر الانهضام من الطبيعة فى الطعام اذا كان يابسا أو صلبا أو لزجا أو متلززا أو كثير الدسم أو كثير الفضول أو كريه الطعم أو الحرافة فيه مفرطة أو البرد أو الحر أو مخالفا للمزاج الطبيعى اذا لم يشبه فلحم البقر ولحم الابل والكروش والامعاء والاوز والآذان من جميع الحيوان والجبن والبيض البارد عسرة الانهضام ليبسها وصلابتها وكذلك من الطير الوراشين والفواخت والطواويس والقوانص من جميع الطير عسرة الانهضام ومن الحبوب الارز والترمس والعدس والدخن والجاورس والبلوط والشاهبلوط وأما لحم التيوس وأكارع البقر فعسرة الانهضام لزهومتها وكراهتها وأما لحم الضأن والكبود من جميع الحيوان والاوز فلكثرة الفضول فيها وأما الجبن الحامض فلبرده وأما الحنطة المسلوقة فللزوجتها وتلززها وأما الباقلاء واللوبياء فلكثرة النفخ فيها وأما السمسم فلكثرة دهنه وأما العنب والتين وسائر الفواكه اذا لم يستحكم نضجها والاترج والبادروج والسلجم والجوز والشراب الحديث الغليظ فلكثرة الفضول فيه

﴿ الاطعمة الضارة للمعدة ﴾ السلق ردىء للمعدة للذعه اياها ولما فيه من الحدة البورقية والبادروج والسلجم ما لم يستقص طبخها للذع فيهما والبقلة اليمانية والقطف

للزوجتهما فلذلك ينبغى أن يؤكلا بالخل والمرى والحلبة رديئة للمعدة للذعها اياها والسمسم ردىء للمعدة للزوجته وكثرة دهنه واللبن لسرعة استحالته فى المعدة والعسل ما أكثر منه لذع المعدة وغثاها والبطيخ أيضا يغثى اذا لم ينضج فى المعدة ولد كيموسا رديئا فينبغى بعد أكل البطيخ أن يأكل طعاما كثيرا جيد الكيموس والادمغة أيضا كلها رديئة للمعدة فلذلك ينبغى أن تؤكل بالصعتر والفودنج البرى والخردل والملح وكذلك المخاخ والنبيذ الحديث الغليظ الاسود العفص يسرع الحموضة فى المعدة و يغثى

﴿ الاطعمة التى تفسد فى المعدة ﴾ المشمش والسمسم والتوت والبطيخ اذا لم يسرع انحدارها عن المعدة وصادفت كيموسا رديئا أسرع اليها الفساد فيجب أن تؤكل قبل الطعام والمعدة نقية ليسرع انحدارها عنها و يسهل الطريق لما يؤكل بعدها من الطعام فان أكلت بعد الطعام فسدت لبقائها فى المعدة وأفسدت سائر الطعام بفسادها وربما بلغ الفساد بها الى أن تصير بمنزلة السم القاتل

﴿ الاطعمة التى لا يسرع اليها الفساد فى المعدة ﴾ من كان يفسد طعامه فى معدته فأجود الاطعمة له ما كان غليظا بطىء الانحدار مثل لحم البقر وأكارعها وما أشبه ذلك مما ذكرناه فى الاطعمة الغليظة

﴿ الاطعمة الملينة المسهلة للبطن ﴾ كل ما كان من الاطعمة فيه حلاوة أو حدة أو ملوحة أو لزوجة فمن ذلك ماء العدس وماء الكرنب يلينان الطبع وجرمهما يمسك البطن وكذلك مرقة الديوك الهرمة وخبز الخشكار مع العسل وزيتون الماء اذا كان قبل الطعام مع مرى لين البطن فاذا كان أيضا مع الطعام بلا مرى فانه يقوى المعدة على دفع الطعام لعفوصته وكذلك ما عمل بالخل منه وكل طعام عفص فانه دابغ للمعدة مقو لها فاما اللبن وماء الجبن فيلينان البطن ولاسيما اذا خلط بهما الملح ولحم الصغير من الحيوان والسلق والقطف والبقلة اليمانية والقرع والبطيخ والتين والزبيب الحلو والتوت الحلو والجوز الرطب والاجاص الرطب والسكنجبين والنبيذ الحلو ملين للبطن

﴿ الاطعمة التى تحبس البطن ﴾ اذا كان الطعام ينحدر عن المعدة قبل انهضامه احتجنا الى الاطعمة الممسكة الحابسة للبطن وكل ما غلب عليه من الاطعمة اليبس أو العفوصة أو الغلظ كالسفرجل والكمثرى وحب الآس وثمر العوسج وجرم العدس والبلوط

والشاهبلوط والنبيذ العفص يمسك البطن لعفوصته وقبضه والجاورس والدخن وسويق الشعير تمسك البطن بيبوستها ولحم الارانب والكرنب المطبوخ بعد صب مائه الاول عنه ثم يطبخ بماء ثان فانه يمسك البطن ليبسه واللبن المطبوخ والجبن كلاهما يمسك البطن لغلظه وذلك ان يطبخ اللبن حتى تفنى مائيته ويبقى جرمه وربما ولد سددا فى الكبد وحجارة فى الكلى وأما الاشياء الحامضة كالتفاح الحامض والرمان الحامض فان صادفت فى المعدة كيموسا غليظا قطعته وحدرته ولينت البطن وان صادفت المعدة نقية امسكت البطن

﴿ الاطعمة التى تولد السدد ﴾ اللبن الغليظ والجبن ربما أحدثا سددا فى الكبد وحجارة فى الكلى لمن أكثر استعمالهما وكانت كلاه وكبده مستعدة لقبول الآفات وجميع الاطعمة الحلوة رديئة للكبد والطحال فاذا أكل معها الفودنج الجبلى والصعتر والفلفل فتح سدد الكبد والطحال والرطب والتمر وجميع مايتخذ من الحنطة سوى الخبز الجيد المضغة والاشربة الحلوة ايضا تولد سددا فى الكبد وحجارة فى الكلى وتغلظ الطحال

﴿ الاطعمة التى تجلو المعدة وتفتح السدد ﴾ ماء الكشك كشك الشعير يجلو المعدة ويفتح السدد والحلبة والبطيخ والزبيب الحلو والباقلاء والحمص الاسود ينقى الكلى ويفتت الحجارة المتولدة فيها والكبر بالخل والعسل اذا أكل قبل الطعام فانه يجلو وينقى المعدة والامعاء ويفتح السدد والسلق أيضا يجلو ويفتح السدد فى الكبد لا سيما اذا أكل بخردل والبصل والثوم والكراث والفجل يقطع ويلطف الكيموس الغليظ والتين رطبه ويابسه يجلو وينقى الكلى واللوز كله ولا سيما المر منه فانه يجلو ويلطف ويفتح سدد الكبد والطحال ويعين على نفث الرطوبة من الصدر والرئة والفستق يقوى الكبد ويفتح سدد الكبد وينقى الصدر والرئة والنبيذ اللطيف اذا كانت له حدة وحرافة يصفى اللون وينقى العروق من الكيموس الغليظ وينتفع به من كان يجد فى بدنه كيموسا غليظا باردا وأما النبيذ الرقيق فانه يعين على نفث الرطوبة من الرئة بتقويته الاعضاء وتلطيف ما فيها من الفضل الغليظة وقد يفعل ذلك النبيذ الحلو

﴿ الاطعمة التى تنفخ ﴾ الحمص والباقلاء ولا سيما ان طبخ بقشره فان طبخ مقشرا أو مسحوقا كان أقل نفخا وان قلى أيضا كان أقل نفخا وبعد هذه اللوبياء الماش والعدس والشعير اذا لم ينعم طبخها والنعناع والانجذان والحلتيت والتين الرطب يولد نفخا الا انه ينحل سريعا لسرعة

انحداره وما استحكم نضجه من التين والعنب كان أقل نفخا و يابس التين أقل نفخا من رطبه واللبن يولد رياحا فى المعدة والعسل اذ طبخ ونزعت رغوته قل نفخه والنبيذ الحلو العفص يولد نفخا

﴿ مايذهب النفخ من الاطعمة ﴾ كل طعام نافخ اذا احكمت صنعته وأجيد طبخه وانضاجه قل نفخه وكل ماقلى منه قل نفخه وكل ماخلط به الابازير المحللة للرياح كالكمون والسذاب والانيسون والكاشم يقل نفخه والخل الممزوج بالعسل يلطف الرياح (كتب) اسحق ابن عمران المعروف بسم ساعة الى رجل من اخوانه اعلمك رحمك الله ان الخام والبلغم يظهران على الدم والمرة بعد الاربعين سنة فتأكلاها وهما عدوا الجسد وهادماه ولا ينبغى لمن خلف الاربعين سنة ان يحرك طبيعة من طبائعه غير الخام والبلغم و يقوى الدم جاهدا غير انه ينبغى له فى كل سبع سنين ان يفجر من دمه شيأ ومن المرة مثل ذلك لقلة صبره عن الطعام اللذيذ والمشروب الروى فتعاهد أصلحك الله ذلك من نفسك واعلم ان الصحة خير من المال والأهل والولد ولا شىء بعد تقوى الله سبحانه خير من العافية وما تأخذ به نفسك وتحفظ به صحتك ان تلزم ما اكتب به اليك فى شهر يناير لا تأكل السلق واشرب شرابا شديدا كل غداة وفى شهر فبراير لا تأكل السلق وفى مارث تأكل الحلواء كلها وتشرب الافسنتين فى الحلاوة وفى شهر ابريل لا تأكل شيأ من الاصول التى تنبت فى الارض ولا الفجل وفى مايه لا تأكل رأس شىء من الحيوان وفى يونيه تشرب الماء البارد بعدما تطبخه وتبرده على الريق وفى يوليه تجنب الوطء وفى اغسطس لا تأكل الحيتان وفى سبتمبر تشرب اللبن البقرى وفى اكتوبر لا تأكل الكراث نيأ ولا مطبوخا وفى نوفبر لا تدخل الحمام وفى دسمبر لا تأكل الارنب (زعم) علماء الطب ان فى الجسد من الطبائع الاربع اثنى عشر رطلا فللدم منها ستة ارطال وللمرة والسوداء والبلغم ستة ارطال فان غلب الدم الطبائع تغير منه الوجه وورم وخرج ذلك الى الجذام وان غلبت تلك الطبائع الدم انبتت المددقال فاذا خاف الانسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضا فليعدل جسده بالاقتصاد وينقيه بالمشى فانه ان لم يفعل اعتراه ماوصفنا اما جذام واما مرة نسأل الله العافية ولا بأس بعلاج الجسد فى جميع الازمان الا أيام السموم الا أن ينزل فيها مرض شديد لا بد من مداواته أو يظهر مرموم أو ذات الجنب فانه ينبغى للطبيب أن يعانيه بفصاد أو شىء خفيف فانها أيام ثقيلة وهى خمسة عشر يوما من تموز الى النصف من آب فذلك

ثلاثون يوما لا يصلح فيها علاج وكان بقراطيس يجعلها تسعة وأربعين يوما ويقطع الغرر والخطر في أيام القيظ فاذا مضى لا يلول ثلاثة أيام طاب التداوى كله (امر) جالينوس في الربيع بالحجامة والنورة وأكل الحلاوة وشربها ونهى عن القطانى واللبن الرائب وعتيق الجبن والمالح والفاكهة اليابسة الا ما كان مصلوقا وفى القيظ وهو زمان المرة الحمراء بأكل البارد الرطب على قدر قوة الرجل في طبعه وسنه وترك الجماع وأكل الحوت الطرى والفاكهة الرطبة والبقول ولحم البقر والمعز ومن القطانى العدس ومن الاشربة المربب بالورد والسكركة من الشعير والسكر بالماء المطبوخ وأكل الكزبرة الخضراء في الاطعمة وأكل الخيار والبطيخ ولزوم دهن الورد وماء الورد ورش الماء وبسط البيت بورق الشجر ومن الدواء السكر بالمصطكى يسحقهما مثلا بمثل ويأخذهما على الريق قدر الدرهم أو أكثر قليلا وفى زمان الخريف وهو زمان السوداء وهو أثقل الازمنة على أهل تلك الطبيعة من الطعام والشراب بالحار الرطب مثل الاحساء بالحلاوة وأكل العسل وشربه ونهى فيه عن الجماع وأكل لحم المعز والبقر وأمر بأكل صنوف حيوان البر والبحر وحسو البيض والدهن قبل الحمام واتيان النساء على غير شبع في آخر الليل وفى أول النهار والتماس الولد على الريق من الرجل والمرأة فان أولاد ذلك الزمان أشد وأقوى تركيبا من غيرهم كما قالت الحكماء

﴿ الخمر المحرمة في الكتاب ﴾ أجمع الناس على ان الخمر المحرمة في الكتاب خمر العنب وهى ما غلا وقذف الزبد من عصير العنب من غير أن تمسه نار ولا يزال خمرا حتى يصير خلا وذلك اذا غلبت عليه الحموضة وفارقتها النشوة لان الخمر ليست محرمة العين كما حرمت عين الخنزير وانما حرمت لعرض دخل لها فاذا زايلها ذلك العرض عادت حلالا كما كانت قبل الغليان حلالا وعينها في كل ذلك واحدة وانما انتقلت اعراضها من حلاوة الى مرارة ومن مرارة الى حموضة كما ينتقل طعم الثمرة اذا اينعت من حموضة الى حلاوة والعين قائمة كما ينتقل طعم الماء بطول المكث فيتغير طعمه وريحه والعين قائمة (ونظير الخمر) فيما يحل ويحرم بعرض المسك الذى هو دم عبيط حرام ثم يجف ويجدد رائحة فيصير حلالا طيبا فهذه الخمر بعينها المجمع على تحريمها وأصحاب النبيذ انما يدورون حولها ويتعللون انهم يشربون ما دون المسكر ولا لذة لهم دون موافقة المسكر كما قال الشاعر

يدورون حول الشيخ يلتمسونه * بأشربة شتى هى الخمر تطلب

وكقول القائل * اياك أعنى فاسمعى ياجاره * (قيل) للاحنف بن قيس أى الشراب أطيب فقال الخمر قيل له وكيف علمت ذلك وأنت لم تشربها قال انى رأيت من أحلت له لا يتعداها ومن حرمت عليه انما يدورحولها (وقال ابن شبرمة)

ونبيذ الزبيب مااشتد منه * فهو للخمر والطلاء نسيب

﴿ وقال عبد الله بن القعقاع ﴾

أتانا بها صفراء يزعم انها * زبيب فصدقناه وهو كذوب

فهل هى الا ساعة غاب نحسها * أصلى لربى بعدها وأتوب

(وقال ابن شبرمة) أتانا الفرزدق فقال اسقونى فقلنا وماتريد أن نسقيك قال أقربه الى الثمانين يعنى حد الخمر (وقال) قيصر لقس بن ساعدة أى الاشربة أفضل عاقبة فى البدن قال ماصفا فى العين واشتد على اللسان وطابت رائحته فى الانف من شراب الكرم قيل له فما تقول فى مطبوخه فقال مرعى ولا كالسعدان قيل له فما تقول فى نبيذ التمر قال ميت أحيى فيه بعض المنعة ولا يكاد يحيا من مات مرة قيل له فما تقول فى العسل قال نعم شراب الشيخ ذى الابردة والمعدة الفاسدة (على بن عياش) قال انى عند الوليد بن يزيد فى خلافته اذ أتى بابن شراعة من الكوفة فوالله ماسأله عن نفسه ولا سفره حتى قال له ياابن شراعة انى والله مابعثت اليك لاسألك عن كتاب الله ولا سنة رسوله قال فوالله لوسألتنى عنهما لالفيتنى فيهما حمارا قال وانما أرسلت اليك لاسألك عن القهوة قال دهقانها الخبير وطبيبها العليم قال فاخبرنى عن الطعام قال ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم غيران أنفعه واشهاه امرؤه قال فما تقول فى الشراب قال ليسأل أمير المؤمنين عما بداله قال فما تقوا فى الماء قال لابد لى منه والحمار شريكى فيه قال فما تقول فى السويق قال شراب الحزين والمستعجل والمريض قال فما تقول فى اللبن قال مارأيته قط الا استحييت من أمى من طول ماأرضعتنى به قال فنبيذ التمر قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش قال فنبيذ الزبيب قال حاموا به عن الشراب قال ماتقول فى الخمر قال أوه تلك صديقة روحى قال وأنت والله صديق روحى قال وأى المجالس أحسن قال ماشرب الناس على وجه قط أحسن من السماء (قال الاصمعى) دخلت على الرشيد وهو فى الفرش منغمس كما ولدته أمه فقال لى ياأصمعى من أين طرقت اليوم قال قلت احتجمت قال وأى شيء أكلت عليها قلت سكباجة وطباهجة قال رميتها بحجرها قال هل

تشرب قلت نعم يا أمير المؤمنين

اسقني حتى ترانى مائلا * وترى عمران دينى قد خرب

قال يامسرور رأى شيء معك قال ألف دينار قال ادفعها اليه

﴿ آفات الخمر وخبائثها ﴾ أول ذلك انها تذهب العقل وأفضل ما فى الانسان عقله وتحسن القبيح وتقبح الحسن قال أبو نواس

اسقني حتى ترانى * حسن عند القبيح

﴿ وقال أيضاً ﴾

اسقني صرفا حميا * تترك الشيخ صبيا

وتريه الغى رشدا * وتريه الرشد غيا

﴿ وقال أيضاً ﴾

عتقت فى الدن حولا * فهى فى رقة دينى

﴿ وقال الناطق بالحق ﴾

تركت النبيذ وأصحابه * وصرت خدينا لمن عابه

شراب يضل سبيل الرشاد * ويفتح للشر أبوابه

وانما قيل لشارب الرجل نديم من الندامة لان معاقر الكاس اذا سكر تكلم بما يندم عليه فقيل لمن شاربه نادمه لانه فعل مثل ما فعله فهو نديم له كما يقال جالسه فهو جليس له والمعاقر المدمن كانه لزم عقر الشيء أى فناءه وقال أبو الاسود الدؤلى

دع الخمر يشربها الغواة فاننى * رأيت أخاها مغنيا بمكانها

فان لا تكنها أو تكنه فانه * أخوها غذته أمه بلبانها

وقد شهر أصحاب الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وانهم أصدقاؤك ما استغنيت حتى تفتقر وما عوفيت حتى تنكب وما غلت دنانك حتى تنزف ومارأوك بعيونهم حتى يفقدوك قال الشاعر

أرى كل قوم يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم

أخاؤهم ما دارت الكاس بينهم * وكلهم رث الحبال سؤم

اذا جئتهم حيوك ألفا ورحبوا * وان غبت عنهم ساعة فذميم

فهذا ثنائي لم أقل بجهالة * ولكنني بالفاسقين عليم

(وقال) قصي بن كلاب لبنيه اجتنبوا الخمر فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان (وقيل) لعدي بن حاتم مالك لاتشرب الخمر قال لا أشرب مايشرب عقلي (وقيل) له مالك لاتشرب النبيذ قال معاذ الله أصبح حكيم قومي وأمسي سفيههم (وقال) يزيد بن الوليد النشوة تحمل الجفوة (وقيل) لعثمان بن عفان رضي الله عنه مامنعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك فيها قال اني رأيتها تذهب العقل جملة ومارأيت شيأ يذهب جملة ويعود جملة (وقال) أيضا ماتغنيت ولا تمنيت ولا شربت خمرا ولا مسست فرجي بيدي بعد ان خططت بها المفصل (وقال) عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح هل لك فيما يثير المحادثة يريد المنادمة قال أصلح الله الامير الشعر مفلفل واللون مرمد ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر وانما هو عقلي ولساني فان رأيت ان لاتفرق بينهما فافعل وربما ذهب الكاس بالبيان وغيرت الخلقة فيعظم أنف الرجل ويحمر ويذهل وقال جرير في الاخطل

وشربت بعد أبي ظهير وابنه * سكر الدنان كان أنفك دمل

شبه بالدمل في ورمه وحمرته (وقال آخر) في حماد الراوية

نعم الفتى لو كان يعرف وجهه * ويقيم وقت صلاته حماد

هدلت مشافره الدنان فأنفه * مثل القدوم يسنها الحداد

وابيض من شرب المدامة وجهه * فبياضه يوم الحساب سواد

(ودخل) أمية بن عبد الله بن أسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه أثر فقال ماهذا فقال قمت بالليل فأصاب الباب وجهي فقال عبد الملك

رأتني صريع الخمر يوما بسوقها * وللشار بيها المد منيها مصارع

فقلت لا آخذ الله أمير المؤمنين بسوء ظنه فقال بل آخذك الله بسوء مصرعك (وقال حسان بن ثابت)

تقول شعثاء لوصحوت عن الكاس لاصبحت مثري العدد

أنسى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المسامر الغرد

لا أحدس الحدس بالجليس ولا * يخشى نديمى اذا انتشيت يدى

﴿ وقال ابن الموصلى ﴾

سلام على سير القلاص مع الركب * ووصل الغوانى والمدامة والشرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب
لعمرى لئن نكبت عن منهل الصبا * لقد كنت وراد المنهله العذب
ليالى أمشى بين بردى لاهيا * أميس كغصن البانة الناعم الرطب

(ويروى) أن الحسن بن زيد لما ولى المدينة قال لابراهيم بن هرمة لا تحسبنى كمن باع لك دينه رجاء مدحك وخوف ذمك فقد رزقنى الله بولادة نبيه الممادح وجنبنى القبائح وان من حقه على ان لا أعصى على تقصير فى حقه وانى أقسم لئن أوتيت بك سكران لاضربنك حدين حد الخمر وحد السكر ولازيدنك لموضع حرمتك بى فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تجعله للناس لتوكل عليهم فنهض ابن هرمة وقال

نهانى ابن الرسول عن المدام * وأدبنى بآداب الكرام
وقال لى اصطبر عنها ودعها * لخوف الله لا خوف الانام
وكيف تصبرى عنها وحبى * لها حب تمكن فى عظامى
أرى طيب الحلال على خبثا * وطيب النفس فى خبث الحرام

(وذكروا) ان حارثة بن زيد كان فارس بنى تميم وكان قد غلب على زياد وكان الشراب غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو رجل مستهتر بالشراب فقال لهم كيف اطراحى لرجل ما رآكبنى قط فمست ركبتى ركبته ولا تقدمنى فنظرت الى قفاه ولا تأخر عنى فلويت اليه عنقى ولا سألته عن شىء قط الا وجدت علمه عنده فلما مات زياد جفاه ولده عبيد الله بن زياد فقال له حارثة أيها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بحالى عند أبى المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة قد برع بروع عالم يلحقه معه عيب وأنا حدث وانما أنسب الى من تغلب على وأنت نديم الشراب فدع النبيذ وكن أول داخل وآخر خارج فقال حارثة أنا لا أدعه لله أفادعه لك قال فاختر من عملى ما شئت قال ولنى رامهرمز فانها أرض عذبة وشرف فان بها شرابا وصف لى عنه فولاه اياها فلما خرج شيعه الناس وكتب اليه أنس بن أبى أنس

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جرذا فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن ياحارشيأ تخونه * لحظك من ملك العراقين سرق
وباد تميما بالغنى ان للغنى * لسانا به المرء الهيوبة ينطق
فان جميع الناس امامكذب * يقول بما يهوى واما مصدق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * ولوقيل يوما حققوا لم يحققوا

فوقع حارثة فى أسفل كتابه لا بعد عنك الرشد (وقال الشاعر)

شربنا من الدارى حتى كأننا * ملوك لهم فى كل ناحية وفر
فلما اعتلت شمس النهار رأيتنا * تخلى الغنى عنا وعاودنا الفقر

(وكان) أبو الهندى من ولد شبيب بن ربعى الرياحى من بنى يربوع وكان قد غلب عليه الشراب على كريم منصبه حتى كاد يبطله وكان قد ضاف على راع يسمى سالما فسقاه قدحا من لبن فكرهه وقال

سيغنى أبا الهندى عن وطب سالم * أباريق كالغزلان بيضا نحورها
مقدمة فزاكان رقابها * رقاب كراك افزعتها صقورها
فاذرقرن الشمس حتى كأننا * أرى قرية حولى تزلزل دورها

وكان عجيبا بالجواب فجلس اليه رجل كان صلب أبوه فى جناية فجعل يعرض له بالجواب فقال أبو الهندى أحدهم يبصر القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع المعترض فى أست أبيه (ولقيه) نصر بن سيار والى خراسان وهو يميد سكرا فقال له أفسدت مروأتك وشرفك قال لولم أفسد مروأتى لم تكن أنت والى خراسان (ومرض) أبو الهندى فلما وجد فقد الشراب جعل يبكى ويقول

رضيع المدام فارق الراح روحه * فظل عليها مستهل المدامع
اديرا على الكاس انى فقدتها * كما فقد المفطوم در المراضع

(وكان) يشرب مع قيس بن أبى الوليد الكنانى وكان أبوه الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهرب منه وقال فيه أبو الهندى

قل للسرى بن هند ظلت توعدنا * ودارنا أصبحت من داركم صددا
أبا الوليد اما والله لو عملت * فيك الشمول لما فارقتها أبدا
ولا نسيت حمياها ولذتها * ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

﴿ وقال عبد الرحمن بن أم الحكم ﴾

وكاس ترى بين الأثافى و بينها * قذى العين قد نازعت أم أبان
ترى شار بيها حين يعبق ريحها * يميلان أحيانا و يعتدلان
فما ظن ذا الواشي بأروع ماجد * وعذراء خود حين يلتقيان
دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتني أخاها بعدما كان بيننا * من الامر مالم يفعل الاخوان

﴿ وقال ﴾

لاهنيأ لما شربت مريئا * ثم قم صاغرا وغير كريم
لا أحب النديم يومض بالعين اذا ما انثنى لعرس النديم

(وقال) أبو العباس المبرد ودخل عمرو بن مسعدة على المأمون و بين يديه جام زجاج فيه سكر طبرزد وملح جريش قال فسلمت عليه فرد وعرض علي الاكل فقلت ما أريد شيأ هناك الله يا أمير المؤمنين فلقد باكرت الغداء فقال بت جائعا ثم أطرق و رفع رأسه وهو يقول

اعرض طعامك وابذله لمن دخلا * واعزم على من أبى واشكر لمن أكلا
ولا تكن سابرى العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ودعا برطل ودخل شيخ من جلة الفقهاء فمد يده اليه فقال والله يا أمير المؤمنين ماشربتها ناشئا ولا سقيتها شيخا فرديده عمرو بن مسعدة فأخذها منه وقال يا أمير المؤمنين فانى عاهدت الله فى الكعبة ان لا أشربها أيضا ففكر طويلا والكاس فى يد عمرو بن مسعدة فقال

ردا على الكاس انكما * لا تعلمان الكاس ماتجدى
لوذقتما ماذقت ماامتزجت * الا بد معكما من الوجد
خوفتماني الله ربكما * وكخيفتيه رجاؤه عندى
ان كنتما لا تشربان معى * خوف العقاب شربتها وحدى

(شرب) المأمون ويحيي بن أكثم وعبد الله بن طاهر فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيي فغمزا الساقى فاسكره وكان بين أيديهم رزم من رياحين فامر المأمون فشق له لحد فى الورد والرياحين وصيروه فيه وعمل بيتين من شعر ودعا قينة فجلست عند رأسه وحركت العود وغنت

نادیتــه وهو حی لاحراك به * مكفن فی ثیاب من ریاحــین
فقلت قم قال رجلی لاتطاوعنی * فقلت خذ قال كفی لاتواتینی
فانتبه یحیی لرنة العود وقال مجیبا لهــا
یاســیدی وأمــیر الناس كلهــم * قــد جار فی حكمه من كان یسقینی
انی غفلت عن الســاقی فصــیرنی * كما ترانی ســلیب العــقل والدین
لاأستطیع نهوضا قد وهی جسدی * ولا أجیب المنادی حــین یدعونی
فاخــتر لبغداد قاض اننی رجــل * الراح یقتلــنی والعــود یحیینی
(حدثنا) أبو جعفر البغدادی قال كان بالجزیرة رجل یبیع نبیذا فی ناجود له وكان بیته من قصب وكان یأتیه قوم یشربون عنده فاذا عمل فیهــم الشراب قال بعضهم لبعض أما ترون بیت هذا النباذ من قصب فیقول بعضهــم علی الآجر و یقول الآخر علی الجص و یقول الآخر علی أجرة العامل فاذا أصبحوا لم یعملوا شیأ فلما طال ذلك علی النباذ قال
لنــا بیت یهــدم كل یوم * و یصبح حین یصبح جذم خص
اذا مادارت الاقداح قالوا * غــــدا نبنی بآجر وجص
وكیف یشید البنیان قــوم * یمــرون الشــتاء بغــیر قمص
(ودخل) حارثة بن بدر علی زیاد و بوجهه أثر فقال له ماهذا قال ركبت فرسی الاشقر فصرعنی قال اما أنك لو ركبت الاشهب ماصرعك أراد حارثة بالاشقر النبیــذ وأراد زیاد بالاشهب اللبن
(وكان) قیس بن عاصم یأتیــه فی جاهلیته تاجر خمر فیبتاع منــه ولا یزال الخمار فی جواره حتی ینفد ماعنــده فشرب قیس ذات یوم فسكر سكرا قبیحا فجذب ابنته وتناول ثوبها و رأی القمر فتكلم بشیء ثم انتهب مال الخمار وأنشأ یقول
من تاجر فاجر جاء الاله به * كأن لحیته أذناب اجمال
جاء الخبیث بیسانیة تركت * صحبی واهلی بلاعقل ولامال
فلما صحا أخبر بما صنع وماقال فآلی ان لایذوق خمرة أبدا (وربما) بلغت جنایة الكاس الی عقب الرجــل ونجــله (قال) المأمون یانطف الخمــار ونرابع الطنبور واشباه الخؤلة وقال الشاعر
لما رأیت الحظ حظ الجاهل * ولم أر المغبــون غــیر العاقل

رحلت عيسا من كروم بابل * فبت من عقلى على مراحل

﴿ وقال آخر يصف السكر ﴾

أقبلت من عند زياد كالخرف * أجر رجلى بخط مختلف

كأنما يكتبان لام ألف

﴿ وقال آخر يصف السكر ﴾

شربنا شربة من ذات عرق * باطراف الزجاج من العصير

وأخرى بالمروح ثم رحنا * نرى العصفور أعظم من بعير

كأن الديك ديك بنى تميم * أمير المؤمنين على السرير

كان دجاجهم فى الدار رقطا * بنات الروم فى قمص الحرير

فبت أرى الكواكب دانيات * ينلن أنامل الرجل القصير

ادافعهن بالكفين منى * وألثم لبة القمر المنير

﴿ وقال الشاعر ﴾

دع النبيذ تكن عدلا وان كثرت * فيك العيوب وقل ماشئت يحتمل

هو المشيد باخبار الرجال فما * يخفى على الناس ماقالوا ومافعلوا

كم زلة من كريم ظل يشهرها * من دونها تستر الابواب والكلل

أضحت كنار على علياء موقدة * ما يستسن لها سهل ولا جبل

والعقل عقل مصون لو يباع لقد * ألفيت بياعه أضعاف ماسألوا

فاعجب بقوم مناهم فى عقولهم * ان يذهبوها بعل بعده نهل

قد عقدت بخمار الكاس السنهم * عن الصواب ولم يصبح بها علل

وزررت بسنات النوم أعينهم * كأن احداقها حول وماحولوا

تخال رائحهم من بعد غدوته * حبلى اضربها فى مشيها الحبل

فان تكلم لم يقصد لحاجته * وان مشى قلت مجنون به خبل

﴿ وقال ﴾

أخو الشراب ضائع الصلاة * وضائع الحرمة والحاجات

وحاله من اقبح الحالات * فى نفسه والعرس والبنات

أف له أف الى آفات * خمسة آلاف مؤلفات

﴿ من حد من الاشراف فى الخمر وشهربها ﴾ منهم يزيد بن معاوية وكان يقال له يزيد الخمور وبلغه ان مسور بن مخرمة يرميه بشرب الخمر فكتب الى عامله بالمدينة أن يجلد مسورا حد الخمر ففعل فقال مسور

ايشربها صرفا بطين دنانها * أبو خالد ويضرب الحد مسور

(وممن) حد فى الشراب الوليد بن عقبة بن أبى معيط أخو عثمان بن عفان لامه شهد أهل الكوفة عليه انه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت اليهم فقال ان شئتم زدتكم فجلده على بن أبى طالب بين يدى عثمان وفيه يقول الحطيئة وكان نديمه أبو زبيد الطائى

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * ليزيدهم خيرا ولا يدرى
ليزيدهم خيرا ولو قبلوا * لجمعت بين الشفع والوتر
كبحوا عنانك اذ جريت ولو * تركوا عنانك لم تزل تجرى

(ومنهم) عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحده هناك عمرو بن العاص سرا فلما قدم على عمر جلده حدا آخر علانية (ومنهم) العباس بن عبد الله بن عباس كان ممن شهر بالشراب ومنادمة الاخطل وفيه يقول الاخطل

ولقد غدوت على التجار بمنبج * هرت هوازله هرير الاكلب
لباس أردية الملوك يروقه * من كل مرتقب عيون الربرب

(ومنهم) قدامة بن مظعون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلده عمر بن الخطاب بشهادة علقمة الخصى وغيره فى الشراب (ومنهم) عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بابى شحمة حده أبوه فى الشراب وفى أمر انكره عليه (ومنهم) عبد الله بن عروة ابن الزبير حده هشام بن اسمعيل المخزومى فى الشراب (ومنهم) عاصم بن عمر بن الخطاب حده بعض ولاة المدينة فى الشراب (ومنهم) عبد العزيز بن مروان حده عمرو الاشدق (وممن) فضح بالشراب بلال بن أبى بردة الاشعرى وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميرى

وأما بلال فذاك الذى * يميل الشراب به حيث مالا
يبيت يمص عتيق الشراب * كمص الوليد يخاف الفصالا

ويصبح مضطربا ناعسا * تخال من السكر فيه انحلالا
ويمشي ضعيفا كمشي النزيف * تخال به حين يمشي شكالا

(وممن شهر) بالشراب عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي القاضي بالكوفة وفضح بمنادمة سعد ابن هبار وفيه يقول حارثة بن بدر

نهاره في قضايا غير عادلة * وليله في هوى سعد بن هبار
مايسمع الناس اصواتالهم عرضت * الادويادوى النحل في الغار
يدين أصحابه فيما يدينهم * كاسا بكاس وتكرارا بتكرار
فاصبح الناس اطلاحا اضربهم * حث المطي وما كانوا بسفار

(ومنهم) أبو محجن الثقفي وكان مغرما بالشراب وقد حده سعد بن أبي وقاص في الخمر مرارا وشهد القادسية مع سعد وأبلى فيها بلاء حسنا وهو القائل

اذامت فادفني الى ظل كرمة * تروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * أخاف اذامامت أن لا أذوقها

ثم حلف بالقادسية ان لا يشرب خمرا أبدا وأنشأ يقول

ان كانت الخمر قد عزت وقد منعت * وحال من دونها الاسلام والحرج
فقد أباكرها صهباء صافية * طورا واشربها صرفا وامتزج
وقد تقوم على رأسي مغنية * فيها اذا رفعت من صوتها غنج
فتخفض الصوت أحيانا وترفعه * كما يطن ذباب الروضة الهزج

(ومنهم) عبد الملك بن مروان وكان يسمى حمامة المسجد لاجتهاده في العبادة قبل الخلافة فلما أفضت اليه الخلافة شرب الطلا وقال له سعيد بن المسيب بلغني يا أمير المؤمنين انك شربت بعدي الطلا فقال أي والله وقتلت النفس (ومنهم) يزيد بن الوليد ذهب به الشراب كل مذهب حتى خلع وقتل وهو القائل

خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم * ثباتا يساوي ما حييت عقالا
دعولي سليمى والنبيذ وقينة * وكأسا ألا حسبي بذلك مالا
أبالملك ارجو ان أخلد فيكم * ألا رب ملك قد أزيل فزالا

(وسقى) قوم اعرابية مسكرا فقالت أيشرب نساؤكم مثل هذا قالوا نعم قالت فما يدري

أحدكم من أبوه (ومنهم) ابراهيم بن هرمة وكان مغرما بالشراب وحده عليه جماعة من عمال المدينة فلما ألحوا عليه وضاق ذرعه بهم دخل الى المهدى بشعره الذى يقول فيه

له لحظات فى خفاء سريرة * اذا كرها منها عقاب ونائل

لهم طينة بيضاء من آل هاشم * اذا اسود من لؤم التراب القبائل

اذا ما أتى شيأ مضى كالذى أتى * وان قال انى فاعل فهو فاعل

فأعجب المهدى بشعره وقال سل حاجتك قال تأمر لى بكتاب الى عامل المدينة أن لا يحدنى على شراب فقال له ويلك كيف نأمر بذلك لو سألتنى عزل عامل المدينة وتوليتك مكانه لفعلت قال يا أمير المؤمنين لو عزلت عامل المدينة ووليتنى مكانه أما كنت تعزلنى أيضا وتولى غيرى قال بلى قال فكنت أرجع الى سيرتى الاولى فقال المهدى لوزرائه ماتقولون فى حاجة ابن هرمة وما عندكم من التلطف قالوا يا أمير المؤمنين انه يطلب مالا سبيل اليه اسقاط حد من حدود الله قال المهدى ان عندى له حيلة اذا عيتكم حيلته اكتبوا الى عامل المدينة من أتاك بابن هرمة سكران فاضرب ابن هرمة ثمانين واضرب الذى يأتيك به مائة فكان ابن هرمة اذا مشى فى أزقة المدينة يقول من يشترى مائة بثمانين (وكان) بامج رجل يقال له حميد كان مفتونا بالخمر فهجاه ابن عم له وقال فيه

حميد الذى بامج داره * أخو الخمر ذو الشيبة الاصلع

علاه المشيب على شربها * وكان كريما فما ينزع

(ودخل) حميد يوما على عمر بن عبد العزيز فقال له من أنت قال أنا حميد قال حميد الذى قال فيه الشاعر قال والله يا أمير المؤمنين ما شربت مسكرا منذ عشرين سنة فصدقه بعض جلسائه فقال له انما داعبناك

﴿ الفرق بين الخمر والنبيذ ﴾ أول ذلك ان تحريم الخمر مجمع عليه لا اختلاف فيه بين اثنين من الائمة والعلماء وتحريم النبيذ مختلف فيه بين الاكابر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والتابعين حتى لقد اضطر محمد بن سيرين مع علمه وورعه أن يسأل عبيدة السلمانى عن النبيذ فقال له عبيدة اختلف علينا فى النبيذ وعبيدة ممن أدرك أبا بكر وعمر فما ظنك بشىء اختلف فيه الناس وأصحاب النبى عليه الصلاة والسلام متوافرون فمن بين مطلق له ومحظر عليه وكل واحد منهم مقيم الحجج لمذهبه والشواهد على قوله والنبيذ كل ما ينبذ فى الدباء والمزفت ثم اشتد حتى يسكر

كثيره ومالم يشتد فلا يسمى نبيذا كما انه مالم يعمل من عصير العنب حتى يشتد لا يسمى خمرا كما قال الشاعر

نبيذا اذا مر الذباب بدنه * تعطر لو خر الذباب وقيدا

(وقيل) لسفيان الثورى وقد دعا بنبيذ فشرب منه ووضعه بين يديه يا أبا عبد الله اخشى الذباب أن تقع فى النبيذ قال قبحه الله ان لم يذب عن نفسه (وقال) حفص بن غياث كنت عند الاعمش وبين يديه نبيذ فاستأذن عليه قوم من طلبة الحديث فسترته فقال لى لم سترته فكرهت أن أقول لئلا يراه من يدخل فقلت كرهت أن يقع فيه الذباب فقال لى هيهات انه أمنع من ذلك جانبا ولو كان النبيذ هو الخمر التى حرمها الله فى كتابه ما اختلف فى تحريمه اثنان من الامة (حدث) محمد بن وضاح قال سألت سحنونا فقلت ما تقول فيمن حلف بطلاق زوجته ان المطبوخ من عصير العنب هو الخمر التى حرمها الله فى كتابه قال بانت زوجته منه (وذكر) ابن قتيبة فى كتاب الاشربة ان الله تعالى حرم علينا الخمر بالكتاب والمسكر بالسنة فكان فيه فسحة فما كان محرما بالكتاب فلا يحل منه لا قليل ولا كثير وما كان محرما بالسنة فان فيه فسحة أو بعضه كالقليل من الديباج والحرير يكون فى الثوب والحرير محرم بالسنة وكالتفريط فى صلاة الوتر وركعتى الفجر وهما سنة فلا تقول ان تاركهما كتارك الفرائض من الظهر والعصر (وقد) استأذن عبد الرحمن بن عوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لباس الحرير لبلية كانت به واذن لعرفجة بن سعد وكان أصيب أنفه يوم الكلاب باتخاذ أنف من الذهب وقد جعل الله فيما أحل عوضاً مما حرم فحرم الربا وأحل البيع وحرم السفاح وأحل النكاح وحرم الديباج وأحل الوشى وحرم الخمر وأحل النبيذ غير المسكر والمسكر منه ما أسكرك

﴿ مناقضة ابن قتيبة فى قوله فى الاشربة ﴾ قال فى كتابه فان قال قائل ان المنكر هى الاشربة المسكرة اكذبه النظر لان القدح الاخير انما أسكر بالاول وكذلك اللقمة الاخيرة انما أشبعت بالاولى ومن قال السكر حرام قال فانما ذلك مجاز من القول وانما يريد ما يكون منه السكر حرام وكذلك التخمة حرام وهذا الشاهد الذى استشهد به فى تحريمه قليل ما أسكر كثيره وتشبيهه ذلك بالتخمة شاهد عليه لا شاهد له لان الناس مجمعون على أن قليل الطعام الذى تكون منه التخمة حلال وان التخمة حرام وكذلك ينبغى أن يكون قليل النبيذ الذى يسكر كثيره حلالا وكثيره حراما وان الشربة الاخيرة المسكرة هى المحرمة ومثل الاربعة أقداح التى يسكر

منها القدح الرابع مثل أربعة رجال اجتمعوا على رجل فشجه أحدهم موضحة ثم شجه الثانى منقلة ثم شجه الثالث مامومة ثم أقبل الرابع فاجهز عليه فلا نقول ان الاول هو قاتله ولا الثانى ولا الثالث وانما قتله الرابع الذى أجهز عليه وعليه القود (وذكر) ابن قتيبة فى كتابه بعد ان ذكر اختلاف الناس فى النبيذ وما أدلى به كل قوم من الحجة فقال وأعدل القول عندى ان تحريم الخمر بالكتاب وتحريم النبيذ بالسنة وكراهية ما تغير وخدر من الاشربة تأديب ثم زعم فى هذا الكتاب بعينه ان الخمر نوعان فنوع منهما أجمع على تحريمه وهو خمر العنب من غير أن تمسه نار لا يحل منه لا قليل ولا كثير ونوع آخر مختلف فيه وهو نبيذ الزبيب اذا اشتد ونبيذ التمر اذا صلب ولا يسمى سكرا الا نبيذ التمر خاصة (وقال) بعض الناس نبيذ التمر حل وليس بخمر واحتجوا بقول عمر فما انتزع بالماء فهو حلال وما انتزع بغير الماء فهو حرام (قال) ابن قتيبة وقال آخرون هى خمر حرام كله وهذا هو القول عندى لان تحريم الخمر نزل وجمهور الناس مختلفة وكلها يقع عليها هذا الاسم فى ذلك الوقت (وذكر) ان أبا موسى قال خمر المدينة من البسر والتمر وخمر أهل فارس من العنب وخمر أهل اليمن من البتع وهو نبيذ العسل وخمر الحبشة السكركة وهى من الذرة وخمر التمر يقال له البتع والفضيخ (وذكروا) ان عمر قال الخمر من خمسة أشياء من البر والشعير والتمر والزبيب والعسل والخمر ما خامر العقل ولأهل اليمن أيضا شراب من الشعير يقال له المزر ويزعم ههنا ابن قتيبة ان هذه الاشربة كلها خمر وقال هذا هو القول عندى وقد تقدم له فى صدر الكتاب ان النبيذ لا يسمى نبيذا حتى يشتد ويسكر كثيره كما ان عصير العنب لا يسمى خمرا حتى يشتد وان صدر هذه الامة والائمة فى الدين لم يختلفوا فى شىء كاختلافهم فى النبيذ وكيفيته ثم قال فيما حكم بين الفريقين أما الذين ذهبوا الى تحريمه كله ولم يفرقوا بين الخمر وبين نبيذ التمر وبين ما طبخ وبين ما انقع فانهم غلوا فى القول جدا ونحلوا قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريين وقوما من خيار التابعين وأئمة من السلف المتقدمين شرب الخمر وزينوا ذلك بان قالوا شربوها على التأويل وغلطوا فى ذلك فاتهموا القوم ولم يتهموا نظرهم ونحلوهم الخطأ وبرؤا أنفسهم منه فعجبت منه كيف يعيب هذا المذهب ثم يتقلده ويطعن على قائله ثم يقول به الا انى نظرت الى كتابه فرأيته قد طال جدا فاحسبه انسى فى آخره ما ذهب اليه فى أوله والقول الاول من قوله هو المذهب الصحيح الذى تأنس اليه القلوب وتقبله العقول لا قوله الآخر

الذى غلط فيه

﴿ احتجاج المحرمين لقليل النبيذ وكثيره ﴾ ذهبوا اجمعون الى ان ما اسكر كثيره من الشراب فقليله حرام كتحريم الخمر وقال بعضهم بل هو الخمر بعينها ولم يفرقوا بين ماطبخ و بين ما انقع وقضوا عليه كله انه حرام وذهبوا من الأثر الى حديث رواه عبد الله بن قتيبة عن محمد بن خالد بن خداش عن أبيه عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وكل مسكر خمر وحديث رواه ابن قتيبة عن اسحق بن راهويه عن المعتمر بن سليمان عن ميمون بن مهدى عن ابى عثمان الانصارى عن القاسم عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فالحسوة منه حرام والفرق ستة عشر رطلا وللعرب أربعة مكاييل مشهورة أصغرها المد وهو رطل وثلث فى قول الحجازيين ورطلان فى قول العراقيين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد والصاع وهو أربعة أمداد خمسة أرطال وثلث فى قول الحجازيين وثمانية أرطال فى قول العراقيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع والقسط وهو رطلان وثلثان فى قول الناس جميعا والفرق وهو ستة عشر رطلا ستة أقساط فى قول الناس اجمعين وذهبوا الى حديث رواه ابن قتيبة عن محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن الزهرى عن أبى سلمة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام مع أشياء كهذا من الحديث يطول الكتاب باستقصائها الا أن هذه اغلظها فى التحريم وأبعدها من حيلة المتأول (قالوا) والشاهد على ذلك من النظر ان الخمر انما حرمت لاسكارها وجناياتها على شاربها ولانها رجس كما قال الله ثم ذكر ما من جنايات الخمر ماقد ذكرناه فى صدر كتابنا هذا من آفات الخمر وجناياتها (ثم) قالوا والعلة التى لها حرمت الخمر من الاسكار والصداع والصد عن ذكر الله وعن الصلاة قائمة بعينها فى النبيذ كله المسكر فسبيله سبيل الخمر لافرق بينهما فى الدليل الواضح والقياس الصحيح كما أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم فى الفأرة اذا وقعت فى السمن انه ان كان جامدا القيت وألقى ماحولها وان كان جاريا اريق السمن فحملت العلماء الزيت ونحوه محمل السمن بالدليل الصحيح وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد الى السمن خاصة بنجس الفارة وانما سئل عن الفارة تقع فى السمن فافتى فيه فقاس العلماء الزيت وغيره بالسمن وكما أمر بالاستنجاء بثلاثة

أحجار للتنقية من الاذى فأجازوا كل ما أنقى من الخزف والخرق وغير ذلك وحملوه محمل الاحجار الثلاثة ولما حرمت الخمرة بعلة هى قائمة فى النبيذ المسكر حمل النبيذ محمل الخمر فى التحريم (قالوا) ووجدناهم يقولون لمن غلب عليه غلب النفس وصداع الرأس من الخمر مخمور وبه خمار (ويقال) مثل ذلك فى شارب النبيذ ولا يقولون منبوذ ولا به نباذ والخمار مأخوذ من الخمر كما يقال الكباد فى وجع الكبد والصدار فى وجع الصدر وذهبوا فى تحريم النبيذ الى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ان ينبذ فى الدباء والمزفت (وقالوا) لمن أجاز قليل ما اسكر كثيره انه ليس بين شارب المسكر وموافقة السكر حد ينتهى اليه ولا يوقف عنده ولا يعلم شارب المسكر متى يسكر كما لا يعلم الناعس متى يرقد وقد يشرب الرجل من الشراب المسكر قدحين وثلاثة أقداح ولا يسكر ويشرب منه غيره قدحا واحدا فيسكر لانه قد يختلف طبع الرجل فى نفسه فيسكر مرة من القدحين ويشرب مرة أخرى ثلاثة أقداح فلا يسكر

﴿ رسالة عمر بن عبد العزيز الى أهل الامصار فى الانبذة ﴾ أما بعد فان الناس كان منهم فى هذا الشراب المحرم أمر ساءت فيه رغبة كثير منهم حتى سفه أحلامهم واذهب عقولهم فاستحل به الدم الحرام وفرج الحرائر وان رجالا منهم ممن يصيب ذلك الشراب يقولون شربنا طلاء فلا بأس علينا فى شربه ولعمرى ان فيما قرأت مما حرم الله بأسا وان فى الأشربة التى أحل الله من العسل والسويق والنبيذ من الزبيب والتمر لمندوحة عن الاشربة الحرام غير ان كل ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا ينبذ الا فى أسقية الادم التى لازفت فيها ولا يشرب منها ما يسكر فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن شرب ما جعل فى الجرار والدباء والظروف المزفتة وقال كل مسكر حرام فاستغنوا بما أحل لكم عما حرم عليكم وقد أردت بالذى نهيت عنه من شرب الخمر من الطلاء وما جعل فى الدباء والجرار والظروف المزفتة وكل مسكر الماء الحجة عليكم فمن يطع منكم فهو خير له ومن يخالف الى ما نهى عنه نعاقبه على العلانية ويكفنا الله ما أسر فانه على كل شىء رقيب ومن استخفى بذلك عنا فان الله أشد بأسا وأشد تنكيلا

﴿ احتجاج المحلين للنبيذ كله ﴾ قال المحلون لكل ما أسكر كثيره من النبيذ انما حرمت الخمر بعينها خمر العنب خاصة بالكتاب وهى معقولة مفهومة لا يعترى فيها أحد

من المسلمين وانما حرمها الله تعبدا لا لعلة الاسكار كما ذكرتم ولا لانها رجس كما زعمتم ولو كان ذلك كذلك لما أحلها الله للانبياء المتقدمين والأمم السالفين ولا شربها نوح بعد خروجه من السفينة ولا عيسى ليلة رفع ولا شربها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى صدر الاسلام (وأما) قولكم انها رجس فقد صدقتم فى اللفظ وغلطتم فى المعنى اذ كنتم أردتم انها منتنة فان الخمر ليست بمنتنة ولا قذرة ولا وصفها أحد بنتن ولا قذر وانما جعلها الله رجسا بالتحريم كما جعل الزنا فاحشة ومقتا أى معصية وانما بالتحريم وانما هو جماع كجماع النكاح وهو عن تراض وبذل كما ان النكاح عن تراض وبذل وقد يبذل فى السفاح ما لا يبذل فى النكاح ولذلك سمى الله تبارك وتعالى المحرمات كلها خبائث فقال تعالى ويحرم عليهم الخبائث وسمى المحللات كلها طيبات فقال يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وسمى كل ما جاوز أمره أو قصر عنه سرفا وان اقتصد فيه وقد ذكر الخمر فيما امتن به على عباده قبل تحريمها فقال تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ولو انها رجس على ما تأولتم ما جعلها الله فى جنته وسماها لذة للشاربين وان قلتم ان خمر الجنة ليست كخمر الدنيا لان الله نفى عنها عيوب خمر الدنيا فقال تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون وكذلك قوله فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى عنها عيوب فواكه الدنيا لانها تأتى فى وقت وتنقطع فى وقت ولانها ممنوعة الا بالثمن ولها آفات كثيرة وليس فى فواكه الجنة آفة وما سمعنا أحدا وصف الخمر الا بضد ما ذكرتم من طيب النسيم وذكاء الرائحة

﴿ قال الاخطل ﴾

كانها المسك رهنا بين أرحلنا * وقد تضوع من ناجودها الجادى

﴿ وقال آخر ﴾

فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الانف

﴿ وقال أبو نواس ﴾

نحن نخفيها فيأبى * طيب ريح فتفوح

وانما قوله فيها رجس كقوله تعالى وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم أى كفرا الى كفرهم (وأما) منافعها التى ذكرها الله تعالى فى قوله يسألونك عن

الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فانها كثيرة لاتحدى فمنها انها تدر الدم وتقوى المعدة وتصفى اللون وتبعث النشاط وتفتق اللسان ما أخذ منها بقدر الحاجة ولم يجاوز المقدار فاذا جاوز ذلك عاد نفعها ضررا (وقال) ابن قتيبة فى كتاب الاشربة كانت بنو وائل تقول الخمر حبيبة الروح ولذلك اشتق لها اسم من الروح فسميت راحا وربما سميت روحا

﴿ وقال ابراهيم النظام ﴾

مازلت آخذ روح الدن من لطف * واستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى * والدن مطرح جسم بلا روح

وقد تسمى دما لانها تزيد فى الدم (قال) مسلم بن الوليد الانصارى

مزجنا دما من كرمة بدمائنا * فاظهر فى الالوان منا الدم الدم

قال ابن قتيبة وحدثنى الرياشى ان عبيدا راوية الاعشى قال سألت الاعشى عن قوله

وسلافة مما تعتق بابل * كدم الذبيح سلبتها جريالها

فقال شربتها حمراء و بلتها بيضاء يريد ان حمرتها صارت دما ومن منافع الخمر انها تزيد فى القوة وتولد الحرارة وتهيج الانفة وتسخى البخيل وتشجع الجبان

﴿ قال حسان بن ثابت ﴾

ونشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا ماينهنها اللقاء

﴿ وقال طرفة ﴾

واذا ماشربوها وانتشوا * وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

﴿ وقال مسلم بن الوليد ﴾

يصد بنفس الخمر عما يغمه * و ينطق بالمعروف ألسنة البخل

﴿ وقال الحسن بن هانىء ﴾

اذا ماأتت دون اللهاة من الفتى * دعا همه من صدره برحيل

ومن تسخيتها للبخيل المخبول قول بعض المحدثين

كسانى قميصا مرتين اذا انتشا * وينزعه عني اذا كان صاحيا

فلي فرحة في سكره بقميصه * وفي الصحو روعات تشيب النواصيا
فياليت حظي من سروري وفرحتي * ومن جوده لي لا علي ولا ليا

(قالوا) ولولا ان الله تعالى حرم الخمر في كتابه لكانت سيدة الاشربة وماظنك بشراب الشربة الثانية منه أطيب من الاولى والثالثة أطيب من الثانية حتى تؤديك الى أرفق الاشياء وهو النوم وكل شراب سواها فالشربة الاولى أطيب من الثانية والثانيـة أطيب من الثالثة حتى تمله وتكرهه (وسقى) قوم اعرابيا كؤسا ثم قالوا كيف تجدك قال أجدني أسر وأجدكم تحسنون الي (وقالوا) ماحرم الله شيأ الا عوضنا ماهو خير منه أومثله وقد جعل الله النبيذ عوضا من الخمر تأخذ منه مايطيب النفس ويصفي اللون ويهضم الطعام ولانبلغ منه الى مايذهب العقل ويصدع الرأس ويغثي النفس ويشرك الخمر في آفاتها وعظيم خباثتها (قالوا) وأماقولكم ان الخمر كل ماخمر والنبيذ كل ماخمر فهو خمر فان الاسماء قد تتشاكل في بعض المعاني فتسمى ببعضها لعلة فيها وهي في آخر ولا يطلق ذلك الاسم على الآخر ألا ترى ان اللبن قد يخمرونه بروبة تلقى فيه ولايسمى خمرا وان العجين قد يخمر فيسمى خميرا ولا يسمى خمرا وان نقيع التمر يسمى سكرا لاسكاره ولا يسمى غيره من النبيذ سكرا وان كان مسكرا وهذا أكثر في كلام العرب من أن يحاط به وقد رأيت اللبن يسكر اسكارا كسكر النبيذ ويقال قوم ملبونون وقوم روبى اذا شربوا الرائب فسكروا منه

﴿ وقال بشر بن أبي حازم ﴾

فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

(وأما قولكم) الرجل مخمور وبه خمار اذا أصابه صداع من الخمر وقد يقال مثل ذلك لمن أصابه صداع من النبيذ فيقال به خمار ولا يقال به نباذ فان حجتنا في ذلك ان الخمار انما يكون مما أسكر من النبيذ وذلك حرام لافرق بينه وبين الخمر عندنا فيقال فيه مايقال في الخمر وانما كان شرب النبيذ من أسلافنا مايشربون من اليسير على الغداء والعشاء ومما لا يعرض منه خمار وقد فرقت الشعراء بين النبيذ والخمر فقال الاقيشر وكان مغرما بالشراب

وصهباء جرجانية لم يطف بها * حنيف ولم تغل بها ساعة قدر
أتاني بها يحيي وقد نمت نومة * وقد غارت الشعرى وقد خفق النسر

فقلت اصطبحها أو انبرى فاهدها * فما أنا بعد الشيب ويلك والخمر
اذا المرء وافى الاربعين ولم يكن * له دون ما يأتى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنكر عليه الذى أتى * وان جر أرسان الحياة له الدهر

فأعلمك ان الخمر هى التى لم تفل بها القدور (وأما قول بعض الشعراء) فى شاربى النبيذ وما يوهم به من قلة الوفاء ونقض العهد فقد قالوا أقبح من ذلك فى تارك النبيذ قال حيص بيص

ألا لا يغرنك ذو سجدة * يظل بها دائما يخدع
وما للتقى لزمت وجهه * ولكن ليأتى مستودع
ثلاثون ألفا حواها السجود * فليست الى ربها ترجع
ورد أخو الكاس ما عنده * وما كنت فى رده أطمع

﴿ وقال آخر ﴾

أما النبيذ فلا يذعرك شاربه * واحفظ ثيابك ممن يشرب الماء
قوم يداوون عما فى نفوسهم * حتى اذا استمكنوا كانوا هم الداء
مشمرين الى انصاف سوقهم * هم الذئاب وقد يدعون قراء

﴿ وقال اعرابى ﴾

صلى فازعجنى وصام فراعنى * نح القلوص عن المصلى الصائم

﴿ وقال ﴾

شمر ثيابك واستعد لقابل * واحكك جبينك للقضاء بثوم
وامش الدبيب اذا مشيت لحاجة * حتى تصيب وديعة ليتيم

﴿ وقال بعض الظرفاء ﴾

أظهروا والله سمتا * وعلى المنقوش داروا
وله صلوا وصاموا * وله حجوا وزاروا
لو يرى فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

فهؤلاء المراؤن باعمالهم العاملون للناس والتاركون للناس هم شرار الخلق وأراذل البرية

وقد فضل شربة النبيذ عليهم بارسال الانفس على السجية واظهار المروأة ولست أصف بهذا منهم الادينا فليس فى الناس صنف الا ولهم حشو

﴿ ومن احتجاج المحابين للنبيذ ﴾ ما رواه مالك بن أنس فى موطئه من حديث أبى سعيد الخدرى انه قدم من سفر فقدم اليه لحم من لحوم الاضاحى فقال ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاكم عن هذا بعد ثلاثة أيام فقالوا قد كان بعدك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمر فخرج الى الناس فسألهم فاخبروه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن لحوم الاضاحى بعد ثلاثة أيام فكلوا وادخروا وتصدقوا وكنت نهيتكم عن الانتباذ فى الدباء والمزفت فانتبذوا وكل مسكر حرام وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديثان صحيحان رواهما مالك بن أنس وأثبتهما فى موطئه وانما هو ناسخ ومنسوخ وانما كان نهيه ان ينتبذ فى الدباء والمزفت نهيا عن النبيذ الشديد لان الاشربة فيهما تشتد ولا معنى للدباء والمزفت غير هذا وقوله بعد هذا كنت نهيتكم عن الانتباذ فانتبذوا وكل مسكر حرام اباحة لما كان حظر عليه من النبيذ الشديد وقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ينهاكم بذلك ان تشربوا حتى تسكروا وانما المسكر ما أسكرك ولا يسمى القليل الذى لا يسكر مسكرا ولو كان ما يسكر كثيره يسمى قليله مسكرا ما اباح لنا منه شيا والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من سقاية العباس فوجده شديدا فقطب بين حاجبيه ثم دعا بذنوب من ماء زمزم فصب عليه ثم قال اذا اغتلمت اشربتكم فاكسروها بالماء ولو كان حراما لاراقه ولما صب عليه ماء ثم شربه (وقالوا) فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خمر مسكر هو ما أسكر الفرق منه فلء الكف حرام هذا كله منسوخ نسخه شربه للصلب يوم حجة الوداع (قالوا) ومن الدليل على ذلك انه كان ينهى وفد عبد القيس عن شرب المسكر فوفدوا اليه بعد فرآهم مصفرة ألوانهم سيئة حالهم فسألهم عن قصتهم فاعلموه انه كان لهم شراب فيه قوام أبدانهم فمنعهم من ذلك فأذن لهم فى شربه وان ابن مسعود قال شهدنا التحريم وشهدتم وشهدنا التحليل وغبتم وانه كان يشرب الصلب من نبيذ التمر حتى كثرت الروايات به عنه وشهرت وأذيعت واتبعه عامة التابعين من الكوفيين وجعلوه أعظم حججهم وقال فى ذلك شاعرهم

من ذا يحرم ماء المزن خالطه ❊ فى جوف خابية ماء العناقيد

انى لاكره تشديد الرواة لنا * فيه ويعجبنى قول ابن مسعود

وانما أرادانهم كانوا يعمدون الى الرب الذى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه فيزيدون عليه من الماء قدر ما ذهب منه ثم يتركونه حتى يغلى ويسكن جاشه ثم يشربونه (وكان) عمر يشرب على طعامه الصلب ويقول يقطع هذا اللحم فى بطوننا (واحتجوا) بحديث زيد بن أخرم عن أبى داود عن شعبة عن مسعر بن كدام عن ابن عون الثقفى عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس انه قال حرمت الخمر بعينها والمسكر من كل شراب وبحديث رواه عبد الرحمن بن سليمان عن يزيد بن أبى زياد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم طاف وهو شاك على بعير ومعه محجن فلما مر بالحجر استلمه بالمحجن حتى اذا انقضى طوافه نزل فصلى ركعتين ثم أتى السقاية فقال اسقونى من هذا فقال له العباس ألا نسقيك مما يصنع فى البيوت قال ولكن اسقونى مما يشرب الناس فاتى بقدح من نبيذ فذاقه فقطب وقال هلموا فصبوا فيه الماء ثم قال زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا ثم قال اذا صنع أحدمنكم هكذا فاصنعوا به هكذا والحديث رواه يحيى بن اليمان عن الثورى عن منصور بن خالد عن سعيد عن أبى مسعود الانصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم عطش وهو يطوف بالبيت فأتى بنبيذ من السقاية فشمه فقطب ثم دعا بذنوب من ماء زمزم فصب عليه ثم شربه فقال له رجل احرام هذا يارسول الله فقال لا (وقال الشعبى) شرب اعرابى من اداوة عمر فأغشى فحده عمر وانما حده للسكر لا للشرب (ودخل) عمر بن الخطاب رضى الله عنه على قوم يشربون ويوقدون فى الاخصاص فقال نهيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم وعن الايقاد فى الاخصاص فأوقدتموهم بتأديبهم فقالوا ياأمير المؤمنين نهاك الله عن التجسس فتجسست ونهاك عن الدخول بغير اذن فدخلت فقال هاتان بهاتين وانصرف وهو يقول كل الناس أفقه منك ياعمر وانما نهاهم عن المعاقرة وادمان الشراب حتى يسكروا ولم ينههم عن الشراب وأصل المعاقرة من عقر الحوض وهو مقام الشاربة ولو كان عنده ماشربوا حراما لحدهم (وبلغه) عن عامل له بميسان انه قال

ألا ابلغ الحسناء ان حليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
اذا شئت غنتنى دهاقين قرية * وصناجة تشدو على كل ميسم
فان كنت ندمانى فبالاكبر اسقنى * ولا تسقنى بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا فى الجوسق المتهدم

فقال أى والله انه ليسوءنى ذلك فعزله وقال والله لا عمل لى عملا أبدا وانما أنكر عليه المدام وشربه بالكبير والصنج والرقص وشغله باللهو عما فوض اليه من أمور الرعية ولو كان ماشرب عنده خمرا لحده (محمد بن وضاح) عن سعيد بن نصر عن يسار عن جعفر قال سمعت مالك بن دينار وسئل عن النبيذ احرام هو فقال أنظر ثمن التمر من أين هو ولا تسأل عن النبيذ احلال هو أم حرام (وعوتب) سعيد بن زيد فى النبيذ فقال اما أنا فلا أدعه حتى يكون شر عملى (وقيل) لمحمد بن واسع أتشرب النبيذ فقال نعم فقيل وكيف تشربه فقال عند غدائى وعشائى وعند ظمئى قيل فما تركت منه قال التكأة ومحادثة الاخوان (وقال) المأمون اشرب النبيذ ما استبشعته فاذا سهل عليك فدعه وانما أراد به يسهل على شاربه اذا أخذ فى الاسكار (وقيل) لسعيد بن أسلم أتشرب النبيذ فقال لا قيل ولم قال تركت كثيره لله وقليله للناس وكان سفيان الثورى يشرب النبيذ الصلب الذى تحمر منه وجنتاه (واحتجوا) من جهة النظر ان الاشياء كلها حلال الا ماحرم الله قالوا فلا نزيل نفس الحلال بالاختلاف ولو كان المحللون فرقة من الناس فكيف وهم أكثر الفرق وأهل الكوفة أجمعوا على التحليل لا يختلفون فيه وتلوا قول الله عز وجل قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون (حدث) اسحق بن راهويه قال سمعت وكيعا يقول النبيذ أحل من الماء وعابه بعض الناس فى ذلك وقالوا كيف يكون أحل من الماء وهو وان كان حلالا فهو بمنزلة الماء وليس على وكيع فى هذا الموضع عيب ولا يرجع عليه فيه كذب لان كلمته خرجت مخرج كلام العرب فى مبالغتهم كما يقولون هو أشهر من الصبح وأسرع من البرق وأبعد من النجم وأحلى من العسل وأحر من النار ولم يكن أحد من الكوفيين يحرم النبيذ غير عبد الله بن ادريس وكان بذلك معيبا (وقيل) لابن ادريس من خيار أهل الكوفة فقال هؤلاء الذين يشربون النبيذ قيل وكيف وهم يشربون مايحرم عندك قال ذلك مبلغهم من العلم (وكان ابن المبارك) يكره شرب النبيذ ويخالف فيه رأى المشايخ وأهل البصرة قال أبو بكر بن عياش من أين جئت بهذا القول فى كراهيتك النبيذ ومخالفتك أهل بلدك قال هو شىء اخترته لنفسى قال فتعيب من شربه قال لا قلت أنت وما اخترت (وكان) عبد الله بن داود يقول ماهو عندى وماء الفرات الاسواء (وكان) يقول أكره ادارة القدح وأكره نقيع الزبيب وأكره المعتق (قال) ومن ادار القدح لم تجز شهادته (وشهد) رجل عند سوار القاضى فرد شهادته لانه كان يشرب

النبيذ فقال

أما الشراب فانى غير تاركه * ولا شهادة لى ماعاش سوار

(حدث شبابة) قال حدثنى غسان بن أبى صباح الكوفى عن أبى سلمة يحيى بن دينار عن أبى المظهر الوراق قال بينا زيد بن على فى بعض ازقة الكوفة اذ مر به رجل من الشيعة فدعاه الى منزله واحضر طعاما فتسامعت به الشيعة فدخلوا عليه حتى غص المجلس بهم فاكلوا معه ثم استسقى فقيل له أى الشراب نسقيك يا ابن رسول الله قال اصلبه واشده فاتوه بعتيق من نبيذ فشرب وادار العس عليهم فشربوا ثم قالوا يا ابن رسول الله لو حدثتنا فى هذا النبيذ بحديث رويته عن أبيك عن جدك فان العلماء يختلفون فيه قال نعم حدثنى أبى عن جدى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لتركبن طبقة بنى اسرائيل حذو القدة بالقدة والنعل بالنعل الا وان الله ابتلى بنى اسرائيل بنهر طالوت أحل منه الغرفة والغرفتين وحرم منه الرى وقد ابتلاكم بهذا النبيذ أحل منه القليل وحرم منه الكثير (وكان) أهل الكوفة يسمون النبيذ نهر طالوت (وقال فيه شاعرهم)

اشرب على طرب من نهر طالوت * حمراء صافية فى لون ياقوت

من كف ساحرة العينين شاطرة * تربى على سحر هاروت وماروت

لها تماويت الحاظ اذا نظرت * فنار قلبك من تلك التماويت

﴿حديث الحرث بن كلدة طبيب العرب مع كسرى انوشروان الفارسى﴾ روى ان الحرث بن كلدة الثقفى وفد على كسرى أنوشروان فأذن له بالدخول فانتصب بين يديه فقال له كسرى من أنت قال أنا الحرث بن كلدة قال اعرابى قال نعم من صميمها قال فما صناعتك قال طبيب قال وما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها فقال ذلك أجدر أيها الملك اذا كانت بهذه الصفة ان تحتاج الى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل اسنادها قال الملك كيف لها بان تعرف ما تعهده عليها لو عرفت الحق لم تنسب الى الجهل قال الحرث أيها الملك ان الله جل اسمه قسم العقول بين العباد كما قسم الارزاق وأخذ القوم نصيبهم ففيهم ما فى الناس من جاهل وعالم وعاجز وحازم قال الملك فما الذى تجد فى اخلاقهم وتحفظ من مذاهبهم قال الحرث لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحية مرضية واحساب نقية فيمرق

الكلام من افواههم مروق السهم من الوتر ألين من الماء وأعذب من الهواء يطعمون الطعام و يضربون الهام وعزهم لايرام وجارهم لايضام ولايروع اذا نام لايقرون بفضل أحد من الاقوام ماخلا الملك الهمام الذى لايقاس به أحد من الانام (قال) فاستوى كسرى جالسا ثم التفت الى من حوله فقال أطرى قومه فلولا ان تدار كه عقله لذم قومه غير انى أراه ذا عمى ثم أذن له بالجلوس فقال كيف نظرك بالطب قال ناهيك قال فما أصل الطب قال ضبط الشفتين والرفق باليدين قال أصبت الدواء فما الداء قال ادخال الطعام على الطعام هو الذى افنى البرية وقتل السباع فى البرية قال أصبت فما الجمرة التى تلهب منها الادواء قال هى التخمة ان بقيت فى الجوف قتلت وان تحللت اسقمت قال فما تقول فى اخراج الدم قال فى نقصان الهلال فى يوم صحو لاغيم فيه والنفس طيبة والسر و رحاضر قال فما تقول فى الحمام قال لاتدخل الحمام شبعان ولا تغش أهلك سكران ولا تنم بالليل عريان وارفق بجسمك يكن ارجى لنسلك قال فما تقول فى شرب الدواء قال اجتنب الدواء مالزمتك الصحة فاذا احسست بحركة الداء فاحسمه بما يردعه فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت وان افسدتها خربت قال فما تقول فى الشراب قال اطيبه اهناه وارقه امراه ولا تشرب صرفا يورثك صداعا و يثير عليك من الداء أنواعا قال فاى اللحمان أحمد قال الضأن الفتى أسمنه وابذله واجتنب أكل القديد والمالح والمعز والبقر قال فما تقول فى الفاكهة قال كلها فى اقبال دولتها واتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها وأفضل الفاكهة الرمان والاترج وأفضل البقول الهندبا والخس وأفضل الرياحين الورد والبنفسج قال فما تقول فى شرب الماء قال هو حياة البدن و به قوته و ينفع ماشرب منه بقدر وشربه بعد النوم ضرر وأفضل المياه مياه الانهار العظام ابرده واصفاه قال فما طعمه قال شىء لايوصف ومشتق من الحياة قال فمالونه قال اشتبه على الابصار لونه يحكى لون كل شىء يكون فيه قال فاخبرنى عن أصل الانسان ماهو قال أصله من حيث يشرب الماء يعنى رأسه قال فما هذا النور الذى يبصر به الاشياء قال العين مركبة من أشياء فالبياض شحمة والسواد مائع قال فعلى كم طبع هذا البدن قال أربع طبائع على المرة السوداء وهى باردة يابسة والمرة الصفراء وهى حارة يابسة والدم وهو حار رطب والبلغم وهو بارد رطب قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من شىء واحد لم ينحل ولم يمرض ولم يمت قال فمن طبعين ما حال الاقتصار عليهما قال لم يجز

لانهما ضدان قبيلان ولذلك لم يجز من ثلاثة موافقين ومخالف قال فاجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة قال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مز معتدل وفى المرحار وبارد قال فما أفضل ماعولج به المرة السوداء قال بكل حار لين قال فالرياح قال الحقن اللينة والادهان الحارة قال افتأمر بالحقن قال نعم قرأت فى بعض الكتب ان الحقنة تنقى الجوف وتكسح الادواء عنه وعجبت لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد وان الجهل كل الجهل من أكل ماقد عرف مضرته فيؤثر شهوته على راحة بدنه قال فما الحمية قال الاقتصاد فى كل شىء فانه اذا أكل فوق المقدار ضيق على الروح ساحته قال فما تقول فى اتيان النساء قال كثرة غشيتهن ردىء واتيان المرأة المولية فانها كالشن البالى تستقم بدنك وتجذب قوتك ماؤها سم قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك ولا تعطيك عليك باتيان الشباب فان الشابة ماؤها عذب زلال ومعانقتها غنج ودلال فوها بارد وريحها طيب ورحمها حرج تزيدك قوة ونشاطا قال فاى النساء القلب لها ابسط والعين برؤيتها آنس قال ان اصبتها مديدة القامة عظيمة الهامة واسعة الجبين عريضة الصدر مليحة النحر ناهدة الثديين ضيقة الخصر والقدمين بيضاء فرعاء جعدة غضة تخالها فى الظلمة بدرا زاهرا تبسم عن اقحوان باهر وان تكشف تكشف عن بيضة مكنونة وان تعانق تعانق ماهو الين من الزبد وأحلى من الشهد وأعظم من القند وأبرد من الفردوس والخلد وأذكى ريحا من الياسمين والورد قال فاستضحك كسرى حتى اختلفت كتفاه قال فاى الاوقات أفضل قال عند ادبار الليل يكون الجوف اخلى والنفس اشهى والرحم ادفا قال فأى الاوقات ألذ وأطرب قال نهارا يزيدك النظر انتشارا قال كسرى لله درك من عربى لقد أعطيت علما وخصصت به من بين الحمقى وفطنة وفهما ثم أمر باعطائه وصلته وقضى حوائجه (وجدت) فى بعض النسخ زيادة فأوردتها وهى حضر ابن أبى الحوارى بالشام وكان معروفا بالرقائق والزهد مائدة صالح العباسى مع فقهاء البلد فحدثنى البحترى عن عبادة وكان ممن حضر المجلس أنه بعث اليه بقدح نبيذ فشربه ثم بعث اليه بثان فامتنع من شربه فأخذه الناس بألسنتهم وقالوا شربت المسكر على اخونة هؤلاء وصرت لهم حجة قال حسبكم أردتم ان أكون ممن قال الله تعالى فيهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم فكيف ادعه لكم وأشربه بعين الله (وقال) بعض القضاة لرجل كان يعذله بلغنى انك تشرب المسكر فقال ما اشرب المسكر ولكنى اشرب النبيذ الصلب فأين

هؤلاء فى ترك الرياء والتصنع من رجل سرقت نعله فلم يشتر نعلا حتى مات فعوتب فى ذلك قال اخشى ان اشترى نعلا فيسرقها أحد فيأثم (وآخر) لما نظر أهل عرفات قال ما أظن الله الا قد غفر لهم لولا انى كنت فيهم (وآخر) أمر له عمر بن الخطاب بكيس فقال آخذ الكيس والخيط فقال عمر دع الكيس (ورجل) سأل ابن المبارك فقال انى قاسمت اخوتى مقسما فى بطن افترى لى ان ادخله أ كثر مما يدخله شركائى (وآخر) قال افطرت البارحة على رغيف وزيتونة وثلث أو زيتونة وربع أو ماعلم الله من زيتونة أخرى فقال له بعض من حضر اجلس يافتى انه بلغنا من الورع ما يبغضه الله وأظنه ورعك هذا (الاعمش) قال أتانى عبد الله بن سعيد بن أبى بكر فقال لى ألا تعجب جاءنى رجل فقال دلنى على شىء اذا اكلته أمرضنى فقد استبطأت العلة وأحببت ان اعتل فأوجر فقلت له سل الله العافية واستدم النعمة فان من شكر على النعمة كمن صبر على البلية فألح على فقلت له كل السمك واشرب نبيذ الزبيب ونم فى الشمس واستمرض الله يمرضك ان شاء الله (هرون بن داود) قال شرب رجل عند خمار نصرانى فأصبح ميتا فاجتمع عليه الناس وقالوا للخمار أنت قتلته قال لا والله ولكن قتله استعماله قوله

وأخرى تداويت منها بها



٢٥

كتاب اللؤلؤة الثانية

﴿ فى الفكاهات والملح ﴾

﴿ قال الفقيه ﴾ أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه تغمده الله برحمته قد مضى قولنا فى الطعام والشراب وما يتولد منهما و ينسب اليهما ونحن قائلون بما ألفناه فى كتابنا هذا من الفكاهات والملح التى هى نزهة النفس و ربيع القلب ومرتع السمع ومجلب الراحة ومعدن السرور قال النبي صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت (وقال) على بن أبى طالب رضوان الله عليه أجموا هذه القلوب والتمسوا لها طرف الحكمة فانها تمل كما تمل الابدان والنفس مؤثرة الهوى آخذة الهوينى جانحة الى اللهو أمارة بالسوء مستوطنة للعجز طالبة للراحة نافرة عن العمل فان اكرهتها انضيتها وان اهملتها أرديتها (ودخل) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه وهو ينام نومة الضحى فقال يا أبت اتنام وأصحاب الحوائج راكدون ببابك قال يا بنى ان نفسى مطيتى فان أنضيتها قطعتها ومن قطع المطى لم يبلغ الغاية (وكان) النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه (وكان) محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه (وقال) صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يطرب وقال كل كريم طروب (وقال) هشام بن عبد الملك قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما طعما وشممت الطيب حتى ما أجد له رائحة وأتيت النساء حتى ما أبالى امرأة أتيت أو حائطا ماوجدت شيأ ألذ من جليس تسقط بينى و بينه مؤنة التحفظ (وقيل) لعمرو بن العاص ما ألذ الاشياء قال ليخرج من ههنا من الاحداث فخرجوا فقال ألذ الاشياء اسقاط المروأة وقيل لمسلم بن عبد الملك ما الذ الاشياء فقال هتك

الحياء واتباع الهوى وهذه المنزلة من أعمال النفس وهتك الحياء قبيحة كما ان المنزلة الاخرى من الغلو فى الدين والتعسف فى الهيبة قبيحة أيضا وانما المحمود منهما التوسط وان يكون لهذا موضعه ولهذا موضعه (وقال) مطرف بن عبدالله لولده يابنى ان الحسنة بين السيئتين يريد بين المجاوزة والتقصير وخير الامور أوساطها وشر السير الحقحقة (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا بقى (وفى بعض الكتب المترجمة) ان يوحنا وشمعون كانا من الحواريين وكان يوحنا لا يجلس مجلسا الا ضحك وأضحك من حوله وكان شمعون لا يجلس مجلسا الا بكى وأبكى من حوله فقال شمعون ليوحنا ما أكثر ضحكك كانك قد فرغت من عملك فقال له يوحنا ما أكثر بكاءك كانك قد يئست من ربك فأوحى الله الى المسيح ان أحب السيرتين الى سيرة يوحنا (وفى بعض) الكتب أيضا ان عيسى ابن مريم لقى يحيي بن زكريا عليهم الصلاة والسلام فتبسم اليه يحيي فقال له عيسى انك لتبسم تبسم آمن فقال له يحيي انك لتعبس عبوس قانط فأوحى الله الى عيسى ان الذى يفعل يحيي أحب الى (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم يدخل عثمان الجنة ضاحكا لانه كان يضحكنى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو أرمد فوجده يأكل تمرا فقال له أتأكل تمرا وأنت أرمد فقال انما آكل من الجانب الآخر فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه (وكانت) سويداء لبعض الانصار تختلف الى عائشة فتلعب بين يديها وتضحكها وربما دخل النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة فيجدها عندها فيضحكان جميعا ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم فقدها فقال ياعائشة مافعلت السويداء قالت له انها مريضة فجاءها النبى صلى الله عليه وسلم يعودها فوجدها فى الموت فقال لاهلها اذا توفيت فآذنونى فلما توفيت آذنوه فشهدها وصلى عليها وقال اللهم انها كانت حريصة على أن تضحكنى فأضحكها فرحا (وقيل) لابى نواس قد بعثوا الى أبى عبيدة والاصمعى ليجمعوا بينهما فقال اما أبو عبيدة فان خلوه وسفرا اقرأ عليهم أساطير الاولين والآخرين وأما الاصمعى فبلبل فى قفص يطربهم بصفيره (قال) ابن اسحق وقد طرب الصالحون وضحكوا ومزحوا واذا مدحت العرب رجلا قالوا هو ضحوك السن بسام الثنيات هش الى الضيف فاذا ذمته قالوا هو عبوس الوجه جهم المحيا كريه المنظر جاحظ الوجه كانما وجهه بالخل منضوح وكانما اسعط خيشومه بالخردل (وكتب) يحيي بن خالد الى الفضل ابنه وهو بخراسان يابنى لا تغفل نصيبك من الكبل وهذا

جزء جامع لكل ماقصدنا اليه من هذا المعنى لان بالكسل تكون الراحة و بالراحة يكون ثبات النشاط و بالنشاط يصفو الذهن و يصدق الحس و يكثر الصواب قال الشاعر

انما للناس منا * حسن خلق ومزاح
ولنا ما كان فينا * من فساد وصلاح

١ — باب من المناكهات — (حدث) عباس بن الاحنف حدث ابو العباس محمد بن يزيد المبرد قال حدثنا محمد بن عامر الحنفي وكان من سادات بكر بن وائل وادركته شيخا كبيرا مملقا وكان اذا أفاد على املاقه شيأ جاد به وقد كان قد يما ولى شرطة البصرة فحدثني هذا الحديث الذي ذكره ووقع الى من غير ناحيته ولا اذكر ما بينهما من الزيادة والنقصان الا أن معاني الحديث مجموعة فيما اذكر لك ذكر ان فتيانا كانوا مجتمعين في نظام واحد كلهم ابن نعمة وكلهم قد شردعن أهله وقنع باصحابه فذكر ذا كر منهم قال كنا اكترينا دارا شارعة على أحد طرق بغداد المعمورة بالناس وكنا نفلس احيانا ونوسر أحيانا على مقدار ما يمكن الواحد من أهله وكنا لا ننكر أن تقع مؤنتنا على واحد منا اذا أمكنه و يبقى الواحد منا لا يقدر على شيء فيقوم به أصحابه الدهر الاطول وكنا اذا أيسرنا اكلنا من الطعام ألينه ودعونا الملهين والملهيات وكان جلوسنا في أسفل الدار فاذا عدمنا الطرب جلسنا في غرفة لنا نتمتع منها بالنظر الى الناس وكنا لا نخل بالنبيذ في عسر ولا يسر فانا لكذلك يوما اذا بفتى يستأذن علينا فقلنا له اصعد فاذا رجل نظيف حلو الوجه سرى الهيئة ينبيء رواؤه على انه من أبناء النعم فأقبل علينا فقال انى سمعت بمجتمعكم وحسن منادمتكم وصحة الفتكم حتى كانكم أدرجتم في قالب واحد فأحببت أن أكون واحدا منكم فلا تحتشموني قال وصادف ذلك منا اقتارا من القوت وكثرة من النبيذ وقد كان قال لغلام له أول ما يأذنون لى ان أكون كاحدهم هات ماعندك فغاب الغلام عنا غير كثير ثم أتانا بسلة خيزران فيها طعام المطبخ من جدى ودجاج وفراخ ورقاق واشنان ومحاب وأخلة فأصبنا من ذلك ثم افضنا في شرابنا وانبسط الرجل فاذا أحلى خلق الله اذا حدث واحسنهم استماعا اذا حدث وامسكهم عن ملاحاة اذا خولف ثم أفضينا منه الى أكرم مخالفة وأجمل مساعدة وكنا ربما امتحناه بان ندعوه الى الشيء الذي نعلم انه يكرهه فيظهر لنا انه لا يحب غيره و يرى ذلك في اشراق وجهه فكنا نغنى به عن حسن الغناء ونتدارس أخباره وآدابه فشغلنا ذلك عن تعرف اسمه ونسبه فلم يكن منا الا تعرف الكنية فانا سألناه عنها فقال أبو الفضل فقال لنا يوما بعد

اتصال الانس الا اخبركم بم عرفتكم قلنا انا لنحب ذلك قال أحببت جارية فى جواركم وكانت سيدتها ذات حبائب فكنت أجلس لها فى الطريق التمس اجتيازها فاراها حتى اخلقنى الجلوس على الطريق ورأيت غرفتكم هذه فسألت عن خبرها فخبرت عن ائتلافكم وتمالؤكم ومساعدة بعضكم بعضا فكان الدخول فيما أنتم فيه أسر عندى من الجارية فسألناه عنها فخبرنا فقلنا له نحن نختدعها حتى نظفرك بها فقال يا اخوانى انى والله على ماترون منى من شدة الشغف والكلف بها ماقدرت فيها حراما قط ولا نقدير الامطاولتها ومصابرتها الى أن يمن الله بثروة فاشتريها فاقام معنا شهرين ونحن على غاية الاغتباط بقربه والسرور بصحبته الى ان اختلس منا فنالنا بفراقه ثكل ممض ولوعة مؤلمة ولم نعرف له منزلا نلتمسه فيه فكدر علينا من العيش ما كان طاب لنا به وقبح عندنا ما كان حسن بقربه وجعلنا لا نرى سرورا ولا غما الا ذكرناه لاقضال السرور بصحبته وحضوره والغم بمفارقته فكنا فيه كما قال الشاعر

يذكرنيهم كل خير رأيته * وشر فما انفك منهم على ذكر

فغاب عنا زهاء عشرين يوما فبينما نحن مجتازون يوما من الرصافة اذا به قد طلع فى موكب نبيل وزى جليل فلما بصر بنا انحط عن دابته وانحط غلمانه ثم قال يا اخوانى والله ماهنا لى عيش بعدكم ولست أماطلكم بخبرى حتى آتى المنزل ولكن ميلوا بنا الى المنزل فملنا معه فقال اعرفكم أولا بنفسى أنا العباس بن الاحنف وكان من خبرى بعدكم انى خرجت الى منزلى من عندكم فاذا المسودة محيطة بى فمضى بى الى دار أمير المؤمنين فصرت الى يحيى بن خالد فقال لى ويحك ياعباس انما اخترتك من ظرفاء الشعراء لقرب مأخذك وحسن تأتيك وان الذى ندبتك له من شأنك وقد عرفت خطرات الخلفاء وانى أخبرك ان ماردة هى الغالبة على أمير المؤمنين اليوم وانه جرى بينهما عتب فهى بذلة المعشوق تأبى ان تعتذر وهو بعز الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك وقد رمت الامر من قبلهما فأعيانى وهو أحرى ان تستعبده الصبابة فقل شعرا يسهل عليه هذه السبيل فقضى كلامه ثم دعانى الى أمير المؤمنين فصرت اليه وأعطيت قرطاسا ودواة فاعترانى الزمع واذهب عنى ما أريد للاستحثاث فتعذرت على كل عروض ونفرت عنى كل قافية ثم انفتح لى شىء والرسل تعتبنى فجاءتنى أربعة أبيات رضيتها وقعت صحيحة المعنى سهلة الالفاظ ملائمة لما طلب منى فقلت لاحد الرسل أبلغ الوزير انى قد قلت أربعة أبيات فان كان بها مقنع وجهت بها فرجع الى الرسول بان هاتها ففى أقل منها مقنع وفى ذهاب الرسول ورجوعه قلت

بيتين من غير ذلك الروى فكتبت الابيات الاربعة فى صدر الرقعه وعقبت بالبيتين فقلت

العاشقان كلاهما متغضب * وكلاهما متوجد متعتب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا * وكلاهما مما يعالج متعب
راجع احبتك الذين هجرتهم * ان المتيم قلما يتجنب
ان التجنب ان تطاول منكما * دب السلوله وعز المطلب

(ثم كتبت تحت ذلك)

لابد للعاشق من وقفة * تكون بين الهجر والصرم
حتى اذا الهجر تمادى به * راجع من يهوى على رغم

ثم وجهت بالكتاب الى يحيى بن خالد فدفعه الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا والله لكأنى قصدت به فقال له يحيى وأنت والله ياامير المؤمنين المقصود به هذا يقوله العباس فى هذه القصة فلما قرأ البيتين وأفضى الى قوله * راجع من يهوى على رغم * استغرب ضحكا حتى سمعت ضحكه ثم قال اى والله أراجع على رغم ياغلام هات نعلى فنهض واذهله السرور عن ان يأمر لى بشيء فدعانى يحيى وقال ان شعرك قد وقع بغاية الموافقة واذهل أمير المؤمنين السرور عن ان يأمر لك بشيء قلت لعل هذا الخبر ما وقع منى بغاية الموافقة ثم جاء غلام فساره فنهض وثبت مكانه فنهضت بنهوضه ثم قال لى ياعباس أمسيت انبل الناس اتدرى ماسارنى به هذا الرسول قلت لا قال ذكر لى ان ماردة تلقت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه ثم قالت له يا أمير المؤمنين كيف كان هذا فناولها الشعر وقال هذا أتى بى اليك قالت فمن يقوله قال عباس بن الاحنف قالت فبم كوفىء قال مافعلت شيأ بعد قالت اذا والله لا أجلس حتى يكافأ قال فأمير المؤمنين قائم لقيامها وانا قائم لقيام أمير المؤمنين وهما يتناظران فى صلتك فهذا كله لك قلت مالى من هذا الا الصلة ثم قال هذا أحسن من شعرك قال فأمر لى أمير المؤمنين بمال كثير وأمرت لى ماردة بمال دونه وأمر لى الوزير بمال دون ما أمرت به وحملت على ماترون من الظهر ثم قال الوزير من تمام اليد عندك ان لاتخرج من الدار حتى يؤهل لك هذا المال ضياعا فاشتريت لى ضياعا بعشرين الف درهم ودفع الى بقية المال فهذا الخبر الذى عاقنى عنكم فهلموا حتى أقاسمكم الضياع وافرق فيكم المال قلنا له هناك الله فكل منا يرجع الى نعمة من أبيه فاقسم وأقسمنا فقال أسوتى فيه فقلنا اما هذه فنعم قال فامضوا بنا الى الجارية حتى نشتريها فمشينا الى صاحبتها

وكانت جارية جميلة حلوة لاتحسن شيأ أكثر مافيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل وكانت تساوي على وجهها خمسين ومائة دينار فلما رأى مولاها ميل المشتري استام بها خمسمائة فأجبناه بالعجب فحط مائة ثم حط مائة ثم قال العباس يافتيان انى والله أحتشم أن أقول بعد ماقلتم ولكنها حاجة فى نفسي بها يتم سروري فان ساعدتم فعلت قلنا له قل قال هذه الجارية أنا أعاينها منذ دهر وأريد ايثار نفسي بها فأكره أن تنظر الىّ بعين من قد ماكس فى ثمنها دعونى أعطه بها خمسمائة دينار كما سأل قلنا له وانه قد حط مائتين قال وان فعل قال فصادفت من مولاها رجلا حرا فأخذ ثلثمائة وجهزها بالمائتين فما زال الينا محسنا حتى فرق الموت بيننا

﴿ حديث المجرد ﴾ قال اسحق بن ابراهيم قال لى وهب الشاعر والله لاحدثنك حديثا ماسمعه منى أحد قط قال وهو بامانة ان يسمعه أحد منك مادمت حيا قلت انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها قال ياأبا محمد انه حديث ماظن فى أذنك أعجب منه قلت كم هذا التعقيد بالامانة آخذه على ماأحببت قال بينا أنا بسوق الليل بمكة بعد أيام الموسم اذ أنا بامرأة من نساء مكة معها صبي يبكي وهي تسكته فيأبى أن يسكت فسفرت فأخرجت من فيها كسرة درهم فدفعتها الى الصبي فسكت فاذا وجه رقيق كأنه كوكب درى واذا شكل رطب ولسان فصيح فلما رأتني أحد النظر اليها قالت اتبعني فقلت ان شريطتي الحلال قالت ارجع فى حرامك ومن يريدك على حرام فخجلت وغلبتني نفسي على رأيي فتبعتها فدخلت زقاق العطارين فصعدت درجة وقالت اصعد فصعدت فقالت أنا مشغولة وزوجي رجل من بنى مخزوم وأنا امرأة من زهرة ولكن عندي حر ضمن عليه وجه أحسن من العافية فى مثل خلق ابن سريج وترنم معبد وتيه ابن عائشة اجمع لك هذا كله فى بدن واحد بأشقر سليم قلت وما أشقر سليم قالت بدينار واحد يومك وليلتك فاذا اقمت جعلت الدينار وظيفة وتزوجا صحيحا قلت فذلك لك اذا جمع لى ماذكرت قال فصفقت بيدها الى جاريتها فاستجابت لها قالت قولى لفلانة البسي عليك ثيابك وعجلى وبالله لاتمسي عمرا ولاطيبا فحسبك بدلالك وعطرك قال فاذا جارية أقبلت ماأحسب ان الشمس وقعت عليها كأنها دمية فسلمت وقعدت كالخجلة فقالت لها الاولى ان هذا الذي ذكرته لك وهو فى هذه الهيئة التي ترين قالت حياه الله وقرب داره قالت وقد بذل

لك من الصداق دينارا قالت أى أم أخبرتيه شريطتى قالت لا والله يابنية لقد نسيتها ثم نظرت الىّ فغمزتنى وقالت أتدرى ماشريطتها قلت لا قالت أقول لك بحضورها ماخالها تكرههى والله أفتك من عمرو بن معديكرب وأشجع من ربيعة بن مكدم ولست بواصل اليها حتى تسكر ويغلب على عقلها فاذا بلغت ذلك الحال قفها مطمع قلت ماأهون هذا وأسهله قالت الجارية وتركت شيأ آخر قالت نعم والله أعلم انك لن تصل اليها حتى تجردها وتراك مجردا مقبلا ومدبرا قات وهذا أيضا افعله قالت هلم دينارك فأخرجت دينارا فنبذته اليها فصفقت صفقة أخرى فأجابتها امرأة قالت قولى لابى الحسن وأبى الحسين هلما الساعة فقلت فى نفسى أبو الحسن وأبو الحسين هو على بن أبى طالب قال فاذا شيخان خاضبان نبيلان قد أقبلا فصعدا فقصت المرأة عليهما القصة فخطب أحدهما وأجاب الآخر وأقررت بالتزويج وأقرت المرأة فدعوا بالبركة ثم نهضا فاستحييت أن أحمل المرأة شيأ من المؤنة فأخرجت دينارا آخر فدفعته اليها وقلت اجعلى هذا لطيبك قالت ياأخى لست ممن عس طيبا لرجل انما أتطيب لنفسى اذا خلوت قلت فاجعلى هذا لغدائنا اليوم قالت أما هذا فنعم فنهضت الجارية وأمرت باصلاح مايحتاج اليه ثم عادت وتغدينا وجاءت بداوة وقضيب وقعدت تجاهى ودعت بنبيذ فأعدته واندفعت تغنى بصوت لم أسمع مثله قط فانى ألفت القينات نحوا من ثلاثين سنة ماسمعت مثل ترنمها قط فكدت أجن سرورا وطربا فجعلت أربع ان تدنو منى فتأبى الى أن غنت بشعر لم أعرفه وهو

راحوا يصيدون الظباء وانى * لارى تصيدها علىّ حراما
اعزز علىّ بأن أروع شبهها * أوان تذوق على يدى حماما

فقلت جعلت فداك من يغنى هذا قالت اشترك فيه جماعة هو لمعبد وتغنى به ابن شريح وابن عائشة فلما نعى الينا النهار وجاءت المغرب تغنت بصوت لم أفهمه للشقاء الذى كتب علىّ فقالت

كانى بالمجرد قد علته * نعال القوم أوخشب السوارى

قلت جعلت فداك ماأفهم هذا البيت ولاأحسبه مما يتغنى به قالت أنا أول من تغنى به قلت فانما هو بيت عابر لاصاحب له قالت معه آخر ليس هذا وقته هو آخر ماتغنى به قال وجعلت لاأنازعها فى شىء اجلالا لها فلما أمسينا وصلينا المغرب وجاءت العشاء

الاخيرة وضعت القضيب فقمت فصليت العشاء وما أدرى كم صليت عجلة وشوقا فلما صليت قلت تأذنين جعلت فداك فى الدنو منك قالت تجرد وأشارت الى ثيابها كانها تريد أن تجرد فكدت أن أشق ثيابى عجلة للخروج منها فتجردت وقمت بين يديها قالت امض الى زاوية البيت واقبل وادبر حتى أراك مقبلا ومدبرا قال واذا حصير فى الغرفة على الطريق الى زاوية البيت فخطرت عليه واذا تحته خرق الى السوق فاذا أنا فى السوق مجردا منعظا واذا الشيخان الشاهدان قد اعدا نعالهما على قفاى واستعانا باهل السوق فضربت والله يا أبا محمد حتى نسيت اسمى فبينا أنا أضرب بنعال مخصوفة وايد مشدودة فاذا صوت يغنى به من فوق البيت وهو

ولو علم الجرد ما أردنا * خار بنا الجرد بالصحارى

فقلت فى نفسى هذا والله وقت هذا البيت فنجوت الى رحلى ومافى عظم صحيح فسالت عنها فقيل لى انها امرأة من آل أبى لهب فقلت لعنها الله ولعن الذى هى منه

﴿ يوم دارة جلجل ﴾ قال الفرزدق وأصابنا بالبصرة ليلا مطر جود فلما أصبحت ركبت بغلتى وسرت الى المربد فاذا أنا بآثار دواب وقد خرجت الى ناحية البرية فظننت انهم قوم خرجوا للنزهة وهم خلقاء ان يكون معهم سفرة فاتبعت آثارهم حتى انتهيت الى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير فاسرعت الى الغدير فاذا فيه نسوة مستنقعات فى الماء فقلت لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جلجل وانصرفت مستحيا فنادينى يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شىء فرجعت اليهن فقعدن فى الماء الى حلوقهن ثم قلن بالله الا ما أخبرتنا ما كان من حديث دارة جلجل قلت حدثنى جدى وأنا يومئذ غلام حافظ ان امرأ القيس كان عاشقا لابنة عمه و يقال لها عنيزة وانه طلبها زمانا فلم يصل حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل وذلك ان الحى تحملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ماسار مع رجال قومه غلوة فكمن فى غابة من الارض حتى مر به النساء وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن لو نزلنا واغتسلنا فى هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال فنزلن فى الغدير ونحين العبيد ثم تجردن فوقفن فيه فأتاهن امرؤ القيس فأخذ ثيابهن فجمعها وقعد عليها وقال والله لا أعطى جارية منكن ثوبها ولو قعدت فى الغدير يومها حتى تخرج متجردة فتأخذ ثوبها فابين ذلك عليه حتى تعالى

النهار وخشين أن يقصرن عن المنزل الذى يردنه نخرجن جميعا غير عنيزة فناشدته الله أن يطرح ثوبها فأبى فخرجت فنظر اليها مقبلة ومدبرة وأقبلن عليه فقلن له انك عذبتنا وحبستنا وأجعتنا قال فان نحرت لكن ناقتى أتأكلن معى قلن نعم فجرد سيفه فعرقبها ونحرها ثم كشطها وجمع الخدم حطبا كثيرا فاججن نارا عظيمة فجعل يقطع أطايبها و يلقى على الجمر و يأكلن و يأكل معهن و يشرب من فضلة كانت معه و يسقيهن و ينبذ الى العبيد من الكباب فلما أرادوا الرحيل قالت احداهن أنا أحمل طنفسته وقالت الاخرى أنا أحمل رحله ونساعده فتقسمن متاعه وزاده و بقيت عنيزة لم تحمل له شيأ فقال لها يابنت الكرام لابد أن تحمليني معك فانى لا أطيق المشى فحملته على غارب بعيرها فكان يجنح اليها فيدخل رأسه فى خدرها فيقبلها فاذا امتنعت مال حدجها فتقول عقرت بعيرى فانزل ففى ذلك يقول

و يوم عقرت للعذارى مطيتى * فياعجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل
و يوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات انك مرجلى
تقول وقد مال الغبيط بنا معا * عقرت بعيرى ياامرأ القيس فانزل
فقلت لها سيرى وارخى زمامه * ولا تبعدينى من جناك المعلل

وكان الفرزدق أروى الناس لاخبار امرىء القيس واشعاره وذلك ان امرأ القيس رأى من أبيه جفوة فلحق بعمه شراحيل بن الحرث وكان مسترضعا فى بنى دارم فاقام فيهم وهم رهط الفرزدق

﴿ خبر دعبل وصريع الغوانى ﴾ حدثنا أبوسويد بن أبى عتاهية عن دعبل بن على الشاعر قال بينا أنا ذات يوم بباب الكرخ وأنا سائر وقد احتوى الفكر على قلبى فى أبيات شعر قد نطق بها اللسان من غير اعتناد جنان فقلت

دمع عينى لها انبساط * ونوم عينى به انقباض

فاذا أنا بجارية فائقة الجمال حوراء الطرف يقصر عن نعتها الوصف لها وجه زاهر ونور باهر فهى كما قال الشاعر

كانما أفرغت فى قشر لؤلؤة * فى كل جارحة منها لها قمر

وهى تسمع فاعترضتنى فقالت

هـذا قليـل لمن دهتـه * بلحظها الاعـين المراض

{ فاجبتها }

فهل لمولاى عطف قلب * أو للذى فى الحشا انقراض

{ فاجابتنى فقالت }

ان كنت تبغى الوداد منا * فالود فى ديننا قـراض

قال دعبل فلم أعلمنى خاطبت جارية تقطع الانفاس بعذوبة ألفاظها وتختلس الارواح ببراعة منطقها وتذهل الالباب برخيم نغمتها مع تلاعة جيـد ورشاقة قد وكمال عقـل وبراعة شكل واعتدال خلق فحار والله البصر وذهب اللب وجل الخطب وتلجلج اللسان وتغلغلت الرجـلان وماظنـك بالحلفاء اذ دنت من النار ثم ثاب الى عقلى وراجعنى حلمى فـذكرت قول بشار

لا يمنعنـك من مخـدرة * قـول تغلظـه وان جرحا

عسر النساء الى مياسرة * والصعب يمكن بعد ما جمحا

هذا لمن حاول مادون الطمع فيه اليأس فكيف بمن وعد قبل المسئلة وبذل قبل الطلبة فقلت مسمعا لها

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشـتاق

{ فقالت مجيبة لى فى أسرع من نفس }

ماللزمان يقال فيـه وانما * أنت الزمان فسرنا بتـلاق

قال دعبل فلحظتها ومضيت وتبعتنى وذلك فى أيام املاقى فقلت مالى الا منزل مسلم صريع الغوانى فسرت الى بابه فاستوقفتها وناديته فخرج فقلت له أكمل الخيرمى وجه صبيح يعـدل الدنيا بما فيها وقد حصل على ضـيقة وعسر فقال قد شكوت ما كدت أباديك لشكواه ائت بها فلما دخلت قال والله لا أملك غير هذا المنديل فقلت هو البغية فتناولته فقال خذه لا بارك الله لك فيه فأخذته فبعتـه بدينار وكسر فاشتريت لحما وخبزا ونبيـذا وصرت اليـه فاذاهما يتساقطان حـديثا كانه قطع الروض الممطور قال ماصنعت فأخبرته قال كيف يصـلح طعام وشراب وجـلوس مع وجـه نظيف بلا نقـل ولا ريحان ولا طيب اذهب فالطف لتمام ما كنت أوله

قال فخرجت فاضطربت فى ذلك حتى أتيت به فألقيت باب الدار مفتوحا فدخلت فاذا لا يرى لهما ولا لشىء مما أوتيت به أثر فسقط فى يدى وقلت أرى صاحب الربع أخذهما فبقيت متلهفا حائرا أرجم الظنون وأجيل الفكر سائر يومى فلما أمسيت قلت فى نفسى أفلا أدور فى البيت لعل الطلب يوقفنى على أثر ففعلت فوقفت على باب سرداب له واذا هما قد هبطا فيه وأنزلا معهما جميع ما يحتاجان اليه فأكلا وشربا وتنعما فلما احسستهما دليت رأسى ثم ناديت مسلم ويلك فلم يجبنى حتى ناديت ثلاثا فكان من اجابته لى ان غرد بصوت يقول فيه

بت فى درعها وبات رفيقى * جنب القلب طاهر الاطراف

﴿ ثم قال دعبل ويلك من يقول هذا قلت ﴾

من له فى حرامه ألف قرن * قد أنافت على علو مناف

قال فضحكا ثم سكتا واستجلبت كلامهما فلم يجيبانى وأخذا فى لذتهما وبت بليلة يقصر عمر الدهر عن ساعة منها طولا وغما حتى اذا أصبحت ولم أكد خرج الى مسلم فجعلت أؤنبه فقال لى يا صفيق الوجه منزلى ومنديلى وطعامى وشرابى فما شأنك فى الوسط قلت له حق القيادة والفضول والله لا غير فولى وجهه اليها وقال بحياتى الا أعطيتيه حق قيادته وفضوله قالت أما حق قيادته فعرك أذنه واما حق فضوله فصفع قفاه فاستقبلنى مسلم فعرك أذنى وصفعنى فقلت ماهذا فقال جرى الحكم عليك بما جرى لك من العذل والاستحقاق (حدثنا) عيسى بن أحمد الكاتب قال قال الحسين بن الضحاك دخلت على جعفر المتوكل وشفيع الخادم ينضد وردا بين يديه ولم يعرف فى ذلك الزمان خادم كان أحسن منه ولا أجمل وعليه ثياب موردة فامره ان يسقينى ويغمز كفى ثم قال لى يا حسين قل فى شفيع وقد كان حيا المتوكل بوردة فجعل المتوكل يشرب ويشم الوردة فقلت

فيا درة بيضاء حيا باحمر * من الورد يمشى فى قراطق كالورد

ويغمز كفى عند كل تحية * وكفيه تستدعى الشجى الى الورد

سقانى بكفيه وعينيه شربة * فاذكرنى ماقد نسيت من العهد

سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة * من الدهر الا من حبيب على وعد

فأمر المتوكل شفيعا ان يسقينى وبعث معه الى تحافا فى عنبر وسماها (وروى) ان محمد بن

عبد الملك الزيات وزير المتوكل كان يتعشق خادما للمتوكل يقال له شفيع وكان الحسن بن وهب كاتبه كلفا بذلك الخادم فلقيه الحسن بن وهب يوما فسأله عن خبره فاخبره انه يريد ان يحتجم فلم يبق بالعراق غريبة الا بعث بها اليه ولا ظريف من الاشربة الا أدخله عليه وكتب اليه بهذه الابيات

ليت شعرى ياأملح الناس عندى * هل تعالجت بالحجامة بعدى
قد كتمت الهوى بمبلغ جهدى * فقشا منه بعض ما كنت أبدى
وخلعت العذار فليعلم النا * س بأنى اليك أصفى بودى
من عذيرى من مقلتيك ومن اشــراق وجه من حول حمرة خدى

فصادف رسوله رسولا لمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير فرأى رقعة الحسن فاحتال لها حتى أخذها وأوصلها الى محمد بن عبد الملك فلما قرأها كتب الى كاتبه الحسن بن وهب

ليت شعرى عن ليت شعرك هذا * أبهزل تقوله أم بجد
فلئن كان ما تقول بجد * ياابن وهب لقد تفنيت بعدى
وتشبهت بى وكنت أرى انى أنا الهائم المتيم وحدى
لا أرى القصد فى الامور ولولا * غمرات الصبا لابصرت قصدى
سيدى سيدى ومولاى من ألــبسنى ذله وأخلف وعدى
لا أحب الذى يلوم وان كا * ن حريصا على صلاحى ورشدى
وأحب الاخ المشارك فى الحب وان لم يكن به مثل وجدى
كصديقى أبى على وحاشا * لصديقى من مثل شقوة جدى
ان مولاى عبد عبدى ولولا * شؤم جدى لكان مولاى عبدى

فلما التقى ابن الزيات الوزير وكاتبه الحسن بن وهب فى بيت الديوان تداعبا فى ذلك وسأله ابن الزيات ان يتجافى له عنه فقال له الحسن طاعتك واجبة فى المحبوب والمكروه ولكن الرئيس أدام الله عزه كان أولى بالفضل فقال له ابن الزيات هيهات هذه علة نفسانية تؤدى الى التلف فتنح عن نصيبك منى فقال الحسن ان كان هكذا سمعنا وأطعنا وأنشد

شهيدى على مافى فؤادى من الهوى * دموع تبارى المستهل من القطر

فاسلمني من كان بالامس مسعدي * وصار الهوى عونا علىّ مع الدهر

(قال) علي بن الجهم دخلت يوما على المتوكل فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال دخلت الساعة الى قبيحة وقد كتبت على خدها بالمسك اسمي فوالله ما رأيت سوادا في بياض أحسن منه في ذلك الخد فقل فيه شعرا فقلت يا أمير المؤمنين أمظلومة معي قال نعم ومظلومة خلف الستارة فدعت بدواة وبدرتني بالقول فقالت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا

لئن اودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الحب اسطرا

فيا من لمملوك تملك مالكا * مطيعا له فيما أسر وأظهرا

ويا من مناها في السرائر جعفر * سقى الله من صوب الغمامة جعفرا

قال وأفحمت فلم أنطق وتغلبت على خواطري فما قدرت على حرف أقوله فضحك أمير المؤمنين (الاصمعي) قال دخلت على هرون أمير المؤمنين وبين يديه جارية حسناء عليها لمة جعدة وذؤابة تضرب الحقو منها وهلال بين عينيها مكتوب عليه بالذهب هذا ما عمل في طراز الله فقال يا أصمعي صفها فأنشأت أقول

كنانية الاطراف سعدية الحشا * هلالية العينين طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم

فقال أحسنت والله يا أصمعي فهل عرفت اسمها قلت لا يا أمير المؤمنين فقال اسمها دنيا فاطرقت ساعة ثم قلت

ان دنيا هي التي * تملك القلب قاهره

ظلموها شطر اسمها * فهي دنيا وآخره

قال الاصمعي فامر لي بعشرة آلاف درهم (اسحق بن ابراهيم الموصلي) قال دخلت على الرشيد وعنده جارية قد أهديت له ماجنة شاعرة أديبة وبين يديه طبق فيه ورد فقال لي أما ترى ما أحسن هذا الورد ونضرة لونه قلت بك والله حسن ذلك يا أمير المؤمنين قال قل فيه بيتا يشبهه فاطرقت ساعة ثم قلت

كانه خد موموق يقبله * فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

﴿ فاعترضتني الجارية فقالت ﴾

كأنه لون خدي حين يدفعني * كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يا اسحق فقد حركتني هذه الفاسقة (وحدثنا أيضا) قال كان هرون الرشيد جالسا بين جاريتين من جواريه فقال لهما من يبيت عندي منكما فقالت احداهما أنا فقالت الاخرى لا بل انا فقال للاولى ما حجتك فيما ادعيت قالت قول الله والسابقون السابقون أولئك المقربون ثم قال للثانية وما حجتك أنت قالت قول الله وللآخرة خير لك من الاولى فقال لتقل كل واحدة منكما شعرا في الغزل فمن كانت أرق شعرا باتت عندي فقالت الاولى

أنا التي أمشي كما يمشي الوجي * يكاد ان يصرعني تفحجي

من جنة الفردوس كان مخرجي

وقالت الاخرى

أنا التي لم ير مثلي بشر * كلامي اللؤلؤ حين ينتثر

أسحر من شئت ولست أسحر * ان سمع الناس كلامي كفروا

فقال لهما قد احسنتما ومالواحدة منكما فضيلة على صاحبتها ولكني أبيت معكما (أخبرنا) أبو الطيب الكاتب ان أمير المؤمنين هرون الرشيد كان ليلة بين جاريتين مدنية وكوفية فجعلت الكوفية تغمز يديه والمدنية تغمز رجليه فجعلت المدنية ترفع الى فخذيه حتى ضربت بيدها الى متاعه حتى انعظ فقالت لها الكوفية نحن شركاؤك في البضاعة وأراك قد انفردت دوننا برأس المال وحدك فأنيلي منه فقالت المدنية حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال من احيا أرض موات فهي له ولعقبه قال فاستقبلتها الكوفية ودفعتها ثم أخذته بيدها جميعا وقالت حدثنا الاعمش عن خيثمة عن ابن مسعود انه قال الصيد لمن صاده لا لمن أثاره (أخبرنا) الانماطي ان المتوكل كان طلب من محمود الوراق جارية مغنية فأعطاه بها عشرة آلاف درهم فلما مات محمود اشتراها من ميراثه بخمسة آلاف وقال لها كنا أعطينا مولاك بك عشرة آلاف وقد اشتريناك من ميراثه بخمسة آلاف قالت يا أمير المؤمنين اذا كانت الخلفاء تتربص بلذاتها المواريث فسنشتري بارخص مما اشتريت (أخبرنا) اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لاعب هرون الرشيد جارية من جواريه على امرة مطاعة فقمرته فقال لها تمني قالت المعاودة فغشيها ثم لاعبته فقمرته فقالت قم لميعادك فقال لا أقدر على ذلك قالت فاكتب لي به عليك كتابا آخذ به متى شئت قال ذلك لك فدعت

بدواةوقرطاس ثم كتبت هـذا كتاب فلانة على مولاها أمير المؤمنين ان لى عليك قرضا آخـذك بهمـتى شئت وأنى شئت من ليـل أونهار وكان على رأسها وصيفة فقالت تزيدى فى الـكتاب فانك لا تأمنين الحـدثان ومن قام بهذا الذكر حق قيامه فهو ولى مافيـه فضحك الرشيد حتى استلقى على فراشه واستظرفها وأمر بان تنزل منه منزلة وأمر بان يجرى عليها رزق سنى وشغف بها ويقال انها من اجل أم المأمون (تنفس) محمد بن هرون الامين يوما فى مجلسه أيام الحصار فالتفت الى جليس له وهو محمـد بن سلام صاحب المظالم فقال له ويحك يامحمد أترانى قلت نعم ياأمير المؤمنين ذكرت قول الشاعر

ذكر الهوى فتنفس المشتاق * وبدا عليـه الذل والاطراق
يامن يصـبرنى فأصبر بعده * الصـبر ليس يطيقـه العشاق

فقال لا والله ما نكأتها ثم التفت الى جليس له آخر فقال ويحك أترانى قال نعم ياأمير المؤمنين ذكرت قول الاحنف

تذكرت بالريحان منك شمائلا * وبالراح عذبا من مقبلك العذب

فقال لا والله ما نكأتها ثم التفت الى كوثر الخادم فقال ويحك أترانى فقال نعم ياأمير المؤمنين ذكرت قول ابن نفيلة الغسانى

ان كان دهر بنى ساسان فرقهم * فانما الدهـر اطـوار دهارير
وربمـا أصبحوا يوما بمـنزلة * تهاب صولتها الاسد المهاصير

قال صدقت (وكتبت) جارية على بن الجهم له رقعة فاجاب فيها

مارقعة جاءتك مختومة * كانها خـد على خـد
تبدو سوادا فى بياض كما * ذرفتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة * عن جهة الهزل الى الجد
يا كاتبا أسلمنى عتبـه * اليه حسبى منك ماعندى

﴿ وكتبت أيضا ﴾

قلب يمل على لسان ناطق * ويد تخط رسالة من عاشـق
مزج المداد بعبرة شهدت له * من كل جارحة بقلب صادق
فيمينه تحت الوساد وخده * ويساره فوق الفؤاد الخافق

(اهدت) جارية من جوارى المهدى تفاحة الى المهدى مطيبة وكتبت فيها

هدية منى الى المهدى * تفاحة تقطف من خدى
محمرة مصفرة طيبت * كانها من جنة الخلد

﴿فاجابها المهدى﴾

تفاحة من عند تفاحة * جاءت فماذا صنعت بالفؤاد
والله ماأدرى أأبصرتها * يقظان أم ابصرتها فى الرقاد

(وكتب) بعض الكتاب الى مدام جارية المازنى وبعث اليها بقنينة من مدام

قل لمن يملك الفؤا * دوان كان قدملك
قد شربناك مدة * و بعثنا اليك بك

(وقال) على بن الجهم دخلت على أبى عثمان المازنى وعنده جارية كانها شقة قمر و بيدها تفاحة مقصومة فقالت عرفت ماأراد الشاعر بقوله

خبرينى من الرسول اليك * واجعليه من لا ينم عليك

قلت ما اعرفه قالت هو هذه و رمت الى بالتفاحة فوالله ماوجدت لها جوابا من نظير كلامها

(وقال) شيخ من أهل البصرة لقيت الحسن بن وهب فاردت ان امتحن سلامة طبعه ومعى تفاحة فأريته اياها وسألته ان يصفها فقال لى نحن على طريق ولكن من بنا الى المسجد فملنا اليه فاخذها وقلبها بيده وقال

يا رب تفاحة خلوت بها * تشعل نار الهوى على كبدى
قد بت فى ليلتى أقلبها * أشكو اليها تطاول الكمد
لوان تفاحة بكت لبكت * من رحمة هذه التى بيدى

(وعد) المأمون جارية ان يبيت عندها واخلفها الوعد فكتبت اليه

ارقت عينى ونامت * عين من هنت عليه
ان نفسى فاعذرنها * أصبحت فى راحتيه
رحم الله رحيما * دل عينى عليه

فلما قرأرقعتها ضحك ولم يبت ليلته الا عندها (عتب) المأمون على جارية من جواريه وكان كلفا بها فاعرض عنها واعرضت عنه ثم اسلمه الهوى واقلقه الشوق حتى أرسل يطلب مراجعتها

وأبطأ عليه الرسول فلما رجع أنشأ يقول

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة * واغفلتنى حتى أسأت بك الظنا

وناجيت من أهوى وكنت مبعدا * فياليت شعرى عن دنوك ما أغنى

ونزهت طرفا فى محاسن وجهها * ومتعت باستظراف نغمتها اذنا

أرى أثرا منها بعينيك لم يكن * لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا

﴿ زيادة من غير الام ﴾

فياليتنى كنت الرسول وكنتنى * وكنت الذى يقصى وكنت انا المدنى

ثم ان المأمون أقبل مسترضيا لها فسلم عليها فلم ترد عليه السلام وكلمها فلم تجبه فانشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يؤذى محاسنك السلام

أنا المامون والملك الهمام * ولكنى بحبك مستهام

يحق عليك ان لا تقتلينى * فيبقى الناس ليس لهم امام

(كتبت) امرأة عمر بن عبد العزيز الى عمر لما اشتغل عنها بالعبادة

ألا أيها الملك الذى قد * سبى عقلى وهام به فؤادى

أراك وسعت كل الناس عدلا * وجرت على من بين العباد

واعطيت الرعية كل فضل * وما اعطيتنى غير السهاد

فصرف وجهه اليها (قعد) الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة عند رأسها فاشار اليها ان تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه

فما برحت مكانى * حتى وثبت عليه

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها وأقام معها اسبوعا لا يدرى مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمعشوقه * كأنما قلباهما قلب

روحاهما روح ونفساهما * نفس كذا فليكن الحب

(حدث) أبو جعفر قال بينا محمد بن زبيدة الامين يطوف فى قصر له اذ مر بجارية له سكرى

وعليها كساء خز تسحب أذياله فراودها عن نفسها فقالت ياأمير المؤمنين انا على ماترى ولكن اذا كان فى غدان شاء الله فلما كان من الغد مضى اليها فقال لها الوعد فقالت يا أمير المؤمنين أما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج الى مجلسه فقال من بالباب من شعراء الكوفة فقيل له مصعب والرقاشي وأبو نواس فأمر بهم فادخلوا عليه فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخره كلام الليل يمحوه النهار فأنشأ الرقاشي يقول

متى تصحو وقلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

﴿وقال مصعب﴾

اتعذلني وقلبي مستطار * كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادى * بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدى اليها * لالمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا * فقالت فى غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت * كلام الليل يمحوه النهار

﴿وقال ابو نواس﴾

وخود أقبلت فى القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وهز المشى أردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداعن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتى فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له اخزاك الله أكنت معنا ومطلعا علينا فقال يا أمير المؤمنين عرفت مافى نفسك فأعربت عما فى ضميرك فأمر له باربعة آلاف درهم ولصاحبيه بمثلها (وقال بعض الوراقين)

غضبت من قبلة بالكره جدت بها * فها انا جئت فاقتضيه اضعافا
لم يأمر الله الا بالقصاص فلا * تستجورى ماراه الله انصافا

(عتبت) ماردة على هرون الرشيد فكانت تظهر له الكراهة وتضمر المحبة فقال فيها

تبـدى صدودا وتخفى تحته صلة * فالنفس راضية والطرف غضبان
يامن وضعت له خـدى فذلله * وليس فوقى سوى الرحمن سلطان

﴿حديث الحسن بن هانىء مع الاسود﴾ ابو بكر الوراق قال قال الحسن بن هانىء حججت مع الفضـل بن الربيع حتى اذا كنا بـبلاد فزارة وذلك أبان الربيع نزلنا منزلا بازاء ماء لبنى تميم ذا روض أريض ونبت غريض تخضع لبهجتـه الزرابى المبثوثة والنمارق المصفوفة فقرت بنضرتها العيون وارتاحت الى حسنها القلوب وانفرجت لبهائها الصـدور فلم نلبث ان أقبلت السماء فانشق غمامها وتدانى من الارض ركامها حتى اذا كانت كما قال أوس بن حجر حيث يقول

وان مسف فويق الارض هيدبه * يكاد يدفعـه من قام بالراح

همت برذاذ ثم بطش ثم برش ثم بوابل ثم أقلعت وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق والقيعان تتألق رياض موقة ونوافح من ريحها عبقه فسرحت طرفى راتعا منها فى أحسن منظر ونشقت من رباها أطيب من المسك الاذفر قال فلما انتهينا الى أوائلها اذا نحن بخباء على بابه جارية مشرقة ترنو بطرف مريض الجفون وسنان النظر أشعرت حماليقـه فترة وملئت سحرا فقلت لزميلى استنطقها قال وكيف السبيل لى بذلك قلت استسقها فاستسقاها فقالت نعم ونعما عين وان نزلتم فى الرحب والسعة ثم مضت تتهادى كأنها خوط بان أوقضيب خيزران فراعنى مارأيت منها ثم أتت بالماء فشربت منه وصببت باقيه على يدى ثم قلت وصاحبى أيضا عطشان فأخذت الاناء فذهبت فقلت لصاحبى من الذى يقول

اذا بارك الله فى ملبس * فلا بارك الله فى البرقع
يريك عيون الدمى غرة * ويكشف عن منظر أشنع

قال وسمعت كلامى فاتت وقد نزعت البرقع ولبست خمارا أسود وهى تقول

ألا حى ربى معشر قد أراهما * أقاما فما أن يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة * ليستمتعا باللحظ ممن سقاهما

فشبهت كلامها بعقد در وهى فانثر بنغمة عذبة رقيقة رخيمة لو خوطب بها صم الصلاب لانبجست مع وجه يظلم من نوره ضياء العقول وتتلف من روعتـه مهج النفوس وتخف فى محاسنه رزانة الحليم ويحار فى بهائه طرف البصير فرقت وجلت واستبطرت وأكلت فلوجن

انسان من الحسن جننت فلم أتمالك ان خررت ساجدا فأطلت من غير تسبيح فقالت ارفع رأسك غير مأجور ولا تذم بعدها برقعا فربما انكشف عما يصرف الكرى ويحل القوى ويطيل الجوى من غير بلوغ ارادة ولا درك طلبة ولا قضاء وطر ليس الا اللحين المجلوب والقدر المكتوب والامل المكذوب فبقيت والله معقول اللسان عن الجواب حيران لا أهتدى لطريق فالتفت الى صاحبي فقال ما هذا الجهد بوجه برقت لك منه بارقة لا تدرى ما تحته أما سمعت قول ذى الرمة

على وجه مى مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقالت أما ماذهبت اليه فلا أبالك والله لانا بقول الشاعر

منعمة حوراء يجرى وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
لها أرصاف وعين مريضة * وأحسن ابهام وأحسن معصم
خزاعية الاطراف سعدية الحشا * فزارية العينين طائية الفم

أشبه من قولك الآخر ثم رفعت ثيابها حتى بلغت بها نحرها وجاوزت منكبيها فاذا قضيب فضة قد اشرب ماء الذهب يهتز مثل كثيب نقا وصدر كالوذيلة عليه كالرمانتين وخصر لو رمت عقده لانعقد مطوى الاندماج على كفل رجراج وسرة مستديرة يقصر فهمى عن بلوغ نعتها من تحتها أرنب جاثم جبهته أسد خادر وفخذان مدملجان وساقان خدلجان يخرسان الخلاخيل وقدمان كأنهما لسانان ثم قالت أعارا ترى لا أبالك قلت لا والله ولكن سبب القدر المتاح ومقربى من الموت الذباح يضيق على الضريح ويتركني جسدا بغير روح فخرجت عجوز من الخباء فقالت له امض لشأنك فان قتيلها مطلول لا يؤدى وأسيرها مكبول لا يفدي فقالت لها دعيه فان له مثل قول غيلان

وان لم يكن الا تعلل ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها

فولت العجوز وهى تقول

وما نلت منها غير انك نائك * بعينيك عينها وايرك خائب

فنحن كذلك حتى ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل وكرب خابل وأنا أقول

ياحسرتى مما يجن فؤادى * أزف الرحيل بعبرتى وبعادى

فلما قضينا حجنا وانصرفنا راجعين مررنا بذلك المنزل وقد تضاعف حسنه ونمت بهجته

فقلت لصاحبي امض بنا الى صاحبتنا فلما أشرفنا على الخيام وصعد نار بوة ونزلنا وهدة فاذا هي تتهادى بين خمس ما تصلح أن تكون خادما لادناهن وهن يجنين من نور ذلك الزهر فلما رأيننا وقفن وقلنا السلام عليكن فقالت من بينهن وعليك السلام ألست صاحبي قلت بلى قالت وتعرفينه قالت نعم وقصت عليهن القصة ماخرمت حرفا قلن لها ويحك ماز ودتيه شيأ يتعلل به قالت بلى زودته لحدا ضامرا وموتا حاضرا فانبرت لها أنضرهن خدا وأرشقهن قدا وأسحرهن طرفا وأبرعهن شكلا فقالت والله ماأحسنت بدأ ولا أجملت عودا ولقد أسأت فى الرد ولم تكافئيه على الود فما عليك لو أسعفتيه بطلبته وأنصفتيه فى مودته وان المكان لخال وان معك من لايتم عليك فقالت أما والله لا أفعل من ذلك شيأ أوتشركيني فى حلوه ومره قالت لها تلك اذا قسمة ضيزى تعشقين أنت وأنا لك أنا قالت أخرى منهن قد أطلتن الخطاب فى غير ارب فسلن الرجل عن نيته وقصده وبغيته فلعله لغير ما أنتن فيه قصد فقلن حياك الله وأنعم بك عينا ممن تكون وممن أنت وما تعانى والام قصدت فقلت أما الاسم فالحسن ابن هانىء من اليمن ثم من سعد العشيرة وخير شعراء السلطان الاعظم ومن يدنى مجلسه ويتقى لسانه ويرهب جانبه وأما قصدى فتبريد غلة واطفاء لوعة قد أحرقت الكبد وأذابتها قالت لقد أضفت الى حسن المنظر كرم المخبر وأرجو أن يبلغك الله أمنيتك وتنال بغيتك ثم أقبلت عليهن فقالت ما الواحدة منكن غير ملتمسة مرغبة فتعالين نشترك فيه ونتقارع عليه فمن واقعتها القرعة منا كانت هى البادية فاقترعن فوقعت القرعة على المليحة التى قامت بامرى فعلق ازار على باب الغار وأدخلت فيه وأبطأت على وجعلت أتشوف لدخول احداهن على اذ دخل على اسود كانه سارية وبيده شىء كالهراوة قد أنعظ بمثل رأس الجنيذ قلت ماتريد قال أنيكك ثم صحت بصاحبي وكان متدانيا الحرأى والله ماتخلصت منه حتى خرجنا من الغار واذا هن يتضاحكن ويتهادين الى الخيمات فقلت لصاحبي من أين أقبل الاسود قال كان يرعى غنما الى جانب الغار فدعونه فوسوسن اليه شيأ فدخل عليك فقلت أتراه كان يفعل فى شيأ فقال أتراك خلصت منه فانصرفت وأنا أخزى الناس قال اسمعيل فقلت ناكك والله الاسود فقال مالك أبعدك الله فوالله لقد كتمت هذا الحديث مخافة هذا التأويل حتى ضاق به صدرى فرأيتك موضعا له فبحقي عليك ان أذعته قال اسمعيل فما فهت به حتى مات

﴿ خبر ذي الرمة ﴾ قال أبو صالح الفزاري ذكرنا ذا الرمة فقال عصمة بن عبد الملك شيخ منا قد بلغ عشرين ومائة سنة لاياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس آدم خفيف العارضين حسن المضحك حلو المنطق واذا أنشد حسن صوته واذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه وكان له اخوة يقولون الشعر منهم مسعود وهشام وأوفى كانوا يقولون القصيدة فيزيد عليها الابيات فتذهب له فجمعني واياه مربع فأتاني يوما فقال لي خفيا ان مية منقرية و بنو منقر أخبث حي أقفى للاثر فهل عندك ناقة نزدار عليها مية قلت والله ان عندي للجودة قال علي بها فركبنا جميعا وخرجنا حتى أشرفنا على بيوت الحي واذا ببيت مية ناحية فعرفنا ذا الرمة فتعرض النساء الى مية وجئنا ثم أنخنا ثم دنونا فسلمنا وقعدنا نتحدث فاذا هي جارية املود واردة الشعر بيضاء يغمرها صفرة وعليها ثوب أصفر وطاق أخضر فقلن انشدنا يا ذا الرمة فقال انشدهن يا عصمة فأنشدتهن

نظرت الى اظعان مي كأنها * ذرى النخل أوائل تميل ذوائبه
فأعربت العينان والصدر كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق حال الفراق ولم يحل * حوائلها اسرارها ومعايبه

فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليحل قال فنظرت الى مية متكرهة ثم مضيت في القصيدة حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح * على القلب أتته جميعا غرائبه

فقالت الظريفة قتلته قاتلك الله قالت مية ما أصحه وهنيأ له فتنفس ذو الرمة تنفسا ظننت معه ان فؤاده قد انصدع ومضيت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي * أقول لها الا الذي أنا كاذبه
اذا فرماني الله من حيث لا أرى * ولا زال في أرضي عدو أحاربه

فالتفتت اليه فقالت خف عواقب الله ومضيت في القصيدة حتى انتهيت الى قوله

اذا راجعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها أو نضا الثوب سالبه
فيالك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل جاذبه

فقالت الظريفة أما هذه قد راجعتك وقد بدا لك الوجه منها فمن لك بان ينضو الدرع سالبه فالتفتت مية اليها فقالت قاتلك الله ما أنكر ما تجيبين به فتحدثن ساعة ثم قالت الظريفة

للنساء ان لهذين لشأنا فقمن بنا وقمت معهن فجلست فى بيت أراهما منه فما رأيته برح من مقعده ولا قعدته فسمعتها قالت له كذبت والله ولا أدرى ماقال لها فلبثت قليلا ثم جاءنى ومعه قارورة فيها دهن ومعه قلائد فقال هذا دهن طيب أتحفنا به وهذه قلائد للجودة فلا والله ماأقلدهن بعيرا أبدا وشد بهن ذوائب سيفه وانصرفنا فكنا نختلف اليها حتى انقضى الربيع ودعا الناس المصيف فأتانى فقال هيا عصمة رحلت مية ولم يبق الا الآثار والرسوم من الديار وأنشدنى

ألا يا أسلمى يادارمى على البلى ❊ ولا زال منهلا بجرعائك القطر

﴿ الفضل بن الربيع ﴾ قال قعد المخلوع للناس يوما وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع فى ثمانمائة قصة فوالله لقد أصاب فما أخطأ وأسرع فما أبطأ ثم قال لى يافضل أترانى أحسن التدبير والسياسة ولكنى وجدت شم الاس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهى الىّ من ذلك (قال ابن قتيبة) خرج أبو عيسى جبريل بن أبى عيسى الى منتزه له بالقفص ومعه الحسن بن هانىء فى آخر شعبان فلما كان اليوم الذى أوفى به الشهر ثلاثين يوما قيل له ان هذا يوم شك و بعض أهل العلم يصومه فقال لاعليك ليس الشك حجة على اليقين حدثنا أبو جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ثم قال لابن أبى عيسى

لو شئت لم تبرح من القفص ❊ نشربها حمراء كالحص

نسرق هذا اليوم من شهرنا ❊ والله قد يعفو عن اللص

(وذكروا) أن أباعيسى خرج الى القفص متنزها ومعه الحسن بن هانىء فحمله وخلع عليه فاقام فيها اسبوعا ثم قال بحياتى صف مجلسنا والايام كلها فقال فى ذلك

ياظبية بقصور القفص مشرقة ❊ بها الدساكر والانهار تطرد

لما أخذنا بها الصهباء صافية ❊ كأنها النار وسط الكاس تتقد

جاءتك من بيت خمار بطينتها ❊ صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد

وقام كالبدر مشدودا قراطقه ❊ ظبى يكاد من التهييف ينعقد

فصبها من فم الابريق فانبعثت ❊ مثل اللسان جرى واستمسك الجسد

فلم نزل فى صباح السبت نأخذها ❊ والليل يأخذنا حتى بدا الاحد

واستشرفت غرة الاثنين واضحة * والجدى معترض والطالع الاسد
وفى الثلاثاء أعملنا المطى بها * صهباء ماقرعتها بالمزاج يد
والاربعاء صفا فيه النعيم لنا * والكاس تضحك فى حافاتها الزبد
ثم الخميس وصلناه بليلته * وتم فيه لنا بالجمعة العدد
ياحسننا وبحار القفص تغمرنا * فى لجة الليل والاوتار تجتلد
فى مجلس حوله الاشجار محدقة * وفى جوانبه الاطيار تغترد
لانستخف بساقينا لعزته * ولا يرد عليه حكمه أحد
عند الهمام أبى عيسى الذى كملت * أخلاقه فهى كالاوراق تتقد

(أبو جعفر) البغدادى قال حدثنا أبو محمد الدمشقى قال مررت ذات ليلة أيام فتنة المستعين والقمر يزهر بيات الشام فاذا انا بشيخ غليظ أصلع نشوان قد توشح فى ازار أحمر ومال على شقه الايمن وفى يده خوصة يشمها ويقول

عشرون ألف فتى مامنهم أحد * الا كالف فتى مقدامة بطل
أضحت مزاودهم مملوأة نشبا * ففرغوها وأوكوها على الامل

فقلت له أحسنت لله أنت فقال تحب رقيقة فقلت ما أحوجنى اليها فقال

انما هيج البلا * يوم عض السفرجلا
وعلا الورد وجنتيه فأبدى التخجلا
يفضح البدر فى الكما * ل اذا البدر اكملا
ولقد قام لحظ عينى على القلب بالقلا

قلت له أبو من أعزك الله قال أبو عشيرة الخياط شهدت حروب ابن زبيدة كلها وحاربت الفتيان فى غاية كل ميدان واعترف لى كل فاتك وأذعن لى كل شاطر ونزلت تلك الدار عشرين سنة وأومأ الى سجن بغداد ثم تنفس الصعداء وقال أنا الذى أقول

لى فؤاد مستهام * وجفون لا تنام
ودموع آخر الدهر على عينى سجام
وحبيب كلما خا * طبته قال سلام
فاذا ماقلت زرنى * قال لى ذاك حرام

ثم بكى فلما أفاق قلت ما يبكيك قال وكيف لا أبكى ولى حبيب بالبصرة علقته وهو ابن سبع عشرة سنة ثم غبت عنه ثلاثا وثلاثين سنة فلما عيل صبرى خرجت الى البصرة فطفت فى شوارعها حتى رأيته فما رأيت وجها أحسن منظرا ولا أزهى منه ثم أنشأ يقول

مردد فى كمده * معذب فى سهده
خلا به السقم فما * أسرعه فى جسده
يرحمه لما بدا * من ضره ذو حسده

ثم ودعنى ومضيت (وحدث) أبو الفضل قال انى بالطواف أمام الحجر اذ سمعت حنينا يخرج من بين الاستار واذا بقائل يقول

عفا الله عمن يحفظ الود جهده * ولا كان عهد الله للناقض العهد
وضعت على الاستار خدى ليلة * ليجمعنى مع من وضعت له خدى

قال فرفعت الاستار فاذا جارية منفردة كأنها شمس تجلت عنها غمامة فقلت يا هذه لو سألت الله الجنة مع هذا التضرع والبكاء ما حرمك اياها قال فسترت وجهها وقالت سبحان من خلق فسوى ولم يهتك العلانية والنجوى اما والله انى لفقيرة الى رحمة ربى وقد سألته أكبر الامرين عندى رجاء فضله واتكالا على عفوه ثم ولت عنى فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم (حدث) مسلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب قال دخلت أنا وزبان السواق الى العقيق فلقينا نسوة نازلات من العقيق لهن جمال وشارة وفيهن جارية خضابية العينين فلما رآها زبان قال لى يا ابن الكرام دم أبيك والله فى ثيابها فلا تطلب أثرا بعد عين وأنشد قول أبى مسلم بن جندب

ألا يا عباد الله هذا أخوكم * قتيل فهل منكم له اليوم ثائر
خذوا بدمى ان مت كل مليحة * مريضة جفن العين والطرف ساحر

قال فقالت لى الجارية أنت ابن جندب قلت نعم قالت فاغتنم نفسك واحتسب أباك فان قتيلنا لا يودى وأسيرنا لا يفدى (الزبير بن بكار) عن عبد الله بن مسلم بن جندب قال قلت

تعالوا أعينونى على الليل انه * على كل عين لا تنام طويل

قال فطرقنى عيسى بن طلحة قال انى سمعت قولك فجئت أعينك فقلت يرحمك الله أغفلت

الاجابة حتى أتى الله بالفرج (أبو المهلهل الخزاعى) قال ارتحلت الى الدهناء فسألت عن مى صاحبة ذى الرمة فدفعت الى خيمة فيها عجوز هيفاء فسلمت عليها وقلت أين منزل مى فقالت ها أنا مى فقلت عجبا من ذى الرمة وكثرة قوله فيك قالت لا تعجب فانى سأقوم بعذره ثم قالت فلانة فخرجت من الخيمة جارية ناهدة عليها برقع فقالت لها اسفرى فلما اسفرت تحيرت لما رأيت من حسنها وجمالها فقالت علقنى ذو الرمة وأنا فى سن هذه وكل جديد الى بلا قلت عذرته والله واستنشدتها من شعره فانشدتنى

﴿ مايكتب على العصائب وغيرها ﴾ أبو الحسن قال دخلت على هرون الرشيد وعلى رأسه جوار كالتماثيل فرأيت عصابة منظمة بالدر والياقوت مكتوب عليها بصفائح الذهب

ظلمتنى فى الحب ياظالم * والله فيما بيننا حاكم

﴿ قال ورأيت فى عصابة أخرى ﴾

مالى رميت فلم تصبك سهامى * ورميتنى فأصبتنى يا رامى

قال ورأيت على أخرى وضع الخد للهوى عز قال ورأيت فى صدر أخرى هلالا مكتوبا عليه

أفلت من حور الجنان * وخلقت فتنة من يرانى

(قال اسحق بن ابراهيم) دخلت على الامين محمد بن زبيدة وعلى رأسه وصائف فى قراطق مفروجة بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها

بى طاب العيش فى الصيف وبى طاب السرور
ممسكى ينفى أذى الحر اذا اشتد الحرور
الندى والجود فى وجه أمين الله نور
ملك أسلمه الشبه وأخلاه النظير

﴿ وفى عصابة ﴾

ألا بالله قولوا يارجال * أشمس فى العصابة أم هلال

﴿ وفى أخرى ﴾

أتهوون الحياة بلا جنون * فكفوا عن ملاحظة العيون

(وكتبت) وردجارية الماهانى على عصابتها وكانت تجيد الغناء مع فصاحتها وبراعتها

تمت بتم الحسن فى وجهها * فكل شىء ماسواها محال

للناس فى الشهر هلال ولى * فى وجهها فى كل يوم هلال

(وكتبت) فى عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هانئ وهما

يارامياليس يدرى ماالذى فعلا * عليك عقلى فان السهم قد قتلا

اجريته فى مجارى الروح من بدنى * فالنفس فى تعب والقلب قد شغلا

(قال على بن الجهم) خرجت علينا عالج جارية خالصة كأنها خوط بان وهى تميس فى ورقه وعلى طرتها مكتوب بالغالية وكانت من مجان أهل بغداد مع علمها بالغناء

ياهلالا من النصور تجلى * صام طرفى لمقلتيك وصلى

لست أدرى أطال ليلى أم لا * كيف يدرى بذاك من يتقلى

لوتفرغت لاستطالة ليلى * ولرعى النجوم كنت مخلا

(قال) وخرجت الينا منال وعليها درع خام على جانبه الايمن مكتوب

كتب الطرف فى فؤادى كتابا * هو بالشوق والهوى مختوم

﴿ وعلى الايسر مكتوب ﴾

كان طرفى على فؤادى بلاء * ان طرفى على فؤادى مشوم

(قال) وكان على عصابة ظبى جارية سعيد الفارسى مكتوب بالذهب

العين قارئة لما كتبت * فى وجنتى أنامل الشجن

(قال) وحدثنى الحسن بن وهب قال كتبت شعب على قلنسوة جاريتها شكل

لم ألق ذاشجن يبوح بحبه * الا حسبتك ذلك المحبوبا

حذراعليك وانى بك واثق * ان لاينال سواى منك نصيبا

(وكتب) شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الايمن

بدر على غصن نضير * شرق الترائب بالعبير

﴿ وعلى عاتقه الايسر ﴾

خطت صفيحة وجهه * فى صفحة القمر المنير

(وكتبت) وصيف جارية الطائى على عصابتها

فمازال يشكو الحب حتى حسبته * تنفس فى احشائه وتكلما
فأبكى لديه رحمة لبكائه * اذا مابكى دمعا بكيت له دما

(وكان على عصابة مزاج وهى من مواجن أهل بغداد)

قالوا عليك در وع الصبر قلت لهم * هيهات ان سبيل الصبر قد ضاقا
مايرجع الطرف عنها حين يبصرها * حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

(وكتبت جارية الناطفى على عصابتها)

الكفر والسحر فى عينى اذا نظرت * فاغرب بعينيك يامغرور عن عينى
فان لى سيف لحظ لست أغمده * من صنعة الله لامن صنعة القين

(وكتبت حدائق فى كفها بالحناء)

ليس حسن الخضاب زين كفى * حسن كفى زين لكل خضاب

(قال) وخرجت علينا جارية حمدان وقد تقلدت سيفا محلى وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها

تأمل حسن جارية * يحار بوصفها البصر
مذكرة مؤنثة * فهى أنثى وهى ذكر

﴿وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب﴾

لم يكفه سيف بعينيه * يقتل من شاء بحديه
حتى تردى مرهفا صارما * فكيف أبقى بين سيفيه
فلو تراه لابسا درعه * يخطر فيها بين صفيه
علمت ان السيف من طرفه * اقتل من سيف بكفيه

﴿وكتبت واحدة على منطقة جاريتها منصف الكوفية﴾

تكتنى من غمزة العين اذا ما مست تنحل
وفؤادى رق حتى * كاد من صدرى ينسل
بعض مابى يصدع القلب فما ظنك بالكل

﴿ومن قولى فيما كتبت على كاس مذهبة﴾

اشرب على منظر انيق * وامزج بريق الحبيب ريقى

واحلل وشاح الكعاب رفقا * واحذر على خصرها الدقيق
وقـل لمن لام فى التصـابى * اليك خلى عن الطريق

(وقف) صريع الغوانى بباب محمد بن منصور فاستسقى فأمر وصيفا له فأخرج اليه خمرا فى كاس مذهبة فلما نظر اليها فى راحته قال

ذهب فى ذهب را * ح بها غصن لجين
فاتت قرة عيـنى * من يدى قرة عين
قمرا يحمل شمسا * مرحبا بالقـمرين
لاجرى بينى ولا بيـــنهما طائر بـين
و بقينا ما بقينا * أبدا متفـــقين
فى غبوق وصبوح * لم نبع نقـدا بدين

(محمد بن اسحق) قال حدثنى أحمد بن عبد الله قال رأيت على مروحة مكتوبا

الحمد لله وحـده * وللخليفـة بعـده
وللمحب اذا ما * حبيبه بات عنـده

(قال) و رأيت فى مجلس سريرا مكتوبا عليه بالذهب

أشهى وأعذب من راح ومن ورد * ألفان قـد وضعا خدا على خد
وضم احداهما احشاء صاحبه * حـتى كانهـما للقرب فى عقـد
هـذا يبوح بمـا يلقاه من حزن * وذاك يظهر ما يخفى من الوجـد

﴿ وفى عصابة أخرى ﴾

وان يحجبوها بالنهار فالهـم * بان يحجبوا بالليل عنى خيالها

﴿ قال أبو عبيدة ورأيت على جبينها مكتوبا ﴾

كتبت فى جبينها * بعبـير عـلى قمـر
فى سـطور ثلاثة * لعن الله من غـدر
وتنـاولت كفها * ثم قلت اسمعى الخبر
كل شىء سوى الخيا* نة فى الحب يغتفر

(قال الاصمعى) رأيت على باب الرشيد وصائف على عصابة واحدة منهن مكتوب

نحن خود نواعم * من أراض مقدسه
أحسن الله رزقنا * ليس فينا منحسه
فاتق الله يافتى * لاتدعني موسوسه

(وقال) أبو جعفر الكرماني يوما المأمون أتأذن لى فى دعابة قال هاتها ويحك فما العيش الا فيها قال يا أمير المؤمنين انك ظلمتني وظلمت غسان بن عباد قال وكيف ذلك ويلك قال رفعت غسان فوق قدره ووضعتني دون قدري الا انك لغسان أشد ظلما قال وكيف قال لانك أقمته مقام هر وأقمتني مقام رخمة فاستظرف ذلك منه ورفع درجته (أبو زيد) قال كان عطاء مع ابن الزبير وكان أملح الناس جوابا فلما قتل ابن الزبير أمنه عبد الملك بن مروان فقدم عليه فسأل الاذن فقال عبد الملك لا أريده يضحكني قد أمنته فلينصرف قال أصحابه فنحن نتقدم اليه ان لا يفعل فأذن له عبد الملك فدخل وسلم عليه وبايعه ثم ولى فلم يصبر عبد الملك ان صاح به يا عطاء أما وجدت أمك اسما الا عطاء قال قد والله استنكرت من ذلك ما استنكرته يا أمير المؤمنين لو كانت سمتني باسم المباركة صلوات الله عليها مريم فضحك عبد الملك وقال أخرج (اختصم) الى زياد بنو راسب وبنو طفاوة فى غلام ادعوه وأقاموا جميعا البينة عند زياد فأشكل على زياد أمره فقال سعد الرابية من بنى عمرو بن يربوع أصلح الله الامير قد تبين لى فى هذا الغلام القضاء ولقد شهدت البينة لبنى راسب والطفاوة فولنى الحكم بينهما قال وما عندك فى ذلك قال أرى ان يلقى فى النهر فان رسب فهو لبنى راسب وان طفا فهو للطفاوة فأخذ زياد نعليه وقام وقد غلبه الضحك ثم ارسل اليه انى أنهاك عن المزاح فى مجلسى قال اصلح الله الامير حضرنى أمر خفت ان انساه فضحك زياد وقال لا تعودن (أبو زيد) قال لم يكن بالبصرة أفصح لسانا ولا أظهر جمالا من الحسن بن أبى الحسن البصرى وزرعة بن أبى حمزة الهلالى قال وأخبرنى الوليد بن عبيد البحترى الشاعر قال كنا عند المتوكل يوما وبين يديه عبادة المخنث فأمر به فألقى فى بعض البرك فى الشتاء فابتل وكاد يموت بردا قال ثم اخرج من البركة وكسى وجعل فى ناحية المجلس فقيل له يا عبادة كيف أنت وما حالك قال يا أمير المؤمنين جئت من الآخرة فقال له كيف تركت أخى الواثق قال لم أجز بجهنم فضحك المتوكل وأمر له بصلة

﴿نوادر أشعب﴾ قال أشعب فى وفى أبى زياد عجب كنت أنا وهو فى كفالة فاطمة

بنت عثمان فما زال يعلو واسفل حتى بلغنا غايتنا هذه (قيل) لاشعب لو انك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر لكان أولى بك قال قد فعلت قالوا فما حفظت من الحديث قال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان فيه خصلتان كتب عند الله خالصا مخلصا قالوا ان هذا حديث حسن فما هاتان الخصلتان قال نسي نافع واحدة ونسيت أنا الاخرى (وقال أشعب) رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل قالوا كيف ذلك قال رأيتني أحمل بدرة فمن شدة ثقلها على كنت اسلح فى ثيابى ثم انتبهت فاذا أنا بالسلح ولا بدرة (ساوم) أشعب رجلا بقوس فقال أقل ثمنها دينار قال أشعب والله لو انك اذا رميت بها طائرا فى السماء فوقع مشويا بين رغيفين مااشتريتها منك بدينار أبدا (وقيل) لاشعب خففت صلاتك قال لانها صلاة لا يخالطها رياء (وضرب) الحجاج اعرابيا سبعمائة سوط وهو يقول عند كل سوط شكرا لك يارب فلقيه أشعب فقال أتدرى لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط قال ماأدرى قال لكثرة شكرك الله تعالى يقول لئن شكرتم لأزيدنكم فقال

يارب لاشكرا فلا تزدنى * باعد ثواب الشاكرين عنى

وسأل رجل أشعب ان يسلفه ويؤخره فقال هاتان حاجتان فاذا اقضيت لك احداها فقد انصفت قال الرجل رضيت قال فانا اؤخرك ماشئت ولا اسلفك (أبو حاتم) عن الاصمعى عن أبى القعقاع قال رأيت أشعب فى السوق يبيع قطيفة ويقول للمشترى أريد ان ابرأ اليك من عيب قال وماذاك قال يحترق تحتها من دفن فيها (قال) أشعب من بال ولم يضرط كتب من الكاظمين الغيظ (وقيل) لاشعب هل خلق خلق أطمع منك قال نعم أمى فانى كنت اذا جئتها بفائدة قد اعطيتها قالت ماجئت به فاتهجى لها الشىء حرفا حرفا ولقد اهدى لنا مرة غلام فقالت مااهدى لنا قلت غين قالت ثم ماذا قلت لام ألف ميم فأغمى عليها وجعلت تضرط ولو أكملت لها الحروف لماتت فرحا (وقيل) له ما بلغ من طمعك قال لم انظر الى اثنين يتساران الا حسبت انهما يأمران لى بشىء (ونظر) أشعب الى شيخ قبيح الوجه فقال ألم ينهكم سليمان بن داود عن ان تخرجوا بالنهار (ومر) أشعب على رجل نجار يعمل طبقا فقال له زد فيه طوقا واحدا تتفضل به على قال وما يدخل عليك قال لعل يوما يهدى الى فيه شىء (قال) الاصمعى أخبرنى هرون بن زكريا عن أشعب قال

ادركت الناس يقولون قتل عثمان قال الاصمعي وعاش أشعب الى زمان المهدى و رأيته
(دخل) رجل على الاعمش يسئله عن مسئلة فرد عليه فلم يسمع فقال له زدنى فى السماع
قال ماذاك لك و لا كرامة قال فبيني و بينك رجل من المسلمين قال فخرجا الى الطريق فربهما
شريك القاضي قال فانى حدثت هذا الحديث فلم يسمع فسألنى أزيده فى السماع لانه ثقيل السمع
و زعم ان ذلك واجب له فابيت قال له شريك عليه ان تزيده لانك تقدران تزيد فى صوتك و لا
يقدران يزيد فى سمعه (أتت) ليلة الشك من رمضان فكثر الناس عند الاعمش يسألونه عن
الصوم فضجر ثم بعث الى بيته فجيء اليه برمانة فشقها و وضعها بين يديه فكان اذا نظر الى رجل
قد أقبل يريد ان يسأله تناول حبة فأكلها فيكفى الرجل السؤال و نفسه الرد (قال) رقبة بن مصقلة
سفه علينا الاعمش يوما فقالت امرأته من وراء ستر احملوا عنه فوالله ما يمنعه من الحج منذ ثلاثين
سنة الا مخافة ان يلطم كريه أو يشتم رفيقه (طلبت) بنت الاعمش من الاعمش حاجة فجبها
بالرد فقالت والله ما أعجب منك ولكنى أعجب من قوم زوجوك (ودخل) رقبة بن مصقلة على
الاعمش فقال والله انا لنأتيك فما تنفعنا و نتخلف عنك فما تضرنا وان الوقوف اليك لذل و ان تركك
لحسرة تسئل الحكمة فكانما تستعط الخردل وما اشبهك الا بالصماحيقون فانه كريه الشربة
نافع للمعدة فرفع الاعمش رأسه وقال من هذا المتكلم فقيل له رقبة بن مصقلة فنكس رأسه
(وقال) رجل من تلاميذ الاعمش صنعت للاعمش طعاما ثم دعوته فمضى معى و أنا أقوده حتى
سقطت رجله فى حفرة تعملها الصبيان للكرة فقال ماهذا قلت حفرة يعملها الصبيان للكرة قال
لا ولكنك حفرتها لتقع رجلى فيها والله لا أكلت عندك يومى هذا طعاما قال فحملت الطعام
اليه ثم صنعت له بعد ذلك طعاما ودعوته اليه فقال ادخلنا الحمام قبل ذلك فادخلته الحمام فلما
جئت لاصب الماء الحار على رأسه قال مادعاك الى هذا أردت ان تسلخ قفاى والله لا أكلت
عندك يومى هذا طعاما قال فحملت الطعام اليه (وكثر) الشعر على الاعمش فقلت له لم لا تأخذ من
شعرك قال لا أجد حجاما يسكت حتى يفرغ قلنا له فانا نأتيك بحجام و نتقدم اليه ان يسكت حتى
يفرغ قال فافعلوا قال فاتيناه بحجام واعذرنا اليه ان لا يتكلم حتى يتقضى أثره فبدأ الحجام بحلقه
فلما امعن فى حلقه سأله عن مسئلة فنفض بدنه وقام بنصف رأسه محلوقا حتى دخل بيته ثم جئناه
بغيره فقال لا والله لا أخرج اليه حتى تحلفوه فحلفناه ان لا يسأله عن شيء فخرج اليه (ولمحمد)
ابن مطروح الاعرج من التبرم الملح والضجر المتوقع ماهو أحسن من هذا وأوقع (وقال) له

رجل يوما ماتقول يرحمك الله فى رجل مات يوم الجمعة أيعذب عذاب القبر قال يعذب يوم السبت (وقال) له آخر أنجد فى بعض الحديث ان جهنم تخرب قال ما اشقاك ان اتكلت على خرابها (واستسقى) بالناس يوما فاسرع بالصلاة قبل ان يتوافى الناس فلما انصرف تلقاه بعض الوزراء فقال له اسرعت أبا عبد الله قال ليس علينا ان ننتظر حتى تشربوا وتأكلوا (وكانت) لفراس الكاتب منه منزلة وجوار وكان يتحفه ويتفقده بما أمكنه من الهدايا وكانت صلاته معه فى الجامع والاعرج صاحب الصلاة فاذا حضرت الصلاة ولم يحضر فراس قال لبعض القومة أنت ياشيطان كم هؤلاء الكلاب لا يقيمون الصلاة حتى يأتى ذلك الخنزير فكان بره فى حبس الصلاة عليه برا العقوق خير منه (وكان) يجلس اليه خصى لزرياب قد حج وتنسك ولزم الجامع فيتحدث فى مجلسه باخبار زرياب ويقول كان أبو الحسن رحمه الله يقول كذا وكذا فقال له الاعرج من أبو الحسن هذا قال زرياب قال بلغنى انه كان أخرق الناس لاستخصى (وسأله) مرة وقال له ماتقول فى الكبش الاعرج أيجوز فى الاضحية قال نعم والخصى أيضا مثلك (وسمع) أبو يعقوب الخريمى منصور ابن عمار صاحب المجالس يقول فى دعائه اللهم اغفر لاعظمنا ذنبا وأقسانا قلبا وأقربنا بالخطيئة عهدا وأشدنا على الدنيا حرصا فقال له امرأتى طالق ان كنت دعوت الا لابليس (الاصمعى) قال حدثنا بعض شيوخنا عن ابن طاوس قال أقبلت الى عبد الله بن الحسن فادخلنى بيتا قد نجد بالرهاوى والمبانى وكل فرشه حرير قال فبسطت نطعا وجلست عليه وأبناه محمد وابراهيم صبيان يلعبان فلما نظرا الى قال أحدهما لصاحبه ميم فقال الآخر جيم فقلت أنا نون واو نون فاستغربا ضحكا وخرجا الى أبيهما (أبو زيد) قال سكر حائك من الزط فحلف بالطلاق ليغنينه أبو على الاشراسى فمضى معه جماعة الى أبى على فاخبروه وقالوا سكر فابتلى وحلف بالطلاق لتغنينه فاقبل على الحائك فقال ياقرد سعد أيام حسا بارد بدا اياك أن تعود قال أبو زيد تفسيره ياسمين أخضر ياسمين طيب ياسمين رطب (وكان) شيخ من البخلاء يأتى ابن المقفع فالح عليه يسأله الغداء عنده وفى كل ذلك يقول له أترى انك ترانى أتكلف لك شيأ لا والله لا أقدم لك الا ما عندى فاجابه يوما فلما أتاه اذ ليس عنده ولا فى منزله الا كسرة يابسة وملح جريش ووقف سائل بالباب فقيل له بورك فيك فالح عليه بالسؤال فقال له لئن خرجت اليك لأدقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل أنت والله لو علمت من صدق وعيده ما علمت من صدق موعوده لم ترادده كلمة ولا وقفت

طرفةعين (مر) برقية بن مصقلةرجل زاهدغليظ الرقبة فقال هـذا رجل زاهـد والعلامات فيه بخلاف ذلك فقال له رجل أكلمـه بذلك أصلحك الله لئلا يكون غيبة قال كلمـه حتى يكون نميمة (قال) شريك بن عبـد الله القاضى سبع من العجائب عمياء منتقبـة وسوداء مختضبة وخصى له امرأة ومخنث يؤم قوما وشيعى أشـعرى ونحوى مرجى وعربى أشقر ثم قال شريك من المحال عربى أشقر (قالوا) كانت فى أبى عمر وضرار بن عمر وثلاثة من المحال كان كوفيا معتزلا وكان من بنى عبد الله بن غطفان ويرى رأى الشعوبيـة ومحال أن يكون عربى شعوبيا ومات وهو ابن سبعين سنة (وقيـل) لشريح القاضى أيهما أطيب اللوزينق أو الجوزينك قال لا أحكم على غائب (وسأل) رجـل عمر بن فن عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الانسان فى ثوبه أو خفـه أو جبهته قال له ارم بها فقال الرجـل زعموا انها تصيح حتى ترد الى المسجد قال دعها تصيح حتى ينشق حلقها قال الرجـل أولها حلق قال فمن أين تصيح (وسئل) عامر الشعبى عن المسجد الخراب أيجامع فيه قال نعم ويخرأ فيـه (الاصمعى) قال ولى رجل قضاء الاهواز فابطأت عليه أرزاقه وليس عنده ما يضحى به ولا ماينفق فشكا ذلك الى امرأته وأخبرها ماهو فيه من الضيق وأنه لا يقدر على أضحية فقالت له لا تغتم فان عنـدى ديكا عظيما قد سمنته فاذا كان يوم الاضحى ذبحناه فبلغ جيرانه الخبر فاهدوا له ثلاثـين كبشا وهو فى المصلى لا يعلم فلما صار الى منزله ورأى ما فيه من الاضاحى قال لامرأته من أين هـذا قالت أهدى لنا فلان وفلان حتى سمت له جماعة فقال لها ياهذه تحفظى بديكنا هذا فلهو أكرم على الله من اسحق بن ابراهيم انه فدى ذلك بكبش واحد وفدى ديكنا هذا بثلاثين كبشا (خرج) أبودلامة مع المهدى فى مصادلهم فعن لهم ظبى فرماه المهدى فاصابه ورمى على بن سليمان فاخطأ وأصاب الكلب فضحك المهدى وقال لابى دلامة قل فقال

قدرمى المهدى ظبيا * شك بالسـهم فؤاده
وعلى بن سـليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيأ لهمـا كل * امرىء يأكل زاده

(وكتب) أبودلامة الى عيسى بن موسى وهو والى الـكوفة رقعة فيها هذه الابيات

اذا جئت الامير فقـل سلام * عليك ورحمـة الله الرحيم
وأما بعـد ذاك فلى غـريم * من الاعراب أقبح من غريم

لزوم ما علمت بباب داري * لزوم الكهف أصحاب الرقيم
له مائة على ونصف أخرى * ونصف النصف فى صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن * حبوت بها شيوخ بني تميم

(ودخل) أبو دلامة على المهدي وعنده محمد بن الجهم وزيره وكان المهدي يستثقله فقال لابي دلامة والله لا تبرح مكانك حتى تهجو احد الثلاثة فهم أبو دلامة بهجاء ابن الجهم ثم خاف شره فرأى ان هجاء نفسه أقل ضررا عليه فقال

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا اذا وضع العمامه
وان لبس العمامة كان فيها * كثور لا تفارقه الكمامه

(وعرض) أبو دلامة ليزيد بن مزيد وهو قادم من الري فاخذ بعنان فرسه وأنشد

اني نذرت لئن رأيتك سالما * بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجري

فقال له أما الصلاة على محمد فصلى الله على سيدنا محمد وأما الدراهم فالى أن أرجع ان شاء الله فقال له لا تفرق بينهما لا فرق الله بينك وبين محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة فاقترضها من أصحابه وصبها في حجره حتى أثقلته (ودخل) أبو دلامة على المهدي فاسمعه مدحا فاعجبه وقال له سل حاجتك قال كلب صيد اصطاد به قال قد أمرنا لك بكلب تصطاد به قال وغلام يقود الكلب قال قد أمرنا لك بغلام قال وخادم تطبخ لنا الصيد قال قد أمرنا لك بخادم قال ودار نأوي اليها قال أمرنا لك بدار قال بقي الآن المعاش قال قد أقطعناك ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة قال وما الغامرة قال التي لا تعمر قال فانا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفا من فيافي بني أسد قال فانا نجعلها عامرة كلها قال فيأذن أمير المؤمنين في تقبيل يده قال أما هذه فدعها قال ما تمنعني شيأ أحب الى منها

﴿المضحكات﴾ أبو الحسن المدايني قال خطب رجل من بني كلاب امرأة فقالت أمهلني حتى أسأل عنك فانصرف الرجل فسأل عن أكرم الحي عليها فدل على شيخ منهم كان يحسن التوسط في الامر فأتاه يسأله أن يحسن عليه الثناء وانتسب له فعرفه ثم ان العجوز غدت عليه فسألته عن الرجل فقال أنا أعرف الناس به قالت فكيف لسانه

قال مدره قومه وخطيبهم قالت فكيف شجاعته قال منيع الجار حامى الذمار قالت فكيف سماحته قال ثمال قومه وربيعهم وأقبل الفتى فقال الشيخ ماأحسن والله ماأقبل ماانثنى ولاانحنى ودنا الفتى فسلم فقال ماأحسن والله ماسلم مافار ولا ثار ثم جلس فقال ماأحسن والله ماجلس مادنا ولا ناى وذهب الفتى ليتحرك فضرط فقال ماأحسن والله ماضرط ماأطنها ولا أغنها ولا بربرها ولا قرقرها ونهض الفتى فقال ماأحسن والله مانهض ماارقد ولا اقطوطى فقالت العجوز حسبك ياهذا وجه اليه من برده فوالله ولوسلح فى ثيابه لزوجناه (محمد) بن الحجاج وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم وهو يعبث وكان مات له حمار قبل ذلك قال رأيت حمارى البارحة فى النوم فقلت له ويلك مالك مت قال انك ركبتنى يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهانى فرأيت أتانا عند بابه فعشقتها فمت وأنشد

سيدى خذلى أمانا * من أمان الاصبهانى
ان بالباب أتانا * فضلت كل أتان
تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمى وبرانى
ولها خد أسيل * مثل خد الشنقرانى
فبهامت ولو عشت اذا طال هوانى

فقال له رجل من القوم ياأبا معاذ ماالشنقرانى قال هو شىء يتحدث به الحمير فاذا لقيت حمارا فاسأله (وأخذ) رجل شرب فأتى به الوالى فقال استنكهوه فقالوا ان نكهته لاتبين عليه قال فقيؤه فقال الشارب فان لم أقئ شرابا فمن يضمن لى عشائى (رافق) اعرابى اعرابيا فى سفر فقال أنا والله أشتهى كشكية ومد صوته فضرط فقال له صاحبه مانفختك ياابن أم (أبوالخطاب) قال كان عندنا رجل أحدب فسقط فى بئر فذهبت حدبته وصار آدر فدخلوا ليهنؤه فقال الذى جاء شر من الذى ذهب (أبوحاتم) قال رمى رجل أعور بنشابة فاصابت عينه الصحيحة فقال أمسينا وأمسى الملك لله (وقال) رجل للجماز ولدت امرأتى لستة أشهر فقال لقد كان آتيها ضاريا (قالوا) أتى الحجاج بسفط قد أصيب فى بعض خزائن كسرى مقفل فأمر بالقفل فكسر فاذا فيه سفط آخر

مغفل فقال الحجاج من يشترى منى هذا السفط بما فيه فتزايد فيه أصحابه حتى بلغ خمسة آلاف دينار فاخذه الحجاج ونظر فيه فقال ماعسى أن يكون فيه الاحماقة من حماقات العجم ثم أنفذ البيع وعزم على المشترى أن يفتحه ويريه ما فيه ففتحه بين يديه فاذا فيه رقعة مكتوب فيها من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل (الزبير بن بكار) قال جاءت امرأة الى ابن الزبير تستعدى على زوجها وتزعم انه يصيب جاريتها فامر به فاحضر فسأله عما ادعت فقال هى سوداء وجاريتها سوداء وفى بصرى ضعف ويضرب الليل بر واقه فانا آخذ من دنامنى (قال) وخطب رجل خطبة نكاح واعرابى حاضر فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله حى على الصلاة حى على الفلاح فقال الاعرابى لاتتم الصلاة فانى على غير وضوء (قال العوام بن حوشب) قال لى عيسى بن موسى من أرضعتك قلت ما أرضعتنى الا أمى قال قد علمت ان ذلك الوجه القبيح لا يصبر عليه سوى أمك (وكان) رجل مقتب قد تنسك وتشبه بالحسن البصرى فشهد جنازة فوقف على القبر والى جانبه رجل مليح فضحك فقال له الناسك ما أعددت لهذه الحفرة يافلان قال قذفك فيها الساعة (ودخل) اعرابى الحمام فضرط فقال نبطى كان فى الحمام سبحان الله فقال له الاعرابى ياابن اللخناء ضرطتى أفصح من تسبيحك (وقيل) لاعرابى مالك لاتجاهد قال والله انى أبغض الموت على فراشى فكيف أسعى اليه ركضا (واستشهد) اعرابى على رجل وامرأة فقال رأيته داخلا وخارجا كالمرود فى المكحلة فقال والله لو كنت جلدة أستها مارأيت هذا (وجد) منبوذ فى بعض العراق وعند رأسه مائة دينار ورقعة مكتوب فيها أنا ابن الشقى وابن الشقية وابن القدح والركية وابن البغى والبغية من كفلنى فله هذه الميه (السندى بن شاهك) قال بعث الىّ المامون بريدا وأنا بخراسان فطويت المراحل حتى أتيت باب أمير المؤمنين وقد هاج بى الدم فوجدته نائما فاعلمت الحاجب بقصتى وقدمت اليه عذرى وماهاج بى من الدم فانصرفت الى منزلى فقلت احضروا لى الحجام قالوا هو محموم قلت فهاتوا حجاما غيره ولايكون فضوليا فأتونى به فماهو الاان دارت يده على وجهى حتى قال جعلت فداك هذا وجه لا أعرفه فمن أنت قلت السندى بن شاهك قال ومن أين قدمت فانى أرى أثر السفر عليك قلت من خراسان قال وأى شىء أقدمك قلت وجه الىّ أمير المؤمنين بريدا ولكن اذا

فرغت سأخبرك بالقصة على وجهها قال وتعرفني بالمنازل والسكك التي جئت عليها قلت نعم قال فما هو الا ان فرغ حتى دخل رسول أمير المؤمنين ومعه كركي فقال ان أمير المؤمنين يقرئك السلام وهو يعذرك فيما هاج بك من الدم وقد أمرك بالتخلف في منزلك الى ان تغدو عليه ان شاء الله و يقول ما أهدى الينا اليوم غير هذا الكركي فشأنك به قال فالتفت السندي الى جلسائه فقال ما يصنع بهذا الكركي فقال الحجام يطبخ سكباجا قال السندي يصنع كما قال وحلف على الحجام أن لا يبرح فحضر الغداء فتغدينا قال ثم قلت يعلق الحجام من العقبين ثم قلت جعلت فداك سألتني عن المنازل والسكك التي قدمت عليها وأنا مشغول في ذلك الوقت وأنا أقصها عليك فاستمع خرجت من خراسان وقت كذا فنزلت كذا ياغلام اوجع فضربه عشرة أسواط ثم قلت وخرجت منه الى مكان كذا ياغلام اوجع فضربه عشرة أخرى ولم يزل يضربه لكل سكة عشرة حتى انتهى الى سبعين سوطا فالتفت الى الحجام وقال ياسيدي سألتك بالله الى أين تريد أن تبلغ قلت الى بغداد قال لست تبلغ حتى تقتلني قلت فاتركك على ان لا تعود قال والله لا أعود أبدا قال فتركته وأمرت له بسبعين درهما فلما دخلت على المأمون أخبرته الخبر قال وددت انك بلغت به الى ان تأتي على نفسه (أتت جارية) أباضمضم فقالت ان هذا قبلني فقال قبليه فان الله يقول والجروح قصاص (وارتفع) رجلان الى أبي ضمضم فقال أحدهما أبقاك الله ان هذا قتل ابني قال هل لابنك أم قال نعم قال ادفعها اليه حتى يولدها لك ولدا مثل ولدك و يربيه حتى يبلغ مثل ولدك و يبرأ به اليك (وكان) بالمدينة أعمى يكنى أباعبد الله أتى يوما يغتسل من عين فدخل بثيابه فقيل له بللت ثيابك قال تبتل علي أحب الي من أن تجنب على غيري (وفي كتاب الهند) ان ناسكا كان له سمن في جرة معلقة على سريره فتفكر يوما وهو مضطجع على السرير و بيده عكازه فقال أبيع الجرة بعشرة دراهم فاشتري بها خمسة أعنز فاولدهن في كل سنة مرتين حتى تبلغ ثمانين وأبيعهن وابتاع بكل عشرة بقرة ثم ينمو المال بيدي فابتاع العبيد والاماء ويولد لي ولد فاخذبه في الادب فان عصاني ضربته بهذه العكازة وأشار بالعصا فأصاب الجرة فانكسرت وانصب السمن على وجهه ورأسه (الزبير) قال حدثنا بكار بن رياح قال كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء ويحمل لهم الشراب فشكى الى عامل مكة فنفاه الى عرفات فبني بها منزلا وأرسل الى اخوانه فقال ما منعكم أن تعاودوا ما كنتم فيه قالوا وأين بك

وأنت فى عرفات قال حمار بدرهم وقد صرتم على الأثر والنزهة ففعلوا فكانوا يركبون اليه حتى فسدت احداث مكة فأعادوا شكايته الى والى مكة فأرسل اليه فأتى به فقال ياعدو الله طردتك فصرت تفسد فى المشعر الحرام قال يكذبون على أصلح الله الامير فقالوا أصلحك الله الدليل على صحة ماتقول أن تأمر بجميع حمير مكة فترسل بها أمناء الى عرفات فيرسلوها فان يهتدوا الى منزله دون المنازل كعادتها فنحن غير مبطلين فقال الوالى ان فى هذا لدليلا وشاهدا عدلا فأمر بحمير من حمير مكة التى للكراء فأرسلت فصارت الى منزله كانها بها عليه دليل فأعلمه بذلك أمناؤه فقال مابعد هذا شىء جردوه فلما نظر الى السياط قال لابد أصلحك الله من ضربى قال نعم ياعدو الله قال والله مافى ذلك شىء هو أشد على من أن يشمت بنا أهل العراق و يضحكون منا و يقولون أهل مكة يجيزون شهادة الحمير قال فضحك الوالى وخلى سبيله (هنا) رجل رجلا فى اعرابية فقال بالىمن والبركة وشدة الحركة والظفر فى المعركة (الهيثم بن عدى) قال بينا أنا بكناسة الكوفة اذا برجل مكفوف البصر قد وقف على نخاس بسوق الدواب فقال له أبغى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر اذا خلا له الطريق تدفق واذا كثر الزحام ترفق وان أقللت علفه صبر وان أكثرته شكر واذا ركبته هام وان ركبه غيرى نام فقال له النخاس ياعبد الله اصبر فان مسخ الله القاضى حمارا أصبت حاجتك ان شاء الله تعالى (قال) ودخل رجل السوق فى شراء فرس فقال له النخاس صفه لى فقال أريده حسن القميص جيد الفصوص وثيق العصب نقى القصب يشير بأذنيه و يشرف برأسه و يخطر بيده و يدحو برجله كانه موج فى لجه أوسيل فى حدور أومنحط من جبل فقال له النخاس نعم كذلك كان صلوات الله عليه قال انما أصف لك فرسا قال ماحسبتك الافى وصف فرس نبى هذا اليوم (قال) ودخل ابن بحيلة اليمن فلم ير بها أحدا حسنا ورأى نفسه وكان قبيحا أحسن من بها فقال

لم أر غيرى حسنا * منذ دخلت اليمنا
فنى حرام بلدة * أحسن مافيها أنا

(محمد بن اسحق) قال قال سفيان بن عيينة دخلت الكوفة فى يوم فيه رذاذ من مطر فاذا أنا بكناس فتح كنيفا ووقف على رأس البئر وهو يقول

بلدة طيب و يوم مطير * هذه روضة وهذا غدير

ثم قال لصاحبه انزل فيه فأبى عليه فنزل وهو يقول

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا * وأخو الحرب من أطاق النزولا

(الاصمعى) قال بينا أنا سائر بالفيفاء اذ سمعت صوتا يقول

جنبونى ديار هند وسعدى * ليس مثلى يحل دار الهوان

قال فالتفت يمنة وشمالا فاذا الصوت خارج من حش فأقبلت حتى وقفت عليه فاذا بكناس و بيده فاس فقلت ياسبحان الله أنت تكنس عذرة وتقول ليس مثلى يحل دار الهوان فانى ذلك وأى هوان أكثر مما أنت فيه قال فرفع رأسه الىّ وقال

لاتلمنى فاننى نشوان * أنا فى الملك ماسقتنى الدنان

فقلت ماهو الا كقول الآخر * من قرعينا بعيشه نفعه *

﴿ ولعلى بن الجهم ﴾

أعظم ذنب عندكم ودى * فليت هذا ذنبكم عندى

ياحسرتا أهلك وجدا بمن * لايعرف الشكوى من الوجد

﴿ حماد الراوية ﴾ قال أتيت مكة فجلست فى حلقة منها فيها عمر بن أبى ربيعة القرشى واذاهم يتذاكرون العذريين وعشقهم وصبابتهم فقال عمر بن أبى ربيعة أحدثكم عن بعض ذلك كان لى خليل من عذرة يكنى أبا مسهر وكان مشتهرا بأحاديث النساء يصبو بهن وينشد فيهن على انه كان لاعاهر الخلوة ولا حديث السلوة وكان يوافى الموسم فى كل سنة فاذا أبطأت السفار استوقف واذا أبطأ استوقفت له وانه غاب على سنة من ذلك خبره حتى قدم وفد عذرة فأتيت القوم أنشد صاحبى فاذا رجل يتنفس الصعداء فقال عن أبى مسهر تسأل قلت نعم قال هيهات هيهات أصبح والله أبو مسهر لاحيا يرجى ولاميتا ينسى ولكنه كما قال الشاعر

لعمرك ماهذا الغرام بتاركى * صحيحا ولا أقضى به فأموت

فقلت وما الذى به قال مثل الذى بك من انهما ككما فى الضلال وجركما أذيال الخسران كأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار قلت ما أنت منه يا ابن أخى قال أخوه قلت والله انك وأخاك كالوشى والبجاد لايرقعك ولا ترقعه ثم انطلقت وأنا أقول

أرائحة حجاج عذرة روحة * ولما يرح فى القوم قيس بن مهجع

خليلى يشكو مايلاقى من الهوى * ومهما يقل اسمع وان قلت يسمع

ألا ليت شعرى أى خطب أصابه * أمن زفرات الهجر من بين أضلع
فلا يبعدنك الله خلا فاننى * سألقى كالاقيت فى الحب مصرعى

قال فلما حججت ووقفت بعرفات اذا به قد أقبل وقد تغير لونه وساءت هيئته وما عرفته الا بناقته فأقبل حتى خالف بين أعناقهما ثم اعتنقنى وجعل يبكى فقلت له ما الذى دهاك قال برح الخفاء وكشف الغطاء ثم أنشد يقول

لئن كانت عديلة ذات مطل * لقد علمت بأن الحب داء
وانك لو تكلفت الذى بى * لزال الستر وانكشف الغطاء
وان معاشرى ورجال قومى * حتوفهم الصبابة واللقاء
اذا العذرى مات بحتف انف * فذاك العبد تحكيه الرشاء

فقلت يا أبا مسهر انها ساعة عظيمة تضرب فيها اكباد الابل من شرق الارض وغربها فلو دعوت الله كنت قمنا ان تظفر بحاجتك وتنصر على عدوك فجعل يدعو حتى اذا مالت الشمس للغروب وهم الناس ان يفيضوا سمعته يهينم بشىء فأصغيت مستمعا فجعل يقول

يا رب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الصبا ونوحه
* أنت حسيب الخلق يوم الدوحه *

فقلت له وما يوم الدوحة قال سأخبرك ان شاء الله ولولم تسلنى فيممنا نحو المزدلفة فأقبل علىّ وقال انى رجل ذو مال كثير ونعم وشاه وانى خشيت على مالى عام أول التلف فأتيت أخوالى كلبا فاوسعوا الى عن صدر المجلس وسقونى جمة البئر وكنت منهم فى خير أحوالى ثم انى عزمت على مرافقة أهل ماء لهم يقال له الحوادث فركبت يوما فرسى وعلقت معى شرابا أهداه الى بعض الكلبيين فانطلقت حتى اذا كنت بين الحى ومرعى النعم رفعت لى دوحة عظيمة فقلت لو نزلت تحت هذه الشجرة ثم تروحت مبردا ففعلت فشددت فرسى ببعض أغصانها ثم جلست تحتها فاذا الغبار سطع من ناحية الحى ثم تبينت فبدت لى شخوص ثلاث فاذا فارس يطرد مسحلا وأتانا فلما اقرب منى فاذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء فما لبث ان لحق المسحل فطعنه فصرعه ثم ثنى طعنة بالاتان وأقبل

وهو يقول

نطعنهم سلكى ومخلوجة * كرك الامين على نابل

فقلت له انك قد تعبت وأتعبت فلو نزلت فثنى رجله فنزل وشد فرسه ببعض أغصان الشجرة ثم أقبل حتى جلس فجعل يحدثني حديثا ذكرت به قول الشاعر

وان حديثا منك لم تبذلينه * جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل

فبيناهو كذلك اذ نكت بالسوط على ثنيتيه فما ملكت نفسي ان قبضت على السوط وقلت مه فقال ولم قلت ان تكسرهما قال انهما رقيقتان عذبتان قال فرفع عقيرته وجعل يقول

اذاقبل الانسان آخر واشتهى * ثناياه لم يأثم وكان له أجر

وقال ماهذا الذى جعلت فى سرجك قلت شراب أهداه الى بعض أهلك فهل لك به قال وما نكرهه اذا كره فأتيته به فوضعته بيني وبينه فلما شرب منه شيأ نظرت الى عينيه كأنهما عينا مهاة قد ضلت ولدها ثم رفع عقيرته يتغنى

ان العيون التى فى طرفها مرض * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

ثم قمت لاصلح من أمر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه واذا كان وجهه دينار هرقلي فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك قال وكيف قلت ذلك مما راعني من نورك وبهرني من جمالك قال وما الذى يروعك من زرق العيون وحبيس التراب ثم لاندري أينعم بعدك أم يبأس قلت لا يصنع الله الا خيرا بك ثم قام الى فرسه فلما أقبل برقت لى بارقة من تحت الدرع فاذا ثدي كأنه حق عاج قلت نشدتك الله امرأة أنت قالت أي والله وتكره العهر وتحب الغزل قلت وأنا والله كذلك فجلست والله تحدثني ما أنكر من أمرها شيأ حتى مالت على الدوحة سكرى فاستحسنت والله يا ابن أبي ربيعة الغدر وزين فى عيني ثم ان الله عصمني فما لبثت ان انتبهت مذعورة فلاثت عمامتها برأسها وأخذت الرمح وجالت فى متن فرسها فقلت مضيت ولم تزوديني منك زادا فأعطتني ثناياها فمسست والله منها كالثلج الممطور ثم قلت أين الموعد قالت ان لى اخوة شرسا وأبا غيورا والله لان أسرك أحب الى من أن أضرك ثم مضت فكان والله آخر العهد بها الى يومي هذا وهي التى بلغتني هذا المبلغ وأحلتني

هـذا المحل قال فدخلتني لهرقة فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشدعلى ناقته وحملت غلامالي على بعير وحملت عليه قبة حمراء من أدم كانت لابي ربيعة وأخذت معي ألف دينار ومطرف خز ثم خرجنا حتى أتينا بلاد كلب فاذا الشيخ في نادي الحي فسلمت عليه فقال وعليك السلام من أنت فقلت عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي قال المعروف غير المنكور فما الذي جاء بك قلت جئتك خاطبا قال أنت الكفء لا يرغب عن وصلته والرجل الذي لا يردعن حاجته قال قلت اني لم آتك لنفسي وان كنت في موضع الرغبة ولكنني أتيتكم لابن أختكم العذري قال والله انه الكفء الحسب كريم النسب غيران بناتي لم يعرفن هذا الحي من قريش قال فعرف الجزع من ذلك في وجهي فقال اما اني أصنع في ذلك مالم أصنعه قط لغيرك أخيرها في نفسها فهي وما اختارت فقلت خيرها فأرسل اليها ان من الامر كذا وكذا فالرأي رأيك فقالت ما كنت لاستبد برأي دون رأي القرشي خياري ما اختار قال قدردت الامر اليك فحمدت الله وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وقلت قدزوجتها العذري مهجعا وأصدقتها عنه الألف دينار وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة وكسوة الشيخ المطرف فسر به وسألته ان يبني بها من ليلته فاجابني الى ذلك فضربت القبة في وسط الحي وأهديت اليه ليلا وبت عند الشيخ في خيرمبيت فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة فخرج الي وقدتبين الجذل فيه فقال كيف كنت بعدي أبامسهر قال أبدت لي كثيرا مما كانت تخفيه يوم رأيتها فقلت أقم عند أهلك بارك الله لك ثم انطلقت الى أهلي وأنا أقول

كفيت الفتى العذري ما كان نابه * ومثلي لاثقال النوائب يحمل

اما استحسنت مني المكارم والعلا * اذا صرحت اني أقول وأفعل

(حدث) أبو محمد الشعبي الوراق وكان عند باب خراسان على باب الجسر الاول عن حماد بن اسحق عن أبيه اسحق بن ابراهيم بن ميمون الموصلي قال بينا أنا ذات يوم عند المأمون وقدخلا وجهه وطابت نفسه اذقال لي يا اسحق هذا يوم خلوة وطيب فقلت طيب الله عيش أمير المؤمنين ودام سروره بفرحه فقال ياغلمان خذوا علينا الباب واحضروا الشراب قال ثم أخذ بيدي وأدخلني في مجلس غير المجالس التي كنا فيها واذا قد نصبت الموائد وأصلح ما كان يحتاج اليه الحال حتى كانه شيء قد كان تقدم فيه قال فأكلنا وأخذنا

فى الشراب فاقبلت الستيرات من كل ناحية بضروب من الغناء وصنوف من اللهو فلم نزل على ذلك الى آخر النهار فلما غربت الشمس قال لى يا اسحق خير أيام الفتى أيام الطرب قلت هو والله ذاك يا أمير المؤمنين قال فانى فكرت فى شىء فهل لك فيه قلت لا أتأخر عن رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قال لعلنا نباكر الصبوح فى غدوتنا هذه وقد عزمت على دخلة الى الحرم فكن بمكانك ولا ترم فانى أوافيك عن قريب قلت السمع والطاعة ثم نهض الى دار السلام فما عرف له خبر الى ان ذهب من الليل عامته قال اسحق وكان المأمون من أشغف خلق الله بالنساء وأشدهم ميلا اليهن واستهتارا بهن وعلمت ان النبيذ قد غلب عليه وانهن قد انسينه أمرى وما كان تقدم الىّ و وعدنى من رجوعه فقلت فى نفسى هو فى لذته وأنا ههنا فى غير شىء وفى بقية وعندى صبية كنت قد اشتريتها ونفسى متطلعة الى افتضاضها فقمت مسرعا عند ذكرها فقال الخدم على أى شىء عزمت والى أين تريد قلت أريد الانصراف قالوا فان طلبك أمير المؤمنين قلت هو فى سروره قد شغله الطرب ولذة ما هو فيه عن طلبى وقد كان بينى وبينه موعد قد جاز وقته ولا وجه لجلوسى قال وكنت مقدم الامر فى دار المأمون مقبول القول فيه لا أعارض فى شىء اذا أومأت اليه فخرجت مبادرا الى باب الدار فلقينى غلمان الدار وأصحاب النوبة فقالوا ان غلمانك قد انصرفوا وكانوا قد جاؤك بدابة فلما علموا بمبيتك انصرفوا فقلت لا ضير أنا أمشى الى البيت وحدى قالوا نحضر لك دابة من دواب النوبة قلت لا حاجة لى فى ذلك قالوا فنمضى بين يديك بمشعل قلت لا ولا أريد أيضاً وأقبلت نحو البيت حتى اذا صرت ببعض الطريق أحسست بحرقة البول فعدلت الى بعض الازقة لئلا يجوز أحد من العوام فيرانى أبول على الطريق فبلت حتى اذا قمت الى المسح ببعض الحيطان اذا بشىء معلق من تلك الدار الى الزقاق فما تمالكت ان تمسحت ثم دنوت الى ذلك الشىء لأعرف ماهو فاذا زنبيل معلق كبير بأربعة مقابض ملبس ديباجا وفيه أربعة أحبل ابريسم فلما نظرت اليه وتبينته قلت والله ان لهذا لسببا وان له لامرا فاقمت ساعة أتروى فى أمرى وافكر فيه حتى اذا طال ذلك بى قلت والله لاتجاسرن ولاجلسن فيه كائنا ما كان ثم لففت رأسى بردائى وجلست فى جوف الزنبيل فلما أحس من كان على ظهر الحائط بثقله جذبوا الزنبيل حتى انتهوا الى رأس الحائط فاذا بأربع جوار فقلن انزل بالرحب والسعة اصديق أم جديد فقلت لا بل جديد فقلن يا جارية هاتى الشمعة فابتدرت احداهن الى طست فيه شمعة

واقبلت بين يدي حتى نزلت الى دار نظيفة فيها من الحسن والظرف ما حرت له ثم ادخلتني ا
مجالس مفروشة ومناص مرصوصة بصنوف الفرش مالم أر مثله الا في دار الخليفة فجلست
في ادنى مجلس من تلك المجالس فما شعرت بعد ذلك الا بضجة وجلبة وستور قد رفعت في ناحية
من نواحي الدار واذا بوصائف يتسابقن في ايدي بعضهن الشمع و بعضهن المجامر يبخرن فيه
العود والند بينهن جارية كأنها تمثال عاج تتهادى بينهن كالبدر الطالع بقد يزرى على
الغصن فما تمالكت عند رؤيتها ان نهضت فقالت مرحبا بك من زائر أتى وليست تلك
عادته وجلست ورفعت مجلسي عن الموضع الذي كنت فيه فقالت كيف كان ذا والله
وللـ ولا علم كان وقع الي فما السبب قال قلت انصرفت من عند بعض اخواني وظننت أني
على وقت فخرجت في وقت ضيق وأخذني البول فأخذت الى هذا الطريق فعدلت الى هذا
الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملني النبيذ فجلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه وان
كان صوابا فالله ألهمنيه قالت لا ضير ان شاء الله وأرجو ان تحمد عواقب أمرك فما صناعتك
قلت بزاز قالت وأين مولدك قلت بغداد قالت ومن أي الناس أنت قلت من أماثلهم
وأوساطهم قالت حياك الله وقرب دارك قالت فهل رويت من الاشعار شيأ قلت شيئا
يسيرا قالت فذاكرنا بشيء مما حفظت قلت جعلت فداك ان للداخل دهشة وفي انقباض
ولكن تبتدئين بشيء من ذلك فالشيء يأتي بالمذاكرة قالت لعمري لقد صدقت فهل تحفظ
لفلان قصيدته التي يقول فيها كذا وكذا ثم انشدتني لجماعة من الشعراء والقدماء والمحدثين
من أحسن أشعارهم وأجود أقاويلهم وأنا مستمع أنظر من أي أحوالها أعجب من ضبطها
أم من حسن لفظها أم من حسن أدبها أم من حسن جودة ضبطها للغريب أم من اقتدارها
على النحو ومعرفة أوزان الشعر ثم قالت ارجو ان يكون ذهب عنك بعض ما كان من الحصر
والانقباض والحشمة فقلت ان شاء الله لقد كان ذلك قالت فان رأيت ان تنشدنا من بعض
ما تحفظ فافعل قال فاندفعت أنشد لجماعة من الشعراء فاستحسنت نشيدي وأقبلت تسألني
عن أشياء في شعري كالمختبرة لي وأنا أجيبها بما أعرف في ذلك وهي مصغية الي ومستحسنة لما
آتي به حتى أتيت على ما فيه مقنع قالت والله ما قصرت ولا توهمت في عوام التجار وأبناء
السوقة مثل ما معك فكيف معرفتك بالاخبار وأيام الناس قلت قد نظرت أيضا في شيء من
ذلك فقالت يا جارية احضرينا ما عندك فما غابت عنا حينا حتى قدمت الينا مائدة لطيفة قد جمع

علىها غرائب الطعام الهري فقالت ان الممالجة أول الرضاع فدونك فتقدمت فأقبلت اعذر بعض التعذير وهى هى تقطع وتضع بين يدى وأنا اغتنم ما أرى من ظرفها وحسن أدبها حتى رفعت المائدة وأحضرت آنية النبيذ فوضعت بين يدى صينية وقنينة وقدح ومغسل وبين يديها مثل ذلك وفى وسط المجلس من صنوف الرياحين وغرائب الفوا كه مالم أره اجتمع لاحد الاولى عهد أوسلطان وقد عبى أحسن تعبية وهيء أحسن تهيئة قال اسحق فتثاقلت عن الشراب لتكون هى المبتدئة فقالت مالى أراك متوقفا عن الشراب قلت انتظارالك جعلت فداك فكبت فدحا فشربت ثم سكبت قدحا آخر فشربت ثم قالت هذا أوان المذاكرة فان المذاكرة بالاخبار وذكر أيام الناس مما يطرب قلت لعمرى ان هذا لمن أوقاته فاندفعت فقالت بلغني انه كان كذا وكذا وكان رجل من الملوك يقال له فلان بن فلان وكان من قصته كذا وكذا حتى مرت بعدة أخبار حسان من أخبار الملوك ومالا يتحدث به الاعند ملك أوخليفة فسررت بذلك سرورا شديدا ثم قالت والله لقد حدثتني باحاديث حسان ولقد كثر تعجبي من ان يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذا من أحاديث الملوك ومالا يتحدث به الاعند ملك أوخليفة فقلت جعلت فداك كان لى جار ينادم بعض الملوك وكان حسن المعرفة كثيرالحفظ فكان ربما تعطل عن نوبته التى كان يذهب فيها الى دار صاحبه لشغل يمنعه من ذلك أولامر يقطع فامضى اليه وأعزم عليه وأصيره الى منزلى فربما أخبرنى من هذه الاحاديث شيأ الى ان صرت من خاصة أخدانه وممن كان لايفارقه فما سمعت منى فمنه أخذته وعنه استفدته فقالت يجب أن يكون هذا كذا ولعمرى لقد حفظت فاحسنت الحفظ وما هذا الالقريحة جيدة وطبع كريم قال اسحق وأخذنا فى الشراب والمذاكرة ابتدىء الحديث فاذا فرغت ابتدأت هى فى آخر حتى قطعنا بذلك عامة الليل والندوفائق البخور يجدد وأنا فى حالة لو توهمها المأمون أوتأملها لاستطار سرورا وفرحا ثم قالت لى يافلان وكنت قد غيرت عليها اسمى وكنيتى والله انى لاراك كاملا وانك فى الرجال لفاضل وانك لوضيء الوجه مليح الشكل بارع الادب وما بقى عليك الاشيء واحد حتى تكون قد برزت وبرعت فقلت وما هو ياسيدتى دفع الله الاسواء عنك قالت لو كنت تحرك بعض الملاهى أوتترنم ببعض الاشعار فقلت والله قد كنت اشتهيه وطالما كلفت به وحرصت عليه فلم أرزقه ولا تعلق بى شيء منه فلما طال عنائى به وكلما تقدمت فى طلبه كنت منه أبعد وعنه أذهب تركته واعرضت عنه

وان فى قلبى من ذلك لحرقة وانى لمستهتر به مائل اليه وما أكره ان اسمع فى مجلسى هذا من جيده شيأ لتكمل ليلتى و يطيب عيشى قالت كانك قد عرضت بنا قلت لا والله ماهو تعريض وماهو الا تصريح وأنت بدأت بالفضل وأنت أولى من اتم مابدأت به فقالت ياجارية عود فأحضرت عودا فأخذته فما هو الا ان جسته حتى ظننت ان الدار قد سارت بى و بمن فيها واندفعت تغنى مع صحة أداء وجودة صوت فقلت والله لقد جمع الله لك خلال الفضل وحباك بالكمال الرائع والعقل الزائد والاخلاق المرضية والافعال السنية فقالت ماتعرف لمن هذا الصوت ومن غنى به قلت لا والله قالت الغناء لاسحق والشعر لفلان وكان من سببه كذا وكذا قلت هذا والله أحسن من الغناء فلم تزل تلك حالها فى كل صوت تغنيه ومع ذلك تشرب وأشرب حتى اذا كان عند انشقاق الفجر جاءت عجوز كأنها داية لها فقالت أى بنية ان الوقت قد حضر فاذا شئت فانهضى فلما سمعت مقالها نهضت فقالت عزمت قلت أى والله فقالت مصاحبا للسلامة عليك لتسترما كنا فيه فان المجالس بالامانة فقلت جعلت فداك أفاحتاج الى وصية فى ذلك فودعتها و ودعتنى وقالت ياجارية بين يديه فأتت بى باب فى ناحية الدار ففتح لى وأخرجت منه الى طريق مختصر فبادرت البيت فصليت و وضعت رأسى فما انتبهت الا و رسل الخليفة على الباب فقمت فركبت فسرت اليه فلما مثلت بين يديه قال لى يااسحق جفوناك بما كنا ضمناه لك وتشاغلنا عنك فقلت ياسيدى ليس شىء آثر عندى وأسر الى قلبى من سرور يدخل على أمير المؤمنين فاذا كمل سروره وطاب عيشه فعيشنا يطيب وسرورنا متصل بسروره ثم قال ما كانت حالتك قلت ياسيدى كنت اشتريت من السوق صبية وكنت متعلق القلب بها فلما تشاغل أمير المؤمنين عنى وقد كانت فى بقية طالبتنى نفسى بها فمضيت مسرعا وأحضرتها وأحضرت نبيذا فسقيتها وشربت معها وغلب على السكر فقطعت عما أردت وذهب بى النوم الى ان أصبحت فقال لى ما أكثر مايتهيأ على الناس من هذا فهل لك فى مثل ما كنا فيه أمس قلت ياأمير المؤمنين وهل أحد يمتنع من ذلك قال فاذا شئت فنهض ونهضت فصرنا الى المجلس الذى كنا فيه بالامس على مثل حالنا وأفضل حتى اذا كان ذلك الوقت وثب قائما ثم قال يااسحق لاترم فانى أجيئك وقد عزمت على الصحبة فما هو الا ان فارقنى حتى تصورلى ما كنت فيه فاذا هو شىء لايصبر عنه الا جاهل فنهضت فقال لى الغلمان الله الله وانه قد أنكر علينا تخليتك وطلبنا بك وقال لم تركتموه ولا نحسبك الا تحب الايقاع بنا فقلت والله لانال أحدكم

بسبى مكروه أبدا ولكن أبادر بحاجتى والله لا كان لى حبس ولا تربث وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه اذا دخل أبطأ وأناموا فيكم قبل خروجه ان شاء الله قال فنهضت فما شعرت الا وأنا فى الزقاق فوافيت الزنبيل على ما كان عليه فاقعدت فيه وأصعدت وصرت الى الموضع فلم ألبث الا هنيهة واذا بها قد طلعت فقالت ضيفنا قلت أى والله قالت أوقد عاودت قلت نعم وأظننى انى قد اقلت فقالت مادح نفسه يقرئك السلام فقلت هفوة فخذنى بالصفح قالت قد فعلنا فلا تعد قلت ان شاء الله ثم جلست واخذنا فيما كنا فيه من المذاكرة والانشاد والشرب ولم نزل على تلك الحال وافضل وقد انست وانبسطت بعض الانبساط وهى مع ذلك لا تزال تقول لو كنت على ما انت عليه احكمت من تلك الصنعة شيأ لقد تناهيت وبرعت فاقول والله لقد حرصت على ذلك وجهدت فيه فما رزقته ولا قدرة عليه ثم قلت جعلت فداك لا تخلينا مما كان من فضلك البارحة فاخذت فى الاغانى وكلما مر صوت طيب قالت أتدرى لمن هذا فاقول لا فتقول لاسحق فاقول واسحق هكذا فى الحذق فتقول بخ اسحق فى هذا البيت بديع الصوت وعميق الغناء فاقول سبحان الله لقد أعطى اسحق هذا مالم يعطه أحد فتقول لو سمعت هذا منه لكنت أشد استحسانا له وكلفا به حتى اذا كان ذلك الوقت وجاءت العجوز نهضت وودعتها وبادرت جارية ففتحت الباب فخرجت منه وبادرت المنزل فتوضأت للصلاة وصليت الصبح ووضعت رأسى فنمت فما انتبهت الا ورسل أمير المؤمنين يطلبوننى فركبت الى الدار فما هو الا أن مثلت بين يديه فقال لى يا اسحق أبيت الا مكافأتنا ومعاملة بمثل ما عاملناك قلت لا والله يا أمير المؤمنين ما الى ذلك ذهبت ولا اليه قصدت ولكننى ظننت أن أمير المؤمنين تشاغل عنى بلذته وأغفل أمرى وجاء الشيطان فذكرنى أمر الجارية فبادرت فقال وكان من أمرك ماذا قلت قضيت الحاجة وفرغت الامر فقال قد انقضى ما كان بقلبك منها واحدة بواحدة والبادى أظلم قلت أنا يا أمير المؤمنين ألوم وأظلم والمعذرة اليك فقال لا تثريب عليك هل لك فى مثل حالنا الاول قلت أى والله قال فانهض بنا فقمنا حتى صرنا الى الموضع الذى كنا فيه فاخذنا فى لذتنا حتى اذا كان الوقت قال لى يا اسحق ماعزمت قلت لا عزم لى يا أمير المؤمنين قال عزمت عليك لتجلس حتى أخرج اليك لتصطبح فانى عازم على الصبوح وقد نقضت على منذ يومين قلت ان شاء الله وقام فما هو الا أن توارى حتى قمت وقعدت وجالت وساوسى وجعلت أفكر فى مجلسى معها وأفكر فيها وفى الخروج عن طاعة المأمون

ومايخرجني من سخطه وموجدته فسهل كل صعب اذفكرت فى أمرها فقمت مبادرا فاجتمع على جند الدار فقالوا أين تريد فقلت الله الله ان لى قصة وأنا معلق القلب ببعض من فى منزلى وأحتاج الى مطالبتهم فى بعض الامر فقالوا اليس الى تركك سبيل فلم أزل أرفق بهذا وأقبل رأس هذا ووهبت لواحد خاتمى ولآخر ردائى حتى تركونى فلما خرجت عن جملتهم فلم أرتدع عنها حاسرا حتى وافيت الزنبيل وصعدت السطح وصرت الى الموضع فلما رأتنى قالت ضيفنا قلت نعم قالت جعلتها دار مقام قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة أيام فان عدت بعدها فانت فى حل من دمى قالت والله لقد أتيت بحجة ثم جلسنا وأخذنا فى مثل حالنا الاول من الشرب والانشاد والمذاكرة حتى اذا علمت أن الوقت قد قارب فكرت فى قصتى وان المأمون لا يفارقنى على هذا وانى لا أتخلص منه الا بشرح قصتى وأكشف له عن حالى وعلمت أنى ان قلت له ذلك طالبنى بمعرفة الموضع والمسير اليه مع ما كان غلب عليه من الميل الى النساء فقلت لها أتأذنين فى ذكر شىء خطر ببالى قالت قل ما بدا لك قلت جعلت فداك انى أراك ممن يقول بالغناء ويعجب به وبالادب ولى ابن عم هو أحسن منى وجها وأظرف قدا وأكثر أدبا وأغزر معرفة وأنا تلميذ من تلاميذه وحسنة من حسناته وهو أعرف الناس بغناء اسحق قالت طفيلى ومقترح لم ترض ان سمحنا لك ثلاثة أيام حتى طلبت أن تأتى معك بآخر فقلت لها جعلت فداك ذكرته لتكونى أنت الحكمة فان أذنت وأردت ذلك والا فلا أذكره فقالت ان كان ابن عمك هذا على ما ذكرت فلا نكره أن نعرفه فقلت هو والله أكثر مما وصفت فقالت ان شئت فالليلة الآتية ائت به ثم حضر الوقت فنهضت حتى وافيت منزلى واذا برسل الخليفة قد هجموا على منزلى وأصحاب الشرطة فلما بصروا بى سحبت على ما بى بحالى تلك حتى انتهوا بى الى الدار فاذا المأمون جالس على كرسى وسط الدار مغتاظ حرد فقال أخروجا عن الطاعة قلت لا والله يا أمير المؤمنين انه كانت لى قصة احتاج فيها الى الخلوة فاومأ الى من كان واقفا فتنحوا فلما خلونا قلت كان من خبرى كذا وكذا وفعلت وصنعت فوالله ما فرغت من حديثها حتى قال يا اسحق أتدرى ما تقول فقلت أى والله انى لا أدرى فقال ويحك كيف لى بمشاهدة ما شاهدت قلت ما الى ذلك سبيل قال لابد أن تتلطف وتوصلنى اليها فهذا ما بقى لى صبر عنه قلت والله انى قد تفكرت فى قصتها وفيما قدمت عليه من عصيانك وعلمت أنه لا ينجينى الا الصدق وكشف الحال وعلمت أنك تطالبنى به أشد مطالبة فقدمت لها ذكرك

و وعدتني في أمرك بكذا وكذا فقال أحسنت والله ولولا ذلك لنالك مني كل مكروه فقلت الحمد لله الذي سلم ثم نهض ونهضت الى مجلسنا وأخذنا في لذتنا وهو مع ذلك يقول يا اسحق صف لي حالها واشرح لي أمرها فقطعنا يومنا في مذاكرتها الى أن مضى النهار فلما أن مضى من الليل هدأة جعل يقول ماجاء الوقت وأنا أقول بقي قليل والقلق غالب عليه حتى جاء الوقت فنهضنا وخرجنا من بعض أبواب القصر ومعنا غلام وهو على حمار وأنا على حمار فلما صرنا بالقرب من منزلها نزلنا ثم سلمنا الحمارين للغلام وقلنا له انصرف فاذا كان الفجر فكن ههنا بالحمارين وأقبلنا نمشي متنكرين وأنا أقول يجب أن تظهر بين بحضرتها اكرامي وتطرح نخوة الخلافة وتجبر الملك بل كن كأنك تبع لي وهو يقول نعم أو يحتاج أن توصيني ثم قال ويحك يا اسحق فان قالت لي غن كيف أصنع قلت أنا أكفيك وأدفعها عنك برفق فلما صرنا الى الزقاق فاذا بزنبيلين معلقين بثمان حبال فقعد كل منا في واحد وجذبنا الجواري واذا نحن في السطح وبادرن بين أيدينا حتى انتهينا الى المجلس فاقبل المأمون يتأمل الفرش والدار والزي ويتعجب عجبا شديدا ثم قعدت في موضعي الذي كنت أقعد فيه وقعد المأمون دوني في المرتبة ثم أقبلت فسلمت فاتعالك ان بهت من حسنها فقالت حيا الله ضيفنا فوالله ماأنصفت ابن عمك ألا رفعت مجلسه فقلت ذلك اليك جعلت فداك فقالت ارتفع فديتك فانت جديد وهذا قد صار من أهل البيت ولكل جديد لذة فنهض المأمون حتى صار في صدر المجلس ثم أقبلت عليه تذاكره وتناشده وتمازحه وهو يأخذ معها في كل فن ويفحمها قال ثم التفت الي وقالت وفيت بوعدك وصدقت في قولك ووجب شكرك على صنيعك قال ثم احضر نبيذ وأخذنا في الشراب وهي مع ذلك مقبلة عليه وهو مقبل عليها ومسرورة به ومسرور بها فقالت لي ابن عمك هذا من ابناء التجار قلت نعم فديتك نحن لا نعرف الا التجارة قالت وانكافيها لغريبان ثم قالت موعدك فقلت لعمري انه لحبيب ولكن حتى نسمع شيأ قالت لك ذلك فأخذت العود فغنت صوتا فشربنا عليه رطلا ثم غنت بصوت كان المأمون يقترحه علي فشربنا عليه رطلا فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والارتياح وقال يا اسحق فوالله لقد رأيته ينظر الي نظر الاسد الى فريسته فنهضت وقلت لبيك يا أمير المؤمنين قال غنني بهذا الصوت فلما رأتني قمت بين يديه وأخذت العود ووقفت بين يديه أغنيه علمت انه الخليفة واني اسحق فنهضت فقالت ههنا وأومات

الى كلة مضروبة فدخلناها ثم فرغت من ذلك الصوت وشرب رطلا وقال لى ويحك يا اسحق انظر من رب هذه الدار فخرجت الى تلك العجوز فسألتها عن صاحب الدار فقالت الحسن بن سهل قلت ومن هذه قالت بوران ابنته فرجعت وأعلمته قال ثم انصرفنا فقال لى يا اسحق اكتم هذا الامر ولا تتفوه به ومضينا الى دار الخلافة فلما كان الصباح وحضر الحسن بن سهل على عادته قال له المأمون ألك بنت قال نعم يا أمير المؤمنين قال ما اسمها قال بوران قال فانى أخطبها اليك قال هى أمتك يا أمير المؤمنين وأمرها اليك قال فانى قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألف دينار فاذا قبضت المال فاحملها الينا ثم تزوجها وكانت احظى نسائه عنده وآثرهن لديه وكنت أستر هذا الحديث الى أن مات المأمون فما اجتمع لاحد ما اجتمع لى فى تلك الاربعة الايام اذ كنت انصرف من مجلس أمير المؤمنين الى مجلسها ووالله ما رأيت من الرجال وملوكهم وخلفائهم وشرفائهم أحدا يفى بالمأمون ولا شاهدت من النساء امرأة كبوران فى عقلها وأما معرفتها وأدبها فما أظن من يتهيأ له ان يقف من العلوم على ما وقفت عليه ولقد سألت بعض من يتولى خدمتها من العجائز ما حالها على ما أرى فقالت انها تفعل ذلك منذ كذا وكذا سنة ولقد عاشرت الظرفاء والملاح والادباء أكثر من أن يقع عليه احصاء ولم يكن جرى بينها وبين أحد مكروه ولا خنى ولا كلمة قبيحة ولم يكن مذهبها فى ذلك الا حب الادب والمذاكرة ومعاشرة الظرفاء وأهل المروأة والاقدار والنبل والاخطار لا لريبة تظهر ولا لحالة تنكر قال فوالله لقد تضاعف قدرها عندى وعظم خطرها فى نفسى وعلمت شرف همتها وفضلها فهذا خبر بوران على الحقيقة وسبب تزوج المأمون بها (قال هشام) بن الكلبي والهيثم بن عدى ان ناسا من بنى حنيفة خرجوا يتنزهون الى جبل لهم فرأى فتى منهم فى طريقه جارية فرمقها وقال لاصحابه لا انصرف والله حتى أرسل اليها وأخبرها بحبى لها فطلبوا اليه فأبى أن يكف وأقبل يراسل الجارية وتمكن حبها من قلبه فانصرف أصحابه وأقام الفتى فى ذلك الجبل فمضى اليها ليلة متقلدا سيفا وهى بين اخوين لها نائمة فايقظها فقالت انصرف لئلا ينتبه اخواى فيقتلاك قال الموت أهون والله مما أنا فيه ولكن اعطينى يدك اضعها على قلبى وانصرف فاعطته يدها فوضعها على قلبه وانصرف فلما كانت الليلة الثانية اتاها وهى على مثل تلك الحال فايقظها فقالت له مثل مقالها الاول فقال لك الله ان

امكنتيني من شفتيك ارشفهما ان انصرف فامكنته فرشفهما ثم انصرف فوقع في قلبها من حبه مثل ما كان به وفشا خبرهما في الحي فقال أهل الجارية مامقام هذا الفاسق في هذا الجبل امضوا بنا اليه الليلة فبعثت اليه الجارية ان القوم سيأتونك الليلة فاحذر على نفسك فلما أمسى قعد على مرقاة ومعه قوسه وسهمه ووقع بالحي في الليل مطر فاشتغلوا عنه فلما كان آخر الليل وانقشع السحاب وطلع القمر اشتاقته الجارية فخرجت تريده ومعها صاحبة لها من الحي كانت تثق بها فنظر الفتى اليهما فظن انهما يطلبانه فرمى فما اخطأ قلب الجارية فوقعت ميتة وصاحت الاخرى ورجعت فانحدر الفتى من الجبل فاذا الجارية ميتة فقال .

نعب الغراب بما كرهـــت ولا ازالة للقدر

تبكي وأنت قتلتهـا * فاصبر والا فانتحر

ثم وجأ بشاقصة في أوداجه حتى مات فجاء أهل المرأة فوجدوهما ميتين فدفنوهما في قبر واحد

٢ — باب اللغز — كانت في ابي عطاء السندي لثغة قبيحة فاجتمع يوما في مجلس بالكوفة فيه حماد الراوية وحماد عجرد وحماد بن الزبرقان وبكر بن مصعب فنظر بعضهم الى بعض وقالوا ما بقي شيء الا وقد تهيأ في مجلسنا هذا فلو بعثنا الى أبي عطاء السندي فأرسلوا اليــه فأقبل يقول مرهبا مرهبا هيا كم الله وقد كان قال أحدهم من يحتــال لابي عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان فقال حماد الراوية انا فقال يا أبا عطــاء كيف علمك باللغز قال هسن يريد حسن فقــال له :

فما صفراء تكنى أم عوف * كأن سويقتيها منجلان

قال زوادة فقال اصبت ثم قال

أتعرف مسجـدا لبني تميم * فويق الميل دون بني أبان

قال في بني سيتان فقال أصبت (ثم قال) .

فما اسم حديدة في الرمح ترمى * دوين الصـدر ليست بالسنان

فقال زز فقال أصبت (وقال) المـأمون يصف خاتما

وأبيض أما جسمه فمـدور * نقي وأما رأســه فمعار

ولم يكتسب الا ليسكن وسطه * مؤنثـة لم تكس قط خمار

لها أخوات أربع هن مثلها * ولكنها الصغرى وهن كبار

{ وقال آخر فى ارنب }

لهوت بذات رأس والتياث * كرفع الاصبعين على الثلاث
اذا السبابة ارتفعت مع الخنصر اجتمع الثلاث بلا انتكاث
لهوت بها تطير بلا جناح * وتنسب فى الذكور وفى الاناث

وقال

رب ثور رأيت فى جحر نمل * وقطاة تحمل الاثقالا
ونسور تمشى بغير رؤس * لا ولا ريش تحمل الابطالا
وعجوزا رأيت فى بطن كلب * جعل الكلب للامير جمالا
وغلاما رأيته صار كلبا * ثم من بعد ذاك صار غزالا
وأتانا رأيت واردة الما * ء زمانا وما تذوق بلالا
وعقابا تطير من غير ريش * وعقابا مقيمة أحوالا

الثور النمل الذى يخرج التراب من الحجر المظلم والقطاة موضع الرديف من الفرس والنسور بطون الحوافر والعجوز السيف وبطن الكلب الجلد الذى يعمل منه غمد السيف وصار كلبا ضم كلبا وأخذه من صار يصور من قول الله فصرهن اليك والاتان الصخرة والعقاب التى تطير من غير ريش البكرة والمقيمة أحوالا اللواء

{ وقال آخر فى البيضة }

ألا قل لاهل الرأى والعلم والادب * وكل بصير بالامور لدى أرب
ألا خبرونى أى شىء رأيتم * من الطير فى أرض الاعاجم والعرب
قديم حديث قد بدا وهو حاضر * يصاد بلا صيد وان جد فى الطلب
ويؤكل أحيانا طبيخا وتارة * قليا ومشويا اذا دس فى اللهب
وليس له لحم وليس له دم * وليس له عظم وليس له عصب
وليس له رجل وليس له يد * وليس له رأس وليس له ذنب
ولا هو حى لا ولا هو ميت * ألا خبرونى ان هذا هو العجب

{ وقال غيره }

انى رأيت عجوزا بين حاجبها * وبابها حبشى قائم رجل
له ثلاثون عينا بين ركبته * وبين عاتقه فى رجله قزل

في ظهره حيــة حمراء قانية * في ظهره رجل في ظهره رجل

العجوز الناقة والحبشي الذي بين حاجبها ونابها الاسود الخابس بالخطام (وقوله) ثلاثون عينا بين عاتقه ومرفقه مثاقيل كانت مصورة في عضده وقوله حية حمراء قانية كانت عليه برنس فيه تصاوير بعضها داخل في بعض

﴿ وقال آخر في القلم ﴾

فلا هو يمشي لا ولا هو مقعد * وما ان له رأس ولا كف لامس
ولا هو حي لا ولا هو ميت * ولكنه شخص يرى في المجالس
يزيد على سم الافاعي لعابه * يدب دبيبا في الدجا والحنادس
يفرق أوصالا لصمت بجنبه * وتفري به الاوداج تحت القلانس
اذا ما رأته العين تحقر شأنه * وهيهات يبدو النفس عند الكرادس

﴿ وقال آخر فيه ﴾

ضئيل الرواء كبير الغناء * من البحر في المنصب الاخضر
عليه كهيئة من الشجا * ع في دعص محنية اعفر
اذا رأسه صح لم ينبعث * وحاد السبيل ولم يبصر
وان مدية صدعت رأسه * جرى جرى صائب لم يقصر
جرى بكف فتى كفه * يسوق الثراء الى المقتر

﴿ أبيات من الشعر المحدث ﴾

ماء النعيم بوجهه متحير * والصدغ منه كعطف الراء
وكانما نهكت قوى أجفانه * بالراح أوقد شيب بالاغفاء
لو باشر الماء القراح بكفه * لجرت أنامله بنبع الماء

غيره
عجبت لمن يطيبني بمسك * وبي يتطيب المسك الفتيت
خلاخيل النساء لها وجيب * ووسواس وخلخالي صموت
ولو ان النساء غنين يوما * عن المسك الذكي كما غنيت
لأصبح كل عطار فقيرا * قليــلا ماله مايستبيت

﴿ تم بعون الله وحسن توفيقه ﴾

حمـدا لمن أبدع الكائنات على أحسن مثال وكل عقد نظامها بحلى الآداب فكانت أحسن زينة من الجواهر واللآن وصلاة وسلاما على سيدنا محمد المتمم مكارم الآداب الآتى من معجز البلاغة بالعجب العجاب وعلى آله الهداة الى الدين الحق والصراط المستقيم وأصحابه الذين نالوا باقتدائهم به أعلى مقام رفيع كريم ﴿ وبعد ﴾ فقـد تم بحمده تعالى طبع كتاب العقد الفريد للامام الفاضل الوحيد أحمـد المعروف بابن عبد ربه الاندلسى المالكى رحمه الله وأسكنه دار رضاه وهو كتاب جمع من محاسن الآداب كل كمال ومن بدائع الفضائل مالم يكن له فى غـيره مثال فجاء كتابا أذعنت لفضائله الادباء واستنارت بشموس بيانه الفضلاء وكان غنية الطالب وبغية كل أديب لاشتات المحاسن راغب * وذلك الطبع الزاهى الزاهـر والوضع الباهى الباهر بالمطبعـة الازهرية المصرية الكائن محلها بجوار الرياض الازهرية ادارة راجى عفو ربه القـادر (حضرة محمود أفندى شاكر وسيد مسلم)

* وفاح مسك الختام وتم سلك النظام فى

أوائل رجب الفرد سنة ١٣٣٢

هجـرية على صاحبها

أفضل الصـلاة

وأزكى التحية

آمـين

م

﴿ مصطفى بك شاكر ﴾

فهرست

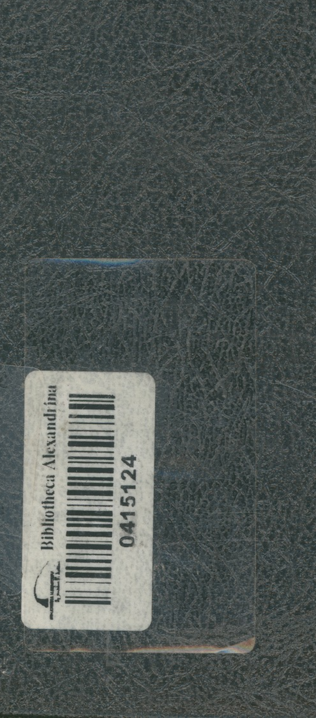
﴿ الجزء الرابع ﴾

﴿ من كتاب العقد الفريد ﴾

(ذكر مافيه من الكتب)

(تمت)




Bibliotheca Alexandrina
0415124